شرح
نهج البلاغة

للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

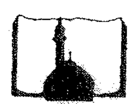
تاليف

حسن الحسين الجلال

تحقيق

مُحَمَّد جواد الحسيني الجلالي

(الجزء الاول)



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

هوية الكتاب

الكتاب: شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

تأليف : السيد محمّد حسين الجلالي

تحقيق : محمّد جواد الحسيني الجلالي

الطبعة: الاولى ١٤٢٢هـ

الفلم والالواح الحساسة: زنكغراف قم

الناشر: المحقق

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني :

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المحقّق

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ الحبيب المصطفىٰ من الكائنات: محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، لا سيّما ابن عمه ووصيّه الناطق بالحكمة وفصل الخطاب، علي بن أبي طالب عليه السلام.

والحمد لله سبحانه وتعالى الذي جعلنا في خير أُمّة أُخرجت للناس، أُمّة آخر الأنبياء وأفضلهم وأشرفهم وأكرمهم وأعلمهم سيّدنا محمّد خاتم النبيين صلّى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فإنّ من ثمار الجهود المضنية التي تحمّلها العالم النحرير الفقيه المتتبّع سماحة العلامة المجاهد السيد محمّد حسين الجلالي في نشر التراث الاسلامي، هو هذا الشرح الكبير لنهج البلاغة.

وقد تفضّل السيد العلامة ادام الله أيّامه، بكتابة مقدمة مفصلة عن نهج البلاغة بما لا مزيد عليه في كتابه القيّم «مسند نهج البلاغة» المتكوّن من قسمين:

القسم الأوّل: دراسة حول نهج البلاغة، والقسم الثاني: ذكر مصادر الخطب والكلمات القصار.

امّا الدراسة حول نهج البلاغة فتحتوي علىٰ:

١ ـ مقدمة في التعريف بكتاب نهج البلاغة، وحياة الشريف الرضي رحمه الله، وردّ ما اثير حول نسبة كتاب نهج البلاغة إلى الشريف الرضي رحمه الله.

٢ ـ الباب الأول: في توثيق نهج البلاغة والعناية به خلال القرون.

٣ـ الباب الثاني: شرح خطبة كتاب نهج البلاغة في اثنى عشر مقطعاً.

وقد سجّل لنا التاريخ الكثير من هدي الامام علي عليه السلام ومواعظه ومواقفه الحميدة التي هي قبس من نور يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

والتأمّل في التاريخ بصورة عامّة فيه الكثير من الفوائد، فالتاريخ مدرسة الاجيال، ويمكن استفادة الكثير من العبر وحصائل الكثير من التجارب منه، فإنّ حوادث الدهر متشابهة وغالباً ماتتكرّر ولا يتغيرّ إلّا ظواهرها، وأمّا حقائقها فهي نفسها، وهذا هو الذي يعبّر عنه بأنّ التاريخ يعيد نفسه.

وقد يتصور البعض ان مايجري في العصر الحاضر من الامور المستجدّة والحوادث الواقعة لايمكن الاستفادة من التاريخ فيها، وهذا خطأ؛ فان ألوان الحياة واساليبه قد تتغيّر تبعا للحضارات، وسلوك الافراد قد يتغيّر تبعا للاعراف، ولكن أصل الحياة والجذور الاصليّة في تصرّفات البشر من العواطف والغرائز والميول تبقى ثابتة لا تتغيّر أبدا، وهي المنشأ في سلوك الافراد في كل العصور ومختلف المناطق.

فمن يعرف الوقائع المتقدمة ويقف على المواقف والقرارات المتّخذة فيها والنتائج التي تمخّضت عنها، يمكنه اتخاذ مواقف أجدر في مشابهاتها، ويتخطّى المزالق التي وقع فيها المتقدّمون، بينما يحتاج من يجهل التاريخ إلى إعادة التجارب والتكرار المستمرّ، وقد لايفي عمره بذلك كلّه، أو يبقىٰ طول حياته في عناء وتعب نتيجة لاتخاذه القرار الخاطيء ووقوعه في أخطاء كان يمكنه تجنّبها بالاطلاع على التاريخ.

ومن هنا رأى سيدنا الاستاذ العلّامة المجاهد السيد محمّد حسين الجلالي دام ظلّه الوارف أن يكتب شرحا لنهج البلاغة يستعرض فيه أهم المواقف في التاريخ والقرارات المتّخذة فيها والنتائج التي تمخَّضت عنها تلك الأحداث، ولا يخفىٰ أنّ استخلاص العبر والنتائج هي عمليّة شاقّة تتطلّب جهداً مضنياً تحملّه الاستاذ الكريم وجعله في هذا الكتاب ليكون في متناول من أراد الاطلاع عليه.

وحيث إنّ التاريخ واسع جداً، لايمكن لأحد الاطلاع على كلّ أحداثه، ولاتسليط الأضواء على جميع الأحداث، فلذا اقتصر سيدنا الاستاذ على مايرتبط بطائفة خاصة بذلت كلّ مالديها في سبيل حفظ الإسلام وصيانته وهم النبي صلى الله عليه وآله وآل بيته الطاهرين، على رغم قلّة ماكتب عنهم في التاريخ المدوّن. وفي الحقيقة تمكّن المؤلف من استخراج مواقفهم وتاريخهم بقراءة مابين سطور التاريخ المدوّن، الذي كُتِب بأقلام من أخمد أصواتهم وكتم كلمتهم كما هو شأن كلّ الأقليّات حسب تعبير المؤلف دام ظلّه.

والكتاب الذي بين يديك يستعرض فيه السيد المؤلف أهم مايرتبط بتاريخ صدر الإسلام وحياة الامام علي عليه السلام خلال ٣٠ عاماً، بدءاً بوفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في ١١ للهجرة حتى وفاته هو عليه السلام في سنة ٤٠ هـ في فصول يسرد فيها النقاط التي يمكن الاعتبار بها بعد الانتهاء من سرد نصوص نهج البلاغة .

ولدراسة سيرة الامام علي عليه السلام أهميّة من جهات عديدة، نذكر منها:

١ ـ الاهميّة التشريعية؛ لأنها سيرة معصوم له مكانته المرقومة في الأُمّة.

٢ ـ الأهميّة العقائدية؛ لأنه صلى الله عليه وآله يشكل مصدراً من مصادر الفكر الإسلامي في فهم الإنسان للحياة والتاريخ.

٣ ـ الاهميّة التربوية؛ لأن في سيرته عليه السلام اسوة حسنة للمسلمين.

ونودّ التنبيه هنا على أنّ تاريخ الامام عليه السلام الذي استعرضه السيد العلامة في هذا الجزء ـ خصوصاً مايرتبط بأحداث مابعد وفاة الرسول ـ مأخوذ من كتب العامة غالباً، وهي لاتخلو من الاسرائيليات والموضوعات التي دسّها المأجورون في عهد بني أُميّة والحكام ،اضافة الى عوامل اثرت في تدوين كتب السيرة عموما لابدّ من أخذها بنظر الاعتبار، أهمّها:

١ ـ الجهل واعتماد من لايوثق به وعدم تطبيق قواعد الجرح والتعديل في الرواة.

٢ ـ تعصب بعض الكتاب لفئات ومذاهب خاصة.

٣ ـ تزلّف بعض الكتاب بكتابة السيرة إلى الحكام والسلاطين، وتبرير السياسات الظالمة للحكام من خلالها.

وهذه وامثالها اثرت في عدم وجود رؤية واضحة في السيرة بصورة عامّة، خصوصاً سيرة اهل البيتعليهم‌السلام.

ولم يكن بدّ من الاستناد إلى ما وصل الينا لاستخلاص الاعتبار من بعض الموارد المذكورة خلالها.

وقد نبّه السيد المؤلف على بعض الموارد باشارات مقتضبة، واكتفىٰ في موارد أُخرىٰ بوضع علامات سؤال وتعجّب على عبارات وكلمات لم يرتض صحّتها، أو شطب تحت عبارة طويلة بخط من دون تعليق. مما اضطرّنا إلى التنبيه على بعض الموضوعات في هوامش الكتاب وزيادة الايضاح بكتابة بعض النقاط. والسبب في ترك السيد المؤلّف للتعليق على تلك الموضوعات أمور غير خفيّة، نشير الى نقطتين منها:

١ ـ إنّ التنبيه على مواضع التحريف والخطأ خروج عن غرض الكتاب الذي جعل لشرح الاحداث التاريخية الصحيحة، وحيث لاعبرة في غيرها أعرض السيد الاستاذ عن الإشارة إليها.

٢ ـ إنّ هذا الكتاب كتبه السيد المؤلف لأحد أساتذة التحقيق، وهو الكاتب المصريّ الاستاذ المؤرخ السيد «سعيد أيّوب» وهو ممّن لا يخفىٰ عليهم التحريفات الموجودة في كتب العامة.

هذا، ونأمل أنْ نكون قد وُفِّقنا لإبداء خدمة متواضعة في تعريف القارىء بكتاب موارد الاعتبار في سيرة النبيّ المختارصلى‌الله‌عليه‌وآله، وان يكون الكتاب ناجعاً في اتخاذ المواقف الصحيحة تجاه مايعرض حياتنا من امثال ما جرىٰ نظائره في التاريخ؛ لنتوفق في نيل الحياة الكريمة التي أرادها الله للإنسان على الأرض وفي الآخرة عند لقاء الله سبحانه.

ونحن إذ نقدّم هذا الجزء للقراء الكرام نأمل أن نوفّق لعرض الأجزاء الأُخرى في

القريب العاجل إن شاء الله تعالى.

والله سبحانه المسؤول أن ينفع بهذا العمل ويجعله من الباقيات الصالحات النافعة يوم لاينفع مال ولا بنون إلّا من أتىٰ الله بقلب سليم، إنّه وليّ التوفيق.

في طريق التحقيق :

لمّا كان هذا الكتاب محتويا علىٰ فقرات من أشهر شرحين لنهج البلاغة، وهما:

١ ـ شرح ابن أبي الحديد، الذي يستند إليه المصنّف في الوقائع التأريخيّة كثيراً.

٢ ـ شرح ميثم بن علي البحراني، الذي يعتمد عليه المصنّف في المباحث الكلامية.

آثرنا استحضار نسختي الشرحين، ومقابلة ذلك بنسخة الاصل لكتاب ارشاد المؤمنين الى شرح نهج البلاغة المبين ونقل ما علقه المصنّف عليها، وإثبات موارد الاختلاف في الهوامش.

وأساس عملنا في هذا الكتاب يدور حول المحاور التالية:

أوّلاً ـ تحقيق نصّ نهج البلاغة، بمقابلته علىٰ عدّة نسخ معتمدة، هي كالآتي:

أ ـ النسخة المخطوطة التي نشرت مصوّرتها مكتبة چهل ستون بطهران، وتأريخ كتابتها سنة ٤٩٤ هـ. وكانت لفخر الدين النصيري الأميني الطهراني.

والملاحظ في هذه النسخة أنّها تبدأ بالخطبة (٣٢) من نهج البلاغة إلّا أنّ المشرف علىٰ طبعها حاول إكمال الناقص بنسخة قديمة يرجع تاريخ كتابتها إلىٰ ما قبل تسعماءة عام، لكنه مع الاسف لم يُلاحظ فيه ترتيب الصفحات، فأعدنا ترتيبها بالشكل الصحيح.

ب ـ النسخة المخطوطة التي نشرت مصوّرتها مكتبة آية الله المرعشي بقم، وتأريخ كتابتها سنة ٤٩٩ هـ.

ج ـ النسخة المحققة التي طبعتها مؤسسة نهج البلاغة بطهران سنة ١٤١٣ هـ، والتي قام بتحقيقها ومقابلتها علىٰ عدّة نسخ مخطوطة ومطبوعة العلامة الشيخ عزيز الله العطاردي.

وقد استفدنا من هذه النسخة الوقوف علىٰ موارد اختلاف النسخ التي وقف عليها المحقّق، وإن لاحظنا بعض التساهلات في ضبط الاختلافات بالنسبة إلىٰ النسختين المخطوطتين اللتين كانتا بحوزتنا، إضافة إلىٰ بعض الأخطاء المطبعية الأُخرىٰ.

هذا، ولابدّ ان نشير هنا إلىٰ أنّا لم نتقيّد في إيراد نصّ نهج البلاغة علىٰ ما ورد في نسخة الأصل، بل اثبتنا في المتن ما كان مورداً لاتفاق أكثر النسخ المعتمدة (بما في ذلك ماورد في نسخة الأصل) مع الإشارة إلىٰ الاختلافات في الهامش.

ثانياً ـ إثبات ما جاء في هوامش النسخ المعتمدة، من شرحٍ لمفردات كلمات نهج البلاغة، وفيها الكثير من المعلومات التي أثبتها علماء الإسلام، الذين وقفوا علىٰ تلك النسخ، وإن كان المؤلّف كثيراً مّا يعتمد في توضيح غريب الكلمات علىٰ شرح ابن أبي الحديد وتفسيره، بتصرّف.

فجاء هذا الكتاب جامعاً بين بيان وافٍ لنهج البلاغة، إضافة إلىٰ شرحه للغريب من كلماته في هامش الصفحات.

ثالثاً ـ إلحاق فهارس تعين الباحث علىٰ الوصول إلىٰ منشوده.

وبهذا نكون قد أضفنا إلىٰ مكتبة نهج البلاغة شرحاً يجمع بين توضيح الملابسات التأريخيّة لإيراد الخطب والكلمات، وبين بيان المعارف الإلٰهيّة الحقّة التي عرضها الامام عليه السلام بأُسلوبه الخاص، مع توضيح وافٍ للغريب من كلمات نهج البلاغة، وشرح مبسّط لعبارات الكتاب، وتصحيح لما ورد في شرح ابن أبي الحديد من التحريف والاشتباه في بيان مراد الامام عليه السلام.

الرموز المستعملة في هوامش الكتاب:

ص ـ لنسخة الأصل (إرشاد المؤمنين إلىٰ معرفة نهج البلاغة المبين)

ه. ص ـ لما ورد في هامش نسخة الأصل أو بين السطور، من توضيح الكلمات،

وحيث أن بعض الكلمات كانت غير واضحة ـ خصوصاً في الصفحات الأُولى ـ فإنّا جعلنا بدلها ثلاث نقط، وحصرنا ما استظهرناه من سياق العبارة بين معقوفتين.

أ ـ للنسخة التي قامت يطبعها مكتبة چهل ستون العامة بطهران، والمؤرخة ٤٩٤ هـ.

هـ. أ ـ لما ورد في هامش النسخة «أ»، وجعلنا مكان الكلمات غير المقروءة ثلاث نقط.

ب ـ للنسخة التي قامت بطبعها مكتبة الفقيه العلامة آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي قدّس سرّه بقم، وهي مؤرخة بسنة ٤٩٩ هـ.

هـ. ب ـ لما ورد في هامش النسخة «ب».

ط ـ لما ورد في الشرح المطبوع لابن أبي الحديد بتحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم.

د ـ للنسخة المطبوعة من قِبَل مؤسسة نهج البلاغة بتحقيق العلامة الشيخ عزيز الله العطاردي.

هـ. د ـ لما ورد في هامش النسخة «د» من الاختلاف في النسخ، والتي شفّعت كلّ منها برمز خاص يشير إلىٰ النسخة المأخوذة منها، والرموز التي استعملها المحقق للدلالة علىٰ النسخ في كتابه هي كما يلي:

«ش» لنسخة مكتبة آية الله المرعشي النجفي قدّس سرّه، بقم. (وهي نفس النسخة التي رمزنا لها بـ «ب»).

«ن» لنسخة مكتبة مدرسة النوّاب، بمشهد، وهي من مخطوطات آستان قدّس سرّه.

«ل» لنسخة مكتبة جامعة عليكرة، بالهند.

«م» لنسخة مكتبة ممتاز العلماء، في لكهنو بالهند.

«ق» لنسخة مكتبة فخر الدين النصيري. (وهي نفس النسخة التي رمزنا لها بـ «أ»).

«ض» لنسخة نهج البلاغة المطبوع بطهران سنة ١٣٣ هش بشرح وترجمة فيض الاسلام.

«ح» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح ابن أبي الحديد.

«ر» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح قطب الدين الراوندي (منهاج البراعة).

«ك» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح قطب الدين الكيذري البيهقي (حدائق الحقائق).

«ع» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح علي بن ناصر السرخسي (اعلام نهج البلاغة).

«ب» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح محمّد عبده.

هذا، ونسأل الله أن يتقبّل منّا ، وأن يجعل ذلك ذخراً لنا ليوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلّا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم، انه سميع قريب.

محمّد جواد الحسيني الجلالي

كربلاء المقدسة: ٢٠ / صفر / ١٤٣٠ هـ

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن تولاه إلىٰ يوم لقاء الله، وبعد: فيقول الفقير إلىٰ الله: محمّد حسين الحسيني الجلالي بصّره الله عيوب نفسه وجعل مستقبله خيراً من أمسه: اني لما انتهيت من مسند نهج البلاغة بدا لي ان اشرح المتن شرحاً موجزاً مستنبطاً من النصّ حسب فهمي القاصر، ولم أقصد فيه الشرح على ما هو المتعارف، فقد اغنته مكتبة النهج في مختلف القرون واللغات، بل قصدت شرحا وجيزا يغني القارىء عن مراجعة النص، وطالب التفصيل يجب ان يراجع ما كتبه الباحثون من الاستيعاب في مباحث الكتاب أو المواد في المعجم، واعتمدت على شرح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ ه)، ط / القاهرة، سنة ١٣٧٨، واياه اعني بالشرح متى ما اطلقت. وفي المتن: اعتمدت على طبعة الدكتور صبحي الصالح في بيروت سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٧م بالرغم ممّا فيه من المؤاخذات؛ لكونها اجمل الطبعات، المتيسّرة، فقد بذل رحمه الله جهداً مشكوراً في تفسير المفردات وتشكيل الكلمات مما فاق غيرها من الطبعات، وعسى أن يسهّل الله النسخ المخطوطة من الاصل لاخراج النص في طبعة محققة، وعسى ان تكون هذه خطوة في سبيل ذلك، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلّت وإليه أُنيب.

العبد الفقير إلىٰ الله: محمّد حسين الحسيني الجلالي أحسن الله إليه.

القسم الاول

خطب

امير المؤمنين (ع)



مقدّمة المحقّق

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ الحبيب المصطفىٰ من الكائنات: محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين، لا سيّما ابن عمه ووصيّه الناطق بالحكمة وفصل الخطاب، علي بن أبي طالب عليه السلام.

والحمد لله سبحانه وتعالى الذي جعلنا في خير اُمّة اُخرجت للناس، اُمّة آخر الأنبياء وأفضلهم وأشرفهم وأكرمهم وأعلمهم سيّدنا محمّد خاتم النبيين صلّى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فإنّ من ثمار الجهود المضنية التي تحمّلها العالم النحرير الفقيه المتتبّع سماحة العلامة المجاهد السيد محمّد حسين الجلالي في نشر التراث الاسلامي، هو هذا الشرح الكبير لنهج البلاغة.

وقد تفضّل السيد العلامة ادام الله أيّامه، بكتابة مقدمة مفصلة عن نهج البلاغة بما لا مزيد عليه في كتابه القيّم «مسند نهج البلاغة» المتكوّن من قسمين:

القسم الأوّل: دراسة حول نهج البلاغة، والقسم الثاني: ذكر مصادر الخطب والكلمات القصار.

امّا الدراسة حول نهج البلاغة فتحتوي علىٰ:

١ ـ مقدمة في التعريف بكتاب نهج البلاغة، وحياة الشريف الرضي رحمه الله، وردّ ماأثير حول نسبة كتاب نهج البلاغة إلى الشريف الرضي رحمه الله.

٢ ـ الباب الأول: في توثيق نهج البلاغة والعناية به خلال القرون.

٣ ـ الباب الثاني: شرح خطبة كتاب نهج البلاغة في اثنى عشر مقطعاً.

وقد سجّل لنا التاريخ الكثير من هدي الامام علي عليه السلام ومواعظه ومواقفه الحميدة التي هي قبس من نور يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

والتأمّل في التاريخ بصورة عامّة فيه الكثير من الفوائد، فالتاريخ مدرسة الاجيال، ويمكن استفادة الكثير من العبر وحصائل الكثير من التجارب منه، فإنّ حوادث الدهر متشابهة وغالباً ماتتكرّر ولا يتغيرّ إلّا ظواهرها، وأمّا حقائقها فهي نفسها، وهذا هو الذي يعبّر عنه بأنّ التاريخ يعيد نفسه.

وقد يتصور البعض ان مايجري في العصر الحاضر من الامور المستجدّة والحوادث الواقعة لايمكن الاستفادة من التاريخ فيها، وهذا خطأ؛ فان ألوان الحياة واساليبه قد تتغيّر تبعا للحضارات، وسلوك الافراد قد يتغيّر تبعا للاعراف، ولكن أصل الحياة والجذور الاصليّة في تصرّفات البشر من العواطف والغرائز والميول تبقى ثابتة لا تتغيّر أبدا، وهي المنشأ في سلوك الافراد في كل العصور ومختلف المناطق.

فمن يعرف الوقائع المتقدمة ويقف على المواقف والقرارات المتّخذة فيها والنتائج التي تمخّضت عنها، يمكنه اتخاذ مواقف أجدر في مشابهاتها، ويتخطّى المزالق التي وقع فيها المتقدّمون، بينما يحتاج من يجهل التاريخ إلى إعادة التجارب والتكرار المستمرّ، وقد لايفي عمره بذلك كلّه، أو يبقىٰ طول حياته في عناء وتعب نتيجة لاتخاذه القرار الخاطيء ووقوعه في أخطاء كان يمكنه تجنّبها بالاطلاع على التاريخ.

ومن هنا رأى سيدنا الاستاذ العلّامة المجاهد السيد محمّد حسين الجلالي دام ظلّه الوارف أن يكتب شرحا لنهج البلاغة يستعرض فيه أهم المواقف في التاريخ والقرارات المتّخذة فيها والنتائج التي تمخّضت عنها تلك الأحداث، ولا يخفىٰ أنّ استخلاص العبر والنتائج هي عمليّة شاقّة تتطلّب جهداً مضنياً تحملّه الاستاذ الكريم وجعله في هذا الكتاب ليكون في متناول من أراد الاطلاع عليه.

وحيث إنّ التاريخ واسع جداً، لا يمكن لأحد الاطلاع على كلّ أحداثه، ولاتسليط الأضواء على جميع الأحداث، فلذا اقتصر سيدنا الاستاذ على مايرتبط بطائفة خاصة بذلت كلّ مالديها في سبيل حفظ الإسلام وصيانته وهم النبي صلى الله عليه وآله وآل بيته الطاهرين، على رغم قلّة ما كتب عنهم في التاريخ المدوّن. وفي الحقيقة تمكّن المؤلف من استخراج مواقفهم وتاريخهم بقراءة مابين سطور التاريخ المدوّن، الذي كُتِب بأقلام من أخمد أصواتهم وكتم كلمتهم كما هو شأن كلّ الأقليّات حسب تعبير المؤلف دام ظلّه.

والكتاب الذي بين يديك يستعرض فيه السيد المؤلف أهم مايرتبط بتاريخ صدر الإسلام وحياة الامام علي عليه السلام خلال ٣٠ عاماً، بدءاً بوفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في ١١ للهجرة حتى وفاته هو عليه السلام في سنة ٤٠ هـ في فصول يسرد فيها النقاط التي يمكن الاعتبار بها بعد الانتهاء من سرد نصوص نهج البلاغة.

ولدراسة سيرة الامام علي عليه السلام أهميّة من جهات عديدة، نذكر منها:

١ ـ الاهميّة التشريعية؛ لأنها سيرة معصوم له مكانته المرقومة في الأُمّة.

٢ ـ الأهميّة العقائدية؛ لأنه صلى الله عليه وآله يشكل مصدراً من مصادر الفكر الإسلامي في فهم الإنسان للحياة والتاريخ.

٣ ـ الاهميّة التربوية؛ لأن في سيرته عليه السلام اسوة حسنة للمسلمين.

ونودّ التنبيه هنا على أنّ تاريخ الامام عليه السلام الذي استعرضه السيد العلامة في هذا الجزء ـ خصوصاً مايرتبط بأحداث مابعد وفاة الرسول ـ مأخوذ من كتب العامة غالباً، وهي لاتخلو من الاسرائيليات والموضوعات التي دسّها المأجورون في عهد بني أُميّة والحكام، اضافة الى عوامل اثرت في تدوين كتب السيرة عموما لابدّ من أخذها بنظر الاعتبار، أهمّها:

١ ـ الجهل واعتماد من لايوثق به وعدم تطبيق قواعد الجرح والتعديل في الرواة.

٢ ـ تعصب بعض الكتاب لفئات ومذاهب خاصة.

٣ ـ تزلّف بعض الكتاب بكتابة السيرة إلى الحكام والسلاطين، وتبرير السياسات الظالمة للحكام من خلالها.

وهذه وامثالها اثرت في عدم وجود رؤية واضحة في السيرة بصورة عامّة، خصوصاً سيرة اهل البيت عليهم السلام.

ولم يكن بدّ من الاستناد إلى ما وصل الينا لاستخلاص الاعتبار من بعض الموارد المذكورة خلالها.

وقد نبّه السيد المؤلف على بعض الموارد باشارات مقتضبة، واكتفىٰ في موارد اُخرىٰ بوضع علامات سؤال وتعجّب على عبارات وكلمات لم يرتض صحّتها، أو شطب تحت عبارة طويلة بخط من دون تعليق. مما اضطرّنا إلى التنبيه على بعض الموضوعات في هوامش الكتاب وزيادة الايضاح بكتابة بعض النقاط. والسبب في ترك السيد المؤلّف للتعليق على تلك الموضوعات أمور غير خفيّة، نشير الى نقطتين منها:

١ ـ إنّ التنبيه على مواضع التحريف والخطأ خروج عن غرض الكتاب الذي جعل لشرح الاحداث التاريخية الصحيحة، وحيث لاعبرة في غيرها أعرض السيد الاستاذ عن الإشارة إليها.

٢ ـ إنّ هذا الكتاب كتبه السيد المؤلف لأحد أساتذة التحقيق، وهو الكاتب المصريّ الاستاذ المؤرخ السيد «سعيد أيّوب» وهو ممّن لا يخفىٰ عليهم التحريفات الموجودة في كتب العامة.

هذا، ونأمل أنْ نكون قد وُفِّقنا لإبداء خدمة متواضعة في تعريف القارىء بكتاب موارد الاعتبار في سيرة النبيّ المختار صلى الله عليه وآله، وان يكون الكتاب ناجعاً في اتخاذ المواقف الصحيحة تجاه مايعرض حياتنا من امثال ما جرىٰ نظائره في التاريخ؛ لنتوفق في نيل الحياة الكريمة التي أرادها الله للإنسان على الأرض وفي الآخرة عند لقاء الله سبحانه.

ونحن إذ نقدّم هذا الجزء للقراء الكرام نأمل أن نوفّق لعرض الأجزاء الأُخرى في

القريب العاجل إن شاء الله تعالى.

والله سبحانه المسؤول أن ينفع بهذا العمل ويجعله من الباقيات الصالحات النافعة يوم لاينفع مال ولا بنون إلّا من أتىٰ الله بقلب سليم، إنّه وليّ التوفيق.

في طريق التحقيق:

لمّا كان هذا الكتاب محتويا علىٰ فقرات من أشهر شرحين لنهج البلاغة، وهما:

١ ـ شرح ابن أبي الحديد، الذي يستند إليه المصنّف في الوقائع التأريخيّة كثيراً.

٢ ـ شرح ميثم بن علي البحراني، الذي يعتمد عليه المصنّف في المباحث الكلامية.

آثرنا استحضار نسختي الشرحين، ومقابلة ذلك بنسخة الاصل لكتاب ارشاد المؤمنين الى شرح نهج البلاغة المبين ونقل ما علقه المصنّف عليها، وإثبات موارد الاختلاف في الهوامش.

وأساس عملنا في هذا الكتاب يدور حول المحاور التالية:

أوّلاً ـ تحقيق نصّ نهج البلاغة، بمقابلته علىٰ عدّة نسخ معتمدة، هي كالآتي:

أ ـ النسخة المخطوطة التي نشرت مصوّرتها مكتبة چهل ستون بطهران، وتأريخ كتابتها سنة ٤٩٤ هـ. وكانت لفخر الدين النصيري الأميني الطهراني.

والملاحظ في هذه النسخة أنّها تبدأ بالخطبة (٣٢) من نهج البلاغة إلّا أنّ المشرف علىٰ طبعها حاول إكمال الناقص بنسخة قديمة يرجع تاريخ كتابتها إلىٰ ما قبل تسعماءة عام، لكنه مع الاسف لم يُلاحظ فيه ترتيب الصفحات، فأعدنا ترتيبها بالشكل الصحيح.

ب ـ النسخة المخطوطة التي نشرت مصوّرتها مكتبة آية الله المرعشي بقم، وتأريخ كتابتها سنة ٤٩٩ هـ.

ج ـ النسخة المحققة التي طبعتها مؤسسة نهج البلاغة بطهران سنة ١٤١٣ هـ، والتي قام بتحقيقها ومقابلتها علىٰ عدّة نسخ مخطوطة ومطبوعة العلامة الشيخ عزيز الله العطاردي.

وقد استفدنا من هذه النسخة الوقوف علىٰ موارد اختلاف النسخ التي وقف عليها المحقّق، وإن لاحظنا بعض التساهلات في ضبط الاختلافات بالنسبة إلىٰ النسختين المخطوطتين اللتين كانتا بحوزتنا، إضافة إلىٰ بعض الأخطاء المطبعية الأُخرىٰ.

هذا، ولابدّ ان نشير هنا إلىٰ أنّا لم نتقيّد في إيراد نصّ نهج البلاغة علىٰ ما ورد في نسخة الأصل، بل اثبتنا في المتن ما كان مورداً لاتفاق أكثر النسخ المعتمدة (بما في ذلك ماورد في نسخة الأصل) مع الإشارة إلىٰ الاختلافات في الهامش.

ثانياً ـ إثبات ما جاء في هوامش النسخ المعتمدة، من شرحٍ لمفردات كلمات نهج البلاغة، وفيها الكثير من المعلومات التي أثبتها علماء الإسلام، الذين وقفوا علىٰ تلك النسخ، وإن كان المؤلّف كثيراً مّا يعتمد في توضيح غريب الكلمات علىٰ شرح ابن أبي الحديد وتفسيره، بتصرّف.

فجاء هذا الكتاب جامعاً بين بيان وافٍ لنهج البلاغة، إضافة إلىٰ شرحه للغريب من كلماته في هامش الصفحات.

ثالثاً ـ إلحاق فهارس تعين الباحث علىٰ الوصول إلىٰ منشوده.

وبهذا نكون قد أضفنا إلىٰ مكتبة نهج البلاغة شرحاً يجمع بين توضيح الملابسات التأريخيّة لإيراد الخطب والكلمات، وبين بيان المعارف الإلٰهيّة الحقّة التي عرضها الامامعليه‌السلام بأُسلوبه الخاص، مع توضيح وافٍ للغريب من كلمات نهج البلاغة، وشرح مبسّط لعبارات الكتاب، وتصحيح لما ورد في شرح ابن أبي الحديد من التحريف والاشتباه في بيان مراد الامامعليه‌السلام.

الرموز المستعملة في هوامش الكتاب:

ص ـ لنسخة الأصل (إرشاد المؤمنين إلىٰ معرفة نهج البلاغة المبين)

ه. ص ـ لما ورد في هامش نسخة الأصل أو بين السطور، من توضيح الكلمات،

وحيث أن بعض الكلمات كانت غير واضحة ـ خصوصاً في الصفحات الأُولى ـ فإنّا جعلنا بدلها ثلاث نقط، وحصرنا ما استظهرناه من سياق العبارة بين معقوفتين.

أ ـ للنسخة التي قامت يطبعها مكتبة چهل ستون العامة بطهران، والمؤرخة ٤٩٤ هـ.

ه. أ ـ لما ورد في هامش النسخة «أ»، وجعلنا مكان الكلمات غير المقروءة ثلاث نقط.

ب ـ للنسخة التي قامت بطبعها مكتبة الفقيه العلامة آية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي قدس سره بقم، وهي مؤرخة بسنة ٤٩٩ هـ.

ه. ب ـ لما ورد في هامش النسخة «ب».

ط ـ لما ورد في الشرح المطبوع لابن أبي الحديد بتحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم.

د ـ للنسخة المطبوعة من قِبَل مؤسسة نهج البلاغة بتحقيق العلامة الشيخ عزيز الله العطاردي.

ه. د ـ لما ورد في هامش النسخة «د» من الاختلاف في النسخ، والتي شفّعت كلّ منها برمز خاص يشير إلىٰ النسخة المأخوذة منها، والرموز التي استعملها المحقق للدلالة علىٰ النسخ في كتابه هي كما يلي:

«ش» لنسخة مكتبة آية الله المرعشي النجفي قدس سره، بقم. (وهي نفس النسخة التي رمزنا لها بـ «ب»).

«ن» لنسخة مكتبة مدرسة النوّاب، بمشهد، وهي من مخطوطات آستان قدس سره.

«ل» لنسخة مكتبة جامعة عليكرة، بالهند.

«م» لنسخة مكتبة ممتاز العلماء، في لكهنو بالهند.

«ق» لنسخة مكتبة فخر الدين النصيري. (وهي نفس النسخة التي رمزنا لها بـ «أ»).

«ض» لنسخة نهج البلاغة المطبوع بطهران سنة ١٣٣ هش بشرح وترجمة فيض الاسلام.

«ح» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح ابن أبي الحديد.

«ر» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح قطب الدين الراوندي (منهاج البراعة).

«ك» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح قطب الدين الكيذري البيهقي (حدائق الحقائق).

«ع» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح علي بن ناصر السرخسي (اعلام نهج البلاغة).

«ب» لنسخة نهج البلاغة المطبوع مع شرح محمّد عبده.

هذا، ونسأل الله أن يتقبّل منّا ، وأن يجعل ذلك ذخراً لنا ليوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلّا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم، انه سميع قريب.

محمّد جواد الحسيني الجلالي

كربلاء المقدسة: ٢٠ / صفر / ١٤٣٠ هـ

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن تولاه إلىٰ يوم لقـاء الله، وبعد: فيقول الفقير إلىٰ الله: محمّد حسين الحسيني الجلالي بصّره الله عيوب نفسه وجعل مستقبله خيراً من أمسه: اني لما انتهيت من مسند نهج البلاغة بدا لي ان اشرح المتن شرحاً موجزاً مستنبطاً من النصّ حسب فهمي القاصر، ولم أقـصد فـيه الشـرح عـلى مـا هـو المتعارف، فقد اغنته مكتبة النهج في مختلف القرون واللغات، بل قصدت شرحا وجيزا يغني القارئ عن مراجعة النص، وطالب التفصيل يجب ان يراجع ما كتبه الباحثون من الاستيعاب في مباحث الكتاب أو المواد في المعجم، واعتمدت عـلى شـرح ابـن أبـي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)، ط /القاهرة، سنة ١٣٧٨، واياه اعني بالشرح متى ما اطلقت. وفي المتن: اعتمدت على طبعة الدكتور صبحي الصالح في بيروت سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٧م بالرغم ممّا فيه من المؤاخذات؛ لكونها اجمل الطبعات، المتيسّرة، فقد بـذل رحـمه الله جهداً مشكوراً في تفسير المفردات وتشكيل الكلمات مما فاق غيرها مـن الطـبعات، وعسى أن يسهّل الله النسخ المخطوطة من الاصل لاخراج النص في طبعة محققة، وعسى ان تكون هذه خطوة في سبيل ذلك، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلّت وإليه اُنيب.

العبد الفقير إلىٰ الله: محمّد حسين الحسيني الجلالي أحسن الله إليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

باب المختار من خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه و [أوامره ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرىٰ الخطب في المقامات المحصورة، والمواقف المذكورة، والخطوب الواردة ويدخل في ذلك المختار من][1] كلامه الجاري مجرى الخطب

[الخطبة ١]

من[2] خطبة له

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم عليه السلام[3]

الحَـمْـدُ[4] لله الـذي لا يَـبْلُغُ مِـدْحَتَهُ[5] القَـائِلُونَ[6]، وَلَا يُـحْصي نَعْمَـاءَهُ[7] العَـادّون[8]، ولا يُـؤدّي حَقَّهُ[9] الُمجْتَـهِدونَ[10]، الـذي لا يُـدْرِكُـهُ

(١) ما بين المعقوفتين من «أ» و «د» ،ولم يرد في « ص » و « ط »، وورد العنوان في « ب » هكذا : « باب المختار من خطب مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ».

(٢) في «أ» و«ب»: ومن. وفي «د» و«ط»: فمن.

(٣) في هـ. ص : «يتلو هذه الخطبة: كتاب (إرشاد المؤمنين إلىٰ معرفة نهج البلاغة المبين) تأليف السيّد العلّامة، وتحرير العارف الفهّامة، بقيّة العلماء الأبرار، ومفخر الحكماء والأخيار، واحد زمانه، والمبرّز علىٰ أقرانه، الواصل بتحقيقه إلىٰ الرتبة العليا، عماد الدين، يحيىٰ بن إبراهيم بن يحيىٰ، تلقّاه الله في رضاه الأمل، وختم زمانه بنيل العلم والعمل، والله يبقيه لنا سالماً بزيادة تبجيل وتعظيم. نقل هذا من خطّ السيّد العلّامة ضياء الدين إسماعيل بن إبراهيم بن يحيىٰ رحمه الله».

(٤) في هـ. أ: الحمد والمدح لفظان.[بمعنىٰ] الثناء الجميل الواقع. وأقول: الحمد هو الثناء علىٰ الجميل من نعمة وغيرها، والمدحة: فعلة من المدح، وهي الهيئة، كالجلسة للجالس.

(٥) في هـ. أ: [المدحة] للهيئة، أي: كما يستحقّ أن يحمد.

(٦) في هـ. أ: ولم يقل: «المادحون»؛ لأنّ القائلون أعمّ.

(٧) في «أ»: نعماه، وفي هـ. أ : في نسخة: نعمه، وفي هـ. د: نعمه ـ م، وفي هـ. أ: النعماء: النعمة.

(٨) في هـ. أ: أي عادّوا نعمه.

بُعْدُ الهِمَمِ(١١)، ولا ينالُهُ غَوْصُ الفِطَنِ(١٢)، الذي لَيْسَ لِصِفَتِهِ(١٣) حَدٌّ مَحْدُودٌ(١٤)، ولا نَعْت مَوْجُودٌ(١٥)، ولا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، ولا أجَلٌ(١٦) مَمْدُودٌ، فَطَرَ(١٧) الخَلائِقَ بِقُدْرَتِه، وَنَشَرَ الرياحَ بِرَحْمَتِه(١٨)، وَوَتَّدَ(١٩) بِالصُّخُورِ مَيَدانَ(٢٠) أرْضِه.

قال الجلالى: ما بين المعقوفتين ليس في النسخة المؤرخة سنة ٤٤٩ هـ، وزاد في المطبوعة فقرة «وفيها ذكر الحج، ويحتوى على حمد الله، وخلق العالم، وخلق الملائكة، واختبار الانبياء، ومبعث النبي، والقرآن والاحكام الشرعية» واظن ان كلمة (الحج) في

---

(٩) في هـ. أ: أي ما وجب عليهم.

(١٠) في هـ. أ: أي حاملي أنفسهم للإجتهاد في طاعة اللّه.

(١١) في هـ. أ: جمع الهمّة، وهي فعلة من الهمّ، يعني القصد...، أمّا الهمّة تطلق علىٰ قصد النفس، و [منه] فلان عليُّ الهمّة، ومرادهُ: [عدم وصول الهمم] إلىٰ معرفة ذاته.

(١٢) جمع فطنة، هو الحدس، وفي هـ. أ: جع الفطنة وهي: الفهم.

(١٣) في هـ. أ: أي ليس لصفته عند مقايسته إلىٰ [الغير] كالعلم والقدرة والحياة، حدّ ونهاية. وفي هامش آخر: معناه: أنّه لا نهاية؛ لكونه مختصاً بصفات ذاته؛ لأنّه لا نهاية لكونه موجوداً، ولا بدّ اذا كان موجوداً أن يكون مختصّاً بصفات ذاته؛ لأنّه قديم، فكما إنّه لابدّ أن يكون قديماً لم يزل ولا يزال، لابدّ فيه أن يختصّ بصفات ذاته.

(١٤) في هـ. أ: أي معيّن لا حدّ ذو حدّ. وفي هامش آخر: قوله عليه السلام: «محدود»، للمبالغة كقولهم شعر شاعر.

وفي هامش آخر: قوله عليه السلام: «الذي ليس لصفته حدّ محدود» أي ليس لمطلق ما يعتبره عقولنا له من الصفات السلبيّة والإضافيّة نهاية معقولة لدينا فيكون حدّاً له، وليس لمطلق ما يوصف به أيضاً... بجمعه فيكون نعتاً له ومشخّصاً به، وقال الكيدري: مثل قول العرب: ولا يرىٰ الضب فتنحجر، أي ليس لها فتنحجر، أي ليس له صفة فتحدّ؛ إذ هو وجه ينزّه عن الكثرة بوجهٍ ما، ويمتنع أن يكون له صفة تزيد علىٰ ذاته كما في سائر الممكنات، و [الصفات] المعلومة ليست من ذلك في شيء [بل هي مجرد] نسب وإضافات، والدليل علىٰ ذلك قوله بعد ذلك: «فمن وصفه، فقد حدّه».

(١٥) في هـ. أ: أي لا منعوت، معناه: لا مثل له فيما يختصّ به من صفات ذاته.

(١٦) الأجل: المدة التي تضرب للشيئ، وكل أجَل فهو لابد وان ينتهي ويمكن ان يقسم، فلذا لا يوصف به الله سبحانه.

(١٧) في هـ. أ: أي ابتدأ وابتدع.

(١٨) في الأصل: لرحمته، وفي هامش الأصل: برحمته.

(١٩) كذا في الأصل، ولكن في هامش الأصل: في نسخة: وتد ـ بالتخفيف ـ.

وفي هـ. أ: في شرح الإمام قطب الدين: عبّر عليه السلام بالتوتيد عن ارادة ما هو الكائن أوّل مرّة أو عما يكون يكون في آخر الأمر. وفي هـ. أ: وتد ـ بالتخفيف ـ وهو ضرب الوتد في حائط أو غيره، وهو مأخوذ من قوله تعالىٰ: «والجبال أوتادا».

(٢٠) في هـ. أ: مصدر «ماد» «يميد» أي تحرّك واضطرب.

العنوان تصحيف لكلمة (الحجج) وانه عليه السلام ذكر الحجج في آخر الخطبة؛ فان كلّ مقطع منها حجّة في نفسها، والله العالم.

يتضمّن المقطع الاول من الخطبة سلسلة من الثوابت الاسلامية التي تعتبر سلسلة مترابطة، مبتدءاً بمواد تسع نافية، وكل واحدة منها حجة على عجز الانسان المادي من الوصول الى حقيقة المجردات؛ للتعارض بين عالم الماديّات وعالم المجردات؛ فان الانسان عاجز عن معرفة حقائق الماديات بالاطلاق، حيث ان الفلسفة هي العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليها بقدر الطاقة البشرية، ولا يمكن للانسان المادي معرفة ما بعد الطبيعة؛ لانه خارج عن الطاقة البشرية، ثم عقّب فقرات النص بمواد ثلاث ايجابية من صفات الباري سبحانه، وشرحها في المقاطع التالية، ثم عقّبها بما يستلزم معرفة الله سبحانه من النبوّة، وبعثة الأنبياء من آدم حتى نبينا محمّد صلى الله عليه وآله، ثم ختمها بما أكمل النبي محمّد الدين من منابع الفكر الاسلامي من القرآن والسنة والحج الذي يعتبر مؤتمراً سنويا يجمع الشمل الاسلامي.

(١ / ط - ١) حمد الله:

افتتح الخطبة بالحمد لله من دون ان يذكر السبب للحمد، وربما لوضوحه؛ فان الحمد لله وحده؛ لانه حقيق بالحمد دون سواه لاستجماعه جميع صفات الكمال.

والحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، والمدح هو الثناء باللسان على الجميل الغير الاختياري، وعقّب الحمدلله بجمل اخبارية وموصولة كأدلة على ان الله سبحانه هو الحقيق بالحمد، وهي تتضمّن نبذاً من اوصافه الذاتية وآثارها على الخلق والناس أجمعين، ومنها:

١ ـ (لا يبلغ مدحته القائلون) والبلوغ: الوصول الى الحد الوافي بالمقصود، والمدح: الثناء على الصفات الذاتية التي لا تعلّل كمدح الجمال، فمهما قال الفلاسفة والمتكلمون في مدح الذات المقدسة فانه لا يبلغ المقصود؛ لعدم امكان معرفتها معرفة حقيقية.

٢ ـ (ولا يحصي نعماءه العادّون) وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا

تحصوها﴾ [١] والنعمة: الصنعة التي يستلذّها الانسان، وصنائع الله كثيرة لا تدخل تحت حصر، فيعجز العادّون عن احصائها.

٣ ـ (ولا يؤدي حقّه المجتهدون) لان أداء الحق انما يكون بما يماثله، أو بما هو اكثر من الحق، والانسان مهما اجتهد في اداء حقوق الله سبحانه يكون قاصراً، كنعمة الحياة ونعمة الصحة ونعمة الهواء الطلق الذي يستنشقه في كل لحظة، ولولاه لكان معدوماً.

٤ ـ (الذي لا يدركه بعد الهمم). والهّمة: العزم القوي؛ فان القوى الفكرية التي يتمتع بها الانسان المادي لا يمكن ان تدرك حقيقة الالوهية مهما بَعُد العزم قوة.

٥ ـ (ولا يناله غوص الفطن) الفطنة: الفهم، والغوص: الانغماس في الماء للغاية المتوخاة منه كاستخراج اللؤلؤ، فان الغاية ـ وهي معرفة حقيقة الالوهية ـ لا يمكن ان يناله الفكر المادي، وفي ذلك تاهت الأفكار وتعددت المذاهب، ونعم ما قيل:

فيك يا اعجوبة الكون ... غدا الفكر كليلا

انت حيّرت ذوى اللب ... وبلبلت العقولا

٦ ـ (الذي ليس لصفته حدّ محدود) حيث ان الصفات الالهية غير متناهية، فلا يمكن تحديدها بالدقة؛ لان الحدّ بصفة يميّز الشيئ بالاجمال، والتمييز بالاجمال ليس حداً دقيقا، فلا يمكن التحديد والتمييز الحقيقيّ، حيث لا تمييز لهذا التمييز، فلا يكون محدوداً. وانما عبّر المتأخرون عن التعريف بأقسامه حدوداً لاستخدامها لتمييز الشيئ تمييزاً حقيقياً.

٧ ـ (ولا نعت موجود) والنتيجة: انه لا يوجد نعت حقيقي للذات المقدسة.

٨ ـ (ولا وقت معدود) فان الوقت يستلزم الحدوث، وهو يناقض الازليّة.

٩ ـ (ولا أجل ممدود) فان الأجل: الغاية المضروبة في الزمن الممتد الى حصوله، وهو يناقض السرمدية؛ فانه تعالى الله أبدي ازلي سرمدي.

وهذه النقاط التسع كلها بالحكم بالنفي، لضرورة ان حقيقة الالوهية الحاكمة في الكون

---

(١) ابراهيم: ٣٤

كله ليست تقاس بمقياس مادّي، وكلّما يناقض هذه النقاط انما هو من الامور المادية، وقد ختم هذا المقطع بنقاط ثلاث كلها بالإثبات، وهي:

١٠ ـ (فطر الخلائق بقدرته) والفطر: الابداع في الايجاد، فان خلق الخلائق بقدرة الله تعالىٰ التي هي فوق كل قدرة مادية.

١١ ـ (ونشر الرياح برحمته) وعقّب الخلق بما يضطر اليه المخلوقات من الامور الضرورية، و منها: نشر الرياح، ولولا رحمة الله سبحانه بنشر الرياح التي فيها أوكسجين الحياة لما استمرت الحياة.

١٢ ـ (ووتد بالصخور ميدان ارضه) الوتد: ما يثبت به الشيئ كالجبل. والميدان ـ على وزن جريان ـ: كثرة التمايل؛ فان للجبال آثارها في تثبيت الارض. وقد اكتفى في هذا المقطع بهذه الاثار الثلاثة التي هي محسوسة لكل انسان؛ فان خلق الخلائق والرياح والارض كلها خارجة عن قدرة الانسان، وآثارها محسوسة لكل صاحب وجدان.

(٢/ط - ١) معرفة الله:

أوّلُ الدِّينِ[١] مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ ٱلتَّصْدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصْدِيقُ بِهِ[٢] تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإخلاٰصُ لَهُ، وَكَمَالُ الإخلاٰصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ[٣]، لِشَهَادَةِ[٤] كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهَادَةُ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ.

فَمَنْ وَصَفَ[٥] الله فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَمَنْ ثَنّاهُ فَقَد جَزَّأَهُ[٦]، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ[٧].

---

(١) في هـ. أ: أي أوّل أُمور الدين: المقصود في نفسه.

(٢) في هـ. أ: أي معرفة انّه واحد في صفات الإلهيّة، وهو مخالف لما عداه فيما يختصّ به، ... لا يشارك فيه غيره.

(٣) في هـ. أ: أي الصفة إنّما تطلب لتعريف الشئ، فلا بدّ أن يكون غير الموصوف ليصحّ التعريف بها؛ لأنّها لو كانت نفس الموصوف لكان ذلك تعريف الشئ بنفسه.

(٤) في هـ. د: بشهادة ـ م.

(٥) في هـ. أ: كما يوصف النوع بالجنس والفصل والخواصّ، فقد جمع شيئاً إلىٰ شيء، ومن جمع بين الجنس والفصل ركب منهما نوعاً في ذهنه.

(٦) في هـ. أ: لأنّ الجنس جزء النوع، والفصل جزء آخر، وكلّها من أجزاء القوام.

(٧) هذا ما اتّفقت عليه النسخ المخطوطة لنهج البلاغة والشرح الذي هو الأصل في هذا العمل،

وَمَن أشارَ إلَيْهِ فَقَدْ حَدَّه، وَمَنَ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَن قَال: فِيمَ؟ فَقَدْ ضَمَّنَهُ[(١)]، وَمَنْ قَالَ: عَلىٰ مَ؟، فقد أخلىٰ[(٢)] منه[(٣)].

كائنٌ[(٤)] لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لا عَنْ عَدَمٍ[(٥)]، مَعَ كلِّ شَيْءٍ لا بِمُقَارَنَةٍ[(٦)]، وَغَيْر[(٧)] كُلِّ[(٨)] شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ[(٩)]، فاعلٌ لا بمَعْنَىٰ الحَرَكاتِ والآلة، بَصِيرٌ إذْ لَا مَنْظُورَ إلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إذْ لَا سَكَنَ[(١٠)] يَسْتَأْنِسْ بِهِ، وَلا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

يتضمن هذا المقطع اموراً ثلاثة:

الاول: ان معرفة الله تعالى يستلزم نفي الصفات المادية عنه.

ولكن الملاحظ أن أغلب النسخ نهج البلاغة المطبوعة حديثاً، بما فيها الشرحين المطبوعين فيها إضافة جملة: «ومن جهله فقد أشار إليه»، ولعلّ ذلك للمحافظة علىٰ سياق الجمل.

وهذه الجملة لا يمكن تفسيرها إلّا بتكلّف، ولم أجد من تنبّه لهذا الأمر إلّا العلّامة المحقّق علي أكبر الغفاري في تعليقة له علىٰ هذه الجملة في البحار ٧٤: ٣٠٠، ومن الملاحظ أنّ شرحي ميثم بن علي وابن أبي الحديد لم يتعرّضا لشرحها، انظر الصفحة ١٢٣ من شرح ميثم بن عليّ و١: ٧٥ من شرح ابن أبي الحديد، مع أنّ المشرف علىٰ طبع الشرحين قد ذكر هذه الجملة في متن الخطبة، انظر شرح ميثم ١: ١٠٦ وشرح ابن أبي الحديد ١: ٧٣.

(١) في هـ. أ: كلّ من قال: في ماذا هو؟ فقد جعل له مكاناً يتضمّنه.

(٢) في هـ. أ: كلّ من قال: علىٰ ماذا هو؟ فقد جعله عالياً علىٰ مكان وقد جعل ما تحته خالياً عنه.

(٣) في «ص»: عنه، وفي هـ. ص: في نسخة: منه.

(٤) في هـ. أ: أي موجود لم يزل، وقيل: أي موجود لا كوجود الإنسان من النطفة المحدثة، والسيف من الحديد والحدث؛ المتولدات عن الأسباب المحدثة.

(٥) في هـ. أ: أي لم يسبقه عدم أصلاً، كالعالم المحدث؛ فإنّ الله تعالىٰ أحدثه لا عن مادّة وأصل ومثال.

(٦) في هـ. أ: روي بمقاربة، وفي هـ. د: بمقاربة ـ ك.

وفي هـ أ ما يلي: بل باحاطة العلم والاقتدار علىٰ أبلغ ما يعقل، يقال: الأمير معي، أي مثاله معي، أو شرائعه، أو نصرته؛ وذلك بعد تحقق استحالة المعيّة في حقه تعالىٰ بالحلول والمجاورة.

(٧) في «أ»: وبائن عن كلّ شيء، وفي هـ. أ في نسخة: وغير كلّ شيء.

(٨) في هـ. ص: في نسخة: وغير لكلّ شيء.

(٩) في هـ. أ: أي المزايلة بالتباين. وفي هـ. أ: ما يلي: الغيرية بالمزايلة هي انفراد الذات عن ذات اُخرىٰ وهي صفة... لكلّ شيء، فلا تقع المباينة بها بين القديم وكل محدث، فلا تعقل الغيرية لا بالمزايلة إلّا المخالفة والمباينة في الصفات.

(١٠) السَكَن: ما يسكن اليه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ومن آياته أنْ خلق لكم من انفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾ [الروم: ٣٠ / ٢١].

الثاني: الاستدلال على ذلك.

الثالث: بيان المعرفة الحقيقية.

وشرح ما تستلزمه المعرفة في سلسلة لوازم تنتهي الى نفي الصفات المادية عن الذات المقدسة؛ وذلك لان المعرفة لا تكون

معرفة حقيقية إلاّ بان تكون معرفة كاملة، وكما المعرفة يستلزم التصديق به، حيث ان من عرف الشيءَ حقاً لايمكنه الانكار أو الشك أو الشبهة فيه؛ فانه لا شيء اظهر من الوجدان.

والتصديق بالوجود أيضاً له مراتب، أحكمها أعلاها، وكمال التصديق به يستلزم توحيده؛ فان الشرك يكشف عن عدم المعرفة الحقيقية.

وللتوحيد مراتب، أعلاه أكمله، وكمال التوحيد: الاخلاص له تعالىٰ بالعمل بما يقتضيه الاخلاص باللسان والأركان والجنان، واعلى هذه المراتب اكملها، وهي الاعتقاد الصحيح بالجنان بنفي الصفات المادية عن الذات المقدسة.

ثم اشار الىٰ الاستدلال على أن معرفة الله تستلزم نفي الصفات المادية عنه، بان الصفة بمفهومها تعني أنها ليست ذات الموصوف، وكذلك الموصوف، فالصفة والموصوف أمران متغايران مفهوماً، والصفة المادية لا يمكن ان تصف الذات المجردة لاختلاف حقيقتهما، فهما متغايران مصداقاً، فلا تكون معرفة الله بالمعايير المادية.

وكمال المعرفة يستلزم نفي الصفات المادية عنه تعالىٰ أيضاً.

بيان ذلك: أنّ وصف الله سبحانه بوصف مادّي مقارنة للذات المقدسة بذلك الشئ المادي، والمقارنة بين الشيئين يستلزم تثنية الشئ، باعتبار أنهما وجودان للشئ الواحد، والله سبحانه واجب الوجود، فلا شيء يقارنه في هذا الوجود. والتثنية تستلزم التجزئة؛ لان كل واحد من الاثنين يكون جزءاً يكمّل الآخر، لتتحقق الاثنينية، ولولاه لما تحققت الاثنينية.

والتجزئة تستلزم الجهل؛ لان الذات المقدسة مجردة لا تتجزّأ.

والجهل يستلزم الاشارة، لامتناع معرفة حقيقة المشار اليه بدونها، فيُلجأ الىٰ الاشارة، في حين ان المعرفة الحقيقية للشيئ لا تفتقر الى الاشارة.

والاشارة إلى الشيئ يستلزم التحديد بالمكان، كما يشار الى الدار المحدّدة بالمكان كوسيلة للمعرفة.

والتحديد يستلزم العدّ؛ فان التحديد تقييد لشيئ مادي مكاني أو زماني، فيكون محدوداً حسب ذلك القيد المادي، دون المجردات حيث يدور امرها بين الوجود والعدم كالعقل والوجود.

ونتيجة ذلك: ان قول (فيم) أي (في ما هو؟) يستلزم وجود ذات الواجب الوجود في مكان يتضمّن وجوده، فيتحدد بالمكان، وأنّ قول: (علامَ) أي (على ماذا؟) يستلزم وجود الذات على مكان خاص دون غيره، فيكون غير هذا المكان خاليا عن وجوده تعالى، فان القولان: (فيمَ) و(علامَ) مقياسان مادّيان لا يمكن استخدامهما في معرفة الله تعالى.

ثم أشار الى ان المعرفة الحقيقية انما هي بالوجدان الذي يغني عن البرهان؛ فان مراحل اليقين ثلاث، هي: علم اليقين بالاستدلال، وعين اليقين بمشاهدة الاثار، وحق اليقين بالوجدان، وهي أعلاها، وبينها مراتب متفاوتة، والىٰ هذه المعرفة اشار الامام الصادق (ت / ١٤٨ هـ) في حديثه باسناد الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) عنه : «... قال رجل للصادق عليه السلام : يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو ؟ فقد أكثر علي المجادلون وحيروني ، فقال له : يا عبد الله هل ركبت سفينة قط ؟ قال : نعم قال : فهل كسر بك حيث لاسفينة تنجيك ولاسباحة تغنيك ؟ قال : نعم، قال : فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئا من الاشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك ؟ فقال: نعم ، قال الصادق عليه السلام : فذلك الشئ هو الله القادر على الانجاء حيث لامنجي ، وعلى الاغاثة حيث لا مغيث».(١)

فان الله سبحانه لا يمكن وصفه بالماديات حيث يستحيل وصف الشيئ غير المادي بالمادي، والانسان المادي لا يسعه سوى الايمان بالحقائق المنبئة عن الذات المقدسة:

---

(١) التوحيد؛ للشيخ الصدوق : ٢٣١.

١ـ (كائن، لا عن حدث) فان الله واجب الوجود، فليس وجوده مستنداً الىٰ حدث، أي ايجاد.

٢ـ (موجود، لا عن عدم) والله سبحانه ازلي، أي لا أوّل له، فليس وجوده عن عدم.

٣ـ (مع كل شيء، لا بمقارنة) فان وجوده ـ بحكم وجوبه ـ وجود عام محكم في الكون كله، من دون استثناء، فلا يكون وجوداً مقارناً بشيءٍ خاص.

٤ـ (غير كل شيء، لا بمزايلة) وكذلك وجوده ـ بحكم وجوبه ـ ليس سوى ذاته المقدسة، فيكون وجوده غير كل شيءٍ في الكون ولكن من دون مزايلة، أي مفارقة، لافتقار كل الموجودات الى وجوده.

٥ـ (فاعل، لا بمعنى الحركات والآلة) فان فعله ارادته؛ إذا أراد شيئاً قال له: ﴿كن فيكون﴾[(١)]، من دون افتقار إلى حركة شخصية لتحقيق المراد أو آلة يتوسل بها لنفوذ ارادته.

٦ـ (بصير؛ إذ لا منظور اليه من خلقه) فان البصر المادي إنما يتحقق بمواجهة الناظر والمنظور إليه، والله سبحانه بصير بكل شيءٍ من دون مواجهة للمنظور اليه من الخلق.

٧ـ (متوحّد) فالله سبحانه واحد لا شريك له في الصفات، وقد شرح الوحدانية بأمرين، هما:

اولا: (لاسكن يستأنس به) والسكن هو الانقطاع عن الحركة، فهو ضدها، وانما يفتقر المتحرك المادي الى السكن لتحقق الراحة والاستئناس به لمواصلة الحركة، والله سبحانه ـ بحكم وجوب وجوده ـ لا يفتقر إلىٰ السكن، فلا يفتقر الىٰ الاستئناس بالراحة.

ثانيا: (لايستوحش لفقده) فان الانسان المادي في حركته يصيبه الملل من مواصلة الحركة في العمل، فيكون مستوحشاً فيما اذا فقد السكن، ويظهر التذمّر والأمل في تحصيله أو حصوله، والله سبحانه لا يستوحش من فقد السكن.

وبالاجمال: فان الذات المقدسة منزّهة من جميع الصفات المادية التي يمكن ان

---

(١) البقرة: ١١٧.

يتصورها الانسان المادي، فهو الكائن، الازلي، السرمدي، الأبدي، الواجب الوجود، القادر على كل شيءٍ، عزّ من خالق.

(٣/ط - ١) كيفية الخلق:

أَنْشأ الخَلْقَ إنْشاءً، وابْتَدَأهُ ابْتِداءً[١]، بِلا رَوِيَّةٍ[٢] أجَالَها[٣]، وَلا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا[٤]، ولا حَرَكَةٍ أحْدَثَهَا، ولا هَمامَةِ[٥] نَفْسٍ اضْطَرَبَ[٦] فيها، أحالَ[٧] الأشياء[٨] لأوْقاتِها[٩]، ولائَمَ[١٠] بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا[١١]، وَغرَّزَها[١٢] غَرائِزَها[١٣]، وألزَمَها[١٤] أشْباحَها[١٥]، عالماً بها قَبْلَ ابتدائِها[١٦]، مُحيطاً بِحُدُودِها وانتهائها[١٧]، عارفاً بِقَرَائِنِها[١٨]

---

(١) في هـ. د: وابتدأ ابتداء ـ ن.
(٢) في هـ. أ: الرويّة: الفكرة، وأجالها ردّدها، ومن رواه: «أحالها» أراد: صرفها.
(٣) في هـ. أ: أي بلا فكرة أدارها، وفيه أيضاً: الإجالة: الإدارة... أخذ الفائدة.
(٤) في هـ. أ: أي استفاد منها.
(٥) في هـ. د: ولاهمة ـ م، ويروىٰ: هما هم ـ ك. وفي هـ. أ: همامة النفس هنا: قواها، كالحسّ المشترك والخيال،... ويروىٰ «هماهمة» من الهمهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر، ويروىٰ: ولا همّة نفس.
(٦) في هـ. أ: أي تحرّك.
(٧) في هـ. ص : في نسخة : أحلّ، هذا ولكن ظاهر ألف : أجال، وفي هـ. د: أجال ـ ر.
(٨) في هـ. د: وروي: أجّل الاشياء ـ ك.
(٩) في هـ. ص: قوله عليه السلام: «أحال الأشياء»، من رواها: «أحلّ» فمعناها: جعل محلّ كلّ شيء وقته، كمحلّ الدين. ومن رواها: «أحال» فهو من قولك: حال في متن فرسه، أي: وثب، وأحاله غيره، أي: أوثبه علىٰ متن الفرس ـ عدّاه بالهمزة ـ فكأنّه لمّا قرّر الأشياء في أحيانها وأوقاتها صار كمن أحال غيره علىٰ متن فرسه.
(١٠) في «أ»، «ب»، «د»: لأم، وفي هـ. أ: أي وجمع.
(١١) في هـ ص : قوله «ولائم بين مختلفاتها» أي جعل المختلفات ملتئمة، كما قرن النفس الروحانيّة بالجسد الترابي ـ جلّت عظمته ـ.
(١٢) كذا في «ص»، وفي «أ»: الكلمة غير واضحة، وفي ب ود وط: وغرّز، وفي هامش الأصل: عن نسخة: وأغرز، وفي هـ. أ: أي ركّب.
(١٣) في هـ. أ: أي طباعها، وفي هـ. ص ما يلي: وقوله: «وغرّزها غرائزها» المروي ـ بالتشديد ـ، والغريزة: الطبيعة، و«غرّزها» أي جعلها غرائز، كما قيل: سبحان مَن ضوّأ الأضواء، ويجوز أن يكون من غرزت الأبرة: أي غرست، وقد رأيناه في بعض النسخ بالتخفيف.
(١٤) في «ب»: وألزم.
(١٥) في «أ» و هـ. ص: في نسخة: وأسناخها. وفي هـ د: وروي أسناخها ـ ك. وفي هـ. أ: أي أصلها. وفي هـ ص ـ أيضاً ـ ما يلي: وقوله: أو «ألزمها ـ أي الغرائز ـ أشباحها» أي أشخاصها، جمع شبح، وهذا حقّ؛ لأنّ كلّاً مطبوع علىٰ غريزة فهي لازمة له، فالشجاع لا يكون جباناً،

وأحْنَائِها(١٩).

وفي هذا المقطع بيان لكيفية الخلق، وهو الانشاء من العدم بالوصف الذي يحيط بذات واجب الوجود ويعجز عنه أي وصف مادي، لخصّه بقوله: (أنشأ الخلق انشاءً) والانشاء هو الايجاد من العدم (وابتدأهُ ابتداءً) وصيغة الافتعال من نحت الفعل من الاسم كقولهم: اختبز اختبازاً، اي اتخذ الخبز، فالله سبحانه إتخذ الابتداء بارادته النافذة الخاصة بالذات الواجب الوجود، فلا يمكن ان يقاس بالماديات، وقد عدّ منها:

١ـ (بلا رويّة أجالها) والرويّة: التفكر، والاجالة: التردد فيه؛ فان ذلك شأن الانسان المادي.

٢ـ(ولا تجربة استفادها) فان الموجود المادي يستفيد من التجارب؛ لجهله بالاسباب والمسببات، دون العالم؛ لعلمه بها.

٣ـ(ولا حركة أحدثها) حيث يفتقر في الماديات الىٰ حدوث ما يسبب المراد.

٤ـ (ولا همامة نفس اضطرب فيها) والهمامة: الاهتمام، والاضطراب: التحرك، والمعنى: قصد النفس بالاهتمام بالايجاد.

٥ـ(أحال الأشياء لأوقاتها) حيث قدّر سبحانه لكل شيءٍ أمدا.

٦ـ(ولأم بين مختلفاتها) حيث جعل الأشياء المختلفة متلائمة في الوجود؛ فان كل واحد من المخلوقات يؤدي دوره في الحياة بالتفاعل مع الاشياء الاخرىٰ.

٧ـ(وغرّز غرائزها) والغريزة: الطبيعة؛ فان لكل مخلوق من مخلوقات الله سبحانه

والبخيل لا يكون جواداً، وكذا كلّ الغرائز لازمة لا تنتقل.

(١٦) في هـ. ص: وقوله: «عالماً بها قبل ابتدائها» إشارة إلىٰ أنّه أحال الأشياء فيما لم يزل.

(١٧) في هـ. أ: أي عالماً، وفي هـ. ص: وقوله: «محيطاً بحدودها وانتهائها، أي بأطرافها ونهاياتها.

(١٨) في هـ. أ: أي أمثالها.

(١٩) في هـ. ص: في نسخة: أنحائها، وفي هـ. د: وروي: اختانها ـ ك. وروي: أخيائها ـ د وفي هـ. أ: أي جوانبها التي بها تنتهي، وفي هـ. ص ما يلي: قوله: «عارفاً بقرائنها وأحنائها»، والقرائن جمع قرونة، والأحناء: الجوانب، جمع «حِنْو» يقول: الله سبحانه عارف بنفوس هذه الغرائز التي ألزمها أشباهها، عارف بجهاتها وسائر أحوالها المتعلّقة بها، والصادرة عنها. انتهىٰ من شرح ابن أبي الحديد أكثرها. قلت: واحناء الأُمور: متشابهاتها.

طبيعة خاصة به.

٨ـ (وألزمها أشباحها) والشبح: الشيئ العالي الذي لا يوصل اليه عادة، ومنه الروح؛ لعدم وصول الفكر الانساني الى حقيقته.

٩ـ (عالماً بها قبل ابتدائها) فلم يكن خلقها اعتباطاً، بل عن علم مسبق.

١٠ـ (محيطا بحدودها وانتهائها) فالمخلوقات كلها تحت علمه المحيط بالمخلوقات كلها من حيث الابتداء في الخلق والحدود المفروضة لها في الابتداء والانتهاء، ودورها في الحياة.

١١ـ (عارفا بقرائنها واحنائها) والقرائن: ما يقارنها في الحياة؛ فان لكل شيء في الحياة روح تقارنه، والأحناء: الجانب، كناية عن الجسم الذي يتواجد فيه الروح ويقارنها في الحياة، وبفقدها تنعدم المادة، وهذه الصفات على النقيض من الصفات المادية.

(٤/ط - ١) الاجواء والأرجاء والهواء:

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ[١] الأَجْوَاءِ[٢] وَشَقَّ الأَرْجَاءِ وَسَكائِكَ[٣] الهَوَاءِ[٤]، فَأَجَازَ[٥] فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً[٦] تَيَّارُهُ، مُتَراكِماً[٧] زَخَّارُهُ. حَمَلهُ علىٰ مَتْنِ[٨] الريحِ العاصِفَةِ[٩]،

(١) في هـ. أ: الفتق: فرجة بين جزئي المفتوق، وهي فضاء وخلأ، وإذا كان الفتق مخلوقاً كان موجوداً؛ لأنّ المعدوم ليس بمخلوق، وإنّما خلق الفضاء أوّلاً؛ لأنّه أقرب شيء إلىٰ العدم... وبعده في [اللطف] الماء.

(٢) في هـ. أ: الجو: الهواء المتباعد من الأرض في الأرجاء جمع الرجىٰ ـ مقصور الألف ـ وأمّا إضافة الفتق إلىٰ الأجواء فهو من باب إضافة العام إلىٰ الخاصّ كما في يوم أحد، وأمّا إضافة سماء رجاء فكإضافة غلام زيد، وإنما هي الفرجة التي في جميع نواحي سماء...، والسماء وهو الهواء الذي بينهم.

(٣) في هـ. أ: جمع سكاكة، كذؤابة وذوائب، وهي أعلىٰ [الفضاء]، وهو الذي يلاقي عنان السماء.

(٤) في هـ. أ: أي المكان الخالي.

(٥) كذا في «ص» و «أ»، وفي هـ. أ: أي فأجرىٰ، ومن روىٰ: «أجاز فيها» أي أدار. وفي هـ. د: فأجار ـ ر.هذا، وفي النسخ المطبوعة: فأجرىٰ.

(٦) في هـ. أ: أي متراداً أمواجه، والتلاطم: التضارب باللطمة، والتيّار: موج البحر، وزخر البحر فهو زاخر من الماء: إذا جاش وامتلأ.

(٧) في هـ. أ: أي متراكباً.

(٨) في هـ. أ: المتن لكلّ شيء: ما صلب واشتدّ [منه].

والزَّعْزَعِ[١٠] **القَاصِفَةَ**[١١]**،فأمَرَهابِرَدِّهِ،وَسَلَّطَهَاعلىٰشَدِّهِ**[١٢]**،وَقَرَنَهاإلىٰحَدِّهِ**[١٣]**،الهَواءُ مِنْ تَحْتَها فَتيقٌ، وَالماءُ مِنْ فوقها دفيقٌ**[١٤].

وفي هذا المقطع وما يليه من المقاطع سلسلة من المخلوقات التي هي الحجج على وجوده تعالى، ويستدل من المعلول على العلّة الاولىٰ، ومن تعقيب كل مقطع لآخر، ثم يظهر تسلسلها الزمني من المخلوقات: الاجواء والارجاء والهـواء. وتـزامـنها: خـلقها الحقيقي والمتعاقب من دون فصل محسوس، والاجواء: وهي ما بين السماء والارض، والفتق: الشقّ الكامل، فالأجواء لها خصوصياتها الخاصة بها.

والارجاء: الاهتزاز والحركة، وشقّها: تحديد المسيرة التي تحدد حركتها.

والهواء: القسم الاسفل من الجو الذي يمكن ان يستنشق عادة، وله مسالك خـاصة طبيعية تستخدم في ارسال الذبذبات اللاسلكية، وسكائكه: طرقه الطبيعية التي تـجري فيها الهواء.

الامطار:

ثم أشار الى الامطار التي تجري في مسالك الهواء المختلفة بوصف دقيق لها، حسب ما أجرى التقدير الالهي الحاكم في الكون بالاوصاف التالية:

١ـ (فأجرىٰ فيها ماءً متلاطما تيّاره) والتيار: الموج، والتلاطم: الكثرة؛ لكثرة ضرب الامواج بعضها البعض.

٢ـ (متراكما زخاره) والتراكم: علوّ البعض فوق البعض، والزخار: المستمر.

---

(٩) في هـ. أ: شديدة الجريان. وفي هامش آخر: شديدة المهب.
(١٠) في هـ. د: وروي والرعود ـ ر، وفي هـ. ص: الزعزع القاصفة: شديدة الهبوب.
(١١) الزعزع: الريح التي تزعزع الاشياء، اي تحركها بقوة، والقاصفة: التي تحطّم ما تمر عليه.
(١٢) في هـ. ص: اي وثاقه، كأنه سبحانه لما سلّط الريح علىٰ منعه من الهبوط، فكأنه قد شدّه بها.
(١٣) اي قرن الريح إلىٰ حدّ الماء، اي جعل الريح مكاناً للماء، تحمله علىٰ متنها وتقلّه، ومـنح الريح جاذبية تمكّنها من مسك الماء بحيث لا يفلت منها ولا قطرة.
(١٤) الفتيق: المفتوق المنبسط، والدفيق: المدفوق، اي ان الهواء التـي تكـون تـحت السـحاب تجري بانبساط، في حين ان الماء يكون فوقها، ومن شأن الماء، وطبعه ان يكون متحركاً الىٰ الاسفل لثقله، وهذا بيان لقدرة الله سبحانه.

٣ـ (علىٰ متن الريح العاصفة) فالمطر يصل الىٰ أماكن مختلفة من الارض بواسطة الريح العاصفة، أي الشديدة، ولولاها لهبطت الىٰ المناطق المتوازية معها فقط.

٤ـ (الزعزع القاصفة) والريح الزعزع: الشديدة الهبوب، والريح القاصفة: ما تكسر الاشجار لشدتها.

٥ـ (فامرها بردّه) أي فأمر الله تلك السكك برد الريح العاصفة ومنعها من هبوط ماء المطر للنواميس التي أحكم صنعها في التقديرالالهي، ولولا ذلك لكان مقتضىٰ الطبيعة أن يهبط المطر مباشرة؛ لأن الماء اثقل من الهواء.

٦ـ (وسلّطها على شدّه) فقدّر سبحانه فيها الشدّ، أي ثبات الماء في تلك المسالك مشدوداً على حكم طبيعة الماء من الهبوط لثقله، فاصبح ممنوعاً من النزول.

٧ـ (وقرنها الى حدّه) فقد قدّر تلك المسالك حدوداً لماء المطر، فهي مقرونة بالحدود المضروبة لها، كالدار المحدودة بالجوانب الاربعة، ونتيجة هذا التقدير أمران:

الاول: ان هذه المسالك يسير الهواء من تحتها مفتوقة، أي مبسوطة من دون عائق طبيعيّ.

الثاني: ان ماء المطر ينزل من فوقها بدفق، أي الصبّ الشديد.

(٥/ ط - ١) الريح:

ثمَّ أنشأ سُبْحَانَهُ ريحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا[١]، وَأَدَامَ مُرَبَّها[٢]، وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا[٣]، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا[٤]، فَأَمَرَهَا بِتَصْفيقِ[٥] المَاءِ الزَخَّارِ[٦]، وَإِثَارَةِ[٧] مَوْجِ البِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ[٨]

(١) في هـ. أ: المهبّ مصدر، بمعنىٰ الهبوب، وكذا المربّ بمعنىٰ الربّ، أي جمع الله لها... المفعول، وليس جعله مضافاً إلىٰ الفاعل، يعني سياستها للماء وله، أو جمعها له بوجه، لانه عليه السلام قال بعد في وصفه شدة الريح: «أمرها بتصفيق».
وفي هامش آخر منه: وقوله: «اعتقم مهبها» أي انه تعالىٰ عقد مهب الريح حتىٰ تهب بقدرٍ، ولم يطلقها مرّة واحدة فتفسد ما تأتي عليه.
وفي هـ. ص: أي جعل هبوبها عقيماً لا يلقح سحاباً ولا شجراً.
(٢) في هـ. ص: أي ملازمتها له، أرب بالمكان: لازمه. وفي هـ. أ: «مربها» جمعها، من ربّ الشيئ: إذا جمع، و«أدام مربّها» أي جمع الريح علىٰ الماء.
(٣) في هـ. أ: أي أجرىٰ جريها بقوّة وشدّة.
(٤) في هـ. أ: أي أبعد موضع نشوءها، أي حدوثها.

مَخْضَ السقَاءِ[٩]، وَعَصَفَتْ[١٠] بِهِ عَصْفَهَا بالفَضَاء[١١]، تَرُدُّ أَوَّلَهُ[١٢] علىٰ[١٣] آخِرِهِ، وسَاجِيَهُ[١٤] عَلىٰ مائِرِهِ[١٥]، حَتّىٰ عَبَّ[١٦] عُبَابُهُ، وَرَمَىٰ بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ[١٧]، فَرَفَعَهُ[١٨] في هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ[١٩]، وجَوٍّ مُنْفَهِقٍ[٢٠].

والريح: النسيم في الهواء، وباعتبار مبعثها من الشمال تسمّى شمالية، ومن الجنوب تسمّىٰ قبلية، ومن الشرق: الصبا، ومن الغرب: الدبور، وقد سرد في هذا المقطع من أوصافها ما يلي:

١ـ (ريحا اعتقم مهبّها) بان كون هبوبها عقيما لا يترتب عليه أيّ أثر، كالمطر.

٢ـ (أدام مربّها) باستدامة ملازمتها في الهبوب.

٣ـ (أعصف مجراها) بشدة الجري.

٤ـ (وأبعد منشأها) ببعد موضع النشوء في المسافة المكانية.

دور الريح:

وسرد من دور الريح في الكون:

---

(٥) التصفيق: التحريك والتغليب، وفي هـ. أ: التصفيق، الضرب المترادّ المصوّت.
(٦) في هـ. أ: الزخّار، مبالغة الزاخر، وهو الممتليء.
(٧) في هـ. أ: دفعه، أثار الموج، أي دفعه.
(٨) في هـ. أ: أي حرّكته.
(٩) في هـ. أ: السقاء يعمل من الجلود للّبن [والماء]، ويمخض السقاء لإخراج الزبد.
(١٠) في هـ. أ: أي مرّت سريعة.
(١١) في هـ. أ: أي الصحراء.
(١٢) في هـ. أ: أي ما وصلت إليه الريح، وكونه أوّل الماء...، وقوله: «ساجيه» من سجا الليل والماء: إذا [سكن] و«مائره» من مار، أي تحرّك وجاء وذهب.
(١٣) في «ط»: «تردّ اوّله إلىٰ آخره، وساجيه إلىٰ مائره» وفي هـ. د: نفس هذه العبارة، عن ض. ب.
(١٤) في هـ. أ: أي ساكنه. وفي هـ. ص: ساجيه: ساكنه.
(١٥) في هـ. أ: أي متحرّكه. وفي هـ. ص: مائره: متحرّكه.
(١٦) في هـ. ص: أي علا ما بعده. وفي هـ. أ: أي ارتفع معظم الماء.
(١٧) في هـ. أ: أي المتراكم.
(١٨) في هـ. أ: أي الماء الزبد.
(١٩) في هـ. أ: أي منفتح.
(٢٠) في هـ. ص: منهفق، أي مفتوح واسع. وفي هـ. أ: أي واسع.

١ـ (تصفيق الماء الزخار) والتصفيق: التحريك للشيء من مكان إلى آخر.

٢ـ (اثارة موج البحار) ولولا الريح لكانت البحار ساكنة، فكانت الريح سبباً في إيجاد الامواج.

٣ـ (فمخضة مخض السقاء) والمخض: الحركة بشدة، والسقاء: الجلد الذي يحمل فيه الماء للسقي، وعلى أثر المخض ينفصل الزبد من الحليب، وأثر الريح في الماء كذلك.

٤ـ (عصفت به عصفها بالفضاء) فان بسبب الريح يكون تحريك الماء بشدة في الفضاء المحيط به.

٥ـ (تردّ أوّله إلى آخره) والريح تؤثر في اول الماء وآخره، ومن أين ما فرضت الاولية والآخرية فان الريح له التأثير فى كل اجزاء الماء المحسوسة.

٦ـ (وساجيه الى مائره) الساجي: الساكن، والمائر: الذي يتكرر منه الذهاب والاياب.

٧ـ (حتىٰ عبّ عبابه) العب: الكثرة والارتفاع، فان الريح يجعل الماء مرتفعاً بكثرة، فيكثر الماء ارتفاعاً.

٨ـ (ورمى بالزبد ركامه) وزبد البحر: ما يقذفه من مادة صلبة، وكنّا نستعملها في الصغر في مسح الكتابة، والركام: المتراكم كالتل؛ فان الزبد لا يمكن تراكمه على سطح البحر إلاّ بسبب الريح، فيرمىٰ الركام بالزبد إلى السطح.

٩ـ (فرفعه في هواء منفتق) وبرفعه الماء الى الهواء ذي الطبقات المشقوقة، في هواء منفتق، أي واسع بسبب الرياح.

١٠ـ (وجّو منفهق) أي واسع أوسع بكثير بالنسبة الى موضع الركام في البحر.

(٦/ط ـ ١) السماوات:

فَسَوَّىٰ[١] **مِنْهُ سَبْعَ سَمٰواتٍ، جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَـوْجاً مَكْـفُوفاً**[٢] **وعُـلْياهُنَّ سَـقْفاً**[٣]

---

(١) في ه. أ: أي جعلها مستوية لا اعوجاج فيها.

(٢) في ه. أ: قال ابن أبي الحديد: يعني أن السماء الدنـيا مـوج مكـفوف، بـخلاف السـماوات الفوقانيّة، قيل: أراد أن [السماء كان] في الأوّل موجاً ثمّ عقدها وكفّها، استعمل الموج للسماء لما بينها من المشابهة في [العلوّ]. وفي ه. أ: [مكفوفاً] أي ممنوعاً من الحركة الطبيعيّة إلىٰ

مَحْفُوظاً(٤)**، وسَمْكاً مرْفُوعاً**(٥)**، بغيرِ عَمَدٍ**(٦) **يَدْعَمُها، ولا دِسارٍ**(٧) **يَنْتَظِمُها**(٨).

وفي هذا المقطع اشارة الى السماوات، والسماء ـ لغة ـ العلو، وأشار الى تعدده بعدد السبع إمّا حقيقة أو كناية عن كثرته، وقد أرجع الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ ﻫ) الضمير الى الريح، مع أن الهواء أقرب لفظا ومعنى، والظاهر ـ والله العالم ـ: أن ما يميّز هذه المخلوقات اُمور، هي:

١ـ تسوية السماوات من الهواء.

٢ـ ان عدد السماوات سبع كما نطق به القران الكريم بقوله تعالى: ﴿ثم استوى الى السماء فسوّاهنّ سبع سموات وهو بكل شيءٍ عليم﴾(٩)

٣ـ ان السماء السفلى موج مكفوف، والموج: الاضطراب، والكف: المنع من السيلان، فالهواء في هذا الفضاء بحكم طبيعته موّاج غير مستقر، ولكنه بتقدير الخالق ممنوع من الحركة إلاّ بإرادة الحكيم.

وأمّا السماء العليا فهي تتصف بصفات، هي:

اولا: السقف المحفوظ، فان موقعه ـ لكونه أبعد السماوات ـ يجعله كالسقف المحيط

السفل.

(٣) في ﻫ. أ: استعار لفظ السقف من البيت للسماء، في الأصل؛ لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والإحاطة، ثمّ كثر ذلك الاستعمال حتّىٰ صار إسماً من أسماء السماء.

(٤) في ﻫ. أ: أي من الشياطين، قال ابن عباس: كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات، فلمّا ولد عيسىٰ عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات، فلمّا ولد محمّد صلى الله عليه وآله منعوا من السماوات كلّها، واقتبس عليه السلام [ذلك] من قوله تعالىٰ: ﴿وحفظناها من كلّ شيطانٍ رجيم﴾ الحجر: ١٥ / ١٧.

(٥) سمك البيت: سقفه، وفي ﻫ. أ: مرفوعاً، أي عالياً مرتفعاً، بمعنىٰ المفعول: أي مسموكاً.

(٦) جمع عمود، ويدعمها: يسندها ويكون لها دعامة.

(٧) في ﻫ. ص: الدسار: هو المسمار، وفي ﻫ. أ: الدسار: كلّ شيء أدخلته في شيء شدّة، كمسمار.

(٨) في ﻫ. د: ولادثار ينظمها ـ ض، وفي ﻫ. أ: المعنىٰ إنّ هذه من الاجرام العظيمة في الجوّ العالي، ويحتمل أن يكون وقوفها هناك لذواتها؛ لأنّ الأجسام متساوية في الجسميّة، فلو وجب حصوله في حيّز لكونه جسماً، لزم أن يكون جميع الأجسام في حيّزٍ واحد، أو لكونه جسماً معيناً لكان جميع أفراد نوع منها حاصلاً في حيّز واحد، وهو محالٌ. فلم يبق إلّا أن يكون وقوفها بقدرة الله تعالىٰ القدير العليم الحكيم.

(٩) البقرة: ٢٩.

بما دونه من السماوات، وأنه محفوظ بإرادة الله سبحانه.

ثانيا: السمك المرفوع، والسمك: أعلى البيت، وقد جعله الله مرتفعاً علىٰ غيره.

ثالثا: (بغير عمدٍ يدعمها) مع ان السقف عادة يفتقر الىٰ عماد، وكلما زاد الارتفاع كانت الحاجة الى العماد اكثر، والسماوات بالرغم من ارتفاعها لا تفتقر إلىٰ عماد.

رابعاً: (بغير دسار ينظمها)، والدسار: المسمار، فانّ الحفظ للسقف المرتفع يفتقر عادة الى موجب للثبات من المسامير العاضدة لذلك، وقد خلق سبحانه السماوات من دون افتقار إلى هذه اللوازم العادية بقدرته النافذة.

(٧/ط-١) الكواكب:

ثمَّ زَيَّنَها[١] بِزينَةِ الكَواكِبِ، وضِياءِ الثَّواقِبِ[٢]، وأجْرَىٰ فِيها سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وقَمَراً مُنيراً، في فَلَكٍ[٣] دائِرٍ، وسَقْفٍ سَائِرٍ[٤]، ورَقِيمٍ[٥] مَائِرٍ[٦].

ثم أشار إلى ما في هذه السماوات من المخلوقات والكواكب السيارات، وذكر أوصافها، وفيها:

١ـ زينة الكواكب بالنسبة إلى الانسان الذي ينظر اليها، فهي زينة للسماوات وان كانت

(١) في ه. أ: اعلم أنّه عليه السلام شبّه هذا العالم بأسره بشيءٍ واحد، فالسماء كقبّة خضراء نصبه علىٰ الماء، وجعلت سقفاً محفوظاً محجوباً عن أن يصل إليه مَرَدَة الشياطين، كما تحمىٰ غرف البيت بالسهام والحراب عن مردة اللصوص. ثمّ هو مع عامّة علوّه وارتفاعه غير محمول بعمد يدعمه، ولا منظوم بدسار يشدّه، بل بقدرة صانعه ومبدعه.

ثمّ إنّ تلك القبّة مزيّنة بالكواكب وضيائها، الذي هو أحسن الزينة وأكملها، فلو لم تحصل صور الكواكب في الفلك لبقىٰ سطحاً مظلماً، وأنت إذا تأمّلت وجدت الكواكب في سطح من زمرّد.

وكأنّ أجرام النجوم لوامعاً ... دررٌ نثرن علىٰ بساطٍ أزرق

(٢) في ه. أ: الثواقب استعارة عن الأجسام التي تثقب [الشيطان] وتنفذ فيه؛ ولأجلها سمي الشهاب ثاقب [لانه يثقب] بنوره الهواء ، لكنّه لكثرة الاستعمال فيه [صحّ] اطلاقه عليه حقيقة.

(٣) في ه. أ: الفلك مأخوذ من فلكة الغزل في الاستدارة.

(٤) في ه. أ: أي متحرّك، يجيء ويذهب.

(٥) اي اللوح المتحرك، كنّي به عن الفلك، سمي بالرقيم لرقمه بالكواكب كالثوب المنقوش. ه. أ: الرقيم اسم للفلك، واشتقاقه من الرقم، والرقيم: الكتاب .

(٦) في ه. د: وسقف مائر، ورقيم سائر ـع، وفي ه. ص: أي لوح متحرّك سمّي الفلك رقيماً؛ تشبيهاً باللوح.

في حقيقتها كرات لها كيانها وأدوارها الخاصة بها.

٢ـ ومن هذه الكواكب ما هي ثواقب، أي منيرة، وبالاضافة الى انها زينة للسماء فهي منيرة يهتدي بضيائها الانسان ليلاً، كما يهتدي بضياء الكواكب في البر والبحر من له معرفة بأدوارها.

٣ـ ومن هذه الكواكب السيارة: الشمس، التي جعلها الله تجري في السموات (سراجاً مستطيراً) اي ضياءً مشرقاً مؤثراً على المخلوقات من حيوان ونبات وجماد كشعلة السراج الوهّاج.

٤ـ ومن هذه الكواكب: القمر المنير، الذي خلقه القدير بتقديره القويم لينير عند غيبوبة السراج، وقد أشار الى بعض خصائص ما أجراه سبحانه للكواكب عامة، ومنها الشمس والقمر، وهي:

اولاً: جريانهما في (فلك دائر) فلكل واحدٍ منهما مسير فلكي بدرجات الدائرة الكونية، كما هو مشروح في علم الهيئة والفلك.

ثانياً: ان لكل منهما (سقف سائر) فان مسيرة كل منهما لا يتجاوز الحد المحدود الذي هو سقف للمسير لا يتجاوزه.

ثالثاً: وان كلاً منهما (رقيم مائر) أي لوح متحرك، فالكواكب بأسرها ـ بما فيها الشمس والقمر، وخصهما لوضوح آثارهما في حياة الانسان والحيوان والنبات والجماد ـ تسير في مسيرة دائرية محدودة علواً وانحطاطا، حركة دائبة مما يكشف عن حكمة الخالق العليم.

(٨ / ط ـ ١) الملائكة:

ثمَّ فَتَقَ[١] ما بَيْنَ السَّمَاواتِ العلىٰ[٢]، فَمَلأَهُنَّ أطْوَاراً[٣] مِنْ مَلائِكَتِهِ، مِنْهُمْ: سُجُودٌ

---

(١) في هـ. أ: هذا الفصل أيضاً من تمام التفسير لقوله: «فسوّىٰ منه سبع سموات» إذ كان ما أشار إليه ها هنا من بين السموات إلىٰ طبقاتها، وإسكان كلّ طبقةٍ منها ملأً معيناً من ملائكته، هو من تمام التسوية والتعديل لعالم السماوات.

(٢) في هـ. ص ـ بعد كلمتين لا يمكن قرائتهما ما يلي ـ: إلىٰ السموات وترك الأرضون.

لا يَرْكَعُونَ، ورُكُوعٌ لا يَنْتَصِبُونَ، وصَافُّونَ لا يَتَزَايَلُونَ[٤]، ومُسبِّحُونَ لا يَسْأَمُونَ[٥]، لا يَغشاهُمْ نَوْمُ العُيون[٦]، ولا سَهْوُ العُقُولِ، ولا فَتْرَةُ الأبْدانِ[٧]، ولا غَفْلَةُ النِّسْيانِ.

ومِنْهُمْ[٨]: أُمَناءُ عَلىٰ وَحْيِهِ[٩]، وَألْسِنَةٌ إلىٰ رُسُلِهِ[١٠]، ومُخْتلِفُونَ[١١] بِقَضَائِهِ[١٢] وَأَمْرِهِ.

ومِنْهُمْ: الحَفَظَةُ لِعبَادِهِ[١٣]، وَالسَّدَنَةُ[١٤] لأبْوَابِ جِنَانِهِ[١٥].

وَمِنْهُمْ: الثَّابِتَةُ في الأرَضينِ السُّفْلَىٰ أَقْدَامُهُمْ[١٦]، والمَارِقَةُ[١٧] مِنَ السَّماءِ العُلْيَا أعْناقُهُمْ، والخَارِجَةُ مِنَ الأَقْطَارِ أرْكانُهُمْ، وَالمُناسبَةُ[١٨] لِقَوَائِمِ العَرْشِ أكْتافُهُمْ[١٩]، نَاكِسَةٌ دُونَهُ[٢٠] أبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعونَ[٢١] تَحْتَهُ بأجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ[٢٢] حُجُبُ العِزَّةِ.

وأسْتارُ القُدْرَةِ، لا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بالتَّصْويرِ، ولا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ

---

(٣) في هـ. ص ما يلي: قال في الصحاح: الناس أطوار أي أجناس علىٰ أحوال شتّىٰ. وفي هـ. أ: أصناف في ألوانهم ولغاتهم ومراتبهم. وفي هـ أ: الحالات المختلفة والألوان المتباينة.

(٤) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿والصافّات صفّاً﴾ [الصافات: ١].

(٥) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿يسبّحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ [فصلت: ٤١ / ٤٩].

(٦) في هـ. د: نوم العين ـ ب.

(٧) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿يسبّحون الليل والنهار لا يفترون﴾. [الانبياء: ٢١ / ٢٠].

(٨) في هـ. د: فمنهم ـ م.

(٩) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿نزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء: ٢٦ / ١٩٣].

(١٠) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿الله يصطفي من الملائكةِ رسلاً﴾. [الحج: ٧٥].

(١١) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿تنزّل الملائكةُ والروحُ فيها بإذنِ ربّهم﴾. [القدر: ٤].

(١٢) في أ: لقضائه.

(١٣) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ [الأنعام: ٦١].

(١٤) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿وقال لهم خزنتها﴾ [الزمر: ٧١]. والسدنة: الخدم.

(١٥) في هـ. د: جنابه ـ م.

(١٦) في هـ. د: في الأرض أقدامهم ـ م.

(١٧) في هـ. أ: أي الخارجة.

(١٨) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية﴾ [الحاقة: ٧].

(١٩) في هـ. أ: جمع الكتف.

(٢٠) في هـ. أ: أي دون قوائم العرش.

(٢١) في هـ. ص وفي هـ. أ: أي ملتحفون.

(٢٢) في هـ. ص: قال في الشرح: أي الملائكة الذين دون هؤلاء في الرتبة.

المَصْنوعينَ[(١)]، ولا يَحُدُّونَهُ بالأمَاكِنِ[(٢)]، ولا يُشيرُونَ إلَيْهِ بالنَّظائِرِ[(٣)].

والملائكة هم سكان السماوات العلىٰ، وهم على أنواع، ولكل نوع جماعات، كلٌّ يقوم بدوره المسؤول حسب ماله من الامكانيات في الحياة، وقد تضمّن هذا المقطع الاشارة الى أربعة اصناف منهم، والصفات التي تميّز هذه الاصناف بعضها من بعض بحسب الدور المسؤول الذي يقوم به كل صنف في ترتيب تصاعدي.

الصنف الاول ـ ملائكة العبادة:

وهذا الصنف انزل المراتب حيث أن دورها المسؤول لا يتعدى أنفسها، وهذا الصنف جماعات:

١ـ السجود دائماً، فلا يركعون حيث أن دورهم السجود فقط.

٢ـ الركوع دائماً، فلا ينتصبون من حالة الركوع قط.

٣ـ الصافون، اي القائمون في صفوف متتالية متصلة بعضها ببعض، فهم (لا يتزايلون) اي لا يفارقون الصف المأمورين بالقيام فيه.

٤ـ المسبّحون لله سبحانه بتنزيهه عما لا يليق، ولمعرفتهم بعظمة هذا الدور الواجب، فهم (لا يسأمون) منه قط؛ لعلمهم بأن التسبيح مهما بلغ يكون دون عظمة الله سبحانه.

٥ ـ وهم في اليقظة الكاملة لدور العبادة، وهذه اليقظة الكاملة بمقتضى خلقتهم تنافي اموراً أربعة، هي من لوازم الجسم البشري، وهي:

اولاً: عشوة نوم العيون، حيث ان الارواح المجرّدة من الجسم المادي لا يعتريها النوم.

ثانياً: سهو العقول، فان السهو من عوارض العقل في الجسم المادي، فيتأثّر بآثار المادة، ومنها: السهو.

ثالثاً: فترة الأبدان، فان الفترة انما تحصل على اثر التعب العارض للجسم المادي، والملائكة ليست ذي اجسام مادية.

---

(١) في ص: المخلوقين.

(٢) في هـ. د: بالمواطن ـ م.

(٣) في هـ. د: وروي بالنواظر ـ ك: وفي هـ. أ: أي لا يقصدون له مثلاً يشيرون إليه.

رابعاً: غفلة النسيان، فان الغفلة والنسيان من عوارض الفكر الانساني في الجسم المادي، فيتأثر الفكر بهما بواسطته، والفرق بينهما هو الفترة الزمنية، فان الغفلة قصيرة من حيث الفترة الزمنية دون النسيان.

وهذه الصفات المادية كلّها منتفية في الملائكة؛ لانهم أرواح مجردة عن المادة والماديات، فكما أنها لا تفتقر إلى الاكل والشرب، فانه لا يعتريها شيء منها.

الصنف الثاني ـ ملائكة السفارة:

وهذا الصنف يتحدد مسؤولياتهم بالسفارة والوساطة للوحي لاغير، من الله سبحانه الىٰ الأنبياء والرسل، وأشار الى صفات ثلاثة للسفارة، هي:

١ـ الامانة على الوحي بأدائه الى الجهة المسؤولة حسب الواجب المحدد، فان أمانة النبي ليست سوى النبوّة من دون الزام بتبليغها، وأمانة الرسول قبول النبوّة ثم ابلاغها رسالة سواء الىٰ شخص أو قوم أو اُمّة أو الناس أجمعين، كما هو مشروح في احوال الانبياء والمرسلين الذين بلغ عددهم ١٢٤/٠٠٠ كما في بعض الروايات، ولا تتضمن المصادر اسماءهم، بل لا يتجاوز ما يعرف منهم المائة.

٢ـ تبليغ الرسالة الالهية باللسان، أي اللغة المستخدمة للرسل، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم﴾[(١)] فالرسل باعتبارهم من القوم، يبلغون الرسالة باللغة التي يستخدمونها، والملائكة الذين هم الأمناء يؤدون الوحي باللسان المفهوم لهؤلاء الرسل أداء كاملاً.

والمشهور من أولى العزم من الرسل ـ وهم من كانت رسالته عالمية غير محصورة بقوم خاص أو مكان خاص ـ خمسة، وهم: نوح، ولغته غير معروفة، وابو الأنبياء ابراهيم ولغته الآرية، وموسىٰ ولغته العبرية، وعيسىٰ ولغته الارامية، ونبينا محمّد ٩ ولغته العربية، وأما غيرهم ممّن لا يَعلم تفصيل رسالتهم سوى الله سبحانه فان لغاتهم غير مذكورة، وهي على الاغلب غير مدوّنة.

---

(١) ابراهيم: ١٤.

٢ـ تنفيذ قضاء الله سبحانه وأمره، والاختلاف هو الرجوع الى المصدر الوثيق لتلقي الأوامر، ويستلزمه تنفيذها على الوجه المأمور به، فيكون دور ملائكة: السفارة وتطبيق ما أمر الله به وتنفيذه حرفيّا كما قضاه سبحانه للرسل من دون أي خلل في السفارة.

الصنف الثالث ـ حفظة العباد:

الدور المسؤول الملقى على هذا الصنف من الملائكة هو حفظ نظام العباد في الحياة لمعرفة الصالح، من الصالح ليجزي كل على عمله، والداعي لهذا الحفظ هو خدمة الارادة الالهية التي هي العدل. وقد أشار في وصفهم إلى أمرين:

الاول: الحفظ للعباد، فان نتيجة الحفظ يعود على العباد أنفسهم بتحقيق العدالة.

الثاني: السدانة، أي الخدمة (لأبواب جنانه) أي الامتثال للأوامر الالهية، وهذان الوصفان متلازمان لهذا الصنف الثالث، وليس له قسمان كما ذهب اليه الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) فقوله: «والقسم الثالث ضربان، أحدهما: حفظة العباد كالكرام الكاتبين ـ الى قوله: ـ وثانيهما: سدنة الجنان»[(١)] بل ان دور الكرام الكاتبين هو دور حفظة العباد، الملازم لتنفيذ الاوامر خدمة للارادة الالهية التي هي تطبيق العدل عاجلا أم آجلا، والله العالم.

الصنف الرابع ـ حملة العرش:

وهذا الصنف هو أعلى الاصناف رتبة؛ فانهم هم سدنة العرش حقيقة، وليس لهم عدد خاص، والمشهور أن رؤساؤهم أربعة: جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل (انظر المادة في المعجم) ويعرفون بالكرّوبييّن، اي المقربين؛ لأنهم أقرب الملائكة الى العرش.

وقد تضمّن في هذا المقطع من أوصافهم مايلي:

١ـ (الثابتة في الارضين السفلى أقدامهم) كناية عن نفوذ دورهم حتىٰ في الارضين السفلى.

٢ـ (المارقة في السماء العليا اعناقهم)، والمروق: الخروج، كناية عن امتداد أدوار

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٩٢

مسؤولياتهم إلى أعلى السماوات.

٣ـ (الخارجة عن الاقطار أركانهم) ولعل المراد من الاركان: الجوارح، اي ان حقيقة وجودهم بالقياس إلى الاركان المادية لا تحدد بقطر من الاقطار وجهة من الجهات، بل هم في اجسامهم الروحية خارجون عن هذه الحدود المادية.

٤ـ(المناسبة لقوائم العرش اكتافهم) فحيث ان عرش الرحمن كناية عن مستقر قدرته الحاكمة في الكون، فيكون المنفّذون لهذه الارادة والقدرة مناسبة لتحمل قوائم هذه المسؤولية.

٥ـ (ناكسة دون العرش أبصارهم) فهم ينفّذون الاوامر من دون التطلّع إلى أسبابها ونتائجها؛ لعلمهم بحكمة الآمر تعالى.

٦ـ (متلفعون تحت العرش بأجنحتهم) أي ملتحفون بما وهبهم الله من الاجنحة، وهي أسباب القدرة في تنفيذ تلك الاوامر.

٧ـ (مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة) والمراد من الدون ما يتعدى حدودهم؛ فان الحدود المعروفة لهذا الصنف هو العرش دون سواه، ولا يكون بعد هذا الحد سوى (حجب العزّة) الالهية وإسناد القدرة الالهية التي لا يعرفها سوى الله سبحانه؛ فان معرفة هذا الصنف، من الملائكة ـ بالرغم من قربهم الى الله سبحانه ـ معرفة محدودة بالذات المقدسة، محجوبة بالعزة، ومستورة بالقدرة عن الخلق أجمعين بما فيهم هذا الصنف من الملائكة المقربين، ونتيجة معرفتهم بالذات المقدسة نفي الصفات المادية، وقد خصّ منها أربعة:

الاول: لا يتوهّمون ربهم بالتصوير.

الثاني: لا يجرون عليه صفات المصنوعين.

الثالث: لا يحدّونه بالأماكن.

الرابع: لا يشيرون اليه بالنظائر.

فان كلا منهما يلازم التحديد، والتحديد يستلزم المعرفة الكاملة وهي غير ممكنة

لاستلزامها التجسّم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٩ / ط - ١) منها: في صِفَةِ خَلْقِ آدَمَ عليه السلام:

يتضمّن هذا المقطع أدوار آدم مادة وصورة وروحاً، ثم الانسان المفكر المسؤول وسجود الملائكة له، وإباء ابليس، ومسكن آدم في الجنة، وعصيانه، وتوبته حتىٰ مصيره على الارض، وهذه الأدوار لم تحدد بفترة زمنية خاصة، ولذلك لا ينافي استغراقها ملايين السنين لتخطّي مراحل التطّور من العصر الحجري إلى عصر الحضارة.

الدور الاول ـ مادة الخلق:

ثمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الأرْضِ وسَهْلِهَا(١)، وَعَذْبِهَا وسَبَخِهَا(٢)، تُرْبَةً سَنَّها(٣)بالماءِ حَتَّىٰ خَلَصَتْ(٤)، ولاطَها(٥) بالبَلَّةِ حتَّىٰ لَزُبَتْ(٦).

وبعد خلق الملائكة التي تتكون من الروح فقط يأتي خلق آدم المتكون من المادة والروح معاً، وأشار الى مادة الخلق وهي:

١ـ تربة الارض، وذلك يقتضي كون الارض من الكواكب المخلوقة كسائر الكواكب قبل خلق آدم، حيث اختار الله سبحانه تربة الارض مادة لخلق آدم، وقد جمعت هذه التربة من جميع انواع الارض من الحزن، أي الارض الصلبة كالجبال، والسهل المسلوكة

(١) حزن الأرض: ما غلظ منها وصلب كالحجر، ضد السهل.

(٢) العذب: الخصب، وفي هـ. ص: السبخ: المالح.

(٣) في هـ. أ: في نسخة: ثمّ سنّها. وسنها: اي رققها، وقيل بلّها وخلطها. وفي هـ. أ: السن: صبّ الماء بالرفق، منه قولهم: مسنون الوجه، فيقال: ان اللحم سن علىٰ وجهه اي صبّ. ويقال: سننت الماء علىٰ وجهي: ارسلته. وقوله: «سنها بالماء» قال في الشرح: أي ملّسها، قال:

ثمّ خاصرتها إلىٰ القبة الخضـ ـراء تمشي في مرمر مسنون

الشعر لعبد الله بن حسان بن ثابت يصف فيها ابنة معاوية (لسان العرب ١٧ / ٨٨). أي مملس (انتهىٰ من شرح أبن أبي الحديد ١: ٩٧).

(٤) في هـ. أ: في نسخة: خضلت. وفي هـ. د: خضلت ـ ع، وخلصت: اي صارت طينا، وخضلت: أي ابتلّت، وفي هـ. ص: قوله: «حتّىٰ خلصت»، فالأولىٰ إنّ السن هنا بمعنىٰ صب الماء، ولكنه ضمّنه معنىٰ طهّرها وصفاها، كأنّه قال: طهّرها بسن الماء حتىٰ خلصت. (والله اعلم).

(٥) في هـ. أ: في نسخة: وناطها. واللوط: الإلصاق، والبلة: النداوة، لاطها بالرطوبة ومزجها بها، وفي هامش آخر: أي ألصقها. وقيل: ملطها، لاط الحوض بالطين: ملطه بها وطيّنه، اللوط: الإلصاق، وفي هـ. ص: لاطها، أي خلطها وداخل اجزائها.

(٦) في هـ. أ: لزبت، أي لصقت، وقيل: بلّت.

من دون وعورة، والعذب الصالحة للزرع، والسبخة اي المالحة التي لا تصلح للزرع، فهذه الصفات المتنافرة كوّنت موجوداً جديداً خليطاً منها، ومن أجل ذلك فهو يتناسب مع كل نقطة من الأرض.

٢ـ (سنّها بالماء) أي صبها بالماء، ومن المادتين: التربة والماء خلقت مادة جديدة ثالثة هي الطين، وذلك يستلزم سبق الماء ايضاً وكثرتها على التربة؛ اذ لوكان العكس لصب التربة على الماء.

٣ـ (لاطها بالبلّة) اي خلطها بالبلل الحاصل من التقاء المادتين، والاّ لم يكن مجرد اللقاء كافياً ب،ل افتقر الى سبب الخلط بينهما حتى تصبح مادة خليطة عجينة.

٤ـ (حتىٰ لزبت) أي اشتدت المادة الجديدة بالتصاق كل جزء من التربة والماء ببعض، وهذه المواد للخلق الجديد تفتقر الىٰ صورة تميّزها عن غيرها من المواد.

الدور الثاني ـ صورة آدم:

فَجَبَلَ[١] مِنْها صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ[٢]، وأَعْضَاءٍ وفُصُوْلٍ[٣]، أَجْمَدَهَا[٤] حَتَّىٰ اسْتَمْسَكَتْ[٥]، وأَصْلَدَهَا[٦] حَتَّىٰ صَلْصَلَتْ[٧]، لِوَقْتٍ[٨] مَعْدُودٍ، وَأَجَلٍ[٩] مَعْلُومٍ.

وبعد ان تحققت العلة المادية جاء الدور الثاني، وهو الصورة وشرائطها، وقد أشار هذا المقطع إلى اُمور ثلاثة:

---

(١) في هـ. أ: أي خلق.
(٢) في هـ. ص: الأحناء هي الجوانب، وفي هـ. أ: الأحناء أي الجوانب. وقيل الأضلاع والأعضاء المعوجّة، والوصول: العضو، يعني الأعضاء التي تصل بعضها بعضاً. وفي هامشٍ آخر: أي المفاصل الموصلة بعض الأعضاء ببعض، قال الجلالي: وقد يراد بها الاعصاب والعروق.
(٣) في هـ. أ: أي المفاصل.
(٤) في هـ. أ: أي صيّرها جامداً.
(٥) في هـ. أ: أي تمسّك بعضها بالبعض الآخر.
(٦) في هـ. أ: بأن جعلها كالحجر الصلب، أي صلّبها حتىٰ جفّت.
(٧) في هـ. أ: أي صوتت وصارت كالصلصال، والصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل، وهو غير مطبوخ.
(٨) في هـ. ص: اللام للاختصاص ووقت للظرفية، مثل: فعلت ليوم كذا.
(٩) في ص: وأمد.

١ ـ الأبعاد الثلاثة من الطول والعرض والعمق، المستلزمة للجهات الست، هي الأمام والخلف واليمين واليسار والفوق والتحت، وذلك بقوله: (ذات أحناء) وهو جمع حـنو، بمعنى الجانب، وطبيعيّ ان كل جانب من هذه الجوانب مكوّن من: (وصول) أي أجـزاء موصولة بعضها ببعض، وهي الاعضاء والفصول، والفصل هو الجزء الذي يربط الاجزاء بعضها بالبعض. و(الوصول) لها اهميتها في اداء العضو للدور المطلوب، ولكن بافتقادها لا يفقد الجزء، وبهذه الأعضاء والفصول تتكون الصورة المميزة للخلق الجديد.

٢ ـ الشرائط المطلوبة في كمال هذه الصورة الجديدة للمادة، وقد أشار اليها فيما يلي:

اولا: الجماد حتىٰ الاستمساك.

ثانياً: الصلد، أي الصلابة حتى الصلصال، وهو اليبوسة الملازمة للاستحكام.

ثالثاً: الفترة الزمينة المطلوبة لذلك.

٣ ـ قوله: (وأمد معلوم) لعله اشارة الى العلة الغائيّة، أو تاكيد لقوله: (وقت معدود).

وبالجملة: في الدور الثاني تميزت صورة الخلق الجديد، فتمّ مادة وصورة من دون روح.

نفخ الروح:

والخلق الجديد المكوّن من المادة والصورة من دون روح لا يكون خـارقاً، والذي جعله في أحسن تقويم هو نفخ الروح الذي جعله خلقا جديداً لا مثيل له، ويتضمّن هذا المقطع خصائص الانسان الفاردة، وهي:

ثمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ، فَمَثُلَتْ(١) إنْسَاناً(٢) ذَا أذْهَانٍ يُجِيلُها(٣)، وفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بهَا، وَجَوارِحٍ يَخْتَدِمُهَا(٤)، وَأدَواتٍ يُقَلِّبُها، وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِها بَيْنَ الحَقّ وَالبـاطِلِ، والأذْوَاقِ

(١) في هـ. ص: في نسخة: فتمثلت.
(٢) في هـ. ص: أي ظهرت وبرزت. وفي هـ. أ: أي انتصبت.
(٣) الأذهان: جمعُ ذهن، وهو بمعنىٰ الفطنة، ويطلق على القـوة المـدركة ايـضاً، ويـجيلها: اي يحرّكها ويديرها، وفي هـ. أ: أي يحيلها.
(٤) في هـ. أ: أي يتخذها خوادم.

وَالْمشَامِّ، والألْوَانِ وَالأجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِـطِينَةِ[١] الألْـوَانِ[٢] الُـمخْتَلِفَةِ[٣]، وَالأشْـباهِ المُؤتَلِفَةِ[٤]، وَالأضْدَادِ المُتَعادِيَة[٥]؛ وَالأخْلاطِ المُتَبَاينَةِ[٦]؛ مِنَ الحَرِّ وَالبَرْدِ، وَالبَـلَّةِ وَالجُمُودِ.

والمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ.

الخصيصة الاولى: النفخ من روح الله، و (النفخ) كناية عن إفاضة النفس الى الجسم المتجسد من الماء والتراب، وفي إضافة الروح الى الله سبحانه إشارة إلى أن حقيقة الروح لا يعلمها إلاّ الله، كما لا يعلم ذاته المقدسة معرفة حقيقة إلاّ هو، قال تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلا﴾[٧].

الخصيصة الثانية: الانسانية، وذكر من هذه الخصيصة أُموراً، هي:

١ ـ الذهن: وهو الفهم لما يصلح بحاله بالفعل من الجزئيات، وهذه حالة عامّة لكل الحيوانات، وبه تميّز ما يضرّها مما ينفعها، وتتحرّز ممّن يريد الوقيعة بها، والاذهان تجلو بكثرة التجربة والتكرار حتىٰ تصبح طبيعة ثانية للانسان.

٢ ـ الفكر، وهو النظر والرؤية في الكليات، ويختص بالحيوان العاقل وهو الانسان، وبه يستنبط الكليات من الجزئيات، وبه يتميّز عن سائر الحيوانات، ويتصرف الفكر في مصالح الانسان ويسعد بالفكر الصالح ويشقىٰ بالفكر الشرير.

٣ ـ الجوارح، جمع جارحة، وهي اعضاء الإنسان كاليد واللسان؛ فان بها يكتسب ما يريد تحقيقه.

---

(١) في هـ. ص: أي بأصلها، والمراد: جعل له مزاجاً من مركباتها.
(٢) في «أ» : الأكوان.
(٣) في هـ. أ: المراد بالأكوان: الأشياء الموجودة، ولا شك في أنّ الإنسان خلق من أشياء مختلفة.
(٤) في هـ. أ: ويعني بالأشباه المؤتلفة : إنّ الله خلق لكلّ عضو من أعضاء الانسان غذاء يشمل قوىٰ مختلفة.
(٥) في هـ. أ: الاضداد المتعادية هي الامكان.
(٦) في هـ. أ: والاخلاط المتباينة هي الأخلاط الأربعة التي لا يخلو الانسان منها، وطبع كلّ واحد يباين الآخر.
(٧) الاسراء: ٨٥.

٤ ـ الادوات، وهي ما يتخذ آلة للوصول الى المقاصد، والآلة ليست من الاعضاء، بل هي خارجة عن ذاته (يختدمها) الانسان اي يستخدمها في تحقيق مآربه فيقلّب تلك الآلة حسب الحاجة.

٥ ـ المعرفة، وهي العلم بالشئ على حقيقته، المستلزم لوضوح الرؤية، فيكتسب المعرفة الاجمالية وتتحول الىٰ معرفة حقيقية، بل المعرفة هي التي يفرق بها بين الحق والباطل، وبعد التفريق يكون وضوح الرؤية المستلزم للسلوك في أيّ منهما.

٦ ـ ١١ـ الحواس الخمس، والحس: قوّة يدرك بها صور المحسوسات بالحواس الخمس، وهي التي يشترك فيها الانسان مع سائر الحيوانات، وقد جاء منها هنا اربع، هي:

أولا: الذائقة باللسان.

ثانيا: الشامة بالأنف.

ثالثاً: الباصرة بالعين.

رابعاً: اللامسة بأي عضومن أعضاء الجسم. واليها اشار بقوله: (والاجناس) من جنس جنساً اي تصبح كأنه صار من جنس واحد، وتتحقق الوحدة باللامسة، وكأنّ المتلامسين اصبحا من جنس واحد. ولم يذكر عليه السلام هنا: السامعة، وربما لوضوحها.

وبما ان الانسان خلق من ثلاث، هي: المادة والصورة والروح، فانه يتصف الخلق الجديد بصفات هي:

اولا: المعجون، اي المركب من هذه الثلاث، بحيث ان كل جزء من اجزاء الانسان يحتوي عليها كلها، ويصدق عنوان الانسانية عليها.

ثانيا: الألوان المختلفة؛ لاختلاف ألوان المادة ـ وهي التربة ـ من الحزن والسهل والعذب والسبخ.

ثالثا: الاشباه المؤتلفة في تركيب الصورة، بتأليف ما يناسب كل جزء ليحافظ على سلامة الجزء المشابه في أداء الدور المطلوب منه.

رابعا: الاضداد المتعادية، فان كلاّ من المادة والروح ضدّان متقابلان اجتمعا في جسم

الانسان بالرغم من تقابلهما.

خامسا: الاخلاط المتباينة، وهي الأصناف المخلوطة من الطبيعة المؤثرة على الانسان، وقد فسّرها بالحرّ والبرد، حيث أن لكل منهما خاصة من البلّة، أي الرزق والخير بسبب نموّ النباتات والحيوانات ووجودهما على أثر اختلاف الفصول المختلفة من الحر والبرد الشديدين.

سجود الملائكة:

وَاسْتَأْدَىٰ(١) الله سُبْحانَهُ المَلائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ في الإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، والخُنُوعِ(٢) لِتَكْرِمَتِهِ، فَقال سُبْحَانَهُ(٣): ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِيسَ﴾(٤) وقبيلهُ(٥).

وخص الله آدم بخصلة لم يشاركه فيها غيره من المخلوقات، وهي أمر الله تعالى الملائكة بالسجود عند اكتمال خلقه، وقد اشار الى ذلك ببيان امور:

١ـ وديعة الله عند الملائكة، وذلك يستلزم استئمانهم آدم.

٢ـ الاستئداء، اي المطالبة بأداء الوديعة.

٣ـ عهد الوصية، وقد استنبط عهد الوصية من قوله تعالى: ﴿اسجدوا لادم فسجدوا إلاّ إبليس﴾(٦) حيث تتضمن هذه الآية الكريمة اموراً ثلاثة:

---

(١) في هـ. أ: واستأدىٰ أي استرجع، مأخوذ من الاداء، يعني طلب الله تعالىٰ منهم أداء وديعته، وهي ما عهد إليهم.
(٢) في د وط: الخشوع، وفي هـ. د: والخنوع والخضوع لتكرمته ـ م، وفي هـ. ب: كلمة غيرُ واضحة ولعلها: الخضوع، وفي هـ. ص: الخضوع. وفي هـ. أ: أي الخضوع، والخضوع له ...؛ لأنّ الادلّة تفيد أنّهم اُمروا أولاً بالخضوع له في السجود، والثاني:... علىٰ الخضوع له لتكرمته أبداً.
(٣) في «أ»: فقال تعالىٰ.
(٤) البقرة: ٢ / ٣٤.
(٥) كلمة: «وقبيله» ساقطة من د. وفي هـ. أ: القبيل: الجماعة من ثلاثة فصاعداً من قوم شتّىٰ من العرب والروم والزنج، فيجوز أن الله تعالىٰ خلق شياطين مختلفة كانوا قبيل ابليس.
(٦) الاسراء: ٦١.

الاول: الاذعان للحكمة الالهية في الخلق الجديد، المكوّن من المادة والصورة والروح.

الثاني: السجود لهذا الخلق الجديد، امتثالاً لأمر الله تعالى.

الثالثه: الخنوع، اي الخضوع لهذا الخلق الجديد تكرمةً له؛ لتكامل في الخلقة، وتبارك الله أحسن الخالقين.

أنانيّة ابليس:

اعْتَرَتْهُ(١) الحَمِيَّةُ(٢)، وغَلَبَتْ عَلَيْهم الشِّقْوَةُ، وتَعَزَّز بِخِلْقَةِ النَّار، وَاسْتَوْهَنَ(٣) خَلْقَ الصَّلْصَالِ.

فأَعْطاهُ الله النَظِرَةَ(٤) استِحقاقاً للسُّخْطَةِ(٥)، واستِتْماماً للبَلِيَّةِ، وإنْجازاً للعِدَةِ، فقال: ﴿إنَّكَ مِنَ المُنْظَرينَ إلىٰ يومِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾(٦).

فأطاعت الملائكة الأمر الالهي ما عدىٰ ابليس ﴿فسجدوا إلاّ ابليس﴾(٧) وقد سرد من اسباب إباء إبليس اموراً أربعة، هي:

---

(١) في غير «د» و«ط»: اعترتهم، بالجمع، وكذا فيما يليه من الكلمات، مثل: عليهم، وتعززوا، واستوهنوا.
قال الجلالي: اتفقت النسخ المخطوطة علىٰ وجود كلمة «وقبيله»، بينما اتفقت النسخ المطبوعة علىٰ حذفها؛ ولعل ذلك للإفراد الموجود في الضمير في قوله: «فأعطاه اللّه». حيث يستقيم المعنىٰ، ولكنا أثبتنا ما اتفقت عليه النسخ المخطوطة، وهو ما استصوبه الشيخ التستري في بهج الصباغة ٢: ٤١ أيضاً، ولم يذكر وجه ذلك.
ومعنىٰ العبارة علىٰ ما أثبتناه: ان ابليس لم يكن هو وحدهُ الممتنع عن السجود، هذا وقد ذكر الله سبحانه قبيل ابليس في سورة الاعراف الآية: ٢٧، قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾. وذكر تعالىٰ ذريةً له في سورة الكهف، الآية: ٥٠.
(٢) في هـ. أ: اي غشيتهم ما يحمىٰ الانسان من الأَنَفَة.
(٣) في هـ. أ: أي استضعفوا.
(٤) في هـ. ص: بفتح النون وكسر الظاء: الاهمال والتأخير.
(٥) في هـ. أ: السخط: الغضب.
(٦) سورة ص: ٨٠ ـ ٨٣.
(٧) الاسراء: ٦١.

١ ـ الاغترار بالحميّة، وهي شدة الغضب.

٢ ـ الشقوة الغالبة، بعدم امتثال الأمر الالٰهي.

٣ ـ التعزّز، بكونه أفضل مادةً، حيث ان مادة الخلق في الانسان هو الطين ومادة خلق ابليس النار، والنار أفضل للطافته.

٤ ـ الاستهانة بما خلق من الصلصال، وهو الطين اليابس.

ويجمع هذه الاسباب: الأنانية؛ حيث لم ينظر الى الحكمة الداعية إلى الخلق الجديد، بل ركّز على المقارنة بين اصل نفسه واصل آدم من دون اهتمام للحكمة في دور كل منهما.

عقاب الأنانية:

واشار الىٰ عقاب ابليس بموقفه الأنانيّ مستشهداً بقوله تعالى: ﴿انك من المنظرين الىٰ يوم الوقت المعلوم﴾(١)، وقد أشارت الآية الى امور أربعة، هي:

١ـ النظرة، وهي الإمهال؛ فان الامهال للخاطئ في خطيئته عقاب له؛ لزيادة تلبسه بالخطأ دون الانقاذ.

٢ـ السخطة، وهي غضب الله على ابليس لعصيانه.

٣ـ البليّة، وهي الامتحان للانسان وانه كيف يمكنه التصدّي ومقاومة وساوس الشيطان.

٤ـ انجاز العدة، حيث طلب ابليس ﴿قال انظرني الى يوم يبعثون﴾(٢) وذلك لعلمه بمقام الالوهية الذي لايرد طلبا عادلاً. وعدالة الطلب انما هي للامتحان ولطبيعة الانسان المخيّر بين الحق والباطل، وانجاز العدة حجة قاطعة على ابليس؛ حيث أنّ للحق دولة وللباطل جولة.

(١٠/ط-١) آدم الممتحن:

---

(١) الحجر: ٣٨.

(٢) الاعراف: ١٥، الحجر: ٣٧، وسورة ص: ٨٠.

ثمَّ أسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أرْغَدَ(١) فِيهَا عِيشَه(٢)، وَآمَنَ فِيهَا(٣) مَحَلَّتَهُ(٤)، وحَذَّرَهُ إبْلِيسَ وعَدَاوَتَهُ، فَاغْتَرَّهُ(٥) عَدُوُّهُ؛ نَفَاسَةً(٦) عَلَيْهِ بِدَارِ المُقَامِ، ومُرَافَقَةِ الأبْرَارِ(٧)، فَباعَ اليَقينَ(٨) بِشكِّهِ، والعَزيمَةَ(٩) بِوَهْنِهِ، واسْتَبْدَلَ بالجَذَلِ(١٠) وَجَلاً(١١)، وَبالاغْتِرَارِ نَدَماً.

ثمَّ بَسَطَ الله سُبْحَانَهُ لهُ في تَوْبَتِهِ(١٢)، ولَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ(١٣)، وَوَعَدَهُ المَرَدَّ إلىٰ جَنَّتِهِ، وَأهْبَطَهُ إلىٰ دَارِ البَلِيَّةِ وتَنَاسُلِ الذُّرِّيَةِ.

وكان آدم أبو البشر هو أول من وقع في العصيان، ومرت حياته بجولة الباطل وهي المعصية ودولة الحق وهي التوبة، وكانت نتيجة التوبة أُمور:

١ـ الرحمة، حيث لم يعاقب بالعذاب الأبدي.

٢ـ الجنة، وعداً للعمل الصالح، وهو التوبة.

٣ـ الهبوط الى دار الامتحان، لصدق التوبة باستمرار.

٤ـ تناسل الذرية.

وهذه الاثار تبقى دروساً للأجيال على أن الباطل ـ وهو المعصية ـ له جولة تنتهي

---

(١) في هـ. أ: أي طيب حياته.
(٢) في د و ط : عيشته، و في هـ. ص: في نسخة: عيشته.
(٣) في هـ. د: وامن فيها ـ م.
(٤) في هـ. أ: أي موضع حلوله.
(٥) في هـ. أ: أي أتاه علىٰ غرّة: أي غفلةٍ.
(٦) في هـ. أ: أي حسداً وبخلاً، يقال: نفس عليه الشي: إذا لم يره يستأهل ذلك.
(٧) يراد بالابرار هنا: الملائكة.
(٨) في هـ. أ: يقينه: علمه بعداوة الشيطان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إنّ الشيطان كان للانسان عدوّاً مبيناً﴾. [الاسراء: ٥٣]. وشكه: ظنه ان الشيطان صادق في قوله: ﴿وقاسمهما إنّي لكما لمن الناصحين﴾ [الاعراف: ٢١].
(٩) في هـ. أ: العزيمة: الاهتمام بالشئ.
(١٠) في هـ. أ : أي الفرح والسرور.
(١١) في هـ. أ: أي خوفاً.
(١٢) في هـ. أ: يعني وعده الله تعالىٰ قبول توبته.
(١٣) في هـ. أ: إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فتلقّىٰ آدم من ربه كلمات﴾ [البقرة: ٣٧] وهو قوله: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ [الاعراف: ٢٣].

أمدها، وأن للحق ـ وهو التوبة ـ دولة تبقى مع الاجيال.

(١١/ط ـ ١) الانبياء:

وَاصْطَفَىٰ سُبْحَانَهُ مِنْ ولدِهِ أَنْبِيَاءَ(١) أَخَذَ عَلَىٰ الوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَىٰ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ(٢)، لَمّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ الله إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، واخْتَالَتْهُمُ(٣) الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبادَتِهِ.

فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ(٤) إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ، لِيَسْتأدُوْهُمْ(٥) مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، ويُذَكِّرُوهُمْ(٦) مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بالتبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُوْلِ، وَيُرُوهُمْ آياتِ المَقْدِرَة(٧)؛ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوْعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوْعٍ، وَمَعَايِشَ تحْيِيْهِم، وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابٍ(٨) تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثٍ(٩) تَتابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلم يُخْلِ الله سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْكِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجّةٍ(١٠) لازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ(١١) قائِمَةٍ، رُسُلٌ(١٢) لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلا كَثْرَةُ المُكَذِّبينَ لَهُمْ؛ مِنْ سابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غابِرٍ(١٣) عَرَّفَهُ مَنْ

---

(١) في «ب»: أبناء.

(٢) في هـ. أ: في نسخة: ايمانهم.

(٣) في هـ. أ: في نسخة: واختيلتهم [ظ]، وفي «د»: واجتالتهم، وفي هـ. د: في بعض النسخ: واحتالتهم ـ ع. ر، وفي هـ. أ: أي إغترّتهم، وقيل: استخفتهم، وفي هـ. ص: اختالتهم ـ بالخاء المعجمة ـ، قال في الشرح: يقال: اختال فلان فلاناً، واختاله عن كذا، وعلىٰ كذا: أداره عليه، كأنّه يصرفه تارة كذا وتارة كذا، يحسّن له فعله ويغريه به، انتهىٰ. قال الجلالي: ومعناه بالمهملة: جعلت لهم الحيلة وصدّتهم به عن معرفة اللّه، هذا، و وردت الكلمة في النسخ المطبوعة: اجتالتهم ـ بالجيم المعجمة ـ ومعناها: صرفتهم عن قصدهم الذي وُجّهوا إليه بالفطرة إلىٰ غيره.

(٤) في هـ أ: أي تابع.

(٥) في هـ أ: أي ليطلبوا منهم أداء ما ألزمهم من ميثاق خلق اللّه، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٦) في هـ. د: ويذكرونهم ـ م.

(٧) في هـ. د: الآيات المقدّرة ـ ض وب.

(٨) في هـ أ: الوصب: المرض.

(٩) في هـ أ: أي مصائب.

(١٠) الحجة: الدليل الذي يُغلب به الخصم.

(١١) في هـ أ: أي الطريقة الواضحة.

(١٢) في هـ أ: أي هم رسل.

(١٣) الغابر: اللاحق، الباقي.

قَبْلَهُ.

عَلىٰ ذٰلِكَ نَسَلَتِ[1] القُرونُ، وَمَضَتِ الدُّهورُ، وَسَلَفَتِ الآباءُ، وَخَلَفَتِ الأبْناءُ.

وهذا المقطع يتضمن دور الأنبياء في الحياة بالاشارة إلى ثلاثة امور، هي: حقيقة النبوّة وواجبات الأنبياء، والنبوة الضرورية في المجتمع.

واختار الله من ولد آدم أنبياء، وحقيقة النبوة فيهم تتقوّم بأمرين، هما: الوحي والتبليغ.

وقد أخذ الله عليهم الميثاق، أي العهد بالوحي والأمانة بتبليغ الرسالة حسبما حمّلهم الله سبحانه ذلك، وطبيعيّ أن تكون الحاجة إليها عند حصول الانحراف بكثرة عن الخط المستقيم، وذلك بتبديل اكثر الخلق لعهد الله سبحانه، وأشار الى مظاهر هذا الانحراف بما يلي:

١ ـ الجهل بحقوق الله.

٢ ـ الشرك، باتخاذ الأنداد ـ أي الأمثال ـ للعبادة.

٣ ـ إغواء الشياطين بالاحتيال، أي صرف الانسان عن مقصده.

٤ ـ الاقتطاع عن عبادة الله الحق بعبادة المادة والماديات.

ففي مثل هذا الجو المنحرف يكون دور النبوّة ضرورياً، فبعث الله سبحانه الرسل والانبياء واتراً، أي فترة بعد أُخرى.

واجبات الأنبياء:

وسرد من واجبات الانبياء والرسل مايلي:

١ ـ اداء الميثاق والعهد الذي تحملوه، حيث أُخذ على الوحي ميثاقهم بالفطرة.

٢ ـ التذكير بنعم الله المنسيّة، وأقلّها نعمة الحياة.

٣ ـ التبليغ للحجة الالٰهية على العباد.

٤ ـ الارشاد الى حكم العقل باثارة ما هو مستور عنه.

٥ ـ إراءة آيات القدرة الالٰهية في الخلق مما خفيت على الناس لكثرة مشاهدتها، وقد

---

(١) في هـ أ: أي مضت. قال الجلالي: ويقرأ بالبناء للمجهول بمعنىٰ: ولدت.

خصّ بالذكر منها:

أ ـ السقف المرفوع من السماوات السبع، بما فيها من النجوم والكواكب التي لها ادوار مباشرة في حياة الانسان، فلولا الشمس لما استمرت الحياة للانسان، وقد غفل الانسان عنها لكثرة مشاهدتها.

ب ـ الارض، التي هي مهاد موضوع يعيش الانسان عليه باستقرار؛ لما خلق سبحانه فيها من قانون الجاذبية الذي لولاه لما أمكن الحياة باستقرار.

جـ ـ المعيشة، التي توجب استمرار الحياة، مما يعيش عليه من المطعم والمشرب.

د ـ الآجال التي تفني كل حيّ؛ فان كل نفس ذائقة الموت.

هـ ـ الأوصاب، وهي المتاعب التي تطرأ على الانسان في الحياة وتوجب له السقم والهرم.

و الاحداث المتتابعة من الطفولة والشباب والكهولة حتىٰ الهرم والشيخوخة؛ فان هذه الايات الكونية لها ادوارها ودلالاتها في الحياة لكل انسان يغفل عنها بطول الامل واتباع الهوى، فيفتقر الانسان إلى التذكير المستمر بهذه الآيات من فترة الىٰ اخرى حتىٰ يقوم بدوره الانساني المسؤول في الحياة، وهي مهمّة الانبياء في كل فترة كثرت فيه الغفلة في الخلق.

دور الانبياء:

وختم المقطع بان دور النبوة دور ضروري في كل مجتمع، وأن الله لم يخل أيّ مجتمع للانسان من استمرار هذا الدور بالوسائل التالية:

١ – النبي المرسل، من الله لقوم خاص أو عام أو للمجتمع الانساني ككل.

٢ – الكتاب المنزل، من الله بلغة خاصة.

٣ – الحجج اللازمة، التي تسير على هدىٰ النبوّة من التراث النبوي.

٤ – الحجة القائمة، وهي الطريقة المسلوكة من قبل الأنبياء السابقين.

وهذه الاثار بارزة في حياة كلّ نبيّ حيث لا يقتصرون على الافكار الفطرية كما عليه

الفلاسفة، بل يطبّقون ما عليهم في المجتمع الذي يعيشون فيه مبتدئين بأنفسهم ثم غيرهم، لما يتمتعون به من رؤية واضحة في الحياة، ونتيجة هذه الرؤية، أنه:

١ – لا تؤثّر فيهم قلّة عدد أتباعهم.

٢ – لا تؤثر فيهم كثرة المكذّبين لهم، من الذين يتضررون بدعوة الأنبياء علىٰ اثـر ضياع مصالحهم.

٣ – لكل سابق من الرسل من يأتي بعده مسمّى لان يسير على منهاجه فيستمر دور النبوة.

٤ – لكل غابر، أي ماضٍ من الرسل من عـرّفه الرسـول الذي قـبله، لكـي يـتسلّم المسؤولية ويقوم بها كما هو المطلوب.

وقد استشهد علىٰ هذه النقاط الاربع بتواريخ الأنـبياء المـحفوظة كـما نسـلت، اي تتابعت في القرون، قرناً بعد قرن، واستمرت ماضية في الدهور دهراً بعد دهر، وتعلمتها الآباء أباً عن أب، وورثها الأبناء إبناً بعد إبن، فإن دور الأنبياء في الحياة ومسؤولياتهم وآثارهم ومناهجهم وغاياتهم واضحة معروفة لأنفسهم ولغيرهم، ومدوّنة فـي صـدور الاجيال جيلاً بعد جيل.

(١٢/ ط-١) النبي محمّد صلى الله عليه وآله:

إلىٰ أنْ بَعَثَ الله سُبْحانَهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لإنْجازِ عِدَتِهِ، وَتَمامِ نُبُوَّتِهِ، مأخوذاً عَلىٰ النَبِيِّينَ ميثاقُهُ، مَشْهورَةً سِماتُهُ[١]، كَريماً ميلادُهُ[٢]، وَأَهْلُ الأرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ. وأهْواءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ[٣]؛ بَيْنَ مُشَبِّهٍ لله بِخَلْقِهِ، أوْ مُلْحِدٍ في اسْمِهِ[٤]، أوْ مُشـيرٍ إلىٰ غَيْرِه[٥]، فَهَداهُم بِهِ مِنَ الضَّلالَةِ، وَأنْقَذَهُمْ بِمَكانِهِ[٦] مِنْ الجهالَةِ[٧].

---

(١) السمات جمع السمة، وفي هـ. أ: أي علامته.
(٢) أي مولده، وقت الولادة.
(٣) عبارة: «وطرائق متشتتة» لم ترد في ص.
(٤) الملحد في اسم اللّٰه: الذي يميل به عن حقيقة مسمّاه كمن يعتقد بالتشبيه والتجسيم.
(٥) كذا صحّح في هـ. ص، وفي المتن: إلىٰ خلقه.
(٦) في ب : به، وفي هـ. أ: أي بفضله.

ثُمَّ اخْتارَ سُبْحانَهُ لِمحَمَّدٍ ﷺ لِقاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ ما عِنْدَهُ، وَأَكْرَمُهُ عَنْ دارِ الدُّنْيا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقارَنَةِ البَلْوَىٰ[٨]، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَريماً ﷺ، وَخَلَّفَ فيكُمْ ما خَلَّفَتِ الأنْبِياءُ في أُمَمِها[٩]؛ إذْ لَمْ يَتْرُكوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَريقٍ واضِحٍ، وَلا عَلَمٍ[١٠] قائِمٍ.

وختم دور الأنبياء بالنبي محمّد ﷺ، وفي هذا المقطع أشار إلىٰ أُمور رئيسية في حياته ﷺ، وحقيقة نبوّته، وضرورة النبوة في عصره، ودور هذه النبوة وآثارها.

وافتتح المقطع بخصيصة نبوّة خاتم الأنبياء محمّد ﷺ، وهي:

١ – انجاز عدته تعالىٰ، حيث سبق البشارة به في الاديان السابقة، والأنبياء قد بشّروا برسول يأتي من بعدهم اسمه أحمد.

٢ – ختم النبوة واتمامها، حيث ان بها تمام الدين وكماله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.[١١]

٣ – ميثاق النبيّ، لان ادوار الأنبياء متشابهة نحو تحقيق الكمال، وقد مهّدت الادوار السابقة لدور نبوّة النبي محمّد ﷺ.

٤ – مشهورة سماته، في لسان من سبق من الأنبياء من انه الخاتم لما سبق.

٥ – كريما ميلاده؛ فان حياة النبي محمّد ﷺ منذ الولادة حتىٰ الوفاة يجسّد طهارة المولد والمنشأ والمصير والمسير في الطفولة والمراهقة والشباب والكهولة، كما هي مشروحة في كتب السيرة.

ضرورة النبوة:

وبما ان الضرورة إلىٰ النبوة تنبع من كثرة الانحراف عن الحق وكثرة الباطل؛ فان هذا

---

(٧) في هـ. د: عبارة «فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة» ساقط من ن، ش.
(٨) كذا صحّح في هـ. ص، وفي المتن: عن مقام البلوىٰ. وفي هـ. د: عن مقام البلوىٰ ـ ح، ن. والمعنىٰ: ان النبي ﷺ رغب بما عند الله عن ان يقيم في دار البلاء، أو يكون مقارناً لدار البلاء وهي الدنيا.
(٩) في هامش الأصل: الأُمم: الشعوب.
(١٠) العلم: العلامة وما ينصب لاهتداء الناس به.
(١١) المائدة: ٥

الانحراف في عصر النبيﷺ أوجب النبوة، وحيث ان هذا الانحراف كان لأهل الارض عامة، لزمت النبوة العامة، وقد اشار إلىٰ بعض هذه الانحرافات بقوله:

١ – الملل المتفرقة في اهل الارض، كلٌّ يحارب الآخر.

٢ – الاهواء المنتشرة، حيث تبع كلّ هواه من دون مقياس للحق أو الباطل.

٣ – طرائق متشتتة، كلٌ يرى بطلان الآخر من دون استناد إلىٰ مقياس عقلي، وخصّ منها ثلاثة فرق ، هي:

أ – المشبّهة، الذين يشبّهون الله بخلقه وينحتون الاصنام له.

ب – الملاحدة، والالحاد: الميل عن الحقيقة بتأويل إسمه تعالى.

ج – المشير إلى غيره ممّن أخطأ في معرفة الله سبحانه بصفاته الجلالية والكمالية.

وفي ظل هذه الاهواء والطرق يفتقر الانسان إلىٰ مرشد يهدي إلىٰ الحق: ليكون دليلاً يهتدي به، فقد كانت نبوّة النبيّ محمّد ﷺ كذلك، حيث قام بدوره النبوي الرسالي لهداية الخلق من الضلالة وانقاذهم من الجهالة كما هو مشروح في كتب السيرة.

دور النبوّة المستمر:

وختم المقطع بدور النبوة المستمر بالآثار التيّ خلّفها النبي محمّد ﷺ بعد موته، حيث اختار سبحانه له لقاءهُ بعد أداء دوره الرسالي ورضي له بما عنده من الثواب على أدآء الرسالة التي طبّقها في الدنيا، فأكرمه عنها، وبعد أن ادىٰ دوره المطلوب بنجاح في (مقام البلوىٰ) والبلاء بمعنىٰ الامتحان، رغب الله تعالى به عن هذا المقام الذي اجتازه بظفر ونجاح، ثم قبضه الله تعالىٰ كريما، ولكن دور نبوته لم تنقطع بموته، بل استمر بآثاره، كما هي سيرة الأنبياء من قبل بالنسبة إلىٰ اُممها، حيث لم يتركوها هملاً، بل تركوا لها دليلين هما: الطريق الواضح والعلم القائم، أي الراية الخفّاقة، وقد ترك النبي محمّدﷺ الامةالاسلامية مع دليلين هما: القران الكريم والذي هو العلم القائم، والسنة المطهرة التي هي الطريق الواضح.

$\left(\frac{١٣}{ط - ١}\right)$ القرآن الكريم:

كِتابَ رَبِّكُمْ(١)، مُبَيِّناً لكم(٢) حَلالَهُ(٣) وَحَرَامَهُ(٤)، وَفَضائِلَهُ وَفَرائِضَهُ(٥)، وَناسِخَهُ(٦) وَمَنْسوخَهُ(٧)، وَرُخَصَهُ(٨) وَعَزائِمَهُ(٩)، وَخاصَّهُ(١٠) وَعامَّهُ(١١)، وَعِبَرَهُ(١٢) وَأمْثالَهُ(١٣)، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدودَهُ(١٤)، وَمُحْكَمَهُ(١٥) وَمُتَشابِهَهُ(١٦).

مُفسِّراً جُمَلَهُ(١٧)، ومُبَيِّناً غَوامِضَهُ(١٨)؛ بَيْنَ مَأخوذٍ ميثاقُ عِلْمِهِ(١٩) وَمُوَسَّعٍ عَلىٰ العِبادِ في جَهْلِهِ(٢٠)، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ في الكِتابِ فَرْضُهُ(٢١) وَمَعْلومٍ في السُّنَّةِ

---

(١) في ط زيادة: فيكم.
(٢) كلمة «لكم» غير موجودة في أ و ب و ط.
(٣) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّت لكم بهيمة الأنعام﴾ [المائدة: ١].
(٤) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَت عليكم الميتة والدم﴾ [المائدة: ٣].
(٥) في «ب» و«د»: وفرائضه وفضائله، وفي « أ » هكذا: وفرائضه ونوافله وفضائلهُ. وفي هـ. أ: تحت كلمة وفرائضه: [مثل قوله تعالىٰ]: ﴿أقيموا الصلاة﴾ [المائدة: ٣]. وتحت كلمة: ونوافله: ﴿ومن الليل فتهجّد به نافلةً لك﴾ [الاسراء: ٧٩].
(٦) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿اقتلوا المشركين﴾ [التوبة: ٥].
(٧) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ [الكافرون: ٥].
(٨) في هـ أ: الرخص، جمع الرخصة، وهو التسهيل في الامر، ضد العزيمة، و في هـ أ: كقوله تعالىٰ: ﴿فمن اضطرّ في مخمصةٍ غير متجانفٍ لإثم﴾ [المائدة: ٣].
(٩) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة: ١٨٥].
(١٠) في هـ. أ : كقوله تعالىٰ: ﴿والله خالق كلّ شيء﴾ [الرعد: ١٦]. وفي هـ ص : يحتمل أن يريد ما اختصّ من الأحكام بعض الناس، والعام ما عمّهم، ويحتمل أن يريد بالخاصّ: ما خصّ من عمومات فيه، والعام: ما بقي من العام علىٰ عمومه (والله أعلم).
(١١) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿لله علىٰ الناس حجّ البيت﴾ [آل عمران: ٩٧].
(١٢) في هـ. أ: كالآيات التي فيها قصص الأنبياء.
(١٣) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه﴾ [البقرة:١٦٢].
(١٤) المرسل: المطلق، والمحدود: المقيد، وفي هـ. أ: أي مقيّده، مثل: ﴿أتمّوا الصيام إلىٰ الليل﴾ [البقرة: ١٨٧].
(١٥) من اللفظ: ما اتضحَت دلالته، وفي هـ. أ : كقوله : ﴿قل هو الله أحد﴾ [الاخلاص: ١].
(١٦) ما لم يتضح دلالته إلّا ببيان ائمة الهدىٰ عليهم السلام، وفي هـ. أ: كقوله: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلىٰ ربّها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٣].
(١٧) في «أ» و«ط»: مجمله. وفي هـ. د: مجمله ــ ب.
(١٨) في هـ. أ: مثل: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلىٰ الحرّ بالحرّ﴾ [البقرة: ١٧٨].
(١٩) «ط»: مأخوذ ميثاقٍ في علمه، وفي هـ. د: ميثاق في علمه ــ ب، وفي هـ. أ: كالصلاة الواجبة وغيرها.
(٢٠) في هـ. أ: مثل « كهيعص» و«ألم» وجميع الحروف المقطّعة في أوائل بعض السور.
(٢١) في هـ. أ : ﴿مثل يوصيكم الله في أولادكم﴾ إلىٰ آخر الآية [النساء:١١].

نَسْخُهُ(١)، وَواجِبٍ في السُّنَّةِ أَخْذُهُ(٢)، وَمُرَخَّصٍ في الكِتابِ تَرْكُهُ(٣)، وَبَيْنَ واجِبٍ لِوَقْتِهِ(٤)، وَزائِلٍ في مُسْتَقْبَلِهِ(٥)، وَمُبايِنٌ بَيْنَ مَحارِمِهِ(٦)؛ مِنْ كَبيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نيرانَهُ(٧)، أَوْ صَغيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرانَهُ(٨)، وَبَيْنَ مَقْبولٍ في أَدْناهُ(٩) مُوَسَّعٍ في أَقْصاهُ(١٠).

بيّن هذا المقطع التراث الفكري للاسلام، وهو القرآن والسنة، وانهما لا يفترقان إلّا بالاجمال والبيان، وانهما معاً يشكّلان الركيزة الاساسية لبناء المجتمع الاسلامي؛ فان المجتمع الفاقد للتراث الفكري لابدّ وان يبوء بالفشل ويسير بخطىً سريعة إلى الاضمحلال. وأشار إلىٰ بعض مواصفات القران الكريم، منها:

١ – كتاب ربكم، فهو الوحي الإلٰهي المنزل على لسان النبي المرسل، وبهذا يفترق القرآن عن السنة.

٢ – بيان الحلال والحرام من احكام الشريعة الحاكمة في حياة الانسان من الولادة

---

(١) في هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهنّ في البيوت حتّىٰ يتوفّاهنّ الموت أو يجعل الله لهنّ سبيلا﴾. [النساء: ١٩] فنسخ بسنّة الرسول ﷺ.

(٢) في هـ. أ: كالتوجّه إلىٰ بيت المقدس في ابتداء الإسلام، فإنّه كان ثابتاً في السنّة. لقوله: ﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة: ١٥٠].

(٣) في هـ. أ: كالجهاد مع وجود الإمام وصلاة العيد. و في هـ. ص: لعلّ منه قوله تعالىٰ في السعي: ﴿فمن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما﴾ [البقرة: ١٥٨]. وقوله تعالىٰ: ﴿فلا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ [النساء: ١٠١] إن كانت واردة في قصر العدد.

(٤) في «ط»: بوقته، وفي هـ. د: بوقته ـ ن وفي هـ. أ: كالجهاد مع وجود الإمام وصلاة العيد.

(٥) في هـ. أ: كآية النجوىٰ: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ [المجادلة: ١٢]. فنسختها الآية الأُخرىٰ، وهي ﴿أأشفقتم أن تقدّموا﴾ إلىٰ آخر الآية [المجادلة: ١٣].

(٦) والمراد حكم مباين بين محاله، وهو الحرمة، وتلك المحال ما سيبيّنها الإمام عليه السلام فيما بعد ذلك، حيث يقول: «من كبيرٍ... أو صغيرٍ...».

(٧) في هـ. أ: كقوله: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم...﴾ إلىٰ آخر الآية [النساء: ٩٣].

(٨) ارصد: اي هيّأ وأعَدّ، وفي هـ. أ: كقوله تعالىٰ: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تُنهَون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم﴾. [النساء:٣١].

(٩) في هـ. أ: كقوله: ﴿فاقرؤا ما تيسّر من القرآن﴾. [المزمّل: ٢٠] كالسورة.

(١٠) في هـ. أ: كقراءة سورة طويلة في الصلاة.

حتىٰ الوفاة، عبادياً واقتصادياً واجتماعياً.

٣ – والفرائض والفضائل، اي الواجبات والمستحبات.

وقد يتوهم من كلام الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ) ان الفضائل جمع فضيلة[١]، وليس بصحيح، لان الفضلة تجمع على فضلات وفضال، والصحيح أنها جمع فضيلة ووهي الدرجة الرفيعة كما قال الراوندي، فان النوافل والمستحبات لها درجة رفيعة وان كانت دون الواجبات.

٤ – الناسخ والمنسوخ، المصطلح للمادتين هو رفع الحكم الشرعي الثابت، والتحقيق: أنّ النسخ في القرآن هو بمعناه اللغوي، اي التقييد والتخصيص، وما ذكره الشارح من التمثيل بقوله تعالى: ﴿ اقتلوا المشركين ﴾[٢] وقوله: ﴿ لا إكراه في الدين ﴾[٣] انما هو في تعدد الموضوع، (راجع: ما يتعلق بالموضوع في « تهذيب مباني الاصول».)

٥ – الرخصة والعزيمة، والرخصة: ما لا إلزام فيه، كقوله تعالىٰ: ﴿فمن اضطر في مخمصة﴾[٤] والعزيمة: ما لا رخصة فيه، كقوله تعالىٰ: ﴿فاعلم انه لا إلَه إلّا الله﴾[٥].

٦ – الخاص والعام.

٧ – العبر والأمثال، من قصص الأُمم السالفة من الأنبياء والصديقين والصالحات والصالحين.

٨ – المرسل والمحدود، والمرسل: هو مالم يقيّد بقيد، كقوله تعالى: ﴿فتحرير رقبة﴾[٦] والمحدود: هو المقيد به، كقوله: ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾[٧].

٩ – المحكم والمتشابه، والمحكم: ما هو نصّ ظاهر، كقوله تعالىٰ: ﴿قل هو الله احد﴾.

---

(١)راجع: شرح ابن أبي الحديد ١: ١٢٠.
(٢)التوبة: ٥٠ .
(٣) البقرة: ٢٠٦ .
(٤) المائدة: ٣ .
(٥)محمّد: ١٩ .
(٦) المائدة: ٣ .
(٧)النساء: ٩٢

والمتشابه: ما يدخل فيه التأويل، كقوله تعالى: ﴿إلىٰ ربها ناظرة﴾ (١)

وحيث انّ هذه المواصفات كانت بالاجمال، شرحها بالتفصيل الآتي:

فان النبي ﷺ خلّف كتاب الله بين المسلمين.

١ ـ (مفسّراً مجمله) حيث أن القران يفسّر بعضه بعضاً بالاطلاق والتقييد والعموم والخصوص والمجمل والمبيّن، على ما هو مشروح في علم اصول الفقه.

٢ ـ (مبيناً غوامضه) والغموض في المعنىٰ في بعض الآيات تعرف من آيات أُخرى بقرينة السياق في الاداء، كما تقتضيه اساليب اللغات من الكنايات والمجازات، فان المقارنة بين قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ (٢) وقوله ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون﴾ (٣) تفيد أن اليد كناية عن القدرة، وليست عبارة عن اليد في الجسم.

٣ – (ما أخذ ميثاق علمه) اي يجب الالتزام بعلمه على كل انسان، كالايمان بالله سبحانه كقوله تعالى: ﴿الله لا اله إلّا هو الحي القيوم.﴾ (٤)

٤ – (ما وسع على العباد جهله) ، ولم يفرض عليهم العلم به كالمقطّعات في القران، كقوله تعالىٰ: ﴿الم﴾ و﴿حمعسق﴾. (٥)

٥ – (الثابت في القران فرضه، والمعلوم من السنة نسخه)؛ فان الاحاديث النبوية تخصص العمومات القرآنية كما تقدم، وهو محرّر في علم الاصول.

٦ – (الواجب من السنة أخذه والمرخص في الكتاب تركه)؛ فان السنة تخصص القرآن كما تقدم.

٧ – (الواجب بوقته والزائل في مستقبله)؛ فان الواجبات الموقتة يجب أداؤها في اوقاتها المفروضة كالصلوات الخمس اليومية وصيام رمضان، وعند فواتها في الوقت

---

(١) القيامة: ٢٣ .
(٢) الفتح: ١٠ .
(٣) الذاريات: ٤٧
(٤) البقرة: ٢٥٥ .
(٥) الشورى: ٢٠١ .

المفروض يزول حكم الواجب الموقت؛ لاستحالة استقبال الوقت، ويجب اتيانها قضاءً بدلاً عن الأداء.

٨ – المعاصي الكبيرة، وهي الموعود عليها بالنار، كالقتل، وكذا الصغيرة التي يشملها الغفران كالكذب.

٩ – الطاعات والنوافل؛ فإنها (من المقبول في أدناه) فان القليل منه مقبول عند الله (وموسّع في أقصاه) لان المتعبّد في سعة في استقصاء ما يرغب من انواع الطاعات ما لم تضرّ بالفرائض.

وهذه النقاط التسع تشرح بتفصيل ما تقدمها من النقاط التسع بالاجمال، بتفصيل آخر أكثر وضوحاً.

(١٤/ط - ١) السنة النبوّية في الحج:

منها[١] [في ذكر الحجّ][٢] :

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ[٣] حَجَّ بَـيْتِهِ[٤]، الذي جَـعَلَهُ قِـبْلَةً لِـلأنامِ، يَـرِدُونَهُ وُرودَ الأنْـعامِ، وَيَأْلَهونَ[٥] إلَيْهِ وُلُوهَ الحَمامِ[٦]، جَعَلَهُ سُبْحانَهُ عَلامَةً لِتَواضُعِهِمْ لَـعَظَمَتِهِ، وَإذْعـانِهِمْ لِعِزَّتِهِ[٧]، وَاخْتارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أجابوا إلَيْهِ[٨] دَعْوَتَهُ[٩]، وَصَدَّقوا كَـلِمَتَهُ، وَوَقَـفوا مَواقِفَ أنْبيائِهِ، وَتَشَبَّهوا بِمَلائِكَتِهِ المُطيفينَ بِعَرْشِهِ، يَحْرِزونَ[١٠] الأرْباحَ في[١١] مَتْجَرِ

(١) في «أ»: ومنها.
(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في النسخ الخطّيّة.
(٣) في هـ. د: ويروىٰ عليهم ـ ك.
(٤) في «ط » زيادة: الحرام، وفي هـ. د: بيته الحرام ـ ح، ض.
(٥) أي يشتد إليه شوقهم، وفي هـ. ص: في نسخة: يؤلهون. وفي هـ. أ: أي يفزعون.
(٦) في هـ. ص: الوله: شدّة الوجد بالشئ حتّىٰ يكلّ العقل أو يذهب.
(٧) العزة: الغلبة والقهر، ومن اسماء الله سبحانه: العزيز.
(٨) في هـ. أ: إليه، إي إلىٰ البيت.
(٩) في هـ. أ: دعوته، أي دعوة اللّٰه.
(١٠) في هـ. أ: أي يجمعون.
(١١) في هـ. أ: في نسخة: من.

عِبادَتِهِ، وَيَتَبادَرونَ[١] عِنْدَه مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ[٢].

جَعَلَهُ سُبْحانَهُ[٣] لِلإسْلامِ عَلَماً[٤]، وَلِلْعائِذينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ[٥]، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفادَتَهُ[٦]. فَقالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَللهِ عَلىٰ النّاسِ حِجُّ[٧] البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبيلاً وَمَنْ كَفَرَ[٨] فَإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْ العالَمينَ﴾[٩].

وفي هذا المقطع الأخير سرد مواصاف السنة النبوية المطهرة في الحج خاصة، دون غيرها من الاحكام الشرعية، حيث أنّ ما سنّه الرسول القائد في هذه الشعيرة تواترت على مرّ العصور، ومن أجل ذلك تتفق المذاهب الاسلامية الفقهية على احكامها الرئيسية؛ لان ما سنّة ﷺ كان واضحا معلنا لجميع الحاج، والمواصفات في هذا المقطع هي:

١ – (فرض حج البيت الحرام).

٢ – (جعل البيت قبلة للانام).

٣ – (يرد الأنام البيت مجدّين) كما ترد الانعام مواطنها التي تستأنس بها.

٤ – (يألهون اليه ولوه الحمام) والوله: شدة الوجد إلىٰ المقصد، كما يأله الحمام إلىٰ مأمنه ومحلّه.

٥ – البيت علامة للتواضع لعظمة الله والاذعان لعزته.

٦ – والحج اجابة لدعوة الله لحج البيت من قبل المصطفين من الخلق .

٧ – المصدقون لكلمة الله الداعية الى الحج.

٨ – الواقفون مواقف الأنبياء، وخاصة أبي الأنبياء ابراهيم من البيت الحرام ومُنى

---

(١) في هـ. أ: أي يتسارعون.
(٢) في «ط» و هـ. د: موعد ـ ض، ب.
(٣) في «ط» و«د» زيادة: وتعالىٰ.
(٤) في هـ. أ: أي علامة.
(٥) في هـ. د: فرض حقه وأوجب حجه ـ ج.
(٦) في هـ. أ: الوفادة: القدوم للاستوفاد والانتفاع. وفي هامش آخر منه: أي زيارته.
(٧) في هـ. أ: الحجّ: القصد.
(٨) في هـ. أ: أي ترك الحجّ.
(٩) آل عمران: ٣ / ٩٧.

وعرفات.

٩ – المتشّبه بالملائكة في طوافهم حول البيت كما تطوف الملائكة حول العرش.

١٠ – يحرزون أرباحاً معنوية في العبادة لله سبحانه؛ فانها التجارة الرابحة الحقيقية.

١١ – مبادرة للمغفرة عند الله سبحانه.

١٢ – والبيت علم للاسلام.

١٣ – وحرم للعائذين.

١٤ – وحق البيت فرض على كلّ المسلمين.

١٥ – وحج البيت واجب على كل مستطيع.

١٦ – وكتب على الناس (وفادة البيت) أي زيارته، فهي (مكتوبة) أي واجبة بنص القرآن الكريم.

واخيراً استشهد بآية من القران الكريم تؤيد كل هذه النقاط، وهي قوله تعالى: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين ﴾ [١] فان التأمّل فيها يفيد كل ذلك.

وبالجملة: فقد ختم الامام علي عليه السلام هذه الخطبة بالاشارة إلىٰ الركيزة الثابتة في بناء المجتمع الاسلامي، وهي السنة النبوية في الحج الذي هو مؤتمر اسلامي سنوي، يتمكن المسلمون من مختلف اقطار الارض من الاجتماع فيه والبحث عن شؤونهم الحقيقية في الاقطار التي يعيشون فيها، والتخطيط لتأمين ما يفتقرون اليه من ثقافة، والتعرّف على عوامل القوة والضعف في المسلمين عامة. فان التواجد في الحج لأداء الفريضة يجعل المسلمين على صلة باخوانهم من القوميات الاخرى والحضارات التي عايشوها واختبروها في التاريخ، وأنّ أيّة اُمة لا تهتم بامورها العامة ـ على الاقل مرة في كل عام، وفي مؤتمر سنوي ـ لابد وان تبوء بالفشل في صيانة نفسها من الأعداء، وان تتقوّض بنفسها، فكيف إذا واجهت الهجمات الدعائية الشرسة ضدها.

(١) آل عمران: ٩٧

[الخطبة ٢]

وَمِن خطبةٍ لهُ عليه السلام بَعدَ انْصرَافِهِ مِنْ صِفّين[١]

وتتضمّن هذه الخطبة مقاطع في الحمد والصلاة والحالة العامة ودور آل يس ودور غيرهم. والخطبة أطول من المنقول، وقد انتقى منها الرضي هذه المقاطع خاصة لبلاغتها وكونها بعد الانصراف من حرب صفين، فتقتضي ان يكون عام ٣٧ هـ، وقد جاء في آخر ما انتقاه الرضي جملة: (الآن اذ رجع الحق إلىٰ أهله ونقل إلىٰ منتقله)[٢].

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ):«واعلم أن هذه الكلمات، وهي قوله عليه السلام : «الآن إذ رجع الحق إلى أهله...إلى آخرها»، يبعد عندي أن تكون مقولة عقيب انصرافه عليه السلام من صفين، لانه انصرف عنها وقتئذ مضطرب الامر، منتشر الحبل، بواقعة التحكيم، ومكيدة ابن العاص، وما تم لمعاوية عليه من الاستظهار، وما شاهد في عسكره من الخذلان، وهذه الكلمات لا تقال في مثل هذه الحال، وأخلق بها أن تكون قيلت في ابتداء بيعته، قبل أن يخرج من المدينة إلى البصرة، وأن الرضي رحمه الله تعالى نقل ما وجد، وحكى ما سمع، والغلط من غيره، والوهم سابق له، وما ذكرناه واضح».[٣]

قال الجلالي: هذه الجملة الاخيرة بظاهرها كما افاد ابن أبي الحديد، ولكن ملاحظة سياق ما قبلها والمخاطبين بهذه الخطبة تقتضى خلاف ذلك، فان افتتاح الخطبة بالشهادتين أمر مألوف، وذلك لأمور:

الاول: ان تفصيل أحوال الناس في الجاهلية تكاد تتطابق مع حالة ما بعد الحرب في

(١) «صفين» من بلاد الجزيرة، ما بين دجلة والفرات من أرض الشام، وهي اليوم قريبة من الرقة في سوريا، شمال مدينة حلب، وفي الرقة قبور شهداء صفين من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كعمار بن ياسر وأويس القرني وغيرهما من الصحابة والتابعين، في مقبرة البلد، وتعرف باسم "مقبرة ويس" كما يتلفظه العامة.
(٢) راجع نهج البلاغة، الخطبة:٢
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ١٤٣.

صفين، وآخر الأوصاف ان الارض (عالمها ملجم وجاهلها مكرّم).

الثاني: التأكيد على صفات آل البيت، التي منها: كونهم عيبة، ولكن كما تقدم من أن العالم ملجم، فهذا التأكيد يفتقر إليه عند الفتنة والاضطراب.

الثالث: وصف آخرين بزارعي الفجور وسقاة الغرور وحصّاد الثبور، ينطبق تماماً على أعدائه في صفين، المستخدمين لكافة الوسائل الموجبة للغرور، والمنتجة للتفوّق المادي، لان الغاية عندهم تبرّر الواسطة، وهذه النقاط كلها تخالف اساليب دعاة الحق اصحاب المبادىء المضحّين من اجلها، فعليّ عليه السلام يخاطب اصحابه الذين وجدهم على هذه الصفات ولم ينزلقوا في الفتنة لوضوح الرؤية عندهم.

(١/ ٢ ـ ط) الحمد والشهادة:

أَحْمَدُهُ[١] اسْتِتْماماً لِنِعْمَتِهِ، واسْتِسلاَماً[٢] لِعزّتِهِ، واسْتِعصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وأَسْتَعِينُهُ فاقةً[٣] إلى كِفَايَتِهِ، إنّهُ لايَضلُّ مَنْ هَدَاهُ، ولاَيَئِلُ[٤] مَنْ عَادَاهُ، ولايفْتِقرُ مَنْ كَفاهُ، فإنَّهُ[٥] أرجَحُ[٦] مَا وُزِنَ، وأفْضَلُ مَا خُزِنَ، وأشْهَدُ أنْ لاإلٰهَ إلّا الله وحْدَهُ لاَشَرِيك لَـهُ، شَهادَةً مُمْتَحَناً[٧] إخْلاَصُها، معْتقَداً مُصَاصُها[٨]، نَتَمَسّك بِها[٩] أبَداً مَا أبْقانَا، ونَـدَّخِرُهَا[١٠] لأِهَاوِيلِ[١١] مَا يَلْقَانَا؛ فإنَّهاعَزِيمَة الايمَان[١٢]، وَفَاتِحَةُ الإحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْـمنِ،

---

(١) في هـ.أ: أحمده: بمعنى أشكره.

(٢) في هـ أ: أي انقيادا، وفي هـامش آخـر: الاسـتسلام: الانـقياد للـفاقة والفـقر. وفـي هـ. د: واعتصاما ـ حاشية م.

(٣) في هـ. أ: أي حاجة.

(٤) في أ: ييئل، وفي ب: يأل، والصحيح ما اثبتناه عن الأصل، وفي هـ أ و ص: أي لاينجو.

(٥) في هـ.أ: الضمير في «فإنه» يرجع لمدلول «أحمد»، وفي هـ. أـ أيضاً ـ بل الضمير راجـع إلىٰ ما دلّ عليه قوله: «أحمده» من الحمد، علىٰ طريقة قولهم: من كذب كان شراً له.

(٦) في هـ.أ: أي أغلب.

(٧) في هـ.أ: أي مجربا.

(٨) في هـ.أ: أي خلاصتها، ومصاص كل شيء: خالصه.

(٩) في هـ.أ: أي كلمة الشهادة.

(١٠) في هـ.أ: الذخيرة: الخبيئة.

(١١) في هـ.أ: الأهاويل: الامور المخوفة التي يعظم اعتبار النفس لها.

(١٢) في هـ.أ: عزيمة الايمان: عقد القلب عليه.

ومَدْحَرَةُ[(١)] الشَّيْطَانِ.

استفتح الخطبة بالحمد لله سبحانه لأسباب سردها كما يلي:

١ - (استتماماً لنعمته) فان بنعمة الهداية تتم النعمة حقيقة.

٢ - (استسلاماً لعزته) فان الاستسلام لما يقدّره سبحانه اعتزاز بعزته الدائمة.

٣ - (استعصاماً من معصيته) فان في متابعة رضاه عصمة من المعاصي.

ثمّ عقّب ذلك بالاستعانة منه تعالى في الحرب وآثارها، وسرد لهذه الاستعانة، سببٌ واحد، هو الفاقة إلىٰ كفايته؛ فان التعبئة المعنوية في ظل الحرب من اهم ما يفتقر اليه المحارب، والافتقار إلىٰ الآلات الحربية وان كان ضرويا إلّا أنها تفقد مفعولها مع فقدان الروح المعنوية للحرب، وقد شرح أسباباً للافتقار إلىٰ كفاية الله سبحانه، هي:

١ - ان الله (لا يضلّ من هداه) فان الرؤية الواضحة من اهم ما يفتقر اليه في الحرب.

٢ - (ولا يئل من عاداه) أي لا ينجو العدوّ من محكمة التاريخ والحقيقة.

٣ - (لا يفتقر من كفاه) فان الفقر الروحي يستتبع الفقر المادي.

٤ - (إنه أرجح ما وُزن) فإن كفّتي الحق والباطل لا يتساويان في الرجحان على المدىٰ البعيد.

٥ - (أفضل ما خزن) فان المخزون المادي تصيبه يد الخيانة، بينما الثقة بالنفس بالرؤية الواضحة عن علم ووعي لا تؤثر فيها الدعايات والمخاوف؛ لعلم المحارب انه سوف ينال احدىٰ الحسنيين.

ثم ختم المقطع بالشهادة الاولىٰ بأنه لا اله إلّا الله وحده لاشريك له، وذكر من مواصفات هذه الشهادة:

١ - (ممتحنا اخلاصها) فان خلوص هذه الشهادة تظهر في جوّ الحرب، الذي فيه يتميّز المخلص من غيره.

(١) وفي هـ. أ: اي مبعدة، اي مطردة الشيطان، وفي هـ. أ ـ أيضاً ـ: المدحرة: تعجيل الدحر، وهوالطرد والإبعاد، وقيل: بناء المفعلة للسبب.

٢ – (معتقداً مصاصها) والمصاص: خالص الشئ، اذ في الحرب يظهر حقيقة الاعتقاد وصدقه.

٣ – (نتمسّك بها أبدأًما أبقانا) وحيث ان ساحة الحرب ساحة حياة أو موت، فالمعتقد بالشهادة الاولى يستمر في اعتقاده ما دام هو باق في ظل الحرب وما بعد الحرب.

٤ – (ندّخرها لأهاويل ما يلقانا) فانّ ويلات الحروب وأهوالها لا تغيب عن اذهان المحاربين، والفرق بين المخلص وغيره أنّ المخلص يدّخر الشهادة في هذه الحالات المهولة ولا يبدي جزعا منها.

٥ – (فانها عزيمة الايمان) فالعقيدة تتجدد بها.

٦ – (وفاتحة الاحسان) فان الشهادة بداية السير في طريق الاحسان.

٧ – (ومرضاة الرحمن) وبها تتحقق الارادة الالٰهية في خدمة الناس.

٨ – (ومدحرة الشيطان) فان الوسائل الشيطانية كلها تبوء بالفشل اذا ما كانت الشهادة الاولىٰ خالصة.

الشهادة الثانية:

وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولهُ، أرسَلَهُ بِالدينِ المَشْهُورِ، والْعِلْمِ المَأثُورِ(١)، والْكِتَابِ(٢) المَسطورِ، والنورِ السَّاطِعِ، والضّيَاءِ اللاَّمِعِ، والأمْرِ الصَّادِعِ(٣)، إزَاحَةً لِلشُّبُهاتِ، واحْتِجَاجاً بِالْبَيّناتِ، وتَحذيراً بِالآيَات، وتخْويفاً بالمَثُلاتِ(٤)

وفي الشهادة الثانية بنبوّة محمّد ﷺ ودعوته إلىٰ الله ورسالته إلىٰ الخلق، أشار إلىٰ صفاته التي حوتها كتب السيرة وبيان صفات ما ارسل به، وهي:

١ – (ارسله الله بالدين المشهور) بمعالم الكتاب والسنة.

---

(١) في ه.أ: المأثور : المختار أوالمنقول، وفي ه. أ ـ أيضاً ـ: المأثور: المقدم علىٰ غيره، والمنقول ـ أيضاً ـ.
(٢) في ه. أ: أي ما في اللوح المحفوظ.
(٣) في ه.أ: أي المبين.
(٤) في الأصل: للمثلات، وفي ه.أ: المثلات: جمع مَثُلَة ـ بفتح الميم وضم الثاء ـ وهي العقوبة.

٢ – (والعلم المأثور) فالاسلام كالراية الخفاقة ترفرف بين الاجيال بالرغم من دعايات الباطل.

٣ – (والكتاب المسطور) فهو مدوّن لتبقىٰ الثوابت الاصلية محفوظة.

٤ – (والنور الساطع) حيث لا يمكن للدعايات المشبوهة تشويه حقائق الاسلام إلىٰ الأبد.

٥ – (الضياء اللامع) فان الثوابت الاصيلة التي تبني المجتمع الاسلامي تؤثر في بناء المجتمعات الاخرى.

٦ – (والامر الصادع) والصدع: الظهور، فان أحكام الاسلام حقيقة ظاهرة لا يمكن تجاهلها.

٧ – (ارسله الله ازاحةً للشبهات) التي تسود المجتمعات الفاقدة للنظام الصالح.

٨ – (واحتجاجاً بالبينات) فالرسالة مقرونة بالحجة الواضحة.

٩ – (وتحذيراً بالآيات) ومن الحجج: الآيات التي تحققت في المجتمع على اثر فقدان النظام الصالح.

١٠ – (وتخويفاً بالمثلات) أي العقوبات؛ فانّ من خرج على النظام الصالح لابد وان تردعه عقوبات عادلة.

وهذه النقاط العشر تظهر المعالم الرئيسية للشهادة الثانية، التي بها قوام الاسلام.

(٢/ط-٢) حالة المجتمع:

و[١]النَّاسُ في فِتَنٍ[٢] انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدّينِ[٣]، وتَزَعْزَعَتْ[٤] سَوَارِي[٥] الْيَقين،

(١) في هـ.أ: «الواو» حال من «ارسله».
(٢) في هـ.أ: والفتنة: كل أمر صرف عن قصد الله وأشغل عنه؛ من وهوىٰ متّبع.
(٣) في هـ.أ: الجذم: القطع، انجذم: انقطع.
(٤) في هـ.أ: والزعزعة: الاهتزاز والاضطراب، وفي هـ.أ ـ أيضاً ـ: تحركت واضطربت، وفي هـ.د: و روي: و تزحزحت ـ ك.
(٥) في أ: سوار. وفي هـ.أ: والسواري: الأساطين.

واخْتَلفَ النّجْرُ(١)، وتَشَتّتَ الأمْـرُ، وضَـاقَ الَـمخْرَجُ، وعَـمِيَ المَـصْدَرُ(٢)، فَـالْهُدَى خَامِلٌ(٣)، والْعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرّحْمنُ، ونُصِرَ الشّيْطَانُ، وخُـذِلَ الإيـمَانُ فَـانهَارَتْ دَعَائِمُهُ(٤)، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ(٥)، ودَرَسَتْ سُبُلُهُ(٦)، وعَفَتْ شُرُكُهُ(٧)، أطَاعُوا الشّيْطَانَ فَسَلَكوا مَسَالِكَهُ، ووَردُوا مَناهِلَهْ(٨)، بِهِمْ سَارَتْ أعْلاَمُهُ، وقَام لِوَاؤُهُ، في فِتَنٍ دَاسَـتْهُمْ بأخْفافِهَا، وَوَطِئَتْهُمْ بأظْلاَفِهَا، وقَامَتْ عَلى سَنَابِكِها(٩)، فَهُمْ فِيهَا تَائهُونَ حَـائِرُونَ(١٠)، جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، في خَيْرِ دَارٍ وشَرِّ جِيرَان(١١)، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ(١٢)، وكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بأرْض عَالمها مُلْجَمٌ، وجَاهُلُها مكرَّم.

وفي المقطع استعراض لحالة المجتمع التي تستدعي رؤيـة واضـحة وقـرار حـازم لتحقيق النظام الصالح بالطرق السلمية، وإلّا فبالحرب لتحقيق العدالة، فالناس في ظـل هذه الحالة يعيشون:

١ – (الفتن)، وهي ما تستميل هوى الانسان فتكون امتحاناً له.

٢ – (انجذم حبل الدين) والانجذام: الانقطاع بلا نظام شامل يدين به المجتمع.

٣ – (وتزعزع سواري اليقين)، والسواري: الأعمدة، فلا تكون رؤية واضحة في حياة المجتمع.

(١) هـ. ص و أ: النجر: الأصل والطبع، أي اضطرب الاصل.
(٢) في هـ.أ: أي المرجع.
(٣) في هـ.أ: أي ساقط.
(٤) في هـ.أ: أي تهدّمت وسقطت.
(٥) في هـ.أ: المعالم: الآثار التي يعلم بها الشيُ ويستدل بها عليه.
(٦) في هـ. د: ودرست رسومه ـ حاشية م.
(٧) في هـ.أ: والشرك جمع شَرَك ـ بـفتح الشـين والراء ـ وهـومعظم الطـريق، وفـي هـأ وردت الكلمة هكذا: «شَرَكه».
(٨) في هـ.أ: اي مشاربه، وهي موضع شرب الماء.
(٩) في هـ.أ: أي أطراف مقدّم الحوافر، الواحد: السنبكة.
(١٠) في هـ.أ: أيّ متحيّرون.
(١١) في هـ.أ: المراد بخير دار: الشام؛ لأنّها الارض المقدّسة وأهلها القاسطون، وقال آخـرون: المراد بخير دار: العراق، وشرِّ جيران، يعني أصحابه المستسرح بهم للجهاد.
(١٢) في هـ.أ: أي خوفاً من الحرب.

٤ – (اختلاف النجر)، وهو الاصل، فكلٌ يعمل على هواه؛ لاختلاف الآراء من دون شورىٰ بينهم.

٥ – (تشتيت الأمر)، وهو نتيجة طبيعية للاختلاف، حيث يفرض كلٌّ رأيه الخاص.

٦ – (ضيق المخرج) بسبب الحالة السائدة للاختلاف السائد.

٧ – (عمي المصدر) الحقيقي للاصلاح؛ لغلبة المادة على العيون، فاصبحت العـيون عمياء.

٨ – (فالهدى خامل)، وطبيعي ان يخمل الهدى، حيث لا مساند له ولا معين .

٩ – (العمى شامل)، فان الأغلبية تؤثر في المجتمع، وتصبح القلة مهملة الأثر.

١٠ – (معصية الرحمان) بعصيان أوامره تعالىٰ.

١١ – (نصر الشيطان) الذي يؤمّن شهوات الانسان دون ما يمليه عليه عقله.

١٢ – (خذل الايمان) الذي يقيد الانسان بقانون عادل.

١٣ – (انهيار دعائم الايمان) وان بقيت طقوسه ومظاهره.

١٤ – (تنكرت معالمه) بحيث أصبحت المعالم فاقدة لحقيقتها.

١٥ – (درست سبله) فإن السبل الحقيقية اذا لم تسلك فسوف تفقد طريقيّتها بسبب الاهمال، وستتحول إلىٰ ساحات أو دور أو ما شابه.

١٦ ـ (عفت شركه)، والشرك هي الطرق العامة التي يشترك فيها الكل، فتنطمس معالم الطرق بسبب الاهمال.

١٧ ـ (أطاعوا الشيطان) وقد سرد انواع الطاعة للشيطان من دون اعلان لتلك الطاعة باللسان، بل بالعمل، وهي.

١٨ – (فسلكوا مسالكه)؛ فإنّ من تشبّه بقوم فهو منهم.

١٩ – (ووردوا مناهله) حيث استقوا من منابع الثقافة الشيطانية.

٢٠ – (بهم سارت أعلامه) فانهم لو لم يرفعوا أعلام الشيطان لما كان له ذكر وأثر.

٢١ – (وقام لواؤهُ) لا نهم رفعوا ألوية الشيطان قائماً.

٢٢ – (في فتن داستهم بأخفافها) فان دخول الناس في الفتن بـمنزلة الحـيوان ذات الخف حيث تدوس على ما تواجهه من دون تفريق بينهم، فاذا حصلت الفتنة عمّ بلاؤها الجميع.

٢٣ – (ووطئتم بأظلافها) والظلف للبقر والشاة، وأثر وطئه أخـف مـن الخـف، وإن اشتركا في الأثر.

٢٤ – (قامت على سنابكها) والسنبك: طرف الظلف، ويكون حادّاً عادةً، وبالنتيجة أشد تأثيراً.

وعامة الناس في هذه الحالة السائدة يفقدون الأمن والأمان والرؤية الواضحة للحياة والمسير نحو المستقبل، والقلّة التي تتمتّع بهذه الرؤية تكون محكومة بحكم الغالب وان كانت لاتشاركها في الموقف.

وهذه الحالة تنطبق تماما على حالة المجتمع بعد حرب صفين مباشرة، وقد سرد من أوصاف الناس في هذه الحالة بمايلي:

١ – (تائهون)، لعدم اتباعهم القائد المخلص المعروف بماضيه، لا بمواعيده.

٢ – (حائرون)، لكثرة مايسمعونه من المواعيد الخلّابة.

٣ – (جاهلون)، لعدم دراستهم التاريخ للتمييز بين المخلص وغيره.

٤ – (مفتونون)، بمظاهر المادة والماديات الملهية عن الرؤية الواضحة.

٥ – (في خير دار)؛ لان أرض الوطن مفعم بالخيرات الاقتصادية وغيرها.

٦ – (وشرّ جيران)؛ لان من يسكنها لايستخدمون طاقاتهم لأعمارها وبسط العـدل فيها.

٧ – (نومهم سهود)؛ والسهد: الارق وعدم النوم، وهذا كناية عن انهم لا راحة لهم في نومهم.

٨ – (كحلهم دموع) وفاقدة للزينة لديهم؛ لان الكحل المراد به الزينة، ولكي يبقي زينة للبصر لابد وان لاتدمع العين، فان الدمع يزيل أثر الكحل، وفـي التـعبير كـناية عـن ان

أفراحهم مآتمهم.

٩ – (فهم يعيشون على الارض كما تعيش الحيوانات)؛ لان العالم الواعي للأُمور من حيث الاسباب والنتائج هو عالم ملجم، كالحيوان الذي قد وضع في فـمه اللـجام مـن الحديد، فيكون مانعاً له عن الاكل، والعالم صاحب الرؤية الواضحة الذي لا يتمكن من اظهار الحق يكون كالملجم.

١٠ – (وجاهلها مكرّم)، لما يتمتع به من المادة والماديات وان كان فاقداً لمؤهلات التكريم.

وهذه هي الحالة السائدة في المجتمع بعد مواجهة آثار الحرب، وفي هذه الخطبة نرىٰ اسلوب تعبئة قائدٍ يخاطب القلة المغلوبة على أمرها من المـؤمنين بـقيادته، والكـثرة المتأثرة بالدعايات المضللة.

(٣/ط - ٢) آل محمّد عليهم السلام:

ومِنْهَا[١] ـ ويعني آلَ النّبي صلى الله عليه وآله ـ: مَوْضِعُ سِـرّه، وَلَـجَأُ[٢] أمْـرِهِ، وَعَـيْبَةُ عِـلْمِهِ، ومَوْئِلُ[٣] حِكَمِهِ، وكَهف[٤] كُتُبِهِ، وجِبَالُ[٥] دِينِهِ، بِهِمْ أقَامَ انـحنَاءَ ظَـهْرِهِ[٦]، وأَذهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه.

وانتقى الرضيّ من الخطبة ما يخصّ اهل البيت، وقد وصفهم بما يأتي:

١ ـ (هم موضع سرّه) فكما أنّ الرجل يضع أسراره عند اهل بيته، فكان اهل البيت النبي موضع سره، فقد بذلوا جهدهم في المحافظة عليها جيلاً بعد جيل.

٢ ـ (ولجأ أمره) والملجأ: المكان الذي ويلتجأ اليه عند الحاجة إلىٰ الحماية.

٣ ـ (وعيبة علمه) والعيبة: الوعاء؛ لانهم يحتفظون بتراث الآباء في الصدور والسلوك.

---

(١) في أ: منها.
(٢) في الأصل: وملجأ، وفي هامش الأصل: في نسخة: لجأ، وفي هـ. أ: أي وملجأ.
(٣) في هـ. أ: أي ومرجع.
(٤) في أ وب وط ود: وكهوف، وفي هـ.أ: كهف الجبل: البيت فيه.
(٥) في هـ.أ: ويرويٰ حبال ـ جمع حبلىٰ.
(٦) في هـ.أ: اي النبي صلى الله عليه وآله.

٤ ـ (وموئل حكمه) والموئل: المرجع، فيرجع اليهم في معرفة الاحكام الشرعية.

٥ ـ (وكهف كتبه) فان آثار النبي ﷺ محفوظة عند اهل بيته كالكهف الحصين.

٦ ـ (وجبال دينه) واهل البيت يحافظون على دين جدهم كالجبال المحافظة على خزائنها.

٧ ـ (بهم أقام انحناء ظهره) فان الدين ينحني ظهره بمحاربة الاعداء والمنافقين، والله سبحانه يقيم ذلك بأهل البيت، كما في الاحاديث بانه ﷺ قال: «يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين».

٨ ـ (وأذهب ارتعاد فرائصه) والفريصة ـ بالمهملة ـ: اللحمة بين الجنب والكتف، وارتعادها: اضطرابها الموجب لعدم الحركة؛ فإن اهل البيت بمداراتهم الحكيمة بالعلم العمل والتضحية بالنفس والنفيس محافظون على رسالة الاسلام الحقيقية التي بشّر بها جدهم النبي الاعظم ﷺ .

(٤/ط ـ ٢) اعداء آل محمّد:

ومِنْهاَ ـ يَعني قَوْماً آخَرين [١]ـ: زَرَعُوا الْفُجُورَ، وسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وحَصدُوا الثُّبُورَ[٢]. لايُقَاسُ[٣] بِآلِ مُحمَّدٍ ﷺ[٤] مِنْ هٰذِهِ الأمَّةِ أحَدٌ، وَلايُسَوّى[٥] بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أبَداً، هُمْ أسَاسُ الدّين[٦]، وعِمَادُ الْيَقينْ، إلَيْهِمْ يَفِيُ الْغَالِي[٧]، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التّالِي[٨]، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوَلاَيَةِ[٩] وفِيهِمْ الْوَصِية[١٠] والْوِرَاثَةُ، الآنَ إذْ رَجَعَ

---

(١) لم ترد «يعنى بها قوماً آخرين» في ب، وفي هـ.أ: اي الخوارج، اومعاوية عليه اللعنة وفي د: العبارة هكذا: «منهاالمنافقين».

(٢) في هـ.أ: أي الهلاكة.

(٣) في هـ.أ: القياس نسبة الشئ الىٰ الشئ وإلحاقه به في الحكم.

(٤) في ب: «عليهم السلام».

(٥) في الاصل: لايساوي، وفي هـ.أ: اي لايستوي.

(٦) في هـ.أ: اشارة الى ان لهم استقامة الدين، وثباته وتفرعه عنهم، كما يقوم البناء على أساسه.

(٧) في هـ.أ: اشارة إلى أن المتجاوز للفضائل الانسانية التي مدارها على الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة إلى طرف الافراط، يرجع اليهم ويهتدي بهم.

(٨) في هـ.أ: اشارة الى ان المقصر عن بلوغ هذه الفضائل المرتكب لطرف التفريط في تحصيلها، يلحق بهم عند طلبه لها، وبمعونة الله بالهداية إلى ذلك.

الحَقُّ[١١] إِلَى أَهْلِه، ونُقلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ».

وعلى النقيض من مواقف اهل البيت: مواقف من عنونهم في الشرح بالمنافقين، وقد ذكر لهم صفات ثلاث متلازمة، هي:

١ ـ (زرعوا الفجور) وهو العدول هو الحق.

٢ ـ (وسقوه الغرور) وهو ما يوجب الانخداع من الاباطيل.

٣ ـ (وحصدوا الثبور) وهو الهلاك.

فان المبدأ لهذه المسيرة هو الظلم بالعدول عن الحق، واستخدام وسائل الخداع والباطل، والنتيجة هو الهلاك للمجتمع الذي يتوجه إلىٰ هذا الاتجاه، وهذا يناقض مسيرة اهل البيت، فان المبدأ في مسيرتهم هو العدل والوسائل التي يستخدمونها هي وسائل الصراحة والحق، والنتيجة: التعايش السلمي في المجتمع بقانون الشورىٰ.

ونتيجة المقايسة بين الجانبين: انه لا يقاس بآل محمّد أحد من هذه الاُمة، للأسباب التالية:

١ ـ (هم أساس الدين) ورثوه من جدهم، كما ورثوا جينات النبيّ في دمائهم.

٢ ـ (وعماد اليقين) للرؤية الواضحة التي يتمتّعون بها.

٣ ـ (اليهم يفييءُ الغالي) فيرجع اليهم من هو غالٍ مفرط في الوصول إلىٰ حقائق الاسلام.

٤ ـ (وبهم يلحق التالي) الذي يتابع الطريق الموصل إلىٰ الحقيقة.

٥ ـ (وفيهم خصائص حق الولاية) والإمرة لاجتماع تلك الخصائص فيهم علما وعملاً.

٦ ـ (وفيهم الوصية والوراثة) فان أهل الرجل يحملون وصيته عادة ويرثون مخلّفاته.

---

(٩) في هـ.أ: اشارة الى أن ولاية امور المسلمين وخلافة الرسول ﷺ لها خصائص هي موجودة فيهم.

(١٠) في الأصل: الوصاية.

(١١) في هـ.أ: في نسخة: إذ الحق رجع.

وقد ختم المقطع ـ بعد ان سرد حالة المجتمع ودعاة الاصلاح والفساد ـ بان خاطب أصحابه المخلصين الذين استمروا في حرب صفين إلىٰ جانب الامام عليّ عليه السلام قائلاً: (الآن اذ رجع الحق إلىٰ أهله ونقل إلىٰ منتقله) حيث ظهرت للمجتمع نتائج الحرب التي استخدمها دعاة الفساد بوسائلهم، وزادت القلّة المؤمنة ـ ذات الرؤية الواضحة – ايمانا وثباتاً.

[الخطبة ٣]

ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية[١]

الشقشقية: نسبة إلىٰ شقشقة البعير، وهي ما يخرج من جانب فمه اذا هاج، وسميت الخطبة بذلك لورود هذه الكلمة فيها: اصبحت هذه الخطبة الشقشقية النقطة البارزة للاحتجاج على الخلافة مما أُدّى إلىٰ انكار نسبتها من بعض المخالفين، ولهذه الخطبة شروح خاصة [٢].

وصدق شيخنا السيد هبة الدين الشهرستاني (ت / ١٣٨٦ هـ) حيث رأىٰ ان الخطبة الشقشقية هي الحجة الوحيدة لمن انكر نسبة نهج البلاغة إلىٰ الامام علي عليه السلام ظناً أنّ ذلك اتهام لمن سبقه في الخلافة، وليس كذلك؛ فان الصحابة لم يدّع احد العصمة لهم، وقد خالف بعضهم الآخر في الفتيا والاجتهاد والامور الادارية، كما هو ثابت في الفقه والتاريخ، واختلاف الرأي لا يوجب جرحا في العقيدة ـ كلٌّ على حسب رأيه على الاقل ـ فله كل الحق في أن يبدي رأيه في موضوع الخلافة، كغيره من الصحابة، لكي يكون موضع النقد والتحليل، ومن الطبيعي ان يكون له رأي في الموضوع كسائر الصحابة، وخاصة انه تربّىٰ صغيراً مع النبي فكان اقرب الصحابة اليه علماً وسلوكا، واتفقت كلمة الصحابة على علمه وان اختلفت على سياسته، والخطبة تعبّر عن رأيه في ذلك.

(١/ط ـ ٣) مع الخليفة الأوّل (رض) (١١ ـ ١٣)

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا[٣] ابنُ أَبي قُحَافَةَ[٤]، وإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطبِ[٥]

---

(١) في هـ. ص: «الشقشقيّة» بكسر الشين.
قلت: وانما سميت بالشقشقيّة؛ لأنّه عليه السلام وصفها بأنّها شقشقة هدرت ثمّ قرّت.

(٢) راجع: الذريعة ١٣: ٢٢٥.

(٣) فيهـ. ص: قوله «تقمصها» أي لبسها، فهم يشبّهون الفضائل بالثياب، حيث لايقاوم من لبسها. وفي هـ.أ: الخلافة.

(٤) في أ وب ود: فلان، وفي هـ.أ: اي ابن أبي قحافة.

مِنَ الرّحَا، يَنْحَدِرُ(٦) عَنّي السّيْلُ، ولاَ يَرْقَى إلَيَّ الطّيْرُ، فَسَدَلْتُ(٧) دُونَهَا ثَوْباً، وطَوَيْتُ(٨) عَنْهَا كَشْحاً(٩) وطَفِقْتُ(١٠) أَرْتَئِي(١١) بَيْنَ أَنْ أَصُول(١٢) بِيَدٍ جَذّاءَ(١٣)، أَوأَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ(١٤) عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ(١٥) فِيهَا(١٦) الكَبِيرُ، ويَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، ويَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهْ(١٧)، فَرَأَيْتُ أنَّ الصّبْرَ عَلَى هَاتَا(١٨) أَحْجَى(١٩)، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذىً(٢٠)، وَفِي الْحلْقِ شَجاً(٢١)، أَرَى تُرَاثِي(٢٢) نَهْباً.

مرجع الضمير في (تقمّصها) في هذا المقطع هو الخلافة، وان لم يذكر فيها، مما يظهر

---

(٥) في هـ.أ: القطب: الذي تدور عليه الرحى.
(٦) في هـ. ب: هومن أوصاف الجبل والأماكن المرتفعة، وكنّى به عن علوشرفه مع فضله في العلوم والتدبير والسياسة.
(٧) في هـ. ص : قوله «فسدلت» يقول: صرفت عينيّ عنها، وفي هـ.أ: سدلت الثوب: أرخيته
(٨) في هـ. ص: قوله: «طويت» اي أجعت نفسي منها وزهدت فيها.
(٩) في هـ.أ: الكشح ـ بفتح الكاف ـ الخاصرة، وفي هـ. أ ـ أيضاً ـ: اي جنبا.
(١٠) في هـ.أ: أي جهدت افعل كذا طول النهار. وفي هـ. أ ـ أيضاً ـ: «طفقت»: أخذت.
(١١) في هامش الأصل قوله: «ارتائي» هوالنقل في الرأي. وفي هـ. ص ـ أيضاً ـ: اي أذكر وأتفكر، وجعلت ارتائي الأمر: إذا فكرت في الرأي.
(١٢) في هـ.أ: صال بنفسه على الامر: إذا كان يقوم ويدخل فيه، وفي هـ. أ ـ أيضاً: اي حمل عليهم.
(١٣) في هـ. د: بالجيم والحاء، وفي هـ. ص: وقوله: «جداء» بالجيم فالمهملة، وبالجيم والحاء فالمعجمة ـ اي المقطوعة، وفي هـ.أ: المقطوعة.
(١٤) في هـ. ص: وقوله: «طخية»، اى فتنة؛ لأنّهم كانوا يشبهّونه بما يدخن ويستر، ووصفها بالعمياء تاكيدا. وفي هـ. أ: الطخية: الظلمة، يقولون: ليلة مظلمة، وتركيب هذه الكلمة يدل على ظلمة الامور وانغلاقها، وكلمة «طخية» اي اعجمية لا تفهم. وفي هامش آخر منه: اي ليلة مظلمة. وفي هـ. ب: اي ظلمة والتركيب يدل على ظلمة وانغلاق، ومنه: كلمة طخية اي اعجمية لاتفهم.
(١٥) فيهـ.أ: «الهرم»: شدة [الطعن] في السن، وفي هامش آخر: يخرم
(١٦) في هـ.أ و ب: في نسخة: منها
(١٧) في هـ. د: يلقى فيها ربه ـ م.
(١٨) في هـ.أ: بمعنى هذه، وهاتي: لغة في هذه.
(١٩) في هـ. ص: وقوله «احجى» اي ادخل في باب الحجى. وفي هـ.أ: اي أعقل، وأحجى: أوْلىٰ بالحجى.
(٢٠) في هـ.أ: القذى هوما يتأذى به العين من غبار ونحوه.
(٢١) في هـ.أ: والشجي: ما ينشب في الحلق من غصة غبن أو غم من الفراق، وفي هـ. ب: ما نشب في الحلق من غصة غبن أو غم.
(٢٢) في هـ.أ: والتراث كالميراث، وهو اسم ما يورث.

سبق الاشارة إليها لفظاً ،باقتضاء الحال في مجلس الخطاب، حيث كان البحث في الخلافة، ويتضمّن هذا المقطع اُمورا:

١ ـ التقمّص، وهو تحمّل مسؤولية الخلافة كلبس الانسان القميص على بدنه، فيكون كاملاً على جسمه.

٢ ـ (فلان) تكنية عن الخليفة الاول (رض)، وفي نسخة ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) صرح بالكنية بقوله: (تقمّصها ابن أبي قحافة).(١)

٣ ـ علم الخليفة بمؤهلات عليّ بالنسبة إلىٰ الخلافة؛ ويدل على هذا العلم معرفته الكاملة بتاريخ حياة كل من النبي صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام منذ فجر الاسلام، فقد كان النبي أوّل من أعلن الاسلام، وكان عليّ أوّل من آمن به من الصبيان، وكان الخليفة أوّل من آمن به من الرجال، فهو على علم كامل بتواريخ حياتهم ومؤهلاتهم التي منها قوله:

٤ ـ (إنّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى) فكما أنّ الرحى لها قطب تدور عليه وبدونه لا يمكن أداء الدور المطلوب منه، فان عليٌّ بالنسبة إلىٰ الخلافة يكون قطبها، ولا تؤدي الخلافة بدونه الدور المطلوب، كما كان يؤديها من ينوب عنه الخليفة وهو النبي صلى الله عليه وآله.

٥ ـ (ينحدر عنّي السيل) فهو في قمّة الجبل الذي تنزل منه السيول لتسقي ما تمرّ به تحتها.

٦ ـ (ولا يرقى إليَّ الطير) لان قمم الجبال الشاهقة جداً لاتصل إليها الطيور، فلا تتعدىٰ همم الطيور، إلّا إلىٰ التلال والجبال غير الشاهقة.

٧ ـ (فسدلت دونها ثوبا) والسدل: الارسال والارخاء، وبالرغم من علمه بمؤهلات نفسه أعرض عن الخلافة بان جعل بينه وبينها ستاراً كالثوب.

٨ ـ (وطويت عنه كشحا) والكشح: ما بين الخاصرة والجنب، وطوى الكشح مثل، هو كناية عن الميل من جانب إلىٰ آخر بالإعراض عن الشيئ، والمعنى: الإعراض عن الخلافة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٥٠

٩ ـ (وطفقت أرتئي) والطفق: الابتداء والأخذ، والمعنى: رأيت نفسي بين الأخذ بأحد الخيارين الآتيين:

١٠ ـ (بين ان اصول بيد جذّاء)، والصولة: الوثبة بالسطوة والقهر، واليد الجذّاء: هي المقطوعة، وذلك اشارة إلىٰ خيار المعارضة المسلحة من دون ناصرٍ كافٍ.

١١ ـ (أو أصبر على طخية عمياء) والطخية: الظلمة، واذا اشتدت كانت عمياء، لا يعلم نتائجها؛ لانه بوفاة النبي ﷺ انفقدت القيادة المسموعة، وانجرّ الأمر في الخلافة إلىٰ آراء المعارضة بين المهاجرين والانصار في السقيفة من جانب، والى المرتدين من جانب آخر، ففي مثل هذه الحالة يكون الصبر على أمر مظلم جداً خيراً، وقد أشار إلىٰ آثار ثلاث لهذه الظلمة العمياء، هي:

١٢ ـ (يهرم فيها الكبير) حيث لم يسبق له الخلاف في صفوف المسلمين في حياة الرسول، بل كانت الاهداف متوجهة إلىٰ الأعداء، وقد ظهر الخلاف الحادّ بين المهاجرين والانصار في السقيفة لأوّل مرة، واحتمال مضاعفاتها تهرم الكبير.

١٣ ـ (ويشيبُ فيها الصغير) حيث لا يتوقّع هذه المضاعفات على مستقبل الدين ورسالة الاسلام.

١٤ ـ (ويكدح فيها مؤمن) برسالة الاسلام، والكدح: السعي لتحقيق الرسالة حسبما تسمح الظروف لمؤمن واحد أن يؤدّي ما عليه مادام حياً (حتىٰ يلقىٰ ربه) طاهر الضمير.

١٥ ـ (فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى) أي أولى، فكان قد رجحّ الخيار الثاني، وهو الصبر على مضض، وأشار إلىٰ أثرين من شدّة المضض، هما:

١٦ ـ (وفي العين قذىٰ) والقذى: ما يدخل في العين من جسم غريب يمنع عن الرؤية الواضحة.

١٧ ـ (وفي الحلق شجىً) وهو ما يدخل الحلق من جسم غريب يؤثر في عدم الأكل، وعن سبب هذا المضض قال:

١٨ ـ (أرىٰ تراثي نهبا) والتراث وهو ما يرثه الانسان، وكنىٰ عن الخلافة بالتراث لما

يرى أنها حق طبيعي له.

(٢/ط ـ ٣) مع الخليفة الثاني (رض) (١٢ – ٢٢):

حَتّىٰ مَضَىٰ الاوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَىٰ بِهَا[١] إلَىٰ عمر[٢] بَعْدَهُ، ثـم تـمثل بـهذا البـيتِ للأعشىٰ[٣]:

شَتَّانَ[٤] مَا يَوْمِي عَلَىٰ كُورِهَا[٥]

ويَوْمُ[٦] حَيَّانَ أَخِـي جَـابِرِ[٧]

فَيَا عَجَبَا! بَيْنَا هُو يَسْتَقِيلُهَا[٨] في حَيَاتِهِ، إذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَـعْدَ وَفَـاتِهِ، لشَـدَّ[٩] مَـا تَشَطَّرَا[١٠] ضَرْعَيْها[١١]، فَصَيَّرَهَا في حَوْزَةٍ[١٢] خَشْنَاءَ[١٣] يَغْلُظُ[١٤] كَلْمُهَا[١٥]، ويَخْشُنُ مَسُّهَا[١٦]، ويكْثُرُ الْعِثَار[١٧] فيهَا[١٨] والاْعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُها[١٩] كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ[٢٠]، إنْ

(١) في هـ. د: الى ابن الخطاب ـ ح و ض. وفي هـ.أ: ادلى فلان بكذا: اذا تقرب به والقاه.
(٢) في أ وب ود: فلان. وفي هـ.أ: أي عمر بن الخطاب.
(٣) في أ وب ود: بقول الأعشى. وفي هـ. د: «الاعشى» ساقطة من ح.
(٤) في هـ.أ: شتان: اي بعد، يعمل عمل الفعل وان كان اسماً، «وما يومي» فاعل شتان.
(٥) في هـ.أ: «الكور» قتب الناقة، وكور الناقة: رحلها.
(٦) في هـ.أ: عطف علىٰ "يومي".
(٧) في هـ.أ: شبّه عليه السلام تباعد ما بين اليومين: يوم الاستقالة ويوم الاستنابة بتباعد ما بـين يـومي الاعشى؛ يوم النعمة والسرور في مناومة حيان، ويوم الطواف في البلدان ومكابدة الأحزان.
(٨) في هـ.أ: الاقالة [فسخ] البيع ونحوه، والاستقالة طلب ذلك. وفي هـ. أـ أيضاً ـ اى يستقيلها الله.
(٩) في هـ.أ: شدّ الأمر: اي صعب وعظم.
(١٠) في هـ. أ: اي تقاسما، وأخذ كلٌّ شطراً، وهوالبعض.
(١١) في هـ.أ: اي الخلافة.
(١٢) في هـ. د: ناحية خشناء ـ ر، وفي هـ. أ: اي في ناحية، والحوزة: الطبيعة.
(١٣) في هـ. ب: كنىٰ بها عن طباع عمر؛ فإنها كانت توصف بالجفاوة والغلظة في الكلام والتسرّع في الغضب.
(١٤) في هـ. د: يعظم ـ ر.
(١٥) في هـ.أ: الكلم ـ بفتح الكاف ـ: الجرح.
(١٦) في هـ. د: يجفو مسّها ـ ك.
(١٧) في هـ.أ: [العثار: يقال:] عثر: إذا أصاب رجله في المشي حجرا ونحوه.
(١٨) لم ترد «فيها» في ص.
(١٩) في هـ. أ: أي صاحب الخلافة.
(٢٠) في هـ.أ: أي الممتنعة.

أشْنَقَ(١) لَها خَرَمَ(٢) ، وإنَّ أسْلَسَ(٣) لَهَا تَقَحَّمَ(٤)، فَـمُنِي النّـاسُ(٥) ـ لَـعَمْرُ اللّـهِ(٦) بَخبْطٍ(٧) وشِمَاسٍ(٨)، وتلوّن(٩) وَاِعتراضٍ(١٠)، فَصَبَرْتُ على طُوْلِ المُدّةِ وشدّةِ الْمِحْنَةِ، حَتَّى إذَا مَضَى لِسَبِيْلِهِ جَعَلَها في ستة(١١) زَعَمَ أنّي أحَدُهُمْ(١٢)، فَيَاللهِ لِلشورَى(١٣)، مَتَى اعْترَضَ الرّيْبُ في مَعَ الأوَّلِ مِنْهُمْ حَتّى صِرْتُ أُقْرَنُ إلَى هذِهِ النّظَائِرِ؟!، لَكِنّي اسْفَفْتُ(١٤) إذْأسَفّوا، وَطِرْتُ إذْطَارُوا، فَصَغَى(١٥) رَجُلٌ(١٦) مِنْهُم لِضِغْنِهِ(١٧)، وَمَالَ الاخَرُ(١٨) لِصِهْرِهِ، مَعَ هَنٍ وهَنٍ(١٩).

---

(١) في هـ.أ: اي جذب الزمام إلى نفسه، شنق الناقة بالزمام واشنق لها: أخذ الزمام وجذبه اليه.
(٢) في هـ. أ: أي قطع.
(٣) في هـ. أ: أي أرخى.
(٤) في هـ. أ: أي أدخل في المهالك.
(٥) في هـ.أ: أي إبتلى الناس.
(٦) في هـ. أ: أي أقسم بالله.
(٧) في هـ.أ: اي الذهاب عن غير اهتداء، أوالحركة في غير إستقامة. وسير في غير جادة.
(٨) في هـ.أ: الشِماس بكسر الشين: النفار والاضطراب.
(٩) في هـ.أ: اي مشي علىٰ غير استواء، وفي هامش آخر: والتلوّن.
(١٠) في هـ. د: بتلوّنٍ واعتياض ـ حاشية م . وفي هـ. أ: الاعتراض: المشي في عرض الطريق خابطا، وفي هـ. أ ـ أيضاً ـ: الاعتراض: هوضرب من التلوّن، وأصله المشي في عرض الطريق خابطا.
(١١) في بعض النسخ: «جماعة» بدل «ستة»، وفي هـ.أ: اصحاب الشورى هم ستة نفر؛ وهم: طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن ابي وقاص، وعثمان، وعليّ.
(١٢) في هـ. ص: اي أنّي مساولهم في استحقاقها.
(١٣) في أ و ب و د و ط : وللشورى. وفي هـ.أ: والشورى اختيار شيء من غير أمر معين، وفي هـ. أ ـ أيضاً ـ: التشاور والشورى كالنجوى، مرادف للمشاورة.
(١٤) في هـ. ص: أسف الطائر: إذا قارب الارض في طيرانه. وفي هـ.أ: دنوت وقاربت.
(١٥) في هـ.أ: اي مال، والصغو بكسر الصاد وسكون العين ـ: الميل.
(١٦) في هـ. ص: قال في الشرح: طلحة، وقد روي انه لم يحضر، وقيل: سعد بن أبي وقاص.
(١٧) في هـ.أ: سعد بن أبي وقاص وفي هـ. أ ـ أيضاً ـ: هوسعد بن أبي وقاص الزهري
(١٨) في هـ. د: فمال رجل واصغى آخر لصهره ـ ك، وفي هامش. ص و هو عبد الرحمان بن عوف؛ لأنّ اخت عثمان كانت زوجته، وفي هـ.أ: الضغن ـ بكسر الصاد و سكون العين و فتحها ـ ايضا ـ: الحقد، والاصهار المتحرمون بجوار أو نسب كالزوج... و عن الخليل: انه لايطلق إلاّ على من كان من أهل المرأة.
(١٩) في هـ. ص: اي مع امور يكنّىٰ عنها ولايصرّح بها، واكثر ما يكنّىٰ به عن المستقبح . وفي هـ.أ: [يتلفظ] بها العرب في الامور العظيمة، وأصله: هنو، وهوكناية عن هني وهنّي. وفي هـ. أ ـ أيضاً ـ: هن على وزن اخ، كلمة [تطلق] كناية عن شيء، وأصله: هنو، يقولون: هذا

وفي هذا المقطع اشـارة إلىٰ نـقل الخـلافة مـن الخـليفة الاول(رض) إلىٰ الخـليفة الثاني(رض) وانطباع عليّ عليه السلام عن مرحلة الانتقال والخلافة والشوریٰ.

وقد جاء التكنية (بفلان) عن الخليفة الثاني ،وفي نسخة ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦هـ) صرّح بالكنية بقوله (فادلى بها إلىٰ ابن الخطّاب)(١)

وقد تمثّل بقول الأعشىٰ للإشارة إلىٰ الفرق الشاسع بين دور كل من الخليفتين(رض) في أمر الخلافة، فان الخلافة كانت في مهدها في عصر الخليفة الاول (رض) وهو عصر اضطراب بين المهاجرين والانصار في السقيفة من جانب، وبين المسـلمين واصـحاب الردة من جانب آخر، والخلافة في دور الخليفة الثاني (رض) كانت ممّهدة له، لاصوت للمعارضة الداخلية ولا الخارجية فيها، والبيت من قصيدة الاعشى الكبير، أعشى قيس، وهو أبو بصير: ميمون بن قيس بن جندل، من أصحاب المعلقات في الجاهلية، وقد ادرك الاسلام وتوفي في السنة السابعة للهجرة في اليمامة ـ قرب الرياض اليوم ـ وشتان: بمعنى بَعُدَ، والكور: الرحل المستخدم على البعير، وحيان وجابر أخوان، وهـما ابـنا السـمين الثقفي، وكان حيان صاحب شراب ومعاقرة وخمر، وكان نديم الاعشى، وكان أخوه جابر أصغر منه سنا.

يقول الأعشى: الفرق كبير بين يوميَّ، حيث أسير على رحل الناقة في الرمضاء، وبين يوم حيان الذي هو في سكرة الشراب. قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/٦٥٦هـ): «يقول اميرالمؤمنين عليه السلام: شتّان بين يوميَّ من الخلافة مع ما انتقض عليّ من الأمر ومنيت به من انتشار الخيل واضطراب اركان الخلافة، وبين يوم عمر؛ حيث وليها على قاعدة ممهّدة وأركان ثابتة، وسكون شامل ، فانتظم امره واطرد حاله وسكنت أيامه»(٢).

وفي هذا المقطع امور:

١ ـ (فأ دلىٰ بالخلافة) والادلاء: الدفع عن قـصد ورغـبة، كـإلقاء الدلو فـي البـحر

هنك.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦٢.

(٢)شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦٨

لاستخراج الماء.

٢ ـ التعجّب من هذا الادلاء، وقد ذكر لهذا التعجب أمرين لا يجتمعان معاً، لأن احدهما يناقض الآخر، وهما:

٣ ـ (بينما هو يستقيلها في حياته) حيث قال الخليفة الاول (رض): «أقيلوني فلست بخيركم» أو «وليتكم ولست بخيركم» وهذا صريح في كونه ليس خيراً، وهذه الاستقالة بالكلام لم يطبّق عمليا، وهذا موجب للعجب.

٤ ـ (اذ عقدها لآخر بعد وفاته) حيث أوصى بالخلافة كتابة للخليفة الثاني (رض) مع ان النبي ﷺ لم يكتب الوصية ولم يعتمد المشاركون في السقيفة على الوصية، فيكون كتابة الوصية خرقا لما تقدم في السقيفة، وهذا أيضاً موجب للعجب.

٥ ـ (لشدّ ما تشطّر ضرعيها) وقد مثّل هذه الحالة الموجبة للعجب بالبقرة الحلوب التي تحلب من جانبي ضرعها، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «وللناقة اربعة اخلاف، خلفان قادمان وخلفان آخران، وكل اثنتين منهما شطر، (وتشطّر ضرعيها) اي اقتسما فائدتها ونفعها، والضمير للخلافة، وسمّى القادمين معاً ضرعاً، وسمّى الآخرين معاً ضرعاً، لما كانا لتجاورهما ولكونهما لا يحلبان إلّا معاً كشيءٍ واحد».(١)

وعن مصير الخلافة في هذا الدور أشار إلىٰ أنّهُ:

٦ ـ (صيّرها في حوزة خشناء) والحوزة: الجهة والناحية، وخشونتها من جهة الغلظة في شخصية الحاكم، قال طلحة: «قد وَلَّيت علينا فظّاً غليظاً يفرق منه النفوس وتنفض عنه القلوب»(٢).

٧ ـ (يغلظ كلمها) والكلم: الجرح، وغلظ الجرح: تضاعفه، ويعني استخدام سياسة الشّدة.

٨ ـ (ويخشن مسّها) اي يؤذي ويضرّ وينكي من يمسّها، أي ينتقدها.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٧٠ .
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦٤ .

٩ ـ(ويكثر العثار فيها) كالتعثّر في الطريق الكثير الحجارة، لان سياسة الشدّة تستلزم عادة المبادرة في القرارات للردع، وطبيعيّ ان يكثر التعثّر في المبادرات.

١٠ ـ (يكثر الاعتذار منها) حيث سرعان ما يظهر الخطأ في المبادرة في الحكم، فيوجب الاعتذار بنقض الحكم والرجوع عن الفتيا السابق معتذراً من الخطأ.

ثم اشار إلىٰ ردود الفعل تجاه هذه الحوزة من أصحابها ومن عامة الناس، وابتدأ بالصحابة ومثل بهم بمن يستخدم شيئاً من دون تمرين.

١١ ـ (فصاحبها كراكب الصعبة) فإن صاحب هذه الحوزة والناحية الادارية كمن يركب الناقة الصعبة، وهي ما تركب لاول مرة ولم تمرّن للركوب من قبل، فان الراكب عليها يجب ان يصحبها بكامل الحيطة والحذر، وذلك لانه:

١٢ ـ(ان اشنق لها خرم) والشنق: الجذب بالزمام، والخرم: القطع.

١٣ ـ(وان أسلس لها تقحّم) والاسلاس: الارخاء، والتقحّم: الهلاك، كل ذلك بسبب عدم تمرّن الناقة لحمل الراكب، وكذلك حال من يصحب هذه الحوزة الخشناء التي لم تتمرّن على اعباء الخلافة، ومن هذه الوصف يستكشف ان دور الخلافة قبل هذه الحوزة كان دوراً متمرّنا للخلافة، لذلك انتفت فيه صفات هذا الحوزة الخشناء، واشار إلىٰ ردّ الفعل من عامة الناس بقوله:

١٤ ـ(فمني الناس ـ لعمر الله ـ) بأمور تكون نتائج طبيعية لخشونة الحوزة، وهي:

ـ(الخبط بالسير) على غير مقياس واضح يهتدى به، لعدم وضوح الرؤية في القيادة.

ـ (شماس) وهو إباء الفرس عن ركوب الفارس عليه، وهي كناية عن اهمال اوامر القيادة.

ـ(تلّون) فكل حالة تتلوّن بلون خاص حسب مقتضىٰ الحالة التي فيها.

ـ(الاعتراض) وهو باستخدام ما يمنع عن تحقيق الاوامر الخشنة.

وعن موقعه هو بالذات، قال:

١٥ ـ (فصبرت على طول المدّة وشدّة المحنة) حيث لم يكن له خيار يراه صائباً

سوى الصبر، وان كانت المدة والامتحان شديداً لما يراه من المـصلحة العـليا للاسـلام والمسلمين.

وختم وجهة نظره عن دور الخليفة الثاني (رض) في أُخريات حياته بقوله:

١٦ ـ (حتىٰ اذا مضىٰ لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم) ولم يورد الأسماء، وقد ذكرت كتب التاريخ انهم كانوا ستّة ، وهم:

١ ـ الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد الأسدي (ت / ٣٠هـ).

٢ ـ سعد بن أبي وقاص، مالك الزهري (ت / ١٨هـ).

٣ ـ طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التميمي (ت / ٣٦هـ).

٤ ـ عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري (ت / ٣٢هـ).

٥ ـ عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُميّة الأموي (ت /٣٥هـ).

٦ ـ عليّ بن أبي طالب بن عبد مناف بن عبد المطلب الهاشمي (ت / ٤٠ هـ).

١٧ ـ (فيا لله وللشورىٰ) وقد عبّر بهذه الجملة عن نظرته الاجمالية من الشورىٰ التي يدعوا فيها الله سبحانه لتقييمها تقييما عادلاً، قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «اللام في (الله) مفتوحة واللام في و (للشورىٰ) مكسورة، لان الاولى للمدعو والثانية للمدعّو اليه»(١).

ثم ذكر السبب في رفع الدعاء إلىٰ سبحانه بقوله:

١٨ ـ (متى اعترض الرّيب فيّ مع الاول منهم ؟!) والسياق يقتضي ان المراد الخليفة الاول (رض) والسبب في نفي الريب تاريخ حياته في الاسلام صغيراً، والاهتداء بهدي الرسول صلى الله عليه وآله كبيراً.

١٩ ـ (حتىٰ صرت أُقرن إلىٰ هذه النظائر) فان المقارنة بين تاريخ حياته وتاريخ حياة هؤلاء الخمسة من أصحاب الشورىٰ يكشف بوضوح الفرق بين ادوارهم في المواقـف الحاسمة في نصر الاسلام، وان كانوا جميعاً ممن خدم الاسلام كـلٌ حسب دوره؛ فـان

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٤ .

الخمسة جميعاً لا يتمتعون بما انعم الله على عليّ من السبق إلىٰ الاسلام والتربية في ظل النبي، والمباشرة مع النبي في الجهاد المتواصل في غزواته.

ولكن ذلك لم يدفعه إلىٰ التطرّف في الموقف، بل اتخذ الموقف الذي يساند مصلحة الوحدة الاسلامية، فقال:

٢٠ ـ (لكنّي أسففت اذ اَسفوا، وطرت إذ طاروا) والإسافة: الدنوّ إلىٰ الارض، والمعنى انه لأجل المحافظة على وحدة الكلمة وبالرغم من بعض المؤاخذات الشخصية سكت عن كل ذلك حفظاً للمصلحة الاسلامية العليا.

وقد لخص مؤاخذته على امر الشورىٰ بقوله:

٢١ ـ (فصغا رجلٌ منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهنٍ) الصغو: الميل، والضغن: الحقد، والصهر: القرابة بالسبب، وهنٍ: الغرض الذي يكره ذكره، فانه لم يفصّل المؤاخذات لانها (هنٍ وهنٍ) اي يكره ذكرها، ولكنه أشار إلىٰ سببين، هما: الضغينة، اي الحقد، والميل لوصلة المصاهرة، وليست في هؤلاء الخمسة صلة المصاهرة سوى بين اثنين، هما: عبد الرحمن بن عوف، الذي تزوّج اخت الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) من طرف الام.

واما الضغينة فهي شائعة في العادات القبائلية، ومن ينسىٰ دور عليّ في الحروب التي خاضها ضد المشركين العرب.

ولا يمكن معرفة طبيعة هذه الكلمات بدون معرفة قصة الشورىٰ بكاملها، فراجع المعجم، واكتفي هنا ـ على خلاف العادة ـ بايراد مانقله ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في جماعة الشورىٰ، قال مانصّه:«ثم قال لهم : انهضوا إلى حجرة عائشة فتشاوروا فيها : ووضع رأسه وقد نزفه الدم ، فقال العباس لعليّ عليه السلام : لا تدخل معهم ، وارفع نفسك عنهم ، قال : إني أكره الخلاف ، قال : إذن ترى ما تكره ، فدخلوا الحجرة فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم ، فقال عبد الله بن عمر : إن أمير المؤمنين لم يمت بعد ، ففيم هذا اللغط ! وانتبه عمر ، وسمع الاصوات ، فقال : ليصل بالناس صهيب ، ولا يأتين اليوم الرابع من يوم موتى

إلّا وعليكم أمير ، وليحضر عبد الله بن عمر مشيرا وليس له شئ من الامر وطلحة بن عبيد الله شريككم في الامر ، فإن قدم إلى ثلاثة أيام فأحضروه أمركم ، وإلّا فارضوه ، ومن لي برضا طلحة ! فقال سعد : أنا لك به ، ولن يخالف إن شاء الله تعالى . ثم ذكر وصيته لابي طلحة الانصاري وما خص به عبد الرحمن بن عوف من كون الحق في الفئة التي هو فيها، وأمره بقتل من يخالف ، ثم خرج الناس فقال عليّ عليه السلام لقوم معه من بني هاشم : إن أطيع فيكم قومكم من قريش لم تؤمروا أبدا . وقال للعباس : عدل بالامر عنّي يا عمّ . قال : وما علمك ؟ قال : قرن بي عثمان . وقال عمر: كونوا مع الاكثر ، فإن رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ، فسعد لايخالف ابن عمه ، وعبد الرحمن صهر عثمان لايختلفان ، فيوليها أحدهما الآخر ، فلو كان الآخران معي لم يغنيا شيئا ، فقال العباس : لم أرفعك إلى شئ إلّا رجعت إلي مستأخرا بما أكره».[١]

(٣/ط ـ ٣) مع الخليفة الثالث (رض) (٢٣ ـ ٣٥):

إلَى أنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْم[٢]، نافِجاً[٣] حِضْنَيْهِ[٤] بَيْنَ نَثِيلِهِ[٥] ومُعْتَلَفِهِ[٦]، وقامَ مَعَهُ بَنُوأبِيهِ[٧]، يَخْضِمُونَ[٨] مَالَ اللهِ[٩] خَضْمَ[١٠] الإبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيْعِ، إلَى أن انْـتَكَثَ[١١] فَتْلُهُ[١٢]، وأجْهَزَ[١٣] عَلِيْهِ عَمَلُهُ، وكَبَتْ بِهِ مَطِيَّتُهُ[١٤].

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ١٩١.
(٢) في هـ.أ: وهو عثمان بن عفان.
(٣) في هـ.أ: اي نافخا، والنفج قريب من النفخ.
(٤) في هـ.أ: الحضن: الجنب ما بين الإبط والخاصرة، وفي هـ. أ ـ أيضاً ـ: اي الصدر والعضلات وما يليهما. [قلت:] اى رافعا لهما، اويقال للمتكبر: نافج حضنيه وذلك ايضا لمن ملأ بطنه من الطعام والشراب.
(٥) في هـ. ص: هو روثه.
(٦) في هـ. ص: موضع العلف، وفي هـ.أ: اى بين مطعمه ومنكحه.
(٧) في هـ.أ: اي بنوأميّة.
(٨) الخضم: الاكل بجميع الفم، وقيل: المضغ بأقصى الأضراس، يقال هوقضم ـ بكسر الضاد...
(٩) في أ وب زيادة: تعالى.
(١٠) في ط: خضمة.
(١١) في هـ. أ: انفض. وفي هـ. أ ـ أيضاً ـ: انتفض.
(١٢) في د: عليه قتله، وفي هـ. د: الىٰ ان انتكث قتله ـ ض وح.
(١٣) في هـ.أ: أجهز أسرع قتلَه فعلُه.

وفي هذا المقطع اشارة إلىٰ احداث الفتنة التي دارت في خلافة الخليفة الثالث (رض) ودور بني أُميّة فيها، وقد ذكر في هذا المقطع الأُمور التالية:

١ ـ (إلى أن قام ثالث القوم) اي القيام بمسؤولية الخلافة، والتعبير بثالث القوم إشارة إلىٰ وحدة نظراتهم في تحديد المسؤوليات الملقاة على عواتق الخلفاء.

٢ ـ (نافجا حضنيه) النفج: هو الرفع، والحضن: ما بين الابط والسرة من الجانبين، وهو كناية عن التكبّر، حيث يستعلى بهذه الاعضاء إلىٰ الاعلى ترفّعاً، وقال الشارح: ان المراد: «امتلاء بطنه طعاماً»، وذلك مستلزم تكرار ما يأتي في المقطع التالي، فهما يعبران عن كثرة المال والطعام.

٣ ـ (بين نثيله ومعتلفه) النثيل: روث الحيوانات، والمعتلف: مخزن العلف لها، وذلك كناية عما عنى به من الاولويات في هذه الادارة الجديدة مما لم يعهد فيما سبق من أدوار الخلافة.

٤ ـ (وقام معه بنو أبيه) وهم بنو أُميّة، حيث ساندوا الخليفة الثالث (رض) على اساس قبلي عرقي بحت:

٥ ـ (يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع) وهذه السياسة المالية الخاطئة في بيت مال المسلمين صار مبعث الفتنة، والخضم: الاكل بكلّ الفم، وضدّه: القضم؛ فان الابل في الربيع تقدم على اكل نبات الربيع بملئ الأفواه بعد افتقادها في الشتاء.

٦ ـ (الى ان انتكث عليه فتله) الانتكاث: هو الانتقاض، والفتل: الحبل الملوي، فان الخطأ في السياسة المالية في بيت مال المسلمين بالرغم من استحكامها إدّى إلىٰ انتقاضها.

٧ ـ (وأجهز عليه عمله) والاجهاز: القتل، فان لكل عمل ردّ فعل، وكان ردّ الفعل للسياسة المالية هذه الثورة من قبل غوغاء الناس التي أدّت إلى قتل الخليفة الثالث (رض).

---

(١٤) كذا في ص وفي أ وب وط : بطنته.

٨ ـ (وكبت به بطنته) الكبت: السقوط، والبطنة: الاسراف في الشبع على اثر كثرة الموارد الاقتصادية وعدم الاتزان بضوابط السنة النبوية في توزيعها، وقد شرحها ابن أبي الحديد(ت / ٦٥٦ هـ) بتفصيل، فراجع.[١]

(٤/ ط ـ ٣) **خلافة الامام عليّ** عليه السلام:

فَما رَاعَنِي[٢] إلاّ والنَّاسُ إلي[٣] كَعُرْفِ الضّبُعِ[٤]، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كلّ جَانِبٍ، حَتّى لَقَدْ وُطِيءَ الْحَسَنَانِ[٥]، وَشُقَّ عِطْفَايَ[٦]، مُجْتَمِعينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ[٧].

وفي هذا المقطع إلىٰ آخر الخطبة إشارات إلىٰ خلافة عليّ عليه السلام التي استمرت حوالي خمس سنين، وكان أقصر الخلافات خلافة أبي بكر (رض) (١١ ـ ١٢) حوالي سنتين، ثم خلافة عمر (رض) (١٣ ـ ٢٣) حوالي عشر سنين، ثم خلافة عثمان (رض) (٢٣ ـ ٣٥) حوالي اثني عشر سنة. ولم يمت أحد منهم موتة طبيعيّة سوى الخليفة الاول (رض)، ولم تكن سياسات الخلفاء موحّدة. لامدنيّاً ولا عسكريا ولا مالياً، وبينما الخليفة الاول (رض) أوصي بالخلافة لعمر (رض) امتنع الخليفة الثاني من الوصية وجعلها شورىٰ لجماعة خاصّة كلهم من قريش، بينما الشورىٰ الاسلامية التي سنّها الرسول صلى الله عليه وآله القائد في حياته لم تكن مشروطة بطبقة قبلية خاصّة، ولذلك اختلفت سياستهم الفكرية والمالية، ويلاحظ ان علياً عليه السلام ركّز على هذه الثابتة الاسلامية في مبدأ الشورىٰ الاسلامي كأولوية

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٩٧
(٢) في هـ.أ: اي ما أخوفني، أوما أعجبني.
(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي ط: كعرف الضبع إلي.
(٤) في هـ.أ: شبّههم بعرف الضبع لكثرتهم؛ لان الضبع ذات عرف كثير، والعرب تشبّه [بالضبع] لكثرة عرفها.
(٥) في هـ.أ: أراد الحسن والحسين عليهما السلام، ويروى أنّه أراد الابهامان، وهذا المعنى أليق، روي ان أمير المؤمنين عليه السلام انما كان يومئذ جالسا محتبئاً، وهي جلسة رسول الله صلى الله عليه وآله المسماة القرفصاء ـ وهي جمع الركبتين وجمع العطف، وهوالذيل ـ فاجتمعوا عليه وزاحموه حتى وطئوا ذيله وابهامه من تحته معهما، ولم يعن الحسن والحسين عليهما السلام وهما رجلان كبيران كسائر الناس.
(٦) في د: عطافي، وفي هـ.أ: عطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه.
(٧) في هـ.أ: اي مأواها، أحاطوا بي بحيث لم يمكنني الخروج من بينهم، احاطة الربيضة بالغنم.

في سياسته، وفي هذا المقطع اشار إلىٰ آثارها الاتية:

١ ـ (فما راعني إلّا والناس كعرف الضبع إليّ) اشارة إلىٰ الانتخاب الجماعي للجماهير لخلافة علي عليه السلام، وبذلك اختلفت خلافته عن الوصية بالخلافة كما فعل الخليفة الاول (رض) وعن حصر الانتخاب بطائفة خاصةٍ كما فعل الخليفة الثاني (رض)، وقوله: (وما راعني) اي ما وصل سمعي نبأ بالخلافة إلّا والجماهير قد توجّهت اليّ، وعبر عن كثرتها بـ(عرف الضبع)، والعرف: الشعر النابت على العنق. والضبع يعرف بكثرة ذلك، ويضرب بذلك المثل في الازدحام.

٢ ـ(ينثالون عليّ من كلّ جانب) ينثالون: اي يتتابعون في كثرة من الجوانب المختلفة التي تمثل شرائح المجتمع، وهذا الانتخاب الطبيعي لم يكن محصوراً في قبيلة خاصة أو طائفة خاصة.

٣ ـ (حتىٰ لقد وطيء الحسنان) والظاهر ان المعنيّ هو ولداه: الحسن والحسين، وهما في عام ٣٥ حوالي في الثلاثين من العمر، وهما في كمال القدرة، ولكن كثرة الازدحام للوصول إلىٰ عليّ بالبيعة كان له ذلك الاثر على حياتهما.

٤ ـ(وشقّ عطفاي) والعطفان: الجانبان من المنكب إلىٰ الورك، والشق: الخدش علىٰ اثر الاصطكاك.

٥ ـ (مجتمعين حولي كربيضة الغنم) ولم يكن هذا التوجّه الجماهيري عابراً، بل مستمراً حيث اصبح المزدحمون مجتمعين حوله كما تجتمع الغنم حول الراعي ينتظرون خطواته كي يسيروا عليها، كالربيضة، اي القطيعة التي تجتمع بين يدي الراعي.

وهذا النوع من الانتخاب الجماهيري لم يحصل في عهد أي خليفة قبله، فان الخليفة الاول (رض) واجه الانشقاق بين المهاجرين والانصار في السقيفة، ولم يشرك احداً في انتخاب من بعده، بل أوصىٰ بالخلافة لعمر (رض)، والخليفة الثاني حصر الانتخاب في جماعة خاصة كلهم من قريش، ولم يشرك الجماهير في الانتخاب قط.

ولم يعهد لهذا النوع من الانتخاب الجماهيري إلّا في عهد النبي صلى الله عليه وآله.

(٥/ط ـ ٣) المسؤولية:

فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأمْرِ نَكَثَتْ[(١)] طَائِفَةٌ، ومَرَقَتْ[(٢)] أُخْرَى، وَقَسَطَ[(٣)] آخَرُونَ[(٤)]، كأَنَّهُمْ لم يَسْمَعُوا اللهَ سبحانه[(٥)] يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدّارُ الآخِرَةُ نجْعَلُهَا لِلّذَينَ لايُرِيدُونَ عُلُوّا في الأرْضِ وَلاَ فَسَاداً والْعَاقِبَةُ لِلْمُتّقينَ﴾[(٦)] بَلَى ـ وَالله ـ لَقَدْ سَمِعُوهَا ووَعَوْها[(٧)] وَلَكنّهُمْ حَلِيَتْ الدُّنْيَا[(٨)] في أعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِ جُهَا[(٩)].

في هذا المقطع شرح للمسؤولية التي تحمّلها في تطبيق كتاب الله وسنّة رسوله، دون سواهما، وما ترتب على ذلك من المعارضة وأسبابها، وقد اشار إليها في نقاط هي:

١ ـ (فلمّا نهضت بالامر) كما يقتضيه الواجب الاسلامي من العمل بالكتاب والسنة.

٢ ـ (نكثت طائفة) والنكث: نقض العهد، والطائفة الناكثة هم اصحاب الجمل، حيث بايعوا عليا ثم نقضوا البيعة، وانتهت بحرب الجمل في البصرة عام ٣٦ هـ.

٣ ـ (ومرقت اخرى) والمروق: الخروج من العقيدة، والطائفة المارقة هم اصحاب النهروان، الذين خرجوا على عليّ بعد قضية التحكيم، وانتهت خروجهم بحرب النهروان عام ٣٧ هـ.

٤ ـ (وقسط آخرون) والقسط ـ هنا ـ: الجور عن الحق، والخروج على الامام،

---

(١) في هـ. د: نكصت طائفة، بالصاد ـ ك. وفي هـ.أ: اراد بالناكثة طلحة والزبير ومن معهما بحيث نقضوا عهد بيعته.

(٢) في هـ.أ: أراد بهم الخوارج حيث أخبر النبيّ ﷺ عنهم بقوله: «إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

(٣) كذا صحح في هـ. ص، ولكنه في ص و ب و د: وفسق.

(٤) في هـ. ب ما مضمونه: الناكثون هم طلحة والزبير، والمارقون هم خوارج النهروان، والقاسطون هم أصحاب معاوية.

(٥) كلمة: «سبحانه» لم ترد في ص. وفي ط و هـ. د: كلام الله ض وب وح.

(٦) القصص: ٨٣.

(٧) في هـ.أ: اي حفظوها.

(٨) في هـ.أ: اي تزينت.

(٩) في هـ. د: اراقهم زبرجها ـ م، وفي هـ.أ: الزبرج ـ بكسر الزاء والراء ـ: الزينة. أي وأعجبهم زخرفها، وهوماله ظاهر جميل وباطن بخلاف ذلك، واصل الزبرج: الغيم الذي لاماء فيه، فهويغري ظاهره ولاخير فيه.

والطائفة القاسطة هم أصحاب صفين، والذي انتهىٰ امرهم بحرب صفين عام ٣٨ هـ

واما عن سبب الحروب:

فقد خاض عليّ عليه السلام هذه الحروب التصحيحيّة للرجوع إلىٰ الكتاب والسنة في السياسة المدنية والمالية وغيرها، وقد ذكر أنّ السبب الرئيسي لهذه الانحرافات في نقض العهد والخروج من العقيدة والبغي، هو ضعف الثقافة الاسلامية فكريا وعدم تطبيقها عملياً، فقال:

(كأنّهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه حيث يقول: ﴿ تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ [١]).

فان هذه الآية لا تعني بالدار الآخرة يوم القيامة؛ لانها حاصلة للناس أجمعين؛ فان تخصيصها بمن لايريد علوّاً في الارض ولا فساداً، تعني: العاقبة الحسنة في هذه الدنيا.

وبالجملة: فالحياة العادلة في هذه الدنيا لاتكون إلّا لمن يطبّق العدالة فيها، والعدالة انما تتحقق بعمودين هما: المساواة (لايريدون علوّاً) والصلاح (عدم الفساد) كما شرحته في أوضح البيان، فليراجع.[٢]

ثم استدرك على ذلك بانهّم (سمعوها ووعوها)ولكن عوامل الضعف قد تسربت في الامة الاسلامية لبعدها من سنّة الرسول صلى الله عليه وآله، وقد أشار إلىٰ أمرين لهما تأثير شديد في الانحراف، هما:

١ ـ (حليت الدنيا في أعينهم) وفي ذلك اشارة الى أنّ هذا الحلاء امر خيالي ظاهري لا حقيقة له.

٢ ـ (راقهم زبرجها) والزبرج: الزينة، ويجمع الامرين (حبّ الدنيا)، وصدق الرسول القائد صلى الله عليه وآله حيث قال: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة».[٣]

(٦/ط ـ ٣) سياسة واضحة:

---

(١) القصص: ٨٣

(٢) راجع كتاب «أوضح البيان فى تفسير القرآن» للمؤلف

(٣) راجع به كتاب «أوضح البيان في تفسير القرآن» للمؤلف

أَمَا وَالّذي فَلَقَ الْحَبّةَ، وَبَرَأَ[(١)] النّسَمَةَ[(٢)]، لوْلاَ حُضُورُ الْحَاضِرِ[(٣)]، وقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجودِ النّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلى الْعُلَمَاء أنْ لايُقَارُّوا[(٤)] عَلى كِظّةِ[(٥)] ظَالمٍ وَلاسَغَبِ مَظْلُومٍ، لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا[(٦)]، وَلَسَقَيْتُ آخرهَا بِكأسِ أوّلِهَا، وَلأَلْفَيْتُمْ[(٧)] دُنْيَاكُمْ هَذِهِ عِنْدِي أهون[(٨)] مِنْ عَفطَةِ[(٩)] عَنْزٍ.

وأعلن في هذا القسم من الخطبة عن سياسة واضحة صريحة تبتني على رؤية واضحة في الحياة في أن تكون الخلافة في خدمة العدالة، دون العكس، في نقاط، هي:

١ ـ (أما، والذي فلق الحبّة) افتتح المقطع بالقسم بالله العظيم الذي فلق الحبة وانبت النبت والزرع للخلق أجمعين (وبرأ النسمة) البرء: الخلق، والنسمة: المخلوقات، وفي ذلك اشارة إلىٰ الصلة الوثيقة بين خلق الله ومنافعهم في مخلوقات الله من المنابع الاقتصادية.

ثمّ سرد الأسباب الموجبة لتطبيق السياسة النبوية، بقوله:

٢ ـ(لولا حضور الحاضر) اي حضور من أتى بالبيعة الجماهيرية بالوصف الذي تقدّم.

٣ ـ (وقيام الحجة بوجود الناصر) والحجة هو المسؤولية التي وجبت بعد تحقّق أسبابها، ومن اسبابها وجود الناصر من

الجيش في دور خلافة، وكان فاقداً لذلك من قبل، بل كان مجذوّاً.

---

(١) في هـ. أ: اي خلق.

(٢) في هـ.أ: النسمة: ذي روح للانسان، وقد يستعمل في ماعداه من الحيوان.

(٣) في هـ.أ: يعني ان الفرض يعيّن ويوجد لوجد من ينتصر به على دفع المنكر ودفع الباطل، وبه [يدفع اعتراض] من لا علم له، من ان القعود في اول الامر والنهوض في حرب الجمل وما بعدها لفقد الانصار اولاً وحضورهم ثانياً.

(٤) في هـ. أ: في نسخة: يقرّوا، اي يرضوا، والمقارّة: إقرار كل واحد حقّه على الآخر وتراضيهما به.

(٥) في هـ.أ: اي البطنة: الامتلاء من الطعام.

(٦) في هـ.أ: الغارب: أعلى العنق وأعلى كتف الناقة.

(٧) في هـ.أ: اي لوجدتم.

(٨) في أ وب وط ود: أزهد عندي، وفي هـ أ، في نسخة: اهون. وفي هـ أ: «أهون» اي اقلّ من الزهيد، وهوالقليل.

(٩) في هـ.أ: العفطة من الشاة كالعطسة من الانسان، وقيل: هي الجيفة. وفي هـ. أ ـ أيضاً: العفطة: عطسة اوضرطة، وعفطة عنز يحتمل معنيين: أي نثرت بأنفها كما ينثر الحمار، وعفطت: ضرطت.

٤ ـ (وما أخذ الله على العلماء) فان العالم مسؤول يؤاخذ بعلمه، والجاهل يعذر لجهله ان كان قاصراً، فالعلم في نفسه يوجب التحرّك على مقتضاه، والعمل على طبقه، وقد ذكر مصداقين بارزين لهذه المسؤولية، هما:

الاول: (ألا يقارّوا على كظّة ظالم) والكضة: الشبع من اموال الظلم؛ فان القرار على ذلك ظلم ينافي العدالة الاجتماعية التي أمر بها الاسلام.

الثاني: (ولا سغب مظلوم) والسغب: الجوع الذي يعيشه المظلوم في حياته بسبب الظلم الوارد عليه، والمقيّد لحريته.

ومرجع الامرين إلىٰ شيء واحد، إلّا أنهما يفترقان بأن الاول هو استنكار الظلم بالطرق الكفيلة لاستخدام الطاقات في طرق غير ظالمة للشعب، بل عائدة على الجميع، وأنّ الثاني مساعدة المظلوم للخروج عن حالته الاجتماعية، على النقيض مما يستخدمه الظالمون من اتباع سياسة التجويع.

وأكد أخيراً على ان الهدف من تسلّم الحكم لابد وان يكون سعادة المجتمع ككل، باستئصال جذور الظلم التي تنبع من الاحتكار والتجويع والتبعية المطلقة، ولولا تحقق هذا الهدف لما كانت أية قيمة معنوية لهذا الحكم، حيث ان بهذا الهدف امتياز الحكم الاسلامي النبوي على سائر الحضارات في عصره، ولذلك صرّح بالنقاط التالية:

١ ـ (لألقيت حبلها علىٰ غاربها) اي تركت الخلافة كالسفينة بدون ربّان لها، والغارب: أعلى السفينة.

٢ ـ (ولسقيت آخرها بكأس اولها) اي التزمت بالسياسة المتّبعة من قبل حرفاً بحرف.

٣ ـ (ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز) والعنز: اي الماعز من الحيوان، والعفطة للعنز: كالعطسة للانسان، وسيرة عليّ عليه السلام في حياته الشخصية والاجتماعية والسياسية كانت خير دليل على صدق هذه المقالة، ومن سبر التاريخ لا يجد الدنيا إلّا متاع الغرور، ومنبع شرور، أعاذنا الله منها.

(٧ / ط ـ ٣) مقاطعة الخطبة:

قالُوا: وقامَ إلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ السَّوَادِ(١) عِنْدَ بُلُوغِهِ عليه السلام(٢) إلى هذَا المَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ، فَنَاوَلَهُ كِتَاباً، فأقْبَلَ يَنْظُرُ فِيه(٣)، فلمّا فرغ من قراءته(٤) قَالَ لَهُ ابْنُ عَبّاس رحمة اللهُ عَلَيه(٥): يَا أمير المؤمنِينَ، لَو اطَّرَدْت(٦) مقالتك(٧) مِنْ حَيثُ أفْضَيْتَ(٨)؟

فَقال عليه السلام(٩): هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبّاسٍ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ(١٠) هَدَرَتْ(١١) ثمَّ قَرَّتْ.

قال ابنُ عَبّاسٍ: فَوَاللهِ مَا أسِفْتُ عَلَى كلاَمٍ قَطّ كأسَفِي عَلى ذلك(١٢) الْكلاَمِ، أنْ لاَيكونَ أمير المؤمِنينَ عليه السلام بَلَغَ مِنْهُ حَيثُ أرَادَ(١٣).

ويظهر من هذا المقطع الأخير اُمور:

١ ـ ان الخطبة لم تكن للعامة، بل كانت في مجلس ذكر فيه أمر الخلافة في محضر من الامام عليّ عليه السلام، وربما في داره، أو في رحبتها، حيث اجتمع به المقرّبون من أصحابه، ولم يكن ذلك في المسجد العام حيث تلقىٰ خطب الجمعة والعيدين، وذلك:

أولا: (قام إليه رجل من أهل السواد) ويعني به العراق، وتعريف الرجل بانه عراقي يكشف عن ان اهل العراق كانوا يتميّزون عن غيرهم بهيئتهم الخاصة.

ثانيا: كان العراقي صاحب حاجة، وهي اجابة مسائله، ولم يكن يرد سوى قضائها، ولم يكن يهمّه البحث القائم حول الخلافة، والناس أعداء ما جهلوا.

---

(١) في هـ. ص: السواد سمي سواداً لخضرته بالزروع والأشجار، فلما رأت العرب حين فتحوا العراق قالوا ما ذلك السواد؟ فغلب عليه.
(٢) لم ترد: «عليه السلام» في ط ود.
(٣) في هـ. أ: في نسخة: ينظر اليه.
(٤) في هـ. د: «فلما فرغ من قرائته» ساقطة من ب وح.
(٥) في ط: رضي الله عنه، ولم ترد في أ وب ود: عبارة الترحيم أوالترضية.
(٦) في هـ.أ: اي استمررت.
(٧) في ط و هـ. د: خطبتك ـ ص وب.
(٨) في هـ.أ: اي انتهيت.
(٩) لم ترد: «عليه السلام» في ط ود.
(١٠) في هـ.أ: الشقشقة: لهاة البعير، ويقال للخطيب: ذوشقشقة.
(١١) في هـ.أ: اي غلت، وفي هـ. أ ـ ايضا ـ: هدر البعير هديراً: ردّد صوته في حنجرته.
(١٢) في ط وهـ. د: هذا الكلام ـ ض وح.
(١٣) هـ. د: ما اراد ـ م.

ثالثا: ان ابن عباس ـ وهو مدنيّ ـ كان يهمّه أمر الخلافة، فكان الوحيد من المستمعين الذين طلب مواصلة الخطبة (لو اطردت خطبتك من حيث افضيت) والاطراد المتابعة، والافضاء: الانتهاء، ولوكان الامام راغبا في الموضوع لتابع من دون طلب.

رابعا: إن الامام عليه السلام امتنع عن المتابعة واصفاً خطبته تلك بانها (شقشقة هدرت ثم قرّت) والشقشقة حالة غير طبيعية للجمل والناقة، حيث تهاج ثمّ تصدر صوتا خاصاً بالهيجان، ثم تهدأ، مما يكشف عن ان خطبة الامام كانت تعقيبا على بعض المؤاخذات من المشتركين في المجلس، وفوّت الامام الفرصة على من أراد الفتنة.

خامسا: ان ابن عباس، وهو السياسي المحنّك أظهر الأسف (ألا يكون أمير المؤمنين بلغ منه حيث أراد) وقد كان في مجرى الاحداث، وله كلمات ناصحة حسب اعتقاده في يوم السقيفة ويوم الشورىٰ وما بعدها، فلماذا الأسف الآن بعد فوات الأوان؟ وربما كان امتناع الامام من المتابعة من أجل ما ذكرناه آنفاً.

وقد ختم الرضي هذه الخطبة بما يأتي:

[قال الرضي رحمه الله](١).

قوله عليه السلام في هٰذِهِ الْخُطْبَةِ: «كَرَاكِبِ الصّعْبَةِ إنْ أشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وإن أسْلَسَ لَهَا تَقحَّمَ»، يُرِيدُ أَنَّهُ إذَا شَدَّدَ عَلَيْهَا في جَذْبِ الزِّمَامِ وَهِيَ تُنَازِعُهُ رأْسَهَا خَرَمَ أَنْفَهَا، وإنْ أَرْخَى لَهَا شَيْئاً مَعَ صُعُوبَتِهَا تَقَحّمَتْ بِهِ فَلَمْ يَمْلِكْهَا. يُقَالُ: «أشْنَقَ النّاقَةَ» إذَا جَذَبَ رَأْسَهَا بِالزّمَامِ فَرَفَعَهُ، وَشَنَقَهَا أيْضاً، ذَكَرَ ذٰلِك ابْنُ السّكِيّتِ في «إصْلاحِ الْمَنْطِقِ».

وإنّمَا قَالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «أشْنَقَ لَهَا» وَلم يَقُلْ: «أشْنَقَهَا»؛ لأنّهُ جَعَلَهُ في مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ: «أَسْلَسَ لَهَا»، فَكَأَنّهُ قَالَ: إنْ رَفَعَ لَهَا رأسَهَا، بِمَعْنَى أَمْسَكَهُ عَلَيْهَا بِالزَّمَامِ، وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطَبَ عَلَى نَاقَتِهِ وَقَدْ شَنَقَ لَهَا فَهِيَ تَقْصَعُ بِجِرّتِهَا.

وَمِنَ الشَّاهِد عَلَى أَنَّ «أَشْنَقَ» بِمَعْنَى «شَنَقَ»، قَوْلُ عديّ بن زَيْدٍ الْعبَادِيّ:

سَاءهَا مَا لَهَا تَبيَّنَ في الأيدِى وإشْنَاقهَا إلَى الأعْنَاقِ.

---

(١) من ط.

[الخطبة ٤]

ومن خطبة له عليه السلام

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ(١) في الظّلْمَاء، وتَسَنّمْتُمُ(٢) الْعَلْيَاء(٣)، وَبِنَا انْفَجَرْتُم(٤) عَنِ السّرَار(٥)، وُقِرَ(٦) سَمْعٌ لم يَسْمَع(٧) الْوَاعِيَةَ(٨)، كَيْفَ(٩) يُرَاعِي النّبْأَةَ(١٠) مَنْ أَصَمَّتْهُ الصّيْحَة(١١)، رُبِطَ(١٢) جَنانٌ(١٣) لم يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ(١٤).

مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ(١٥) عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، (١٦) وأَتَوَسَّمُكُمْ (١٧) بِحِلْيَةِ(١٨) الْـمُغْتَرِّينَ.

---

(١) في ه.أ: يخاطب قريشاً، وروي ان أمير المؤمنين خطب هذه الخطبة بعد ان قتل طلحة والزبير.

(٢) في ه. أ: اي ركبتم السنام، اي علوتم الرتبة العليا بنورنا، أي كنتم خاملي الذكر فتشرفتم بنورنا.

(٣) في ط: ذروة العلياء: وفي ه.أ: اي بتلك الهداية وشرف الاسلام علاقدركم وشرف ذكركم.

(٤) في ط: اي خرجتم عن ظلمة الكفر والفجور والفسق، ودخلتم في فجر الدين عن ظلمة الجهل.

(٥) في المطبوعة: السرار: آخر الليل من الليالي التي لاتظهر القمر فيها، استعارة عن الظلمة، وقد استعار عليه السلام السرار لما كانوا فيه من الجهل في الجاهلية وخمول الذكر.

(٦) في هـ. أ: اي صمّت اذن لم تفهم الصيحة ولم تتدبر العبر.

(٧) في أ و ب و ط و د: لم يفقه.

(٨) في ه.أ: الواعية: الصيحة العظيمة.

(٩) في ط ود : وكيف.

(١٠) النبأة : الصوت الخفي.

(١١) في ه.أ: الصيحة: الصوت الشديد.

(١٢) في هـ.أ: اي ثبت، ويروى: «ربط» معلوماً ومجهولاً، وفي هـ ، د: وروي : «ربطٌ» ، على ما لم يسمّ فاعله.

(١٣) في ه. ص: اي ان القلب ملازم الخشية لمقام الله مربوط عليه، وفي ه.أ : ربط جنان، اي ثبت، فلان رابط الجأش، اي شديد القلب. لايربط نفسه على الفرار، اي ربط وثبت قلباً أن يخفق من خوف العقاب.

(١٤) في ه.أ: اي التحرك من خشية الله، دعاء لمؤمن يكون قلبه ابداً على خوف ووجل.

(١٥) في ه.أ: اي انتظروا فتن تغشاكم.

(١٦) في ه.أ: اي الخزي والفضيحة.

(١٧) في ه.أ: اي أتفرّسكم.

(١٨) في ه.أ: اى علامة وصفة.

سَتَرَنِي[(١)] عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدّينِ[(٢)]، وَبَصَّرَنِيكُمْ[(٣)] صِدْقُ النّيّةِ[(٤)].

أَقَمْتُ[(٥)] لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْـحَقّ فـي جَـوَادّ الْـمَضَلّةِ؛ حَـيْثُ تَـلْتَقُونَ[(٦)] ولاَدَلِـيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ[(٧)] ولاتُمِيهُونَ[(٨)].

اَلْيَوْمَ انْطِقُ لَكُم الْعَجْماء[(٩)] ذَاتَ الْبَيَانِ.

عَزَبَ[(١٠)] رأيُ امْرِىءٍ تَخَلَّفَ عَنّي، مَا شَكَكْتُ في الْحَقّ مُذْ أُرِيتُهُ.[(١١)]

لميُوجِس[(١٢)] مُوسَى عَلَيْهِ السّلاَمُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ[(١٣)]، [بَلْ][(١٤)] أشْفَقَ[(١٥)] مِـنْ غَلَبَةِ الْجهّال ودُوَلِ الضّلاَلِ.[(١٦)]

---

(١) في ط ود: حتّىٰ سترني.

(٢) في هـ.أ: اي حجابة، وهوقولكم: «لا إله إلاّ اللّه» وكلمة الشهادة.

(٣) اي اعرفكم ولاتعرفوني، [فإن] المؤمن ينظر بنور الله.

(٤) في هـ.أ: اي لصدق من نيتي.

(٥) في هـ.أ: يعني اني مقيم علىٰ طريق الحق في جواد لايضل فيه الطريق، ولوطلبتم بعد رسول الله هادياً غير لما وجدتم.

(٦) في هـ.أ: اي تجتمعون.

(٧) في هـ.أ: اي تحفّزتم.

(٨) في هـ.أ: اي لاتصلون الىٰ الماء هـ.د: ولاتمهون ـ حاشية م.

(٩) في هـ.أ: قيل المراد: الكلمات العجماء، أراد ما ذكر في ضمن هذه الخطبة عن السر الكامن بالحيوان، فانه يكون للناظر فيها اعظم الفوائد، فهي ذات بيان عند اعتبارها، وفي هـأ ـ أيضاً العجماء صفة موصوف محذوف، اي الكلمات العجماء، عنى بها ما ذكر في هذه الخطبة من الأمور، وتشبيهها بالعجماء من الحيوان: انه لانطق لها في الحقيقة، ومع ذلك يستفيد النـاظر منها أعظم الفوائد، فهيٰ ذات بيان، كما قيل: الامور الصامتة الناطقة، هـي الدلائـل المـحيّرة والعبر بالمواعظ. وقيل: هي بيان الحال والقرائن الشاهدة، أوالأدلة والبراهين.

(١٠) في هـ.أ: اي بعد عن الحق. وفي هـ.د: غرب ـ ض.

(١١) في هـ.د: من رأيته ـ م.

(١٢) في هـ.أ: الوجس: نزعة القلب. وفي هـأ ـ أيضاً: أي هجس وأحسّ.

(١٣) المقصود التنبيه على ان الخوف الذي عرض موسىٰ عليه السلام، لميكن نفسه، بل انه خـاف مـن غلبة أهل الجهل الذين يقتدى بهم.

(١٤) كلمة «بل» من ط ود، ولمترد في النسخ المخطوطة.

(١٥) في هـ.أ: اعلم ان «اشفق» من افعل، فهوصفة «لخـيفة»؛ لأنّ الاشـفاق خـوف، والتـقدير: لميوجس موسى اشفاقاً علىٰ نفسه، بل أشفق من غلبة الجهال. وفي هامش آخـر: أي كـان فعل ماض معناه: خاف.

(١٦) في هـ.أ: دول: جمع دولة الضلال، اي فرعون وقومه، وفي هـ.د: دولة الضلال ـ حاشية م.

الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا(١) **عَلَى سَبِيلِ الْحَقّ والْبَاطِلِ. مَنْ وَثِقَ بِمَاء لم يَظْمَأ**(٢).

استعرضت هذه الخطبة مقاطع ثلاث هي: مسؤولية اهل البيت النبوي، ودور أمير المؤمنين باعتباره أكبرهم، والقرار الصائب في الحالة التي اقتضت الخطبة، وهي نتيجة حرب الجمل عام ٣٧هـ

(١ / ط - ٤) اهل البيت:

يتضمّن المقطع الاول مسؤوليات أهل البيت، وعدّ منها:

١ ـ الهداية إلىٰ الثوابت الاسلامية الأصيلة التي يفتقر إليها كل مسلم، حيث تسود الظلماء ولا يتمكن الانسان المسلم من الرؤية الواضحة لاتخاذ القرار الصائب.

٢ ـ العمل بالتقدم نحوالأعلى (تسنّمتم ذروة العلياء) كما يتسنّم الانسان في المركب، أي يصعد إلىٰ السنام؛ فان الرؤية الواضحة للمسيرة يجعل الانسان أعلى ثقافة ومعرفة، وأصوب قراراً.

٣ ـ (وبنا انفجرتم عن السرار) السرار: آخر ليلة من الشهر، حيث يحصل فيها المحاق، ويختفي القمر. والإنفجار: ايجاد الفجر، ويعني صنع التاريخ، حيث ان الاعداء أرادوا وأد الصحوة الاسلامية في الامة باشغالها في الحروب الداخلية، وقد قضىٰ الامام على هذه الفتنة قبل استعار أوارها، وذلك بتكريم السيدة عائشة (رض) وارجاعها إلىٰ مسكنها في المدينة المنورة.

٤ ـ (وقر سمعٌ لم يفقه الواعية) الوقر: الصّم، والفقه: الفهم، والواعية: الصرخة، فان دور اهل البيت في هذه الحرب كانت صرخة عالية بالالتزام بالثوابت الاسلامية في العلم والسلوك والانضباط، بحيث لولم يفقهها الانسان لابدّ وأن يكون أصمّاً لا يسمع شيئا من

---

(١) في هـ.أ: الخطاب لمقابليه في القتال، والمراد: تواقفتم على سبيل الحق وانتم علىٰ سبيل الباطل.

(٢) في هـ.أ: تنبيه علىٰ وجوب التقيد بهﷺ وبما عنده،اي توافقم عليّ لكنتم اقرب الى الهدىٰ واليقين فيّ، وكنىٰ بالماء عمّا يشتمل عليه من العلم بكيفية الهداية الىٰ الله تعالىٰ، فإنّه الذي لاظمأ معه.

مسيرة الاحداث.

٥ ـ (وكيف يراعي النبأة من أصمّته الصيحة !) والنبأ: الصوت الخفّي كما يحصل للأنبياء؛ فان من الطبيعي أن لا يسمع الصوت الخفي من هو أصم عن سماع الصيحة، لذلك فانّ من لم يتقيّد بهذه الثوابت الواضحة لا يمكن ان يصل إلىٰ دقائق الأُمور التي دفعت المسلمين إلىٰ هذه الحرب.

٦ ـ (ربط جَنان لم يفارقه الخفقان) والجنان: القلب، وربطه: شدته في الشدائد، حيث يكثر الخفقان بسبب أهوال الحرب، فيكون ملازما للانسان غير مفارق له ما دامت الحرب قائمة.

وهذه النقاط تؤكّد على الافتقار إلىٰ القيادة الحكيمة التي تعي اسباب الحرب ومضاعفاتها ونتائجها، والخطوات الحكيمة اللازمة لافشال خطط العدوّ، وكانت القيادة في التصدي لحرب الجمل لاهل البيت عليهم السلام.

(٢/ط ـ ٤) مضاعفات الحرب:

وفي المقطع الثاني بيّن المضاعفات التي لا يخلومنها الحرب، وهي:

١ ـ (ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر) فان في الحرب ـ التي هي ساحة الامتحان ـ تظهر حقيقة المتحاربين المشاركين من الطاعة للقيادة، والالتزام بالانضباط العسكري في الجيش الموالي، وكذلك في الجيش المعادي، فيظهر المنافقون على حقيقتهم للتنصّل من المشاركة الفعّالة بأنفسهم.

وقال الشارح (ت/ ٦٥٦ هـ): «وقيل: إنّ هذه الخطبة خطبها بعد مقتل طلحة والزبير مخاطبا بها، لهما. ولغيرهما من امثالهما، كما قال النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر بعد قتل من قتل من قريش: يا عتبة بن ربيعة...»(١).

٢ ـ (وأتوسّمكم بحلية المغترّين) التوسّم: التفرّس، والحلية: الصفة، فهو عليه السلام قد وجد صفات المغترّين في البعض بسبب الدعايات الباطلة من الاعداء.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١٠.

٣ ـ (حتىٰ سترني عنكم جلباب الدين) فالجلباب: الثوب؛ فان الثابتة الاسلامية هو البراءة حتىٰ تثبت الجريمة، فالدين ساتر ومانع عن المؤاخذة على التوسّم والصفات، ما لم يتلبس الانسان بما يخالف القانون الاسلامي.

٤ ـ (وبصّرنيكم صدق النية) فان المغترّ بالدعايات الباطلة لايزال على النية الصادقة، والدين هو الذي يحكم بان (الأعمال بالنيّات) ولا يصل إلىٰ هذه الحقيقة إلّا من له بصيرة كاملة بالناس باعتباره القائد لهم.

٥ ـ (أقمت لكم على سنن الحق من جواد المضلّة) وسنن الطريق: الجادة المستقيمة، والجواد: جمع جادة، وهي الطريق، والمضلّة: الارض التي يضل السالك فيها؛ فان من مسؤوليات القائد أن يقيم الناس على الطريق المستقيم في الوقت الذي تتشعّب فيه الطرق التي يضل فيها عامة الناس. وقد أشار إلىٰ النتيجة الحتمية للانحراف عن الخط المستقيم بأمرين:

٦ ـ (حيث تلتقون ولا دليل) فان الطرق المضلّة يتلاقىٰ فيه المسافرون الذين لا يعرفون الطريق الصحيح؛ لانهم يسيرون بدون دليل.

٧ ـ (وتحتفرون ولا تميهون) مثل الذين يطلبون الماء بحفر الآبار في المواقع التي لا تكون صالحة لهذا الغرض؛ لبعدها عن الماء، فالحفر من دون الاستعانة بمن له خبرة بالموقع يكون خسارة للوقت والجهد؛ لانهم (لايميهون) أي لا يصلون إلىٰ الماء إلّا بدلالة دليل من أهل الخبرة.

وفي مضاعفات الحرب هذه، لايتخذ فيها القرار الصائب سوى القائد الحكيم الذي يتخذ القرارات الوقائية لها، لمواجهة الانحراف عند حصول الحرب.

(٣/ط ـ ٤) نتيجة الحرب:

وفي المقطع الأخير أشار إلىٰ اليوم الذي تظهر فيه نتيجة ماقام به القائد من دور مسؤول، وذكر منها:

١ ـ (اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان) العجماء: البهيمة التي لاتتكلم، ونتائج

الحرب تظهر بعد ان تضع الحرب أوزارها فيكون اليوم الذي يلي الحرب اكبر دليل على تقييم الحرب، وصواب الطريق أو ضلاله، فانه اليوم الذي تجعل من البهيمة العجماء ناطقة ذات بيان، فكيف بالانسان الذي يملك العقل والتفكير لمعرفة الاسباب والمسببات؟

٢ ـ(عزب رأي امرىء تخلّف عنّي) العزب: الغياب، ونتيجة حرب الجمل الذي هي افشال خطط الاعداء وظهور النوايا والالتزام بالثوابت الاسلامية من جانب القيادة: ان من يتخلّف عن القيادة لا عذر له، بل يكون الرأي الصائب هو الانضمام إلىٰ الجانب الملتزم بالثوابت الاسلامية.

٣ ـ(ما شككت في الحق مذ أُريته) لان القيادة الحكيمة تتسلّح بالرؤية الواضحة اولاً، ثم تسير عليها لتحقيق كل البنود التي تقتضيها، والقائد الحكيم لا يشك، بل يتحرك عن علم ومعرفة.

٤ ـ(لم يوجس موسى عليه‌السلام خيفة على نفسه) الوجس: الشعور، والخيفة: الخوف، واستشهد عليه السلام بالتاريخ من حياة موسى، قال تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ (١)، والمعنى ان القائد لا يدخله الخوف على نفسه، بل الخوف على تأثير الدعايات الباطلة في أُمتّه، وان موسى في قيادته أُمته لم يشعر بالخوف على نفسه، بل لأداء رسالته.

٥ ـ(بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضلّال) وقد ذكر أمرين مما يوجب الخوف لأي قائد للأُمة في أي مقطع من التاريخ، وهما:

اولا: (غلبة الجهال) فإنّ الجاهل بالأسباب والنتائج لأي عمل، لابد وان يقع في مشكلة لا يمكنه حلّها، فاذا غلب الجهال بامور الدين أو الحرب أو السياسة على إحدىٰ هذه الامور، لكانت آثارهم السلبية على انفسهم وعلى غيرهم في الحال والاستقبال.

ثانيا: (دول الضلال)؛ فإن أصحاب الدولة والسلطان من الاعداء الذين بنوا دولهم على أساس الضلال والفساد والباطل دون العدالة والحق لا ينفكون ـ ولا لحظة واحدة ـ عن

---

(١) طه: ٦٧

إعداد الخطط للايقاع بالاسلام والمسلمين؛ لاشغالهم بأنفسهم في الحال أو الاستقبال بكل الوسائل المتيسّرة لهم. فالخوف الحقيقي من هاتين الطائفتين في كل عصر ومصر، وهكذا كان موسى عليه السلام في قومه.

٦ ـ (اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل) والتواقف بمعنى التلاقي والمعرفة، فان نتيجة الحرب تحدد ما هو سبيل الحق وما هو سبيل الباطل، حيث تظهر الحقائق والنوايا والوجوه المنافقة ومدى التزام الجيش من الجانبين بثوابت العدالة والحق في الانضباط بالمبادئ والشعارات التي يرفعها في ميدان العمل وساحة المعركة.

٧ ـ (من وثق بماءٍ لم يظمأ) وختم المقطع بحقيقة نفسيّة، وهي انّ من وثق بوجود الماء عندهُ لايشعر بالظمأ، دون من لا يثق بوجود الماء، فانه يشعر بالظمأ مادام غير واثق. والحرب المظفّرة تفتقر إلىٰ الجندي الحكيم الذي يطبّق الثوابت الاسلامية في ساحة الحرب ولا يتأثّر بالدعايات المظللة في الانضباط العسكري في الجيش؛ لوثوقه بوجود القائد الذي يتحرّك على خطىً مدروسة.

[الخطبة ٥]

ومـــــــن كـــــلام له عليه السلام لمـــــاقبض رســـــول الله ٩، وخـــــاطبه العباس رضي الله عنه(١) وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له(٢) بالخلافة

(١/ط - ٥) الفتن وأسبابها:

أَيُّهَاالنَّاسُ؛ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ(٣)، وَعَرِّجُوا(٤) عَنْ طَرِيقِ الْـمُنَافَرَةِ(٥) وَضَعُوا تِيجَانَ(٦) المُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ(٧) مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ(٨) أَواسْتَسْلَمَ(٩) فَأَرَاحَ. مَاءٌ(١٠)

---

(١) لم ترد «رحمه الله» في أ و ب و ط و د، وفي هـ .أ: فقد روي انه لماتم أمرالسقيفة لأبى بكر، أراد ابو سفيان بن حرب أن يوقع الفتنة فيالمسلمين، فمضىٰ إلىٰ عباس بـن عـبدالمـطلب، فقال: يا اباالفضل إنّ القوم ذهبوا بهذا الامر من بني هاشم و جعلوه في بني تيم، و انه ليحكم فينا هذا الفظ الغليظ من بني عدي، فقم حتىٰ نستنهض عليّا لهذا الامر وأنت عم رسول الله.
فأتيا اميرالمؤمنين، فقال ابوسفيان: يا أباالحسن لاتغافل عـن هـذا الأمـر، مـتىٰ كـنا تـبعاً لتـيم الاراذل؟! و كان عليه السلام ليعلم انه يقول ذلك لمحق الدين، فأجابه بهذا الكلام.
وفي هامش آخر من أ: و كان ذلك قبل غسل رسول الله صلى الله عليه وآله و تجهيزه، و علي عليه السلام مشغول بذلك، قال ابوسفيان: يا بني عبد مناف، الله أن يلي أمركم تيم.
فقال عليه السلام: للاسلام، و منعه عن ذلك.
(٢) في ب: ان يبايعاه.
(٣) في هـ . ص. فيه اشارة الىٰ قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل اهل بيتي كسفينة نوح ... الخبر» [١] والىٰ قوله عليه السلام: «انظروا اهل بيت نبيكم فان نهضوا فانهضوا وان ثبتوا فاثبتوا».
وفي هـ .أ: سفن النجاة هم اهل البيت؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله: «مثل اهـل بـيتي كسـفينة نـوح». قـلت: حديث السفينة مشهور عند الفريقين، ورواه مـن العـامة الحـاكـم فـي المسـتدرك ٢ : ٣٢٣ والطبرانـي فـي الكـبير ج ٣ ص ٣٧ ـ ٣٨، والهـيثمي فـي مـجمع الزوائـد ج ٩ ص ١٦٨، والدولابي في الكنى ج ١ ص ٧٦، واحمد بن حنبل في الفضائل برقم ١٤٠٢.
(٤) في هـ .أ: اي اميلوا اوقفوا وانحرفوا، وفي آخر: معناه عـلىٰ هـذا: عـرجـوا عـن الاسـتقامة منصرفين عن المنافرة.
(٥) في هـ . ص: قوله «المنافرة هي أن يذكر كلّ واحد من الرجلين مفاخره و فضائله و قـديمه ثم يتحاكمان الىٰ ثالث لينصر احدهما علىٰ الآخر. و في هـ .أ: اي المـحاكـمة والمـفاخرة بالنسب.
(٦) في هـ . أ: جمع تاج.
(٧) في هـ .أ: اي خلص: فاز ونجىٰ.
(٨) في هـ .أ: نهض: قام، وبجناح، استعار لفظ الجناح للأعوان والانصار.
(٩) في هـ . أ: «استسلم»: انقاد، «فأراح»: اي أراح نفسه.

آجِنٌ(١١) وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ(١٢) بِهَا آكِلُهَا، ومُجْتَنِي الَّثمَرَةِ(١٣) لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا(١٤) كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ،(١٥).

وتتضمّن هذه الخطبة مقطعين: في الفتن واسبابها وسبل مقاومتها من ناحية، وموقفه الاسلامي منها من ناحية اخرى.

وفي المقطع الاول، إشارة إلىٰ اهم اسباب الفتن في الحياة وسبل القضاء عليها، وهو يخاطب قادة كان لهم دور في نصر الاسلام ومحاربته، وهما: العباس الهاشمي عمّ النبيّ الذي ساند ابن أخيه النبي محمّد ونصره. وأبوسفيان الاموي الذي حارب النبي قبل اسلامه، ولهما رأيهما الخاص في امر الخلافة، وكلّ منهما عرض البيعة بالخلافة لأمير المؤمنين، وذلك بعد ان تمّت البيعة لابي بكر في السقيفية، وكان عليه السلام يأبى ذلك، وكان يرىٰ ان هذه الظاهرة فتنة يجب القضاء عليها بأساليب خصّها بالذكر، وهي:

١ ـ (شُقّوا امواج الفتن بسفن النجاة) فالفتنة ـ التي هي امتحان ـ لابد من التغلّب عليها بالوسائل المشروعة اسلاميا، وهذه الوسائل القانونية هي سفن النجاة دون غيرها، وبعد ان تمّت البيعة في السقيفة لأبي بكر يكون قبول البيعة من العباس وأبي سفيان فتنة اخرى، فلا تكون حلّاً اسلاميا، بل يجب القضاء على الفتنة الاولىٰ بما ينجي من آثار الفتنة.

---

(١٠) في ط وهـ. د: هذا ماء ـ ص ب ح.
(١١) في هـ.أ: اي متغيّر منتن.
(١٢) في هـ.أ: يوقفها في حلقه فلا يبلعها. الباء للتعدية، اي: بجعلها في حلقه مغصصاً، فلا يكاد يبلعها، كنيّ بها عن أمره.
(١٣) في هـ.أ: قوله: «ومجتني الثمرة ... الى آخر القول»: يعنى هذا الوقت ليس وقت الطلب لهذا الامر، إمّا لعدم الناصر أولغيره، شبّه عليه السلام الثمرة باللقمة بها من حيث انهما من المأكولات والمتلذذات بها، شبه الثمرة المجنية لغير أوانها، بالزرع في غير ارض الزارع، لان صاحب الارض قد يمنع ذلك سواء في عدم الانتفاع بها، فمثّل عليه السلام خلافته ذلك مثلهما، لأنّه لاينتفع منها، إمّا لعدم الناصر وإمّا لعدم المصلحة.
(١٤) في هـ.أ: اي ادراكها واستوائها.
(١٥) في هـ.أ: من زرع بأرض غيره فلغيره ان يمنعه عن سقي زرعه وعن حصاده وعن التصرف فيه، فلابد من التفكر في العواقب في كلّ الأمور. والمراد بيان ان من يطلب الامور لغير وقتها لاينجح طلبه.

٢ ـ (عرّجوا عن طريق المنافرة) فان البيعة الثانية طريق للمنافرة بين اصحاب البيعة الاولى، لحصول التفرقة والتحزّب بين اصحاب البيعتين، فيجب العروج عن طريق التفرقة والمنافرة والدخول إلىٰ حلّ لا يوجب التفرقة.

٣ ـ(ضعوا تيجان المفاخرة) اشارة إلىٰ اساس الفتنة؛ فان السبب الرئيسي فيها المفاخرة، حيث افتخر المهاجرون على الانصار بأن النبّي محمّد صلى الله عليه وآله منهم، وافتخر الانصار على المهاجرين بأنهم نصروا النبي محمّد صلى الله عليه وآله وكل من العباس وابي سفيان يقترحان اليوم امرا جديدا، وذلك بعرض البيعة على عليّ، وسببها افتخارهما على غيرهما، فأين المصلحة الاسلامية العليا، فانها لا تتحقق ألا بأن توضع تيجان المفاخرة في جانب ويركّز على مصلحة الاسلام .

٤ ـ (افلح من نهض بجناح) فان شرط الفلاح والنجاح في أية حركة يقوم بها الانسان في حياته هو ان يقوم بها بعد تهيئة اسبابها التي هي كالأجنحة للقيام بالهدف، كالطير الذي لا يستغني عن جناحية فلا يكون العمل ناجحا بدون تهيئة الاسباب والأعوان.

٥ ـ (أو استسلم فأراح) فانّ الاستسلام للامر الواقع اذا اقتضته المصلحة الاسلامية ليس راحة للانسان فقط، بل هي إراحة للآخرين الذين لا يتمكنون من المشاركة لأي سبب كان.

٦ ـ(هذا ماء آجن) و(هذا) إشارة إلىٰ الوضع العام في الفتنة، كالماء الآجن، وهو المتغيّر في لونه وطعمه ورائحته، بحيث لا يستساغ شربه.

٧ ـ (ولقمة يغصّ بها آكلها) اللقمة: ما تؤكل مرة سريعاً، والغصص: الاعتراض في الحلق، فلا يمكن حل مسائل الفتنة بالسرعة كاللقمة السائغة التي تؤكل سريعاً مرة واحدة، بل كاللقمة الشائكة التي يبتلعها الآكل على مضض وبصعوبة، ويفتقر الى صبر وتحمّل لهذا التجريح من أجل المصلحة العليا للاسلام.

٨ ـ (ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير ارضه) فان الثمرة المرجوّة من البيعة هي تطبيق شريعة الاسلام كما سنّها النبي صلى الله عليه وآله في حياته، ولا يمكن ان تتحقق مع

سبق بيعة اخرىٰ، وذلك لاختلاف الكلمة، حيث يعتبر ذلك انشقاقاً، وفي حالة الاختلاف والانشقاق لاتتحقق الثمرة المرجوّة، بل يكون كمن يقطف الثمرة قبل النضج، فلا تكون قابلة للأكل، وفي كلامه اشارة إلىٰ أمرين يبيعتبران الاساس في نجاح البيعة، وهما، اولا: وحدة الكلمة حين البيعة، حتىٰ تنعقد شرعية، وثانياً: وجود الاعوان في تنفيذ البيعة، وكلاهما مفقودان، فالاول غير موجود لسبق من يخالف البيعة الثانية، والثاني قد اشار اليه بقوله: (كالزارع بغير أرضه) حيث ان المقترحين هما العباس وابو سفيان فقط، وكان الأجدر بهما ان يوجّها الاقتراح إلىٰ الجماهير دونه، فكأنه رأى ان بيعتهما تكون لمصالحهما؛ لان الأرضية التي دعوا إليها ليس فيها ما يدعوا هو إليه، أما العباس، فهو يدعوا إلىٰ البيعة على اساس القرابة، واما أبو سفيان فهو يدعو إليها على اساس قبليّ، وعليّ يأبىٰ البيعة إلاّ على سنة رسول الله ﷺ ولتطبيق شريعة الله، وما أبعد الاراء والارضيات؟ ويكشف عن هذه النقاط ما ذكره الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في روايات الباب، فليراجع، ومنها: قول أبي سفيان لعليّ: «ابسط يدك اُبايعك، فوالله إن شئت لأملأنّها على أبي فصيل ـ يعني أبا بكر ـ خيلاً ورجالاً. فامتنع عليّ عليه السلام»[١]

(٢/ ط ـ ٥) الموقف الاسلامي:

فَإِنْ أَقُلْ، يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وإِنْ أَسْكُتْ، يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ.

هَيْهَاتَ[٢] بَعْدَ اَللَّتَيّا واَلّتي![٣] وَاللهِ لابنُ أبي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ اندَمَجتُ[٤] عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوبُحْتُ[٥] بِهِ لاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرابَ الأَرْشِيَةِ[٦] في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٢١

(٢) في هـ.أ: اي بعد.

(٣) في هـ.أ: كنايتان عن الشدائد والأمور الكبيرة، وأصله: ان أحداً تزوج بأمرأة قصيرة سيئة الخلق، فقاسىٰ منها الشدائد فطلّقها بعد اللتيا والّتي. وفي هامش آخر: هما الداهية الكبيرة، وكنى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيهاً بالحيّة، فإنهما اذا كثر سمّها صغرت لأنّ السم يأكل جسدها، وقيل: إنّ العرب تصغر الشيئ كالدُهيم واللُهيم.

(٤) في هـ.أ: في نسخة «اندمخت»، وفي هـ.أ ايضاً: أي ابطويت وطلعت واستوليت، وسيّرته في باطني، وروي بالخاء والجيم، اما بالخاء فمن الدخوخ، وهوالارتفاع والاستيلاء، ودمخ اسم

الطّوى الْبَعِيدة(٧).

وفي المقطع الثاني شرح الموقف الاسلامي الذي وقفه امير المؤمنين من الفتنة هذه، ولديه خيارات ثلاث ،هي:

الاول: قبول بيعة المعارضة وعلى رأسهم العباس وأبو سفيان اللذان لا يشاركانه في اهدافه وثوابته ،وطبيعي أنّ أصحاب هذه المعارضة يرون انّ ما يقوله عليّ من وجهة نظرهم هو : (الحرص على الملك) لانهم لا يرون الخلافة والبيعة إلاّ كوسيلة للوصول إلىٰ هذا الهدف من منظار قبلي.

الثاني: السكوت عن المعارضة المسلّحة، فهؤلاء الذين ليس لهم نفس الاهداف الاسلامية بالسير على سنة الرسول يرون هذا السكوت خوفا من القتل (جزع من الموت).

الثالث: ان يلتزم بالثوابت الاسلامية التي تعلّمها من قائد الأُمة الرسول الاعظم ﷺ.

والخيار الاول مرفوض مبدئياً من وجهة نظر امير المؤمنين عليه السلام: لان الخلافة لايمكن ان تكون للملك، كما لم تكن النبوّة للملك، وإن رآها كذلك من لايؤمن بها، بل هي لتطبيق حكم الله على الارض.

ورفض الخيار الثاني أيضاً وهو المعارضة المسلّحة، لا بسبب الخوف والجزع، وبهذا الصدد قال: (هيهات، بعد اللّتيا واللّتي) و(هيهات) كلمة بمعنى بَعُد، لنفي الجزع المذكور، و (اللّتيا) تصغير اللّتي، وهما اسما موصول محذوف، أي بعد المصيبة التي هي الكبيرة، واللتيا، أي الصغيرة؛ فان كثرة الدواهي والفتن والحروب التي اشترك عليّ فيها وخرج منها مظفراً، لا يجعل مجالاً للجزع والخوف من الموت، لانه (آنس بالموت من الطفل بثدي أُمّه) حيث رآه المسلمون في كلّ غزوة شارك فيها، فلا يعتريه خوف من ذلك.

جبل، واما بالجيم فهوالدموج والدخول والاستتار في الشئ.

(٥) في هـ.أ: اي لواظهرته.

(٦) في هـ.أ: جمع رشاء وهوالحبل.

(٧) في هـ.أ: وهوالبئر.

فلم يبق له سوىٰ الخيار الثالث، وهو السكوت من أجل مصلحة الاسلام والمسلمين حيث حصل علىٰ هذه القناعة الشخصية من علم تلقاه من النبىﷺ في وصية خاصة رسم فيه له الموقف المتنبأ به، والموقف الاسلامي المطلوب مواجهتها، وقد وصف هذا العلم بانه (مكنون) أي مستور لديه، وليس هذا بمستغرب لمن عاش مع النبي ﷺ الفترة الزمنية التي عاشها امير المؤمنين عليه السلام معه.

ولم يعلن الامام عن (العلم المكنون الذي اندمج به) أي انطوىٰ عليه، شفقة على السامعين الذين ليس لهم الكفاءة في إستيعابها، فان أباحتها لهم يوجب اضطرابهم الفكري (كاضطراب الارشية في الطوى البعيدة) والرشاء: الحبل، والطوية: البئر البعيدة العمق؛ فان الحبل المرخىٰ في البئر العميق لايرتخي باستقامة، بل يضطرب ويلتوي حتىٰ يصل إلىٰ الماء، ومن لم يتأصّل فيه فكرة العقيدة الاسلامية ولم يتمتع برؤية واضحة يكون كذلك، فان الدين لا يعرف بالرجال بل بحقيقة العمل، كما لا تثمّن الجوهرة بثمن يجعل لها، بل بحقيقتها، سواءً قدّرها أحدٌ أم لا، والله العالم.

[الخطبة ٦]

ومن كلام له عليه السلام لمّا أشير عليه(١) بألاّ يتبع طلحة والزبير وأن لا يرصد(٢) لهما القتال

والله لاَ أَكُونُ كَالضّبُعِ(٣) تَنَامُ عَلَى طولِ أللّدْم؛ حَتّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، ويَخْتِلَهَا(٤) رَاصِدُهَا؛ وَلكِنّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحقِّ الْمُدْبِرَ عَنْه، وَبِالسّامِعِ الْـمُطِيعِ العَاصِيَ الْمُرِيبَ(٥) أبَداً، حَتَّى يأْتِيَ عَلَيّ يَوْمِي.(٦) فَوَالله مَازِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقّي، مُسْتأثَراً(٧) عَلَيّ(٨) مُنْذُ قَبَضَ اللّهُ(٩) نَبِيّهُ صَلّى الله عَلَيْهِ وآله حَتّى يَوْمِ النّاسِ هَذَا.

(١/ط-٦) مسؤولية القائد:

ان مسؤولية أيّ قائد هي أن يتخذ القرار الحاسم في الموقع المناسب، وطبيعيّ ان تختلف الآراء في قرار الحرب بين من يؤيد السلم أو الحرب، وفي الطائفتين من يحاول اقناع القائد بوجهة نظره. وفي مثل هذه اللحظة تظهر حقيقة القائد المحنّك بان يستمع للآراء المختلفة ويكون له رؤية واضحة للأسباب والنتائج، إلىٰ جانب منهاج وورقة عمل

(١) في هـ.أ: روي انه اقبل أمير المؤمنين يريد العراق ليتبع طلحة والزبير فأشار عليه الحسن بن علي عليهما السلام ان يرجع، فقال: والله...الخ.
(٢) في أ و ب و د: ولايرصد، وفي هـ.أ: اي لايحفظ ولايرقب.
(٣) في هـ. د: لااكون مثل الضبع ـ م. فيهـ.أ: اللدم: ضرب الحجر على الحجر. وفي هامش آخر: اللدم أن يضرب الصائد الحجر علىٰ جُحر الضب فيحسبه صيداً فلا يخرج حتى يصاد، قيل : إنّ الضبع في جحرها يدخل عليها قوم ويقولون : خامري اُمّ عامري، ابشري اُمّ عامر بلحم سمين وخير كثير وهي تتغافل، فيشدون الحبل في رجلها، فإذا وصل اليها الشرّ تصيح، فلا تنفعها صياحها.
(٤) في هـ.أ: اي يخدعهاهـ. د. ويختلسها ـ م ـ
(٥) في هـ.أ: اي المتهم، والريبة هي التهمة.
(٦) في هـ.أ: اي يوم موتي.
(٧) في هـ.أ: اي مختاراً.
(٨) في هـ د: عليّ غيري ـ م و ل.
(٩) في «أ» زيادة: تعالىٰ.

والحجة الواضحة، وهذا الكلام يظهر أثره في الامور كلها في محاربة من خرج عليه.

أولا ـ وضوح الرؤية: فان من خرج عليه، وهما: طلحة والزبير ـ كما يصرّح به العنوان ويفصّله التاريخ ـ انما خرجا بعد ان بايعا، وحال الخروج بعد البيعة يختلف عن حال الخروج قبل البيعة، فيكون خروجهما من مصاديق البغي الذي له حكم إسلامي واضح، وهو قوله تعالى: ﴿فإن بغت احداهما على الاخرىٰ فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلىٰ امر الله﴾ ولا يمكن للقائد المسلم ان يهمل هذا الواجب الاسلامي.

ثانياً ـ الوعي الكامل للأسباب والنتائج:

فان اسباب أي خروج في وجه الحاكم لا تكون واحدة، بل تتداخل اسباب كثيرة، ويكون استخدام القوة بالخداع بأنواع الوسائل الممكنة للحصول على الحكم والقضاء على الحاكم، والحاكم الواعي يعرف هذا الخداع، وتلك الوسائل في البداية قبل ان تتحرّك أو تستحكم المعارضة، وعليه ان يكشف سياسة الخداع للمجتمع والحقيقة والتاريخ، وقد وصف الخروج هذا بانه خداع ينطلي على عامة الشعب المسلم لولم يقاوم، كما ينطلي خداع الصائد على الوقيعة بالصيد فقال:

١ ـ (والله) مؤكداً حلفه باسم الله على وعيه الكامل للاسباب ووسائل الخداع والتظليل؛ لمعرفته الشخصية الكاملة بتاريخ المشاركين في هذا الخروج فردا فرداً.

٢ ـ (لا أكون كالضبع) وهو حيوان مفترس، وهو على أنواع، والرقطاء منها اكبر حجماً واقوى جسماً، وهي تفترس الصائد لو واجهها مواجهة، ولا يتمكن الصائد من صيدها إلّا في حالة النوم، ويعبّر عليه السلام عن عدم متابعة الخارجين على حكمه ـ بالرغم من قدرته وعلمه ـ نوما وتضييعاً لمسؤوليته القيادية.

٣ ـ (تنام على طول اللدم) واللدم: صوت الشي ء يضرب به الارض ضربا خفيفاً، ليعلم به انتباه الآخر للصوت، وصائد الضبع يتتبع احوالها ومواقعها ويهاجمها حين النوم والغفلة بعد استعلام كونها غاطة في النوم بواسطة اللدم، واعتبر عليه السلام اهمال المسؤولية نوماً وغفلة.

٤ ـ (حتىٰ يصل إليها طالبها) فان الصائد لا يصل إلىٰ الضبع في حال اليقظة، وانما يمكنه الوصول إليها حال النوم، وبذلك أكّد على وعيه بسياسة الخروج إلىٰ الحرب مرّة اخرى.

٥ ـ (ويختلها راصدها) الإختيال: الخداع، مؤكداً ان هـذا الاقـتراح بـعدم مـتابعة الخارجين ليس إلاّ خدعة سياسية لكسب الوقت للقضاء على حكمه في البداية، وقـد انخدع بهما الخارجون عليه بواسطة الاعداء الحقيقيين، وليس هـذا طـعنا فـي ايـمان الخارجين كما هو طعن فيمن أغفلهم.

ثالثاً ـ تنفيذ المسؤولية:

ويتوقف ذلك على امور:

١ ـ المعرفة الكاملة للحق ومن يلتزم به ومن يحاربه (لكنّي اضرب بالمقبل إلىٰ الحق المدبر عنه).

٢ ـ العدة الكافية من الانصار (وبالسامع المطيع العاصي المريب) فان الخوارج عصاة وان كانوا مؤمنين، وعملهم (مريب) باعتبار التظليل الاعلامي من الاعداء.

٣ ـ الاستمرار على تنفيذ المسؤولية حتىٰ الموت (أبداً حتىٰ يأتي عليَّ يومي) فـإن المقاومة التي لا تستمر لابدّ وان تفشل في أداء دورها الرسالي.

ورابعاً ـ الحجة الواضحة:

وختم الكلام بالحجة الواضحة لتوعية السامعين بالاشارة إلى نقاط ثلاث، هي:

١ ـ (فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقّي) فهو يرى حقّه مضيّعاً، وأنه لم يدفع إليه حقه، بل منع من ذلك بصورة قسرية.

٢ ـ (مستأثراً عليَّ) والاستئثار هو الاستبداد، حيث لم يكن له دور في الشورىٰ.

٣ ـ (منذ قبض الله نبيه ﷺ حتىٰ يوم الناس هذا) محدداً للفترة الزمنية من التاريخ بالسنوات (١١ـ٣٥ هـ) وهي حوالي أربعة وعشرين عـاماً، وهـذا اسـتشهاد بـالتاريخ الاسلامي الذي هو حجة كافية على بعض الخارجين، وخاصة (طلحة والزبير) حيث كانا

في جانب عليّ في بعض أحداث هذه الفترة، وخاصة أحداث السقيفة كما هو مشروح في تاريخها.

[الخطبة ٧]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام

(١/ط - ٧) **أتباع الشيطان:**

اتَّخَذُوا الشَّيطَانَ[١] لأمْرِهِمْ مِلاَكاً[٢]، وَاتَّخَذَهمْ لَهُ أشْرَاكاً[٣]، فَبَاضَ وفَرَّخَ[٤] صُدُورِهِمْ، ودَبَّ ودَرَجَ[٥] في حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ[٦] بِأعيُنِهِمْ ونَطَقَ بألسِنَتِهِمْ[٧]، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وزيَّنَ لَهُم الخَطَلَ[٨] فَعلَ[٩] مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ[١٠] الشَّيْطَانُ في سُلْطَانِهِ[١١]، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ على لسانه[١٢].

وصف عليه السلام في هذه الخطبة أتباع الشيطان، وقد يستكشف من وقوع هذه بين خطبتين قالهما في اصحاب الجمل عام ٣٦ هـ فهم المعنيّون بها، والمراد بالشيطان: إبليس الذي شطن، أي خالف طريق الحق، فأبعده الله سبحانه عن دار النعيم ، وتعرّض في هذه الخطبة إلىٰ التبعيّة للشيطان وآثارها، وهي:

---

(١) في هـ. د: الشياطين ـ م.

(٢) في هـ.أ: في نسخة: مالكاً وفي هـ. ص : ملاك الشئ قوامه وعماده، وفي هـ.أ: أي ما يقوم به، وملاك الأمر صغيرها وكبيرها ما يقوم به ويعتمد عليه، يقال: القلب ملاك الجسد.

(٣) في هـ. ص: الاشراك جمع شرك، وهوالمصياد، وفي هـ.أ: يجوز ان يكون جمع شريك كشريف واشراف، ويجوز أن يكون جمع شِرْك كحبل وأحبال، وهوحبالة الصائد.

(٤) في هـ. ص: فباض وفرّخ، كناية عن التمكن، وفي هـ.أ: اي أخرج البيض.

(٥) في هـ. ص: ودبٍ ودرج، عبارة عن الاُنس والتأصّل، وفي هـ.أ: الدب: المشي الضعيف، ودبّ: مشىٰ رويداً. ودرج : مشى كثيراً.

(٦) في ص : و نظر. وفي هـ. ص: و نظر بأعينهم، كناية عن اتحادهم كأنّهم هو، أو لأن نظرهم شهوة و نطقهم باطل.

(٧) وفي هـ.أ: اي بمتابعة الهوىٰ.

(٨) وفي هـ. أ: الزلل بالفعل والخطل بالمنطق الفاسد و فساد بالقول.

(٩) وفي هـ.أ: اي فعلوا «فعل»، وانتصاب فعل علىٰ المصدر عن فعل محذوف، اي فعلوا ذلك فعل، أوعن قوله: اتخذوا، في معنىٰ فعلوا، فهومصدر من غير لفظه.

(١٠) في هـ.أ: بمعنىٰ شاركه.

(١١) في هـ.أ: السلطان [القدرة] على الأعمال والأحوال.

(١٢) في هـ.أ : اي لسان الشيطان.

١ ـ (اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً) والملاك للشئ: قوامه، وقد كان الملاك لمواقف الشيطان هو الوقوف امام أوامر الحق، وهكذا الملاك لأتباعه، حيث أن الخلاف للحق هو ملاك امرهم.

٢ ـ (واتخذهم له أشراكا) والشرك: آلة الصيد ،وفي الجبهة المعادية للحق يكون المنتفع الوحيد من محاربة الحق ودعاته هو الشيطان، وذلك باستخدام غيرهُ آلةً للمحاربة بخطوتين ، هما:

٣ ـ (فباض وفرّخ في صدورهم) فان الخطوة الشيطانية الاولىٰ هي تشويش الفكر بالوسوسة في صدور الناس من الجنة والناس، فان بذرة الشك والريب تنمو كما تنمو البيضة والفرخ، وطبيعيّ أن يستغرق ذلك فترة طبيعية للنمّو حتىٰ تستحكم الأفكار المسمومة بالدعايات الخداعة في النفوس.

٤ ـ (ودبّ ودرج في حجورهم) والخطوة الثانية: ان نتيجة هذه الوساوس من الدعايات المسمومة ان هذه الوساوس تنمو كما تنمو البيضة إلىٰ مرحلة ان تسري دابّة كما تدبّ الحيّة، وتتدرج في المشي كما يمشي الطفل على اليد والرجلين، فيستولي على حياة الانسان، ونتيجة هذا الاستيلاء التام اُمور:

٥ ـ (فنظر بأعينهم) حيث ان هؤلاء الاتباع لا ينظرون إلىٰ الامور بما يصلح أنفسهم في الحال والمستقبل، فيكون الشيطان هو الذي ينظر إلىٰ مصالحه بعيون هؤلاء الاتباع الذين هم آلاته، فلا يكون حاجة لحضور الشيطان في الساحة لوجود عيونه فيها.

٦ ـ (ونطق بألسنتهم) فان من نتائج الاستيلاء الفكري: أن ينطق التابع بما هو منطق المتبوع؛ ظانّاً أنه الناطق، وغافلاً عن القوى التي جعلته في هذا الموقع.

٧ ـ (فركب بهم الزلل) وهو الخطأ، نتيجة لفقدان الاستقلال الفكري والوقوع في التبعية الفكرية للقوى المعادية، فلا يكون التابع إلّا في الزلل والخطأ في الحياة فكرياً وما يتبع ذلك.

٨ ـ (وزيّن لهم الخطل) وهو الخطأ والقبيح، حيث يقع التابع فريسة للدعايات البرّاقة

والوعود الخلاّبة بحسب تصوّراته من انه يبني لهم حياة مرفّهة سليمة، مع انهم في أسر التبعيّة الفكرية والاقتصادية وماشابه.

وفي ختام هذا المقطع إشارة إلىٰ قاعدة عامة هامة في موضوع التبعية للشيطان الآمر بالخلاف، وهو الفعل وحده دون القول، حيث قال:

٩ ـ (فعل من قد شركة الشيطان في سلطانه) فان الفعل والعمل هو المناط، فمن كانه عمله عمل الخلاف كان تبعاً للشيطان مهما برّر عمله بالأقوال الفارغة؛ لان الخلاف والقيام ضدّ الحق هو (شركة للشيطان في سلطانه) حيث انه يقوي سلطة الشيطان على العقل والحق.

١٠ ـ (ونطق بالباطل على لسانه) فان القول الباطل على لسان التابع ليس إلاّ نابعا من أصل الانحراف، وهو الفكر الباطل الذي بذره الشيطان، فالناطق الحقيقي هو الشيطان نفسه على لسان الانسان. وبالنتيجة: الطريقة الوحيدة للتخلّص من وساوس الشيطان ووسائله الخلاّبة ودعاياته المظللة هو تطهير الفكر من الخطأ.

والفائدة المستنبطة من هذه الخطبة: أنّ كلما ينفع سلطان الشيطان هو الخطل، وأي عمل يجب ان يقيّم لمعرفة من ينتفع منه، ولا ينتفع من تفريق الكلمة سوى العدوّ الذي له سلطة الشيطان على فكر الانسان، عصمنا الله من ذلك.

[الخطبة ٨]

وَمِنْ كلاَمٍ لَهُ عليه السلام يَعنِي بِهِ الزُّبَيْرَ في حَالٍ اقْتَضَتْ ذَلِك

(١/ط-٨) **بيعة الزبير بن العوام:**

يَزْعُمُ أَنَهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلم يُبَايعُ بِقَلْبِهِ. فقَدْ أَقَرَّ بالْبَيْعَةِ وادّعَى الْوَلِيجَةَ[١]، فَلْيَأتِ عَلَيْهَا بِأمْرٍ يُعْرفُ[٢] وَإلاَ فَلْيَدْخُلُ فِيَما خرَجَ منْهُ، والسلام[٣].

هذا الكلام يتضمّن الاشارة إلىٰ بيعة الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي (ت/ ٣٦هـ) وهو ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله صفية بنت عبد المطلب، وقد هاجر الهجرتين وشهد المشاهد مع رسول الله كلّها، وكان في جانب عليّ عليه السلام في أمر السقيفة، وبايع عليا بعد مقتل عثمان في ٧/ ذي الحجة / ٣٥هـ، وبعد هذا التاريخ بسنة واحدة استأذن هو وطلحة من عليّ عليه السلام للعمرة، فأذن لهما مستنكراً لاستئذانهما، وقال بعد خروجه من المدينة: انه (بايع بيده ولم يبايع بقلبه) وخرج في البصرة حتىٰ قتل في عام ٣٦هـ في حرب الجمل، علىٰ ما هو مفصّل في التاريخ، وراجع المادة في المعجم.

وعن الحال التي اقتضت ذلك وطبيعة الكلام، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) مانصّه:«دخل الزبير وطلحة على عليّ عليه السلام، فاستأذناه في العمرة، فقال: ما العمرة تريدان ، فحلفا له بالله أنهما ما يريدان غير العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان ، وإنما تريدان الغدرة ونكث البيعة ، فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعة يريدان ، وما رأيهما غير العمرة . قال لهما : فأعيدا البيعة لى ثانية ، فأعاداها بأشد ما يكون من الايمان والمواثيق ، فأذن لهما ، فلما خرجا من عنده ، قال لمن كان حاضرا : والله لا ترونهما إلّا في

---

(١) في هـ. ص: الوليجة هي الدخيلة وما يضمر فيالأمر من عذر أوحجّة اوبطانة. وفي هـ. أ: الوليجة: الدخيلة فيالأمر، يعني انه بايع بيده ولميبايع بقلبه، وهواشارة الىٰ التورية والتعريض في العهود والايمان.

(٢) في هـ. أ: اي بيعته.

(٣) في هـ. أ: اي البيعة التي خرج عليها.

فتنة يقتلان فيها . قالوا : يا أمير المؤمنين ، فمر بردهما عليك ، قال : ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾ .

* * *

لما خرج الزبير وطلحة من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحدا إلّا وقالا له : ليس لعليّ في أعناقنا بيعة ، وإنما بايعناه مكرهين . فبلغ عليا عليه السلام قولهما ، فقال : ابعدهما الله وأغرب [1] دارهما ، أما والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل ، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم ، والله ما العمرة يريدان ، ولقد أتياني بوجهي فاجرين ، ورجعا بوجهي غادرين ناكثين ، والله لا يلقيانني بعد اليوم إلّا في كتيبة خشناء ، يقتلان فيها أنفسهما ، فبعدا لهما وسحقا». [2]

وهذا الكلام يتضمّن حجة الخصم في الخلاف، ودحضها في نقاط:

١ ـ (يزعم) فإن الحجة التي ذكرها الزبير ليست سوى زعم ودعوى لفظيّة.

٢ ـ (قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه) وهذا الزعم يتكوّن من أمرين:

الاول: البيعة باليد، وهذه قد تحقّقت باقرار الزبير، وفي التعبير (قد) مع الفعل الماضي، دلالة على التحقّق والثبوت، فهي حجّة عليه.

الثاني: ان البيعة لم تكن بالقلب، وهذه مجرّد دعوى تفتقر إلىٰ دليل يثبت ذلك، ولم يكن في طبيعة الاحداث التي نقلت في ذلك، دليل على ذلك ونتيجة موقف كهذا الزعم، هي:

٣ ـ الاقرار (فقد أقرّ بالبيعة) والاقرار حجة ملزمة لانعقاد البيعة.

٤ ـ (وادّعى الوليجة) وهي ما يخفى في الداخل، ولا يعرف بالظاهر.

٥ ـ (فليأت بأمر يعرف) فان الظاهر يكشف عن المستور، والبيعة كانت ظاهرة معروفة، ولم يعرف سواها حين انعقاد البيعة.

---

(١) يقال : أغرب دار : أبعدها .

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ٢٣٢.

٦ ـ (والاّ فليدخل فيما خرج منه) وهذا يشتمل على أمرين:

الاول: انه خرج بعد البيعة، فتحقّق موضوع جديد، وهو الخروج على الحكم، وله حكم اسلامي في القرآن.

الثاني: ان البيعة لاتزال نافذة.

وبالجملة: فحجّة الخصم ليست سوى دعوى عارية عن الدليل، فانّ البيعة لا تكون إلّا في الظاهر، وأمّا البيعة بالقلب فليس بيعة لا لغة ولا اصطلاحا، لأنّ القلب لا يبايع، بل يكون منه الرضا بالبيعة أو عدمها، والعبرة في القانون ـ أي قانون كان ـ هو الاعتبار بالإقرار باللفظ لا بالقلب، والله العاصم.

[الخطبة ٩]

وَمِنْ كلاَمٍ لَهُ عليه السلام(١)

(١/ط - ٩) **مقوّمات النصر والفشل:**

وَقَدْ أرْعَدُوا وَأبْرَقُوا(٢). وَمَعَ هَذَيْنِ ألاَمْرَيْنِ الْفَشَلُ(٣)، وَلَسْنَا(٤) نَرْعَدُ حَتّى نوْقِعَ، وَلانُسِيلُ حَتّى نُمْطِرَ.

في هذا الكلام إشارة إلىٰ بعض مقوّمات النصر والفشل في الصراع بين المتخاصمين. وطبيعيّ أنّ مقاييس النصر والفشل تختلف باختلاف الاوليات في كل فرد أو امّة، فاذا كانت المادة والماديات لها الاولوية في الحياة، فانه يكون النصر بكثرتها وقوّتها، واذا كانت المبادىء لها الاولوية يكون النصر بصيانتها. وأشار في هذا الكلام إلىٰ صفتين بارزتين لكل من اصحاب الاهواء واصحاب المبادىء، فأصحاب الأهواء يعتمدون على امرين رئيسيين، هما:

١ ـ الدعايات الكاذبة التي تؤثر في ضعاف النفوس، كالرعد في السماء الذي يخوّف الاطفال، وتنتهي أمدها، فإن الدعايات انما تؤثر فيمن لايعرف خططها وأهدافها من قليلي الثقافة الاعلاميّة.

٢ ـ مظاهر القوّة التي تجلب انتباه الناس (كالبرق) الذي تشاهده العيون من حشد الجنود وعرض الاسلحة الثقيلة والاغتيالات؛ فان هذه المظاهر لها آثارها الوقتية الزائلة على من يتأثّر بها في الحال، دون من ينظر بعقله إلىٰ حقيقتهاوالاهداف المنشودة منها من أصحاب الخبرة والتجربة.

---

(١) ذكر هذا الكلام الواقدي في كتاب الجمل، والشيخ المفيد في النصرة في حرب البصرة ص١٧٧، وفي هـ. أ: إنّ هذا الكلام اشارة الىٰ طلحة والزبير وأشياعهما.

(٢) في هـ. أ: عبارتان بمعنىٰ التهديد والوعيد، وابرقوا: خوفوا.

(٣) في هـ. أ: اي الجبن.

(٤) في د وهـ. أ: في نسخة: قلنا، وهوإشارة الىٰ أنه لايوعد قبل الإيقاع بالعدوّ، وأنّ فعله يتقدّم علىٰ قوله؛ إذ القول ـ إذا تقدم ـ فربما لايوافقه الفعل.

وطبيعيّ أن يكون هذان الأمران مستتبعان بالفشل علـى المـدى البـعيد، حـيث أنّ الدعايات الكاذبة تظهر حقيقتها فيعي المغرور بها ويصبح أشد ضرواة عـلى اصـحاب الدعايات، ومظاهر القوّة تكشف عن قوّة مجردة عن العدالة، فيتعامل الشعب معها كما يتعامل مع الحيوان المفترس حيث يتقى شره ولا يأمل خيره، فيكون نتيجة كل مـنهما الفشل في كسب الشعب فكريا، بل يكون هذا محفّزاً له على المقاومة والتصدي، وأمـا اصحاب المبادئ فهم يعتمدون على أمرين رئيسيين، هما:

١ ـ العمل، ثم الاعلان عنه، فإنّ العمل يصنع التاريخ عملياً من تطبيق الفكر، فيكون العمل حاكيا عن الفكر ،كذلك في ساحة المعركة؛ فإنّ الايقاع بالعدوّ هو الذي يحكي عن الواقع، والاعلان عن واقع الحال ليس سوى انباء صادقة وليست دعاية كاذبة، وصاحب المبدأ (لا يرعد) بالدّعاية الكاذبة (بل يوقع) ويؤدّي دوره ثم يعلن عنه بالفعل.

٢ ـ التحرّك من موقع ثابت خطوة فخطوة، (ولا نسيل حتىٰ نمطر) كما فـي السـيل المتدفّق؛ فانه يتكوّن من المياه المجتمعة المخزونة بالا مطار المتوالية، فكذلك التحرك المدروس يجب ان يكون متدرّجاً بخطوات قصيرة مدروسة متوالية، فانه ﴿ ليس للانسان إلّا ما سعى وأنّ سعيه سوف يرى ﴾[١] فإنّ التحرّك على أرضية صلبة ثابتة يكون ناجحا وان كان بطيئاً. وطبيعي ان يكون نتيجة هذين الأمرين ـ أي العمل، والتقدّم خطوة فخطوة ـ النجاح في الحياة من دون أية دعاية كاذبة أو صور زائفة، كما يشهد بذلك التاريخ في الأُمم التي بنت حضارتها على العقل والعلم والعمل، ثم اعلنت عمّا فعلت بالعمل الدؤوب الصامت ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[٢].

(١) النجم: ٣٩.
(٢) التوبة: ١٠٥.

[الخطبة ١٠]

ومن خطبة له عليه السلام

(١/ط - ١٠) **طبيعة الجيش العقائدي:**

أَلاَ وإِنَّ الشَّيطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، واسْتَجْلَبَ[١] خَيْلَهُ ورَجِلَهُ، وإِنَّ بَصِيرَتي لمعي[٢]، مَا لَبَّسْتُ عَلَىٰ نَفْسِي[٣]، وَلاَ لُبِّسَ عَلَيّ[٤]. وَأَيْمُ اللّهِ[٥] لاَفْرِطَنَّ[٦] لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ،[٧] لاَ يُصْدِرُونَ عَنْهُ[٨] وَلاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

إنّ طبيعة الجيش العقائدي البصيرة للمبادىء التي على أساسها يتحرك الجيش للحرب أو السلم، وذلك يستلزم الرؤية الواضحة والصراحة التامة والعلم الكامل بالمسير والمصير. ويناقض ذلك جيش المرتزقة، وقد نصّ هذا المقطع من الخطبة على الصفات البارزة المتناقضة للجيشين:

اولا: جيش الشيطان، فهو يعتمد على القوة المادية أساساً لتحرّكه في تحقيق النصر في الحرب بالوسائل المادية المستخدمة في عصره، وأشار منها هنا إلىٰ:

---

(١) في هـ. أ: اي استجمع.

(٢) في أ وب ط: وإنّ معي لبصيرتي، وفي هامش د: وإنّ معي لبصيرتي ـ ض وح ول.

(٣) في هـ. أ: يريد بذلك الدلالة على بقاء سريرته وصفاء باطنه وخلوص طويّته وطهارة ذاته.

(٤) في هـ. أ: قوله: «ولالُبّس عليّ» يدل على كمال عقله وعمله وكثرة تجاربه، وهذان اللفظان مجامع مكارم الاخلاق، وقال بعض السلف: العاقل من لايخدعه أحد، والمسلم من لايخدع احداً.

(٥) في هـ. أ: «وأيم الله» اصله ايمن الله، حذف نونه تخفيفا كما حذف من «ولم‌يكن»، وهوجمع يمين، وقيل: ليس بجمع، بل اسم وضع للقسم، وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين، ولم‌يجيء في الأسماء ألف الوصل معطوفة غيرها، وهومبتدأ محذوف الخبر، أي أيمن الله قسمي. وقيل: ألفه للقطع، وقد يطرح في الوصل لكثرة الاستعمال.

(٦) في هـ. أ: اي لاملأن.

(٧) في هـ. أ: حوضاً من المقاتلة والمقارعة.

(٨) في هـ. أ: لايصدرون، اي لايرجعون، بل يهلكون، كنّى عليه السلام بقوله: «لايصدرون عنه» ان الوارد منهم فيه لاينجو منه، فهو سوف يغرق فيه، فلايصدر عنه، و بقوله: «و لايعودون اليه»: ان من نجىٰ منهم لايطمع في الحرب مرة اخرى، و لايردّون الى ما اعدّ لهم مرّة ثانية، و أكّد ذلك الوعيد بالقسم البار.

١ ـ كثرة العدد (قد جمع حزبه) والحزب الجماعة من الناس المتشابهة قلوبهم وأعمالهم.

٢ ـ الإعداد لوسائل الحرب (استجلب خيله) المستخدمة وسيلة للحرب .

٣ ـ الإعداد للمحاربين (ورجله) جمع راجل، من أفراد الجيش المحارب .

والقوة المادية وحدها لا تكفي في النصر، فان التفوّق العددي لا يستلزم النصر دائماً، لأن كل محارب يحبّ السلامة لنفسه، ويناقض ذلك جيش الايمان، فانه مستميت في سبيل العقيدة، ويحبّ الموت في سبيلها، والتاريخ يشهد بالنصر له ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله﴾.(١)

ثانيا: الجيش الاسلامي، وهو يعتمد الرؤية الواضحة (وإنّ معي لبصيرتي) للأسباب الداعية إلىٰ الحرب، وللظروف المحيطة به في ساحة الحرب، وللنتائج التي لا تخلو من ﴿ احدى الحسنيين ﴾ (٢): النصر أو الشهادة.

ويناقضه الجيش المادّي الذي لايرغب في الشهادة قطّ، حيث لا يؤمن بها، ويركّز على النصر فقط، وفي حالة عدم التكافؤ يميل إلىٰ الاستسلام والأسر.

ثالثا: الجيش الاسلامي لايبرر الأخطاء في نفسه (ما لبّست على نفسي) فهو يعترف بالواقع ويتعامل معه على اساس ما تقتضيه الساحة، ويناقضه الجيش المادي الذي لا يعترف بخطئه قط مادام في ساحة الحرب.

رابعاً: الجيش المادّي يستخدم الدعايات المظلّلة للتلبيس على الناس، والجيش الاسلامي يرفضها (ولا لبّس عليّ) بل يتحرّك حسب الواقع خطوة فخطوة، (راجع الخطبة التاسعة).

خامساً: الجيش الاسلامي يستعد للحرب ويكون على استعداد كامل لتحقيق النصر، ولا يدخل في الحرب إلّا بعد دراسة واعية، آملاً بأن النصر من الله سبحانه، وقد أشار إلىٰ

---

(١) البقرة: ٢٤٩.
(٢) التوبة: ٥٢ .

هذا الاستعداد والتخطيط بنقاط:

١ ـ (وأيم الله) تأكيد بالقسم بالاسم العظيم على الاستعداد الكامل.

٢ ـ (لأُفرطنّ لهم حوضاً) وإفراط الحوض ملئه بالماء حتىٰ يفيض من كثرة الماء، وهذا كناية عن الاستعداد الكامل في العدد والعدّة ماديا ومعنوياً؛ فان جيش الشيطان يفقدهما معنوياً.

٣ ـ (أنا ماتحهُ) والماتح: المستسقي للماء من البئر بالدلو، وفيه اشارة إلىٰ المسؤولية المباشرة لقائد الحرب في التخطيط والاعداد لها، والاستفادة من خبرته الشخصية، واشار إلىٰ نتيجة الخطة المدروسة في امرين:

٤ ـ (لا يصدرون عنه) فالذي يقع في قبضة جيش الاسلام المحارب على اساس عقيدة، لا يمكنه ان يتخلّص من الفخ، وسوف يلقى جزاءه بالقتل، فلا مخرج له.

٥ ـ (ولا يعودون اليه) والذي لم يقع في الفخ، بعد ان يرى مصير أصحابه، سوف لا يعود إلىٰ ساحة الحرب، بل يترك محاربة جيش الاسلام بأية وسيلة ممكنة.

وبالا جمال: فهذه الفوارق الخمسة بين الجيش الاسلامي العقائدي وبين جيش المرتزقة المادي يجعل النصر أبداً للمسلمين، بعد أن تنفّذ النقاط الخمس حرفيا، فان جيش المرتزقة لا يحبّ الموت، فهو يحارب معتمداً على النصر الموعود بالتفوّق المادي في ساحة الحرب، وبالنصر الموعود بعد الوقوع في الأسر، وليس كذلك الجيش العقائدي المحارب معتمداً علىٰ الثوابت الاسلامية.

[الخطبة ١١]

وَمِنْ كلاَمٍ لَهُ عليه السلام لابْنِهِ مُحَمد بْنِ الحَنَفِيّةِ لمّا أعْطَاهُ الرّايَةَ يَوْمَ الجَمَل:

(١/ط - ١١) مسؤولية حمل الراية:

تَزُولُ الْجِبَالُ[١] وَلاتَزُلْ[٢]، عَضَّ عَلى ناجِذِكَ[٣]، أعرِ الله جِمْجمَتَكَ[٤]، تِدْ في الأرْضِ قَدَمَكَ[٥]، إرْمِ بِبَصَرِكَ[٦] أقْصَى الْقَوْمِ، وَغُضَّ بَصَرَك، وَاعْلمأنَّ النّصْرَ مِنْ عِنْدِ الله سُبْحَانَهُ[٧].

عرف محمّد بعشيرته المعروفة بالحنفية، فإن أُمة هي: خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربون بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة من بني وائل، واختلف الروايات في امرها، قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ): «وقال قوم ـ وهم المحققون، وقولهمألاظهر ـ: ان بني أسد أغارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر الصديق، فسبوا خولة بنت جعفر، وقدموا بها المدينة، فباعوها من علىعليه السلام، وبلغ قومها خبرها فقدموا

(١) في هـ. أ: جمع في هذه الكلمات جميع آداب الحروب، وهي الاعراض عن الإدبار، تشبيها بالجبال فإنها لاتزول عن أماكنها، والعضّ علىٰ الناجذ لدفع ضرر كل ضرب يوافي الرأس، وثبات القدم يسبّب انهزام العدوّ، وغّض البصر يزيل الجبن، ورمي البصر أقصى القوم يشحّذ العزم.

(٢) في هـ. أ: هذا نهي مطلق؛ لأن النهي مع الزوال للجبال نهي بغير الزوال بطريق أولىٰ.

(٣) في هـ. أ: اي الأسنان الظواهر بين النابين. وفي هامش آخر: الناجذ: سنّ بين الناب والضرس، وقال: هوأقصىٰ الأضراس. وقيل: الاضراس كلها.

وفي هامش آخر: عضّ علىٰ ناجذك فانّ في ذلك ربط الجأش عن الفشل والخوف، ولانّ الضرب علىٰ الرأس مع ذلك غير مؤثّر كثير الضرر كما [يحصل في من] لايفعل ذلك، وقد قالعليه السلام في موضع آخر فإنّه أنبأ عن الهام، وذلك لما فيه من [التشدد] والتصلب.

(٤) في هـ. أ: شبّه الجمجمة التي تستعار للانتفاع بهاثم ترد، فالجهاد في سبيل دين الله وحزبه لمجرد رضىٰ الله عنه علىٰ هذا الوجه تشبيه الانتفاع بالعارية، وفي ذلك تنبيه لمحمد رضي الله عنه في هذا، بانه اذا أُعير الله لابّد من رده، وفيه تثبيت لجأشه وربط لقلبه.

(٥) في هـ. أ: «قوله: تد فيالأرض قدمك» وفي ذلك ربط الجأش، واستصحاب العزم علىٰ الشهامة، وأمارة الصبر علىٰ المكاره.

(٦) في ص : بصرك.

(٧) كلمة «سبحانه» غير موجود في ص ، وفي ب: سبحانه وتعالى.

المدينة علىٰ عليّ عليه السلام فعرفوها وأخبروه بموضعها منهم، فأعتقها ومهرها وتزوّجها فولدت له محمّداً، فكنّاه أبا القاسم»[١]؛ وتوفي محمّد في سنة (٨٠) للهجرة أو (٨١)، عن خمس وستين عاماً، وقيل:مات برضوى، وعليه كان محمّد في حرب الجمل في سنة (٣٥) له من العمر حوالي (٣٠) عاماً، وكان في الجيش حينئذٍ من هو افضل وأقوى وأدرب منه في الحرب ،مما يظهر ان تحميله بالذات هذه المسؤولية كان لتدريبه على هذه المسؤولية بالذات.

ويفيد النص في صفات مسؤولية حمل الراية في حرب الجمل أُمور:

١ ـ الاستقامة (تزول الجبال ولا تزل) فإن حامل الراية هو الهدف الاول للعدوّ، باعتبار كون الراية رمزاً للاستقامة، والجيش المحارب يستهدي بها على موقع القائد، وهذه الاستقامة تفتقر إلىٰ ثقة بالنفس عالية جداً ،كاستقامة الجبال في الثبات على مواقعها، وحتىٰ لو سقط القائد، فان استقامة حامل الراية تجعل النصر قريبا على اساس استمرار خط الدفاع لمن استخلفه القائد في حياته، والعكس بالعكس.

٢ ـ الصبر (عضّ على ناجذك) والناجذ: الضرس الأخير، حيث يعض عليه الانسان في حالة شدة الحميّة والصبر.

٣ ـ الرؤية الواضحة في تحمّل المسؤولية (أعر الله جمجمتك) والجمجمة هي الرأس، فبما أن الحرب حرب عقائدي فيكون كلّما يملكه الانسان لله واليه راجع، فهي عارية مستودعة من الله وإلى الله.

٤ ـ ثبات الموقع (تد في الارض قدمك) فالواجب على المسؤول أن يكون ثابتاً في موقعه بحكم المسؤولية كالوتد في الارض، وهو أدخل في الاستحكام كالمسمار في الحائط أو الارض، ومسؤوليّة حامل الراية أن يثبت على موقعه المأمور به مهما كانت نتائج الحرب.

٥ ـ حدود المسؤولية (ارم ببصرك أقصى القوم) حيث ان الهدف من حمل الراية هو

(١) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد ١: ٤٥ .

الرمز للثبات والمقاومة، فيجب ان لا يكون هدف حامل الراية مقصوراً على مواقع المواجهة وحدها، بل يكون بعيد النظر، حيث أن العدوّ يخطط للقضاء على هذا الرمز بمختلف الوسائل والحيل، فيجب ان يكون واعياً للحدود، ومحتملاً لشتى الاحتمالات، لأن من في الجهة المحاربة من القوم من أدناه لأقصاه ينظر إلىٰ هذا الرمز ويحاول القضاء عليه.

٦ – وبعد تحقق الاركان الخمسة في المسؤولية يجب ان يقوم حامل الراية بالمسؤولية الملقاة على عاتقه.

٧ ـ وختم المقطع بالثابتة الأصيلة في الجيش الايماني العقائدي (واعلم أنّ النصر من عند الله سبحانه) فان نتائج الحرب مهما كانت مدروسة ومخططة لا تكون نتائجها مضمونة، بل النصر من الله وحده.

[الخطبة ١٢]

ومن كلام له عليه السلام لما ظفر[(١)] بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا[(٢)] ليرى مانصرك الله به على عدوّك[(٣)] فقال[(٤)] عليه السلام:

(١/ط - ١٢) النصر الحقيقي هو النصر للمبادىء:

أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ قَالَ[(٥)]: نَعَمْ، قَال: فَقَدْ شَهِدَنَا، والله[(٦)] لَقَدْ شَهِدَنَا في عَسْكَرِنَا هَذا أَقْوامٌ هم فِي[(٧)] أَصْلاب الرّجَالِ[(٨)] وأَرْحَامِ النِّساء، سَيَرْعَفُ[(٩)] بِهِمُ الزَّمانُ، ويَقْوَى بِهِمُ الإِيمَانُ.

ينصّ هذا المقطع بشهادة الحقيقة والتاريخ على النصر لمن يريد الاعتبار، سواءً كان حاضراً أو غائبا، ناظراً للأحداث بالعين الباصرة أو معتبراً بها بعين البصيرة، من الحاضرين في الساحة أو المعارضين، في العصر أو من يأتي في المستقبل ممن يريد أن يستفيد من الاخطاء التي سبقت، ليبني بها حضارة متقدمة، وبعد حرب الجمل عام ٣٦ هـ عبّر بعض اصحابه عن رغبة شخصية لمشاهدة نتيجة الحرب العقائدية قائلاً: (وددت أنّ اخي فلاناً كان شاهدنا) مما يظهر عدم حضوره في الساحة وعدم مشاركته في الحرب بالرغم من كونه على نفس العقيدة والرأي؛ اذ لو كان حاضراً لشاهد النصر.

وعلّق عليه السلام في هذا المقطع على شهادة النصر على نفسه على طول التاريخ الصحيح في

(١) في أ وب ود: أُظفره الله.
(٢) كذا في ص: «حاضرنا» وقوفه: شاهدنا، ويحتمل كونه: شاهداً، وفي ب : معك شاهداً.
(٣) في أ وب ود: عليٰ أعدائك.
(٤) في ط وهـ ود: فقال علي ــ ح.
(٥) في د وط : فقال.
(٦) في أ ود: ولقد شهدنا، وفي ب وهـ أ: في نسخة: ولقد شهدنا والله.
(٧) في أ وب. : قوم في، وفي ط ود: اقوام في.
(٨) في هـ. ب: قوم في اصلاب، مستفاد من قول النبي صلى الله عليه وآله: «المرء مع من أحب».
(٩) في هـ. ص: اي يخرجون ويظهرون فيه، وفي هـ. أ: سيخرج ويأتي، وقد شبّه الزمان بالانسان، أوما يوجد ويظهر من الخلق في أوقات الزمان بما يخرج ويقطر من الرعاف من أنف الإنسان.

نقاط:

١ ـ (فقد شهدنا) فان النصر للجيش العقائدي نصرٌ لكل من يعتقد بنفس المبادىء، سواءً كان حاضراً بالفعل ومشاركاً في ساحة الحرب، أو متعاطفاً حقيقة معها ، ممن لم يتمكن من الالتحاق به لأي سبب كان.

٢ ـ (ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء) وقد أكّد عليه السلام على هذه الحقيقة بلام التأكيد، و(قد) مع الفعل الماضي المفيد للتحقيق، وذلك لان أجيال المستقبل، الذين هم غير موجودين في الحرب ينتفعون من آثار هذا النصر الذي يؤكد على تحكيم العدالة الاسلامية في المجتمع، وبذلك تصان الثوابت الاسلامية من الانحراف في التاريخ الصحيح، وتأثير هذه الحركة التصحيحية على الجيل المقبل يجعلهم مشاركين فيهاومنتفعين منها ومجتنين ثمارها، ومعتبرين بها لبناء مستقبل أفضل للاجيال المقبلة بعدها.

٣ ـ (سيرعف بهم الزمان) الرعاف: حصول الشيئ بشدّة، ومن اعتبر بالتاريخ يجد فيه الدروس والعبر؛ لأن التاريخ يعيد نفسه، وان الصراع بين الحق والباطل صراع دائم لا ينقطع، مادام هناك حق وباطل.

٤ ـ (ويقوى بهم الإيمان) فان نتيجة دراسة التاريخ لمعرفة نقاط القوّة والضعف فيه تجعل الدارس في حصانة من الوقوع في الأخطاء، ودرء ما يتوقع من الاعداء من خطط الاعتداء.

وبالجملة: فالنصر الحقيقي هو النصر للمبادىء وكلّ من سار عليها كان منتصراً، سواءً كان حاضراً ومشاركاً في ساحة المعركة أو متابعاً لها وهو خارجها، أو دارساً لها؛ للاعتبار بها من الاجيال في المستقبل.

[الخطبة ١٣]

ومن كلام له عليه السلام في ذم البصرة وأهلها

(١/ط ـ ١٣) ذم البصرة:

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأةِ[١]، وأتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ[٢]، رَغَا[٣] فَأَجَبْتُمْ، وعُقِرَ[٤] فَهَرَبْتُمْ، أخْـلاقُكُمْ دِقَاقٌ[٥]، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ[٦]، ودِينُكُمْ نِفَاقٌ[٧]، وَمَاؤكُمْ زُعَاقٌ[٨]، والمُقِيمُ بَيْنَ أظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ[٩]، وَالشاخِصُ[١٠] عنْكُمْ مُتَدَارَكٌ[١١] برَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ[١٢]؛كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ [هذا][١٣] كَجُؤجُؤِ[١٤] سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَث الله عَلَيْهَا الْعَذَابَ[١٥] مِنْ فَوْقِهَا ومِـنْ تَـحْتِهَا، وغَرِقَ مَنْ في ضِمْنِها.

موارد الذم في هذا الكلام:

١ ـ (جند المرأة) والمرأة في المجتمعات عـادة ـ وخـاصة المـجتمعات القـبلية ـ لاتتولى قيادة الجند، لالنقصٍ في ذاتها أو تفكيرها أو كفاءتها، بل لعدم تمرّنها على قيادة

(١) في هـ . ص مايلي: فيه إشارة الىٰ قول النبي صلى الله عليه وآله: «لن يفلح قوم أولوا أمرهم إمرأة».
(٢) في هـ . أ: أي المبهمة عن العقل، وهي كل من دواب البر والبحر.
(٣) في هـ . أ: الرغاء: صوت الإبل خاصة، وذكره لأنّه عنىٰ بالبهيمة الجمل، أي صوّت الجمل.
(٤) في هـ . أ: أي الجمل.
(٥) في هـ . أ: الدق من كل شيء: حقيره وصغيره، وفي هامش آخر منه: أي دقيق قليل الخير.
(٦) في هـ . أ: والشقاق: الخلاف والافتراق، وفي هامش آخر منه: أي خلاف وعداوة.
(٧) في هـ . أ: الشقاق الخروج من الايمان.
(٨) في هـ . أ: الزعاق: المالح، اي شديد الملوحة.
(٩) في هـ . أ: ذنبه هوإقامته فيما بينهم، وهذا يدل علىٰ لزوم الاحتراز من قرناء السوء، وهـومن أهم الامور، وأن صاحب الاخلاق الرديئة يضرّ جليسه.
(١٠) في هـ . أ: والشاخص: اي الخارج والراحل من بينكم فقد تداركه الله برحمته.
(١١) في هـ . أ: اي متلاقىٰ.
(١٢) هـ . د: برحمة ربه ـ م.
(١٣) لم يرد «هذا» في أ وب وط ود.
(١٤) في هـ . أ: أي صدر.
(١٥) في هـ . ص في هذا الموضع هامش طويل لم يمكن قراءته بوضوح، والظـاهر مـن بـعض كلماته ان الشارح ينقل فيه حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله في شأن البصرة.

الجيش التي تستلزم دورات تدريبية شاقة لا ترغب فيها النساء عادة، ولم يـعهد قـيادة المرأة للجيش الاسلامي منذ عهد الرسولﷺ والصحابة، ولأوّل مـرة كـانت مشـاركة السيدة عائشة (رض) قيادة رمزية استخدمها المحاربون القادة من الزبير وطلحة(رض) كواجهة اعلامية.

٢ ـ (اتباع البهيمة) ويقصد بها الجمل الذي ركـبته السـيدة عـائشة (رض) فكـان المحاربون يطوفون بالجمل باعتباره الرمز الحامل لأُم المؤمنين، ويتبعون الجمل حيث يسير من دون رؤية واضحة لأسباب الحرب وأهدافه ونتائجه، وقد أشار إلىٰ أن القرار في الحرب من جانب العدوّ أصبح مرهوناً بمسيرة الجمل، وليس للقادة الحقيقيّين ولا لمن ركبه، بقوله:

٣ ـ (رغا فأجيتم) والرغاء: صوت الجمل، فكان المحاربين يتّبعون صوت البهيمة من دون معرفة للمسير والمصير.

٤ ـ (وعقر فهربتم) ولمّا رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن الجمل اصبح رمزاً كـالرايـة فـي الحرب، أصدر أوامره بالقضاء عليه، حتىٰ صرخ باعلىٰ صوته: «وليكم أعقروا الجـمل؛ فانه شيطان»[(١)] فانه أصبح منبع الفتنة كالشيطان، وأصبح الرمز الوحيد كالراية، وبسقوطه انتهت الفتنة، وكان كما قال عليه السلام.

٥ ـ (أخلاقكم دقاق) والدقة: اللؤم، حيث استُخدمت امّ المؤمنين عليها السلام كواجهة فـي الحرب مع صيانة نساء المحاربين في بيوتهن، وهذا لؤم، حيث يصون المحارب عرضه ويجعل امّ المؤمنين في معرض الهلاك،والمروءة تقتضي ان تحفّ بها النساء المؤمنات لا الرجال فقط، فيكون إخراجها لوحدها دون نسائهم لؤماً منهم.

٦ ـ(وعهدكم شقاق) والعهد: الذمام، وهي ان المحاربين نقضوا البيعة، فكانوا غادرين بالخروج بعد البيعة.

٧ ـ(ودينكم نفاق) فان المبدأ الاسلامي هو علىٰ أساس التوافق بين العقيدة والعمل،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٥٣

والعقيدة تستلزم العمل على طبقها بالطاعة، فتكون البيعة من دون الطاعة نفاقاً ، وليس النفاق من الاسلام قط في شيء.

٨ ـ (وماؤكم زعاق)، أي مالح؛ فإن الماء النابع في ارض البصرة وما ولاها من مياه الابار المستمدّة من بحر الخليج المالح، وليس فيها ماء صالح للشرب سوى ما يجري إليها من الدجلة والفرات، ولاتستخدم حتىٰ في عصرنا هذا؛ نظراً لفقدان ما يرتبط بالانماء الزراعي المدروس حتىٰ تصبّ هدراً في الخليج.

٩ ـ (المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه) فان المجتمع حين الخطاب كان يتكوّن من المحاربين المنشقين، ومن يعيش مقيماً معهم إن شاركهم في القول والفعل كان واحداً منهم، وهو ذنب، وان لم يشارك فيكون حرا طليقا في رحمة الله تعالى.

١٠ ـ (الشاخص عنكم متدارك برحمة ربه) والشخوص عن الشئ: الخروج عنه والتدارك: المتابعة، فيكون الخارج من المجتمع الذي تختلف مبادئه عن مبادىء الشخص مواجهاً لرحمة من الله سبحانه بالخلاص من الذنب والرهن، فيكون حرا طليقاً في رحمة الله تعالى.

مسجد البصرة: وقد تنبّأ عليه السلام في عجز الكلام إلىٰ مستقبل مسجد البصرة، وهو اليوم في عصرنا خراب، ولم يبق منه سوى اثر، ويعرفه اهالي البصرة بعنوان «الخطوة» يعنون بها المكان الذي خطى فيه اميرالمؤمنين خطوة نحوالمسجد، وقد بقي هذا الاثر لحد اليوم، وكلما يحاول المؤمنون تجديد بنائها تحاول الحكومات منع ذلك، وإنا لله وإنا اليه راجعون. ويتكون تنبو امير المؤمنين للمسجد وضواحيها من نقاط:

١ ـ (كأنّي بمسجدكم كجؤجؤ سفينة) والجؤجؤ: الصدر، فان المسجد الجامع باعتباره المركز الديني يكون بالنسبة إلىٰ المدينة كالصدر بالنسبة إلىٰ السفينة، فانه لم يبق من البصرة القديمة سوى هذا المسجد الملاصق للخطوة المباركة.

٢ ـ (قد بعث الله عليها العذاب من فوقها، ٣ ـ ومن تحتها، ٤ ـ وغرق من في ضمنها) والعذاب من فوقها هو الحرب الاهلية، وفي هذه النقاط الثلاث الأخيرة اشار إلىٰ زوال

المدينة كمركز حكم للخلافة، كما كان قد خطط المحاربون لها، فلم تكن البصرة منذ ذلك العهد حتىٰ يومنا هذا مركزاً للخلافة، ولا عاصمة الدولة الاسلامية قط، بل كانت ولاتزال تتبع غيرها، ولا تؤمر نفسها، ولا تملك من أمرها شيئا، فلا تستخدم المياه العذبة الجارية فوق أرضها من الدجلة والفرات في إعمار أراضيها، ولو استخدمت بدراسة صالحة لكانت كافية في أن تجعل الارض كلها جنّة، كما لم يستخدم معادن النفط المخزون تحتها من الذهب الأسود في مصالح نفسها ولا غيرها، ولو استخدمت لذلك لأغنت نفسها وجيرانها من الحاجة إلىٰ الاقتصاد العالمي. كما غرق من يعيش فيها بالتبعيّة إما للقوى والشركات الاجنبية، أو للسلطة المحلية المدارة من قبلها، وما أسوأ ذلك من عذاب من الفوق .

والتحت والضمن، أعاذنا الله من ذلك.

وقد فسر الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) ذلك شرحاً مادياً بقوله: «فأما إخباره ﷺ أن البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بها ، فقد رأيت من يذكر أن كتب الملاحم تدل على أن البصرة تهلك بالماء الاسود ينفجر من أرضها ، فتغرق ويبقى مسجدها . والصحيح أن المخبر به قد وقع ، فإن البصرة غرقت مرتين ، مرة في أيام القادر ، بالله ومرة في أيام القائم بأمر الله ، غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلّا مسجدها الجامع بارزا بعضه كجؤجؤ الطائر ، حسب ما أخبر به أمير المؤمنين ﷺ ، جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس ، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام ، وخربت دورها ، وغرق كل ما في ضمنها ، وهلك كثير من أهلها».[١]

اختلاف الروايات:

قال الرضي:[وفي رواية اخرى][٢]: **وَأَيْمُ اللّٰهِ، لَتَغْرَقَنّ بَلْدَتُكُمْ[٣] هذه حَتّىٰ كَأَنّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِكم كَجُؤجؤِ سَفِينَةٍ، أونَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ.[٤]**

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ٢٥٣.
(٢) ما بين المعقوفتين من أ وب.
(٣) في هـ. أ: في نسخة: بلدتكم هذه.
(٤) في هـ. أ: أي جاثمة علىٰ صدرها.

ويروى:[١] كَجُؤجؤ طَيْرٍ في لُجّةِ بَحْرٍ.

وفي رواية أُخرى[٢]: بِلاَدُكُمْ أَنتَنُ بِلاَدِ الله تُرْبَةً، أَقْرَبُهَا مِنَ المَاء، وابْعَدُهَا مِنَ السَّماء، وبِهَا تِسْعةُ أَعْشَارِ الشّرِّ. الْمُحْتَبِسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ وَالْخَارِجُ بِعَفْواللّهِ. كأنّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هذِهِ قَدْ طَبّقَهَا الْمَاء حَتّى مَا يُرَى مِنْهَا إلاّ شُرفُ الْمَسْجِدِ كأَنَّهُ جُؤجؤ طَيْرٍ في لُجةِ بَحْرٍ.

وقد وقف الرضي (ت / ٤٠٦ هـ) على روايات أربع مختلفة في العجز من هذا المقطع، وهي:

الرواية الاولىٰ: (كأنّ مسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها، وغرق من في ضمنها) وقد تقدمت.

الرواية الثانية: (وأيم الله، لتغرقنّ بلدتكم حتىٰ كأنّي انظر إلىٰ مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة) والنعامة: حيوان مركب من خلقة الطير في الجناح والمنقار والريش، ومن خلقة الجمل في العنق وعظم الساق، يضرب بها المثل في الغباوة ويستعمل ريشها للزينة. والجثوم: السكون بالوقوع على الصدر كناية عن الاهمال.

الرواية الثالثة: (كجؤجؤ طير في لجّة بحر) كناية عن أنّ دورها في التاريخ الاسلامي يكون دوراً عابراً كالموجة التي تعترض في البحر، وسرعان ما تسكن، وينتهي دورها.

وتكاد تكون هذه الروايات متشابهة في وصف المسجد، ما عدى الأخيرة، وهي:

الرواية الرابعة: وتحتوي على وصف البلاد، وهي مدينة البصرة القديمة بأوصاف تميّزها عن غيرها من المدن التي اجتازها اميرالمؤمنين، وخاصة في الحجاز واليمن، وأشار منها إلىٰ النقاط التالية:

١ ـ (بلادكم انتن بلاد الله تربة) النتونة: خبث الرائحة، وليس الوصف للتربة بذاتها، بل لرائحتها بحكم جوارها للبحر وكثرة المستنقعات في ذلك العصر حولها، فإن الرائحة المنبثقة في هذا الجو اذا قيس بالجو الطلق الغالب في الحجاز واليمن يكون أخبثها رائحة،

---

(١) في أ: وفي رواية، وفي هـ. أ: في نسخة: ويرویٰ.
(٢) هذه الرواية الاخيرة من «ط» فقط.

ولاينافي ذلك ان تكون اخصبها تربة.

٢ ـ (اقربها من الماء) والظاهر انه يعني به ماء البحر الاجاج، وليس مياه الدجلة والفرات، لانهما جاريان وليسا ثابتين كماء البحر.

٣ ـ (وأبعدها من السماء) والمراد الابتعاد من رحمة السماء، وهي العدالة في الحكم على الارض بالشورىٰ.

٤ ـ (وبها تسعة أعشار الشرّ) كناية عن كثرة الشر لكثرة اتباعه، ومن ذلك يظهر قلّة انصاره فيها بنسبة الواحد إلىٰ العشرة.

٥ ـ (المحتبس فيها بذنبه) فان الواحد من العشرة من السكان يشكل نسبة اقلية مغلوب على أمرها، كالمحبوس بين عشرة من المحاربين، والسبب في هذا الحبس هو ذنبه باختيار البقاء بين الاعداء، حيث لا حرية له معهم.

٦ ـ (الخارج بعفو الله) فان الخارج من هذا المجتمع الذي يغلب عليه الاعداء بنسبة التسعة إلىٰ الواحد، يخرج حيث لا شيء له سوى عفو الله سبحانه من ان ينخرط في الذنب مع الاكثرية، إما بالمشاركة معهم عمليا، أو الرضا على فعلهم ظاهرياً، وان انكر ذلك بقلبه، وهو أضعف الايمان حيث لايمكن الهجران، والله المستعان.

مستقبل البصرة:

وفي هذه الرواية تنبؤ آخر عن مستقبل البصرة في نقاط:

١ ـ (كأنّي انظر إلىٰ قريتكم هذه) فهي حين الخطاب لم تكن مدينة كسائر المدن الاسلامية من حيث السعة والسكان.

٢ ـ (قد طبّقها الماء) بالاستيلاء عليها غرقا من مياه البحر والانهار والفيضانات، حتىٰ تكون طبقة من الماء تستولي على المدينة .

٣ ـ (حتىٰ ما يرى منها إلّا شرف المسجد) والشرفة: أعلى المكان، والمسجد في عهد امير المؤمنين في البصرة القديمة كانت في أعلى موقع كما هو الآن، ومعروف بالخطوة المباركة، وطبيعيّ أنّ فيضانات الانهار والمياه تستولي على الموضع السافل السهل من

الارض، دون ما شرف منها.

٤ ـ (كأنّه جؤجؤ طير في لجّة بحر) وحيث لا يستولي الغرق علىٰ المسجد، فيكون المسجد في المياه المحيطة به كصدر الطير القابع في لجّة البحر، واللجة: الموجة، حيث لا يشاهد من الطير إلّا مقاديم بدنه، وأعظمها الصدر.

[الخطبة ١٤]

وَمِنْ كلاَمٍ لَهُ عليه السلام في مِثْلِ ذَلِكَ

أرْضكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاء، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّماء[١]، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ أحلامَكُمْ[٢]، فَأَنْتمْ غَرَضٌ لِنَابِل، وأكلَةٌ لآكِلٍ، وَفَريسَةٌ لِصَائِلٍ[٣].

(١ / ط ـ ١٤) وصف البصرة وأهلها:

وفي هذا المقطع من الكلام جمع امير المـؤمنين عليه السلام بـين وصـف البـصرة وأهـلها بالاوصاف التي شاهدها في عصره في هذه الخطبة، وهي:

١ ـ (أرضكم قريبة من الماء) والمعنيّ ظاهراً: ماء البحر الغير الصالح للشرب والزرع إلّا بتصفية شاقّة وبتكاليف باهضة.

٢ ـ (بعيدة من السماء) والمراد: البعد المعنوي، والمراد من السماء رحمة الله سبحانه؛ لانها بعدت من تطبيق الحكم الاسلامي العادل.

ثم أشار إلىٰ صفات الأقلية التي يستخدمها الأقوياء في سبيل مصالحم الخاصة، وهي:

٣ ـ (خفّت عقولكم) وخفة العقل كناية عن عدم الاستقلال في التفكير، حيث وقعوا فريسة للدعايات من قبل الخارجين على أمير المؤمنين فأصبحوا آلة مستخدمة لمصالح غيرهم.

٤ ـ (وسفهت حلومكم) والسفة: الطيش، والحلوم: جمع الحلم، وهو الاحلام التـي بنوها على تعاونهم مع الخارجين من دون دراسة موضوعية للأسباب والنتائج، وأنّ من هو المنتفع الحقيقي من الدخول في الحرب؟ والتمييز بين الحلم والحقيقة.

٥ ـ (فأنتم غرض لنابل) والغرض: ما ينصب للرمي بالسهام، والنابل: من يـرميها، فالأقليات المتعاونة مع الأغلبية انما تستخدم غرضا للنابل، فيستفيد منها لغـرضه ثـم

---

(١) في هـ. أ: اي لايسمع دعاءكم أهلها.
(٢) في أ وب : حلومكم. وفي هـ. أ: أي عقولكم.
(٣) في ب وهـ. أ: في نسخة: لصائد. وفي هـ أ أيضاً: أي من يصول.

يتركها حينما تنقضي حاجته منه.

٦ ـ (وأكلة لآكل) وهذه الأقلية تكون معرّضة للابادة إذا اقتضت مصلحة الأكثر الاقوى، فيأكلها مرّة واحدة.

٧ ـ (وفريسة لصائل): الصائل هو الذي يحاول صيد الفريسة، فإذا أرادت الاقلية الاستقلال مما تتعرض لها مع الاقوى فانها تصبح فريسة يسهل القضاء عليها.

وهذه الصفات الخمس الأخيرة للاقليات تنطبق بصورة كاملة على أهل البصرة في عهد امير المؤمنين عليه السلام حيث استخدمها الخارجون من ذوي القوّة والنفوذ من اهالي المدينة ومكة في حرب الجمل، وبعد انتهاء الحرب ظهرت الحقيقة، ولكن بعد خراب البصرة، كلّ ذلك لعدم الرؤية الواضحة في المواقف.

[الخطبة ١٥]

ومن كلام له عليه السلام فيما ردّه [على المسلمين][(١)] من قطائع عثمان

(١/ط - ١٥) قطائع عثمان:

والله لو وَجَدْتُهُ قدْ تُزُوِّجَ بِهِ النساء، ومُلِكَ بِهِ الإمَاء لَرَدَدْتُه؛ فَإنّ في الْعَدْلِ سَعَةً. ومَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدلُ فَالْجَوْرُ عليهِ أَضْيَقُ.

القطائع: جمع قطيعة، وهي كما قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في الشـرح:« القطائع : ما يقطعه الامام بعض الرعية من أرض بيت المال ذات الخراج ، ويسقط عـنه خراجه ، ويجعل عليه ضريبة يسيرة عوضا عن الخراج . وقد كان عثمان أقطع كثيرا من بنى أمية وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الخراج على هذه الصورة ، وقد كان عمر أقطع قطائع ، ولكن لارباب الغناء في الحرب والآثار المشهورة في الجهاد ، فعل ذلك ثمنا عما بذلوه من مهجهم في طاعة الله سبحانه ، وعثمان أقطع القطائع صلة لرحمه ، وميلا إلى أصحابه ، عن غير عناء في الحرب ولا أثر».[(٢)]

ونقل ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ ﻫ) عن الكلبي: ان هذه العبارة من الخـطبة التـي خطبها في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة، فتكون هذه الخطبة لتحديد السياسة الاقتصادية للخلافة كحركة تصحيحية أوضح معالمها في نقاط:

١ ـ (والله) للتأكيد على رؤية واضحة في هذه الحركة التصحيحية بـالعمل، وليس بمجرد الكلام بدون العمل.

٢ ـ (لو وجدته قد تزوّج به النساء وملك به الاماء لرددته) والتعبير بـ(لو) الشرطية يقتضي انه لا علم له بهذا النوع من التصرّف في بيت مال المسلمين، مؤكداً علىٰ ان لبيت المال موارد ومصارف مظبوطة اسلاميا ومعروفة للمسلمين من الصحابة والانصار الذين

---

(١) من ط.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ٢٦٩.

لم تغب عنهم السنة النبوية المطهرة في ادارتها حسب تلك الضـوابـط الاسـلامية، وأن الإعراض عن تلك الضوابط لا يوجب شرعية التصرف، فيكون التصرّف في مال الغير من طريق غير قانوني، فلا يكون نافذاً، بل يكون لاغياً، ونتيجة ذلك: يلزم تصحيح التصرف بإرجاع كل مال إلىٰ صاحبه، فلو كان هذا التصرّف: التزوّج بالمال الحرام، لكـان الزواج مردوداً حتى يتحقّق بالصداق الحلال، وكذا غيره من التصرفات العينية والحـقيّة مـهما كانت الظروف، فيجب ردّها بالتصحيح .

٣ ـ (فإنّ في العدل سعة) إشارة إلىٰ السبب الوحيد في هذه الحركة التصحيحية، وهو تحقق العدل، فان العدالة تقتضي اداء الحقوق، و «أن الغاصب يؤخذ بأشقّ الأحوال» كما هو مقرّر في الفقه الاسلامي، ولا عبرة في الاسلام بالقانون الوضعي المـعروف بشـمول بعض المرافعات بقانون «مرور الزمن»، فيما اذا عرف المال وصاحب الحـقّ الحـقيقي، والظاهر أن المراد من سعة العدل: شموله لكافة طبقات المجتمع الاسلامي من دون حصر في طبقة خاصة.

٤ ـ (ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) وفي هذه الجملة بيان لدور القائد في تطبيق الحكم الاسلامي، حيث أنّ مسؤوليته هي تطبيق العدالة في المجتمع ككل، مـن دون فرق بين طبقة واُخرى على اساس المحسوبيات والصداقات ونحوها، فـاذا كـان القائد مهملاً لهذه المسؤولية لأي مبرّر كان، فيكون النتيجة: الجور والظلم بالتفريق بين افراد المجتمع، وذلك يوجب السخط عليه من المظلومين قاطبة، لمكان الجور، وحتى من الظالمين؛ لانهم يعلمون أن ما جاء بالجور سوف يكون معرضا للجور ايضاً، فيفقد القائد الثقة من الجميع، واذا فقد القائد هذه الثقة كانت قيادته مـتّصفة بـالخوف، ويـضطر إلىٰ الاستبداد الذي لابد وان يطيح به آجلا أم عاجلاً حتىٰ يقع في مزبلة التاريخ كما هو حالة المستبدين في التواريخ.

[الخطبة ١٦]

ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة

(ط ١ - ١٦) البيعة:

ذِمَّتِي(١) بِمَا أَقُولُ رَهِينةٌ(٢)، وأَنَا بِهِ زَعِيمٌ(٣) إنّ(٤) مَنْ صَرَّحَتْ(٥) لَهُ الْعِبَرُ عَمّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ المَثُلاَتِ(٦) حَجَزَهُ(٧) التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ(٨) الشُّبُهَاتِ. أَلا وإنَّ بَـلِيَّتَكُمْ(٩) قَـدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا(١٠) يَوْمَ بَعَثَ الله نَبِيّهُ(١١).

والَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقّ لَتُبَلْبَلُنّ(١٢) بَلْبَلَةً(١٣)، وَلَتُغَرْبَلُنّ(١٤) غَرْبَلَةً،(١٥)، وَلَتُسَاطُنَّ(١٦)

---

(١) في هـ. أ: الذمة: العهد والأمان.
(٢) في هـ. أ: رهينة، أي مرهونة.
(٣) في هـ. أ: زعيم، اي كفيل، [والمعنىٰ]: الحق ما أقول، أي ليس في قولي كذب ولا في وعدي خلف.
(٤) في نسخة ص : انه، وفي هامش ص: في نسخة : إن.
(٥) في هـ. ص: أي كشفت وأبانت، وفي هـ. أ: قوله: إنّ من صرّحت له العبر ... الىٰ اخره»: فـي ذلك إشارة الىٰ ... الاعتبار بوجوب التقوى، وعلىٰ أنّ الاعتبار وسيلة الىٰ التقوىٰ؛ ذلك لانّ من أخذت العناية زمام عقله ما صرحت به من آفات الدنيا، وكشف عبرها، وتبدّل حالاتها، علىٰ من أوقف عليها همّه، واتخذها دار إقامة، شاهد أنّ كل ذلك امـور بـاطلة، فـلابد [أن] يفيض الله سبحانه علىٰ صدره خشيته، وتلك الخشية متوقفة على أن يخلي نفسه مـن تـلك الأُمور ويبتعد بسبب الاعتبار وبالتقوى عنها، والحاجز عن ذلك الفعل.
وأشار بالشبهات الىٰ ما يتوهم كونه حقاً ثابتاً باقيا لأُمور غائبة زائلة، وليست هـي كـما تـصّور، ولذلك سميت شبهة، لأنّها تشابه الحق وتلتبس به.
وفي هامش آخر في أ: يعني عرفان حقارتي للأُمور الدنياوية يمنع من الوقوع في الشبهات.
(٦) في هـ. ص وأ: أي العقوباب.
(٧) كذا في ص وأ، ولكن في ط وهـ. ص: في نسخة: حجزته. وفي هـ. أ: اي مـنعه، والحـجز: المنع. وفي هـ. د: حجره ـ ض وج.
(٨) في هـ. أ: تقحّم في الماء: أي القىٰ بنفسه فيه.
(٩) في هـ. ص: اي ابتلائهم واختبارهم. وفي هـ. أ: قد يعني: أُقاسي من بليّتكم مـثل مـاقاسىٰ النبي صلى الله عليه وآله في ابتداء مبعثه من قومه.
(١٠) في هـ. أ: اي البلية.
(١١) في د: نبيكم صلى الله عليه وآله.
(١٢) في هـ. ص: اي لتحركنّ ولتخلطنّ.
(١٣) في هـ. ص: البلبلة: الخلط.
(١٤) في هـ. أ: اي لتنخلنّ.

سَوْطَ القِدْرِ؛ حَتّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلاكُمْ(١٧) وأَعْلاَكُمْ أَسْفَلَكُمْ.

وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا، وَلَيَقَصِّرَنَّ سَبَّاقونَ(١٨)كَانُوا سَبَقُوا.(١٩)

وَٱللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً(٢٠) وَلا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ(٢١) بِهَذَا المَقَامِ وَهَذَا اليَوْمِ.

أَلاَ وإِنّ الخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ(٢٢) حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وخُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ(٢٣) بِهِمْ في النَّارِ.

أَلاَ وإِنّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأعْطُوا أَزِمَّتَهَا، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ.

حَقٌّ وَبَاطِلٌ(٢٤)، وَلِكُلٍ أَهْلٌ، فَلَئِنْ أمِرَ(٢٥) البَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ(٢٦)، ولَئِنْ قَلَّ الْحقُّ فَلَرُبَّمَا(٢٧) وَلَعَلّ، وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيءٌ فَأَقْبَلَ(٢٨).

قال السيد الشريف: وأقول: إنّ في هذا الكلام الأدنىٰ من مواقع(٢٩) الإحْسَان مَالا

---

(١٥) في هـ. ص: الغربلة: النخل.

(١٦) في هـ. الف: ساط القدر: إذا قلّب ما فيها من طعام بحراك و إدارة، وفي هامش آخر: اي خلط القدر. و في هـ. ص: السوط: الخلط.

(١٧) في هـ. أ: أعلاكم: عزيزكم، أسفلكم: ذليلكم.

(١٨) في ص: سابقون.

(١٩) في هـ. ص: المعنىٰ انهم كانوا سابقا يتمايزون باعتبار السبق الىٰ الايمان والإبطاء، والآن يتمايزون باعتبار الدخول في الفتنة والسبق الىٰ نصرة الحق والإبطاء عنه.

(٢٠) في الف: وشيمة. في ب: وسمة: وفي هامش د: وسمة ـ ك. وفي هـ. ص: اي كلمة مما ينبغي ان يقال في المقام، وفي هـ. أ: الوشيمة ـ بالشين المعجمة ـ: الكلمة، وبغير المعجمة: العلامة والأثر.

(٢١) في هـ. أ: اي خبّرت.

(٢٢) في هـ. ص: جمع شموس، وهي النفور التي تمنع ظهرها وتلقي راكبها. وفي هـ. أ: أي حرون، والشموس: الدابة تمنع ظهرها، وجمعه، شمس.

(٢٣) في هـ. أ: التقحّم الذهاب بعنف.

(٢٤) في هـ. ص: أي الأمر حق وباطل، ليس إلاّ أحدهما. وفي هـ. أ: اي في الدنيا حق وباطل... اي هذا حق وذاك وباطل، علىٰ تقدير المبتدأ، وفي الدنيا حق وباطل، علىٰ تقدير حذف الخبر.

(٢٥) في هـ. ص: اي كثر، وفي هـ. أ: كثر ونما.

(٢٦) في هـ. أ: بمعنىٰ انفعل، يقال: كسير مجبر: اي انجبر.

(٢٧) في هـ. أ: اي لربما يكثر الحق، ورب للتقليل، واصله للتمني، اي فلعل يرجع الحق ... لقوله: لربما ادبر شيء فاقبل.

(٢٨) في هـ. ص: اي قد يجدون ذلك، فيه انذار وكشف عن غاية الامر، ثم استبعد ان يعود الأمر اليه بعد صرفه عنه.

(٢٩) في ب: بدائع، وفي هـ. ب: في مواقع.

تَبْلُغُهُ مَواقعُ الاسْتِحْسَانِ[١]. وإنَّ حَظّ العَجَبِ[٢] مِنْهُ أكْثَرُ مِنْ حَظّ العُجْبِ بِهِ، وفِيه ـ مَعَ الحَالِ الّتِي وَصَفْنَا[٣] ـ زَوَائِدُ مِنَ الفَصَاحَةِ لاَ يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ، وَلاَ يَطَّلع فجّها[٤] إنْسَان، وَلاَ يَعْرِفُ مَا أقُولُ[٥]إلاّ مَنْ ضَرَبَ في هَذِهِ الصّنَاعَةِ بِحَقٍ، وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ،[٦] ﴿ومَا يَعْقِلُهَا إلاّ العَالِمُونَ﴾[٧].

هذا الكلام كما نقل الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) عن الجاحظ (ت / ٢٥٥ هـ) من أوّل خطبة خطبها امير المؤمنين، أورده الشريف الرضي في مقطعين، الاول: في المبادىء العامة لخلافته، والثاني: في مواقف الناس وأصنافهم، وقد عقّب الرضي المقطع بالاشارة إلىٰ ما فيه من موارد الفصاحة، وحيث أنّ ذلك خارج من المقصد لهذا الشرح، فينبغي مراجعة الشروح في ذلك، ونكتفي بالاشارة إلىٰ المواد العامة التي اعلنها أميرالمؤمنين للخلافة، وهي:

المادة الاولى ـ في مسؤوليات القائد:

اولا: العهد، قال عليه السلام: (ذمّتي بما أقول رهينة) الذمة ـ هنا ـ العهد، فإنّ الخلافة عهد اسلامي بين طرفين: احدهما القائد والثاني الأغلبية من المجتمع الاسلامي، وهذا العهد من القائد، والبيعة التي هي قبول للعهد من جانب أفراد المجتمع يشكّل العقد الاجتماعي الذي هو اساس شرعية أي حكم، وان أيّ حكم كان يفقد شرعيته بالاخلال بهذا المبدأ من قبل القائد ـ أيّ قائد كان ـ، وأكد عليه السلام على هذا العهد بقوله: (ذمّتي بما أقول رهينة) أي مرهونة ومسؤولة أمام الناس والتاريخ، والحقيقة.

(١) في هـ. أ: اشار بمواقع الاستحسان الىٰ «الفكر» من الناس؛ فانها من محالّ الاستحسان أيضاً؛ إذ انّ الاستحسان من صفات المستحسن، اي ان الفكر لايصل الىٰ محاسن هذا الكلام.
(٢) في هـ. أ: يقال : أعجبني هذا بحسنه، وأعجب فلان بنفسه، على البناء للمفعول، فهومعجب برأيه وبنفسه، والاسم: العجب، بالضم.
(٣) في ب: وصفناه.
(٤) في هـ. الف: اي الطريق الواضح.
(٥) في ص: أقوله.
(٦) في هـ. أ: اي علىٰ اصل.
(٧) اقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون﴾العنكبوت: ٢٩/ ٤٣.

ثانيا: الضمان (وأنا به زعيم) والزعيم: الضامن للشئ كفالة؛ فان من لوازم الضمان من باب أن يطالب الغريم حقه من الضامن أداء الحقوق لأصحابها، مالية أو اجتماعية أو غيرها، فالخليفة يكون مسؤولاً عن سياسته الجديدة.

ثالثاً: العبرة، أي العظة من السياسات السابقة من الحكام؛ فان مدرسة التاريخ تعلّم الاجيال دراسة الاخطاء في الحكم؛ لكي تجتنب تكرارها بالقضاء على الاسباب الموجبة لظهورها، وقد مثّل لهذا المبدأ مثالاً بقوله: (من صرّحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات) والصرح: البيان، والمُثلَة: العقوبات، والحجز: المنع، والتقوى: الوقاية، والتقحّم: التردي، والشبهات: الامثال، فان دراسة الحالات التاريخية التي تنتج العبرة تمنع من العقوبات التي ترتبت على ما حصل في التاريخ من الحوادث التي تتكرر امثالها في كل عصر وزمان.

المادة الثانية ـ وصف فترة الانتقال:

فان في فترة الانتقال بين حكمين فترة يتّسم بالبلاء، أي الامتحان، وخاصة اذا كان الحكمان يختلفان في المبادىء الاساسية للحكم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، مما يستلزم تغييراً جذريا، حيث انه ـ ولا شك يصطدم الحكم الجديد بمن يرى منافعه في خطر من اصحاب الحكم القديم، فتكون الدوافع جادّة في إبقاء القديم على قدمه، ومقاومة الجديد بما اوتوا من حول وطول.

وقد مثل عليه السلام لفترة الانتقال هذه بتاريخ الدعوة الاسلامية في مهدها بقوله:(ألا، وإنّ بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه) اشارة إلىٰ الخطوط العريضة التي تسير عليها الخلافة في عهده، وهي الخطوات التي اتخذها الرسول القائد صلى الله عليه وآله في بدء الدعوة الاسلامية، وطبيعيّ ان تستلزم تلك الخطوات معارضة مشابهة من قبل الذين لايوافقون على تلك الخطوات اجمالا أو تفصيلاً، والحالة التي تسعى الخلافة إلىٰ تغييرها مشابهة للحالة التي سعى النبي القائد صلى الله عليه وآله في تغييرها.

المادة الثالثة ـ في مضاعفات فترة الانتقال:

وأشار عليه السلام إلىٰ ردود الفعل لفترة الانتقال، وانها مشابهة لما حصل في عـهد النبي، مؤكّداً على السير على السيرة النبوية المطهرة بقوله: (والذي بعثه ﷺ بالحق) ثم أشار إلىٰ ردود الفعل المتوقّعة، وهي:

اولا: البلبلة (لتبلبلن بلبلة) والبلبلة: شدّة الهمّ؛ لاختلاط الاقوال وتباين الآراء فـي خطة العمل التي تقدمها الخلافة الجديدة.

ثانياً: الغربلة (ولتغربلن غربلة) وطبيعي حـصول ذلك؛ لاخـتلاف الآراء فـان كـل صاحب رأي رأيٌ، يحاول فرضه على الآخرين بما له من حول وطول، ويلازم ذلك في المجتمع القبلي ـ استخدام القوة المسلحة، وفي حالةٍ كهذه يتميّز مـن يـلتزم بـالمبادي الاسلامية كالشورىٰ، ممن لا يلتزم بها في تصرفاته كاستخدام القوّة مهما كـلف الأمـر، فيتميّز الناس بأعمالهم كما يميز الغربال الناعم من الدقيق من النخالة.

ثالثاً: التغيير الجذري، وقد عبّر عنه بالسوط، وهو بمعنى الخـلط، ومـن أجـل ذلك سميت الآلة المستعملة للعقاب بالسوط، لان بها يخلط الدم باللحم، وقد عبّر عن هـذا التغيير الجذري بأروع تعبير بقوله: (لتساطنّ سوط القدر) فان التغيير الجذري يستلزم خلطاً كما يخلط ما يجعل في القدر للطبخ حتىٰ يكون صالحاً للأكل، و(لايغيّر الله بقوم حتىٰ يغيّروا ما بأنفسهم)[١] فالمجتمع سوف يتغيّر جذريا حتىٰ يصبحوا أعضاء صالحين مساهمين في المجتمع العادل، وقد أشار إلىٰ آثار أربع من هذا التغيير، هي:

١ ـ (حتىٰ يعود أسفلكم أعلاكم) فالمستضعف في المـجتمع الذي يـعتبر وضـيعا محكوماً عليه؛ لكونه من الاقليّة، يصبح حاكماً فيكون عاليا.

٢ ـ (وأعلاكم أسفلكم) والمستعلي على المجتمع من دون استحقاق للوظيفة، يصبح أسفل محكوماً عليه.

٣ ـ (وليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا) فالجماعة التي قصّرت عن دورها، وهم أسبق من غيرهم لاستحقاقهم تلك الادوار تسبق إليها باستحقاق.

---

(١) اقتباس من سورة الانفال: ٥٣.

٤ ـ (وليقصرنّ سبّاقون كانوا سبقوا) والجماعة التي سبقت من دون استحقاق تقصّر؛ لتؤدي دورها حسب كفاءتها القاصرة عن السبق.

وهذه الآثار الأربع آثار ثورة عارمة تؤذن بانقلاب جذري في خطّة تصحيحية صارمة.

المادة الرابعة ـ صفات القائد:

واكتفى من صفات القائد هنا بثلاث خصال أصيلة في السنة النبوية، حيث أن هذا هو البيان الاول للخلافة، وفيه بيان ثورة إسلامية لم يتعوّد عليها المجتمع الاسلامي في المدينة منذ عهد الرسول ﷺ اي خلال ربع قرن من الزمن حتىٰ تسلّمه عليه السلام الخلافة عام (٣٥) للهجرة، وهذه الفترة كانت كافية ليموت الكبار وينسى الصغار، ولكنه أصّر على اعادة السنة النبوية إلىٰ الاذهان والعمل بها في الساحة الجديدة، حيث اتيحت له الخلافة لأول مرّة بعد وفاة النبي ﷺ في عام ١١هـ، وأكّد على صلة هذه الخلافة بسيرة النبي بألتاكيد على نقاط ثلاث، هي:

اولا: (والله ما كتمت وشمة) والوشمة: الكلمة، فان الخلافة تبتني على اعلان المبادئ بوضوح، كما كانت عليه السيرة النبوية.

ثانياً: (ولا كذبت كذبة) فان القيادة الاسلامية تبتني علىٰ الصدق في القول والعمل، كما كانت عليه السيرة النبوية.

ثالثا: (ولقد نبّئت بهذا المقام وهذا اليوم) ومصدر النبأ هو الرسول القائد ﷺ كما تنصّ عليه بعض الروايات، وفي ذلك تأكيد على صلة الخلافة بالسنة النبوية، وفي هذا المجال روى الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠هـ)، فقال:«أخبرنا جماعة ، عن أبي المفضل ، قال : حدثنا أحمد بن عبيدالله بن محمّد بن عمار أبو العباس الثقفي ، قال : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا جعفر بن أبي سليمان – يعني الضبعي – قال : حدثنا أبو هارون العبدي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : أخبر رسول الله ﷺ عليا بما يلقى بعده ، فبكى عليه السلام ، وقال : يا رسول الله ، أسألك بحقي عليك وقرابتي منك ، وحق صحبتي اياك ، لما دعوت

الله عز وجل أن يقبضني إليه . فقال ﷺ : أتسألني أن أدعو ربي لاجل مؤجل ؟ قال : فعلى ما اقاتلهم ؟ قال : على الاحداث في الدين».(١)

المادة الخامسة ــ تقسيم الدول:

بما أن الدول على قسمين: دول الحق ودول الباطل، فقد اشار إلىٰ وسائلها من الخطايا والتقوى، وإلى نتائجها: من النار والجنة، والى نسبتها العددي، أي الكثرة والقلة، ووصف هذه الحقائق الثلاث بمايلي:

أوّلاً ــ الوسائل: فالخطايا، وهي الانحراف في العمل عن طريق العدل، فقد وصفها بانها غير طبيعية؛ لان الانسان بطبيعته يميل إلىٰ العدل، ومن يرتكب الخطيئة انما هو بسبب يدفعه إلىٰ ذلك.

(فالخطايا خيل شمس) والشموس: الممتنع، فان الانسان لايجب أن يخطأ، بل (حمل عليها اهلها) بسبب التفكير الخاطىء والدعايات المضلّلة الموجبة لوقوع الانسان في فخ الخطايا، وبالنتيجة: تكون هذه الخطايا كالدابة المخلوع لجامها، فتسير من دون عنان وتوجيه من قائد يمنعها مما يضرّ بها ويضرّ بالناس، فالخطايا بين المجتمع الجاهلي وفي الدول تكون نتيجة طبيعية لإهمال القيادة مسؤوليتها في التثقيف والتعليم، فتصبح الأُمة جاهلة بما يضرّها وينفعها، فتكون كالدابة الحرة في تصرفاتها (فتقحّمت بهم في النار) والتقحّم: التردّي؛ لان تلك الخطايا تردي مرتكبها إلىٰ الهاوية والنار في الدنيا والآخرة،وهذه هي صفة الباطل ومسيره ومصيره، حينما يتثقّف بالثقافة المادية الخادعة.

وهذا على النقيض من التقوى؛ فانها وسيلة تستخدم في تحقيق اهدافها (كالمطايا الذلل)، أي المركوب الذلول، أي المروّض لأداء هذا الدور، و(حمل عليها اهلها) باستخدامها لاداء دورها المطلوب منها بقيادة حكيمة (وأُعطوا أزمّتها) فهي تقودهم إلىٰ النجاة (فأوردتهم الجنة) وهذه هي صفة الحق ومسيرة ومصيره، فهي تثقفهم بالثقافة الاسلامية الصحيحة.

---

(١) الأمالي؛ للشيخ الطوسي ٢ : ١١٥، ط / النجف، ١٣٨٤ هـ.

وثانياً: ان لكل من الحق والباطل أهل ودعاة وسوق وأصحاب، ورفاق وأحزاب و﴿كلّ حزب بما لديهم فرحون﴾ (١)

وثالثا: ان أكثر الدول دول الباطل منذ قدم التاريخ؛ لانها تعتمد كلّ الوسائل المتاحة لديها لاستعمار المستضعفين فكريا واقتصاديا واجتماعيا بالتجويع والتخويف والارعاب والحديد والنار، حتىٰ يتحوّل الانسان الذي أكرمه الله بالعقل إلى كلب جائع يتبع صاحبه ويطيعه طاعة عمياء (فإنّ أمر الباطل) هكذا كان (قديماً) في التاريخ، وعلى النقيض هو حال القلة في دول الحق، فإنها تركّز على الحياة الانسانية، وعلى هذه القلّة تدور العدالة، فـ﴿قليل من عبادي الشكور﴾ (٢) (ولئن قلّ الحق) واتباعه وحكمه (فلربّما) يرجع السبب في ذلك إلىٰ الناس والشعب أنفسهم، لعدم التحصّن بالثقافة الاصيلة لمحاربة الافكار الدخيلة، (ولعل) هناك أسباب أُخرى خارجة عن انفسهم؛ لعدم قدرتهم على مقاومة الباطل من ترسبات الماضي السيَّ الذي يفقد الرؤية الواضحة والثقة بالنفس والاعتماد على الله الواحد الأحد، واذا اعتاد الشعب على نوع من الحكم مهما كان قاسيا وظالما فيكون مألوفا ومعتاداً عليه حتى تصبح طبيعة ثانية له، ويصعب عليه الرجوع إلىٰ الطبيعة الانسانية الاولى، وقوله: (ولقلّما أدبر شيء فأقبل) إشارة إلىٰ هذه الصعوبة في الرجوع إلىٰ السنة النبوية الرشيدة في دولة الحق التي غابت عن ميدان العمل خلال ربع قرن من الزمن من حياته.

وبهذه الرؤية الواضحة عن مخلّفات الماضي وترسبّاتها، والحال ومضاعفاته والسنة النبوية الرشيدة ومعالمها، أعلن عليه السلام البيان الاول للخلافة في المواد الخمس الرئيسية، وحدّد فيها معالم المسير والمصير من اختيار أقامة دولة الحق بالرغم من مصاعب المسير.

(٢ / ط ـ ١٦) المادة السادسة ـ اصناف الشعب:

(١) اقتباس من سورة الروم: ٣٢.
(٢) سبأ: ١٣

ومن[(١)] هذه الخطبة: شُغِلَ[(٢)] مَنِ الجنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ. سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا[(٣)]، وطَالِبٌ بَطِيءٌ[(٤)] رَجَا، ومُقَصِّرٌ[(٥)] فِي النّارِ [هَوَى][(٦)].

الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ[(٧)] مَضَلّةٌ، والطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجادّةُ[(٨)]، عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ[(٩)] وَآثَارُ النُّبُوّةِ[(١٠)]، ومِنْهَا[(١١)] مَنْفَذُ السُّنّةِ[(١٢)]، وإِلَيْهَا[(١٣)] مَصِيرُ الْعَاقِبَة.

وفي المادة السادسة للبيان الاول من القيادة ـ وهي المقطع الأخير ـ صنّف عليه السلام عامة الناس من الشعب إلىٰ ثلاثة أصناف: اليمين واليسار والوسط، وهم جميعا في خيار دائم بين الحق في السلوك الفردي تجاه النفس والاسرة والمجتمع والدولة، فيكون مشغولا بدور إيجابي في استخدام المواهب التي وهبه الله من نفع المجتمع ككل. وبين خيار الباطل والسلوك كذلك، فيكون مشغولا بدور سلبي للإضرار بالمجتمع ككل (شغل من الجنة والنار أمامه) فان مصير كل واحد محدّد بالشغل الذي اشتغل به، إمّا الجنة أو النار، والمحاسبة في محكمة التاريخ.

---

(١) في نسخة جعلت هذه الفقرة خطبة مستقلة عنوانها هكذا: «وهذه الخطبة تضجّر بأحوال نفسه عليه السلام»، هذا وفي أ وب ود: صدّر هذه الفقرة بكلام السيد الرضي الآتي بعد صفحات.

(٢) في هـ. أ: قوله: «شغل من الجنة والنار أمامه» سمات من كانت الجنة والنار امامه، اي جعل له بهما شغل يكفيه عمّا عداه، ثم ذكر كلاما كأنّه مقتبس من قوله تعالىٰ: ﴿ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ [فاطر: ٣٥ / ٣٢] فقال الناس طبقات: ساع يسرع؛ فإنّه ناج، ومقصر في الطاعة؛ فهوهالك، وطالب للخيرات؛ فهوراج.

فالأوّل هوالمعصوم، والثاني هوالكافر، والثالث هومن خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً عسىٰ الله ان يتوب عليه.

(٣) في هـ. أ: اي من النار.

(٤) في هـ. أ: اي من خلطوا عملا صالحاً بالسيئات.

(٥) في هـ. الف: الكفار.

(٦) لم يرد «هوى» في ص وأ.

(٧) في هـ. أ: اليمين: الافراط، والشمال: التفريط.

(٨) في هـ. أ: الجادة: الطريق المعظم، وهوما عليه المعصوم.

(٩) في هـ. الف: ويروىٰ: مافي الكتاب، وتقديره عند الكوفيين: الكتاب الباقي، وعند البصريين: الباقي من الكتاب.

(١٠) هـ. د: وروي عليها في الكتاب وعليها اثار النبوة ـ ر.

(١١) في هـ. أ: اي من الجادة.

(١٢) في هـ. أ: اي طريقة الشريعة.

(١٣) في هـ. أ: أي والىٰ الجادّة.

وهم جميعاً في مسيرتهم نحو الجنة أو النار، لا يخلون من حالات ثلاث:

١ ـ السرعة إلىٰ النجاة بانجاز المسؤولية الملقاة على عواتقهم.

٢ ـ البطء في النجاة، بالتساهل في المسؤوليات مع رجاء أدائها.

٣ ـ التقصير في المسؤولية بالاهمال والتعامي عنها، فيكون من الذين (في النار هوى).

وهؤلاء جميعاً لايخلون من اصناف ثلاثة:

الصنف الاول: اليمين المتطرّف، وهم لا ينظرون إلّا إلىٰ مصالحهم الخاصة ويتركون المصلحة العامة في الحاضر والمستقبل.

الصنف الثاني: اليسار المتطّرف، ويخالف الصنف الاول في الطبيعة، ولكنهم يسلكون نفس السلوك في المصلحة، وقد وصفهما (بالمضلّة) بالفتح، أي محلّ الضلال، التي يتيه فيه الانسان، وأنّ هذين الصنفين لاينظرون إلّا إلىٰ مواقع أقدامهم، فهم ينتفعون باستحمار العقول واستعمار الطبقات الضعيفة ما دامت لهم القوة، ولكن هذه القوّة لا تبقىٰ إلىٰ الأبد، ولابُدّ للعقول ان تتحرر وللطبقات الضعيفة ان تقوى، فتقضي على من ظلمهم بردّ فعل اقوى، وحينئذ تكون الخسارة عامة لطاقات الشعب والوطن في الفكر والاقتصاد والاجتماع.

الصنف الثالث: ما بين اليمين والشمال، وهم عامة الشعب، وهذا هو عماد المجتمع ـ أي مجتمع كان ـ وهو الذي يكوّن الحضارة للأُمة في الحاضر والمستقبل، وقد ذكر من اوصاف هذا الصنف مايلي:

١ ـ (الطريق الوسطى) لكونه بين التطرف اليميني واليساري.

٢ ـ (الجادّة) لأنها الطريق المستقيم في الحياة الذي يعيش مهما تعاقبت الدول.

٣ ـ اساس الكتاب والسنة؛ فانّ القران الكريم والسنة النبوية المطهرة وجّها التوجيهات على أساس هداية هذه الشريحة من المجتمع، وهي الغالبية العظمىٰ من الشعب، ولم تأت لهداية طبقة متطرفة من المجتمع (عليها باقي الكتاب وآثار النبوة) وأظن أن كلمة (باقي) تصحيف (باق) أي تركز احكام القرآن وآثار السنة على هذا الصنف دون غيره، ولا يصح

كلمة الباقي بمعنى ما تبقّى إلاّ بتكلّف.

٤ ـ (ومنها منفذ السنة) لأنّ هذا الصنف هو الذي يحدد عاقبة الدولة والنظام، فإذا ثار هذا الصنف الذي يشكّل الغالبية، يفقد النظام استقرارهُ وشرعيته، ولابد وأن يؤدي ذلك إلىٰ السقوط عاجلا أم آجلا، لان التلاحم في الرأي العام شرط اساس لدوام أيّ نظام في أيّ مجتمع، وفي أي مقطع من مقاطع التاريخ.

فان التاريخ يشهد بأن أهم عوامل سقوط الدول هي الثورات التي تقودها الطبقة المتوسطة في المجتمع، فاذا انحازت هذه الطبقة إلى اليمين المتطرّف وحده، أو اليسار المتطرف وحده، فانه لا يمكن القضاء على النظام القائم بمفرده، فان غاية ما يصل اليه جهود هذه الاقليات المتطرفة هو تغيير رموز النظام وتبديلها بوجوه جديدة غير معروفة في ميولها، ويستمر النظام في الحكم حتى تسقط الاقنعة الجديدة، ويصير المجتمع بحاجة إلىٰ اعادة الكرة مرة اخرى، وليس الحال كذلك إذا تشكل الشارع العالم من الحركة في صالح النظام.

(٣ / ط - ١٦) ختام البيان الاول:

هَلَكَ مَنِ ادّعَى[١]، وَخَابَ مَنِ افْتَرَى[٢].

مَنْ أبْدَى[٣] صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ[٤] عند جهلة الناس[٥]. وكَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلاً ألاَ يَعْرِفَ قَدْرَهُ.

لاَ يَهْلِكُ عَلَى التّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ، وَلايَظْمَأُ عَلَيْهَا[٦] زَرْعُ قَوْمٍ؛ فَاسْتَتِرُوا ببُيُوتِكُمْ[٧]،

---

(١) في هـ. أ: اي بغير البينة، أوما ليس له أهل.
(٢) في هـ. أ: أي على الله.
(٣) في هـ. أ: أي اظهر.
(٤) في هـ. أ: أي سقط قدره عندهم.
(٥) جملة: «عند جهلة الناس» لم ترد في ط ود.
(٦) في هـ. أ: اي علىٰ التقوى، مأخوذ من قوله تعالىٰ في سورة الطلاق: ٢: ﴿ومَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لايَحْتَسِبْ﴾.
(٧) في ط ود: في بيوتكم. وكلمة «في» لم ترد في أ.

وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ(١) **والتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ**(٢)**، وَلاَ يَحْمَدُ حَامِدٌ إلاَ رَبَّهُ، وَلاَ يَلُمْ لاَئم إلا نَفْسَهُ**.(٣)

وقد ختم البيان بعد أن شرح البنود الرئيسية التي تعتبر الخطوط العريضة لسياسة الخلافة بطائفة من النصائح العامة لكل شرائح الشعب، من اليمين واليسار والجماهير، فيستهدي كل حسب فهمه لدوره، وهي:

١ ـ (هلك من ادّعى) من اليمين واليسار المتطرفين، فان الدعوى من دون حجة يبوء بالفشل والهلاك في الحكم العادل.

٢ ـ (خاب من افترى) الدعايات الكاذبة من المتطرفين للمعارضة؛ لانها لا تؤثر في الحكم المستبدّ على الجماهير الواعية.

٣ ـ (من أبدى صفحته للحق هلك) بالمعارضة ضد الحق بدوافع غير اسلامية.

٤ ـ (كفى بالمرء جهلاً ألّاَ يعرف قدره) ففي النظام العادل تكون المسؤوليات حسب الكفاءات من دون تفاضل.

٥ ـ (لايهلك على التقوى سنخ اصل) السنخ: موضع النبت، والاصل: اسفل الشئ الذي يعتمد عليه في وجوده، والمعني: ان ما يتفرّع على اصل التقوى يكون ذا منبع ثابت لا يفنى؛ لان العدل لا يصدر إلّا الخير وإن طال الزمن، ونتيجة ذلك (ولا يظمأ عليها زرع قوم) فإنّ الأُمة التي تزرع على اساس العدل والتقوى يكون زرعها وانتاجها رويّاً دائماً ولا يصيبها الظمأ؛ لانها نابعة عن اساس متين، وعلى سبيل المثال: فالحكم الاسلامي القائم على نظام الشورىٰ حقيقة لا يصيبها خلل لا من الداخل ولا من الخارج، فان

---

(١) في هـ . أ: اي حقيقة وصلكم.

(٢) في هـ . أ: وكون التوبة وراء، لأنّ الجواذب جذبته عن المعصية حتىٰ أعرض عنها، والتفت بوجهه الىٰ ما كان معرضاً عنه من الندم علىٰ المعصية، وتوجّه الىٰ القبلة الحقيقية؛ فانه يصدق عليه إذ ذاك أنّ التوبة وراءه، أي وراءه عقلياً، وهوأولىٰ من قول من قال: إنّ وراءكم الجنة، ووراءكم أي أمامكم، قال تعالىٰ: ﴿وكان وراءهم ملك﴾.

(٣) في هـ . أ: هذا من قوله تعالىٰ: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ النساء: ٧٩.

مقتضىٰ الشورىٰ: دراسة كل المضاعفات المحتملة، والتحرّك علىٰ اساس مدروس، فيكون التحرك حينئذٍ على خطىً ثابتة، وعلىٰ أساس مواضع القدم الثابت.

٦ ـ(فاستتروا في بيوتكم) ونتيجة الحكم العادل هو توفّر الأمن لعامّة الناس والعيش بسلام، كلٌ في داره مستوراً من مهاجمة الظلم والعدوان.

٧ ـ(واصلحوا ذات بينكم) ويهتّم كلّ فرد من أفراد المجتمع بالاصلاح فيما بينه وبين غيره من افراد المجتمع، بما يهمّ الجميع.

٨ ـ(والتوبة من ورائكم) فإنّ من الطبيعي أنّ المخاصمات قبل الاصلاح تبتدىء بالعصيان والظلم، والتوبة تكون ماحية لها بالاصلاح.

٩ ـ(ولا يحمد حامد إلّا ربّه) لان كل انسان مرتبط بعمله وبقدرة يقدّره له الله تعالى، فلا يستحقّ الحمد إلّا الله سبحانه الذي وهب القدرة له، دون غيره من المخلوقين بما فيهم القائد، فإنّ كل واحد من افراد المجتمع يؤدّي ما عليه من المسؤولية.

١٠ ـ(ولا يلم لائم إلّا نفسه) فمن يقصّر في الواجبات والمسؤوليات لا يلوم إلّا نفسه؛ لان الفرصة متاحة له في النظام العادل كي يتحرك كلّ حسب مواهبه من دون استئثار طبقة لأُخرى.

وهذا النقاط العشر تعتبر الثمرة الحقيقية لأي نظام عادل في الحكم، وقد طبّقها الرسول القائد في حياته، وفسّر بها نصوص القران الكريم، فلا مصدر للنظام الاسلامي سوى الكتاب والسنة.

[الخطبة ١٧]

ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى[١] للحكم بين الأُمّة وليس لذلك بأهل

يتعرض في هذا الكلام الىٰ من يستلم قيادة الامة من دون كفاءة، ويصنّفهم إلىٰ صنفين؛ يجمعهما عدم الاستحقاق لتسلّم المسؤولية بسبب عدم الكفاءة، ويختلفان في البنية والاسلوب، وربما في النتيجة ايضاً، وحيث انهما يتحمّلان مسؤولية القيادة ولاكفاءة لهما في ذلك، فهما في محكمة الاسلام (أبغض خلق الله) مهما كانت المبررات؛ لان النتائج السيئة عن حكمهما سوف تعم الأمّة بأسرها مهما كانت المبررات الشخصية.
ولكلّ منهما صفات أشار إليها في مقطعين:

(١ / ط - ١٧) الصنف الاول ـ الظالمون:

إنّ أَبْغَضَ الْخَلاَئِقِ إِلَى الله تعالى رَجُلاَنِ:

رَجُلٌ وكلَهُ الله إِلَى نَفْسِهِ؛ فَهُوجَائِرٌ[٢] عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ[٣]، مَشْغوفٌ[٤] بكَلاَمِ بِدْعَةٍ، ودُعَاء ضَلاَلَةٍ، فَهُوفِتْنَةٌ لِمَنِ[٥] افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدي مَنْ كاَنَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ في حَيَاتِهِ وبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا[٦] غَيرِهِ، مرتهْنٌ[٧] بِخَطيئتهِ[٨].

فالظالمون وهم الصنف الاول الذين لا يخفى على أحد ظلمهم؛ لان الامة سوف

---

(١) في هـ. أ: اي يتعرض.
(٢) في هـ. أ: اي حائل.
(٣) في هـ. أ: أي الطريق المستقيم.
(٤) في هـ. أ: اي حريص.
(٥) من اول الكلام الى هذا الموضع ساقط من ب.
(٦) في هـ. أ: هومن قول النبي صلى الله عليه وآله «من سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» ومن قول العرب: «زلة العالِم زلة العالَم».
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيّما داع دعىٰ الىٰ الهدى فاتبع، كان له مثل أجر من تبعه ولاينقص من أجورهم شيء، وأيّما داع دعىٰ الىٰ ضلالة فاتبع، كان عليه مثل وزر من تبعه، قال الله تعالىٰ: ﴿لِيَحْمِلوُا اَوزارَهُمْ كامِلَةً يَومَ القِيامَةِ ومن أوزَارِ الّذين يُضِلّونَهم بِغير علم﴾ النحل: ١٦/٢٥.
(٧) في « أ »وب وط ود: رهن وفي هـ. أ: اي مرهون.
(٨) في هـ. ص: أي مرهون بخطيئته مع خطايا غيره كما قال تعالى: ﴿ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم﴾ النحل ١٦ / ٢٥.

تصطلي بظلمهم في الحال من أنواع الاستبداد الذي يمارسونه بحق الشعب: من سلب الحريات الفردية والاجتماعية، وكأنهم أعداءٌ للشعب، يعاملونه معاملة العدوّ للعدوّ، فهم (أبغض الخلائق إلىٰ الله) الذي يدعوا إلىٰ العدالة في الحكم لعامة الشعب، واشار عليه السلام الى صفات هذا الصنف بقوله:

١ ـ(رجل وكله الله إلىٰ نفسه) من حيث أن نفسه مصدر الحكم، وارادته هي العليا على كل ارادة، فيتحكّم بالاستبداد من دون مشورة إلّا بما لايعود نفعها للمجتمع إلاّ بقدر ما تخدم استمرارية سلطتة، فيكون حاكما دكتاتوريا.

٢ ـ(فهو جائر عن قصد السبيل)، فان لكل شيء وسيلة توصل اليه، والسبيل: الصراط، وقصد السبيل: الجادة المستقيمة، وطبيعي ان يكون إلىٰ جانب الصراط المستقيم للمقصد طرق اخرى ملتوية ومنحرفة، قد تكون أقصر، ولكنها ليست في إستقامة الصراط المستقيم. والجور: الانحراف عن الشيئ، والذي يرى نفسه مصدراً للحكم على الامة منحرف عن الصراط المستقيم للحكم؛ حيث أنه لابدّ للحكم على الامة من عقد بين الحاكم والامة، فيفتقر إلىٰ توافق بين الطرفين، وبدونها يحصل الخلل في مراحل التطبيق، وبدرجة الانحراف يكون العصيان.

٣ ـ(مشغوف بكلام بدعة) والشغف: الولع؛ فان الظالم يفتقر في تسويق ظلمه وانحرافه إلىٰ مبررات ترضي نفسه، فهو يعتمد بدرجة كبيرة على اطروحات جديدة لا تخرج عن الكلام الفارغ، وانها (بدعة) أي بدعة يحدثها، فيلهي الشعب في النقاش في هذه النظرية الجديدة التي لا تأتي بشيء جديد في ساحة العمل من اجل مصلحة العامة.

٤ ـ(ودعاء ضلالة) فانّ الظالم يستخدم الدعايات الكاذبة لتضليل الرأي العام في تسويق النظرية الجديدة؛ لإلهاء الرأي العام عن المشاكل الحقيقية والسياسية التي يديرها.

٥ ـ(فهو فتنة لمن افتتن به) والفتنة: الامتحان، فان المجتمع الذي يعيش في جوّ الظلم الغاشم مجتمع في مرحلة الامتحان، حيث يغتر بالدعايات المضللة التي لاترتبط

بأسبابها الحقيقية، ولا يغتر بها من يدرس تاريخ الدول الظالمة واساليبها فـي الخـداع والتضليل، وطبيعي ان ينجح في هذا الامتحان البعض، ويرسب آخرون.

٦ـ(ضالّ عن هدى من كان قبله) والحاكم الظالم في نفسه ضال، لا يعتبر من التاريخ الذي يحتفظ بدروس عن مصير الظلم والظالمين، ولو لم يكن ضالاً لاهـتدى واعـتبر بمصير من كان قبله من الحكام الذين دخلوا التاريخ من ابوابه ومن دخلوه بالقفز مـن النوافذ.

٧ـ(مضلّ لمن اقتدى به في حياته) والحاكم الظالم لايظلم نفسه فقط، بل ان ضلاله يؤثر فيمن يقتدي به في الظلم والانحراف عن الحق، ويبني افكاره الظالمة على خطى هذا الحاكم، وهؤلاء على قسمين: من يعيش في حياته بحيث ينتفع بما يقوم به من الخدمة في ظل النظام القائم، وآخر وهو من يتقيّد بأوامر الظالم ويطيعها طاعة عمياء.

٨ ـ(وبعد وفاته) وهذا القسم من المقتدين بالظالم انما هـم مـن يـتبنى الافكـار المنحرفة في الحكم، كالحكم العنصري في المجتمع، فان المقتدي بهذا الفكر المـنحرف يرجع انحرافه إلىٰ ضلال من سنّ هذه الافكار في المجتمع.

٩ ـ(حمّال خطايا غيره) والقسمين سواء كانوا في حياة الظالم أو بعد وفاته، فـان التبعية والذنب يرجع إلىٰ باني الظلم ومؤسسّه بالتظليل، فيكون حـاملا لخـطايا غـيره بالاضافة إلىٰ خطايا نفسه.

١٠ ـ(رهن بخطيئته) فان ذنب الحاكم الظالم خطيئة كبيرة تطوق عنقه بالمسؤولية، فيكون ضامنا ومسؤولاً عن تبعات من سار على خطاه حياً وميتاً كالرهين بالشي، الذي يضمنه حتىٰ يؤديه.

فإن هذه النقاط العشر ثابتة للصنف الاول من القادة من دون كفاية، وهم الظـالمون لأنفسهم ومجتمعهم حياً ميتاً، وسوف يحاسبهم التاريخ حساباً عسيرا؛ لانهم قاموا بضرب الامة في الصميم عالمين عامدين.

(٢/ ط - ١٧) الصنف الثاني ـ المغفّلون:

وَرَجُلٌ قَمَش(١) جَهْلاً، مُوضَعٌ(٢) في جُهّالِ الأُمَّةِ، غَارٌ(٣) فـي أغْـبَاشِ(٤) الْـفِتْنَةِ، عَمٍ(٥) بِمَا في عَقْدِ الْهُدْنَةِ، قَدْ سَمّاهُ أشْبَاهُ النّاسِ(٦) عَالِماً؛ وَلَيْسَ بِهِ. بكّرَ فاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ(٧) ما لو(٨) قَلَّ مِنْهُ خَيرٌ مِمّا كَثُرَ، حَتّى إذا ارْتَوَى(٩) مِنْ آجِنٍ(١٠) وَاكْتَنَزَ(١١) مِنْ غَيرِ طائلٍ(١٢) جَلَسَ بَينَ النّاسِ قَاضِياً، ضَامِناً لِتَخْلِيصِ ما الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ، فَإنْ نَزَلَتْ بِـهِ إحْدَى الْمُبْهَمَاتِ؛ هَيَّأ(١٣) لَهَا حَشْواً(١٤) رَثّاً(١٥) مِنْ رَأيِهِ، ثمَّ قَطَعَ بهِ، فَـهُومِنْ لَـبْسِ الشّبُهَاتِ في مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ، لاَيَدْرِى أصَابَ أمْ أخْطَأ، إنْ(١٦) أصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أخْطَأ، وإنْ أخْطَأ رَجَا أنْ يكُونَ قَدْ أصَابَ، جَاهِلٌ خَبّاطُ جَهَالاَتٍ، عَاشٍ(١٧) رَكـابُ

(١) في هـ . ص: اي جمع من شتات، لا من أهل العلم، وفي هـ . أ: القمش: جمع الشيئ المتفرق، والمجموع: قماش.
(٢) في هـ . ص: اي مسرع به، وفي هـ . أ: موضع ـ بالفتح ـ : اي مسرع به.
(٣) في ب: غاد، وفي، ط. عاد وفي هامش د: عاد ـ ج ، عاد ـ ك، وروي: عاد ـ ر، وفي هـ . أ: غارّ، اي غافل، وهامش آخر: غار من العدوّ: اي ساع.
(٤) في هـ . د: اغـطاش ـ م وك ور فـي هـ . أ: وروي اغطباش، والمـعني واحـد، قـال تـعالىٰ: ﴿وَأَغطش لَيْلَها﴾ النازعات: ٧٩/ ٢٩ وفي هامش آخر: اغباش: اى الظلم. وفي هـ . ص: جمع غبش، وهوبقيّة ظلمة الليل.
(٥) في هـ . ص: اي هو عام.
(٦) في هـ . أ: اي الجهال.
(٧) في هـ . أ: اي عدم فضل.
(٨) في أ و ط و د: ما قل، وفى هـ . ص: الذي في أمالي الامام أبوطالب رضي الله عنه: و ما قلّ منه خير مما كثر، و هذا تركيب صحيح الاعراب، و «لو» ساقط في بعض نسـخ النـهج ... و «ما» مبتدأ، و «خير» خبر.
(٩) في هـ . أ: اي إمتلأ.
(١٠) في د: ماء آجن، وفي هـ . ص: اي مشروب متغيّر منتن.
(١١) في ب وهـ . أ ود: وأكثر ـ ن وك، وفي هـ . أ: اي اتخذ كنزاً.
(١٢) في هـ . أ: اي غير علم مفيد.
(١٣) في هـ . أ: اي أعدّ، وفي هامش من آخر منه: اي قصد.
(١٤) في هـ . أ: اي كلاماً كثيراً لا طائل فيه.
(١٥) في هـ . أ: اي خلقاً ضعيفاً.
(١٦) في ط ود: فإن.
(١٧) في هـ . أ: من يدور في الظلمات كالخفاش.

عَشَوَات، لَمْ يَعَضّ عَلَى العِلمِبِضِرْسٍ قاطعٍ، يُذْرِي الرّوَايَاتِ إذْرَاءَ الرِّيحِ الهَشِيم[(١)]، لاَمَليٌ[(٢)] ـ وَالله بإصْدَار مَاوَرَدَ عَلَيْهِ، وَلاَ هُوأَهْلٌ لمَا فُوِّض إلَيْهِ[(٣)]، لاَ يَحْسَبُ العِلْمَ[(٤)] في شَيْء مِمّا أنْكَرَهُ، وَلاَ يَرَى[(٥)] أَنّ وَرَاء مَا بَلَغَ مَذْهَباً[(٦)] لِغَيْرِهِ، وإنْ أظْلَمَ عَلَيْهِ أمْرٌاكْتَتَمَ بِهِ؛ لَما يعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ[(٧)] مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدّمَاءُ، وتَعَجُّ[(٨)] الْمَوَارِيثُ منْهُ[(٩)].

والمغلفون من القادة هم الواجهة التي تتحمل مسؤولية القيادة من دون كفاءة بحسن نية، أو بحكم الظروف، فهم يتحملون المسؤولية من قبل اناس يتحكمون في القيادة من وراء الكواليس، والتاريخ يحتفظ بجمهرة ممّن تحمّل القيادة في مرحلة من العمر الذي لا يسمح له بتفهم الأحداث وأسبابها ومضاعفتها، فكيف القيادة في ادارتها على مستوى المسؤولية، وقد اشار إلىٰ ظلمات هذا الصنف بقوله:

١ ـ (رجل قمش جهلاً) والقمش: الجمع، فهو يجمع الجهل بين جهل بمتطلبات القيادة مع القيادة نفسها، وذلك لعدم كفاءته وعدم تجربته وعدم دراسته لها دراسة موضوعية.

٢ ـ (موضع في جهال الأُمة) والايضاع: الاسراع في الشيئ، فالقائد من دون كفاءة مسرع في شؤون الأُمة، ويتبعه في من السرعة الجهال لتلك الشؤون، فيكون في الحقيقة

---

(١) في هـ. أ: النبات اليابس المتكسّر والشجرة البالية. وفي هـ. ص: وهومايبس من النبت وتحطّم.
(٢) في هـ. أ: في نسخة: ولا هومليّ، وفي هـ. ص : اى غير مستأهل.
(٣) هـ. د: في بعض النسخ: لما قرظ به.
(٤) في هـ. أ: يحسب، من الحسبان، اي لايعده، وبالكسر من الحسبان، اي لايظن، اي لايعقل العلم وأفضليته بحسب اعتقاده، واعتباره بها، فهومما انكره، وفي هامش آخر: اي لايعده شيئا... خاليا من الكمال والفضيلة.
(٥) في هـ. أ: اى لاينظر.
(٦) هـ ـ د: ما بلغ مذهباً ـ ض، ح.
(٧) في هـ. أ: اي تستغيث.
(٨) في أ، ب، د، ط: وتعج منه المواريث وفي هـ. أ: اي تصيح منه، والعجّ: رفع الصوت، وهواستعارة في الشكاية الى الله.
(٩) في هـ. أ: في نسخة: منه تعالىٰ وفي المطبوعه. منه الىٰ الله.

قائداً لهم دون غيرهم.

٣ـ(عادٍ في اغباش الفتنة) العدو: الجرى بسرعة، والغبش: الظلمة، والفتنة: ما يفتتن به للامتحان، فالقائد المغفّل يعدوفي الظلمات التي تعتبر ميادين الامتحان في حين أنها تتطلب التأنّي والثبات في الخطوات.

٤ـ(عمٍ بما في عقد الهدنة) فيكون القائد المغفل أعمى عن أهم واجبات القيادة، وهي عقد الهدنة والمسالمة مع الشعب الذي يحكمه.

٥ـ(قد سمّاه أشباه الناس عالما وليس به) فان الذين أرادوه واجهة لمصالحهم يبذلون له صفات عالية ليسترضوه، ويكررون عليه ذلك حتى يعتقد بذلك في نفسه، ومن الصفات المحبّذة صفة (عالم) بما يطلب منه، مع انه (ليس به) بل هو جاهل بالواقع الذي يجب أن يعرفه، وكذا هو جاهل بحدود صلاحيته، وهؤلاء الحاشية ليسوا سوى اشباه الناس؛ لان الانسان الحقيقي هو الذي يتحرك على طبق انسانيته لا ان يتلوّن كالحرباء حسب المصالح الشخصية.

٦ـ(بكّر فاستكثر من جمع) والسبب في التفاف الجهّال حوله انه تقدّم على غيره في دعوى القيادة في وقت باكر، قبل وقته فوافقه الجمع الذي هو على هواهم، وهم لا يمثّلون غالبية الشعب وإن رآهم بصورة كثرة، وانما صاروا كذلك لغياب الكثرة الحقيقيّة، فقد (استكثرهم) مع انهم ليسوا بكثرة حقيقة.

٧ـ(ما قلّ منه خير ممّا كثر) وهذا الجمع الذي يجهل حدود المسؤولية في القيادة لا خير في كثرته؛ لانه جمع يتحرك على اساس الجهل دون العلم.

٨ـ(حتى اذا ارتوى من ماء آجن) ونتيجة التفاف الجهال حول القائد المغفّل انه سوف يتأثر بهم في افكاره والتخطيط المبتني على اساس الجهل، فيكون القائد مرتويا من افكار فاسدة، كمن يرتوي من الماء الآجن، وهو المتغير لونا وطعما ورائحة، ولا يصلح للشرب لفقدانه طبيعة الماء السائغ.

٩ـ(التكثر من غير طائل) الاكتثار: الاستكثار، فهو يقود جمعاً كثيراً جاهلاً من دون

طائل، والطائل: القدرة والغنى والفضل، والجمع الذي يفقد هذه المقوّمات لا ينفع الجميع.

١٠ ـ (جلس بين الناس قاضيا) والقائد غير الكفوء يجلس ـ بحسن نيّة ـ قاضيا بين الناس، فيكون قضاؤه بلاء؛ لعدم الكفاية في علم القضاء.

١١ ـ (ضامناً لتخليص ما التبس على غيره) فهو يتحمّل المسؤولية، لان يخلّص غيره من موارد اللبس والشبهة بتحمّله مسؤولية القضاء مع عدم كفاءته، فيكون كالأعمى الذي يقود أعمى آخر.

١٢ ـ (فإن نزلت به إحدى المبهمات هيّأ لها حشواً رثّاً من رأيه ثم قطع به) فان النتيجة لقضاءٍ كهذا أن يحكم القاضي برأيه الخاص الذي يعتبره أمراً لامجال للمناقشة فيه، من دون دليل وحجّة. والحشو: الرأي الدخيل الذي لا أثر له حقيقة. والرث: الشئ البالي الذي يجتنب عنه عادة، فيكون في النتيجة قضاؤه زيادة في الابهام.

١٣ ـ (فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت) فإنّ عند الشبهات والمعضلات والمبهمات تظهر حقيقة القيادة، ومن له الكفاءة يؤدي دوره مقرونا بالحجة، دون فاقد الكفاءة؛ فانه بتصرفاته وقراراته العشوائية يزيد المشكلة مشكلة واللبس لبساً، لأن اساس قيادته تحمّل المسؤولية التي ليست له.

١٤ ـ (لا يدري أصاب أم أخطأ) لعدم علمه مسبقا بموارد الصواب والخطأ، ونتيجة ذلك انه:

١٥ ـ (فإذا أصاب خاف أن يكون قد أخطأ) لعلمه بعدم كفاءته.

١٦ – (وان أخطأ رجا أن يكون قد أصاب) ولم يعبرعليه السلام في هذا الاحتمال بكلمة (خاف) بل عبرّ عنه بقوله: (رجا) فإن الرجاء في هذا الاحتمال هو عين الجهل؛ لكونه جريا على مقتضى الجهالة، دون الخوف.

١٧ ـ (جاهل) لتحمّله مسؤولية لا يعلم حدودها.

١٨ ـ (خبّاط جهالات) والخبّاط: السائر على غير هدى؛ فانه بسبب جهله تكثر العثرات والجهالات في حكمه.

١٩ ـ(عاشٍ ركّاب عشوات) والعشو: سوء البصر في الليل، والعشوة: عدم الهدى؛ فان القيادة من دون كفاءة يكثر فيه ارتكاب الامر على غير الهدى المفروض في كل حالة خاصة.

٢٠ ـ(لم يعضّ على العلم بضرس قاطع) فإنّ السبب الاصيل في كلّ هذه المفاسد: أنّ القائد فاقد للعلم كما ينبغي للعالم، وهو الكفاءة، كنّى عن ذلك (بالعضّ بضرس قاطع) بالاعتماد على الحجة الواضحة في القرارات.

٢١ ـ (يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم) الذرو: النشر، والروايات: الاخبار الواصلة، والهشيم: النبات اليابس الذي لا يصلح لشئ، والمعنى: ان القائد غير الكفوء ينقل الاخبار الواصلة اليه من دون تحقيق في اصالتها إلىٰ ذلك، من دون معرفة الاسباب التي اوصلتها والغرض منها، مع انها اخبار هشيمة لاتستحق حتى السماع إليها، فكيف بنقلها، فهو ينقلها للناس كما ينقل الريح الهشيم في الفضاء.

٢٢ ـ (لامليّ ـ والله ـ بإصدار ما ورد عليه) المليّ: الذي يقوم بالشئ خير قيام، ومن لاكفاءة له ليس كذلك فيما يصدر منه في الامور الواردة عليه.

٢٣ ـ (ولا أهل لما قرّظ به) والتقريظ: المدح، فلا يكون أهلا للمدح لعدم كفاءته وان كيلت المدائح له.

٢٤ ـ(لا يحسب العلم في شيء مما يكره) ولا يرى في الحسبان ما ينكره شخصيا، بل لا يراه علما؛ لان الناس اعداء ما جهلوا، وما أكثرهم.

٢٥ ـ (ولا يرى أنّ من وراء ما بلغ مذهبا لغيره) فيرى نفسه الغاية في كلّ شيءٍ، وان عدى ما يراه لغو في الحياة يمكن الاستغناء عنه، فلا يحتاج إلىٰ غيره في العلم والقرار والتدبير، وهذا الاستبداد المحض يكون نتيجة جهله .

٢٦ ـ (وإن أظلم عليه امر اكتتم به) وبحكم كونه من افراد البشر فهو محلّ للسهو والغفلة والجهل والنسيان، ولكنه يظن بجهله ان الكتمان سوف يستر عليه، فيكتم ذلك عن الآخرين حتىٰ من اصحابه.

٢٧ ـ (لما يعلم به من جهل نفسه) فانه السبب الحقيقي للكتمان، ولو كان عالما لكشف الامر لغيره للعلاج والحجة والبرهان أو المشورة مع اهل الخبرة من ابناء الزمان.

٢٨ ـ (تصرخ من جور قضائه الدماء) فإنّ القيادة من دون كفاءة تستلزم سفك الدماء البريئة من الشعب بسبب القضاء الجائر في زمن القضاء.

٢٩ ـ (وتعجّ منه المواريث) والعجّ: رفع الصوت؛ فان القضاء الجائر لا يقتصر تأثيره على الدماء البريئة في عصر القضاء،

بل يتعدى إلىٰ الاجيال المتعاقبة بعد عصر القضاء، حيث يضيع الحق من صاحب الحق وينتقل إلىٰ غيره.

وبالجملة: فهذه الآثار السلبية انما تحصل بسبب تحمّل المسؤولية من دون كفاءة، سواء على المستوى الشخصي أو الأُسري أو الاجتماعي أو السياسي، عصم الله المجتمع الاسلامي منها.

(٣/ط - ١٧) الموقف الرشيد:

إِلَى اللهِ [أشكُو][١] منْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهّالاً، ويَمُوتُونَ ضُلالاً، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ[٢] مِن الكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ[٣]، وَلاَ سِلْعَةٌ أَنْفَقُ[٤] بَيْعاً، وَلاَ أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ[٥] عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ[٦] مِن المَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ

(١) من أ ود، وهذه الكلمة غير موجودة في ص ولا في ب، والعبارة في أ هكذا: «إلىٰ الله تعالى اشكو». وفي هامش نسخة ص ما يلي: قال في الشرح : وفي كثير من النسخ : «إلى الله أشكو» فمن روى ذلك وقف على المواريث، ومن روىٰ الرواية الأولىٰ وقف على قوله: «إلى الله» ويكون قوله «من معشر» من تمام صفات ذلك الحاكم، أي هومن معشر صفتهم كذا، انتهى من شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣٨٦.

(٢) في هـ. ص: أفعل من البوار، وهوكساد السلعة، وفي هـ. أ: اى أكسد.

(٣) في هـ. ص: اي فسِّر بما أراده الله به.

(٤) في هـ. أ: اي أكثر ربحاً.

(٥) في هـ. ص: اي بالتأويل.

(٦) في هـ. ص هنا مايلي: لاشك ان كل مخالفي اهل البيت يعدّون مذهبهم في الأُصول والفروع بدعة ومنكراً، وخلاف مذهبهم سنّة ومعروفاً. هذا معلوم، ولايروون من اقوالهم الّا ما يستشنعونه تشنيعاً.

المُنْكَرِ.

والحالة مع القيادة غير الكفوءة من أيّ الصنفين تقتضي موقفاً رشيدا ممن يرى الانحراف ويعلم بآثاره السلبية، ويؤكد الامام في هذا المقطع الأخير على الموقف الرشيد، وهو التحصن بالثقافة الاسلامية في هذه المرحلة الصعبة جداً على المسلم الملتزم؛ لانها حالة توجب الشكوى لتغييرها، وليس من يُشتكىٰ إليه أعلم من الله سبحانه، فان ذلك أولى من المواجهة المسلّحة مع الظالم الغاشم، عندما لا تنفع المواجهة معه، وقد أشار إلىٰ مواد الشكوى من المجتمع الفاقد للقائد الكفوء، فالناس في هذا المجتمع:

١ ـ (يعيشون جهّالاً) بسبب فقدان الثقافة الاسلامية الصحيحة، وهم بالنتيجة سوف:

٢ ـ (يموتون ضلالاً) حيث أن القيادة لا تبذل جهداً في توعيتهم اسلامياً.

٣ ـ (ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تُلي حقّ تلاوته) والبور: الكساد، فان منهاج التعليم الاسلامي الواعي على أساس القرآن الكريم لا يوجد في المجتمع الذي يقوده من لا كفاءة له.

٤ ـ (ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب اذا حرّف عن مواضعه) بالتلاعب بالقانون الاسلامي باسم الاسلام بعد تحريف المعنى بما يخدم مصالح النظام.

٥ ـ (ولا عندهم أنكر من المعروف) لانّ المعروف يعارض مصالح المنتفعين بالنظام.

٦ ـ (ولا أعرف من المنكر) لاستخدام الثقافة الغريبة عن الاسلام في قنوات الحياة العامة والمسلم الملتزم أمامه خيارات صعبة:

من التطرف الذي لا يخدم الاسلام والمسلمين، بل يوجب الاضرار بهما.

ومن الخضوع التام للظلم ومتابعة الظالمين في ظلمهم.

والخيار الثالث، هو المحافظة على نفسه من الانزلاق في المهالك بالتحصّن بالثقافة الاسلامية، والشكوى إلى لله مستنكراً الحالة المؤلمة حيث لا يسعه سوى الاستنكار.

[الخطبة ١٨]

ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا[١]

يستعرض هذا الكلام واقع الحال في القضاء عند اختلاف الآراء، وأسباب الخلاف، والحل لها، في مقاطع ثلاث:

(١/ط - ١٨) واقع الحال في القضاء:

تَرِدُ عَلَى أحَدِهِمُ القَضِيّةُ في حُكْمٍ مَنَ الأحْكَامِ، فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُم تَرِدُ تِلْكَ القَضيّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ؛ فَيَحْكُمُ فِيها بِخِلاَف قوله، ثُمَّ يَجْتَمِعُ القُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الإمَامِ[٢] الّذِي اسْتَقْضَاهُمْ؛[٣] فَيُصَوِّبُ[٤] آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وإلٰهُهُمْ وَاحِدٌ، ونَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ، وكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ.

وفي المقطع الاول يبيّن واقع الحال في القضاء عند غياب القانون الاسلامي الحاكم في القضاء، وأشار الى ملامح هذه الحالة بنقاط:

١ ـ رأي القاضي الشخصي حينما ترد عليه قضية من المرافعات التي تحصل في المجتمع ـ ككل مجتمع في الحياة ـ فلا يجد المتخاصمان حلاً للنزاع إلاّ بالرجوع إلىٰ من يتولّى منصب القضاء من قبل الحاكم، فيحكم برأيه الشخصي ويرضي به من كان في صالحه من المترافعين ،ويرفضه الآخر ،ويجري وراء قاض آخر ليرفع (القضية بعينها على غيره، فيحكم فيها بخلاف قول القاضي الاول) كل ذلك بسبب قدرة الوسائل التي يستخدمها المترافعان، كماهو الحال في عصرنا بالنسبة إلىٰ المحامين، فتبقي المشكلة المتنازع فيها غير محلولة.

٢ ـ وتتسع دائرة الخلاف بين المتنازعين لتنتقل إلىٰ الخلاف بين قاضيين، فتكون

---

(١) في هـ أ مايلي: الفتيا والفتوىٰ، لغتان بمعنىٰ واحد.
(٢) في د: عند امامهم.
(٣) في هـ. أ مايلي: أي جعلهم قضاةً.
(٤) في هـ. أ مايلي: يقول كل واحد منهم مصيب في ما أدىٰ إليه اجتهاده وفي ظنّه.

المشكلة بين القضاة، فترفع القضية إلىٰ من نصبهم وهو (الامام الذي استقضاهم) وهذا القائد بدوره يزيد المشكلتين، فهو (يصوّب آراءهم جميعاً) لكونهم عمّاله ومنصوبين من قبله، فتكون مشكلة ثالثة، هي مسؤولية القيادة للمجتمع الاسلامي، الذي توحّده امور ثلاثة هي: الايمان بالله الواحد، والنبي الواحد، والكتاب الواحد، ولكنها لاتجد حلاً واحد في مشاكل القضاء الذي يفتقر إليه أيّ مجتمع انساني.

(٢/ ١٨ - ط) أسباب الخلاف:

أَفَأَمَرَهُمُ الله سُبْحانَه[١] بِالاخْتِلاَفِ فأطَاعُوهُ، أمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ!، أمْ أنْزَلَ [الله سُبْحَانَهُ][٢] دِيناً نَاقِصًا فاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إتْمَامه! أمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لهُ[٣] فَلَهُمْ أنْ يَقُولُوا، وعَلَيهِ أنْ يَرْضَى!، أمْ أنْزَلَ [الله سُبْحَانَهُ][٤] دِينًا تَامًّا فَقَصّرَ الرّسُولُ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِهِ وأدَائِهِ.

وفي هذا المقطع أشار الى المشكلة في الخلاف في القضاء، وهو الاستناد إلىٰ الرأي الشخصي في القضاء، حيث حكم كل قاض برأيه، وأيضاً الرأي الشخصي في القيادة حيث يتولّى القضاء، مع ان قانون العدالة يقضي برفع الآراء الشخصية والتحكم على اساس على الثوابت الاسلامية الاصيلة، وعدّ في هذا المقطع من اسباب الخلاف على سبيل الاستفهام الانكاري:

١ ـ انّ الله أمر بالاختلاف، فيكون طاعة.

٢ ـ ان الله نهى عن الاختلاف، فيكون معصية.

٣ ـ ان في الاسلام نقص في التشريع، فيفتقر إلىٰ آراء القضاة (فاستعان) الله (بهم على اتمام) النقص في التشريع.

٤ ـ ان القضاة (شركاء) لله في التشريع، ونتيجة ذلك: ان (لهم ان يقولوا) حسب آرائهم

---

(١) في ط ود: تعالى.
(٢) ما بين المعقوفتين لم يَرد في ص.
(٣) في هـ. أ: في نسخة: لله.
(٤) ما بين المعقوفتين لم يَرد في ص.

الشخصية، وعلى الله (ان يرضى) بما يقولون.

٥ ـ ان رسول الله ﷺ لم يبلّغ الرسالة الالٰهية (فقصّر الرسول)في تبليغ الدين الكامل وأدائه للناس كافة.

وهذه الاسباب ـ من وجهة النظر الاسلامية ـ كلها غير صحيحة؛ لان الله سبحانه أمر بالوحدة، ونهى عن الاختلاف، وليس في الاسلام نقص تشريعي، وليس القضاة شركاء لله في التشريع، ولم يقصّر رسولهﷺ في تبليغ الرسالة كاملة كما قال سبحانه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾.[١]

وحيث انتفت اسباب الخلاف فيجب وحدة الحكم الاسلامي في كل واقعة تحصل في المجتمع الاسلامي، وأن كلّا من القائد والقضاة وغيرهم لابدّ وان يرضخوا لحكم الاسلام من دون أي أثر للرأي الشخصي.

(٣ / ١٨ - ط) القرآن هو الحل :

وَالله سُبْحَانَهُ يَقُولُ:﴿ مَا فَرّطْنَا فيالْكِـتَابِ مِـنْ شَـيْء﴾[٢]، وقـالَ: ﴿تِـبْيَانا لكُـلّ شَيْء﴾.[٣]

وَذَكَرَ أَنَّ الكِتَابَ يُصدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وأَنَّهُ لاَ اخْتِلافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوكَانَ مِنْ عند غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيراً﴾[٤].

وأَنَّ الْقُرآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ،[٥] وبَاطِنُهُ عَمِيقٌ،[٦] لاَتَفْنَى عَجَائِبهُ، وَلاَ تَنْقَضِي[٧]غَرَائِبهُ، وَلاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إلاّ بِهِ[٨].

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) الانعام: ٣٨.

(٣) النحل : ٨٩، والعبارة في ط هكذا: وفيه تبيان كل شي. وفي ب: لكل شي.

(٤) النساء:٨٢، وفي هـ. ب: يريد به الالفاظ ولايريد به المعاني.

(٥) في هـ. ص: اي مونق، [يقال:] اينقني الشئ: اعجبني. وفي هـ. أ: عجب بأحسن العجب، وفي هـ. ب: انيق معجب.

(٦) في هـ. أ: اي معانيه كثيرة، منها ظاهر، ومنها خفي لايطلع الله عليه إلاّ الأنبياء. وفي هـ. أ: يحتاج الى تامّل تام، وقيل: اي لايعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم.

(٧) في هـ. أ: اي لاتنقطع.

(٨) في هـ. أ: اي القرآن.

وختم المقطع بالحل الاسلامي الوحيد في التشريع، وهو الرجوع إلىٰ القرآن نصاً وروحاً بتطبيق العدالة الاسلامية في المجتمع؛ واستدل على ذلك بأمور:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيءٍ﴾ (١) وهذا وعد إلهي صادق قد احتوى على اصول التشريع الاسلامي، على ما هو مشروح في علم اصول الفقه.

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ وهدى ورحمةً﴾ (٢). وهذا وعد إلٰهي صادق.

٣ ـ ان الكتاب يصدّق بعضه بعضاً لقوله تعالى: ﴿كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾. (٣)

٤ ـ وقال تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾. (٤)

٥ ـ خصائص القرآن الكريم، وقد أشار الى خصائص خمسة، هي :

الاول: (انّ القرآن ظاهره أنيق) اي المعجب ببلاغته التي اصبحت قدوة للبلغاء.

الثاني: (باطنه عميق) فيفتقر إلىٰ دراسة محتواه، كما يغوص في البحر من يروم استخراج اللؤلؤ منه .

الثالث: (لا تفنى عجائبه) في التشريع والحكم.

الرابع: (لاتنقضي غرائبه) لانه دستور للحياة المدني للمستقبل.

الخامس (ولا تنكشف الظلمات إلّا به) لكماله في التشريع كدستور الهي للفرد والاُمة، فلا يكون الحياة بدون القرآن إلّآ حياة مظلمة مليئة بالعنصرية والجهل والعصبية، حيث لا تطبّق العدالة في المجتمع، قال تعالى: ﴿إنا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس﴾. (٥)

---

(١)الانعام: ٣٨.
(٢)النحل: ٨٩.
(٣)فصلت: ٣
(٤)النساء: ٨٢.
(٥)النساء: ١٠٥.

والثوابت الاصيلة في القران بالنسبة إلىٰ مسؤوليات الفرد والقائد تدعوا إلىٰ وحـدة الحكم في أُمة تعبد الٰها واحداً وتؤمن بنبيّ واحد وتتبّع قراناً واحداً وتـصلّي إلىٰ قـبلة واحدة.

[الخطبة ١٩]

ومن كلام له عليه السلام؛ قاله للأشعث بن قيس، وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء[١] اعترضه الأشعث، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك، لا لك، فخفض[٢] عليه السلام إليه بصره، فقال[٣]

(١/ط-١٩) صفات الأشعث بن قيس:

ومَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيّ مِمَّا لِي، عَلَيْكَ لَعْنَةُ الله وَلَعْنَةُ اللاعِنِينَ! حائكٌ ابْنُ حَائِكٍ، مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ، وَالله لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ[٤] مَرّةً وَالإسْلامُ أُخْرَى[٥]، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا[٦] مَالُكَ وَلاَ حَسَبُكَ، وإنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السّيْفَ، وَسَاقَ إلَيْهِمُ الْحَتْفَ لَحَرِيّ[٧] أنْ يَمْقُتَهُ الأقْرَبُ، وَلاَ يَأْمَنَهُ الأبْعَدُ.

قال السيد [رحمه اللّه]:[٨]

يُرِيدُ عليه السلام أَنّهُ أسِرَ في الْكُفْرِ مَرّةً وَفِي الإسْلامِ مَرَّةً.

وأَمَّا قَوْلُهُ عليه السلام: «دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السّيْفَ»، فَأَرَادَ بِهِ حَدِيثاً كَانَ لِلأشْعَثِ مع خَالِدَ بْنِ

---

(١) في هـ. أ ما يلي: قيل: إنّ أمير المؤمنين كان في خطبته ينكر أمر الحكمين، فقال بعض اصحابه: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فما ندري أيّ الأمرين أرشد؟ فقال عليه السلام: هذا جزائي، فنظر الأشعث أنه قال: هذا جزائي، فقال الكلمة الخبيثة.

(٢) في هـ. ب: خفض، اي: نظر إليه نظر غضيب.

(٣) في ط ود: ثم قال.

(٤) في هـ. أ: اي اهل الكفر.

(٥) في هـ. أ: أمّا أسره في الكفر، هوان مراداً لما قتل اباه خرج ثائراً طالباً بدمه فأسر ففدى نفسه بثلاثة الاف بعير، ووفد علىٰ النبي صلى الله عليه وآله في سبعين رجلا من كندة فاسلم علىٰ يديه. وأمّا اسرهُ في الاسلام، فانه ارتد بحضرموت فبعث اليه ابوبكر زياد وعكرمة في جمع عظيم، فالتجأ الاشعث بقومه الىٰ حصنهم، فحصرهم زياد الىٰ ان بلغ جهدهم فطلب الاشعث منهم الامان لاهله ولبعض قومه وغفل عن نفسه فآمنه، فلما نزل اسره وبعث به مقيّداً الىٰ أبي بكر، فهذا هوأسره في الاسلام.

(٦) في هـ. ب: منهما، يعنى الكفر والاسلام، ومنهما، يعنى ماله وحسبه، وهذا صحيح.

(٧) في هـ. أ: اي مستحق.

(٨) عبارة: «قال السيد لم ترد في أ وب، وفي ط: «قال الرضى رحمه الله»، وفي د: «اقول».

الْوَلِيدِ بِاليمَامَةِ، غَرّ فِيهِ قَوْمَهُ، وغَدَرَ بِهِمْ[١] حَتَّى أَوْقَعَ بِهِمْ خَالِدُ،[٢] وكَانَ قَوْمُهُ بَعْدَ ذَلِكَ يُسَمّونَهُ عرف النَّارِ، وهَواسْمٌ لِلْغَادِرِ[٣] عِنْدَهُمْ.

يتضمّن هذا الكلام صفات المنافقين، وقد خصّ القرآن الكريم سورة بهم، وهي السورة (١٠٤) وقد اشرت في أوضح البيان إلىٰ الخطوط العريضة للنفاق واوصاف المنافقين، وفي هذا المقطع تطبيق لتلك الصفات على شخصية الاشعث المنافق، وينبغي لمعرفة هذه المواصفات الوقوف على ترجمة الأشعث بن قيس للوقوف على خلفيات هذا الكلام، وقد ترجمه الخزرجي (ت / ٩٢٣ هـ) بقوله: «أشعث بن قيس بن معديكرب الكندي، ابو محمّد، صحابي نزل الكوفة، له تسعة أحاديث، اتفقا على حديث واحد، وعنبسة ابو وائل وكردوس، قال الهيثم: ذهبت عينه يوم اليرموك، وحلف يميناً فكفّر عنها بخمسة عشر الفاً، وولي آذربيجان، وكان جواداً كريماً، شهد صفين مع علي، قال أبو حسّان الزيادي: مات بعد عليّ بأربعين ليلة، سنة إحدى واربعين»[٤]

وذكر ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) أن اسمه معدي كرب، وأنّ اباه قيس الاشجّ، ثم ذكر نسبه المتصل إلىٰ كندة بن زهير بن عدي بن الحارث بن أُدد، وان مولد الأشعث ٢٣ عاماً قبل الهجرة، وقد ترجمه بتفصيل ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في الشرح، ومخلصّها: أنّ مراداً قتلت في الجاهلية قيساً الأشج (= والد الأشعث) فخرج الأشعث طالباً بثاره، فخرجت كندة متساندين على ثلاثة ألوية ـ إلىٰ ان قال: ـ وعلى إحداها الأشعث، فأخطئوا مراداً... وأُسر الأشعث ففدي بثلاثة آلاف بعير»[٥] ونقل عن الطبري (ت / ٣١٠هـ) في تاريخه: «إنّ بني وليعة ارتدّت في خلافة أبي بكر فلم تبايع»، وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ما نصه:«.... ولحق فلهم بالاشعث بن قيس ، فاستنصروه

(١) في أ وب وط ود: ومكر بهم.
(٢) في ب: حتى اوقع خالد بهم.
(٣) في هـ. ب مايلي: تارك الوفاء.
(٤) خلاصة تهذيب الكمال: ٣٣، ط / ١٣٣٣ هـ
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٣.

فقال : لا أنصركم حتى تملكوني عليكم . فملكوه وتوّجوه كما يتوّج الملك من قحطان . فخرج إلى زياد في جمع كثيف ، وكتب أبو بكر إلى المهاجر بن أبي أمية وهو على صنعاء ، أن يسير بمن معه إلى زياد ، فاستخلف على صنعاء ، وسار إلى زياد ، فلقوا الاشعث فهزموه وقتل مسروق ، ولجأ الاشعث والباقون إلى الحصن المعروف بالنجير [١] . فحاصرهم المسلمون حصارا شديدا حتى ضعفوا ، ونزل الاشعث ليلا إلى المهاجر وزياد ، فسألهما الامان على نفسه ، حتى يقدما به على أبي بكر فيرى فيه رأيه ، على أن يفتح لهم الحصن ويسلم إليهم من فيه . وقيل : بل كان في الامان عشرة من أهل الاشعث . فأمناه وأمضيا شرطه ، ففتح لهم الحصن ، فدخلوه واستنزلوا كل من فيه ، وأخذوا أسلحتهم ، وقالوا للاشعث : اعزل العشرة ، فعزلهم ، فتركوهم وقتلوا الباقين – وكانوا ثمانمائة – وقطعوا أيدى النساء اللواتى شمتن برسول الله صلى الله عليه وآله ، وحملوا الاشعث إلى أبي بكر موثقا في الحديد هو والعشرة ، فعفا عنه وعنهم ، وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة – وكانت عمياء – فولدت للاشعث محمّدا وإسماعيل وإسحاق . وخرج الاشعث يوم البناء عليها إلى سوق المدينة ، فما مر بذات أربع إلّا عقرها ، وقال للناس : هذه وليمة البناء ، وثمن كل عقيرة في مالى . فدفع أثمانها إلى أربابها . قال أبو جعفر محمّد بن جرير في التاريخ : وكان المسلمون يلعنون الاشعث ويلعنه الكافرون أيضا وسبايا قومه ، وسماه نساء قومه عرف النار ، وهو اسم للغادر عندهم ـ الى ان قال: ـ «وكان الاشعث من المنافقين في خلافة على عليه السلام ، وهو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، كما كان عبد الله بن أبي بن سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه ».[٢]

خلفية الكلام:

وعن خلفية الكلام، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : «فأما الكلام الذى كان أمير المؤمنين عليه السلام قاله على منبر الكوفة فاعترضه فيه الاشعث ، فإن عليا عليه السلام قام إليه وهو

---

(١) كذا ضبطه صاحب مراصد الاطلاع بالتصغير ، وقال : « حصن باليمن قرب حضرموت».
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ٢٩٥ ـ ٢٧٩.

يخطب ، ويذكر أمر الحكمين ، فقام رجل من أصحابه ، بعد أن انقضى أمر الخوارج ، فقال له : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها ، فما ندري أي الامرين أرشد ! فصفّق عليه السلام بإحدى يديه على الاخرى ، وقال : هذا جزاء من ترك العقدة . وكان مراده عليه السلام : هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي والحزم ، وأصررتم على إجابة القوم إلى التحكيم ، فظن الاشعث أنه أراد : هذا جزائي حيث تركت الرأى والحزم وحكمت ، لان هذه اللفظة محتملة ... يقول : هذا جزاء من ترك الرأي ، وخالف وجه الحزم ، ويعني بذلك أصحابه».(١)

صفات المنافق :

وقد اشار عليه السلام إلىٰ صفات المنافق المتواجدة في شخص الأشعث، وهي:

١ ـ التسرّع في الحكم على الآخرين من دون معرفة مواقفهم الحقيقية؛ فان المنصف لابدّ وان ينظر إلىٰ الأُمور بكافة محتملاتها، وخاصة من وجهة نظر الموافق والمخالف، حتىٰ يبدي رأيه في الموضوع، وليس التسرّع في الحكم إلّا صفة بارزة للنفاق، فإن الاشعث اتخذ جانب أحد الطرفين، وأبدى حكمه متسرّعاً، لذلك استنكر عليه بقوله: (مايدريك؟) ويكشف هذا عن امور؛ أولاً: ان القرار في التحكيم بمعزل عن مشاركة الأشعث.

وثانياً: لانه استبعد من المشورة؛ للعلم بنفاقه.

وثالثاً: ان الاشعث أراد بهذا التعليق إظهار علمه بمجرى الأحداث، وأراد الامام نفي ذلك نفياً قاطعاً.

٢ ـ استحقاق اللعن، وهو الطرد من رحمه الله، فان المنافق بأساليبه ينقض رسالة الاسلام بايذاء من يؤدّي تلك الرسالة حسب مقتضيات الظروف، قال تعالى: ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾(٢).

٣ ـ (حائك ابن حائك) والحائك: الذي يحوك الكلام للإشاعة بين الناس عالماً بأنها

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ٢٩٥ ـ ٢٩٧.
(٢) الاحزاب: ٥٥.

إشاعات كاذبة لمصالح سياسية أو شخصية.

٤ ـ وراثة الخلاف (منافق ابن كافر) ولعل في ذلك اشارة إلىٰ مانقله ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ)بقوله: «فإنّ رسول الله ﷺ لما قدمت كندة حجاجاً قبل الهجرة عرض رسول الله ﷺ نفسه عليهم كما كان يعرض نفسه على أحياء العرب.... فلم يقبلوه».[(١)]

٥ – الماضي الأسود من دون اعتبار للتغيير الى الأفضل، وقد أشار إلىٰ أمرين في تاريخ الرجل، وهما:

الاول: الأسر في الجاهلية، حيث أُسر في حملته للثأر من مقتل أبيه، وأُسر، فـفدّي بثلاثة آلاف بعير.

الثاني: الأسر في الاسلام، حينما تحالف مع أصحاب الردة، فأُسر حتىٰ عفى عنه الخليفة ابوبكر (رض).

٦ ـ نقص الثقافة الاسلامية، حيث لم يغيّر حالة الأسر نظرته في الحياة، فخرج من الأسر في الجاهلية بالمال الذي بذل له فداءً، وفي الاسلام بعفو الخليفة الاول عنه لحسبه (فما فداك من واحدة منهما مالك ولاحسبك) فإنّ في الأسر دروس وعبر، وكان ينبغي له ان يعتبر من الأسر في الجاهلية فلا يقترح بتتويج نفسه ملكا للمشاركة مع اصحاب الردة في الاسلام، وهذا لم يحصل، وكذلك الأسر في الاسلام، كان ينبغي أن يعتبر من العفو فيتثقّف بثقافة الاسلام في سلوكه وأقواله، ومنها: عدم التسرّع في الحكم، وهذا لم يحصل أيضاً.

٧ـ الخيانة، حيث استأمن لنفسه أو بزيادة عشرة من أصحابه، وترك الباقين ممن كانوا معه للقتل، وقتلوا وهم ثمانماءة شخص، وذلك بعد ان ملّك نفسه عليهم، ولم يسأل الأمان لهم، بل لنفسه والعشرة فقط، فهو (دلّ على قومه) الذين ناصروه (السيف) ليقتلوا (وساق اليهم الحتف) بالأمان لنفسه، دون قومه البالغ عددهم ثمانماءة شخص.

وختم المقطع بالتحذير من المنافقين في مواقفهم القريب والبعيد، وهما:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٣

اولا: المقت، اي البغض، فان القريب نسباً أو صداقة يتوقّع المساعدة منه، وهو يبخل بها ويوقع به.

ثانياً: عدم أخذ الأمان من البعيد عنه نسباً أو صداقة، فانه لا يرى وزناً لغير مصالحه الشخصية، لا للنسب ولا للصداقة ولا للثوابت الاسلامية.

وقد اجتمعت هذه الصفات في شخص الأشعث بن قيس كما ينبىء عن ذلك ترجمته وتاريخه قبل الاسلام وبعده.

[الخطبة ٢٠]

ومن خطبة له عليه السلام

(ط - ٢٠ / ١) **اليقظة والغفلة:**

فَإِنَّكُمْ لَو عَايَنْتُمْ[١]، مَاقَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ[٢]، لَجَزِعْتُمْ[٣] وَوَهِلْتُمْ[٤] وَسَمِعْتُمْ وأطَعْتُمْ، وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا عَايَنُوا[٥]، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ!

وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُم، بِحَقٍّ[٦] أَقُولُ [لَكُمْ][٧]: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ[٨] الْعِبَرُ، وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاء إِلّا البَشَرُ.

يستعرض هذا الكلام اليقظة والغفلة من حيث أسبابهما وآثارهما، وموارد الاعتبار للتيقظ من الغفلة، والتقابل بينهما هو تقابل الحياة والموت، واستلزمهما للآثار في دار القرار.

والسبب فيهما اليقظة أو الغفلة في مشاهدة الآثار وعدمها، حيث ان عالم الدنيا عالم العمل والمحسوسات، فلا يمكن الوصول بالحس الى ما هو الواقع والحقيقة في عالم غير محسوس، فان لكل منهما عالم خاص به.

فلوعاين الانسان في الدنيا (ما قد عاين من مات) وتجرّد عن المحسوسات، لحصل في الدنيا لهذا المعاين تلك الآثار الحقيقية لمن يشاهد بعين العقل، والآثار هي:

وقد اشار الى أربعة آثار منها في الدنيا، وهي:

---

(١) في ط: لوقد عاينتم.
(٢) في هـ. أ: في نسخة: قبلكم.
٣ ـ في هـ. أ مايلي: نقيض الصبر.
(٤) في هـ. ص: الوهل: الاشفاق، وفي هـ. أ: اي فزعتم.
(٥) في ط ود: ما قد عاينوا.
(٦) في ط وهـ د: وبحق اقول ـ ح، وفي هـ. ب: اي يحق لي عليكم، يعني الإمامة.
(٧) كلمة «لكم» لم ترد في ص.
(٨) في هـ. أ: اي ظهرت لكم.

١ ـ الجزع، وهو إظهار الحزن بعدم الصبر على الحالة التي هو فيها.

٢ ـ الوهل، وهو الخوف من الموقف الذي هو فيه.

٣ ـ السمع لما يقتضيه الموقف من العمل الصالح.

٤ ـ الطاعة للأوامر الالهية التي يترتب عليها آثارها.

فإنّ حالة الانسان بعد الموت يتحدد بنتيجة ما عمله الانسان في الدنيا، فالمطيع السامع فيها لاخوف عليه ولايحزن، والعاصي الغافل خائف جزع لعمله ومعاينته الحالة التي بعد الموت، وهي توجب الجزع والوجل من العصيان ،والسمع والطاعة في الدنيا التي حيث أنها مزرعة الاخرة.

وموارد العبرة امور، ذكرها كالآتي:

١ ـ (لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا) لأنّ بالموت تتجرد النفس الانسانية وتشاهد الأُمور بعين البصيرة في عالم الأرواح، وهذا غير ممكن للانسان الذي يعيش في عالم المادة ولا يشاهد الاشياء إلّا بعين الباصرة القاصرة على المحسوسات.

٢ ـ (وقريب ما يطرح الحجاب) والمراد بالحجاب: الحياة بالروح، وطرحها بالخروج من الجسم، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت/٦٥٦ هـ): «ما يطرح مصدرية، تقديره: وقريب طرح الحجاب بعد رفعه»[١] والاظهر أنّ «ما» موصولة، والمعنى: وقريب الذي يطرح الحجاب وهو الموت، فان الموت يطرح الروح جانباً، وكل ما هو آتٍ قريب، والله أعلم.

٣ ـ (ولقد بصّرتم ان أبصرتم) فان البصر بعين العقل أيضاً معاينة كالعين الناظرة.

٤ ـ (وأُسمعتم إن سمعتم) فان السمع كما يكون بالسامعة، كذلك يكون بلسان الحال.

٥ ـ (وهديتم إن اهتديتم) فإنّ طالب الهداية لابدّ وان يهتدي؛ فان من طلب شيئاً وجدّ وجد، وفي الختام: أكدّ ما تقدم بقوله: (وبحقّ أقول لكم) على توفرّ أسباب المعاينة والمشاهدة بعين البصيرة بذكر حقائق، هي:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٨

اولا: (لقد جاهرتكم العبر) والعبرة: الموعظة، ومجاهرتها: رفع صوتها لمن يعتبر.

ثانياً: (وزُجرتم بما فيه مزدجر) والزجر: المنع عما يوجب الندامة والهلكة، وعن وسائط هذه العبر أشار إلىٰ واسطتين، هما:

الاولى: رسل السماء، وهم الملائكة حيث يبلّغون رسالات الله سبحانه إلىٰ الأنبياء بالوحي، والى غيرهم بالإلهام.

الثانية: رسل الأرض، وهم البشر، قال تعالى: ﴿قل سبحان ربّي هل كنت إلاّ بشراً رسولاً﴾.(١)

(١) الاسراء: ٩٣

[الخطبة ٢١]

ومن خطبة له عليه السلام[١]

(١/ط - ٢١) حقيقة الحياة:

فَإِنَّ الْغَايَةَ[٢] أَمَامَكُمْ، وإِنّ وَرَاءَكُمْ السّاعَةَ تَحْدوُكُم[٣] تَخَفَّفُوا[٤] تَلْحَقُوا فانّما يُنتَظَرُ[٥] بِأوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

[قال الشريف:][٦] وأقول: إنَّ هذا الكَلام لَو وُزِن بَعْدَ كلام الله سُبْحَانه، وبَعْد كَلامِ رَسُولِ اللّهِ[٧] صلى الله عليه وآله[٨] بِكُلّ كَلامٍ لَمَالَ بِهِ رَاجِحاً[٩]، وَبَرَزَ عَلَيْهِ سَابِقاً.

فَأمّا[١٠] قَوْلُهُ عليه السلام: «تَخَفّفُوا تَلْحَقُوا»، فَمَا سُمِعَ كَلامٌ أَقَلُّ مِنْه مَسْمُوعاً وَلا أَكْثَرُ مَحْصُولاً؛[١١] وَمَا أبْعَدَ غَوْرَهَا مِنْ كَلِمَةٍ! وَأَنْقَعَ[١٢] نُطْفَتَهَا[١٣] مِنْ حِكْمَةٍ! وَقَدْ نَبَّهْنَا في

---

(١) رواه الشريف الرضي في الخصائص ص ٨٧، والطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٥٧.

(٢) في هـ. أ: المراد بالغاية الجنة والنار، والمراد بالساعة القيامة الصغرىٰ، وكونها ورائهم فلأن الانسان لمّا كان بطبعه ينفر من الموت ويفرّ منه وكانت العادة من الهارب من الشئ ان يكون وراءه مهروب منه، فكأن الساعة التي هي القيامة الصغرىٰ ـ وهي الموت وراء الاحياء تحدوهم .. وفي هـ. ب: اما الجنة اوالنار.

(٣) في هـ. أ: اي تسوقكم.

(٤) في هـ. أ: قوله: «تخفّفوا تلحقوا» كناية عن الزهد الحقيقي، وهوحذف ما هوشاغل عن التوجه الى القيامة الحقيقية، والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها في هـ. أ: أي تلحقوا الغاية.

(٥) في هـ. أ: اي انما ينتظر بالبعث الاكبر والقيامة الكبرىٰ للذين ماتوا أوّلاً، وصول الباقين وموتهم.

وفي هـ. أ ايضا: يعني ينتظر أوّلكم موت آخركم، وهي القيامة الصغرىٰ.

وكتب تحت كلمة أوّلكم: المنتظر ـ بالكسر ـ وتحت كلمة آخركم: المنتظر ـ بالفتح ـ. وفي هـ. ب: ينتظر آخركم الوصول بأوّلكم.

(٦) عبارة «قال الشريف» لم ترد في أ وب ود.

(٧) في ب: وكلام رسوله صلى الله عليه وآله.

(٨) في هـ. أ مايلي: كما قال صلى الله عليه وآله: «الدنيا ساعة فاجعلوها طاعة».

(٩) في ب: رجحاناً، وفي الهامش في نسخة: راجحا.

(١٠) في ص: واما قوله.

(١١) في ط: ولااكثر منه محصولاً.

(١٢) في أ: انفع، وفي الهامش في نسخة: أنقع، وفي هـ. أ ايضاً: اي اكثر نفعها.

كِتَابِ الخَصَائِصِ[١٤] عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا، وَشَرَفِ جِوْهَرِهَا.

قال الجلالي: أشرت في مسند نهج البلاغة الىٰ تخريج العرشي حفظه الله إياها من تاريخ الطبري (ج ٥، ص١٥٧) وقال: «إنها جزءٌ من الخطبة ١٦٢ حسب ترقيمه، وهي الخطبة ١٦٥ حسب ترقيم الطبعة المعتمدة[١٥]، ولا يعلم بالضبط لماذا استقطع الرضي (ت/ ٤٠٦ هـ) هذه الجمل وأوردها هنا، وان كان الظاهر وحدة الموضوع مع ما قبله، وهو الموت، لورود هذه اللفظة في الخطبة، ولذلك حمل الشراح كلمة « الساعة » على يوم القيامة، وكان ذلك غير مستبعد، ولكن سياق الخطبة التي هي في اوائل خلافته ـ كما صرّح الرضي ـ يستعرض أحوالاً أصيلة من مقوّمات الأُمة من الاهتداء بالكتاب والتأكيد على الفرائض وحقوق المسلمين ـ إلىٰ ان قال: ـ (... بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم، وهو الموت، فإّن الناس أمامكم، وأن الساعة تحدوكم من خلفكم تخففواتلحقوا، فانما ينتظر بأوّلكم آخركم، اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنّكم مسؤولون حتىٰ عن البقاع والبهائم).. إلىٰ آخر الخطبة.

والنص في الخطبة (١٦٥): (فان الناس امامكم) وفي هذه الخطبة (٢١): (فان الغاية أمامكم) مما يكشف عن ان الرضي نقلهما من روايتين مختلفتين، فليست هذه من تلك، والله العالم.

واختلف الشراح في المراد من الغاية، قال القطب الراوندي (ت/ ٥.٥ ه): «يعني ان الجنة والنار خلفكم» وقال ابن أبي الحديد (ت/ ٦٥٦ هـ): «غاية المكلّفين هي الثواب والعقاب، ويحتمل ان يكون أراد بالغاية الموت»[١٦].

وفي هـ. ب: اي اثبتها. وفي هـ. ب ـ أيضاً: نقع الماء منقعة اذا كثر الماء في خفة....

(١٣) في أ : نطقتها، وكتب تحته: نطقاً، وفي الهامش عن نسخة «نطفتها» وفي هـ. أ ايضاً: وقد استعاروا لفظ النطفة ـ وهي الماء الصافي ـ للحكمة، وفي هـ. ب: اي اخلص.

(١٤) يريد به كتاب خصائص الائمة، وهومطبوع متداول: أنظر في الذريعة الىٰ مصنفات الشيعة ج ٧ص ١٦٤.

(١٥) راجع مسند نهج البلاغة (ارشاد المؤمنين) ١:

(١٦) نقله ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٠١.

وقوله ﷺ : « فإنما ينتظر بأولكم آخركم » ، يريد : إنما ينتظر ببعث الذين ماتوا في أول الدهر ، مجيئ من يخلقون ويموتون في آخره ، كأمير يـريد إعـطاء جـنده إذا تكـامل عرضهم ، إنما يعطى الاول منهم إذا انتهى عرض الاخير . وهذا كلام فـصيح جـدا».[١] وسياق الخطبة يلقي الضوء على خلفية هذه الجمل العظيمة الحكيمة، واعتماداً على ذلك يمكن تحديد مفهومها، فانه ﷺ أمر في الخطبة التي خطبها فى أوائل خلافته بـقرارات عظيمة يجب ان تسير عليها أية ادارة جديدة للخلافة، وكان مما أمر بها: المـبادرة إلىٰ اصلاح شؤون العامة (بادروا أمر العامة) فان الحكم الذي لايتم لمصلحة الشعب العليا لابد وان يخسر ثقة الشعب، ومع فقدان الثقة لايكون للدولة قائمة الاّ بـالحديد النـار، والحكم بالحديد والنار لايمكن ان يدوم إلىٰ الأبد، ثم أمر بالمبادرة إلىٰ أمر الموت (وهو خاصة أحدكم) حيث ان الموت لا مفرّ منه لأي واحد في الحياة، ويبقى الانسـان فـي محكمة التاريخ والحقيقة التي لا ترحم أحداً. وبعد الأمر بالمبادرة بان تكون الاولوية في قائمة الأعمال للادارة الجديدة لهذين الاصلين، قال الحكمة الفصيحة لبيان السبب في المبادرة إلىٰ هذين واعطاء الاولوية لهما دون غيرهما من المصالح الشخصية والقـبلية والطبقية، واشار الي اسباب هذه الاولوية في نقاط:

١ ـ النظرة إلىٰ المستقبل (الغاية أمامكم) فانّ الغاية من الخلافة هي تطبيق حكم الله في الارض، وبسط العدالة الاسلامية في الناس، وعلى الرواية الثانية: فالناس ـ وهم عامة الشعب ـ يجب ان يكونوا الهدف الأساس من الحكم، لا الطائفة الخاصة من القـبيلة أو الاقليم، فلا يجب الاهتمام بالماضي إلاّ بقدر ما يرتبط بالمستقبل، فان التركيز يجب أن يكون على واجبات المستقبل فقط .

٢ ـ التسابق مع الزمن (إنّ وراءكم الساعة) وهي الوقت الحاضر، فان كل لحظة من الوقت الذي يعيشها الانسان لو التفت إليها لكانت ماضية، فأصبحت مـتأخرّة، وكأنـها صارت وراء الانسان، فلا يجوز للحصيف ان يهتم بـالشيئ الذي انـتهى دوره، والحـال

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ٣٠٢.

يشترك مع الماضي في انهما دوران منتهيان، لايلزم ان يهتم الانسان بهما إلاّ بـقدر مـا يرتبطان بالمستقبل.

٣ ـ العبرة من الحال والماضي (تحدوكم) فإن الساعة التي يعيشها الانسان تسوقه إلىٰ الغاية التي خطط من أجلها في الحياة، وكل لحظة منها خطوة تدفعه نحو تلك الغاية.

٤ ـ الوسيلة للوصول إلىٰ الغاية (تخفّفوا) بالإعراض عن كل ما لايـرتبط بـالخطة المدروسة للوصول إلىٰ الغاية، فيجب التركيز عليها دون غيرها، فانّ أيّ شـيءٍ غـيرها يوجب الفصل على السائر نحو الهدف.

٥ ـ الوصول إلىٰ الهدف (تلحقوا) بالهدف المنشود، وهي تحقيق العدالة الاسلامية للجميع، وهو عام في مسيرة الكمال الانساني.

٦ ـ التعاون الاجتماعي (فانما ينتظر بأوّلكم آخركم) فانّ تـحقيق حكـم الله فـي الارض لا يمكن ان يتحقق بفردٍ واحد، بل يكون بتعاون الافراد في المجتمع على تثبيت القيادة وهي المسؤولة اوّلاً بالتخطيط المدروس بالشورىٰ، وثانياً: القـاعدة (آخـركم) والتي تكون هي المسؤولة أخيراً بالتعاون مع القيادة العـادلة فـي بـناء الدور للـمجتمع الحاضر ليحصل التقدم نحو مستقبل أفضل.

[الخطبة ٢٢]

ومن خطبة له عليه السلام(١)

وتتضمن هذه الخطبة المواقف في حرب الجمل عام ٣٦ حيث نكث البيعة جمع خرجوا للحرب في البصرة، وتحتوي على ثلاثة مقاطع في وصف الناكثين، وحجة المعارضة، وموقف القيادة من المعارضة:

(١/ط-٢٢) في نكث البيعة:

ألا وإنَّ الشّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ(٢) حِزْبَه، واسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ، لِيَعُودَ الجَوْرُ إِلى أوْطَانِهِ(٣)، ويَرْجِعَ الْباطِلُ إلَى نِصَابِهِ.

وَالله مَا أَنْكَرُوا عَلَيّ مُنْكَراً، وَلاَ جَعَلُوا بَيْنِي وبَيْنَهُمْ نَصَفاً(٤).

وهو وصف عام من وجهة نظر القائد إلىٰ المعارضة في نقاط تشير إلىٰ أسباب الخروج، وصفة الخارجين.

١ ـ (ألا وإنّ الشيطان قد ذمر حزبه) التذمير: كثرة الحثّ على الشيء، والحزب: الجماعة، وحثّ الشيطان على الجماعة بالخروج انما هو بالحرب والمقاومة المسلّحة، دون التحاكم إلىٰ الكتاب والسنة.

٢ ـ (واستجلب خيله) والجلب: الجمع، والجلبة: اختلاط الاصوات، وفي ذلك اشارة

---

(١) وفي هـ. أ: هذه الخطبة خطبها عليه السلام حين بلغه أنّ طلحة والزبير خلعا بيعته، وفيها زيادة ونقصان، وقد أورد بعضه فيما قبل، وان كان نبّه في خطبته علىٰ سبب التكرار والاختلاف.

(٢) في ط: ذمّر. وفي هـ. ص: اي حرض وأغراهم بالمقصود وأثار حفائظهم. وفي هـ. أ: اي حث، وفي هامش آخر: ذمر مخففاً مشدداً ـ: اي حث، والحزب: الجماعة من الناس، وتمخضت: تحركت والنصف ـ بكسر النون وسكون الصاد ـ: النصفة وهي الاسم من الانصاف والتبعة: ما يلحق الانسان من درك، والنصاب للنصل، والجلاد المضاربة بالسيف، والهبول: الثكلىٰ، والهبل: الثكل.

(٣) في هـ. ص: في نسخة: قطابه.

(٤) في هـ. أ مايلي: النصفة: الاعتدال، وهوالاسم من الانصاف.

إلىٰ ان الناكثين للبيعة لم يكونوا على مبدأ واحد، فإنّ أصواتهم ودعاويهم كانت مختلفة، وان اتحدت في المعارضة للاطاحة بالحكم، بحيث انهم لونجحوا في الاطاحة بـالحكم لاختلفوا فيما بينهم بالحرب، وذلك لاختلافهم في المبادي لكل طائفة منهم.

٣ ـ (ليعود الجور إلىٰ أوطانه) بانّ الهدف للشيطان هو اخماد صوت الحق، ولا يكون إلاّ بكثرة أصوات المعارضة وتوحيدها لاخماد صوت الحق، وبالنتيجة يكون الجور هو الحاكم بدل الحق في الحكم والوطن والشعب.

٤ ـ (ويرجع الباطل إلىٰ نصابه) والنصاب: اصل الشيء، فلا يكون بعد اخماد الحق إلاّ الباطل، وأشار إلىٰ موقف القيادة منها بقوله:

٥ ـ (والله ما أنكروا عليّ منكراً) فانه لم يستندوا في نكثهم للبيعة إلىٰ عمل منكر صدر من القيادة، بل ذكروا الحجة بعد الخروج، وليس حين نكثهم للبيعة، مما يكشف عن عدم استنادهم إلىٰ حجّة في نكث البيعة.

٦ ـ (ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً)، والنصف: الحَكَم المنصف بين المتنازعين، فانه كان بين نكث البيعة والحرب مراحل وفترات متعددة، والمنصف في أمر الخلاف لابدّ وان يتدّرج في تلك المراحل، ولا يلتجئ إلىٰ الحرب إلاّ بعد فشل الوصول إلىٰ حلّ وسـط، ولكن الناكثين للبيعة لم يحاولوا استخدام النصف، أي الحاكم المنصف بين المتنازعين، بل سارعوا إلىٰ الحرب كما يشهد بذلك أنها استعرت خلال سنة واحدة من دون أيّة محاولة للتفاوض، وهذا يكشف عن عزم مسبق على الحرب حيث لم يستخدموا أمـرين كـان ينبغي ان يستخدمونهما:

اولا: عدم البيعة بالرفض والمقاطعة، وهذا لم يحصل، لانهم بايعوا من دون رفض.

وثانياً: محاولة التفاوض لبيان الأسباب الداعية إلىٰ نكث البيعة قبل الحرب، وهذا لم يحصل أيضاً، بل بادروا إلىٰ الحرب من دون انذار أو تفاوض.

(٢ / ط ـ ٢٢) في حجة الناكثين:

وإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً[١] تَرَكُوه[٢]، وَدَماً هُمْ سَفَكُوه؛ فَلَئِنْ كُنْتُ[٣] شَرِيكَهُمْ فِيهِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي؛ فَمَا التَّبِعَةُ[٤] إلّا عِنْدَهُمْ. وإنّ أعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهُمْ، يَرْتَضِعُونَ أُمَّا قَدْ فَطَمَتْ[٥]، ويُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ.

يستعرض هذا المقطع حجة المحاربين من الناكثين، وطبيعيّ ان الجبهة المحاربة في أيّة حرب تتكوّن من القيادة التي تقود الحرب، ومن المتعاونين معها في تنفيذ سياستها، ومن عامة الناس المتأثرين بالحجة التي تشيعها القيادة في صفوفهم. وبعد ان وصف القيادة المعارضة في المقطع الاول، أشار إلىٰ حجة المعارضة في هذا المقطع، وأخذ يخاطب قيادة المعارضة ويذكّرهم بصيغة الغائب مفنّداً حجتهم التي أعلنوها في الحرب، وهي المطالبة بدم عثمان، وذلك في نقاط:

١ ـ(ليطلبون حقاً هم تركوه) فانّ قيادة الناكثين تشكّلت من ثلاثة، هم: طلحة (رض) والزبير (رض) والتاريخ يشهد بأنهم كانوا في المدينة حين قتل عثمان (رض) عام (٣٠ هـ) فلم يطالبوا بدم عثمان هناك قط.

٢ ـ(ودماً هم سفكوه) فإنّ قيادة الناكثين ـ وكما يشهد به التاريخ ـ كانوا في المدينة، وحرّض كل واحد منهم بدور فعّال على عثمان (رض)، فان كان التحريض على الخليفة هو الذي أدى إلىٰ مقتله، فهم المسؤولون عن سفك دمه، فإنّ عليا لم يحرّض على الخليفة عثمان (رض) وان لم يوافق على سياسته، بل جلب له الماء وهو محصور.

٣ ـ وقد تفاجأ الكل ـ بما فيهم قيادة الناكثين ـ بمقتل الخليفة عثمان (رض) كما اتفق الكل علىٰ تخطئة سياسته، فاذاً كانت القيادة السياسية للناكثين شريكة في الدم، فكلّهم شركاء فيه سواء (فلئن كنت شريكهم فيه فانّ لهم نصيبهم) فتكون القيادة الناكثة مسؤولة

---

(١) في ط ود وهـ. أ في نسخة: حقاً هم تركوه.
(٢) في هـ. ص: اي ما يزعمونه حقاً لهم وقد تركوه.
(٣) في ص: ولئن كنت د وط: فان كنت.
(٤) في هـ. أ: الخطيئة والذنب؛ لأنّهما يستتبعان العقوبة.
(٥) في هـ. ب: في نسخة: فطمتهم.

عن ذلك لتخطئتها السياسة، اضافة إلىٰ ما اختصوا به من التحريض عليه، وهـذا مـا لم يحصل من الامام.

٤ ـ والمسؤولية على الناكثين اكثر، لانهم هم الذين ولّوا عثمان (رض) ثم انتقدوه، (ولئن كانوا ولّوه دوني، فما التبعة إلاّ عندهم) لان تقليد الولاية حصلت منهم، ومن يولّي آخر لمقام من دون دراسة للمبادئ، يكون مسؤولاً عن اختياره.

٥ ـ ومهما كان حجتهم من التولية عظيمة، فهي مردودة عليهم (إنّ أعظم حجتهم لعلى أنفسهم)وأحسن الحجة في التولية أنهم ولّوا الخليفة للعمل على المبادىء الاسلامية من الكتاب والسنة، فهم ليسوا مسؤولين عن النتائج الحاصلة من عدم تطبيقها من الأُمـراء المنصوبين من قبل الخليفة، وهذه حجّة منطقية لكل من يبايع حاكما مسلما ثم يحصل الانحراف من قبل عمّاله. وهذه الحجة على أنفسهم، لأنهم خرجوا على من بايعوه مـن دون أن يحصل أيّ انحراف في خلافته بعد البيعة، وما حصل فيها يحتاج إلىٰ محاكـمة عادلة، لا الخروج عن الطاعة بصورة مسلّحة.

٦ ـ (يرتضعون أُمّاً قد فطمت) فهم كمن يطلب مافات أوانه، وهو طلب الخلافة بعد البيعة، فان الأم تفطم من الرضاع بعد فترة الرضاع، والرضاع بعد هذه الفترة طلب للشئ في غير أوانه، والناكثون للبيعة يطلبون الخلافة بعد ان انقضت أوانها بالبيعة.

٧ ـ (ويحيون بدعة قد أُميتت) فان النكث للبيعة بدعة، والكتاب والسنة النبوية التي تؤكّد على الوفاء بالعهد، ومنها: البيعة، فانها قد اماتت سنة نكث البيعة.

(٣/ ط ـ ٢٢) في موقف القائد:

يَاخَيْبَةَ[١] الدَّاعِي[٢]! مَـنْ دَعَـا[٣]! وإلَـى مَ[٤] أُجِـيب[٥]! وإنّـي لرَاضٍ بِـحُجّةِ

(١) في هـ. أ: هذا تعجب من دعاء أهل الشام إلىٰ محاربته، ونسبتهم اليه دم عثمان وهـوبريء الساحة منه.

وفي هامش آخر: تقديره: يا قومي اويا هؤلاء، خاب الداعي خيبة. وفي هامش آخر: قوله ـ: « ـ يا خيبة الداعي من دعا» خرّج مخرج التعجب من عظم خيبة الداعي الىٰ ما دعـا، والىٰ مـا أُجيب، استفهام على سبيل الاستحقار للداعي والمدعوين لقتاله، والناصر إذا كانوا أعـوانـه الناس ورعاعهم، وللمدعوإليه وهوالباطل الذي دعوا لنصرته.

اللهِ عَلَيْهِمْ، وعِلْمِهِ فِيهِمْ، فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدّ السّيْف، وكَفَى بِهِ[٦] شَافِياً مِـنَ الْـبَاطِلِ، ونَاصِراً لِلْحَقّ!.

ومِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ[٧] إِلَيَّ أَنْ ابْرز لِلطّعَانِ، وأَنْ اصْبِر لِلْجِلادِ[٨]. هَبِلَتْهُمْ[٩] الْهَبُول! فلَقَده كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلا أُرْهَبُ بِالضّرْبِ. وإِنّي لعَلَى[١٠] يَقِينٍ مِنْ رَبّي، وفي غَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

يستفتح المقطع الثالث والأخير موقف الامام والناكثين للبيعة بالأسف الشديد على خروج الناكثين بقوله: (ياخيبة الداعي) قال الشارح ابن أبـي الحـديد (ت/ ٦٥٦ هـ) :«وقوله : « يا خيبة الداعي » ، هاهنا كالنداء في قوله تعالى : ﴿يا حسرة على العباد﴾[١١]، وقوله :﴿يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ [١٢]، أي يا خيبة احضرى ، فهذا أوانك !».[١٣]

وهنا بيان السبب في الخيبة من الحجّة على الناكثين، واشار إلىٰ ثلاث امور، كلّ واحدة حجّة على الناكثين، وهي:

الاول: (من دعا!) فان الدعوة خاصة إلىٰ الحرب، ولا بديل لها، فالخيار للامام محدّد بين رضوخ الامام الذي ولي القيادة بالبيعة لمن خلع البيعة، فلا يكون حينئذ قائداً يعمل بمسؤولية القيادة التي قلده إياها غيرهم من المسلمين، وبين الرضوخ للناكثين من دون

(٢) في هـ . ب: اي ايّ انسان.
(٣) في هـ . أ : قوله عليه السلام: «من دعا» استفهام، اي ايّ فرد دعا إلىٰ الحرب والىٰ أي شيءٍ اجيب، علىٰ مالم يسمّ فاعله، فكلاهما استفهام على سبيل التحقير.
(٤) «ما».
(٥) هـ . د : الىٰ م اجيب ـ ض وح.
(٦) في هـ . أ : اي بحدّ السيف:
(٧) في د: بعثتهم.
(٨) في ص: على الجلاد، وكتب فوقه: «للاجلاد»، وفي هـ . أ : اي المضاربة بالسيف.
(٩) في هـ . أ: اي ناحت عليهم الثكلىٰ، وفي هامش آخر: هبلته الهـبول: اي ثكـلته، والهـبول: الهابلة، اي الثاكلة.
(١٠) في أ : علىٰ يقين، وفي الهامش في نسخة: لعلىٰ.
(١١) يس : ٣٠.
(١٢) الانعام: ٣١.
(١٣) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ٣٠٤.

الاعتراف بإمامهم، وهذا إهمال لمسؤولية القيادة نفسها، وبين الحرب كما أمر الله حتىٰ تفيء الفئة الباغية إلىٰ أمر الله.

الثالث: الحجة الاسلامية في الموقف بالحرب (وإني لراضٍ بحجة الله عليهم وعلمه فيهم) حيث أنها الحجة عند الله سبحانه لعلمه سبحانه بالحقيقة، والتاريخ بالتزامي بها، وهي الثابتة الاسلامية في الحرب عند انقطاع الحجج، وهي قوله تعالى: ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلىٰ امر الله﴾(١)

(٤ / ط - ٢٢) الموقف من الحرب:

وبعد تمامية الحجة لم يبق للقائد خيار سوى أمرين:

الاول: الانذار الأخير للاصلاح (فإن أبوا ذلك).

الثاني: هو الحرب التصحيحية (أعطيتهم حدّ السيف) حيث يتعيّن الخيار الأخير بعد رفض الصلح، وقد وصف نتائج الحرب التصحيحية بأمرين:

اولا: ان الحرب تقضي على الباطل (كفى به شافيا للباطل) فلا يكون له دور في التضليل.

ثانيا: إنّ الحرب نصر للحق (وناصراً للحق) حيث يبقى الخيار الوحيد.

شخصية القائد:

وقد أشار إلىٰ صفات خاصة معروفة في شخصية القائد، وقد تجاهلها الناكثون حيث طلبوا منه البراز للحرب، فقال:

١ ـ (من العجب بعثهم إليّ أن إبرز للطعان، وأن اصبر للجلاد) فإنّ تهديداً كهذا لشخصية معروفة في التاريخ الاسلامي في غزوات النبي ﷺ لابدّ وان تدعوا إلىٰ العجب.

٢ ـ (هبلتهم الهبول) الهبول: المرأة التي لايبقى لها ولد، والهبل: الثكل، وهذا دعاء بالموت على الانسان؛ لان دعوته للطعان والجلاد، أي المصارعة مع شخصية مجربة على

---

(١) الحجرات: ٩

الحرب، دعوة خاسرة، وذكر السند بقوله:

٣ ـ (لقد كنت وما أُهدد بالحرب) فإنّ من سبر تاريخ حياته في تجارب الحرب التي كان له الظفر فيها للاسلام والمسلمين على يديه يذعن بذلك.

٤ ـ (ولا أُرهب بالضرب) ولم يبد منه فيما سبق من تاريخه رهبة أو خوف من الضرب في سبيل الله، وذكر السبب في عدم الرهبة من الحرب والضرب أمران، هما:

٥ ـ (وإنّي لعلىٰ بيّنة من ربّي) فانه يستند إلىٰ حجّة شرعية، وهي الثابتة الاسلامية الآمرة بقتال الفئة الباغية.

٦ ـ (وغير شبهة من ديني) بالرؤية الواضحة في أسباب الحرب ومبادیء الحكم الاسلامي والنتائج التي تترتب على الحرب، وهما ما يفتقر اليه المحارب في سبيل الله في الجيش العقائدي.

[الخطبة ٢٣]

المجتمع الاسلامي ـ ككل مجتمع حضاری ـ يتكوّن من الأفراد والأُسر، والافراد مختلفون في طبقاتهم من الفقراء والاغنياء وما بينهما من مراتب الفقر والغنى، كما يختلف الأفراد في الطبقات التي تفتقر إلىٰ الحضارة في كل أُمة كلّ حسب مؤهلاته في العمل والصناعة والتجارة والعلم والسياسة، وتستعرض هذه الخطبة صفات العضو الصالح في المجتمع الاسلامي من الافراد ثم الاسرة الاسلامية:

(١/ط ـ ٢٣) الفرد المسلم:

يحدد الاسلام اختلاف الطبقات في الدرجات، قال تعالى: ﴿ يرفع الله الذين امنوا والذين اوتوا العلم درجات﴾ (١)

وقال: ﴿ وأن ليس للانسان إلاّ ما سعى﴾ (٢) وهاتان الآيتان تحددان مقاييس التفضيل في المجتمع الاسلامي إلىٰ ثلاثة، هي:

١ ـ الايمان. ٢ ـ العلم. ٣ ـ العمل. فكل فرد أو مجتمع أو أُمة تتحرك على هذه الاصول الثلاثة لابدّ وان تنجح في الحياة، وان ترى نتيجة المسعىٰ في الدنيا والآخرة، وقد أشار إليها الامام في مقاطع:

أوّلاً ـ الايمان:

أَمّا بَعْدُ،(٣) فَإنَّ الأَمْرَ(٤) يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الارضِ كَقَطَرَ(٥) الْمَطَرِ إِلى كُلَّ نَفْسٍ بِمَا

---

(١) المجادلة: ١١

(٢) النجم: ٣٢

(٣) في هـ. ص: مصدر هذا الكلام مصدر النهي عن الحسد، وهومن أقبح الاخلاق المذمومة.

(٤) في هـ. أ: يعني ان الرزق انما يزيد وينقص علىٰ ما تقتضيه المصالح، فلا يأتي لأحد أن يحسد ذا مال كثير.

(٥) في ط وهـ. د: كقطرات ـ ض.

قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيادَةٍ أَونُقْصَان، فإذا[١] رَأى أَحَدُكُمْ لاخِيهِ غَفِيرَةً[٢] في أَهْلٍ أَو مَالٍ أونَفْسٍ، فَلاَ تَكُونَنَّ لَهُ[٣] فِتْنَةً[٤].

فخصّ المقطع الاول بالايمان بالقضاء والقدر، فانّ في امور الحياة ما هو داخل تحت قدرة الإنسان، ومنها ما هو خارج عن قدرته، كما هو الحال في الطبيعة، فمن الفصول الحرّ والبرد، ومن الأشجار: الصغير والكبير، ولهذه الفوارق أُصول تنمو ولا يـمكن تـغييرها بالإرادة سريعاً وإن كان بالامكان التغلب عليها بالتدبير والعمل المتواصل.

ومن لوازم الايمان بالقضاء والقدر أُمور:

١ ـ ان الله سبحانه يقدّر لكل فرد حسب قدرة الفرد لتحمّل مسؤولية القدرة التي قدّر بها، إما حقيقة أو امتحانا، (فإن الامر) يكون حسب الحكمة الالٰهية التي لايعلمها إلاّ الله سبحانه (ينزل من السماء إلىٰ الارض) من الله سبحانه الىٰ عباده (كقطرات المطر) فإن الامطار تنزل حسب تواجد أسبابها، وقدرة الانسان لأيّ مسؤولية مـن الرزق والاولاد محدودة بعوامل، فانه لايمكن للطفل الصغير أن يصبح أباً.

٢ ـ ان المقدور لا يتخلّف (إلىٰ كلّ نفس مما قسم لها) حسب تلك العوامل الطبيعية والظروف من الزمان والأحوال من المكان وما شابه، ونتيجة ذلك: أن يختلف ما يقسم لها (من زيادة ونقصان) حسب تلك الظروف والأحوال التي يسعى إليها الانسان ويخطط لها من قبل هو أو من له القدرة على ذلك.

٣ ـ الرضا بالحالة التي هو فيها ما دامت الأسباب لتلك الحالة باقية، فإذا أراد الانسان

---

(١) في ط وهـ. د: فان ـ ح.
(٢) في أ : عفوة. وفي هـ. ص: الغفيرة: هي الزيادة والكثرة، كما يقال: جم غفير، ويروىٰ: عفوة، وهي الخيار.
وفي هـ. أ : الغفيرة: الكثرة والزيادة، ويروىٰ عفوة ـ بكسر العين ـ وعفوة كل شي صفوته، وفي هـ. ب، الغفيرة ـ هاهنا ـ: الكثرة والزيادة من قولهم للجمع الكثير: الجم الغفير، والجما الغـفير، ويروى: عفوة: خيار الشيُ، يقول: أكلت عفوة الطعام، أي خياره.
(٣) في هـ. أ : الضمير يرجع الىٰ «أحدكم».
(٤) في هـ. أ : الفتنة: هي الضلال عن الحق لمحبة أمر مّا من الأُمور الباطلة والاشتغال به عـما هوالواجب من سلوك سبيل الله.

تغيّر حالته التي هو فيها فلابد من تغيير تلك الاسباب التي أدّت إلىٰ ما هو عليه، فان الله لا يغيّر ما بقوم حتىٰ ﴿يغيّروا ما بأنفسهم﴾.[١]

ثانياً - العلم:

فَإنَّ الْمَرْء الْمُسْلِمَ مَالم يَغْشَ[٢] دَنَاءةً[٣] تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ[٤] لَهَا إذَا ذُكِرَت ويُغْرَى بِها[٥] لِئَامُ النَّاسِ، كَانَ كَالْفَالِجِ[٦] الْيَاسِرِ[٧] الّذِي يَنْتَظِرُ أوَّلَ[٨] فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَم، ويُرفَعُ عنه بَهَا[٩] الْمَغْرَمُ. وَكَذَلِكَ الْمَرْء الْمُسْلِمُ الْبَرِيء مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِن اللهِ[١٠] إحْدَى الْحُسْنَيَيْن[١١]، إمَّا دَاعِيَ اللهِ[١٢] فَمَا عِنْدَاللهِ خَيْرٌ لَهُ[١٣]، وإمّا رِزْقَ اللهِ، فَإذَا هُوذوأهْلٍ ومَالٍ، ومَعَهُ دِينُهُ وحَسَبُهُ.

---

(١) اقتباس من سورة الرعد: ١١.

(٢) في هـ. أ: قوله عليه السلام: «ما لم يغش ... الىٰ اخر القول»، اعلم ان «ما» هنا بمعنىٰ المدة و«كالفالج» خبر «ان»، و«تظهر» صفة «دناءة».

(٣) في هـ. أ: اي خصاصة.

(٤) في هـ. ص اي يذل، اي مالم يسرق ولم يخن، ولم يسألِ فيلحف، وفي هـ. أ: قوله عليه السلام: «فيخشع» ان كان بمعنى غضّ الطرف والتطامن، كان عطفاً علىٰ «تظهر»، وان كان بمعنىٰ الخضوع والخشية، فالفاء للابتداء، فالمراد بالمعنىٰ الاول: ان المؤمن مهما لم يرتكب أمراً خسيساً تظهر عنه فتكتسب نفسه خلقا رديئاً، ويلزمه بارتكابه الخجل من ذكره بين الخلق إذا ذكر، والحياء من التعيير به، وتغرىٰ به لئام الناس وعوامهم في فعل مثله، وقيل: في هتك ستره به؛ فإنّه يشبه الياسر الفالج.

وان حملناه علىٰ المعنىٰ العرفي، وهو: الخضوع والخشية، فالمعنىٰ: مالم يغش دناءة فيخشع لها، أي: بل يخضع لله ويخشع له عند ذكرها، ويتضرع إليه هربا من الوقوع في مثلها من وعيده علىٰ، يكون كالياً سرالفالج.

(٥) في هـ. أ: اي بالدناءة.

(٦) في هـ. أ: اي الفائز. وفي هـ. ص تقدير الكلام: كالياسر الفالج، والياسر: ذوالميسر وهي القداح، والفالج: الظافر الغالب.

(٧) في هـ. أ: اي الظافر، والياسر: اللاعب بالميسر، والقداح: سهام الميسر التي يلعب بها.

(٨) في هـ د: وروي ينتظر من الله أوّل ـ ر.

(٩) في ط: ويرفع بها عنه.

(١٠) لم ترد: «من الله» في ص.

(١١) في هـ. ص: هذا أمر بالصبر، وهو رأس الايمان ومفتاح الفرج.

(١٢) في هـ. أ: اي الموت، وقيل: الجواذب الالهية.

(١٣) كذا في هـ. ص: في نسخة، في المتن: خير للابرار، وهواقتباس من الاية ١٩٨ من سورة ال عمران: ﴿لكِنِ الذين اتَّقَوا رِبَّهمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالدين فيها نُزُلاً مِنْ عِنْدِ الله وما عِندَ الله خَيْرٌ للأبرار﴾.

وإنَّ(١) الْمَالَ والْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، والْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا(٢) اللهُ لأقْوَامٍ.

والمقطع الثاني يتضمّن العامل الثاني في بناء شخصية الفرد المسلم، وهو الثقافة الاسلامية التي تركّز على اجتناب المغريات والاستعداد لتحمّل المسؤولية عند حصول أسبابها، وقد خصّ بالذكر ثلاث مغريات موبقة تعيق سير الانسان المسلم نحو الكمال في الحياة، لانّها تفقد الثقة التي هي أساس في السير التكاملي في المجتمع، وهي:

١ ـ الفعل الدنيء، والمقياس في معرفة الدنيء: ان الانسان لو ارتكب الفعل الدنيء لحاول التستّر فيه والتنصّل من من مسؤوليته لو (تظهر الدناءة) على المجتمع؛ لتأثيرها السيّيء في سمعته (فيخشع لها اذا ذكرت)؛ لانها تسوّد سجل عمله، ويعرّف بها، فاذا عرف بالكذب، فانه سوف يجتنب المجتمع من التعامل معه إلاّ بمواثيق تقيّده.

٢ ـ الاغراء بالدعاية الكاذبة، حيث يستخدم كل وسيلة دنيئة يغترّ به (لئام الناس) فيساعدوه؛ اغتراراً بذلك، لاعن ايمان، ثم يتركوه حينما ينكشف الامر لهم.

٣ ـ الخيانة؛ فانّها تجعل الانسان ميتاً وهو لايزال في قيد الحياة، فإنّ الخيانة لامبرّر لها، ومهما حاول الانسان تبريره فانه سوف يكون حجة لخصمه الذي يخوّنه بنفس المبرّرات، فلا تنتج الخيانة الاّ الخيانة.

وهذه الثلاث، اصول تميّز الشخصية الهزيلة في المجتمع عن المسلم الملتزم الموثوق به حتىٰ من قبل أعدائه؛ فان الاعداء لايثقون بأنفسهم، بينما يثقون بالانسان المسلم.

الاستعداد:

وذكر الامر الايجابي الوحيد الذي يميّز شخصية الانسان المسلم عن غيره، وهو الاستعداد التام لتحمّل المسؤولية عند تواجد الثقافة الاسلامية، وقد وصف المستعد بهذا الاستعداد بأوصاف هي القمّة، فقال:

---

(١) في ط : وان، وفي الهامش في نسخة: ان.
(٢) في ب: جمعهما.

١ ـ (كالفالج) أي الظافر.

٢ ـ (الياسر) وهو الذي يلعب بالقداح، والمقامر الذي يستدعي النظال انتباهاً تاماً في أثناء النظال.

٣ ـ (الذي ينظر أوّل فوزه من قداحه) والانتظار يستلزم الاستعداد التام لتـنفيذ مـا يقتضيه الموقف، وهو يرجع إلىٰ أمرين:

الاول: (يوجب له المغنم) وهو ما ينفعه من النتيجة الرابحة في مستقبله.

الثاني: (يرفع عنه المغرم) وهو ما يرفع عنه الغرامة السابقة في ماضيه.

وهذا الاستعداد التام هو المراد في أيّة مسابقات، وهو في الحقيقة: التسلّح بـالثقافة الاسلامية.

الرؤية الواضحة:

ثم اشار إلىٰ نتيجة هذا العلم، وهو الرؤية الواضحة والسير بخطى ثابتة نحو الأهداف التي يستخدم في سبيلها مواهبه الشخصية، فهو كالجندي في المعركة يقوم بواجبه (ينتظر من الله إحدى الحسنيين) والانتظار يعني الاستعداد الكامل، والحسنيان هما:

اولا: الموت في سبيل أداء الواجب، وذلك بإجابة (داعي الله فما عند الله خير له) لأنه قد أدّىٰ واجبه من دون الانحراف عن الثوابت الاسلامية الاصيلة.

ثانيا: الهدف المشروع الذي استعدّ له (إمّا رزق الله، فإذا هو ذو أهل ومال)حسب ما استعدّ له وسعى في سبيل تحقيقه في غرضه المنشود.

وتمتاز شخصية الفرد المسلم عن غيره في الحصول على ما استهدف بأنّ (معه دينه وحسبه) فهو قد يصل إلىٰ هدفه بالطرق المشـروعة القـانونية، وكـفى له بـذلك فـخراً، ولايعرف قدرها إلاّ بمقارنتها بمن يفقدها، ويصل إلىٰ اهدافه بطرق غير قـانونية، وقـد استشهد بقوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها﴾ [١] فإنّ المال والبنين حرث الدنيا، ويحصل عـليه المسـلم بـالطرق

---

(١)الشورى: ٢٠

المشروعة ويبني بها اسرة مسلمة، ويكون عضوا صالحا في المجتمع، ويحصل عليها غير المسلم بأيّة طريقة تخدم شهواته النفسية، و (العمل الصالح حرث الآخرة) يتاجر به الصالحون، قال الشارح ابن أبي الحديد(ت/ ٦٥٦ هـ): «قال: وقد يجمعهما الله لأقوام، فانه تعالى قد يرزق الرجل الصالح مالاً وبنين فتجتمع له الدنيا والآخرة».(١)

قال الجلالي: الظاهر أنّ مرجع الضمير «الحرثين» حرث الدنيا والآخرة، فقد يجمعهما قوم ويفقدهما آخرون، كلّ حسب مواهبه واستعداده وعلمه، وذلك تقدير العزيز الحكيم.

ثالثا – العمل:

فَاحْذَرُوا مِنَ اللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاخْشَوْهُ خَشْيَةً(٢) لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ(٣)، وَاعْمَلُوا في غَيْرِ رِيَاء(٤) وَلا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللهِ يَكِلْهُ اللهُ الىٰ من(٥) عَمِلَ لَـهُ. نَسأَلُ اللهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاء، ومُعَايَشَةَ السُّعَدَاء، وَمُرَافَقَةَ الأَنْبِيَاء!.

والركيزة الثالثة التي تبني شخصية المسلم: العمل بمقتضى علمه، وقد أشار ﷺ الى أهم ما يقتضيه العمل،فقال:

١ ـ (الحذر من عقاب الله) اي مما حذّر الله سبحانه من نفسه من التقوى بقوله تعالىٰ :﴿وإياي فاتقون﴾(٦)

٢ ـ الخشية من الله، قال الله تعالى: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾ فان الخشية الحقيقية تستلزم العمل، دون الخشية الظاهرية التي تستلزم الاعتذار عن العمل، فالخشية الظاهرية توجب الاعتذار، والحقيقية توجب العمل، وما أبعد ما بينهما؟.

٣ ـ العمل (من غير رياء) حيث يرائي به الناس، بأن يعلمه في خفاء. (وراجع المادّة

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٥.
(٢) في هـ. أ: الامر بالخشية الصادقة البريئة من التغرير، المستلزمة لترك محارمه ولزوم حدوده، الجاذبة الىٰ الزهد الحقيقي.
(٣) في هـ. أ: اى بتقصير. والتعذير: إظهارالعذر ممن لاعذر له في الحقيقة.
(٤) في هـ. أ: الرياء: ان يعمل شيئا ليراه الناس فيحمدوه عليه لالله، وللسمعة: ان يعمل ليسمعه الناس لالله.
(٥) في ط: لمن.
(٦) بقره: ٤١

في المعجم).

٤ ـ العمل من أجل (سمعةٍ) حيث يعمله خافيا، ويشير كل من الأخيرين إلىٰ ان «من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له» فيكون متروكا لرحمة من عمل له، فاقداً لروح الواجب والمسؤولية.

والفرد المسلم السائر على الثوابت الاسلامية يتمتع بخصال ثلاث، هي:

اولاً: منازل الشهداء، بالسير على خطاهم في الدنيا، والاجتماع معهم في المئال في الآخرة.

ثانياً: معايشة السعداء، حيث ان مسيرة الكمال الاسلامي تجلب له السعادة روحياً وجسدياً.

ثالثاً: مرافقة الانبياء في الدنيا، حيث يعيش في الدنيا نفس الاجواء الفكرية التي عاشها الأنبياء والصالحون وان اختلفت درجاتها، لانّها مسيرة واحدة، وفي الآخرة يكون في ظلّهم حيث لا شفاعة إلاّ شفاعتهم، نسأل الله سبحانه ذلك، آمين.

(٢/ ٢٣ ـ ط) الاسرة المسلمة:

أيُّهَا النّاسُ، إنَّهُ لا يَسْتَغْنِي الرّجُلُ وإنْ كَانَ ذَا مال عَنْ عشَيرَته[١] ودِفاعِهم عنهُ بِأَيْديهُمْ وألْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أعْظَمُ النّاسِ حَيْطَةً[٢] مِنْ وَرَائِهِ، وَألَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ[٣]، وَأعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ[٤] إن[٥] نَزَلَتْ بِهِ، ولِسَانُ الصّدْقِ[٦] يَجْعَلُهُ اللهُ[٧] لِلْمَرْءِ في النّاسِ خَيْرٌ

---

(١) في ط: عترته، وفي هامش ط: في نسخة: عشيرته، وفي هـ. أ: عشيرة الرجل: قبيلته ... المعاشرون له.

(٢) في ص : الحيطة، وفي هـ. أ : اي شفقة وكلاءة ورعاية، وفى هامش آخر منه: الحوط والحَيْطه والحِيطة والحياطة: الحفظ، واصله الواو؛ لأنّه من باب يفعُل بضم العين، ومنه: الحايط. وفي هامش آخر منه: حِيطة وحَيطة كلاهما اسم للاحتياط والحياطة، وفي الصحاح: الحيطة ـ بالكسر ـ الحياطة وهما من الواوصارت الواوياءً لانكسار ما قبلهاهامش آخر منه: شفقة واشدهم دفاعاً عنه وحفظاً لجانبه، وفي هامش آخر: الحيطة بالكسر ـ الحفظ والرعاية.

(٣) في هـ. أ : اي اجمعهم لتفرقه، وفي هامش آخر: اللم: الجمع، والشعث: تفرّق الأمر وانتشاره.

(٤) في هـ. أ: اي بلاء. وفي هـ. ب: اى حادثة.

لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُه غَيْرَهُ(٨).

والاسرة تتشكل من الافراد، فانه ليس للاسرة كيان مستقل، وانما كيانها بكيان افرادها المنتسبون إلىٰ عائلة واحدة، حيث تشدّها أواصر القرابة، والعترة: ولد الرجل ومن نزل، وكذا الابوان وان علو في النسب، وليس المال وحده يغني الانسان فى الحياة، بل يفتقر الىٰ اُسرة ينتمي إليها، وقد أشار إلىٰ الصفات الاساسيّة، في الاسرة الاسلامية بحكم المحيط الذي القيت الخطبة فيه، وهي:

١ ـ الدفاع، فإن الاسرة تدافع عن الانسان بالوسائل المتيسرة لها (بأيديهم وألسنتهم) حسب ما تقتضيه الظروف.

٢ ـ الحيطة، وهي الرعاية بالوقاية من الأخطار المتوقعة (من ورائه) حيث ان العدوّ يترصّد للانسان ليهجم عليه من خلفه.

٣ ـ لمّ الشعث، وهو التفرّق عند الملمات في الاسرة ـ مهما اختلفت آراؤها – فانها تجتمع في الملمّات للتعاون.

٤ ـ العطف، والاسرة (أعطفهم عليه عند نازلة نزلت به) فعند نزول المصائب تجتمع الاسرة للتعزية والمشاركة في المصاب اكثر من غيرها ممن يجمعها الصداقة وغيرها.

٥ ـ لسان الصدق، فالاسرة تصدق في أقوالها في صالح الانسان، وان كان يرفض سماعها، وهي كذلك تذكّره بالخير بين الناس في الحياة والممات، وليس هناك من يهتم به اهتماما صادقاً سوى الاسرة.

وهذه الصفات الخمس تجعل الاسرة التي هي لسان صدق أفضل من المال، كما قال عليه السلام (لسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال) وقد أشار إلىٰ السبب في هذا التفضيل، وهو أن (المال يورثه غيره) فيكون الرجل جمّاعاً للمال لغيره ،كالحمال

(٥) في د: إذا.
(٦) في هـ. أ: يعني به الثناء والذكر الجميل.
(٧) في هـ. أ: يجعله: أي ينحله.
(٨) في ط: يرثه غيره.

الذي يتحمّل المشقة من أجل غيره، فالمنتفع بالمال حقيقة هو الوارث، دونه.

من واجبات الاسرة:

ومنها:[(١)] ألا لا يَعْدِلَنَّ[(٢)] أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ، يَرَى [(٣)] بِهَا الْخَصَاصَةَ[(٤)]، أنْ يَسُدَّهَا[(٥)] بِالَّذِي لاَ يَزِيدُهُ إنْ أَمْسَكَهُ، وَلاَ يَنْقُصُهُ إنْ أَهْلَكَهُ[(٦)] ومَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ، فَإنَّمَا يقْبِضُ [(٧)] مِنْهُ عَنْهُمْ يَداً[(٨)] وَاحِدَة، وتُقْبَضُ مِنْهُمْ عنْهُ أَيْدٍ[(٩)] كَثِيرَةٌ. ومَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ[(١٠)] يَسْتَدِمْ[(١١)] مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ.[(١٢)]

* * *

قال السيد [(١٣)]:[أَقُولُ: الغَفِيرَةُ هاهنا الزّيادَةُ وَالْكثرَةُ، مِنْ قَوْلِهِمْ للجمع الكثِيرِ: الْجَمُّ الغفِير، وَالجمّاء الغَفِير. ويُرْوى: «عَفْوَةً منْ أهلِ أَومال»، وَالعَفْوَةُ: الْخِيار من الشّيْء، يقال: أكلْتُ عَفْوةَ الطعام، أى خِيَارَه].[(١٤)]

وَما أَحْسنَ المعنى هذا الذي أَرَادهُ عليه السلام بِقولِه: «ومن يَقْبِضْ يدهُ عَنْ عَشِيرتهِ...» إلى تمام[(١٥)] الكلام[(١٦)] فَإنَّ الْمُمْسِكَ خَيْرَهُ[(١٧)] عَنْ عَشِيرتِهِ، إنما يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ واحدةٍ، فإذا

---

(١) في هـ. ص: عاد عليه السلام الىٰ الحث علىٰ صلة الارحام وايتاء الاقارب وسدّ خلتهم.
(٢) في هـ. أ وب: اي لايميلنّ.
(٣) في هـ. ب: محل «يرى» منصوب؛ لأنّه مفعول له، ويجوز أن يكون حالاً.
(٤) في هـ. أ: اي الفقر.
(٥) في هـ. أ: اي الخصاصة، بدل الاشتمال من القرابة.
(٦) في هـ. أ: اي انفقه.
(٧) كذا في ص وط، وفي أ وب ود: تقبض.
(٨) في هـ. ص: يداً، وهوصحيح بناء على ما في ص: «يقبض»، واما علىٰ ما في أ وب فالصحيح: يدٌ، على أنّه نائب فاعل.
(٩) في هـ. أ: في نسخة: أيدي.
(١٠) في هـ. أ: تلن: اي تلين، وحاشيته: أي جانبه، كناية عن الخلق الحسن.
(١١) في هـ. أ: الاستدامة: طلب الدوام، اي يجد من قومه المودة دائماً.
(١٢) في هـ د: المحبة ـ م.
(١٣) في أ: زيادة: رحمه الله وفي ط: قال الرضي رحمه الله والعبارة لم ترد في ب.
(١٤) من ط، وهي غير موجوده في النسخ.
(١٥) في ب: الىٰ آخر.
(١٦) في أ بدل هذه الجملة الطويلة: وما أحسن هذا المعنىٰ. واورد العبارة في الهامش عن نسخة.

احْتَاجَ إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَاضْطرَّ إلى مرافَدَتِهِمْ[١] **قَعدُوا عن نصرتِهِ**[٢]**، وتَثَاقَلُوا عن صَوْته**[٣] **فَمُنِعَ تَرَافُدَ**[٤] **الأيدي الكثيرةِ، وتَنَاهُضَ الأقدامِ الْجَمّةِ.**

واكتفى من واجبات الاسرة بأهمها، وهي المعونة الاقتصادية لمن يفتقر إليها من الاسرة، وذلك بسدّ الخصاصة وهي الحاجة، وفي ذلك يكون للغني من الاسرة مسؤولية المساهمة المادية في سدّ ما يفتقر إليها المحتاجون من افراد الاسرة كلّ حسب ظروفه التي يعيشها، وقد أشار الىٰ نقاط تشجّع القيام بهذا الواجب الأُسري، وهي:

١ ـ ان المساعدة هذه لا تضرّ بحال المساهم، في حين أنها تساهم كثيراً في حال المحتاج، فهي بالنسبة إلىٰ المعطي لا تزيده إن أمسكه ولا تنقصه ان (أهلكه) لأن الامساك وإن يبدوا حفظاً وزيادة، والانفاق وان كان يبدوا بذلا وخسارة، ولكن ما يتحقق لا يغير شيئاً كثيراً في حياة الباذل، في الوقت الذي يكون مؤثراً أثراً كبيراً في نفسية من يساعده.

٢ ـ انّ عدم المساعدة انما تجعل من الغني حيث (يقبض يده عن عشيرته) منعزلاً، ولكنه واحد منهم (فانما يقبض منه عنهم يد واحدة) هي يد الغني، وبما أن لموقفه هذا ردّ فعل يشاهده افراد العشيرة، فهم جميعا سوف يعاملونه بالمثل(ويقبض منهم عنه أيد كثيرةً) فلا يساعدونه عند حاجته اليهم.

٣ ـ ان المساعدة إحسان، والانسان رهين الاحسان (ومن يلن حاشيته) بمساعدة المحتاج من أفراد الاسرة (يستدم من قومه المودّة) لانهم يشاهدون دوره في مساعدة الآخرين فيعاملونه بالمثل.

ونتيجه القيام بهذا الواجب الأُسري يكون الغني لا يزيده الامساك شيئاً، حيث لا يؤثرذلك في حالته كثيراً، وأن البذل للمحتاجين من اسرته لا ينقصه شيئاً، حيث انه

(١٧) في هـ. أ: في نسخة: يده.
(١) في هـ. أ: اي معاونتهم.
(٢) في أ: نصرته، وفى الهامش: في نسخة: نصره.
(٣)في هـ. أ: اي عن ندائه.
(٤) في هـ. أ: اي تعاون. وفي هـ. ب: اي معاونة، اي معاونتهم.

يربح المعاملة بالمثل من سائر افراد الأُسرة بالمودّة والتقدير.

[الخطبة ٢٤]

ومن خطبة له عليه السلام

(١/ط ـ ٢٤) **الصمود امام العدوّ:**

وَلَعَمْرِى ما(١) عَلَيّ منْ قِتَال(٢) مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ، وخَابَطَ(٣) الْغَيّ، مِـنْ إدْهَـانٍ وَلاَ إيهَان.(٤) فَاتَّقُوا اللهَ عِبادَ الله وَفِرُّوا(٥) إلَى الله مِنَ اللهِ، وَامْـضُوا فـي الذِي نَـهَجَهُ(٦) لَكُمْ(٧)، وقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ(٨) بِكُمْ، فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ(٩) آجِـلاً، إنْ لَـمْتُمْنَحُوهُ(١٠) عَاجِلاً.

ان الحرب الظافرة هي التي تقوم على رؤية واضحة لمواقف العدوّ ومبادىء المقاومة، والنتيجة التي تنتهي إليها، فليس شيء على من يخوض الحرب بهذه الرؤية، وقد تضمّن هذه المقطع الإشارة إليها:

أولاً ـ مواقف العدوّ:

وقد أشار الي سياسة العدوّ الموجبة للوقوف ضدّه، هي المواقف التالية:

---

(١) في هـ. ب: «ما» هنا نفي

(٢) في هاش ص : في نسخة: في قتال.

(٣) في هـ. أ : لازمه من غير معرفة، والخبط: هوالمشي علىٰ غير استقامة. وفـي هـ. ص: كأنّـه جعله والغي متخابطين، يخبط كل واحد منهما صاحبه، وهوأبلغ من خبط في الغي.

(٤) في هـ. أ : قيل: الكريم يهادن ولايداهن، والادهان والمداهنة: النفاق، والايهان: الضـعف ـ من الوهن ـ

(٥) في هـ. أ : اي الىٰ رحمة الله بالتوبة من معصية الله وعقوبته.

(٦) في هـ. الف: اي أوضحهُ.

(٧) في هـ. ص: اي جعله منهجاً لكم تسلكون فيه الىٰ رضاه، وهوالجهاد. وفي هـ. ب: أي فـي طريق الشرع.

(٨) في هـ. أ : اي شدّه كالعصابة. وفي هامش آخر: علّقه وكلّفه وربطه وشدّه وجعلهُ كـالعصابة لكم، وهوالتكليف.

(٩) في هـ. أ: اي لظفركم، وفي هـ. ص: الفلج ـ بضم الفاء ـ هوالفوز والظفر.

(١٠) في هـ. الف: اي ان لم تعطوه.

١ ـ مخالفة الحق، وهو المبدأ الثابت ضدّ الباطل.

٢ ـ- مخابطه الغيّ، وهو الضلال الملازم للفساد، والخبط: السير في الظلام، والمخابطة: مفاعلة من الطرفين المتنازعين.

٣ ـ الادّهان، وهو تليين الموقف بالنفاق.

٤ ـ الايهان، وهو الإضعاف بايقاع الوهن.

فان الذي يتّخذ هذه المواقف العدائية يجب مقاومتة بأية وسيلة ممكنة وان كانت بالحرب.

ثانياً ـ مبادىء المقاومة: واشار إليها في نقاط:

١ ـ العمل بالحق والتقوى (فاتقوا الله عباد الله).

٢ ـ القيام في سبيل الله (وفرّوا إلىٰ الله) أي إلىٰ رحمته تعالى بالقيام بالواجب من الدفاع عن الحق (من الله) اي مع من يدعوا الىٰ الله.

٣ ـ الالتزام بالثوابت الاسلامية والنّهج الذي رسمهُ القرآن الكريم والسنة المطهرة (امضوا في الذي نهجه لكم) الكتاب والسنة، والنهج: البيان.

٤ ـ الوحدة، بالعمل الموحدّ ضدّ العدوّ (قوموا بما عصبه بكم) والعصبة: الربط، وهي في المقام: وحدة الهدف.

ثالثاً ـ نتيجة الحرب:

وللحرب العادلة التي تقوم على رؤية واضحة نتيجة واحدة مضمونة، وهي إحدى الحسنيين:

الاولى: النصر على العدوّ في ساحة الحرب (ان لم تمنحوه عاجلاً).

الثانية: الشهادة بالظفر على العدوّ في الحقيقة والتاريخ، بالدفاع عن الحق والمبدأ (فعليٌ ضامن لفلجكم آجلاً) والفلج: الظفر، وهذا الضمان من شخصية عليّ عليه السلام تؤكد علىٰ الرؤية الواضحة في المبادىء والمسير والمصير، والحرب القائمة على مثل هذه الرؤية لاتكون خاسرة أبداً، فلها النصر أو الشهادة.

[الخطبة ٢٥]

ومن خطبة لهعليه السلام وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمن، وهما عبيدالله بن عباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن [أبي][(١)] أرطاة

قال ابن أبي الحديد:« [بسر بن أرطاة ونسبه] وأما بسر بن أرطاة، فهو: بسر بن أرطاة – وقيل: ابن أبي أرطاة – بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . بعثه معاوية إلى اليمن في جيش كثيف ، وأمره أن يقتل كل من كان في طاعة علي عليه السلام ، فقتل خلقا كثيرا ، وقتل فيمن قتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكانا غلامين صغيرين ، فقالت أمهما ترثيهما :

يامن أحس بابنيّ اللذين هما كالدرّتين تشظّى عنهما الصدف

في أبيات مشهورة».[(٢)]

وقال الخزرجي(ت/٩٢٢هـ): «بسر بن أرطاة أو ابن أبي أرطاة، قال ابن عبد البر: بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة، اسمه: عمير بن عويمر بن عمران العامري القرشي، ابو عبد الرحمان، له أربعة أحاديث، قال الواقدي: «وكاتبه: محمّد بن سعد لم يسمع من النبي ٩ شيئاً». وقال احمد وابن معين: «لا صحبة له» وقال الحافظ عبد الغني: «وحديثه في الدعاء فيه التصريح بسماعه من النبي ٩ ». قال ابن معين: «كان بسر رجل سوءٍ، وولي بسر اليمن لمعاوية، وله بها آثار قبيحة، مات سنه ست وثمانين، روى عنه جناده بن أبي اُمية

---

(١)ما بين المعقوفتين لم يردٍ في ص و أ ، وفي هـ. أ : بشر بن ارطاة، بالشين في شرح كمالِ الدين ـ ، وفي هـ. أ ايضاً: بشربن أبي أرطاة، وأرطاة هذا ـ أحد بني عامر بن لؤي، وكان قائداً من قوّاد معاوية.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ٣٤٠.

وايوب بن أبي ميسرة».(١)

وفي هامش الخلاصة جاء مانصّه: «وقيل: إنه بقي إلىٰ زمان يزيد بن معاوية، وقال يعقوب بن شيبة وابو عبيد والزيادي: انه مات سنه سبع وثمانين» انتهى.(٢)

قال ابن أبي الحديد:« [عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب] وكان عبيد الله عامل علي عليه السلام على اليمن ، وهو عبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى . أمه وأم إخوته : عبد الله ، وقثم ، ومعبد ، وعبد الرحمن لبابة بنت الحارث بن حزن ، من بنى عامر بن صعصعة . ومات عبيد الله بالمدينة ، وكان جوادا ، وأعقب ومن أولاده : قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس ولاه أبو جعفر المنصور المدينة ، وكان جوادا ممدوحا ، وله يقول ابن المولى :

أعفيت من كور ومن رحلة ... يا ناق إن أدنيتني من قثم
في وجهه نور وفي باعه ... طول وفي العرنين منه شمم

ويقال : ما رئي قبور إخوة أكثر تباعدا من قبور بني العباس رحمه الله تعالى : قبر عبد الله بالطائف ، وقبر عبيد الله بالمدينة ، وقبر قثم بسمرقند ، وقبر عبد الرحمن بالشام ، وقبر معبد بأفريقية».(٣)

وقال الخزرجي (ت/٩٢٢ هـ): «عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي، ابو محمّد، عمّ النبي ٩ ، له احاديث، وعند فرد حديث، وعنه ابنه عبد الله وابن سيرين، ولي اليمن لعلي، ومات في خلافة معاوية، قال البخاري، قال خليفة: سنة ثمان وخمسين».(٤)

وتتضمن هذه الخطبة مقاطع في الكوفة وأهلها، وموقف القيادة منها:

---

(١) خلاصة تهذيب الكمال ؛ لصفي الدين الخزرجي: ٤٠، ط / ١٣٣٢ هـ.
(٢) هامش الخلاصة
(٣) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ١ : ٣٤١.
(٤) خلاصة تهذيب الكمال: ٣١٢، ط / ١٣٣٣ هـ.

(١/ط - ٢٥) الكوفة:

فقام عليه السلام إلى المنبر[(١)]، ضجراً[(٢)] بتثاقل أصحابه عن الجهاد، ومخالفتهم له في الرأي، فقال عليه السلام[(٣)]:

مَا هِيَ[(٤)] إلاَ الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وأَبْسُطُهَا[(٥)]، إنْ لَمْ[(٦)] تَكُونِي[(٧)] إلاَ أَنْتِ، تَهُبُّ أعَاصِيرُكِ[(٨)] فَقَبّحَكِ[(٩)] اللهُ!

وتمثل[(١٠)]:

لَعَمْرُ أبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُوإنَّنِي   عَلَى وَضَرٍ[(١١)] مِنْ ذَا الإنَاء قَلِيل[(١٢)]

يتضمن هذا المقطع وصفا لخلافة علي عليه السلام في الكوفة، وتستدعي دراسة مستقلة من

(١) في ط ود: علىٰ.
(٢) في هـ. أ: اي حزيناً.
(٣) في ب : وقال، ولم يرد عليه السلام.
(٤) في هـ. أ: الضمير اما للخلافة والولاية اوللكوفة، وفي هـ. ب: اي ما خلا لي إلّا الكوفة ـ على طريق الاستفهام ...هامش آخر: يعني ما في حكمي الاالكوفة.
(٥) في هـ. أ مايلي: وكان علي عليه السلام يستنفر الناس الىٰ الجهاد نحومعاوية فيتثاقلون حتىٰ تحرك معاوية من الشام. اي قسّمت المملكة ولم تبق منها إلّا الكوفة، ثم التفت من الغيبة الىٰ الخطاب فقال: ان لم يكن لنا من هذه الدنيا إلّا انت يا كوفة مع هذه الفتن العظيمة فلا كنت.
(٦)وفي هـ. أ: «تكوني» تامة، التفت من الغيبة الى الخطاب.
(٧) في هـ. ب: اي يا كوفة.
(٨) في هـ. أ: الاعصار: ريح يثير الغبار ويرتفع إلى السماء كأنّه عمود، وقيل: ريح يثير سحابا ذا رعد وبرق، ويكنّىٰ بالريح عن الدولة، وفي هـ. ب: جمع اعصار، وهي التي ترفع تراباً الى السماء.
(٩) في هـ. أ: أى نحاك عن الخير وفي هـ. ب: ابعدك.
(١٠) في ط ود زيادة : بقول الشاعر.
(١١) في هـ. ص: الوضر: بقية الدسم في الاناء. وعلى رواية: الالاء، فكأنّه اراد بقية من مأكل مرالمذاق مكروه وفي هـ. أ: والوضر: الدرن الباقي في الإناء بعد الأكل، ويستعار لكل بقية لافائدة فيها، وقيل: ريح يوجد من طعام فاسد. وفي هامش آخر منه: وضر، اى بقية الاناء وفي هامش آخر: والوضر بفتح الضاد: الدرن الباقي في الاناء بعد الاكل ويستعار لكل بقية من شيء يقل الانتفاع به وفي هـ. ب: وضر، اي دنس، وفي هامش آخر: على وضر قليل من هذا الاناء.
في هـ. ص: في نسخة: الإلاء، وعلىٰ رواية الالاء: فكأنّه أراد بقية من مأكل مرٍّ المذاق مكروه، وفي هـ. أ: يروي من ذا الالاء، والآلاء شجر حسن النظر، مرّ الطعم اي أنا على بقية قليلة من هذا الشجر، أوعرق فاسد منه، تمثل عليه السلام بذلك وأراد أنّه إن لم يبق لي من الولاية في زمن الخلافة إلّا الكوفة؛ فإنّه بمنزلة هذا الشاعر الذي لم يبق له إلّا ما ذكر من الوضر.
(١٢) في هـ. أ: «قليل» صفة وضر.

النواحي الجغرافية خارجة عن نطاق هذا الشرح، ومن المعروف عنها في عصر امير المؤمنين عليه السلام أمران:

اولا: أنها كانت (كوفة الجند) اي أنها المعسكر للجيش الاسلامي في ذلك العصر.

ثانياً: أن أمير المؤمنين اتخذها عاصمة بحكم الأحداث التي ساقته إليها، والعصب الرئيسي للمدينة هو الموقع العسكري، والمدينة تدور رحاها حوله، فالوصف في هذه الخطبة يكون للمدينة باعتبارها المعسكر الذي اصبحت عاصمة للخلافة، وبسبب السياسة المفتوحة التي تبنّاها الامام عليه السلام في خلافته، والتى تستدعي بدورها دراسة مستقلة أيضاً، لم يفرض على الجيش أوامره فرضاً دكتاتورياً، ولم يستخدم سياسة الخداع والمراوغة، بل استعمل الصراحة التامة في مسيره وادارته واهدافها، وكان الجيش يتثاقل من الجهاد ولم يجبرهم على ذلك؛ عالما بأن الاكراه على الجهاد لمن لا يؤمن به ينتج نتائج عكسية، وهو مخالف لمبادي السنة النبوية المطهرة التي بنى سياسة الجيش عليها، وهي (احدى الحسنيين) من النصر أو الشهادة.

ويعبرّ هذا المقطع عن النتيجة الطبيعية لهذا التثاقل في الجهاد، وهي انّ حكمه انحصر في الحدود الجغرافية لمدينة الكوفة، وهي امور:

١ ـ الحكم المحلّي، وهذا ينافي منهاج الخلافة الذي يقتضي الحكم الشامل للعالم الاسلامي كلّه، وطبيعي أنّ ذلك لا يكون إلاّ بالسعي إليه بالجنود المرسلة للجهاد إلىٰ المدن الرئيسية في رقعة العالم الاسلامي.

٢ ـ انّ الحكم الاسلامي في الكوفة على أساس السياسة المفتوحة حكم نافذ شامل، ويتّصف بأمرين رئيسيين، هما:

اولاً: تطبيق الاحكام (أقبضها).

ثانياً: نقض العادات (ابسطها) والقبض والبسط كناية عن التصرف فيها ونفوذ الحكم الاسلامي في كافة شؤون الحياة، التي تبتني عليها الحكومة الاسلامية.

٣ ـ إن الاهتمام بالكوفة كعاصمة للدولة الاسلامية إنما هو لاعتبارها نموذجاً حياً للحكم المبتني على السياسة النبوية المفتوحة، لتكون قدوة لسائر الحكومات في المدن

الاسلامية الاخرىٰ في العالم الاسلامي.

وفي كلامه اشارة إلىٰ أنّ الهدف من اتخاذ الكوفة عاصمة ليس كونها رمزاً للنصر السياسي كما يتخذ الحكام المدن كمراكز للحكم، وتتناقس عليها الحكام لفرض اضافة اسم جديد في قائمة الحكام على العاصمة؛ بل ان الهدف هو إعداد المدينة الاسلامية التي تتبنّى سيرة النبيﷺ التي اتبعها في المدينة المنورة في الحكم على أساس الشورىٰ الحقيقية بين القيادة والقاعدة، ويستلزم ذلك عدم فرض الرأي على أيّ فرد في أي قرار سياسي أو عسكري – ومنه الجهاد – بل تبنّي سياسة مفتوحة تسير على رغبة المتطوّعين في ذلك.

وبالجملة الشرطية في قوله: (إن لم تكوني إلاّ انت تهبّ أعاصيرك فقبّحك الله) أشار الىٰ ان الكوفة كالمدينة المثالية للحكم الاسلامي، وهي المدينة المفضّلة لا بتنائها على تطبيق حكم الاسلام في الحياة وكنّى عن ذلك بقوله: (تهبّ أعاصيرك) انها لاتتحرك باعأصير اعداء الاسلام، ولولا هذا الجانب في المدينة لما كان فيها فضيلة من منظار اسلامي، بل كانت عاصمة للحكم كسائر عواصم الحكومات التي كانت تتسابق إليه الحكومات، وليس هذا الهدف للخليفة المسلم، بل اتخاذ العاصمة كعاصمة قبيح من المنظار الاسلامي الذي ينظر إلىٰ تطبيق المبادي لا العناوين الخيالية، وفيهما تمثل به ﷺ من الشعر إشارة إلىٰ أن هذا التطبيق المحلّي للحكم الاسلامي هو قليل في مسؤوليته كالوضر، وهو قليل الدسومة في الإناء، فان الغاية التي يهدف إليها هو تطبيق حكم الاسلام في كل ارض الاسلام.

(٢/ط ـ ٢٥) الخطبة في الكوفة:

ثم قالﷺ: **أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ**(١) **اليَمَنَ، وإنّي ـ وَاللهِ ـ لأَظُنُّ**(٢) **أَنَّ هؤلاء الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ**(٣) **منكم بِاجْتِماَعِهِمْ عَلَى باَطِلِهِمْ، وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، ومَعْصِيَتِكُمْ**(٤) **إماَمَكُمْ**

(١) في هـ. ص: اي اشرف عليها، وفي هـ. أ: اطلع اليمن، اي غشيها.
(٢) في هـ. ب: اي ايقن.
(٣) في هـ. ص: اي سيغلبونكم وتكون لهم الدولة. وفي هـ. أ: الإدالة: الغلبة، وفي هـ. أ: سيدالون: يعني يصير الامر إليهم والدولة لهم، وفي هـ. ب: سيدالون: يعني تكون لهم الدولة

فِي الْحَقِّ، وطَاعَتِهِمْ إمامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وبِأدائِهِمُ الأمانَةَ إلى صاحِبِهِمْ وخِيانَتِكُمْ صاحبكم، وبِصَلاحِهِمْ في بِلاَدِهِمْ وفَسَادِكُمْ فَلَوائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ(٥) لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بَعَلاَقَتِهِ(٦).

وجرياً على السياسة المفتوحة التي تبناها عليه السلام اعلن الأنباء التي تهمّ القيادة للمجتمع الاسلامي ككل، من دون تعتيم سواء كانت هذه الأنباء في صالحه، أم لا، كخطوة نحو الثقيف الاسلامي العام، وقد اثبت هذه السياسة المفتوحة الثقة بين الشعب والقائد الذي جعلهم دوماً امام الصورة الواضحة الصادقة عما يهمّ أمرها في الحياة، وجعلته يمتاز عن أصحاب السياسة الذين يستخدمون السياسة لمصالهم وتركيز مراكزهم على حساب الشعب من دون ان يكون له ان يقول كلمته، ومن هذا المنطلق دخل الأنبياء في قلوب المؤمنين بهم على مرّ الدهور، واهمل السياسيّون في كتب التاريخ، والبحث في دراسة ذلك خارج عن نطاق هذا الشرح.

وفي هذا المقطع عرض عليه السلام اُموراً:

الاول: اعلان النبأ الذي وصل إلىٰ مركز القيادة، من تحركات العدوّ ضد القيادة للتقليص من نفوذها في اليمن (اُنبئت أنّ بسراً قد اطلع في اليمن) وبسر هو قائد الجيش من قبل معاوية، وكان يمثّل انذاراً حقيقياً بأن المواجهة التي ابتدأت بالمطالبة بدم عثمان قد استبدلت بارسال الولاة على أطراف العالم الاسلامي حيث لايمكن من غزوة العاصمة نفسها.

الثاني: أنّ هذا الانذار حقيقيّ وبخطة مدروسة للقضاء على الحركة الاسلامية التي يتزعمها الامام علي عليه السلام؛ لانها تشهد تطويق الخلافة من اطرافها والتي يعوزها التحصّن حتىٰ يضيق الخناق عليها في مهدها، ومن الطبيعي ان تكون هناك صلات خفية في داخل الكوفة تتعاطف مع العدوّ كما هو الشان في أية دولتين متحاربتين، فانّ هذا الانذار

منكم.

(٤) في أ وب وط ود: وبمعصيتكم.

(٥) في هـ. أ: القعب: القدح من الخشب وفي هـ. ب: جفنة من خشب.

(٦) في هـ. أ: علاقة القدح ونحوه ـ بكسر العين ـ

حقيقي بالعمل الجهادّ لتسلم الحكم (وان والله لاظن أنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم) اي يكون لهم الدولة، لان العمل الجادّ المدروس لابد وان يثمر ثمره، والاستيلاء علىٰ أبعد مناطق النفوذ– وهي اليمن – اليوم دليل صارخ على اتباع سياسة العنف من العدوّ في الاستيلاء على مناطق اخرى حتى الوصول إلىٰ مركز القوة، اي الكوفة التي تعتبر عاصمة الخلافة.

الثالث: وقد أشار إلى أسباب هذا النصر المرتقب للعدوّ بالاشارة إلىٰ صفات متناقضة بين الجيشين المتعارضين:

١ ـ حفظ الكلمة عند العدوّ (باجتماعهم على باطلهم) وتفرّق الكلمة في الجيش الجماهيري (وتفرّقكم عن حقكم).

٢ ـ القيادة، فان الجيش الجماهيري يعصي الاوامر بالجهاد (لمعصيتكم امامكم في الحق) وجيش العدوّ يبدي طاعة عمياء للقائد (وطاعتهم امامهم في الباطل).

٣ ـ الامانة ، وان جيش العدوّ مدرّب على اداء الامانة:(بأدائهم الأمانة إلىٰ صاحبهم) وأما الجيش الجماهيري فهو على العكس (وخيانتكم).

٤ ـ الاهتمام بالمصلحة، فان جيش العدوّ مهتمّ بمصلحة القائد لها (وبصلاحهم) والجيش الجماهيري يهتم بالمصلحة الشخصية فقط (وفسادكم).

واكتفى عليه السلام بالتمثيل على هذه النقطة الأخيرة بتجربته الشخصية حيث قال: (فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقتة) والقعب: القدح الضخم، والعلاقة: العروة التي تربط به للحمل والنقل، فانّ الجيش الجماهيري ليس له التدريب والانضباط العسكري الذي هو متوفّر عند العدوّ. وقد مثل بهذه النقطة دون غيرها لأهميتها في حركة المجتمع ككل، فاذا انعدمت الأمانة انعدمت الثقة، وحينئذ لايمكن ان يتحقق النصر.

(٣/ط ـ ٢٥) موقف القيادة:

اللّهُم إنّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ ومَلُّونِي، وسَئِمْتُهُمْ وسَئِمُونِي فَأَبدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهَمْ وأَبْدِلْهُم بِى

شَرًّا مِنّی(١)!

اللّهُمَّ مِثْ(٢) **قُلوُبَهُمْ كَماَ يُماَثُ**(٣) **الْمِلْحُ في الْماَءِ. أَماَ وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِی بِكُمْ أَلْفَ فاَرِسٍ مِنْ بَنِی فِراَسِ بْنِ غَنْم**(٤) **وتمثّل**(٥)

هنالك لو دعوت أَتاك منهم **فَوارسُ**(٦) **مثلُ أَرْمية**(٧) **الحَمِيمِ**

---

(١) في ه. ص: قوله ﷺ: «خيرا منهم وشراً مني»، التفضيل ـ هنا ـ علىٰ سبيل الفرض والتقدير للمشاركة، والافلم يكن فيهم خيرا، ولم يكن فيه ﷺ شرا.

وفي ه. أ: وروى انه قال علي في هذه الخطبة: اللهم سلّط عليهم غلام ثقيف. وفي هامش آخر منه: قيل لما دعا ﷺ بهذا، ولد الحجاج بن يوسف الثقفي وكان لعنه الله عقوبة لهم، وقوله: شرا مني، أراد: على زعمهم، فانه ﷺ كان معصوما عن كل شر، كقوله تعالى: ﴿أفمن يُلقى في النار خير أمْ منْ يأتي آمنا﴾ فصِّلت: ٤١ / ٤٠.

(٢) في ه. أ: مث: اي اذب قلوبهم كما يذاب الملح. وفي ه. ب: ذوّب. وفي ه. أ: ماث الشيئ: أذابه.

(٣) في ه. ص: أي يذوب.

(٤) في ه. أ: وهوغنم بن تغلب بن وائل، وانما خصّ هذا البطن لشهرتهم بالشجاعة والحمية، وفي هامش آخر، بنى فراس بن غنم، وغنم ابوحي من تغلبْ وهم رماة شجعان نصارىٰ.

وفي ه. ص: وقوله بنى فراس بن غنم، قال في شرح ابن أبي الحديد: وهم من بني كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وهم حي مشهورون بالشجاعة، منهم: علقمةٍ بن فراس جذل الطعان، ومنهم ربيعة بن مكدم الشجاع المشهور حامي الظعن حياً وميتاً، ولم يحم الحريم وهوميّت احد غيره، في قصة له مع بني سليم مذكورة.

قلت: وقد ذكر ابن أبي الحديد القصة في شرحه ١ : ٣٤٢. وهي انه: عرض له فرسان من بنى سُلَيْم، ومعه ظعائن من أهله يحميهم وَحْدَه، فطاعنهم، فرماه نُبَيْشَةُ ابن حبيب بسَهْم أصاب قَلْبه، فنصب رمحه في الأرض، واعتمد عليه وهوثابت في سَرْجه لم يَزُلْ ولم يمل. وأشار إلى الظعائن بالرّواح، فسِرْن حتى بَلَغْنَ بيوت الحيّ، وبنوسُليم قِيامٍ إزاءه لايُقْدِمون عليه، ويظنونه حَيّاً، حتى قال قائل منهم: إنّي لاأراه إلاّ ميتا، ولوكان حيّاً لتحرك، إنّه والله لماثل راتب على هيئة واحدة، لايرفع يَده، ولا يحرك رأسه. فلم يقدِم أحد منهم على الدنومنه، حتى رموْا فرسَه بسهم، فشبّ من تحته، فوقع وهوميت، وفاتتهم الظعائن.

وقال الشاعر:

لاَ يَبْعَدَنَّ رَبِيعَةُ بنُ مُكَدّمٍ ... وَسَقى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بذَنُوبِ
نَفَرَتْ قَلُوصِي مِنْ حِجارَةِ حَرَّةٍ ... بُنِيَتْ عَلَي طَلْقِ الْيَدَيْنِ وهُوبِ
لاتَنْفِرِى يا ناقُ مِنْهُ فَإنَّهُ ... شِرّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُروبِ
لَوْلاَ السِّفَارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لتركتُها تجْثواً عَلَى الْعُرْقُوبِ
نِعْمَ الْفَتَى أَدّى نُبَيْشَةُ بِزَّهُ ... يَوْمَ اللقاءِ نُبيشةُ بن حَبيبِ
هُنالَكَ لَودَعَوْتَ أتاكَ مِنْهُمْ ... فَوَارِسُ مِثْلُ أرْمِيَةِالْحَمِيمِ

(٥) لم يرد «وتمثل» في أ وب وط ود.

(٦) في ب: رجال، وفي الهامش: ويروىٰ فوارس.

(٧) في ه. أ: الارمي والسقي: السحائب العظيمة المطر، الشديدة العصف، من سحائب الحميم

ثم نزل عليه السلام عن المنبر:[(١)]

قال الشريف الرضي: اقول:[(٢)] والأَرْمِيَةُ[(٣)]: جمع رَمِيٍّ، وهو السحابُ. والحميمُ ـ في هذا الموضع[(٤)] ـ وقت الصيف، وإنما خصّ الشاعر سحابَ الصيفِ بالذكرِ؛ لأنـّه أشدُّ جفُولاً،[(٥)] وأسرعُ خُفُوفاً[(٦)]؛ لأنـّه لا ماءَ فيه، وإنما يكون السحابُ ثَقِيلَ السّيْرِ لاَمْتِلائِهِ بالماء، وذلك لايكون في الأكثرِ إلاأزمانِ[(٧)] الشّتاءِ، وإنما أراد الشاعر وصفَهُمْ بالسُّرْعةِ إذا دُعُوا، والإغاثةِ إذا اسْتُغِيثُوا،[(٨)] والدليل على ذلك قوله:

هُنالِكَ لَو دَعَوْتَ أَتاكَ مِنْهُمْ[(٩)].

اشار في المقطع الأخير الى موقف القيادة في الظرف الحرج التي يواجـهه أي قـائد حيث تستلزم الظروف المحيطة به ان يتخذ قراراً مصيرياً حازماً، فهو بين خيارات:

اولاً: الفرض على الشعب بالطاعة العمياء، وهذا يؤدي إلىٰ الدكتاتورية ـ ان لم يكن نفسها ـ وهو نقض للثوابت الاسلامية من الحكم بالشورىٰ في مثل هذا الظرف الحـرج الذي غالباً ما يستخدم الحكام فيه الوسائل الدكتاتورية في المواجهة.

ثانياً: ان الالتزام بالسياسة المفتوحة بـالاعلان عـن مـوقفه وآرائـه الخـاصة لكـل الجماهير من الشعب الذي يحكمه بكل صراحة متصوّرة، وبالرغم من علمه بمخالفتهم في الرأي، وأنّ في صفوفه من الجواسيس الموالين للعدوّ ممّن سوف يوصل هذه المواقف

والخريف... عن الاصمعي، وفي هـ. ب: ارمية: غيم.

(١) في أ وط: من المنبر.

(٢) في أ وط: قال السيد رحمه الله وفي ط: قال الرضي رحمه الله اقـول، وفـي هـ. ص فـوق كـلمة «انـا»: الرضي.

(٣) في أ وب ود: الارمية.

(٤) في ط ود: والحميم ـ هاهنا ـ

(٥) في هـ. أ: جفولا: اي ذهابا، والجفول... ثقيلا لامتلائه وفى هامش آخر: الجـفل السـحاب الذي قد هرق ماءه.

(٦) وفي هـ. أ: في نسخة: جفوتا اي اسرع سيرا.

(٧) في أ: إلّا في الشتاء، وفي د: الّا زمان الشتاء، وفي هـ. أ: في نسخة في زمان الشتاء، وفي نسخة اخرى: في أزمان الشتاء.

(٨) في أ: في نسخة: زيادة: منهم.

(٩) من قوله «والدليل على ذلك.. الى اخرالعبارة» لم يرد في ط، وانظر شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣٣٣.

إلىٰ العدّو فانه يؤكّد بهذا الالتزام على الجميع من الصديق والعـدوّ بـالسير عـلى نـهج السياسة المفتوحة الرشيدة؛ لابتنائها على الكتاب والسنة النبوية الشريفة.

ثالثاً: تثقيف عامة الشعب في حاضره وللحقيقة والتاريخ في المستقبل، ببيان الظروف المحيطة به التي تفرض عليه القرار، وقد أشار إلىٰ أهم اُصول هذه الظروف ونتائجها في هذا المقطع، وهي:

الاول: الملل، وهو الضجر من الجانبين (اللهم اني قد مللتهم وملّوني) فان الجـيش الذى يجب ان يحارب دفاعاً عن حقوق عامة الشعب لايتحرّك عـلى هـذا الاسـاس، والقائد يريد التحرك على اساس الدفاع عن حقوق الشعب، فهما على طرفي نقيض في الاهداف.

الثاني: السأم، وهو الملل الشديد من الجانبين (وسئمتهم وسئموني) فقد سمع الجيش الحث على الجهاد من جانب القائد اكثر من مرة، وتقاعس عن اجابة هذا الحث، والقائد شاهد هذا التقاعس مكرراً.

فان طبيعة الجيش والمفروض فيه ان يحارب للحفاظ على حقوق كافة الشعب، وقد اصبح الان وهو لايهتم إلّا بالحفاظ على نفسه، وبذلك فقد مصداقيته، بينما القائد يحارب للحفاظ على حقوق كافة الشعب لا الجيش خاصة.

الثالث: البديل، وفي حالة الملل والسئم من الجانبين لابد من ان ينظر كلّ منهما إلىٰ بديل، ولابديل في الساحة، فليس هناك من هو أصمد على المبادئ منهعليه السلام كما يشهد بذلك تاريخ حياته، وليس للقائد جيش سوي من هم الحضور لديه، ولا بديل للجانبين وهذا يزيد الموقف حرجا على حرج.

وقد عبّر عن شدّة السأم الذي يشعر به عليه السلام شخصيا من هذا الموقف بالدعاء إلىٰ الله سبحانه، حيث ان اليه المشتكى دون سواه، ويكون حجة للحقيقة والتاريخ عن موافقه وقراراته في هذا الظرف الحرج، تعتبر منها الاجيال المقبلة المتخرّجة من مدرسة التاريخ، وهي:

١ ـ ان يبدله الله خيراً منهم، ممّن يعتبر بالتاريخ، ويسعى لنيل احدى الحسنيين، كما

كانت عليه سيرة الصحابة في عهد النبي ﷺ، وطبيعي أن الجيش المتخاذل يستحق ان يبدلهم الله بمن هو شرّ حقيقة، فيكون شرّاً منه في اعتقادهم.

٢ ـ ان يميث قلوبهم، والإماثة: الذوبان، لانها ليست مبتنية علىٰ التضحية من أجل المبادئ، بل يتحكّم فيها الغايات والرغبات الشخصيّة، فتكون فاقدة لمصداقية الوجود الاستقلالي (كما يماث الملح في الماء) فلا يكون للملح حينئذ وجود مستقل. فيعشيون في هامش الحياة كما هو حال وجود الملح المذاب في الماء؛ لانّ الماء هو الذي يكون مؤثراً في الملح، والملح تكون متأثراً بالتبعية.

٣ ـ أن يكون له ألف فارس ذوو كفاءة، مؤكّداً هذه الرغبة بالحلف وحرف التحقيق بقوله: (أما والله لوددت) والكفاية المطلوبة في مثل هذا الظرف الانـضباط العسكـري بالطاعة للقيادة، كما كانت هذه الكفاية متواجدة في (بني فراس بن غنم) والذي تـمثل بالبيت فيهم استعرض فيه نقاطاً، هي:

١ ـ الدعوة من القائد لقيامه بمسؤوليته كقائد.

٢ ـ الاستجابة من القوم بالمجئ حسب الطلب.

٣ ـ الاستعداد الكامل في المجيئ (فوارس) كما يتطلبه الظرف.

٤ ـ السرعة في اجابة الطلب بالمجيئ بـ (مثل أُرمية الحميم) والأُرمية: السـحاب، والحميم: الصيف من فصول السنة، وهي كناية عن السرعة في المجييء، فان السحاب في الصيف سريع السير، لانه لاماء فيه كما شرحه الرضي؞، وهذا التمنّي يكشف عن عدم تواجد هذا العدد بهذه الصفة في معسكر الامام ؈ بالرغم من ان المجتمع الكوفي آنذاك كان معتقداً بالمبادي التي من اجلها كان يتحرك الامام، وبالنتيجة: فإنّ المـبدأ الذي لا يدافع عنه يصبح وحيداً في المعركة.

وفي سرده هذه الحقائق في اعلان عام ومن على المنبر، والاكتفاء بذلك (ثم نزل ؈ من المنبر) تأكيد على السياسة المفتوحة التي تعلن الحقائق للمجتمع حتىٰ يعتبر بها من يأتي من الاجيال في المستقبل، ويحتفظ به التاريخ الصحيح، فيكون جوابا للمنتقد من دون بصيرة للواقع، ودرساً لمن اعتبر، فهو في هذا الموقف الذي اعلنه قد انذر وأعذر.

[الخطبة ٢٦]

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له

ويتضمن هذا المختار ثلاث مقاطع:

١ ـ صفة محمّد والعرب قبل البعثة.

٢ ـ صفة الامام بعد النبي صلى الله عليه وآله.

٣ ـ صفة المعارضين له.

(١/ط ـ ٢٦) **المقطع الاول ـ محمّد وعامة العرب:**

إِنَّ اللهَ[١] بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِين، وأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ[٢] عَلَىٰ شَرِّ دِينٍ[٣] وفي شَرِّ دار[٤]، مُنِيخُونَ[٥] بَيْنَ حِجارَةٍ خُشْنٍ،[٦] وحَيَّاتٍ صُمٍّ[٧]، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ[٨]، وتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ[٩]، وتَسْفِكُونَ دِمـاَءَكُـمْ، وتَـقْطَعُونَ أَرْحـاَمَكُمْ. الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثاَمُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.[١٠]

يشير عليه السلام الى ثلاثة صفات اساسية في النبي محمّد صلى الله عليه وآله، هي:

---

(١) في ب: ان الله سبحانه.

(٢) في هـ. أ: قيل: أراد بمعشر العرب: اهل الكوفة، هم من طي وخثعم، كانوا في الجاهلية لايعظمون الكعبة والحرم ولا الاشهر الحرم، بخلاف عادة سائر الكفار.

(٣) في هـ. أ: شرّ دين هي عبادة الاصنام، فانّها شر من كل دين. وفي هـ. ب: علىٰ شر دين، اي علىٰ شر عادة، اي عادتكم القتل بينكم.

(٤) في هـ. أ: اذ هي دار لانبات فيها ولا فاكهة ولا طعام ولا لباس.

(٥) في هـ: الاناخة: المقام بالمكان، وفي هـ. ب: الاناخة: النزول. وفي هامش آخر: تسرحون بين حجارة.

(٦) في هـ. أ: الخشن: التي لانداوة بها ولانبات.

(٧) في هـ. أ: الحية الصماء: قيل: هي التي لاتنزجر بالصوت؛ كانها لاتسمع، وانما يراد بها الصلبة الشديدة، ويكنّى عن الداهية بالحية، وتوصف الداهية بالصماء.

(٨) في هـ. أ: مادكن لونه.

(٩) في هـ. أ: الجشب: الخشن الغليظ الذي لاإدام معهُ. وفي هامش آخر: هوالطعام الغليظ. ويقال: هوالذي لاإدام معه، وفي هـ. ب: طعام غليظ.

(١٠) في هـ. أ وب: معصوبة: اي مشدودة.

١ ـ منطلق البعثة من الله سبحانه باختيار شخص النبي محمّدﷺ لمسؤولية الرسالة.

٢ـ الهدف من البعثة هو الانذار ليس للعرب فقط، بل للعالمين جميعاً لهداية البشرية.

٣ ـ الامانة على الرسالة التي تتميّز بتنزيل القرآن الكريم وتفسيره لافراد المجتمع بالسنة الشريفة.

وهذه النقاط الثلاث متلازمة في شخص الرسولﷺ منذ منطلق البعثة وحتىٰ بلوغ الهدف.

ثم سردعليه السلام صفات العرب التي اوجبت البعثة، وهي:

١ ـ (علىٰ شرّ دين) وهو الوثنية والشرك التي كانت تقدس المادة التي كانت لاتشعر ولاتعقل.

٢ ـ (في شرّ دار) فان الدار مايحفظ الانسان من العدوان، ودور العرب كانت قائمة علىٰ العدوان وشريعة الغاب

٣ ـ الحياة الصعبة نتيجة لفقدان الامان واستمرار العدوان، وقد عبر عن هذه الحياة الصعبة بحالة إقامة الانسان بين شيئين:

احدهما: الحجارة الخشن الذي لامنفذ للفرار منه.

والثاني: مواجهة الحية الصمّاء التي لاتسمع، وهي تهاجم الانسان، وفي مثل هذه الحالة اينما يتوجه الانسان سوف يكون مصاباً.

ثم ذكر عليه السلام أمثلة لهذه الحياة الصعبة، فقال:

٤ ـ (تشربون الكدر) وليس الماء الصالح للشرب.

٥ ـ (تأكلون الجشب) وهو ما لايستساغ أكله.

٦ ـ (تسفكون دماءكم) لان الحياة عندهم قائمة على العدوان.

٧ ـ (تقطعون ارحامكم) لفقدان العلاقات الاجتماعية.

٨ ـ (الاصنام فيكم منصوبة) بفراغ العقيدة الصحيحة.

٩ ـ (الآثام بكم معصوبة) والاثم: الذنب، والعصب: الشدّ، ففي حالة الجاهلية القبلية يكون الانسان مشدوداً بالآثام التي تنبع من الروح القبلية، بدلاً عن العدالة الاسلامية.

وحالة قبلية كهذه تفتقر الىٰ تغيير جذري، وقد بعث الله سبحانه النبي محمّد ﷺ لذلك.

(٢/ط ـ ٢٦) المقطع الثاني ـ صفات الامام عليه السلام:

فَنَظَرْتُ فَإذا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إلاّ أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ[(١)] بِهِمْ عَنِ الْمَوْت، وَأغْضَيْتُ[(٢)] عَلَى الْقَذَى[(٣)]، وشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى[(٤)]، وصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ[(٥)]، وعَلَى أمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ[(٦)]

صفة الامام بعد النبي ﷺ:

فانه باعتباره اول المسلمين ايماناً وأقربهم الىٰ النبي ﷺ نسباً وسبباً كان المفروض ان يقوم بمسؤولية القيادة كما كان يراها مطابقة للكتاب والسنة، ولكنه عليه السلام في هذا المقطع ذكر الركن الاصيل في القيام بأية مسؤولية قيادية، وهي قوة الناصر، وبدونه يتعين البديل، وهو الصبر، وهكذا كانت خطة الامام في هذه المرحلة الصعبة، وقد عدّمتها:

١ ـ (ليس لي معين إلّا اهل بيتي) فالناصر والمعين قلّة لايتحقق بهم النصر وتحقيق المسؤولية.

٢ ـ (ضننت بهم عن الموت) لان القلة المعارضة من دون تناسب عددي لابد وان ينتهي أمرها الىٰ القتل من دون تحقيق اي نصر. وفى حالة كهذه لابد من البديل، وهو الحياة الصعبة بالصبر وقد ذكر من صفتها:

٣ ـ (اغضيت على القذى) الاغضاء: غمض العين، والقذىٰ: مايصيبها من الألم.

---

(١) في هـ. أ: اي بخلت ومنعت. وفي هـ. ب: بخلت.

(٢) في ص: «فأغضيت»، وفي هـ. ب: اي اغمضت.

(٣) القذىٰ: الاذى الذي يصيب العين كالتراب وغيره.

(٤) في هـ. أ: الشجى: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره.

(٥) في هـ. أ: اي موضع الكظم. والكظم: مخرج النفس، اي منع نفسي وخنق نفسي فصبرت وفي هـ. ب: الكظم: اجتراع الغيظ.

(٦) في هـ. أ: العلقم: اصول الحنظل، وقيل: ثمرة الحنظل، قيل: العلقمة: قثّاءُالحمار، وله مرارة لاذعة، وانما خصه جمنج بين سائر المرارات؛ لأنّه مفجّر الجراحات ويقيّء ويسهّل ويهلك الجنين.

قلت: قثاء الحمار: نبات يحمل ثمراً كالقثاء [الخيار] مرّ الطعم كريه الرائحة، يسعط بعصارته لليرقان الاصفر كذا في كتب اللغة.

٤ ـ (شربت عليّ الشجا) وهو ما يعترض الحلق ويمنع من الشرب بسهولة.

٥ ـ (وصبرت علىٰ أخذ الكظم) وهو مخرج النفس، واخذه موجب لصعوبة التنفس.

٦ ـ (وعلى أمرّ من طعم العلقم) وهو مرارة الحنظل، فان هذه الحالة تؤثر في كل مرافق حياة الانسان من الرؤية والشرب وحتىٰ التنفس، ولايكون طعم الحياة إلّا كمرارة الحنظل حيث لاخيار غيره.

(٣/ ٢٦ ـ ط) المقطع الثالث: في دعوىٰ المعارضة:

منها:(١) وَلم يُبَايِعْ معاوية في(٢) حتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ(٣) عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً، فَلاَ ظَفِرتْ يَدُ المبائع(٤) وخَزِيَتْ أمانةُ المُبْتَاعِ!(٥)، فَخُذُوا لِلحَرْبِ أُهْبَتَهاَ(٦)، وأعِدُّوا لَهاَ عُدَّتَهاَ، فَقَدْ شَبَّ(٧) لَظَاَهاَ، وعَلاَ سَناَهاَ(٨) [وَاسْتَشْعِرُوا الصّبْرَ، فإنَّهُ أَدْعَى إلى النّصْر(٩)](١٠)

اشار عليه السلام الىٰ مبدأ البيعة وموقف المعارضة ونتيجة المعارضة:

اما المبدأ الاساس في البييعة من منظار اسلامي وهو اداء الامامة للمسؤولية في تطبيق الكتاب والسنة، وهما شرطان اساسيان في البيعة الاسلامية ولا شرط ثالث لهما.

واما موقف المعارضة، فقد أضاف شرطاً ثالثاً فيه، وهو (شرط ان يؤتيه على البيعة ثمناً) وقد رفضها الامام عليه السلام، لانها تعد خيانة في امانة المسؤولية ونتيجة هذه الخيانة

---

(١) في ط: ومنها.
(٢) في هـ . ص: يعني عمرواً. وفي هـ . أ: أراد عمروبن العاص شرط علىٰ معاوية ان يفوض اليه ولاية مصر حتىٰ يبايعه، فوقع بينهما تدافع حتى ضمن له ذلك، وفي هـ . ب: يعنى عمروبن العاص.
(٣) في ص: ان يعطيه.
(٤) في ط وهامش د: البائع ـ ض ح، وفي هـ . ب: المبائع: عمروبن العاص، والمبتاع: هومعاوية.
(٥) في هـ . ص و أ وب: اي معاوية.
(٦) في هـ . أ: أي عدتها، وفي هـ . ب: اي آلاتها.
(٧) في الف: شبت ـ بضم الشين ـ وفي الهامش في نسخة: شب ـ بضم الشين ـ للبناء للفاعل: اي ارتفع لهبها.
(٨) في هـ . أ: في نسخة: سنائها. وسناها: الضوء اذا كان مقصوراً، واذا كان ممدودا فالارتفاع. وفي هـ . ب: اي ضياءها.
(٩) في أ: احزم للنصر.
(١٠) ما بين المعضوقتين ليس في ب.

أمران:

اولاً: ان يد البائع تكون يد خيانة، وهي لا ظفر فيها؛ لان الخيانة سوف تسبب الخيانة.

وثانيا: ان المبتاع تكون امانة خازية، اي ذليلة مهانة؛ لانها لا تكون مبتنية على اساس العدالة.

ونتيجة المعارضة الباغية ليس إلّا الحرب، كما قال تعالىٰ: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفئ الى أمر الله﴾

وختم المقطع بنقاط ثلاث، مشيراً الىٰ ماقبل الحرب، وسبب الحرب، وفي حالة الحرب.

فما قبل الحرب: أخذ الاهبة، اي الاستعداد باعداد عدة الحرب.

وسبب الحرب: موقف البغي المعارض الذي سببّ اشعال نار الحرب، وأصبح موقف البغي اعلاناً للحرب ظاهراً كضوء النهار. وفي حالة الحرب يفتقر المحارب الىٰ شعار الصبر حتىٰ تحقيق النصر.

[الخطبة ٢٧]

ومن خطبة له عليه السلام

أمّا بَعْدُ، فَإنَّ الْجِهادَ بَابٌ مِنْ أبْوَابِ الْـجَنَّةِ، فَـتَحَهُ اللهُ لِـخَاصَّةِ أوْلِـيائِهِ، وهُـوَ لِباسُ التَّقْوى،(١) وَدِرْعُ الله الْحَصِينَةُ(٢)، وجُنَّتُهُ(٣) الْوَثِيقَةُ. فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ(٤) ألْبَسَه اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وشَـمِلَهُ(٥) الْـبَلاء، وَدُيِّثَ(٦) بِـالصَّغارِ وَالْـقَماءِ(٧)، وضُـرِبَ عَـلَى قَـلْبِهِ بِالإسْهابِ(٨) وأدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ(٩) بِتَضْيِيعِ(١٠) الْـجهادِ، وَسِـيمَ الْـخَسْفَ(١١)، ومُـنِعَ

(١) في هـ. ص: لعله يريد المعني بقوله تعالى: ﴿ولباس التقوىٰ﴾ الاعراف: ٢٦/٧، فكانه عـنىٰ: وهوذولباس التقوىٰ واذا كان قد انزل لباس الجهاد فقد أراده.

(٢) في هـ. ص: وقوله: ودرع الله وجنته، من قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ...﴾ الآية البقرة: ٢ /٢٥١ والحج: ٤٨/٢٢، والمعنىٰ: ان الله وكلّ ذلك اليهم ابتلا، وفي هـ. أ: اي حفيظ به.

(٣) في هـ. أ: الجُنة: ما استترت به من سلاح وغيره.

(٤) في هـ. ص: اي زهداً فيه، وعبارة «رغبة عنه» لم ترد في ب.

(٥) في د: وشِمْلةٌ.

(٦) في هـ. أ: اي ذلل، و منه الديّـوث: الذي لا غـيرة له، والـ.. مـحارمه حـتىٰ يـتغافل عـن فجورهن، والصغار: الحقارة. وفي هـ. ص: اي ذلل بالصغار: أي بالاهانة.

(٧) في ب: القماة، وفي ط وهـ د: القماءة ـ ح ض. وفي هـ. ص: مصدر قمؤ: أي حقر. وفي هـ. أ: القماء ـ ممدوداً: الصغار والذل، وفـي هـامش آخـر مـنه: القـماءة: الحـقارة والذل، ورواه الراوندي بالقصر، وهوغير معروف، وفي هـ. ب: القماة ـ فتح مع مدّ ـ: الحقارة والصغر.

(٨) في أ: الاسداد، وفي هـ. أ: في نسخة: الاسهاب وفي الهامش ايـفاء الاسـداد: جـمع سـدّ وهوالحاجز والمسهب: أي ذاهب العقل. وفي هـ. ب: أسهب الرجل ـ بـالبناء للـمفعول ـ اذا ذهب عقله، وفي هـ. ص: الاسهاب: كثرة الكلام غير طائل، فكأن المعنىٰ: بقلّة العقل، لانّ قلّة العقل يستلزم الاسهاب والهذيان.

هذا، ووردت الكلمة في

(٩) في هـ. أ: اي يقلب دولة الحق. وفي هامش آخر: كان مغلوب الحق و للحق عـليه حـجة، يقول: اُديل فُلان اي غلبه عدوّه عليه.

(١٠) في هـ. ص: اي بسبب.

(١١) في هـ. ب، في نسخة: وسيما الخسف، وفي هـ. ص: سيم: أي كلّف وأولي، وفي هـ. أ: أي كلّف الذلّ والمشقّة، والخسف: العجز والظلم. وفي هـ. ب: الحقارة والصغر.

النَّصَفَ.(١)

مقاطع هذه الخطبة تعكس العلاقة بين القائد والجيش، ونقاط القوة والضعف فيهما، ويستفتح المقطع الاول بدور الجهاد في حصانة الامة ـ أية أمة كانت ـ فان التاريخ يشهد بان الامم التي تركت هذه الفريضة استولىٰ عليها اولئك الذين يؤمنون بها من أعدائها.

(١/ط ـ ٢٧) صفات الجهاد:

وذكر الامام صفات خمس للجهاد، هي:

١ ـ ان الجهاد باب من ابواب الجنة، فمن اراد الحياة في الجنة لابدّ وأن يدخل من ابوابها الواسعة ومنها باب الجهاد.

٢ ـ ان الجهاد هو لخاصة اولياء الله، فان هذا الباب مفتوح خاصة لمن يتمكن منه ويؤمن به كوسيلة في سبيل اعلاء كلمة الله.

٣ ـ (هو لباس التقوى) فان التقوي، اي الحصانة من الانحراف يفتقر اليها المجتمع الاسلامى.

(وهو درع الله الحصينة) حيث يردع الاعداء من الاعتداء على المسلمين.

(وهو جنته الوثيقة) والجنة: مايستر الشيئ من اعتداء الأعداء، والجهاد يجعل الاعداء بعيدين عن المجتمع الاسلامي، فلا يتمكنون من معرفة نقاط الضعف فيهم، وبالنتيجة يعصمهم من الاعتداء.

في ترك الجهاد:

وترك الجهاد ـ مهما كانت اسبابه ـ يستلزم اموراً ذكر منها سبعة تلازم من ترك الجهاد غير مؤمن به كفريضة، مهما كانت المبررات، وهي:

١ ـ (ثوب الذل) فان تارك الجهاد يلبس هذا الثوب ويكون امام القوة الحاكمة ذليلاً.

٢ ـ (شملة البلاء) ويقع تارك الجهاد في مرحلة الامتحان بقبول الذل أو عدمه.

٣ ـ (ديث بالصّغار والقماءة) والديث: الذلّة. والصّغار: الضيم، والقماءة: الذلة مع

---

(١) في هـ. ص وأ: اي الإنصاف، وفي هـ. أ في نسخة: ـ النُصُف بالضم ـ.

الصغار.

٤ ـ (ضرب علىٰ قلبه بالاسهاب) وهو ذهاب العقل، حيث تتوارد علىٰ قلبه هموم الصّغار والذلة.

٥ ـ (اديل الحق منه) اي ضياع دولة الحق التي يستحقها كمواطن مسلم، وذلك بسبب نفسه وباختياره (بتضييع الجهاد) الذي كان مفروضاً عليه.

٦ ـ (وسيم الخسف) وهو المشقة التي يكون عليه موسوماً كعلامة ظاهرة مادام حياً في كل مرافق الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرهما.

٧ ـ (ومنع النصف) وهو العدل والانصاف؛ لان طبيعة اية قوة غالبة ان ترعىٰ مصالح نفسها دون مصالح من تحكمه سواء في ذلك المصالح الاقتصادية أو الاجتماعية أو التراثية والثقافية، فانها سوف تفرض الثقافة الجديدة على المجتمع المغلوب على امره، شاء ام أبى، كما يشهد بذلك التاريخ.

(٢/ط ـ ٢٧) حقيقة الموقف:

أَلاَ وإنّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إلَى قَتَالِ[١] هَؤُلاَء الْقَوْمِ لَيْلاً ونَهاَراً، وسِرّا وإعْلاَناً، وقُلْتُ لَكُمْ[٢] اغزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ ما غُزِيَ قَوْمٌ ـ قَطُّ في عُقْرِ دارِهِمْ[٣] إلاّ ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتم[٤] وتَخاذَلْتُمْ[٥]، حَتّى شُنَّتْ[٦] عَلَيْكُمُ الْغاَرَاتُ، ومُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الاقطار[٧].

وَهَذَا[٨] أَخُو غاَمِدٍ[٩]، وقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْباَرَ[١٠]، وقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بن حَسّان

---

(١) في ب: الىٰ حرب ـ.
(٢) في ب: لهم، وفي الهامش: في نسخة: لكم.
(٣) في هـ. ص: اي في أصل مقرّهم، وفي هـ. أ: أي أصلها. وهومحلّة القوم وفي هـ. ب: عقر الحوض: مؤخّره حيث تعقر الابل.
(٤) في هـ. ص: اي وكل بعضكم الأمر إلىٰ بعض، وفي هامش أ: التواكل، أن يكل كلّ واحد منهم الأمر إلى صاحبه ويعتمد عليه، وفي هـ. ب: وكل بعضكم الىٰ بعض أمركم.
(٥) في هـ. ب: يقعد بعضكم عن نصرة بعض.
(٦) في هـ. أ: اي صبت.
(٧) أ وب وط ود: الاوطان.
(٨)في ص وهـ. أ: في نسخة: هذا ـ بدون واو، وفي أ وب: فهذا.
(٩) في هـ. ص: اسمه سفيان بن عوف بن المغفّل، وغامد: حيّ من أزد شنوءة، وفي هـ. أ: رجل من اليمن من بني غامد بن النضير من الأزد، واسمه سفيان بن عوف وهوصاحب معاوية،

الْبَكْرِيّ، وأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسالِحِها(١١)، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالأخْرَى الْمُعاهَدَة(١٢) فَيَنْتَزِعُ حِجْلَها(١٣) وقُلُبَها(١٤)، وقَلائِدَها(١٥) ورعُاثَها(١٦)، ماَ تَمْتَنِع(١٧) مِنْهُ إلّا بِالاسْتِرْجَاعِ(١٨) وَالاِسْتِرْحَامِ(١٩)!، ثُمَّ انْصَرَفُوا وافِرِينَ(٢٠) مانَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ(٢١)، وَلااُرِيقَ لَهُ(٢٢) دَمٌ، فَلَو أَنَّ امْرءًا مُسْلِماً ماتَ مِنْ بَعْدِ هَذا(٢٣) أَسَفاً ماكَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كانَ بِهِ عِنْدِي جَديراً!.

وبيّن حقيقة المواقف من الامام والجيش والاصدقاء والاعداء، فالامام قام بواجبه القيادي في نقاط:

اولاً ـ **الدعوة الىٰ قتال الاعداء**: فان العدو لاينفك عن دور العداء حتىٰ يواجه قوة رادعة.

ثانياً ـ **وقت الدعوة**: بما أن سياسة المتحاربين معروفة في الاهداف فلا وقت خاص

أغار علىٰ مسلحة أمير المؤمنين بعد صفّين.

(١٠) في ه‍. أ: اسم بلدة علىٰ فراسخ من الكوفة.

(١١) في ه‍. ص: المسالح هي المراقب والمراصد. وفي ه‍. أ: مواضع الاسلحة، والاسلحة: قوم ذووسلاح، ثم أطلق المسالح على مواضع الخوف والثغر، وفي هامش آخر منه: المسالح: جمع مسلحة، وهي الحدود التي ترتّبُ فيها ذووالأسلحة مخافة عادية العدوكالثغر. وفي ه‍. ب: مسالح: جمع مسلح، وهوموضع السلاح.

(١٢) في ه‍. أ: المعاهدة ـ بكسر الهاء وفتحها ـ يعني التي لها مع المسلمين عهد وأمان كالذميّة.

(١٣) في ه‍. أ: الخلخال، وفي ه‍. ص: موضعها الرجل.

(١٤) في ه‍. أ: السوار.

(١٥) في ه‍. ص: موضعها العنق.

(١٦) في ط وه‍. د: ورعثها ـ ح، وفي ه‍. ص: الرعاث ـ بكسر الراء ـ جمع رعثة، وهي الشنوف، وموضعها الأُذُن. وفي هـ. أ وب: جمع رعثة وهوالقرط.

(١٧) في ه‍. د: ما تمنع ـ م.

(١٨) في ه‍. أ والأصل: قول «انالله وانا اليه راجعون» وطلب الرجعة. وفي هامش آخر منه: الاسترجاع: تردد الصوت في البكاء وغيره.

(١٩) في ه‍. ص: الاسترحام قول: «بالله والرحم»، او«ارحمني يرحمك الله». وفي ه‍. أ: يعني لايدفعه عنها الاسترجاع عند المصيبة...

(٢٠) في ه‍. ب: وافرين حال.

(٢١) في ه‍. أ: كلم: جرح.

(٢٢) في ط: أُريق لهم، وه‍. د أُريق لهم ـ ض وح.

(٢٣) في ص: بعدها.

للدعوة، بل هي دعوة للقيام بالواجب (ليلاً ونهاراً وسراً واعلاناً) فان هذه السياسة المفتوحة معروفة للأعداء والاصدقاء، واحتمال ان يكون الوقت للقتال بعيد.

ثالثاً ـ نص الدعوة: وهو (اغزوهم قبل ان يغزوكم) فان العدو لاينفك عن العداء، وكل من المتحاربين يحاول ان يجعل الآخر في موقف الدفاع، فيكون الاسبق أولىٰ.

رابعاً ـ سبب الدعوة وفلسفتها: (ماغزي قوم قط في عقر دارهم الّا ذلّوا) فان غزو العدو في عقر الدار، أي اصلها، دليل عن على ضعف الجانب الآخر في التخطيط الدفاعي، ونتيجة هذا هو الذل امام العدوّ، فان أي رد فعل يكون بعد تحمّل الخسائر المادية، والاضرار التي يسببها العدو، بالاضافة الى الخسران المعنوي، حيث يكشف العدوّ عن قوته المادية والروحية.

واما موقف الجيش المدافع، فلم يكن موقف الجيش المسؤول، وطبيعي ان يترتب على هذا الموقف انتصار العدو، وقد أشار الامام الىٰ موقف الجيش بأمرين يترتب عليهما، وهما.

١ ـ التواكل، وهو إحالة الأمر الىٰ الآخرين، حيث لم يتحمل الجيش مسؤوليته.

٢ ـ التخاذل، وهو ترك الاغاثة بترك القتال.

ونتيجة طبيعية لهذين الامرين هو ما اشار اليهما بقوله: «حَتّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ، ومُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الاقطار».

اولاً: بدء العدوّ بالغارة والأخذ بزمام المبادرة.

ثانياً: غلبة العدو وتملك الاوطان كنتيجة طبيعية للمبادرة.

واما موقف الاصدقاء والاعداء، فانه قد تجلىٰ في منطقة الأنبار، حيث ان جيش العدو بقيادة أخي غامد (سفيان بن عوف الغامدي) أغار على الجيش الموالي للامام عليّ بقيادة حسان بن حسان البكري، وأشار الامام الىٰ نتائج حصلت في هذه الغارة، وقد كان تنبأ بأمثالها، وهي:

١ ـ (أزال خيلكم عن مسالحها) والمسالح: هي مناطق المراقبة التي يرابط فيها الجنود لمعرفة تحركات العدوّ، فان العدو بهذه الغارة أزال قوة الرقابة عن مواقعها وعرقل قيامها

بدورها.

٢ ـ الارهاب العام من دون تفريق بين المسلم وغيره، فقد كان رجال جيش العدو يدخلون على المرأة المسلمة والمعاهدة على حدّ سواء وينتهبون ما عليها من الحلي والحلل، وهي:

١ ـ الحجل: وهو الخلخال.

ب ـ القلب ـ بالضم ـ: وهو السوار مما يزيّن المعصم.

ج ـ القلاد: مايزيّن النحر.

د ـ الرعث: الخرز التي تزيّن الاذن.

حيث لاجيش يدافع عنها، بل هي لوحدها تدافع عن نفسها بالاسترجاع وهو قول: انالله وانا اليه راجعون، استنكاراً للتعدي الفاحش. والاسترحام، وهو طلب الرحمة من العدوّ المهاجم، وهما من ابرز مظاهر الذل التي اشار اليها الامام عليه السلام.

٣ ـ النصر المادي (انصرفوا وافرين) باستيلائهم على ممتلكات النساء.

٤ ـ النصر المعنوي، حيث لم يعاقب منهم أحد (فما نال رجلاً منهم كلم) والكلم: الجرح الذي هو أدنىٰ مايستحقه المعتدي (ولا أريق لهم دم) بالقتل الذي هو اعلىٰ ما يستحقه المعتدي.

فان هذه الغارة ان كان لها ما يبررها من الناحية العسكرية، فلا مبرر لما قامت به القوات من الاعتداء على النساء، وطبيعي ان يؤلم هذا الحدث قلب كل مسلم يؤمن بالمبادئ التي بشر بها الاسلام ومنها: كرامة الانسان غير المحارب كالنساء سواء في ذلك المرأة المسلمة أو المعاهدة، وقد فصل ابن ابي الحديد خلفية هذه الخطبة في شرحه، ومما قال في ذلك: «هذه الخطبة من مشاهير خطبه عليه السلام ، قد ذكرها كثير من الناس ، ورواها أبو العباس المبرد في أول «الكامل»، وأسقط من هذه الرواية ألفاظا وزاد فيها الفاظا ، وقال في أولها : «إنه انتهى إلى عليّ عليه السلام أن خيلا وردت الانبار لمعاوية فقتلوا عاملا له يقال له:

حسان بن حسان ، فخرج مغضبا يجر رداءه حتى أتى النخيلة [١] واتبعه الناس فـرقى رباوة [٢] من الارض ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ﷺ ، ثم قال : أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيما الخسف.

ـ الى ان قال في غارة سفيان بن عوف الغامدي على الانبار ـ : فأما أخو غامد الذي وردت خيله الانبار ، فهو سفيان بن عوف بن المغفل الغامدي، وغامد قبيلة من اليمن ، وهي من الازد ، أزد شنوءة ، واسم غامد عمر بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد . وسمى غامدا لانه كان بين قومه شرّ فأصلحه وتغمدهم بذلك .

روى إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفي في كتاب «الغارات» عن أبي الكنود ، قال : حدثني سفيان بن عوف الغامدي ، قال : دعاني معاوية ، فقال : إني باعثك في جيش كثيف ، ذي أداة وجلادة ، فالزم لي جانب الفرات ، حتى تمر بهيت[٣] فـتقطعها ، فـإن وجدت بها جندا فأغر عليهم ، وإلّا فامض حتى تغير على الانبار ، فإن لم تجد بها جندا فامض حتى توغل في المدائن . ثم أقبل إليّ، واتق أن تقرب الكوفة . واعلم أنك إن أغرت على أهل الانبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة . إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم ، وتفرح كل من له فينا هوى منهم ، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر ، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك ، وأخرب كل ما مررت به من القرى ، واحرب الاموال ، فإن حرب الاموال شبيه بالقتل ، وهو أوجع للقلب .

قال : فخرجت من عنده فعسكرت ، وقام معاوية في الناس فخطبهم ، فقال : أيها الناس ، انتدبوا[٤] مع سفيان بن عوف ، فإنه وجه عظيم فيه أجر ، سريعة فيه أوبتكم إن شاء الله . ثم نزل .

قال : فو الذي لا إله غيره ما مرت ثالثة حتى خرجت في ستة آلاف ، ثم لزمت شاطئ

(١) النخيلة : إسم موضع خارج الكوفة .
(٢) الرباوة : اسم لكل ما ارتفع من الارض ، كالربة والربوة والرابية .
(٣) هيت : بلد على الفرات فوق الانبار .
(٤) انتدبوا : خفوا للقتال .

الفرات، فأغذذت السير حتى أمر بهيت، فبلغهم أني قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها وما بها عريب[١] كأنها لم تحلل قط، فوطئتها حتى أمر بصندوداء[٢]، ففروا فلم ألق بها أحدا، فأمضي حتى أفتتح الانبار، وقد نذروا بي، فخرج صاحب المسلحة إليّ، فوقف لي فلم أقدم عليه حتى أخذت غلمانا من أهل القرية، فقلت لهم: أخبروني، كم بالانبار من أصحاب عليّ عليه السلام؟ قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة، ولكنهم قد تبددوا ورجعوا إلى الكوفة، ولا ندري الذي يكون فيها، قد يكون مائتي رجل، فنزلت فكتبت أصحابي كتائب، ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة، فيقاتلهم والله ويصبر لهم، ويطاردهم ويطاردونه في الازقة، فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحوا من مائتين، وأتبعتهم الخيل، فلما حملت عليهم الخيل وأمامها الرجال تمشي، لم يكن شئ حتى تفرقوا وقتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلا، وحملنا ما كان في الانبار من الاموال، ثم انصرفت، فو الله ما غزوت غزاة كانت أسلم ولا أقر للعيون، ولا أسر للنفوس منها. وبلغني والله أنها أرعبت الناس، فلما عدت إلى معاوية، حدثته الحديث على وجهه، فقال: كنت عند ظني بك، لا تنزل في بلد من بلداني إلّا قضيت فيه مثل ما يقضي فيه أميره، وإن أحببت توليته وليتك، وليس لاحد من خلق الله عليك أمر دوني.

قال: فو الله ما لبثنا إلّا يسيرا، حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الابل هرابا من عسكر علي عليه السلام.

قال إبراهيم: كان اسم عامل علي عليه السلام على مسلحة الانبار أشرس بن حسان البكري.

وروى إبراهيم عن عبد الله بن قيس، عن حبيب بن عفيف، قال كنت مع أشرس بن حسان البكري بالانبار على مسلحتها، إذ صبحنا سفيان بن عوف في كتائب تلمع الابصار منها، فهالونا والله، وعلمنا إذ رأيناهم أنه ليس لنا طاقة بهم ولا يد، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرقنا فلم يلقهم نصفنا، وأيم الله لقد قاتلناهم فأحسنا قتالهم، حتى كرهونا، ثم نزل صاحبنا وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا

---

(١) عريب: أحد.
(٢) صندوداء: قرية كانت في غربي الفرات فوق الانبار.

تبديلا﴾[١] . ثم قال لنا : من كان لا يريد لقاء الله ، ولا يطيب نفسا بالموت ، فليخرج عن القرية ما دمنا نقاتلهم ، فإن قتالنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب ، ومن أراد ما عند الله فما عند الله خير للابرار . ثم نزل في ثلاثين رجلا ، فهممت بالنزول معه ، ثم أبت نفسي، واستقدم هو وأصحابه ، فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله ، وانصرفنا نحن منهزمين .

قال إبراهيم : وقدم علج[٢] من أهل الانبار على عليّ عليه السلام ، فأخبره الخبر ، فصعد المنبر فخطب الناس ، وقال : إن أخاكم البكري قد أصيب بالانبار ، وهو معتزّ لا يخاف ما كان ، واختار ما عند الله على الدنيا ، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم ، فإن أصبتم منهم طرفا أنكلتموهم عن العراق أبدا ما بقوا .

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلم منهم متكلم ، فلم ينبس أحد منهم بكلمة ، فلما رأى صمتهم نزل ، وخرج يمشي راجلا حتى أتى النخيلة ، والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم ، فقالوا : ارجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك ، فقال : ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم . فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله ، فرجع وهو واجم كئيب ، ودعا سعيد بن قيس الهمداني ، فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف ، وذلك أنه أخبر أن القوم جاءوا في جمع كثيف . فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفيان بن عوف ، حتى إذا بلغ عانات[٣] ، سرح أمامه هانئ بن الخطاب الهمداني ، فاتبع آثارهم حتى دخل أداني أرض قنسرين وقد فاتوه ، فانصرف .

قال : ولبث عليّ عليه السلام ترى فيه الكآبة والحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس ، وكان تلك الايام عليلا ، فلم يقو على القيام في الناس بما يريده من القول ، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد ، ومعه إبناه حسن وحسين عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر ، ودعا سعدا مولاه ، فدفع إليه الكتاب ، وأمره أن يقرأه على الناس ، فقام سعد بحيث يستمع عليّ عليه السلام صوته ، ويسمع ما يرد الناس عليه ، ثم قرأ هذه الخطبة التي نحن في شرحها .

---

(١) الاحزاب : ٢٣ .
(٢) العلج : الرجل من كفار العجم .
(٣) عانات : بلد بين الرقة وهيت قريبة من الانبار .

وذكر أن القائم إليه، العارض نفسه عليه جندب بن عفيف الازدي، هو وابن أخ له يقال له : عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف .

قال : ثم أمر الحارث الاعور الهمداني ، فنادى في الناس : أين من يشتري نفسه لربه ويبيع دنياه بآخرته ؟ أصبحوا غدا بالرحبة إن شاء الله ، ولا يحضر إلّا صادق النية في السير معنا ، والجهاد لعدونا . فأصبح وليس بالرحبة إلاّ دون ثلاثمائة ، فلما عرضهم قال : لو كانوا ألفا كان لي فيهم رأي . وأتاه قوم يعتذرون ، فقال :﴿وجاء المعذرون﴾[١] ، وتخلف المكذبون ، ومكث أياما باديا حزنه شديد الكآبة ، ثم جمع الناس فخطبهم فقال : أما بعد أيها الناس ، فوالله لاهل مصركم في الامصار أكثر من الانصار في العرب ، وما كانوا يوم أعطوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات ربه إلّا قبيلتين ، قريبا مولدهما ، ما هما بأقدم العرب ميلادا ، ولا بأكثرهم عددا . فلما آووا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأصحابه ، ونصروا الله ودينه ، رمتهم العرب عن قوس واحدة ، فتحالفت عليهم اليهود ، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة ، فتجردوا لنصرة دين الله ، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل ، وما بينهم وبين اليهود من الحلف ، ونصبوا لاهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة ، وأهل الحزن والسهل ، وأقاموا قناة الدين ، وصبروا تحت حماس الجلاد ، حتى دانت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ العرب ، ورأى منهم قرة العين قبل أن يقبضه الله عزوجل إليه ، وأنتم اليوم في الناس أكثر من أولئك ذلك الزمان في العرب .

فقام إليه رجل آدم طوال ، فقال : ما أنت بمحمد ، ولا نحن باولئك الذين ذكرت ، فقال عليه السلام : أحسن سمعاً تحسن إجابةً ! ثكلتكم الثواكل ! ما تزيدونني إلّا غمّا: هل ! أخبرتكم أني محمّد ، وأنكم الانصار ؟! إنما ضربت لكم مثلا ، وإنما أرجو أن تتأسوا بهم .

ثم قام رجل آخر ، فقال : ما أحوج أمير المؤمنين اليوم وأصحابه إلى أصحاب النهروان. ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغطوا ، وقام رجل منهم فقال بأعلى صوته : استبان فقد الاشتر على أهل العراق ! أشهد لو كان حيا لقل اللغط ، ولعلم كل امرئ ما

---

(١) التوبة: .

يقول.

فقال عليّ عليه السلام : هبلتكم الهوابل ! أنا أوجب عليكم حقا من الاشتر ، وهل للاشتر عليكم من الحق إلّا حق المسلم على المسلم !

فقام حجر بن عدي الكندي وسعيد بن قيس الهمداني ، فقالا: لا يسوءك الله يا أمير المؤمنين ، مرنا بأمرك نتبعه ، فو الله ما نعظم جزعا على أموالنا إن نفدت ، ولا على عشائرنا إن قتلت في طاعتك . فقال : تجهزوا للمسير إلى عدونا .

فلما دخل منزله ودخل عليه وجوه أصحابه ، قال لهم : أشيروا عليّ برجل صليب ناصح ، يحشر الناس من السواد . فقال له سعيد بن قيس : يا أمير المؤمنين ، أشير عليك بالناصح الاريب الشجاع الصليب معقل بن قيس التميمي ، قال : نعم .

ثم دعاه فوجّهه ، فسار فلم يقدم حتى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام [1]

(٣ / ط - ٢٧) موقف العجب:

فَيَا عَجَباً! عَجَباً[2] وَاللهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ، ويَجْلِبُ الْهَمَّ، من[3] اجْتِماَعِ هَؤلاء الْقَوْمِ عَلَى بَاَطِلِهِمْ، وتَفَرُّقَكُمْ عَنْ حَقّكُم! فَقُبْحاً[4] لَكُمْ وَتَرَحاً[5] حِينَ صِرْتُمْ[6] غَرَضاً يُرْمَى، يُغاَرُ عَلِيْكُمْ وَلاتُغيرون، وتُغزون ولاتَغزُونَ، ويُعْصَى اللهُ وتَرْضوْن!.

والمقارنة بين موقفي الجيشين: الصديق والعدوّ يوجب العجب، حيث انهما موقفان متميّزان:

فان وحدة الكلمة من العدو (على باطلهم) يقابلها تفرق الكلمة (عن حقكم) وهذا موجب للعجب؛ فان صاحب الحق اولىٰ بالدفاع عن حقه من السارق المعتدي الغاصب.

وهذا الموقف المتخاذل من اصحاب الحق يميت القلب، حيث لا يمكن النصر من

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ٨٠ ـ ٩٠.

(٢) في هـ. أ : فيا عجبا: اي يا عجبي، اويا عجباه ـ على النداء، و«عجبا» نصب علىٰ المصدر، اي اعجبه عجباً.

(٣) لم ترد في د.

(٤) في هـ. أ : اي: بعداً عن الخير. وفي هـ. ب: أي ألزم الله لكم قبحاً.

(٥) في هـ. أ : اي حزنا و اسفاً، اي تحسراً و غضباً، وفي هـ. ب: حزن.

(٦) في ب: حين قد صرتم.

دون الدفاع عن الحق (ويجلب الهم) حيث يرىٰ ان الحق الذي لايطالبه صاحب الحق سوف يضيع لامحالة، فلا يستحق المتقاعسين عن حقوقهم إلّا القبح، لاهمال واجبهم، والترح ـ وهو الحزن ـ وذلك بعد ان اصبحوا اغراضاً ترفى واهدافاً للرمي من قبل الاعداء، في حين كان من واجب الجيش ان يبادر ويجعل العدوّ هدفاً.

١ ـ (يغار عليكم ولاتغيرون) فالعدوّ آخذ بزمام المبادرة.

٢ ـ (ويغزون ولا تغزون) ومبادرة العدو تكون بدون مقاومة مطلوبة.

٣ ـ (ويعصىٰ الله وترضون) وانتهاك العدوّ للحرمات يكون عصياناً معلن لاوامر الله تعالى واهمال الجيش واجبه بالدفاع عن الحرمات هو رضاً بهذا العصيان، وكل ذلك يستحق التقبيح المستلزم للحزن.

(٤/ط ـ ٢٧) المبرّرات:

فَإِذاَ أَمَرْتُكُمْ بِالسّيْرِ إِلَيْهِمْ في أيّامِ الحَرّ قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمارَّةُ[١] الْقَيْظِ، أَمْهِلْنَا حتّىٰ يُسَبَّخْ[٢] عَنّاَ الْحَرُّ، وإِذاَ أَمَرْتُكمْ بِالسّيْر[٣] إِلَيْهِمْ في الشّتاءَ[٤] قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبارَّةُ[٥] الْقُرِّ[٦]، أمْهِلْناَ يَنْسَلِخ[٧] عَنّاَ الْبَرْدُ، كُلُّ هَذا[٨] فِراَراً مِنَ الحرّ والْقُرّ [فَإِذاَ كُنْتُمْ مِنَ الْحَرّ والْقُرّ تَفِرّونَ][٩] فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ!

وطبيعي ان يكون الجيش الذي اهمل اوامر القيادة قد استند الى مبررات لعدم الانصياع الى الاوامر، وقد أشار الامام عليه السلام الىٰ طبيعة هذه المبررات بمثالين يكثر الاعتذار بهما ـ غالبا ـ ممّن لا يؤمن بالأوامر والنصائح وهما (ان الوقت غير مناسب)

---

(١) في هـ. ص: حمارّة القيض: اي شدته، وفي هـ. أ: القيظ من الصيف ما اشتد حرّه. وفي هامش آخر منه: حمارّة القيظ بتشديد الراء ـ: شدة حرّه.
(٢) في هـ. ص: اى يفتر ويخفف، وتسبيخ كل عمل: تخفيفه.
(٣) هـ د: في السير في الشتاء ـ م.
(٤) في هـ. أ: في نسخة: في ايام الشتاء.
(٥) في هـ. ص و الف: اي شدته، وفي هـ. الف: ايضاً: بتشديد الراء: شدة البرد.
(٦) في هـ. أ: القر ـ بضم القاف ـ البرد.
(٧) في ب: يسبخ، وفى الهامش: ينسلخ. فى هـ. أ: ينسلخ: ينقضي.
(٨) في هـ. ص: أي تقولون وتفعلون كل هذا.
(٩) ما بين المعقوفتين لم ترد.

و(الامهال الىٰ وقت مناسب) والمبرر في أيام الحرّ (هذه حمارة القيظ) والقيظ: الحرّ، وحمارته: شدته، والتسبيخ: التسكين، والمبرر في ايام الشتاء هو قول: (هذه صبارة القّر) والقرّ هو البرد، وصبارته: شدته، وهذه المبررات ـ كما هو واضح ـ انما يرفعها من لا يؤمن بالواجب اذ الحرب حرب، وليس نزهة حتىٰ ينتظر لها الجوّ المناسب. بل ان الحرب هو السبب الداعي اليه في أي وقت كان سواء في الحر أو البرد. وطبيعي ان الاعتذار بالجوّ المناسب فراراً من الحرّ والقر يستلزم ان يكون المعتذر من الحرب أفرّ.

(٥/ط ـ ٢٧) **المبرر الحقيقي:**

ياأَشْباَهَ الرِّجاَلِ وَلارِجاَلَ!، حُلُومُ[١] الأَطْفاَلِ، وعُقُولُ رَبَّـاتِ الْـحِجاَلَ[٢]، لَـوَدَدْتُ أَنّي لم أَرَكُمْ وَلم أعْرِفْكُم، مَعْرِفَةً ـ واللهِ ـ جَرَّتْ نَدَماً وأعْقَبَتْ سَدَماً[٣]، قاتَلَكُمُ اللهُ! لَقَدْ مَلأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً[٤]، وَشَحَنْتُمْ[٥] صَـدْرِي غَـيْظاً، وجَـرَّعْتُمُونِي نُـغَبَ[٦] التّـهْمامِ[٧] أَنْفاَساً،[٨] وأَفْسَدْتُمْ عَلَيّ رَأْيِي بِالْعِصياَنِ وَالْخِذْلاَنِ.

فالمبرر الحقيقي ليس سوىٰ عدم الرغبة في الحرب، وهذا ما لا يصح من الجيش الذي واجبه الدفاع عن الشعب والوطن، فالجيش ليس جيشاً منظماً بالقواعد العسكرية المطلوبة، وقد وصفهم عليه السلام ولخّص علاقة الجيش المهمل لواجبه الوطني والشرعي بالقائد

---

(١) في هـ. أ: «حلوم» مبتدأ، خبره محذوف، اي: لكم حلوم أوخبر مبتدأ محذوف، أي ـ حلومكم حلوم الاطفال، وروي بالنصب، اي: يا حلوم!، وخبر مبتدأ محذوف، وفي هامش آخر منه: حلوم الاطفال اي ناقصة بلاثبات، وفي هـ. ب: أي حلوم.

(٢) في هـ. أ: ربات الحجال: النساء اللاتي يتسترن بالستور، والحجال جمع حجلة، والحجلة ـ بالتحريك: واحدة حجال العرس، وهوبيت يزيّن بالثياب والاسرّة والستور، وربات الحجال: النساء؛ عقول النساء يستولي عليها الحرص والشهوة والخوف والضعف والتغيّر.

(٣) في هـ. أ: السدمة: الحزن عن الندم. وفي هامش آخر: السدم: تغيّر يحصل من الندم. ـ اي حزنا، ووردت الكلمة في ب: ذما، وفي الهامش: في نسخة: سدماً. في ص: ذمّاً، وفي هـ. د: ذمماً ـ م.

(٤) في هـ. ص وهـ أ: القيح: هوما يكون في القرحة من الصديد، والمعنىٰ: أفسدتم قلبي.

(٥) في هـ. أ: اي ملأتم.

(٦) في هـ. ص: النغب: جمع نغبة، وهي قدر ما يأخذه الطائر في منقاره من الماء. وفي هـ. الف: جرعة، وهومفعول ثان لجرعتموني، اومصدر من غير لفظه.

(٧) في هـ. أ: التهمام: تِفعال من الهم. وفي هـ. ب: جرع الهم.

(٨) في هـ. ب: اي نفساً نفساً، وفي هـ. أ: نصب على الحال، اي: نفساً نفساً، والنفس: الجرعة.

الملتزم بذلك في جمل، فخاطبهم بقوله:

١ ـ (يا أشباه الرجال، ولارجال) فهم رجال بحكم انخراطهم في الجيش الذي يكون غالبا من الرجال، ولكنهم بحكم كونهم ليسوا رجال صدق فهم أشباه الرجال.

٢ ـ (حلوم الاطفال) هي التي تحكم عقولهم، وهذه الحلوم لم يشرحها ولكنها تتلخص في حب السلامة من العدو بدون حرب، وهذه امنية الاطفال الذين لم يعرفوا خطط الاعداء.

٣ ـ (عقول ربات الحجال) والحجل: الغرفة المزينة للنساء، وخاصة في ليلة العرس، وحيث ان المرأة ـ عادة ـ لاتشارك في الحرب، ويرتكز تفكيرها عادة على السلامة دون الدخول في الحرب، والسلم وان كان هدفا مقدساً ولكن العدوّ لايعرف ولايعترف الاّ بالقوة، ولاتكون ـ عادة ـ الاّ بالحرب المطلوب من الجيش القيام به، واهماله هذا الواجب في قبال العدو يجعله في عداد من يكون خارجاً عن الجيش.

وطبيعي ان نشوء العلاقة بين جيش مهمل لواجبه وقائد ملتزم بمبادئه لاتكون طبيعية، وقد عبر عليه السلام عن هذه العلاقة السيئة بما يأتي:

١ ـ (لوددت أنّي لم أركم) فان الرؤية للمهمل لواجبه لا فائدة فيها.

٢ ـ (لم اعرفكم معرفة ـ والله ـ جرّت ندماً) فان المعرفة الحقيقية تظهر عند الامتحان، وقد اثبتت التجارب اهمال الجيش واجباته بالاعذارالمقطعية، وذلك يوجب الندم.

٣ ـ (وأعقبت) هذه المعرفة (سدماً) وهو الاسف على ضياع الوقت مع من لايلتزم بواجباته، ونتيجة هذه المعرفة كانت:

٤ ـ (لقد ملأتم قلبي قيحا) وهو الصديد الذي يسيل من القرحة.

٥ ـ (وشحنتم صدري غيظاً) والشحن: املاء الشئ، والغيظ: شدة الغضب

٦ ـ (وجرّعتموني نغب التهمام انفاساً) والنغبة: الجرعة. والتهمام: الهم، وقوله: (انفاساً) يعني جرُعة بعد جرعة مع كل نفس يتنفسه.

٧ ـ (وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان) فان العصيان لأوامر القائد يستلزم الخذلان امام خطط الاعداء، ونتيجتها ان يكون الرأي غير مسدد، لاعتماده علىٰ مقدمات

فاسدة.

(٦/ ٢٧ ـ ط) اتهام ظالم:

حَتَّى لَقَدْ[١] قالَتْ قُرَيْشٌ: إنَّ ابْنَ أبي طَالِب رَجُلٌ شُجاعٌ ولَكِنْ لاعِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ. لله أَبُوهُمْ[٢]! وهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً[٣] وأَقْدَمُ فِيهاَ مقاَماً مِنّي!، لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهاَ وَماَ بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وهٰا أَنَذَا[٤] قَدْ ذَرفْتُ[٥] عَلَى السِّتِّينَ! وَلَكِنْ لارَأْيَ لِمَنْ لايُطاَعُ!.

واهمال الجيش لواجباته في صدّ العدو بالعصيان لأوامر القائد كما يؤثر على قرارات القائد نفيه كذلك ينعكس على قرارات العدوّ باستخدامها في الحرب النفسية، ومن تلك الدعايات المستخدمة في الحرب النفسية قول قريش: (ان ابن ابي طالب رجل شجاع، ولكن لاعلم له بالحرب) وقد فنّد الامام هذا الاتهام الظالم الذي استخدمه الاعداء كحرب نفسية بالاشارة الىٰ ماضيه العريق الذي يحتفظ به التاريخ في عدة نقاط:

١ ـ (وهل أحد منهم اشد لها مراساً) والمراس: الممارسة، فان جودة اي عمل انما هي بكثرة الممارسة فيه، وقد مارس الامام الحرب منذ شبابه وطبيعي ان يكون اعلم بالحرب من غيره ممن لامراس له.

٢ ـ ([وهل] اقدم فيها مقاماً منّي؟!) فان تاريخه العريق في الحرب ضد أعداء الاسلام يكشف عن علمه بانواعها وفنونها وطرقها.

٣ ـ (لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين) فالمدة التي مارس فيها تبتدئ بسن الشباب.

٤ ـ (وها أنذا قد ذرفت على الستين) وذرف بمعنىٰ قرب، فتكون المدة التى مارس الحرب فيها حوالي اربعين سنة، وهي اوفىٰ مدّة بالعلم بفنون الحرب. فليس لهذا الاتهام الظالم مبرر حتىٰ يمكن استخدامه في الحرب النفسية، وقد لخّص الامام الموقف بكلمته

---

(١) لم ترد «لقد» في ص .

(٢) في هـ. أ: اصل هذه الكلمة المدح بطريق تخصيص الاب بالاضافة اى الله تعالى، ولكنه هنا على طريق التهكم. وقيل: هوتعجب منهم.

(٣) في هـ. أ: علاجاً ومداومة وتجربة، وفي هـ. ب: ممارسة.

(٤) في ص: وها أنا .

(٥) في هـ. ص: أي زدت، وفي هـ أ: أي زدت قليلاً عليها، ذرف على الشيء: زاد عليه قليلاً.

القصيرة التي أصحبت ضرباً للمثل: (لا رأي لمن لايطاع) وانما اعـلنها وفـقا لسـياسته المفتوحة لكي يعرف الجمهور واقع الحال، ولا تؤثّر فيهم الحرب النفسية.

[الخطبة ٢٨]

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها يصف مقابلة الدنيا والآخرة

(١/ط - ٢٨) مقابلة الدنيا والآخرة:

أَمّاَ بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنَياَ قَدْ أَدْبَرَتْ وآذَنَتْ[١] بِوداَع، وإِنَّ الاٰخِرَةَ قَد أَقْبَلَتْ وأَشْـرَفَتْ[٢] بِاطِّلاع[٣].

استهل هذه الخطبة بمقدمة وجيزة تشير الىٰ تقابل الدنيا والآخرة في مفهومهما، فان مفهومهما معاً يرادف الحياة، والحياة الدنيا هي تصغير الدنىٰ، مرحلة اولىٰ، ولكل اول ثان، فالمرحلة الثانية من الحياة هي الآخرة.

وطبيعة حركة الحياة:

ان الحياة الدنيا لا استقرار لها، بل تلازم أمرين:

الاول: أنها في حركتها تدبّر بمجرد الالتفات اليها، وتنحو نحو المستقبل.

الثاني: أنها تؤذن وتعلن الوداع من الحياة الدنيا، وان الحياة في المستقبل (قد اقبل) بمجرد إدبار الاولى، وأنها تشرف على الانسان (باطلاع) اي بغتة ومـن دون اسـتعداد الانسان لها.

وللانسان ان يستعد لهذه الحركة المباشرة في الحياة، وقد أشار الامام الىٰ تـنبيهات ثمانية، ينبغي ان تؤخذ بنظر الاعتبار.

فابتدأ في الخطبة بالتنبيه الاول علىٰ سباق الزمن، وختمها بلزوم التزوّد من الدنيا بما ينتفع به الانسان في مستقبل حياته، وان لا يهدر حياته هباءً.

---

(١) في هـ. أ: اي اعلمت.

(٢) في هـ. أ: اي اطلعت.

(٣) في هـ. ب، في نسخة: علىٰ اطلاع.

والتنبيهات الثمان تفتقر الى شرح خارج عن نطاق هذا الموجز، وملخّصها:

١ ـ سباق الزمن.

٢ ـ التوبة قبل حصول المنيّة.

٣ ـ العمل ليوم البؤس.

٤ ـ العمل قبل حضور الاجل.

٥ ـ العمل في الرغبة والرهبة.

٦ ـ الوعي لطالب الجنة والهارب من النار.

٧ ـ الانتفاع بالحق والاستقامة بالهدى.

٨ ـ الظعن، اي الرحيل بالزاد؛ حيث ان الحياة الثانية تفتقر الى الزاد.

(٢/ط - ٢٨) سباق الزمن:

١ ـ فقال عليه السلام في سباق الزمن: أَلاَ وإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمارَ[١]، وَغَداً السّباَقَ[٢]، وَالسَّبَقَة الْجَنَّةُ، وَالْغاَيَةُ النّارَ[٣].

أَفَلاَ تائَبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ!

أَلا عامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ[٤].

ألا وإِنَّكُمْ فِي أَيّاَمِ أَمَلٍ، مِنْ وَرَائِهِ أَجَل، فَمَنْ عَمِلَ في أيّاَمِ أَمَلِه قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِه، [فَقَدْ سعد و][٥] نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلم يَضْرُرْهُ[٦] أَجَلُه. ومَنْ قَصّرَ في أَيّاَمِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَـلِه،

---

(١) في هـ. أ: ان جعلت اليوم ظرفاً فالمضمار اسم انّ، والظرف في موضع الخبر، وجائز ان تخرج اليوم عن الظرفية والجملة اسم انّ، وترفع المضمار على الخبر؛ لأنّه عبارة عن مدّة، وكذا في غداً السباق.

وفي هامش آخر: سمي المضمار مضماراً لأنّه يضمر فيه الخيل، وتضمير الفرس ان تعلفه حتىٰ يسمن ثم ترده الىٰ القوة، وذلك في اربعين يوماً، وهذه المدّة تسمىٰ المضمار، الموضع الذي يضمر فيه الخيل، والضمر: الهزال. وهـ. ب: المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل.

(٢) في هـ. أ: مصدر مرادف للمسابقة، وهوجمع سبقة كنطفة ونطاف.

(٣) في هـ. أ: السبقة بالجنة والغاية بالنار؛ لانّ السبق يكون باختيار ورغبة صادقة، والغاية ربما تكون علىٰ غفلة وكره، والغاية: النهاية.

(٤) في هـ. أ: اي هلاكه.

(٥) ما بين المعقوفتين من ص، ولم يرد في أ وب وط ود، وفي هـ. د: فقد نفعه ـ ح وض.

(٦) في هـ. أ: حل الادغام لغة اهل الحجاز.

فَقَدْ(١) خَسِرَ عَمَلَه، وضَرَّهُ أَجَلُه.

أَلاَ فاَعْمَلُوا في الرَّغْبَةِ كَماَ تَعْمَلُونَ في الرّهْبَةِ.

أَلاَ وإنّي لم أَرَ كاَلْجَنّةِ نامَ طاَلِبُهاَ(٢)، ولاَ كـاَلنّاَرِ نـاَمَ هـاَرِبُهاَ(٣) أَلاَ وَإنَّـهُ(٤) مَـنْ لايَنْفَعُهُ(٥) الْحَقُّ، يَضْرُرهُ(٦) الْباَطِل(٧)، ومَنْ لاَ يَسْتَقِم(٨) بِهِ الْهُدَى، يَجُرُّ بِهِ(٩) الضَّلاَلُ إلَى الرّدٰى(١٠).

أَلاَ وإنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظّعْن(١١)، ودُلِلْتُمْ(١٢) عَلى الزّادِ، وإنَّ أَخْوَفَ ماَ أَخاَفُ عَلَيْكُمْ: اتّبَاعُ الْهَوَى وطُولُ الأمَل، تَزَوَّدُوا(١٣) في الدُّنْياَ مِنَ الدُّنْياَ ماَ تُحرِزُونَ(١٤) بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً.

ففي التنبيه الاول عبّر عن تسابق الزمان بــ(المضمار) و (السباق)، وهما مما تختص بأصحاب سباق الخيل، فان المضمار هو محل الضمور، وهو الهزال، فان الخيّال يحاول

---

(١) لم يرد «فقد» في أ، وانما وردت في الهامش عن نسخة.

(٢) في هـ. ص: قوله: «كالجنة نام طالبها»: اي ان الجنة شيء يرغب فيه، بل هي غاية ما يرغب فيه، فينبغي ان تطلب، ومع ذلك فان الناس يغفلون عن طلبها.
وقوله: «كالنار نام هاربها»: اي النار مرهوب، بل هوغاية ما يرهب ويتخوف، فينبغي ان يهرب منها، مع ان الناس يغفلون عن الهرب منها.
وفي هـ. أ: اي لم أر نعمة وطلبة مثل الجنة، ولانقمة وكراهة مثل النار، والضميران يـرجـعان الىٰ موصوف الكاف التي هي النعمة.

(٣) في هـ. أ: اي الهارب منها.

(٤) في هـ. أ: الضمير للشأن.

(٥) في هـ. ا وهـ. د: لم ينفعه ـ م.

(٦) في ط ود: يضرّه.

(٧) في هـ. ص: اي من لم يكن محقاً يكن مبطلاً؛ اذ لا واسطة.

(٨) في ط ود: يستقيم.

(٩)في هـ. أ: اي يعدل وينحرف.

(١٠) في هـ. ص: اي فعل الضلال، واتباع الهوىٰ مركب جموح.

(١١) في هـ. أ: اي السفر.

(١٢) في هـ. أ: اي اهديتم.

(١٣) في ب وط وهـ. د: فتزودوا ـ ض ح.

(١٤) هـ. د: وروي: تحوزون ـ ر، وفي هـ. أ: اي تقبضون ايديكم الىٰ انفسكم، وفي الهامش: في نسخة: تحوزون، اي تجمعون، وفي نسخة: تحرزون، اي: تجعلون فـي حـصن وحـرز عـن الهلاك، وكلاهما قريب. وفي ب: تحوزون :اي تجمعون.

اضمار الخيل قبل يوم السباق لكي تكون سريعة في الجري، وبعد ذلك يُسمّنها لتستعيد نشاطها.

وقد عبر عليه السلام عن الحياة الدنيا بأنه يوم المضمار الذي يفتقر فيه الانسان الى الاستعداد للسباق في الحياة الاخرىٰ، وقد علق الشريف الرضي رضي الله عنه على معنىٰ (السبقة) و (الغاية) تعليقاً رائعاً، نصّه: «وأَقُولُ: إنَّهُ لَوكاَنَ كلامٌ يَأْخُذ بِالأعْناَقِ إلَى الزُّهْدِ في الدُّنْياَ، ويَضْطَرُّ إلَى عَمَلِ الآخِرَةِ لَكاَنَ هَذاَ الْكَلاَمَ. وكَفى بِهِ قاَطِعاً لِعَلاَئِقِ الآمال، وقاَدِحاً[1] زِناَدَ الاتّعاَظِ وَالازْدِجار[2].

ومن أعْجَبِهِ قولُه عليه السلام: «ألا وإنَّ الْيَوْمَ الْمِضْماَرَ وغَداً السِّباقَ، والسَّبَقَةُ الْجنَّة وَالْغاَيَةُ النّار»، فَإنَّ فِيهِ مَعَ فَخاَمَةِ الّلفْظِ،[3] وعِظَمِ قَدْرِ الْمَعْنَى، وَصاَدِقِ الَّتمْثِيلِ، ووَاقِعِ التّشْبِيهِ، سِرًّا عَجِيباً ومَعْنىً لَطِيفاً، وهُوقَوْلُه عليه السلام: «والسّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْـغاَيَةُ النّـار»، فَـخاَلَفَ بَـيْنَ الّلفْظَيْنِ لاخْتِلاَفِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَلميَقُلْ: «والسّبَقَةُ النَّاَرُ» كَماَ قاَلَ: «والسَّبَقَةُ الْـجَنّةُ»؛ لأنَّ الاسْتِباَقَ إنَّماَ يَكُونُ إلَى أمْرٍ مَحْبُوبٍ وَغرَضٍ مَطْلُوبٍ[4]، وهَذِهِ صِفَةُ الْجَنَّةِ، وليْسَ هذا المعْنَى موجُوداً في النّاَر، نَعُوذُ باللهِ مِنْهاَ!، فَلميَجُزْ أَنْ يَقُول: «والسَّبَقَةُ النّاَرُ،» بلْ قـال: «والْغاَيَةُ النّار»، لأنَّ الغايَةَ قَدْ يَنْتَهِي إليهاَ[5] مَنْ لاَ يَسُرُّهُ الانْتِهاَءُ إليـهاَ، وَمَـنْ يَسُـرُّهُ ذٰلِك[6] فَصَلُحَ أَنْ يُعَبَّرَ بِهاَ[7] عَنِ الأمْرَيْنِ مَعاً، فَهِيَ في هَذٰا الْمَوْضِعِ كاَلْمَصِيرِ وَالْمَآلِ، قاَلَ اللهُ تَعاَلَى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإنَّ مَصِيرَكُمْ إلَى النّاَرِ﴾[8]، وَلايَجُوزُ في هَذٰا الْمَوْضِعِ أنْ يُقاَل: فَإنَّ «سَبْقتَكُمْ ـ بِسكونِ الْباَءِ ـ إلى النّارِ». فَتَأَمّلْ ذَلِكَ، فَباَطِنُهُ عَجِيب، وغَوْرُهُ بَعيدٌ لَطِيفٌ، وكَذٰلِكَ أَكْثَرُ كَلامِهِ عليه السلام».

---

(١) في هـ. أ بالفارسية ما ترجمته : القادح ما يوجب انقداح النار.
(٢) في هـ. أ: الامتناع.
(٣) في هـ. أ: اي عظم اللفظ.
(٤)في هـ. أ: اي باختيار ورغبة.
(٥) في هـ. أ: على غفلة وكره.
(٦) في هـ. أ: اي الانتهاء اليها.
(٧) في هـ. أ: اي بالغاية.
(٨) سورة ابراهيم: ١٤ /٣٠.

وَقَدْ جاَءَ في رِواَيَةٍ[١] أُخْرَى: «وَالسُّبْقَةُ الْجَنَّةُ» بضمّ السّين، والسُّبْقَةُ ـ عِنْدَهُمْ ـ: اسْم[٢] لَماَ يُجْعَلُ لِلسّابِقِ إذاَ سَبَقَ، مِنْ مال أوعَـرَضٍ، وَالْـمَعْنَيان مُتَقاَرِباَنِ؛ لأنَّ ذٰلِكَ لايَكُونُ جَزاَءً عَلَى فِعْلِ الأمْرِ المذْمُوم، وإنَّماَ يَكُونُ جَزَاءً عَلَى فِعْلِ الأمْرِ الْمحُبُوب[٣]».

٢ ـ التوبة قبل حصول المنيّة:

وفي التنبيه الثاني تركيز علىٰ ان وقت التوبة انما هو قبل وقت المنية، اي الموت، فلا يمكن فيه تأخير، فلابدّ ان يعجّل الانسان بالتوبة.

٣ ـ العمل ليوم البؤس:

وفي التنبيه الثالث اشارة الىٰ ان البؤس، اي الحاجة في الحقيقة انما هي في الحياة الاخرى، حيث لامجال فيها للعمل، لانها يوم النتيجة، فلابد من العمل في هذا اليوم لضمان الغد.

٤ ـ العمل قبل حضور الاجل:

وفي التنبيه الرابع تأكيد على ان الحياة الدنيا هي مجال الامل للحياة الاخرىٰ التي هي الاجل، فكما أن العمل في الاولىٰ ينفع في الآخرة، فان التقصير في الاولىٰ خسران في الاخرة.

٥ ـ العمل في الرغبة والرهبة:

وفي التنبيه الخامس إشارة الىٰ التوازن المطلوب في العمل بين حالتي الرغبة والرهبة، فالحالتان: الرجاء المطلق والخوف المطلق مذمومان، بل المطلوب الحالة المتوسطة بينهما، المستلزمة للعمل بالواجب في الحالتين.

٦ ـ الوعي لطالب الجنة والهارب من النار:

وفي التنبيه السادس تأكيد على ان الجنّة مطلوبة لكل انسان، شأنها شأن كل مطلوب، فهي تفتقر الىٰ طلب، والطلب لايمكن ان يتحقق بالنوم، بل بالعمل الدؤوب، وكذلك النار

---

(١) هذه الجملة وما بعدها من ب وهـ. أ: عن نسخة.
(٢) في أ: والسبقة اسم عندهم.
(٣) في أ وط ود: المحمود.

فهي امر مرغوب عنها، وشأنها شأن كل مرغوب عنه، فهي تفتقر الى الهـرب، والهـرب لايتحقق بالنوم، بل بالعمل الدؤوب، فالعمل مطلوب في الحالتين.

٧ـ الانتفاع بالحق والاستقامة بالهدى:

وفي التنبيه السابع بيان أن الحق والباطل طريقان متناقضان لايـجتمعان، والجـمع بينهما محال، وطبيعة الحق ان ينتفع من يعمل به عاجلاً ام آجلاً. وطبيعة الباطل ان يضرّ من يأخذ به عاجلاً ام آجلاً ـ كما يشهد بذلك التاريخ ـ فمن لا ينفعه الحق لابد وان يسلك مسلك الباطل الذي يضره عاجلاً أم آجلاً، ومن لايهتدي الىٰ الصراط المستقيم بسـبب الهدى لابد وان يضل، ويجر به الضلال الىٰ ان يترديٰ في الحياة عاجلاً أم آجلاً.

٨ـ الظعن، اي الرحيل بالزاد:

وفي التنبيه الثامن: أمرٌ بالظعن، اي الرحيل الىٰ الحياة الاخرىٰ، وانه يحتاج الىٰ الزاد، وهو العمل، وقد دلّ الكتاب والسنة الى تفصيل ذلك.

وختم الخطبة بأمرين يفتقر اليهما الانسان المسؤول في حياته، وهما:

اولاً: التحصن من اتباع الهوىٰ وطول الأمل، الموجبان لتأخير العمل ليوم الاجل.

الثاني: التزوّد في الدنيا بقدر الحياة التي يفتقر اليها الانسان بما (يحرز) اي يحفظ نفس الانسان في الحاضر والمستقبل (غداً)، واما التهالك في جمع المال للمال فلبس إلّا فقراً وعبودية للمادة التي يصبح الانسان لها حارساً، ولابد وان يتركها بعده.

[الخطبة ٢٩]

ومن خطبة له عليه السلام

تتضمن صفات الجيش ويتخللها استنهاض الهمم لمواجهة العدو

(١/ط - ٢٩) **صفات الجيش:**

أَيُّهَا النّاسُ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدانُـهُم، الْـمخْتَلِفَةُ أَهْـواؤُهُـمْ[١]، كَـلاَمُكُمْ يُـوهِي الصُّمَّ الصِّلاَبَ[٢]، وفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأعْداَء.

تَقُولُونَ في الْمجاَلِسِ: كَيْتَ وكَيْتَ[٣]، فإذاَ جاَء الْقِتاَلُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَياَدِ![٤] ماَ عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعاَكُمْ، وَلاَ اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قاَساَكُم[٥]، أَعاَلِيلُ[٦] بِأضاَلِيلَ[٧]، دِفاَعَ ذِي الدَّيْنِ

---

(١) في هـ. أ: الاهواء: الاراء.

(٢) في هـ. أ: الوهي: الضعف، والصمّ الصلاب: الحجارة الصلبة، اي يليّن أويُضعف الحجارة الشديدة والجبال الصلبة.

(٣) في هـ. أ: كيت وكيت، كناية عن الحديث، وفي هامش آخر: بفتح التاء وكسرها، وتاؤها هاء في ص، فصارت تاء.

(٤) في هـ. ص: هي كلمة يقولها الهارب الفارّ، وهي من: حاد عن الشيء، اي انحرف، وهي مبنيّة على الكسر. وفي هـ. أ: في ص، حيدي حادي، امر الخيل بالحيود، وحيدي ايتها الخيل: ابتعدي اوجانبي منا ايتها الحرب، والمحايدة: الحياد. وقيل: حياد: اسم للغارة في الصباح، وقوله: حيدي حياد: امر مرتين، كما قالوا: ارجعوا وراءكم، اي: ارجعوا ارجعوا. وفي هامش آخر منه: حاد عن الامر: اي عدل عنه، قال الجوهري: حيدي حياد، كقولهم: تنحّي نياح، ونقل: ان نياح اسم للغارة، كقطام، فحياد ايضاً اسم لها، والمعنىٰ: اعدلي عنا ايتها الحرب. ويحتمل ان يكون حياد من اسماء الافعال كنزال وتراك، فيكون قد امر بالتنحي مرتين بلفظتين مختلفتين.

وفي هـ. ب: حياد، مبنيّة علىٰ الكسر؛ لاجتماع ثلاثة اسباب: العدل والتأنيث والتوصيف. وفي هامش آخر منه: حيدي حياد: يعني ميلي عن الحرب يا حائدة ويا مائلة، اي: يا كثيرة الميل عن الحرب.

(٥) في هـ. أ: اي عالجكم.

(٦) في هـ. أ: جمع اعلول، وهي التعليل، اي: التسلّي، اي: معاليل. اويكون جمع اعلال، وهوالاتيان بالعلل.

(٧) في هـ. ص: الباء متعلقة باعاليل، اي تتعلّلون بالأضاليل التي لاجدوىٰ لها. وفي هـ. أ: جمع اضلولة والضلال، وقيل: هما جمعاً إعلال وإضلال، يقال: اعل اذا جاء بعلّة وصار صاحب علّة، وقيل: هما جمعان للعلة والضلّة. وهامش آخر: أعاليل وأضاليل جمع إعلال واضلال،

المطول(١). لايَمْنَعُ الضَّيْمَ(٢) الذَّلِيلُ، وَلاَ يُدْرَكُ الْحَقُّ إلاّ بِالْجِدّ(٣).

أَيَّ داَرٍ بَعْدَ دَارِكُمْ(٤) تَمنَعُونَ! ومَعَ أَيَّ إمامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ!(٥)، الْمَغْرُورُ ـ وَاللهِ ـ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، ومَنْ فازَ بِكُمْ فَقَدْ فاَزَ(٦) بِالسَّهْمِ الأخْيَبِ(٧)، ومَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ ناَصِلٍ.(٨)

أَصْبَحْتُ ـ وَاللهِ ـ لا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلا أَطْمَعُ في نَصْرِكُمْ، وَلا أُوعِدُ الْعَدُوبِكُمْ.

ماَبالُكُمْ؟ ماَ دَوَاؤُكُمْ(٩)؟ ماَ طِبُّكُم؟ الْقَوْمُ رِجاَلٌ أَمْثاَلُكُمْ.

أَقَوْلاً بَغَيْرِ عِلْمٍ(١٠)! وغَفْلَةً(١١) مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟!، وطَمَعاً في غَيْرِ حَقٍّ(١٢)؟!

من الصعب جداً تقسيم هذا المختار من الخطبة الى مقاطع، فهي بمجموعها تتضمن

جمع علّة واضلالة، وهي اسم لما يتعلل به من مرض وغيره، وضلة اسم من الضلال، يعني: الباطل. وفي هـ. ب: اضاليل، يجوز ان تكون جمع اضلولة، وهي الخصلة من خصال الضلالة، ويجوز ان تكون جمع اضلال، مقدر أضل، وتقديره: لكم أعاليل بأضاليل.

(١) في هـ. أ: اي الممنوع. وفي هامش آخر: والمطول: كثير المطال، وهوتطويل الوعد مع تسويف.

(٢) في هـ. أ: اي الظلم.

(٣) في ص هنا زيادة: «والتشمير»، وفي هـ. أ: الجد: الاجتهاد، وفى هـ. ب: الجد: الجهاد.

(٤) في هـ. أ: اي مكة.

(٥) في هـ. أ: اي تجاهدون وتغزون له.

(٦) وفي د: ومن فاز بكم فاز بالسهم، وفي هامش أ: في نسخة: فقد فاز والله.

(٧) في هـ. أ: اي لا خير فيكم كما لاخير في السهم الأخيب، وهوسهم لاحظّ له في الغمار، وهوثلاثة اسهم: السفيح، والمنيح، والوغد.

وفي هامش آخر: الاخيب: الأشدّ خيبة، وهي: الحرمان. في هـ. أ: الافوق: السهم المكسور الفوق، وهوموضع الوتر منه، والناصل: الذي لانصل فيه.

(٨) وفي هامش آخر: اي بسهم منكر لانصل فيه ـ علىٰ تقدير موصوف محذوف ـ، وناصل: ما خرج نصله وسقط.

(٩) في هـ. أ: اي علاجكم اوعادتكم.

(١٠) في ب: أقولاً بغير علم؟ وفي هـ. ص وهـ أ: في نسخة: بغير عمل.

(١١) في ب وهـ. أ: في نسخة: عفة، وفي هـ. د: عفة ـ م ك، وفي هـ. ب: في نسخة: وعقلة.

(١٢) في هـ. أ: اي يمنحهم ويعظمهم بما لايستحقونه، وليست هي واقعية ويجيبوا دعوته، وكأنه عليه السلام عرف عن بعضهم ان أحد اسباب غفلتهم عن ندائه انما هوطمعهم في ان يزاد عطياتهم اويمنحهم زيادة على ما يستحقونه كما فعل غيره... واشار الىٰ ذلك ونبههم الىٰ قبحه من حيث انه طمع في غير حق. اي تختارون قولاً وغفلة وطعماً. استفهام بمعنى النهي والانكار والمعنىٰ الايجاب؛ لاختيارهم السوء.

صفات الجيش ويتخللها استنهاض الهمم لمواجهة العدو، مشيراً الىٰ واجب الدفاع عن الوطن، والىٰ موقف القائد وواجبه من التوجيه الىٰ الطريقة المفضلة في الدفاع، والىٰ رأيه الشخصي في الجيش الذي يعمل بواجبه العسكري، على النقيض من جيش العدوّ الذي يتمتع بالانضباط العسكري.

واستفتح الخطبة بسلسلة من صفات الجيش وختمها بسلسلة من واجباته، ومن الصفات:

١ ـ (المجتمعة ابدانهم) فالجمهور كثيف في الحضور للاستفادة من الموقف، وربما لحب الاستطلاع فقط.

٢ ـ (المختلفة أهواؤهم) فان طبيعة كل الجماهير ان لاتتفق أهواؤهم وآراؤهم، وهذا متوقع في الجماهير بصفة عامة، ولكنها غير متوقعة في الجيش المفروض انضباطه في الأوامر العسكرية.

٣ ـ (كلامكم يوهي الصم الصلاب) والصم: الحجارة الصلبة، والصلاب: شدة الصلب، والايهاء: اضعاف الشيُ، فان الشعارات الحماسية التي يرفعها الجيش يؤثر على كل شئ مهما كان صلباً وحتىٰ على الحجارة الشديدة الصلابة، فكيف بالانسان المتطلّع الىٰ الحرية والعدل؟!.

٤ ـ (فعلكم يطمع فيكم الأعداء) لان الكلام لايطابق الافعال، وقد اوضح عليه السلام هذا التخالف بين القول والعمل في الفقرة التالية:

٥ ـ (تقولون في المجالس: كيت وكيت) فالاقوال مشجّعة، وعبارة (كيت وكيت) كناية عن الحديث المطلوب في وقت الخطاب، وفي المقام هو الحديث في كيفية القتال ومواجهة العدوّ.

٦ ـ (فاذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد) وعبارة (حيدي حياد) تعني اتخاذ موقف الحياد بالانحراف عن مواجهة العدو، وطبيعي ان هذا الموقف المتخاذل يخالف الشعارات الرنانة التي كانوا يرفعونها من قبل.

واستعرض عليه السلام امرين يترتبان علىٰ موقف التخاذل هذا، وهما:

اولاً: (ما عزّت دعوة من دعاكم) فان الدعوة الى الدفاع لاتكون عزيزة بسبب هذا الموقف المتخاذل أيّا ما كان الداعي، فان دعوته لأداء الواجب من دون اجبار تكون ذليلة لكونها لا تنفذ.

ثانياً: (ولا استراح قلب من قاساكم) اي الذي اجبركم على الدفاع بالقهر والشدة لايكون مستريح القلب بسبب ان القهر والشدة ليست من السياسة الاسلامية.

ومن ناحية اخرى، فان القهر والشدة والاجبار من دون ايمان بالحركة ينتج نتائج عكسية، ومنها: الفرار من الحرب واللجوء الى الجانب الآخر.

٧ ـ (أعاليل بأضاليل) وهما جمعان لأُعلولة وأُضلولة، ويعني ان كل ما تقولونه في توجيه المواقف انما هي علل باطلة تعبّر عن الضلالة في المبدأ والحركة والنتيجة والهدف.

٨ ـ (وسألتموني التطويل) وهو من المطل، اي التأخير في الموعد المقرر لاداء الواجب فيه.

٩ ـ (دفاع ذي الدين المطول) وهذا السؤال ليس إلّا مثل دفاع الذي استقرض مالاً ووجب عليه أداء الدين، ولكنه أخذ باطل في الاداء، ومماطلة الجيش في اداء الواجب بنفس تلك الدرجة.

واستعرض عليه السلام ـ استنهاضاً للجيش ـ حقائق يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار بالنسبة الى اي جيش محارب، وهي:

اولاً: (لايمنع الضيم الذليل) فان القوة هي الحاكمة، والذليل ـ مهما كان الحق الى جانبه ـ لايمكنه ان يمنع من الظلم كما لايمكنُه استرداد الحق المغتصب بالذل، وانما الطريق الوحيد لاسترداد الحق هو القوة.

وثانياً: (ولايدرك الحق إلّا بالجدّ) فان الحق المغتصب لايسترد إلّا بالجدّ في طلبه، واما من اهمل الواجب فلايحصل على شئ، فالطريق لاسترداد الحق المغتصب هو الجد بكل ما في الكلمة من معنى.

وثالثاً: في بيان الخيار المطروح (أي دار بعد داركم تمنعون؟!) فان الخيار اصبح واحداً فقط، وهو الدفاع عن الوطن بالقوة، فاذا حصل التعلل والتقاعس عن الحق الشرعي

الطبيعي، فلا يكون هناك خيار آخر لتحقيق النصر، بل لابد من الخضوع والذل للمتنصر.

ورابعاً: ما هو البديل (مع أي امام بعدي تقاتلون؟!)، فالامام بسياسته الواضحة المعلنة في المبادئ والأهداف هو خير من يمكن القتال الى جانبه، فان كان هذا التخاذل من الانقياد للأوامر تشكيكاً في صلاحية الامام ولابد من اختيار بديل، فلابد من بيان ذلك في جوّ مفعم بالحرية الكاملة التي يتمتع بها غالبية الشعب المسلم، وحيث لايوجد بديل للامام في حياته ـ كما هو معروف ـ فلايكون البديل من بعده إلّا من لايتمتع بالشعبية الواسعة التي يتمتع بها الامام عليه السلام، فيكون الحالة في الدفاع عن الوطن اصعب ان لم يكن مستحيلاً، كما اثبتته الاحداث المتأخرة عن وفاته عليه السلام.

١٠ ـ (المغرُور ـ والله ـ من غررتموه) فان الجيش المتخاذل المتعلل بأنواع العلل الواهية يظن انه قد غرّ القائد بهذه الاعذار، وقد أثبت الامام عليه السلام وعيه الكامل بهذه الوسائل، ونفىٰ ذلك مبيناً انه انما ادى واجبه القيادي في ظروف صعبة لتطبيق مسؤولياته مشيراً الى ذلك بقوله:

١١ ـ (ومن فاز بكم فقد فاز ـ والله ـ بالسهم الأخيب) وهو السهم الذي لاحظّ فيه في لعبة الميسر بالسهام، وفى ذلك اشارة الىٰ ان تحمل المسؤولية كانت في ظروف خارجة عن اختياره عليه السلام.

١٢ ـ (ومن رضى بكم فقد رمىٰ بأفوق ناصل) والناصل: حديدة السهم. والفوق: موضع الطعن من السهم، وأفوق ناصل: هو السهم المكسور الفوق، فلايكون ذا أثر في الرمي، وفى ذلك اشارة الىٰ ان الجيش المتخاذل لا اثر له في تحقيق النصر.

موقف القائد: وموقف الامام من هذا الجيش المتخاذل هو من أصعب المواقف، وقد لخّص عليه السلام موقفه بيلاث نقاط، هي: اولاً: (اصحبت ـ والله ـ لا أُصدّق قولكم) حيث اثبت الجيش عدم التزامه بهدي الامام عليه السلام.

ثانياً: (لا أطمع في نصركم) فان الطمع بالنصر إنما يكون ممن يؤمن بمبدأ التحرك، وقد اثبت الجيش خلاف ذلك.

ثالثاً: (ولا أُوعد العدوّ بكم) لان العدوّ يعرف موقف الجيش المتخاذل عن تعاليم

الامام، إما عن طريق جواسيسه، أو بدراسة المواقف، فلا يكون الإيعاد والتهديد من القائد للعدوّ موقفاً سديداً في مثل هذه الحالة.

(٢/ط ـ ٢٩) استنهاض الهمم:

وختم الامام عليه السلام الخطبة باستنهاض همم الجيش لتحمّل مسؤوليته في الدفاع عن الدين والوطن بطرح اسئلة ثلاث، هي:

١ ـ (ما بالكم؟!) فان الجيش ينبغي ان يلتزم بالتفكير الصحيح الحازم.

٢ ـ (مادواؤكم؟!) فان حالة تفسية تخاذلية كهذه داء نفسي يفتقر الىٰ دواء.

٣ ـ (ما طبّكم؟!) فان هذا المرض يفتقر الى علاج، ولايرىٰ الامام من دواء أو علاج لهذه الحالة إلّا بالاستنهاض فاستنهض الجيش بنقاط أربع، هي:

١ ـ (القوم رجال أمثالكم)، فمستوىٰ المتحاربين واحد من الناحية البشرية، وان كانوا مختلفين من النواحي التالية:

٢ ـ ([يقولون] قولاً بغير علم) فالعدوّ يقول مالا علم به، وهذا على النقيض من جيش الاسلام الذي يتحرك عن وعي وعلم.

٣ ـ ([يعملون عن] غفلة من غير ورع) فالعدوّ في عمله غافل عن الحقائق؛ لتأثير الدعايات المضلّلة فيه، من غير ورع عن ارتكاب المحارم في حق المحاربين وغيرهم من النساء والعزّل. علىٰ النقيض مما عليه جيش الاسلام حيث انه يعمل وفق مبادئ وقوانين الاسلام، فلا يعتدي على الاهالي، بل يركّز على المحاربين من العدوّ فقط وبالطرق المشروعة.

٤ ـ (وطمعاً في غير حق) فالعدوّ يطمع في الحكم من غير استحقاق له، وجيش الاسلام يريد الحكم لتطبيق حكم الله على الارض وبسط العدالة في المجتمع الاسلامي للمسلمين وغيرهم.

وكل واحدة من هذه النقاط تكفي لان يكون جيش الاسلام اقوىٰ واحرص علىٰ اداء الرسالة وتحقيق النصر من جيش العدوّ، وعن تاريخ وخلفية هذه الخطبة قال ابن ابي

الحديد (ت / ٦٠٦ هـ): مانصه: «وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في غارة الضحاك بن قيس ، ونحن نقص ها هنا غارة الضحاك بن قيس ونتف من أخباره ، روى إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفي في كتاب «الغارات» قال : كانت غارة الضحاك بن قيس بعد الحكمين ، وقبل قتال النهروان ، وذلك أن معاوية لما بلغه أن عليا عليه السلام بعد واقعة الحكمين تحمل إليه مقبلا ، هاله ذلك ، فخرج من دمشق معسكرا ، وبعث إلى كور الشام ، فصاح بها : إن عليا قد سار إليكم . وكتب إليهم نسخة واحدة ، فقرئت على الناس .

أما بعد ، فإنا كنا كتبنا كتابا بيننا وبين عليّ ، وشرطنا فيه شروطا ، وحكمنا رجلين يحكمان علينا وعليه بحكم الكتاب لا يعدوانه ، وجعلنا عهد الله وميثاقه على من نكث العهد ولم يمض الحكم ، وإن حَكَمي الذي كنت حكمته أثبتني ، وإن حَكَمَه خلعه ، وقد أقبل إليكم ظالما، ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾[١] ، تجهّزوا للحرب بأحسن الجهاز ، وأعدوا آلة القتال، وأقبلوا خفافا وثقالا، يسّرنا الله وإياكم لصالح الاعمال !.

فاجتمع إليه الناس من كل كورة [٢] وأرادوا المسير إلى صفين ، فاستشارهم ، وقال : إن عليا قد خرج من الكوفة ، وعهد العاهد به أنه فارق النخيلة [٣] .

فقال حبيب بن مسلمة : فإني أرى أن نخرج حتى ننزل منزلنا الذي كنا فيه ، فإنه منزل مبارك ، وقد متعنا الله به وأعطانا من عدونا فيه النصف .

وقال عمرو بن العاص : إني أرى لك أن تسير بالجنود حتى توغلها في سلطانهم من أرض الجزيرة ، فإن ذلك أقوى لجندك ، وأذل لأهل حربك .

فقال معاوية : والله إني لاعرف أن الذي تقول كما تقول ، ولكن الناس لا يطيقون ذلك. قال عمرو : إنها أرض رفيقة ، فقال معاوية : إن جهد الناس أن يبلغوا منزلهم الذي كانوا به – يعني صفين –.

فمكثوا يجيلون الرأي يومين أو ثلاثة ، حتى قدمت عليهم عيونهم : أن عليا اختلف

---

(١) الفتح : ١٠ .
(٢) الكورة : كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلتك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر ، يجمع اسمها . (معجم البلدان ١: ٣٦)
(٣) النخيلة : موضع قرب الكوفة .

عليه أصحابه ففارقته منهم فرقة أنكرت أمر الحكومة ، وأنه قد رجع عنكم إليهم . فكبر الناس سرورا لانصرافه عنهم ، وما ألقى الله عزوجل من الخلاف بينهم . فلم يزل معاوية معسكرا في مكانه ، منتظرا لما يكون من عليّ وأصحابه ، وهل يقبل بالناس أم لا ؟ فما برح حتى جاء الخبر أن عليا قد قتل أولئك الخوارج ، وأنه أراد بعد قتلهم أن يقبل بالناس ، وأنهم استنظروه ودافعوه ، فسر بذلك هو ومن قبله من الناس .

قال : وروى ابن أبي سيف ، عن يزيد بن يزيد بن جابر ، عن عبد الرحمن بن مسعدة الفزاري قال : جاءنا كتاب عمارة بن عقبة بن أبي معيط ، وكان بالكوفة مقيما ، ونحن معسكرون مع معاوية ، نتخوف أن يفرغ عليّ من الخوارج ثم يقبل إلينا ، ونحن نقول : إن أقبل إلينا كان أفضل المكان الذى نستقبله به ، المكان الذي لقيناه فيه العام الماضي . فكان في كتاب عمارة بن عقبة : أما بعد : فإن عليا خرج عليه قراء أصحابه ونساكهم ، فخرج إليهم فقتلهم ، وقد فسد عليه جنده وأهل مصره ، ووقعت بينهم العداوة ، وتفرقوا أشد الفرقة ، وأحببت إعلامك لتحمد الله، والسلام .

قال عبد الرحمن بن مسعدة : فقرأه معاوية على وجه أخيه عتبة ، وعلى الوليد بن عقبة ، وعلى أبي الاعور السلمي ، ثم نظر إلى أخيه عتبة وإلى الوليد بن عقبة ، وقال للوليد : لقد رضي أخوك أن يكون لنا عينا . فضحك الوليد وقال : إن في ذلك أيضا لنفعا.(١)

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ١١٤ ـ ١١٥.

[الخطبة ٣٠]

ومن خطبة له عليه السلام

يشير الامام في هذا الكلام الىٰ مقتل عثمان الذي يعتبر الفتنة الكبرىٰ في تاريخ الاسلام، حيث بدأ الانشقاق بالمؤاخذات الادارية وانتهت بانفصال القيادة عن القاعدة وجر ذلك الىٰ مرحلة الطلاق، والتاريخ الاسلامي مليئ بالأخبار عن هذه المرحلة الصعبة في أُخريات الخلافة. وكان دور الامام في هذه المرحلة الحرجة من أصعب الادوار، فقد كان له رأيه في المؤخذات الادارية شأن كل الصحابة في ذلك العصر، حيث وجدوا تغلغل الامويين في امور الخلافة انحرافاً عن الخلافة النبوية، وأعلنوا عن سخطهم ذلك في اكثر من مناسبة، ولكن لم يكن أحد منهم يتصور ان الأمر سينتهي الىٰ مقتل عثمان (رض).

والامام قام بدور الوسيط عند طلب الخليف عثمان ذلك بنفسه، ولكن الحاشية الاموية كانت تقف حجر عثرة دون تنفيذ مايتطلبه الموقف من الاصلاح، وخاصة مروان بن الحكم الاموي الذي كان يدبر سياسة الخليفة عثمان، البالغ من العمر ست وثمانين عاماً.

(١/ط - ٣٠) في معنى قتل عثمان:

لَو أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قاتِلاً، أَونَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ ناصراً[١]، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ[٢] لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَه مَنْ أناَ خَيْرٌ مِنْهُ، ومَنْ خَذَلَهُ[٣] لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوخَيْرٌ مِنّي. وأَناَ جامِعٌ لَكُمْ أَمْرَه[٤]، اسْتَأْثَرَ[٥] فَأَساَءَ الأثَرَة[٦]، وجَزِعْتُمْ[٧] فَأَسَأْتُمْ الْجَزَع، وَلله

---

(١) في هـ. أ مايلي: تبرّأ عليه السلام من قتل عثمان ونصره جميعاً، واذا لم يكن ناصرا له ولاقاتلا لم يبق إلّا الخاذل؛ ثم طفق يعتذر للخاذل لأنّه ...الاثرة ما استحق النصر ولم يكن للقاتل ان يقتله ايضا، وكان ما فعله الخاذل اولىٰ بالحزم.

(٢) في هـ. أ: يعني مروان بن الحكم نصره، و طلحة والزبير خذلاه، فليس لمروان ان يقول: انا خير من طلحة والزبير، و ليس لطلحة والزبير ان يقولا: مروان خير منّا.

(٣) في هـ. أ: الخاذل عبد الله بن مسعود.

(٤) في هـ. ب: اي اجمع لكم بيان امره، اوشرح امره.

(٥) في هـ. أ: اما استئثار عثمان، فاستبداده برأيه فيما الأمة شركاء فيه، والخروج في ذلك الىٰ حد الافراط الذي أفسد معه نظام الخلافة عليه، وادّىٰ الىٰ قتله، وأمّا قاتلوه فلخروجهم في

حُكْمٌ وَاقِعٌ[٨] في الْمُسْتَأْثِرِ[٩] والْجازِعِ[١٠].

فيشير الامام الىٰ هذا الموقف الصعب الذي يكون الأمر بالقتل رضاً به، والنهي عنه يكون نصراً لسياسته، كلاهما مرفوضان من منطق العدالة الاسلامية. فليس الامام قاتلاً؛ لانه لم يصدر الأمر منه. كما انه لم يكن مناصراً لسياسته المنحرفة وكل ما يفهم من كلامه عليه السلام انه لم ينصر سياسته الحاكمة ولم يأمر بالقتل، وانه لم يكن في دور المسؤولية حتىٰ يأمر وينهىٰ في شئ من ذلك؛ لان مسؤولية الخلافة كانت ملقاة على عاتق عثمان ولم يكن الامام مسؤولاً عنها آنذاك.

واوضح عليه السلام صعوبة ذلك بان الناصر لايمكن ان يعتبر نفسه خيراً من غير الناصر، لان النصر وعدم النصر لم يكن للاشخاص بل للسياسة الحاكمة، وكذلك لايمكن الخاذل ان يعتبر نفسه خيراً من الناصر، لان الخاذل لم يقم بدور ايجابي ميسور في الاصلاح ولكن الامام قام بذلك خير قيام، وهو عليه السلام وان لم ينجح في الاصلاح لكنه نجح في أداء الدور الايجابي المطلوب في الموقف الصعب.

(٢/٣٠ـ ط) الاستبداد والثورة:

وفي الكلمات الأخيرة اشارة الىٰ نتيجة كل من الاستبداد والثورة عليه، وهذه النتيجة

الجزع من فعله الىٰ طرف التفريط عما كان ينبغي لهم من التريّث وانتظار اصلاح الحال بينهم بدون القتل.

(٦) في هـ. أ: قال المؤبري انه فوض الاعمال الىٰ بعض قرابته صلة للرحم، فما راعىٰ القريب حق العمل.

(٧) في هـ. أ: يعني جزعتم في أمر عثمان فافرطتم في الجزع، بان اخترتم قتله، فالحاصل انهم مفرطون في الجزع كمال الإفراط، وفرّط هوفي استبداد ما ليس له.

(٨) في هـ. أ: قوله عليه السلام: «ولله الحكم الواقع» يريد بالحكم الواقع: الحكم المكتوب المقدر قضائه تعالىٰ في اللوح.

(٩) في هـ. أ و ب: اي عثمان.

(١٠) في هـ. أ: القوم، وفي هامش آخر: وفي الجازع: هوالحكم لقاتليهم لكونهم قاتلين وجازعين، وفي نسبة هذه الاحكام الىٰ الله تعالىٰ تنبيه علىٰ تبرّئه من الدخول في أمر عثمان وقاتليه.

ويحتمل ان يكون الحكم في الاخرة لاحق لكل من الثواب والعقاب عما ارتكبه من خطأ أو صواب. كقوله تعالىٰ: ﴿والله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾.

صادقة دائما في كل السياسات التي تسلك سبيل الاستبداد في الحكم، فقال ﷺ عن عثمان: انه (استأثر فأساء الأثرة)، والأثرة بمعنىٰ الاستبداد في الحكم، وحيث ان كل فعل له ردّ فعل مباشر، فكان الرد هو الجزع والسخط واعلان المؤاخذات التي انتهت الىٰ الثورة الدامية فيكون الخطأ من الطرفين.

ولكل من الاستبداد والمؤخذات حدود مقبولة اذا استخدمت الطرق المشروعة في بيانها. فان الاستبداد بالرأي بعد السماع من اصحاب الشورى مقبول، كما ان اعلان المؤخذات بالطرق السلمية مقبول ايضاً، واذا تجاوز كل منهما الحد المقبول فانه سوف يكون مرفوضاً، وهذا ما حصل بالفعل في مقتل عثمان، ولخصها الامام في كلمة جامعة:

اما بالنسبة الى عثمان، فقال: (استأثر فأساء الأثرة) لاستبداده في الرأي من دون مشورة اهل الحل والعقد، بل بدلاً من ذلك اعتمد علىٰ رأي مروان بن الحكم خاصة، وذلك تجاوز لحدود الاستبداد.

وأما بالنسبة الى الثائرين، فقال: (جزعتم فأسأتم الجزع)؛ فان اظهار الجزع والحزن لما لايوافق رأي الانسان مقبول عند حدوده، في حين انه هنا تجاوز الحد حتىٰ انتهىٰ الىٰ القتل.

وختمها بقوله: (ولله حكم واقع في المستأثر والجازع) حيث ان كل فعل ردّ فعل في الحياة، فالمستأثر المستبد لابد وان يواجه المعارضة بنفس الشدة، وكذلك حال الجازع.

ونتيجة ذلك: ان الحل الحقيقي للاستبداد ليس إلّا الاصلاح، لا الثورة. وكانت سيرة الامام في المرحلة الصعبة مبتنية على الاصلاح فقط، كما هو مشروح في التاريخ.

وتكفلت كتب التاريخ تفصيل مقتل الخليفة عثمان (رض) وقد أشرت الىٰ ذلك في «موارد الاعتبار» وذكرها الشارح بتفصيل، ونكتفي هنا بما ذكره الشارح من حديث عليّ وعثمان، حيث يكشف عن خلفيات هذا الكلام، قال الشارح ابن ابي الحديد (ت / ٦٠٦ هـ) مانصه: «وروى أبو جعفر ، قال : لما نزل القوم ذا خشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما يكرهون ، وعلم عثمان ذلك ، جاء إلى منزل عليّ ﷺ ، فدخل وقال : يا بن عم ، إن قرابتي قريبة ، ولي عليك حق ، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي ، ولك عند الناس قدر ، وهم يسمعون منك ، وأحب أن تركب إليهم فتردهم عني ، فإن في دخولهم

علي وهنا لامري ، وجرأة عليّ . فقال عليه السلام : على أي شئ أردهم ؟ قال : على أن أصير إلى ما أشرت به ، ورأيته لي . فقال عليّ عليه السلام : إني قد كلمتك مرة بعد أخرى ، فكل ذلك تخرج وتقول ، وتعد ثم ترجع ! وهذا من فعل مروان ومعاوية وابن عامر وعبد الله بن سعد ، فإنك أطعتهم وعصيتني ! قال : عثمان فإني أعصيهم أطيعك .

فأمر عليّ عليه السلام الناس أن يركبوا معه ، فركب ثلاثون رجلا من المهاجرين والانصار ، منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبو جهم العدوي ، وجبير بن مطعم ، وحكيم بن حزام ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد .

ومن الانصار أبو أسيد الساعدي ، وزيد بن ثابت ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وغيرهم .

فأتوا المصريين فكلموهم ، فكان الذي يكلمهم عليّ ومحمّد بن مسلمة ، فسمعوا منهما ، ورجعوا بأصحابهم يطلبون مصر ، ورجع عليّ عليه السلام حتى دخل على عثمان ، فأشار عليه أن يتكلم بكلام يسمعه الناس منه ، ليسكنوا إلى ما يعدهم به من النزوع . وقال له : إن البلاد قد تمخضت عليك ، ولا آمن أنه يجئ ركب من جهة أخرى ، فتقول لي : يا عليّ ، إركب إليهم ، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك ، واستخففت بحقك .

فخرج عثمان ، فخطب الخطبة التي نزع فيها ، وأعطى الناس من نفسه التوبة ، وقال لهم : أنا أول من اتعظ ، وأستغفر الله عما فعلت وأتوب إليه ، فمثلي نزع وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروا رأيهم ، وليذكر كل واحد ظلامته لاكشفها ، وحاجته لاقضيها ، فو الله لئن ردني الحق عبدا لاستن بسنة العبيد ، ولاذلن ذل العبيد ، وما عن الله مذهب إلّا إليه ، والله لاعطينّكم الرضا ، ولانحينّ مروان وذويه ، ولا أحتجب عنكم .

فرق الناس له وبكوا حتى خضلوا لحاهم ، وبكى هو أيضا ، فلما نزل وجد مروان وسعدا ونفرا من بني أمية في منزله قعودا، لم يكونوا شهدوا خطبته ، ولكنها بلغتهم ، فلما جلس ، قال مروان : يا أمير المؤمنين ، أأتكلم أم أسكت ؟

فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان : لا بل تسكت ، فأنتم والله قاتلوه وميتّموا أطفاله ، إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها .

فقال لها مروان : وما انت وذاك ! والله لقد مات أبوك وما يحسن أن يتوضأ !

فقالت : مهلا يا مروان عن ذكر أبي إلّا بخير ، والله لو لا أن أباك عم عثمان ، وأنه يناله غمه وعيبه ، لأخبرتك من أمره بما لا أكذب فيه عليه .

فأعرض عنه عثمان ، ثم عاد فقال : يا أمير المؤمنين ، أ أتكلم أم أسكت ؟

فقال : تكلم. فقال : بأبي أنت وأمي ! والله لوددت أن مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع ، فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ، ولكنك قلت ما قلت ، وقد بلغ الحزام الطبيين ، وجاوز السيل الزبى (١) ، وحين أعطي الخطة الذليلة الذليل ، والله لاقامة على خطيئة تستغفر الله منها ، أجمل من توبة تخوف عليها ، ما زدت على أن جرأت عليك الناس .

فقال عثمان : قد كان من قولي ما كان ، وإن الفائت لا يرد ، ولم آل خيرا . فقال مروان : إن الناس قد اجتمعوا ببابك أمثال الجبال ، قال : ما شأنهم ؟ قال : أنت دعوتهم إلى نفسك ، فهذا يذكر مظلمة ، وهذا يطلب مالا ، وهذا يسأل نزع عامل من عمالك عنه ، وهذا ما جنيت على خلافتك ، ولو استمسكت وصبرت كان خيرا لك . قال : فاخرج أنت إلى الناس فكلمهم فإني أستحيي أن أكلّمهم وأردّهم .

فخرج مروان إلى الناس ، وقد ركب بعضهم بعضا ، فقال : ما شأنكم ؟ قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب ، شاهت الوجوه !(٢) أتريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ! اعزبوا عنا ، والله إن رمتمونا لنمرن عليكم ما حلا ، ولنحلن بكم ما لا يسركم ، ولا تحمدوا فيه غبّ رأيكم (٣)، ارجعوا إلى منازلكم ، فإنا والله غير مغلوبين على ما في أيدينا .

فرجع الناس خائبين يشتمون عثمان ومروان ، وأتى بعضهم علياعليه السلام فأخبره الخبر، فأقبل عليّعليه السلام على عبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث الزهري ، فقال : أحضرت خطبة عثمان ؟ قال : نعم ، قال : أحضرت مقالة مروان للناس ؟ قال : نعم.

فقال : أي عباد الله ، يا لله للمسلمين ! إني إن قعدت في بيتي ، قال لي : تركتني

---

(١) جاوز الحزام الطبيين ، مثل ، يقال لمواضع الاخلاف من الناقة أطباء ، واحدها طبى ، بضم الطاء وكسرها ، فإذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى في المكروه . ومثله جاوز السيل الزبى ، والزبى : جمع زبية ، وهي مصيدة الاسد ، ولا تتخذ إلّا في قلة أو هضبة أو رابية .

(٢) شاهت الوجوه : قبحت .

(٣) غب رأيكم ، أي عاقبة رأيكم .

وخذلتني ! وإن تكلّمت فبلّغت له ما يريد ، جاء مروان فتلعّب به حتى قد صار سيقة له[١]، يسوقه حيث يشاء ، بعد كبر السن وصحبته الرسول صلى الله عليه وآله .

وقام مغضبا من فوره حتى دخل على عثمان ، فقال له : أما يرضى مروان منك إلّا أن يحرفك عن دينك وعقلك ! فأنت معه كجمل الظعينة ، يقاد حيث يسار به ، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا عقله ، وإني لاراه يوردك ثم لا يصدرك ، وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك ، أفسدت شرفك ، وغلبت على رأيك . ثم نهض .

فدخلت نائلة بنت الفرافصة ، فقالت : قد سمعت قول عليّ لك ، وإنه ليس براجع إليك ولا معاود لك ، وقد أطعت مروان يقودك حيث يشاء . قال : فما أصنع ؟ قالت : تتقي الله وتتبع سنة صاحبيك ، فإنك متى أطعت مروان قتلك ، وليس لمروان عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة ، وإنما تركك الناس لمكانه ، وإنما رجع عنك أهل مصر لقول عليّ ، فأرسل إليه فاستصلحه ، فإن له عند الناس قدما ، وإنه لا يعصى . فأرسل إلى عليّ فلم يأته. وقال : قد أعلمته أني غير عائد.

قال أبو جعفر : فجاء عثمان إلى عليّ بمنزله ليلا ، فاعتذر إليه ، ووعد من نفسه الجميل ، وقال : إني فاعل ، وإني غير فاعل ، فقال له عليّ عليه السلام : أبعد ما تكلمت على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأعطيت من نفسك ، ثم دخلت بيتك ، وخرج مروان إلى الناس يشتمهم على بابك ! فخرج عثمان من عنده ، وهو يقول : خذلتني يا أبا الحسن ! وجرّأت الناس عليّ ! فقال عليّ عليه السلام : والله إني لاكثر الناس ذباً عنك ، ولكني كلما جئت بشئ أظنه لك رضاً ، جاء مروان بغيره ، فسمعت قوله ، وتركت قولي .

ولم يغد عليّ إلى نصر عثمان ، إلى أن منع الماء لما اشتد الحصار عليه ، فغضب عليّ من ذلك غضبا شديدا ، وقال لطلحة : أدخلوا عليه الروايا ، فكره طلحة ذلك وساءه ، فلم يزل عليّ عليه السلام حتى أدخل الماء إليه .[٢]

(١) سيقة له ، أي: مسوقا .

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ١٤٤ ـ ١٤٨.

[الخطبة ٣١]

ومن كلام له عليه السلام لعبد الله بن العباس
لمّا أنفذه الىٰ الزبير
يستفيئهُ[١] الىٰ طاعته قبل حرب الجمل[٢]

(١/ط - ٣١) طلحة بن عبدالله (ت / ٣٦هـ):

لاتَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإنَّك إنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كالَثَّوْرِ عاقِصاً قَرْنَه[٣]، يَرْكَبُ الصَعْبَ[٤] ويَقولُ: هُوالذلُول،[٥] ولَكِن الْقَ الزُّبَيْرَ[٦]، فَإنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً[٧]، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خـاَلِكَ: عَرَفْتَنِي بِالحِجاَزِ[٨] وأنْكَرْتَنِي بِالعِراق[٩]، فَماَ عَداَ مِمَّا بَدَا؟![١٠]

---

(١) وفي نسخة ب: ليستفيئه، وفي ه. ص: يستفيئه: يسترجعه، وفي ه. أ: يستفيئه اي يسترجعه من فاء: اذا رجع.

(٢) في ه. أ: لما أنفذ عبد الله بن العباس الى الزبير يستفيئه الى طاعته قبل وقوع حرب الجمل، وفي ب وط ود: لما انفذ عبد الله بن العباس الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل. وفي أ زيادة: فقال له عليه السلام، وفي ب: زيادة قال له عليه السلام. وفي ه. أ وفي ط في نسخة زيادة: قال له عليه السلام.

(٣) في ه. ص: عاقصاً، اي عاطفاً له، مميلاً له الىٰ جانب للطعن. وفي ه. أ: عاقصاً، اي معوجاً قرنه الىٰ اذنه من خلفه، دلّ به علىٰ التواء، وفي هامش آخر فيه: العقص هواعوجاج، وعقص الثور قرنه ـ بالفتح ـ متعدّ، وبالكسر لازم. وفي هـ. ب: عاقصاً لاوياً.

(٤) في ه. أ: الصعب: الدابة الجموح.

(٥) في ه. أ: الذلول: الساكنة السهلة.

(٦) في هامش ب: ابن خاله، كان أمير المؤمنين عليه السلام ابن خال الزبير؛ لان ام الزبير هي صفية بنت عبد المطلب، وصفية عمّة أمير المؤمنين عليه السلام وعمّة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزبير ابن عمتي وحواريّ من امتي.

(٧) في ه. ص: العريكة هي هنا الطبيعة، وقد تطلق علىٰ اعلىٰ السنام. وفي ه. أ: بقية السنام: عبارة عن لين خلق، وفي هـ. ب: العريكة: اعلىٰ السنام.

(٨) في ه. ب: الحجاز يعني المدينة.

(٩) في ه. ب: العراق يعني بالبصرة.

(١٠) في ه. أ: اي ما صرفك عني مما بدا لك مني؟ اوما صرفك عما كان بدا لك من بيعتك ونصرتك ايّاي؟، وفي هامش، آخر منه: قوله: فما عدا مما بدا، قيل: من بمعنىٰ عن، أي عما بدا منك إليّ، اي ظهر، اي: ما الذي صرفك عن طاعتي بعد اختيارك لها؟ المفعول «كثير كقوله تعالىٰ: ﴿وسل من ارسلنا﴾ اي ارسلناه. وفي ه. ب: قوله عليه السلام: فما عدا مما بدا، اي ما صرفك عني مما ظهر لك مني. وفي ه. ص: عدا: أي صرف، وبدا: ظهر.

قال السيد[١] رحمة الله عليه[٢]: وهو عليه السلام أَوَّلُ مَنْ سُمِعَتْ مِنْهُ هذه الْكَلمة ـ أَعْنِي: «فَماَ عَداَ مِمَّا بَدَا.

لم تذكر تراجم الصحابة بتفصيل الصفات النفسيّة لكلّ من الصحابيّين: طلحة والزبير، وفي التراجم اشارة الىٰ طبيعة العمل الذي كان طلحة يمتهن به وهو التجارة، وقيل: في طريق الشام التجسس لصالح رسول الله صلى الله عليه وآله، اما الزبير فكان له ألف، مملوك يؤدون اليه الخراج، وكان سخياً، والسخاء يستلزم الغنىٰ.

وهما بعد يشتركان في الصحبة ومشاهدة اغلب المواقف مع رسول الله صلى الله عليه وآله، كما يشتركان في الغنىٰ المادي الذي يوجب الانفاق بسخاء وخاصة بالنسبة الىٰ من له الف مملوك، وفي ذلك اشارة الى السبب في خروجهما معاً على امير المؤمنين عليّ عليه السلام، والغريب انه بعد هذا الخروج المتحد، حاول كل واحد منهما الرجوع عن مواقفه بعد حديث قصير مع الامام عليّ والتذكير لهما ببعض المواقف، والاغرب ان الحليف الاموي مروان ـ الذي كان معهما في الخروج ـ هو الذي قضىٰ على طلحة بعد قراره الرجوع كما يشهد بذلك كتب التراجم.

من هو طلحة؟

أمّا طلحة، فهو طلحة بن عبدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي، ويعرف بطلحة الخير، وهو من السابقين الاولين في الاسلام، ولم يشهد بدراً لانه كان حينئذٍ بالشام، فقدم بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله من بدر فكلم رسول الله من في سهمه فقال: لك سهم، وقيل: كان في الشام تاجراً، وقيل: بل ارسله رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه سعيد بن زيد الىٰ طريق الشام يتحسّسان الاخبار، ثم رجعا الىٰ المدينة، وشهد احداً وما بعدها من المشاهد، ووقىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بيده حتىٰ شلّتْ اصبعه، قال ابن الاثير (ت / ٦٣٠هـ) في «أسد الغابة»: «وقتل طلحة يوم الجمل وكان شهد ذلك اليوم محاربا لعليّ بن أبي طالب رضى الله عنهما، فزعم بعض أهل العلم أن عليا دعاه فذكّره أشياء من سوابقه على ما قال للزبير فرجع عن قتاله واعتزل في بعض الصفوف فرمى بسهم في رجله،

---

(١) في ط: قال الرضي رحمه الله. وفي د: اقول.
(٢) ما بين المعقوفتين لم ترد في ص وب.

وقيل: ان السهم أصاب ثغرة نحره فمات، رماه مروان بن الحكم. (١)

الزبير بن العوام (ت / ٣٦هـ):

واما الزبير، فهو ابو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزىٰ بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي الاسدي. امه صفية بنت عبد المطلب، اسلم وهو ابن خمس عشرة سنة أو اثنتي عشر، أو ستة عشر سنة، وقيل غير ذلك، هاجر الىٰ الجشة والىٰ المدينة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله: أُحُداً والخندق والحديبية وخيبر والفتح والطائف، وشهد فتح مصر، وكان من اصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر بن الخطاب للخلافة من بعده، وقيل: كان له الف مملوك يؤدون اليه الخراج، قال ابن الاثير (ت / ٦٣٠ هـ) في «أسد الغابة»: «وشهد الزبير الجمل مقاتلا لعليّ فناداه عليّ ودعاه فانفرد به، وقال له: أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فنظر إليّ وضحك وضحكت، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال: ليس بمزهٍ، ولتقاتلنّه وأنت له ظالم؟. فذكر الزبير ذلك فانصرف عن القتال، فنزل بوادي السباع وقام يصلي، فأتاه ابن جرموز فقتله وجاء بسيفه إلى عليّ، فقال: ان هذا سيف طالما فرّج الكرب عن رسول الله ﷺ. ثم قال: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الاولى من سنة ست وثلاثين، وقيل: ان ابن جرموز استأذن على عليّ فلم يأذن له، وقال للآذن: بشّره بالنار. (٢)

صفات اخرىٰ:

يتعرض هذا المقطع من الكلام لصفات اخرى للصحابيّين لم تصرّح بها المصادر، وهي:

اولاً ـ صفات نفسية لطلحة:

وصفه بأنه (كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول: هو الذلول)، والثور حيوان قوي الجسم، وقد جاء في ترجمته الشخصية انه كان (عريض المنكبين، اذا التفت التفت جميعاً، ضخم القدمين) ومن صفاته النفسية انه كان يركب الحيوان الصعب، اي الحيوان

(١) أسد الغابة ؛ لابن الاثير ٣ : ٦٠.
(٢) أسد الغابة ؛ لابن الاثير ٢ : ١٩٩.

الجموح الذي لايلين للركوب، ومع علمه بانه صعب فهو يدعي انه ذلول سهل الركوب. وهذه تدل على ان من صفاته الاستهانة بالامور العظام، ومن كانت هذه صفته فانه يوافق عمله في التجسس.

وكذلك ذكر من صفته الشخصية بانه (عاقص القرن)، والعقص هو تلوية الشعر كالقرن، وهو كناية عن التجبّر والتكبّر.

وطبيعي ان شخصية بهذه الاوصاف لايمكن التفاهم معها.

ثانيا ـ صفات نفسية للزبير:

وهي على النقيض من صفات طلحة، فهو (لين العريكة) وهي الطبيعة، كناية عن استعداده للتفاهم من دون غرطسة أو تكبّر.

وكان عليّ عليه السلام واقفا علىٰ هذه الصفات النفسية لهذين الصحابيين لاشتراكهم جميعاً في مشاهد النبي صلى الله عليه وآله المختلفة، ويزيد ذلك بالنسبة الىٰ الزبير انه يتمتع برابطة القرابة، ونسبة عليّ الىٰ الزبير هي (ابن الخال) كما صرح به في الكلام؛ لان اُم الزبير هي صفية بنت عبد المطلب، وهو عليه السلام عليّ بن ابي طالب بن عبد المطلب، فيكون ابو طالب خالاً للزبير، وعليّ ابن خاله.

وقد نقل رسالة الامام عليه السلام عبدالله بن عباس الذي كان على معرفة بهم جميعاً، واستخدم الامام اسلوب التذكير بأصول اساسية، هي:

١ ـ ان يكون الرسول معروفاً لدىٰ الجميع.

٢ ـ ان يكون التذكير بمن هو ألين عريكة، فان الرسالة لاتؤثر في الجانب المتشدد.

٣ ـ معرفة الصفات النفسية لكل من الرسول والمرسل إليه.

وبالنتيجة، كانت الرسالة موثرة، حيث مهّدت لاجتماع عليّ بهما، وتذكيرهما والنصف من جانبهما وان كان متأخراً.

[الخطبة ٣٢]
ومن خطبة له عليه السلام
وفيها يصف زمانه بالجور ويقسم الناس فيه خمسة اصناف، ثم يزهد في الدنيا.

ويتضمن المختار من هذه الخطبة اصناف الناس في كل زمان ومكان، وذكر زمانه كمثال لغيره من الازمنة يصف فيه اصناف الناس حسب عدّهم التنازلي، وهم خمسة اصناف، اقلهم خامسهم ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾، وهم:

١ ـ الانتهازيون، اللذين لامبدأ لهم.
٢ ـ الظلمة، الذين مبدأهم الظلم.
٣ ـ المنافقون، ذوو الوجوه المتعددة.
٤ ـ المستسلمون، الذين لايؤمنون بإمكان التغيير.
٥ ـ المبدائيون، اللذين لايتركون مباديءهم قط.

وقد اشار الامام عليه السلام الى أوصاف كل صنف منهم بعد أن قدّم في وصف زمانه مقدمة، فقال:

(١/ط - ٣٢) **وصف الزمان:**

أَيُّهَاالنّاسُ، إنّاَ قَدْ أَصْبَحْناَ فِي دَهْرٍ عَنُود، وزَمَنٍ شَدِيدٍ[1]، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً، ويَزْدَادُ الظّالم فِيهِ عُتُوّاً[2]، لانَنْتَفِعُ بِماَ عَلِمْناَ، وَلاَ نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْناَ، وَلاَنَتَخَوَّفُ قاَرِعَةً[3] حَتَّى تَحُلَّ بِناَ.

وقد وصف الزمان باعتبار أهله بما يأتي:

١ ـ (دهر عنود) اي جائر أو مخالف، باعتبار انحراف اهله عن الصراط المستقيم.
٢ ـ (زمن كنود) اي كفور بتغطية وستر الحقائق التي تحيط به فان الكفر هو الغطاء.
٣ ـ انقلاب الموازين، حيث (يعدّ فيه المحسن مسيئاً) لخفاء الحقائق وكثرة الدعايات الباطلة من جانب، وعدم تقصّي الحقائق من جانب آخر.
٤ ـ (يزداد الظالم فيه عتوّاً) وهو الاستكبار بسبب قبول الآخرين ذلك .
٥ ـ (لا ننتفع بما علمنا) لان العلم يدعوا إلى العمل، وبدونه لا انتفاع به.

---

(١) في أ ود: كنود. وفي هـ. ب: في نسخة: كنود، يعني جحود.
(٢) في هـ. ب: عتواً: اي عصياناً.
(٣) في هـ. ب: اي مصيبة.

٦ ـ (ولا نسأل عمّا جهلنا) فان الواجب الاسلامي هو السؤال من اهل الذكـر، وقـد أُهمل.

٧ ـ ولانتخوّف قارعة حتىٰ تحلّ بنا) والقارعة: المصيبة التي تقرع الانسان، وذلك بسبب عدم الاستعداد، وفقدان الرؤية الواضحة للمستقبل، وهذه صفات اهل كل زمان لايلتزم بمبادئ العدالة الاسلامية ولايرفض الظلم حتىٰ نزول البلاء.

الصّنف الاول ـ الانتهازيّون:

والنَّاسُ[(١)] **عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ:**

مِنْهُمْ: مَنْ لايَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الأرضِ إلاّ مَهانَةُ[(٢)] **نَفْسِهِ، وكَلالَةُ حَدِّهِ، ونَضِيضُ**[(٣)] **وَفْرِه**[(٤)]**.**

الانتهازيون هم الذين لايؤمنون بمبدأ، ويتحينون الفرض فينتهزونها في سبيل امرار مصالحهم الشخصية من مال أوجاه بأية وسيلة، شريفة أو وضيعة، وهؤلاء هم الغالب في المجتمع، وهم أتباع كل ناعق حق أو باطل، واشار الىٰ صفة اساسية فيهم، تلازم عـدم الايمان بأي مبدأ، وهو أن (لايمنعه الفساد في الارض)، فمهما جرىٰ على الآخرين ـ ما لم يمسّ مصالحهم ـ فهم يكونون بلا تفاوت بالنسبة اليه، واشار الىٰ اسباب ثـلاثة لهـذه الصفة، هي:

١ ـ (مهانة نفسه) حيث انه ذو شخصية ضعيفة، لايحترم نفسه، ويـفضل ان يـعيش كالحيوانات همّها علفها.

٢ ـ (كلالة حده) كناية عن عدم القدرة، فان الكلالة: التعب، والسيف الكليل هو مالا يقطع حدّه.

٣ ـ (نضيض وفره) وهو المال، والنضيض: القلة الملازمة للحاجة الىٰ الغير.

والاسباب الثلاثة من: ضعف النفس، وعدم القدرة، والحاجة، اذا اجتمعت، فانها تؤدي الىٰ فقدان الانسان للرؤية الواضحة في الحياة.

---

(١) في ص وط : فالناس.

(٢) في هـ. ب: اي مذلة.

(٣) في هـ. ص ما يلي: نضيض، يقال بالباء والنون، اي قلّة ماله، وكان ص : «ونضاضة » ليقع المصدر في مقابلة المصدر.

(٤) في هـ. ب: نضيض وفره: اي قليل ماله، والجمع النضاضيض: المال النآض والنقد الحاصل.

الصنف الثاني ـ الظالمون:

ومِنْهُم: الْمُصْلِتُ بِسَيْفِهِ، والْمُعْلِنُ بسرّهِ[١]، والْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ ورَجِلِهِ، قَدْ أشْرَطَ[٢] نَفْسَهُ وأَوْبَقَ[٣] دِينَهُ لِحُطَامٍ[٤] يَنْتَهِزُهُ[٥]، أو مِقْنَبٍ[٦] يَقُودُه، أَومِنْبَرٍ يَفْرَعُه[٧]. ولَبِئسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، ومَمّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً!.

والظالمون في المجتمع هم في الدرجة الثانية من الكثرة؛ لانهم يقدّمون مصالحهم الشخصية على مصلحة المجتمع بصفة عامة بالاستبداد حسب مقتضيات الاحوال والازمان وبمختلف الاساليب والحيل. وقد عدّ الامام من صفاتهم:

١ ـ (المصلت لسيفه) باستخدام قوة السلاح.

٢ ـ (المعلن بشرّه) بالارهاب.

٣ ـ (المجلب بخيله ورجله) باستخدام الجيوش المعدّة بالآلات الحربية (الخيل والسلاح). والمحاربين المرتزقة من قبل الحكّام، وهم عادة الرَّجِل، جمع راجل، كالركب جمع راكب.

٤ ـ (قد أشرط نفسه) والاشراط: الاعداد والتهيئة للظلم.

٥ ـ (وأوبق دينه) والايباق: الاهلاك، فان الظلم يناقض اصول جميع الاديان بسبب امور مادية بحتة هي امور ثلاثة، يجمعها حب الدنيا، وهي:

اولاً ـ المال: (لحطام ينتهزه) والحطام هو ما يتكسر من اليابس، والمراد به المال، والانتهاز: الاختلاس ؛ لحبّه المال للمال فقط.

ثانيا ـ الجاه: (او مقنب يقوده) والمقنب: جماعة الخيل، ما بين الثلاثين والاربعين، فلاهمّ له سوىٰ الرئاسة على جماعة يقودهم ويأتمرون بأمره؛ لحبّه الرئاسة فقط.

ثالثاً ـ الدعاية: (او منبر يفرعه)، وفرع المنبر: صعود أعلاه لاعلان خطاب للسامعين.

ويجمع هذه الامور الثلاثة: حبّ الظهور؛ الذي هو من آثار حب الدنيا، ويعتبر الامام هذا الصنف فاقداً للرؤية الواضحة الصحيحة في الحياة؛ لان حب المال للمال عبادة له،

---

(١) في ه. ص: في نسخة: لشرّه، وفي أ وط ود: بشرّه.
(٢) في ه. ص: اي علّمها وهيّئها للإفساد، وفي ه. ب: اي اعلم نفسه بعلامة اهل الافساد.
(٣) في ه. ص وب: اي اهلك.
(٤) في هامش ص : الحطام: متاع الدنيا، واصله ما يتحطم من النبت، سمي به عرض الدنيا لسرعة فنائه.
(٥) في ه. ب: الانتهاز: انتظار الفرصة، وفي هامش آخر: ينتهزه: يسلبه.
(٦) في ه. ص:. المقنب: الخيل ما بين الثلاثين الىٰ الاربعين. وفي ه. ب: السرية.
(٧) في ه. ص: اي يعلوه، وفي ه. ب: يصعده.

والمال انما هو وسيلة للوصول الىٰ السعادة لا العبودية. وكذلك الرئاسة والدعاية، فان هذه الوسائل يجب ان تحقق أغراضاً اهم منها، وهي اداء الانسان دوره الانساني في الحياة واداء الواجب الذي فيه رضى الله والخلود في التاريخ الصحيح.

وعبر الامام عن هذه الصفة بتجارة خاسرة (ولبئس المتجر ان ترىٰ الدنيا لنفسك ثمناً ومما لك عند الله عوضاً) فان هكذا انسان يكون كالحيوان همّه علفه، وليس شأن الانسان الذي يجب ان يؤدي دورهُ الانساني كأشرف المخلوقات.

الصنف الثالث ـ المنافقون:

ومِنْهُمْ: مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْياَ بِعَمَلِ الآخِرَةِ(١)، ولايَطْلُبُ الآخِرَةَ بَعَمَلِ الدُّنياَ، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ(٢)، وقاَرَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وزَخْرَفَ(٣) مِنْ نَفْسِهِ لِلأمانَةِ، وَاتّـخَذَ سِتْرَاللهِ(٤) ذَرِيعَةً إِلَىٰ الْمَعْصِيَةِ(٥).

وهم الذين يتاجرون بالدين منهم، وذكر من صفاتهم:

١ ـ ان (يطلب الدنيا بعمل الآخرة) فيعمل عمل الآخرة من العبادات والخيرات ليؤمّن دنياه، فليست اعماله الخيرية خيرية، بل هي مقايضة وتجارة مادية.

٢ ـ (لا يطلب الآخرة بعمل الدنيا) فلا ينفق في سبيل الله بعمل دنيوي لافائدة ترجع اليه في الدنيا، فأكبر همه الدنيا فقط. وان اتخذت صبغة دينية نفاقاً.

٣ ـ (قد طامن من شخصه) اي قارب من خطوه ولم يسرع، ومشىٰ رويداً يحتاط علىٰ دنياه أكثر من آخرته، فلا ينفق في سبيل الله إلّا علناً، لاسراً.

٤ ـ (وشمرّ من ثوبه) اي قصّره، كناية عن الاقتصاد في الملبس، لازهداً، بل خساسة

---

(١) في هـ. ب: اي بالتقشف.

(٢) في هـ. ب: اي قصرّ من نفسه، وفي هامش آخر: طامنت: اي سكنت بالمكان المطمئن في قوله تعالىٰ: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ يونس: ١٠/٧.

(٣) في هـ. ب: تزين.

(٤) في هـ. ب: سترالله: اي دين الله وشريعته.

(٥) في هـ. ص ما يلي: هذا الكلام يتضمن ذم من يدعي الاخرة من اهل كل زمن وليس لدعواه حقيقة، وهم اهل الرياء والنفاق ولابسي الصوف والثياب المرقوعة لغير وجه الله، وهم القراء المراؤن، وقد روي في ذمهم عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين شيء كثير.

والفرق بين هذا القسم والمذكور بعده: ان هذا مختار لحالته يتوصل بها الىٰ غرضه الدنيوي، والآخر ملجأ الىٰ حالته، فاظهر انه مختار لها للآخرة وليس كذلك.

وفي هامش آخر في ص : قد جاء في الأخبار عن النبي ﷺ انه قال: «تعوذوا بالله من جبّ الحزن، قالوا: يا رسول الله وما جبّ الحزن؟! قال: وادٍ في جهنم، يتعوّذ منه جهنم كل يوم مأة مرة. قيل: يا رسول الله ومن يدخله؟ قال: القرّاء المراؤن بأعمالهم».

وحرصاً على المال.

٥ ـ (زخرف من نفسه للأمانة) اي زين نفسه بالزخرف، وهـو الذهب، ليـظهر نـفسه بمظهر الأمانة، فيثق به الناس لمكان الذهب الذي يتزيّن به، مع انه نفاق لاصطياد البسطاء.

٦ ـ (واتخذ ستر الله ذريعة الىٰ المعصية) فعصىٰ الله سبحانه بالنفاق في حياته، واما ستر الله عليه فليس لاجل استحقاقه الستر، بل لان الله سبحانه ستار العيوب، ولم يشكر هذا المنافق هذا الستر حتىٰ يجعله وسيلة للرجوع الىٰ الانسانية بل استخدمه كـذريعة للعصيان باستمراره في النفاق الذي وان امكن ان يخدع به البعض، لكنه لايمكنه ان يخدع به الجميع، ويبقىٰ مصطلياً بنار النفاق في نفسه.

الصنف الرابع ـ المستسلمون:

ومِنْهُمْ: مَنْ أَقعَدَهُ[(١)] عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُئُولَةَ نَفْسِهِ[(٢)]، وانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلّى[(٣)] بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ، وتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ[(٤)]، وَلَيْسَ مِنْ ذَٰلِكَ فِي مَرَاحٍ ولامَغْدًى.

والمستسلمون لا يشاركون الاصناف الثلاثة الاول، فلا ينتهزون الفرص لاغراضـهم المادية، ولا يرتكبون الظلم؛ لعلمهم بعواقبه، ولاينافقون؛ للوعي الاسلامي الذي ينهاهم عنه، ولكن يستولي عليهم الناس ولايمكنهم تغيير الحالة الفاسدة، فيستسلمون للواقع المؤلم ويتركون أمر القيادة الىٰ من لايستحقها، ويتبعدون عن طلب امتلاك اُمور أنفسهم بأنفسهم، وقد أشار الامام عليه السلام الى اسباب من ذلك:

١ ـ (ضؤولة نفسه) اي حقارة النفس، وهي عقده نفسية لو استولت على الانسان في أية مرحلة من مراحل حياته فانه سوف تعيقه عن الوصول الى الهدف، ولايمكن التغلب على هذه العقدة النفسية إلّا بالوعي الكامل بارادة الانسان المتوكل على الله سبحانه.

٢ ـ (انقطاع سببه) اي عدم تواجد أسباب امتلاك الانسان مصير نفسه.

٣ ـ (فقصرته الحال على حاله) فان نتيجة حالة كهذه ان يمنعه من الوصول الىٰ هدفه فلابدّ له من اتخاذ البديل لذلك، وهما: القناعة والزهد.

فالبديل الاول: القناعة، (فتحلىٰ باسم القناعة) اذ لم يجد البديل لنفسه سوىٰ التحلي بالقناعة بما هو فيه.

---

(١) في ط وهـ د: ابعده ـ ح.

(٢) في هـ. ص: اي ضعفها وحقارتها.

(٣) في هـ. ب: تجلّىٰ.

(٤) في هـ. ب: اي صفة الضعف على حال هو عليها.

الثاني: (وتزيّن بلباس أهل الزهادة) اي الزهد عما يرغب فيه الآخرون. وقد علّق الامام على هذا الموقف البديل بانه ليس زهداً حقيقيّاً، بل هو استسلام ذليل نابع من تحقق حالة خاصة، هي عدم الثقة بالنفس التي وهبه الله سبحانه، وجعل أمره بيده بعد هدايته طريقي الخير والشر والهدىٰ والضلال، فقال ﷺ: (وليس من ذلك) اي ليس هذا الصنف هو من اهل الزهد الحقيقي (في مراح ولا مغدىً) والمراح: الرواح في الليل، والمغدىٰ: الرواح في الصباح، ومعناه: ان المستسلم في ذهابه ورواحه في المذهب الذي اختاره من الزهد صباحاً ومساءً ليس من الزهد الحقيقي في شيءٍ.

الصنف الخامس ـ المبدائيون:

وبَقِيَ رِجالٌ غَضَّ أبْصارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِع[١] وأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ المحْشَر، فَهُمْ بَيْنَ شَرَيدٍ نادٍّ[٢]، وخائِفٍ مَقْمُوع[٣]، وساكِتٍ مَكْعُوم[٤]، وَداعٍ مُخْلِصٍ، وثَكْلاَنَ[٥] مُوجَع، قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ[٦] التَّقِيَّة[٧]، وشَمَلَتْهُمُ الذِّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أجاَجٍ[٨]، أَفْواهُهُمْ ضامِرَةٌ[٩] وقُلُوبُهُمْ قَرِحَة، قَدْ وَعَظُوا حَتّى مَلّوا، وقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا.

وهذا الصنف الخامس وهو أقل الاصناف ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ يختلف عن الاصناف المتقدمة بالوعي الكامل للاسلام واهدافه وواجباته ومحرماته، والدور الاسلامي المطلوب من الانسان المسلم في الحياة، فهم يرفضون الانتهازية والظلم والنفاق والزهد المصطنع، وذكر الامام ﷺ من صفاتهم:

١ ـ (غضّ أبصارهم ذكر المرجع) فهم يغضون ابصارهم عن المادة والماديات كلاً، بسبب (ذكر المرجع) وهو عاقبة الامر؛ لعلمهم بان أية حركة لابدّ لها من ردّ فعل عاجلاً أم

---

(١) في هـ. ب: اي القيامة والقبر والحساب.
(٢) في هـ. أ: اي نافر ـ من الندود ـ، وفي هـ. ب: شريد: هارب.
(٣) في هـ. أ: اي ذليل، وفي هـ. ب: ذليل، مقهور مذلل.
(٤) في هـ. أ: اي مشدود الفم، وفي هـ. ب: مكعوم: مشدود الفم بالكعام وهوما يشد به الفم. وفي هامش آخر منه: اى مشدود.
(٥) في هـ. ب: التكلىٰ الذي مات ولدها.
(٦) في هـ. ب: الخامل: الساقط: المخمول الذكر الذي لايعرفه احد، وفي هـ. ب: اي اذّلتهم التقية.
(٧) في هـ. ص: في نسخة: الفتنة.
(٨) في هـ. ص: اي هم في حاجتهم مع سعة الاموال التي لايستطيبون وجوهها كمن يركب البحر وليس معه ماء عذب، فهوظمآن علىٰ كثرة الماء عنده، والله اعلم.
(٩) أ وب وط ود في ص : ضامزة، وفي هـ د. غامرة ـ م، وفى هـ. أ: اي ساكتة، وفى هـ. ب: الضامر الرجل الساكت.

آجلاً.

٢ ـ (أراق دموعهم خوف المحشر) فهم يؤمنون بالحشر والحساب الدقيق لأعمال الانسان في الدنيا، ان خيراً فخيرا وان شرّاً فشرّاً، وان الايمان بالحساب في يوم الحشر يجعل الانسان في خوف من القصور في الواجبات.

وعدّ عليه‌السلام من صفات بعضهم انهم:

٣ ـ (فهم بين شريد ناد) والشريد هو المطارد من قبل الظالمين حال كونه (نادٍ) اي منفرد في حالة عزلة حقيقية عن المنحرفين.

٤ ـ (وخائف مقموع) ومن هو خائف من الظالمين، فهو مقموع، اي مقهور منهم.

٥ ـ (وساكت مكعوم) وهو ساكت حيث لايستطيع تغيير الواقع، ولكنه مكعوم، أي مشدود الفم، ولو تمكّن من أداء دوره في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما لقام بذلك خير قيام، وبهذا يفترق عن الصنف الثالث المستسلم.

٦ ـ (وداع مخلص) ومن يرى ان الطريق الوحيد له هو الدعاء باخلاص، وبشرائطه.

٧ ـ (وثكلان موجع) والثكل: الحزن، ومن هو وجيع بسبب الحزن على الواقع الذي لايمكنه تغييره من غير استسلام.

٨ ـ (قد أخملتهم التقية) بسبب اتقائهم شر الظلمة، فأصبحوا مخمولي الذكر حتىٰ لاتسلط عليهم الاضواء، خوف القضاء عليهم جسدياً أو روحياً.

٩ ـ (وشمثْلهم الذلة) وقد شملتهم الذلة فيمن شملت بسبب الظلم العام الغاشم.

١٠ ـ (فهم في بحر أُجاج) وهو المالح، فان وقع في البحر المالح لايزيده الظمأ إلّا ظمئاً لملوحة الماء وعدم صلاحيته للشرب، وكذلك من يعيش حقائق الامور ولايتمكن من تغيير الفاسد منها.

١١ ـ (أفواههم ضامرة) فمن أوقعه القدر في الماء المالح لابد وان يتحمّل الظمأ، ويكمّ فاه، والضمور كناية عن السكوت، لانه لو فتح فاه لزادته ملوحة الماء ضماً.

١٢ ـ (وقلوبهم قرحة) والقلب هو الجرح، وذلك بسبب ما يعانونه روحياً من جانبهم ومشاهدة ما يجري على المجتمع الاسلامي من الانحراف عن الكتاب والسنة.

١٣ ـ (قد وعظوا حتىٰ ملّوا) فهم قد أدّوا واجبهم الاسلامي من الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتىٰ ملّهم المجتمع وملّوه من الوعظ حيث لاأثر له.

١٤ ـ (وقهروا حتىٰ ذلّوا) وبسبب قهر الظالمين لهم أصبحوا أذلّاء.

١٥ ـ (وقتلوا حتىٰ قلّوا) وبسبب مجاهرتهم احياناً قتلوا في سبيل الله واصبحوا الأقلون في المجتمع.

والنقاط الثلاث الأخيرة مترتبة، فانهم أدّوا واجباتهم الرسالية من الوعظ، الذي ادىٰ الىٰ القهر والمغلوبية، وبالنهاية الىٰ القتل.

وطبيعي ان يقل هؤلاء الذين يدخلون التاريخ من ابوابه ويخلدون في ضمير كل انسان حرّ، وهم شهداء الانسانية الخالدون.

الصنف الأفضل:

فَلْتَكُنِ الدُّنْياَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ[(١)] مِنْ حُثَالَةِ القَرَظِ[(٢)]، وقُرَاضَةِ الْجَلَم[(٣)]. وَاتّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُم، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ[(٤)] بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَارْفُضُوهاَ ذَمِيمةً[(٥)]، فَإِنَّهاَ قَدْ رَفَضَتْ[(٦)] مَنْ كاَنَ أَشْغَفَ[(٧)] بِهاَ مِنْكُم.

فكما ان لكل من هذه الاصناف نماذج، فان من الطبيعي ان يكون لكل منهم مبررات في الانخراط في ذلك الصنف، وذلك من جهة اختلاف الرؤية في الحياة التي يعيشها الانسان في ذلك الصنف، من جهة اختلاف الرؤية في الحياة والهدف يكون بمقياس الرؤية الواضحة في الحياة الانسانية، فان الانسان ـ باعتباره أشرف المخلوقات، المكرم بالعقل والتفكير ـ يختلف عن سائر الحيوانات التي همّها علفها، والذي هو شأن الانتهازيين، كما ويختلف عن الظالمين وعن المنافقين الذين لايلتزمون بمبدأ واضح في الحياة كما تتطلبه الفطرة الانسانية، ويختلف أيضاً عن المستسلمين الذين فقدوا الارادة الانسانية التي وهبها الله لهم ﴿إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾[(٨)] فبقي الصنف الأخير الملتزم بالمبدأ الانساني، وهو الانسان الذي يحترم انسانيته ويلتزم بمبادئه الانسانية ويسعىٰ الىٰ تحقيق العدالة الانسانية في المجتمع، وانه ليس الاعتبار في قلتهم فان ﴿قليل من عبادي الشكور﴾ وانما الاعتبار بالوعي الكامل للدور الانساني في الحياة وعدم الانزلاق في المتاهات التي يواجهها في سيره وسلوكه، وأهم العوائق: حب الدنيا، ولذلك خص الامام بالذكر خطر هذا العائق، وحث علىٰ التزهيد في الدنيا، لانها مرحلة عابرة لايخلد فيها

---

(١) في د: فلتكن الدنيا اصغر في اعينكم.
(٢) في هـ. أ القرظ: نبت يدبغ به، والحثالة: ما يسقط منه، وفي هامش آخر منه: الحثالة: ما يسقط من الشيء. وفي هـ. ب: القرظ نبت يدبغ به الجلود.
(٣) في هـ. أ: اي الذي تجز منه، ومنها: الجلمان، وفي هـ. ب: اي قراضة المقراض.
(٤) في هامش ب: قبل ان يتعظ بكم، يعني الموت.
(٥) في هـ. ب: اي الدنيا.
(٦) في هـ. ب: اي تركت.
(٧) في هـ. ب: اي احرص.
(٨) الانسان: ٢.

أحد، وذلك بالتركيز على ثلاث نقاط تفيد ذلك، وهي:

اولاً: (فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ) والقرظ: هو ورق شجر السلم الذي يدبغ به الجلود. والحثالة: ما يسقط منه، فان هذا الورق أساساً لاقيمة له، فكيف بحثالته.

وأصغر أيضاً من (قراضة الجلم) والقراضة ما يسقط بعد قرض الشيء، والجلم: المقص الذي يقص به اوبار الابل، فان ما يسقط بعد القرض لاقيمة له، كما هي الحال فيما يسقط من الطعام إلّا للحيوانات والحشرات، فان الماديات في الحياة مرحلة عابرة لا تدوم لأي انسان كان.

ثانياً: الاتعاظ بالتاريخ (واتعظوا بمن كان قبلكم) بتجنب الاخطاء التي تعرضوا لها. (قبل ان يتعظ بكم مَن بعدكم) فان التاريخ لا يرحم أحداً.

ثالثاً: رفض الدنيا (وارفضوها ذميمة) حيث ان الدنيا لاتفي لأحد (فقد رفضت من كان أشغف بها منكم)، ولم يصحب أحد مما خزن من مال الدنيا الىٰ قبره، ولم ينفعه غير عمله الصالح الذي خلّده في التاريخ ان كان له ذلك، أو لعنة التاريخ ان كان بعكس ذلك، والخيار بيد الانسان ﴿انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا﴾[(١)].

ونعم ما ختم الشارح ابن ابي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) هذا القسم بقوله:« فإن قيل : فما قولك في شهرة الانبياء والائمة عليهم السلام ، وأكابر الفقهاء المجتهدين ؟ قيل : إن المذموم طلب الشهرة ، فأما وجودها من الله تعالى من غير تكلف من العبد ولا طلب فليس بمذموم ، بل لا بد من وجود إنسان يشتهر أمره ، فإن بطريقه ينصلح العالم ، ومثال ذلك الغرقى الذين بينهم غريق ضعيف ، الاولى به ألا يعرفه أحد منهم ، لئلا يتعلق به فيهلك ويهلكوا معه ، فإن كان بينهم سابح قوي مشهور بالقوة فالاولى ألا يكون مجهولا ، بل ينبغي أن يعرف ليتعلقوا به ، فينجو هو ويتخلصوا من الغرق بطريقه . [(٢)]

وعلق الشريف الرضي‌ﷺ على هذا الكلام فقال ما نصّه:«وهذه الْخُطبَةُ رُبَّماَ نسبها من لاعِلْمَ له إلى معاوية، وهِيَ من كلام أمير المؤمنين‌ﷺ الّذِي لا يُشكُّ فِيه. وأين الذهبُ من الرَّغام[(٣)]! و[(٤)] العذْبُ منَ الأُجاَجِ! وقد دَلَّ على ذلك الدَّليلُ الخِرّيت[(٥)]، ونقدهُ النّاَقِدُ

(١) الانسان: ٢.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ١٨٤ .
(٣) في هـ. ب: الرغام: التراب، يقال: رغم الله انفه اي الصقه بالتراب.
(٤) في ط: واين.
(٥) في هـ. ب: الخريت: الدليل الماهر.

البَصُيرُ عَمْرُو بن بحرٍ الجاحِظ، فإنهُ ذكر هذه الخطبة في كتاب «البيان والتبيين»[(١)] وذكرَ من نَسَبَهاَ إلى مُعاَوِيةً. ثمَّ [تكلّم من بعدها بكلام في معناها، جملته أنه قال: وهذا الكلام][(٢)] بكلام عليٍّ عليه السلام أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الاخبار[(٣)] عمّا هم عليه من القهر والاذلال ومن التقيّة والخوف أليق، قال: ومتىٰ وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهّاد ومذهب[(٤)] العُبّاد».

قال الجلالي: وقد أشرت في «مسند نهج البلاغة» الىٰ ان الرضي ذكر في «البيان والتبيين» كمرجع لتفنيد من ادعىٰ نسبة هذه الخطبة الى معاوية، وليس ذلك مصدره في نسبة الخطبة الى الامام عليه السلام فانه صرح بأنها (من كلام امير المؤمنين الذي لا يشك فيه) ومع هذا التصريح لامجال للقول بانه من مصادره، كما قاله العرشي حفظه الله، وقد أشرت في «فهرس التراث» الى الفرق بين المصدر والمرجع، وان المصدر ما يعتمد عليه المؤلف مستفيداً منه كمنابعه الاصلية للبحث، والمرجع ما يرجع اليه احياناً كما هو الحال بالنسبة الى الشريف الرضي رحمه الله في هذه الخطبة.

---

(١) البيان والتبيين ٢: ٥٩ ـ ٦١، عن شعيب بن صفوان، وقال: وزاد فيها البقطري وغيره، وقال: «لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له: من بالباب؟ قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك، فقال: ويحك! ولم؟ قال: لا أدرى ، قال: فوالله ما لهم بعدى إلّا الذى يسوءهم، وأذن للناس، فدخلوا». ثم أورد الخطبة بروايته، وقال في آخرها: «وفي هذه الخطبة ـ أبقاك الله ضروب من العجب، منها: أن الكلام لايشبه السبب الذي من أجلهم دعاهم معاوية. ومنها: أن هذا المذهب في تصنيف الناس، وفي الإخبار عماهم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف أشبه بكلام علي رضي الله عنه ومعانيه وحاله منه بحال معاوية، ومنها: أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد، ويذهب مذاهب العباد، وإنما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه، والله أعلم بأصحاب الأخبار، وبكثير منهم».

(٢) كذا في ب وط، وفي ص و أ: ثم قال: هي بكلام عليّ أشبه.

(٣) في د: وبالاخبار.

(٤) في أ وب وط ود وهـ. ص: ومذاهب.

[الخطبة ٣٣]

ومن خطبة له عليه السلام

عند خروجه[١] لقتال أهل البصرة

روى ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة»، قال:« قال أبو مخنف : فحدث ابن إسحاق ، عن عمه عبد الرحمن بن يسار ، قال : نفر إلى علي عليه السلام إلى ذي قار من الكوفة في البحر والبر ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا . أقام علي بذى قار خمسة عشر يوما ، حتى سمع صهيل الخيل وشحيح البغال حوله . قال : فلما سار بهم منقلة [٢] ، قال ابن عباس : والله لاعدنهم ، فإن كانوا كما قال ، وإلّا أتممتهم من غيرهم ، فإن الناس قد كانوا سمعوا قوله . قال : فعرضتهم فو الله ما وجدتهم يزيدون رجلا ، ولا ينقصون رجلا ، فقلت : الله أكبر ! صدق الله ورسوله ! ثم سرنا .

قال أبو مخنف : ولما بلغ حذيفة بن اليمان أن عليا قد قدم ذا قار ، واستنفر الناس ، دعا أصحابه فوعظهم وذكّرهم الله وزهّدهم في الدنيا ، ورغّبهم في الآخرة ، وقال لهم : الحقوا بأمير المؤمنين ووصي سيد المرسلين ، فإن من الحق أن تنصروه ، وهذا الحسن ابنه وعمار ، قد قدما الكوفة يستنفران الناس ، فانفروا . قال : فنفر أصحاب حذيفة إلى أمير المؤمنين ، ومكث حذيفة بعد ذلك خمس عشرة ليلة ، وتوفي رحمه الله تعالى .[٣]

قال الجلالي: ومن الغريب الوفاة المفاجئ لهذه الشخصية المناصرة لعلي في هذا الظرف الزمني الحساس الذي كان الامام يفتقر الىٰ من ينصره. ومهما كان، فان مشاركة (٦٥٦٠) محارب متطوّع يكشف عن الشعبية الواسعة التي كان يتمتّع بها الامام في تلك الحقبة الزمنية.

وذو قار ـ كما ينبئ اسمه عنه ـ منطقة كانت القار مواجدة فيه، والقار: القطيع الضخم من الابل، وهي منطقة أثرية من مواقع المواجهة بين العرب والفرس، ويعرف اليوم بـ«المقيّر»[٤]، وتقع بالقرب من «الناصرية»، وفيها آثاراً للامام علي عليه السلام يتعاهدها اهلها

---

(١) في ب: مسيره.

(٢) المنقلة : مرحلة سفر .

(٣) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(٤) وهذه القرية تقع في ضواحي مدينة الناصرية، على بعد (٧) كيلو مترا الىٰ الشمال من المدينة. وهناك مدينة اخرىٰ تعرف بهذا الاسم وتقع في ضواحي مدينة الموصل في شمال

حتىٰ اليوم.

(١/ط - ٣٣) مسؤولية القيادة:

قال عبد الله بنُ العباس رضي الله عنه[١]: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قارٍ وهو يخصِف[٢] نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لاقيمةَ لها، فقال عليه السلام: والله لَهِيَ أحبُّ إليَّ من إمْرَتكم[٣]، إلّا أن أُقيم[٤] حقّاً، أوأدفعَ باطلا، ثم خرج فخطب الناس، فقال:

يتضمن هذا المقطع الاشارة الى مسؤولية القيادة في الاسلام، وقد اثبتها عليّ عليه السلام في هذه المرحلة بالعمل والقول:

أمّا العمل، فقد باشر بنفسه حاجاته الخاصة، من دون ان يأمر الاخرين بالقيام بها، مع كثرتهم، وهم بالتحديد المتقدم (٦٥٦٠) رجلاً. وبالرغم من تطوّعهم لما يرغب فيه، فاخذ عليه السلام (يخصف نعله)، والخصف: إلصاق الشيء بواسطة الخرز، ليقوم بدوره المطلوب منه.

وكان له عليه السلام الخيار بان يطرحها ويتخذ نعلاً آخر، ولا يفتقر الى الخصف. سواءً كان جديداً أم لا، لكنه عليه السلام رفض هذه الخيار، وباشر الخصف بنفسه؛ مشيراً الى ان القيادة مسؤولية يجب ان تكون بمعزل عن الحاجات الشخصية.

أما القول، فقال كلمة، يظهر انها كانت ردّ فعل لما ظهر في وجوه أصحابه، حيث رأوا كثرة الموالين للامام، وتوقّعوا لانفسهم دوراً في الحكومة الجديدة، فوجّه السؤال الى ابن عباس، الذي كان أقربهم إليه نسباً، سؤالا تربوياً: (ما قيمة هذا النعل؟) ومع ان كلا من السائل والمجيب كان يعلم الجواب، ولكن الامام أراد التأكيد على حقيقة المسؤولية في القيادة في الاسلام من وجهة نظر الامام، ولما اجاب ابن عباس على السؤال بقوله: «لا قيمة لها» وكان صادقاً؛ لان النعل المرقّع مما يعرض عنه مالكه، بل يستنكف لبسه الانسان العادي، فكيف يكون له قيمة مالية!

فقال عليه السلام قولته الحكيمة، حالفاً بالله تعالىٰ: (والله لهي أحبّ إليَّ من إمرتكم، الاّ أن أُقيم حقّاً، أو أدفع باطلاً) فان مسؤولية الإمارة هي إقامة الحق ودفع الباطل، فإن تحققت هذه

العراق، لاربط لها بهذه الوقعة.

(١) لم ترد «رضى الله عنه» في أ ود.

(٢) في هـ. ص: اي يرقع، وذوقار موضع قريب من البصرة، وفيه وقعت الحرب بين العرب والفرس قبل الاسلام ونصرت العرب. وفي هـ. أ: يخصف: اي يخيط.

(٣) في ص زيادة : هذه.

(٤) في هـ. ب: اي أقوّم وأثبّت.

المسؤولية كانت الامارة ذات قيمة، لأنها اداء للواجب، دون غيرها.

(٢/ ط - ٣٣) البعثة النبوية:

إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ بَعَثَ مُحمَّداًﷺ ولَيْسَ أَحَدٌ مَنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُكِتَاباً، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النّاسَ حَتّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ(١)، وبَلَّغَهُمْ مَنْجاتَهُمْ(٢)، فاَسْتَقامَتْ قَناتُهُمْ(٣)، واطْمَأَنّتْ(٤) صَفاتُهُمْ(٥).

و أشار في هذا المقطع الى مسؤولية النبوة التي قام بها رسول اللهﷺ خير قيام، في الظروف التي أوجبت هذه البعثة الشريفة، واهمها:

اولاً ـ عصر الجاهلية، فقد كانت البعثة النبوية في عصر الجاهلية التي عمت العرب (وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً) حتى عرفت بالأُمية، وارسل سبحانه في الامم رسولاً منهم.

ثانياً ـ فترة الرسالة، فقد بعثه الله سبحانه على فترة من الرسل، حيث لم يكن احد (يدّعي نبوّة) عن استحقاق، فقام رسول اللهﷺ بمسؤولية النبوة (وساق الناس) الى هداهم، وأرشدهم لما فيه خيرهم، واشار الى نقاط منه، هي:

١ ـ (حتى بوّأهم محلّتهم) والباءة والبيئة: المنزل، والمعنى: انزلهم المكان اللائق بهم بين الامم.

٢ ـ (وبلّغهم منجاتهم) وأوصلهم الى ما فيه نجاتهم من الظلم والحيف النازل بهم من القوي المحيطة بهم.

٣ ـ (فاستقامت قناتهم) والقناة: الرمح أو عود الرمح، وهو استعارة عن استقامة امور الانسان.

٤ ـ (واطمأنّت صفاتهم) والصفاة: الحجر القوي الذي يضع السائر رجله عليه في مسيره باطمئنان من دون خشية العثرة.

فالعرب خرجت من الامية الى الثقافة، ومن البداوة الى المحل اللائق بهم بين الامم،

---

(١) في هـ. ص: اي انزلهم محلتهم من الاسلام التي ينبغي ان يكونوا عليها، وفي هـ. أ: اي اسكنهم منزلتهم، اي ضربهم بسيفه قبل الاسلام حتّى أوصلهم اليه. ومثله: وبلّغهم منجاتهم، إلّا ان في هذه الفاصلة ذكر النجاة مصرّحاً به. وفي هـ. ب: محلتهم، اراد دار الكرامة والعزة بالاسلام.

(٢) في هـ. ب: اي موضع نجاتهم.

(٣) في هـ. أ: فاستقامت قناتهم: اي استقاموا على الاسلام.

(٤) في هـ. أ: واطمأنت: اي كانت متزلزلة فاستقرت.

(٥) في هـ. ب: الصفاة: صخرة ملساء، وهي كناية عن النفس.

ومن الضلالة الى النجاة، ومن الانحراف الى الاستقامة، ومن التعثّر في طريق الحياة الى الاطمئنان والرؤية الواضحة في الحياة.

و ما اكتسبت العرب هذه المنزلة إلاّ بالنعمة النبوية التي غيّرت مجرى التاريخ.

(٣/ط - ٣٣) مسؤولية الامام:

أَماَ وَاللهِ إنْ كُنْتُ لَفِي ساقَتِهاَ(١) حَتَّى تَوَلَّتْ(٢) بَحَذَا فِيرِهاَ، ماَ عَجَزْتُ(٣) وَلاَ جَبُنْتُ، وإنَّ مَسِيرِي هَذٰا لِمِثْلِهاَ(٤) فَلأنْقُبَنَّ(٥) الْباَطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقّ مِنْ جَنْبِه.

وحدد الامام عليه السلام دوره ومسؤليته في الماضي والحال والمستقبل.

أمّا الماضي، فأشار الى تاريخه العريق في خدمة الاسلام صبياً ويافعاً وشابا وكهلا، مؤكداً ذلك بالحلف بالله (أما والله):

١ ـ (ان كنت لفي ساقتها) وان مخففة من المثقّلة للتأكـيد وبـعد التأكـيد بـالحلف بالله بانه عليه السلام كان في ساقة النبوة، والساقة: مؤخرة الجيش، فقد كان منذ صباه في نـصر النبي والبعثة النبوية من دون انقطاع.

٢ ـ (حتّى تولّت بحذافيرها) والتولي: قيام الشيء، والحذافير: جمع الحذفار، وهـو الجانب، ويعنى استقامة النعمة النبوية في استمكال جوانبها في عصر النبي صلى الله عليه وآله كما قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

٣ ـ (ما عجزت ولا جبنت) فالدور الذي قام به في عصر الرسالة كانت دور بـطولة وشجاعة مستمرة من دون عجز أو جبن، وكان عليه السلام كراراً غير فرار في كل غزوة، وتاريخ حياته مشرق في ذلك كله.

اما الحال، ففي حال الخطبة اشار الى أن مسيرهُ في الحرب التـصحيحية هـو نـفس المسير الذي سار عليه النبي القائد، فقوله: (ان مسيري هذا لمـثلها) ولنـفس تـصحيح

(١) في هـ. أ: ثم أقسم أنّه كان في ساقتها حتىٰ تولت، شبّه أمر الجاهلية بكيفية مقبلة للـحرب، فقال: إني طردتها فولت بين يديّ ولمازل في ساقتها، أطردها حتىٰ تولّت بأسرها. وفـي هـ. ب: اني كنت لفي ساقتها، «ان» مخففة من الثقيلة، اي انه علىٰ اضمار الامر والشأن، «كـنت لفي ساقتها»، الساقة: جمع سائق، والهاء ضمير العرب، يعني: كنت في عداد من ساق العرب، اي كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) في أ وهامش ط: في نسخة: ولّت، وفي هـ. د: حتىٰ توليت ـ ر.

(٣) في هامش ط ود: ضعفت – وص ح ع.

(٤) في هامش أ: لمثلها، اى مثل مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٥) في ص: ولانقبنّ، وفي ب: فلأبقرن، وفي هـ. ب: في نسخة: فلأبقرن، وفى هـ. د: وروي: لاثقبنّ ـ ر، وفي هـ. أ: ولانقبنّ الباطل، جعله كأنّه شيء قد شمل علىٰ الجوف، فأقسم لينقبنه إلىٰ ان يخرج من جنبه، وهذا من الاستعارة. وفي هـ. ب: اي لاشقنّ الباطل.

الانحراف عن الخط الذي رسمه النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

واما المستقبل، فهو لتحقيق نفس الاهداف التي بعث النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من اجلها حيث ان الفتنة جعلت الحق مستوراً والباطل غطاءً ظاهراً يستر الحق، فأشار الامام أن هدفه هو نقب الباطل حتى يخرج الحق من جنبه، وتظهر الحقائق للمجتمع المسلم، ويكون الانسان المسلم على بصيرة من أمره.

(٤ / ط - ٣٣) موقف المعارضة:

مالِي وَلِقُرَيْش! وَاللهِ لَقَدْ قاتَلْتُهُمْ كافِرِينَ، وَلأُقاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ[١]، وإنّي لَصاحِبُهُمْ بالأمْسِ، كَما أَنا صاحِبُهُمُ الْيَوْمَ[٢]! وَاللهِ[٣] ما تَنْقِمُ مِنّا قُرَيْشٌ إلاّ أَنَّ اللهَ اخْتارَنا عَلَيْهِمْ، فَأَدْخَلْناهُمْ فِي حَيِّزِنا[٤]، فَكانُوا كَما قالَ الأَوَّلُ:

أَدَمْتَ لَعَمْرِي[٥] شرْبَكَ الْمَحْضَ[٦] صابِحاً وأَكْلَكَ بِالزّبْدِ المُقَشَّرَةِ[٧] الْبُجْرَا

ونَحْنُ وهَبْناكَ الْعَلاءَ وَلمْ تَكُنْ عَلِيّاً وحُطْنا[٨] حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالسُّمْرَا[٩]

واشار في هذا المقطع الاخير الى موقف المعارضة قبل الاسلام وبعده، والتي قادتها قريش في معارضة الاسلام في عصر النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وكذلك في عصر عليعَلَيْهِ السَّلَامُ وحيث ان موقفه يسير على خطى النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فتكون المعارضة هي للاهداف في كلي العصرين، وأظهر التعجب من هذين الموقفين المتماثلين بقوله: (مالي ولقريش!) فان الموقف من عليّ ليس موقفاً قبليّاً كما كانت تصوّره دعايات قريش، بل هو موقف نابع من المبدأ الاسلامي بالنسبة الى الطرفين، واشار الى نقاط:

١ ـ (قاتلتهم كافرين) لموقفهم المعارض من بعثة النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وأهدافه.

٢ ـ (ولأُ قاتلنّهم مفتونين) لموقفهم المعارض لمن يسير على خطى محمّدصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسننه.

---

(١) في هـ. أ: وانما قال «مفتونين» فلأن الباغي علىٰ الامام مفتون فاسق.
(٢) في هـ. ب: صاحبهم اليوم، يعني: الجهاد والغزو.
(٣) من هنا الىٰ آخر الخطبة لم ترد في أ و ب، ووردت في د في الهامش عن ح.
(٤) في ص : خيرنا.
(٥) في ص : لعمرو.
(٦) في هـ. ص: المحض: هواللبن الخالص.
(٧) في هـ. ص: الزبدة المقشرة، كأنّه يعني الرطبة العظيمة. ومحصوله: أَلَنْت له الاكل.
(٨) في ص : وجلنا.
(٩) في هـ. ص: الجرد: الخيل، والسمر: الرماح.

٣ ـ (انّي لصاحبهم بالأمس) في دور البعثة في حياة الرسول بتاريخ حياته المعروفة.

٤ ـ (كما أنا صاحبهم اليوم) في دور التصحيح، فلم يختلف الدوران في الاهداف وان افترقا في الزمان.

ثمّ أشار الى ان معارضة قريش الحقيقية ليست بالدعاوى التي يرفعوها، بل نابعة من اصل آخر هو (ان الله اختارنا عليهم) لا لتزامنا بسنة رسول الله واهدافه في الحياة، فكان سبب نصر الرسول من أبي طالب وايثاره، ومنهم عليّ (فأدخلناهم في حيّزنا) اي دخلوا الىٰ جانب النبي وآله، فهذه هي النقطة الاساسية المعارضة وهي النقطة على نصر الإسلام منذ البداية.

ثم تمثّل بالبيتين مخاطباً لقريش ومفادهما:

١ ـ شربت على الدوام في كل صباح اللبن المحض الخالص بلا رغوة.

٢ ـ وأكلت بالزبد المقشرة، وهي طعام يصنع من الحنطة المنزوعة القشر، والبجر: الماء.

٣ ـ ونحن وهبناك العلا بسبب الاسلام، ولم تكن عالياً بغير الاسلام.

٤ ـ [و للدفاع عنك] حطنا حولك بالجرد، أي الخيل المجردة عن الرحال، والسمر أي السهام. وفي ذلك كله إشارة الى المغانم التي حصلت عليها قريش من الاسلام، وانصار الاسلام ثم تنكرت عليهم واهملت اهدافه.

[الخطبة ٣٤]

ومن خطبة له عليه السلام

في استنفار الناس إلى أهل الشام

بعد فراغه من أمر الخوارج، وفيها يتأفف بالناس، وينصح لهم بطريق السداد

يوجه الامام الخطاب في هذه الخطبة الى الجيش بعد الحرب مع الخوارج، وكما يظهر من تاريخ هذه الخطبة ان الجيش اصبح منقسماً وضعفت معنوياته، وفضل بعضهم بعدم الدخول في حرب اخرى.

وهذا النوع فرار من الزحف، وقد يحصل في كل جيش، والدول في عصرنا تتعامل مع الفارين بيد من حديد، ففي ساحة المعركة يكون جزاء الفرار هو الاعدام بالموت، وتختلف العقوبات بعدها، وسياسة الامام عليه السلام كانت على أساس التوعية والانذار بالنتائج التي يترتب على الفرار من دون أية اجبار، كما يدل عليه نص كلامه: (انت فكن ذاك ان شئت) وعلىٰ ذلك كانت سيرة النبي صلى الله عليه وآله، فان المحارب عن غير عقيدة لابد وان يكون موقفه في ساحة الحرب مهزولا والحرب القائمة على الجيش الفاقد للروح المعنوية لابد وان تفشل عاجلا أم آجلاً.

و يتضمن هذا المختار من الخطبة اموراً ثلاثة، هي: حقيقة الموقف، وحقوق الجيش وحقوق القائد:

(١ / ط - ٣٤) **حقيقة الموقف:**

أُفٍّ[١] لَكُمْ! لَقَدْ سَئِمْتُ عِتابَكُمْ، أَرَضِيتُمْ بِالْحياةِ الدُّنْياَ مَنَ الآخِرَةِ عِوَضاً، وبِالذلِّ مِنَ العِزِّ خَلَفاً![٢] إذاَ دَعَوْتُكُمْ إلى جِهاَدِ عَدُوّكُمْ دَارَتْ أَعْـيُنُكُمْ، كَأَنَّكُـمْ مِـنَ المَـوْتِ فِـي غَمْرَةٍ[٣]، ومِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ.

يُرْتَجُ[٤] عَلَيْكُمْ حَوَارِي[٥] فَتَعْمَهُونَ[٦]، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ[٧]، فَأَنْتُمْ لاتَعْقِلُونَ.

---

(١) في هـ. ص: «اف» كلمة استقذار واهانة، وفيها لغات، وفي هـ. ب: الاف: وسخ الظفر والأنف.

(٢) في هـ. ب: اي عوضاً.

(٣) في هـ. ب: اى في غشيان.

(٤) في هـ. ب: ص : يرتج اي يغلق، وفي هـ. ب: يرتج يغلق تشبيها بالرتاج، وهوالباب الغلق.

(٥) في هـ. ص: اي الجواب. وفي هـ. ب: اي كلامي.

(٦) في هـ. ص وب: أي: تتحيرون.

ماَ أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ، سَجِيسَ اللّيَالِي (٨)، ماَ أَنْتُمْ(٩) بِرُكْنٍ يُماَلُ اليكُمْ(١٠)، وَلا زَوَافِرُ(١١) عِزٍّ يُفْتَقَرُ إلَيْكُمْ. ماَ أَنْتُمْ إلاّ كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعاَتُهاَ، فَكُلّماَ جُمِعَتْ من جاَنِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ. بِئْسَ (١٢) ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ سَعْرُ ناَرِ (١٣)الْحَرْبِ أَنْتُمْ!، تُكاَدُونَ وَلاتَكِيدُونَ، ويُنْتَقَصُ (١٤) أطْرَافُكُمْ فَلاَ(١٥) تَمْتَعِضُونَ(١٦)، لايُناَمُ(١٧) عَنْكُمْ وأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ ساَهُون. غُـلِبَ واللهِ الْمتَخاَذِلُونَ!.

أطنب الامام في بيان حقيقة الموقف، حيث ان بدون بيان ذلك لا تظهر اهمية حقوق القائد بالمقارنة مع حقوق الجيش. واستفتح انطباعة الشخصي عن الموقف المتأزم بكلمة (أفّ) وهي كلمة استقذار ومهانة، وبيّن بها عن شدّة الحالة النفسية، ثم عـقبها بـالسبب المباشر الجامع لهذه المهانة، وهو (لقد سئمت عتابكم) على التخاذل من العمل بالواجب العسكري المطلوب من أفراد الجيش، ثم ذكر مواقفهم ونتائجها التي يواجهونها وهي نصر العدوّ ـ وكان كما قال، وقد اثبته التاريخ: وقد اسهب عليه السلام في هذه المواقف، منها:

١ ـ (أرضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة عوضاً؟) وهذا استفهام انكاري لمن لا ينظر الى عواقب مواقفه، فليس هناك من يحبّ الحرب،، ولكنها اذا كانت آخر الحلول فـي صـد العدوّ كانت احسن الاعمال وأفضلها.

٢ ـ ([أرضيتم] بالذّلّ من العزّ خلفاً) فان الحرية عزّ، والعدو يسبلها من الانسان، فلا يكون خلف العزّ إلاّ الذل.

٣ ـ الخوف من الموت (اذا دعوتكم الى جهاد عدوّكم دارت أعينكم كأنّكم من الموت

---

(٧) في هـ. ص: الألس: الجنون. وفي هـ. أ: المألوس: المجنون، والألس: اختلاط العقل .. وفي هـ. ب: المألوس والمألوق: مضطرب اللبّ.

(٨) في هـ. ص سجيس الليالى: ابداً، اي مدىٰ الليالي.

(٩) في ط: وما انتم.

(١٠) في هـ. أ: اي يستند اليكم.

(١١) في هـ. ص: زوافر: جمع زافرة، وزافرة الرجل: انصاره، ويحتمل ان تكون زوافـر بـمعنىٰ حوامل، والزفر: تحميل الوقر، وفي هـ. أ: الزافرة: حاشية الرجل: انصار الرجـل وعشـيرته. وفي هـ. ب: اي انصار.

(١٢) كذا في ص وأ، وفي ب وط ود: لبئس.

(١٣) في هـ. ص: سعر: جمع ساعر، ككظم جمع كاظم. وفي هـ. أ: اي انتم سعر ناره، والسعر جمع سعور، وفي هـ. ب: سعر: جمع سعور، وهومبالغة ساعر، وهوالذي يسعر نار الحرب.

(١٤) في ب: تنقص، وفي هـ د: وينقض ـ ع.

(١٥) في ص وأ: ولا.

(١٦) في هـ. ص: لاتمتعضون، اي لاتغضبون ولاتأنفون، وفي هـ. ب: اي فلا تغضبون.

(١٧) في هامش ب: اي لايغفل.

في غمرة) والغمرة: الشدة مع ان الحياة في ذل العدو أصعب حياة يعيشها طالب الحرية.

٤ ـ ([وانتم] من الذّهول في سكرة) كحالة السكران الذي لا يعي دور نفسه في الحياة لذهوله عن انسانيته (يرتج عليكم حواري فتعمهون) الارتجاج: الانغلاق. والحوار: المحادثة. والعمه: التحيّر، فهم يتحيرون ويغلقون المحاورة في موضوع الحرب لعلمهم بقوة الحجة التي يقولها القائد من ناحية، وعدم ميلهم الى الحرب من ناحية اخرى.

(كأنّ قلوبكم مألوسة) والألس ـ بسكون اللام ـ: الجنون واختلاط العقل، وبسبب هذه الحالة النفسية (فأنتم لا تعقلون)

(ما أنتم لي بثقة سجيس اللّيالي) وكلمة (سجيس الليالي) كلمة تقال للأبد، وترادف القول: «أبد الدهر» فالمعرفة الشخصية في المواقف المتقدمة اوصلته الى هذه النتيجة، حيث ان الثقة فقدت (ما أنتم بركن يمال بكم) والمفروض في الجيش ان يكون الركن الذى يمثل كل الشعب بما فيهم القائد وخُصوصاً في حالة الدفاع، فاذا فقد هذا الركن فانه سوف ينهدم الشعب، وهذا الجيش المتضعضع معنويا ليس بالركن الوثيق الذي يعتمد عليه عند الحرب.

(لا زوافر عزّ يفتقر اليكم) وزافرة الرجل: انصاره وعشيرته، والجيش بهذه الحالة النفسية لا يمكن ان يكون نصيراً يركن اليه عند الشدة.

فان الجيش في هذه الحالة لا يكون (إلاّ كإبلٍ ضلّ رعاتها فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر) وفي ذلك اشارة الى تعدد القيادات التي هي تحت قيادته العليا، وان فيها ما لا تمتثل أوامره حرفياً، وتجمّع الجيش في هذه الحالة أمر عسر.

١١ ـ (لبئس ـ لعمر الله ـ سعر نار الحرب أنتم) فان الجيش المتضعضع معنويا لا يحارب بحزم، والعدو حينما يجد هذه الروح المعنوية الضعيفة يهجم عليه بالضغط على نقطة الضعف هذه التي لابد وان تظهر في المواقف المتخاذلة، واقلها عدم الهجوم، فيكون الجيش الذي يشارك كالمتفرج الىٰ سعر الحرب والنار التي تحترق في الحرب.

١٢ ـ (تكادون ولا تكيدون) والسبب في ذلك ان الجيش بهذه الصفة لايهجم، بل يهجم عليه.

١٣ ـ (وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون) ولفقدان وحدة الكلمة في الجيش، حينما ينتقص طرف من الجيش لا يتأثّر الطرف الآخر بذلك دفاعا عنه، بل يحافظ عليّ نفسه ولا يمتعض ـ أي لا يغضب ـ لما حلّ بأخيه المجاهد.

١٤ ـ (لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون) والعدو دائم اليقظة للقضاء على الجيش المحارب بمختلف الوسائل والحيل المادية والعسكرية والنفسية، والجيش

الغافل على العكس.

١٥ ـ (غلب ـ والله ـ المتخاذلون) وطبيعي ان تكون الغلبة لليقظان على الغفلان، وينتصر المحاربون على المتخاذلين من المتحاربين.

(٢ / ط ـ ٣٤) ونتيجة الموقف:

وَايْمُ اللهِ، إنّي لأظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوحَمِسَ الْوَغَى(١)، وَاسْتَحَرَّ المَوْتُ، قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أبي طالب انْفِرَاجَ الرَّأس(٢).

وَاللهِ إنَّ امْرَأً يُمَكّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ، يَعْرُقُ لْحَمَه(٣)، ويَهْشِمُ عَظْمَه، ويَفْرِي(٤) جِلْدَهُ، لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ(٥)، ضَعِيفُ ماَ ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِه.

ونتيجة الموقف المتخاذل أيضاً طبيعية، وهي التخاذل امام العدوّ في ساحة الحرب، ونتيجة التخاذل: فقدان الاستقلال في الحياة، وقد اشار اليها في هذا المقطع:

الاول: التخاذل في ساحة الحرب، وقد حلف الامام على هذه النتيجة بقوله: (وايم الله انّي لاظنّ بكم أن لو حمس الوغى) أي اشتد الحرب (واستحرّ الموت) أي بلغ الغاية في الحر والشدة (قد انفرجتم عن ابن أبي طالب) وتركتم القيادة طلبا للنجاة لانفسكم، مع ان العدوّ لا يرحم احداً، قائداً كان أو غيره، ولا يثق بمن حارب في صفوف أعدائِه ابداً. وعبّر عليه السلام عن هذا الانفراج (بانفراج الرّأس) أي كما ينفلق الرأس نصفين، فان القيادة في الجيش هي كالرأس المفكر، فاذا حصل التخاذل انقسمت القيادة، وتهشمت، وأصبحت الأُمة الفاقدة للقائد طعمة للعدوّ الذي لا يرحم احداً.

الثاني: ان نتيجة التخاذل فقدان الحريّة والاستقلال في الحياة، لان التخاذل تمكين للعدو ان يسيطر علىٰ الامة وينتصر في حربه، وقد حلف الامام بان هذه النتائج حتميّة بقوله: (والله انّ امرءاً يمكّن عدوّه من نفسه) سوف ينتج ما يلي:

---

(١) في هـ. ص: حمس الوغىٰ، حمس: اي اشتد، والوغىٰ هي الحرب، وأصله: الأصوات والجلبة. وفي هـ. أ: حمس الوغىٰ: اشتد الحرب، وفي هـ. ب: اشتد.

(٢) في هـ. د: انفراج الرأس من الجسد ـ م، وفي هـ. ب: اي انكشفتم وتفرقتم عنه ولاتعودون، كمالايعود الرأس الىٰ الجسد بعد مفارقته.

(٣) في هـ. ص: يعرق لحمُه، يقال: عرفت اللحم من فوق العظم، أي: اخذت جميعه، وفي هـ. ب: من العرق، وهوأخذ اللحم بالسيف والسكين.

(٤) في هـ. ب: اي يقطع.

(٥) في هـ. أ: يريد المبالغة في الوصف بالعجز وخسّة النفس، يقال ذلك لمن يمكّن عدوّه من نفسه، وبلغ من ضيق عيشه وقلّة ذات يده الىٰ ان يأكل اللحم الذي علىٰ عظمه، واذا لم يمكنه ذلك كسر عظمه ليأكل مخّهُ، كل ذلك يكون بعد أن يقطع جلده، والعظيم العجز: الضعيف القلب.

١ ـ (يعرق لحمه) أي يأكل لحمه، فالاستيلاء على جميع منابع الاقتصاد من قبل العدوّ سوف يجعل الشعب فقيراً محتاجاً الى رحمة العدوّ.

٢ ـ (ويهشم عظمه) بالقضاء على كل مقومات الانسان التي هي كالهيكل العظمي، حتى يفقد هويته الشعبية.

٣ ـ (ويفري جلده) والفري: التمزيق، أي يعريه من كل مظاهر الشخصية.

٤ ـ (لعظيم عجزه) ولا يمكن ان يعجز هذا العدو مع التخاذل الذي يجده من الانسان المغلوب على امره.

٥ ـ (ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره) فان هذه الظواهر تكشف عن حقد عميق يكنّه العدو الذي يهدف الى الإبادة الشاملة لكل من يتصور فيه ادنى خطر عليه، والتاريخ على كل ذلك خير شاهد.

(٣ / ط - ٣٤) **موقف الامام:**

أَنْتَ فَكُنْ[١] ذَاك إنْ[٢] شِئْتَ، فَأَمّا أَنَاَ، فَـوَاللهِ[٣] دُونَ أَنْ أَعْـطِيَ ذَلِك[٤] ضَـرْبٌ بِالمَشْرَفيَّةِ[٥] تَطِيرُ مِنْهُ فَراشُ[٦] الْهاَمِ[٧]، وتَطِيحُ[٨] السَّوَاعِدُ وَالأَقْدَام، ويَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ ماَ يَشاَء.

وأشار الامام الى موقفه ـ كقائد اسلامي ـ في هذا الموقف المتخاذل الذي يعيش فيه ـ بالتأكيد على الثوابت الاسلامية، وأهمها أمران، اشار اليهما بعد التوعية الكافية:

الاول: الحرية الكاملة للجيش ان يسير بوعي الىٰ حرب العدو (أنت فكن ذاك إن شئت) بان يختار التخاذلالعمل بالواجب العسكري من دون أي ضغط نفسي من القيادة.

الثاني: العمل بالواجب العسكري، وقد جعلعليه السلام نفسه مثالاً لمن يعمل بهذا الواجب حالفاً بالله، ورافضا للتخاذل جملة وتفصيلاً بقوله: (فأمّا أنا، فو الله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفيّة) وهي السيف، وعبّر عن رؤيته الواضحة في هذه الحرب بأنّ الضرب

---

(١) في ه. ص: انت فكن، خطاب لمن يرىٰ هذا ويرضىٰ به ويقار عليه غير معين. وفي ه. أ: «انت» خطاب لكل واحد من حضور مجلسه، وذاك الىٰ من يصف عجزه بتمكين عدوه من نفسه كائنا من كان. وفي ه. ب: ايها الناس.

(٢) في ص: اذا. (١١) ه. د: فأمّا أنا والله ف. (١٢) في د: ذاك.

(٥) في ه. ص: المشرفية: هي السيوف، نسبة الىٰ مشارف، وهي قرىٰ من ارض العرب تدنو من الريف. وفي ه. ب: مشرفية سيف منسوب الىٰ قرية باليمن.

(٦) في ه. ب: فراش اي عظام.

(٧) في ه. ص: فراش الهام: هي عظام الرأس، جمع فراشة وفي ه. أ: كل عظم رقيق وفي ه. ب: فراش الهام عظام الرأس الدقيقة تلي القحف.

(٨) في ه. ص: تطيح: اي تبين و تطرح، و في ه. ب: تسقط.

بالسيف ليس امراً صادرا للتظاهر، بل له صفات حقيقية، هي أن:

١ ـ (تطير منه فراش الهام) وفراش الهام: العظام الرقيقة التي تكون فوق الدماغ.

٢ ـ (وتطيح السّواعد والاقدام) وحيث ان في اداء الواجب الاسلامي لا يهم الانسان سوى رضى الله سبحانه (ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء).

(٤ / ط - ٣٤) **حقوق القيادة والشعب:**

أَيُّهَاالنَّاسُ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَلِكُمْ عَلَيَّ حَقٌ.

فَأَمّاَ حَقُّكُمْ عَلَيّ[(١)]: فَالَنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ[(٢)] عَلَيْكُم، وتَعْلِيُمكُمْ كَيْلاَ تَجْهَلُوا، وتَأْدِيبُكُمْ كَيْماَ[(٣)] تَعْلَمُوا[(٤)].

وأمّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فاَلْوَفاَء بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي المَشْهَدِ وَالمَغِيب، وَالإجاَبَةُ حِينَ أَدعُوكُمْ، والطَّاَعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ.

واشار عليه السلام الى حقوق يختص بكل من القائد والشعب في عقد اسلامي بين القائد الذي انتخبه الشعب.

فهو عليه السلام أوّلاً: لخّص حقوق الشعب بأُمور، هي:

١ ـ (النصيحة لكم) وقد قام بها في هذا الموقف بالنقاط المتقدمة.

٢ ـ (وتوفير فيئكم عليكم) والفيء: الخراج الذي يتكفل تأمين الجانب الاقتصادي للأُمة.

٣ ـ (وتعليمكم كيلا تجهلوا) فان الثقافة هي من مقومات أية حضارة متقدمة.

٤ ـ (تأديبكم كيما تعلموا) والتأديب يراد به هنا ـ ظاهراً ـ العقوبات.

وثانيا: لخصّ حقوق القائد الاسلامي بأمور، هي:

١ ـ (الوفاء بالبيعة) فان البيعة تلزم الانسان بعد اختيارها، ولا يجوز نقضها.

٢ ـ (والنّصيحة في المشهد والمغيب) بالتنبيه على الأخطاء سياسياً وادارياً بحرية كاملة في المشهد، أي في حضور القائد لكي يسمع التوجيه الصحيح اذا احتاج الى اجابة، وكذلك في المغيب، اي عند عدم حضور القائد بنصرته والدفاع عن مواقفه.

٣ ـ (الاجابة حين أدعوكم) فان دعوة القائد إنما هي عن مصلحة عليا تهمّ مستقبل الأُمة والاجيال القادمة.

---

(١) في هـ. د: فاما حقكم فالنصيحة لكم ـ م.
(٢) في هـ. ب: الفيء الغنيمة.
(٣) في هـ. ب: اي كي تعلموا.
(٤) في هـ. أ: في نسخة: تعلموا.

٤ ـ (والطّاعة حين آمركم) فان التخاذل عن الاوامر القيادية طعن في القيادة، والامة التي لا تطيع قائدها الاسلامي المخلص لابد وان تموت عاجلا ام آجلا.

من تاريخ الخطبة:

وعن خلفية هذا الموقف ذكر ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في « شرح نهج البلاغة» مالفظه، قال:« خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة، بعد فراغه من أمر الخوارج، وقد كان قام بالنهروان، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فإن الله قد أحسن نصركم، فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام. فقاموا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، نفدت نبالنا، وكلت سيوفنا، وانصلتت [١] أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصدا[٢]. ارجع بنا إلى مصرنا، نستعد بأحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا، فإنه أقوى لنا على عدونا.

فكان جوابه عليه السلام:﴿يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾[٣]. فتلكأوا عليه، وقالوا: إن البرد شديد. فقال: إنهم يجدون البرد كما تجدون. فتلكأوا وأبوا، فقال: أف لكم! إنها سنة جرت، ثم تلا قوله تعالى :﴿قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾[٤]. فقام منهم ناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، الجراح فاش في الناس – وكان أهل النهروان قد أكثروا الجراح في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام – فارجع إلى الكوفة، فأقم بها أياماً، ثم اخرج، خار الله لك! فرجع إلى الكوفة عن غير رضاً».

وعن أمر الناس بعد وقعة النهروان قال:« وروى نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة، عن أبي وداك، قال: لما كره القوم المسير إلى الشام عقيب واقعة النهروان، أقبل بهم أمير المؤمنين، فأنزلهم النخيلة، وأمر الناس أن يلزموا معسكرهم، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم، وأن يقلوا زيارة النساء وأبنائهم، حتى يسير بهم إلى عدوهم، وكان ذلك هو الرأي لو فعلوه، لكنهم لم يفعلوا، وأقبلوا يتسللون ويدخلون الكوفة، فتركوه عليه السلام وما معه من الناس إلّا رجال من وجوههم قليل، وبقي المعسكر خاليا، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، ولا من أقام معه صبر. فلما رأى ذلك دخل الكوفة». [٥]

---

(١) انصلتت: انجردت.

(٢) قصد: جمع قصدة، وهي الكرة من القناة أو الرمح.

(٣) آل عمران ٣: ١٤٩.

(٤) المائدة ٥ :٢٢.

(٥) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٢ : ١٩٣.

[الخطبة ٣٥]

ومن خطبة له عليه السلام بعد التحكيم وما بلغه من أمر الحكمين وفيها حمد الله على بلائه، ثم بيان سبب البلوى

التحكيم، ويعني به تحكيم القرآن، وهو القرار الذي دعىٰ إليه اهل الشام في الحرب الاهلية التي سجّرها معاوية باعتباره زعيم المعارضة في الشام، ضدّ الامام عـليّ الذي انعقدت له الخلافة في المدينة في عام ٣٧، فبعد انعقاد الخلافة للامام علي عليه السلام مـباشرة اندلعت الحرب الاهلية، وقضىٰ عليها الامام فوراً، إلّا ما قام به معاوية في الشـام لعـدة أسباب أهمّها: معاهدة الصلح الذي عقدها معاوية مع البيزنطينيين للتفرغ لمحاربة الامام في صفين، وحينما لاحت علائم النصر للامام طالب اهل الشام التحكيم، كما هو مشروح في كتب التاريخ، وذكرها الشارح بتفصيل في شرحه (ج ٢ ـ ص ٢٠٥ ـ٢٦٣) واشـرت اليها في «موارد الاعتبار» وهي كثيرة، ولعل أهمها ان طلب التحكيم كان لاجل الصلح، وهي دعوة مقبولة اذا كانت حقيقية واذا لم تكن عن عجز، وقد رفـعها مـعاوية عـندما لاحت امارات النصر للامام، فهي لم تكن دعوة حقيقية، بل كـانت تكـتيكا عسكـريا، وعلى هذا الاساس رفضها الامام باعتباره القائد، وانخذع بها بعض أعضاء القيادة الحربية الذين عرفوا فيما بعد بالخوارج، وكان ذلك في عاشر صفر سنة ٣٧ في صفين، وتقع اليوم في «الرقّة» بالقرب من مدينة حلب في الاراضي السورية، وفيها آثار للامـام عـلي عليه السلام يتبرك بها اهالي المنطقة.

وفي هذه الخطبة بيّن الامام حقيقة الموقف من جانبه كقائد، ومن جانب بعض اعضاء قيادته العسكرية، ونتيجة هذه المواقف الطبيعية.

(١ / ط - ٣٥) نتيجة الموقف:

الْحَمْدُ للهِ وإنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ[١] الْفَادِحِ[٢]، وَالْحدَثِ الْجَلِيلِ[٣]، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰه إلاّ اللهُ، لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه صلى الله عليه وآله[٤].

اشار الامام عليه السلام ـ اولاً ـ الى نتيجة الموقف التي ظهرت بوضوح لأعضاء القيادة الذين

---

(١) في هـ. ب: الخطب: الامر العظيم.
(٢) في هـ. ص وب: اي الثقيل، وفي هـ. أ: من قولهم: فدحه الدين الثقيل.
(٣) في هـ. ب: الحدث الجليل: هوالحكومة.
(٤) في ط ود زيادة: وحدهُ لاشريك له.

لم يذعنوا الى أوامر القائد، وهي ان دعوى الصلح والتحكيم لم تكن حقيقية، بل كانت تكتيكا عسكريا أراد به العدوّ كسب الوقت، وإحداث التفرقة في صفوف جيش الامام، وقد نجح في ذلك مبدئيا، وان لم ينجح في زعزعة مواقف القائد.

فان الامام استخدم هذه الحادثة في التأكيد على الثوابت الاسلامية في تثقيف من انخدع في مسألة التحكيم، وافتتح الخطبة بالحمد لله على المكروه الذي لا يحمد على مكروه سواه، واشار الى قضية التحكيم بأوصاف أربع، هي:

١ ـ الخطب، وهو الشأن، وغلب استعماله للامر العظيم المكروه.

٢ ـ الفادح، وهو الثقيل الصعب روحياً.

٣ ـ الحدث، وهو الامر الجديد الذي ليس معتاداً ولامعروفاً.

٤ ـ الجليل، وهو العظيم لعظم آثار هذا التحكيم في التاريخ الاسلامي العام.

و لوضوح هذه الحقائق اكتفى بهذه الصفات الأربع، واستمر في التأكيد على الثوابت الاسلامية من الشهادتين بالتوحيد والنبوة الذين بهما قوام الاسلام كدين وأُمّة.

(٢/ط - ٣٥) حقيقة الموقف:

أَمّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النّاصِحِ الشَّفِيقِ[١] الْعالِمِ الُمجَرِّبِ، تُورِثُ الْحسْرَةَ، وتُعْقِبُ النَّدَامَة، وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِى هَذِهِ الْحكُومَةِ أَمْرِي، ونَخَلْتُ لَكُمْ[٢] مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوكاَنَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ[٣] أمْرٌ!، فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إباء الْمخالِفِينَ الجُفاَة، وَالُمنابَذِينَ الْعُصاَةِ، حَتَّى ارْتاَبَ النّاَصِحُ بِنُصحِهِ[٤] وضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ.

---

(١) في ه. ب: في نسخة: المشفق.

(٢) في ب: ومحلت وفي د: ونخلت، وفى ه. ب فى نسخة: نخلت: أخلصت، ونحلت: اعطيت، وفى ه. ص: اي اخلصته من نخلت الدقيق.

(٣) في هامش الالف: هوصاحب جذيمة، وحديثه مع جذيمة والزباء مشهور، فضرب لكل ناصح معصى مثل بقصيرٍ. وفي ه. أ: قصير هوالذي قال فيه عدي بن زيد.
فطاوع امرهم وعصىٰ قصيراً وهوقصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الابرش وقصته في النصح له مشهورة، انتهى.
قلت: واصل المثل: ان جذيمة الأبرش – احد ملوك العرب – قتل ابا الزباء ملكة الجزيرة، فبعثت اليه عن حين ليتزوج بها وسألته القدوم، فأجابها الى ذلك، وخرج في أ فارس، وكان قصير قد اشار الى جذيمة بأن لايتوجّه اليها، فلميقبل رأيه، فلّما قرب جذيمة من الجزيرة استقبله جنود الزبّاء بالعدّة، ولمير منهم اكراماً له، فأشار عليه قصير بالرجوع عنها، وقال: انها امرأةٌ ومن شأن النساء الغدر، فلميقبل منها، فلمّا دخل اليها غدرت به وقتلته، فعندها قال قصير: «لايطاع لقصير امر» فذهبت مثلا.

(٤) في ه. أ: حتىٰ ارتاب الناصح يشير الىٰ نفسه، يقول: خالفتموني حتىٰ ظننت ان نصحي الذي نصحتكم به غير نصح؛ لاجتماعكم علىٰ خلافي. وهذا حق؛ لان ذا الرأي الصواب اذا

وشرح الامام في هذا المقطع مواقفه كقائد أعلى، ومواقف بعض أصحابه والنتيجة المتوقعة لهذه المواقف.

اما مواقف القائد:

و هي الصفات المطلوبة في أيّ قائد يتحمل المسؤولية بأداء واجبه الوطني، وهو:

١ ـ الناصح، وبذلك يختلف عمن يحكم بالدكتاتورية والقبلية.

٢ ـ الشفيق، وبذلك يفترق عنهم بعدم تقديم مصالحة على مصالح امته.

٣ ـ العالم، وبذلك يفترق عمّن يقوم بثورات اصلاحية من أجل الآخرين.

٤ ـ المجرّب، وبذلك يفترق عمّن يقوم بقرارات اعتباطية.

وقد اجتمعت هذه الصفات في الامام كما ينبىء عنه تواريخ حياته، وفي هذا الموقف بالذات.

واما مواقف الاصحاب:

واصحاب الامام الذين يخاطبهم باعتبارهم اعضاء القيادة العسكرية ـ كما هو الحال في كل قيادة عسكرية ـ لهم آراؤهم الخاصة، فهم بين المتشدد واللـيّن، وكـل يـخضع للمؤثرات والتربية الفكرية والرغبات الشخصية لكل فرد ـ فكان اعضاء قيادة الامام عليه السلام يتكون من الجانب الاول، ممن يرىٰ رأي الامام، بان دعوى التحكيم تكتيك عسكري، غير حقيقي، يجب رفضه والاستمرار في الحرب الاسلامية العـقائدية حـتى النـصر أو الشهادة.

الثاني: من يرىٰ الرضوخ لدعوة التحكيم هذه، وكانوا هؤلاء هم الاغلب من اعضاء القيادة، وان كانت دوافع هذا الرضوح مختلفة.

وما كان للامام القائد من خيارات، هي:

اولاً: التثقيف والتوعية العسكرية بحكم صفاته المتقدمة، وهـذا واجب اسـلامي لا يمكن العدول عنه.

وثانياً: القضاء على هؤلاء المخالفين بـيد حـديدية، وهـذا حكـم يـناقض الثـابتة الاسلامية من الحكم بالشورى.

وثالثا: الاستمرار في الحرب مع وجود هذا الانشقاق في الرأي، وغلبة الجانب الراضخ لدعوة التحكيم.

ورأى القائد ان الخيار الثالث مرفوض؛ لان الانشقاق الحاصل لابد وان ينتج الفشل،

كثر مخالفوه يشك في نفسه.

والخيار الثاني مرفوض أيضاً؛ لانّه يناقض الحكم في الاسلام، وعليه فيتعين الخيار الاول، وهذا ما قام به خير قيام، فوصف مواقف هذا البعض من رأى القائد في نقاط رئيسية، هي عدم الانقياد لأوامر القائد (فأبيتم عليّ) بأشد انواع الإباء، فوصفهم باوصاف، هي:

١ ـ المخالفين، فان الخلاف لرأي القائد انحراف عن واجب الطاعة.

٢ ـ الجفاة، والجفاء: الغلظة والخشونة في نوعية الخلاف قولاً.

٣ ـ المنابذين، والنبذ هو الطرح؛ بعدم الانصياع للأوامر القيادية عملاً.

٤ ـ العصاة، والعصيان هو الخروج عن الطاعة علناً.

وهذه الصفات المترتبة حصلت من بعض الاعضاء كما هو مشروح في التاريخ.

نتيجة الموقفين:

ونتيجة المقارنة بين الموقفين بيّنة، وقد اشار الامام إلى امرين، أعرب عنها الأعضاء الرافضون لموقف الامام، وهما حالتان نفسيتان لهم لا يمكن إزالتهما قط، هما:

اولا: الحسرة، وهي ضعف في الرؤية في القرارات المطلوب فيها القوة والحزم.

ثانيا: الندامة، وهي الحزن على ما مضىٰ من الظرف المناسب للنصر، حيث كان العدوّ عاجزا عن الامداد المادي والمعنوي.

وحالتان نفسيّتان للقائد الذي لا يطاع، وهما:

١ ـ الشك في فائدة النصيحة، فان الاصرار على الاباء يكشف عن عدم الاستعداد لقبول النصح، فيكون النصيحة كالبذرة في الارض المالحة، فيكون القائد الناصح مرتاباً في نصحه، في انه هل وقع النصح في المحل القابل للنصيحة، ام لا؟ وان كان يؤدّي ذلك أداءً للواجب الاسلامي.

٢ ـ ونتيجة لعدم التقبّل للنصيحة، ان يكون الناصح ظنيناً بالنصيحة إلاّ عند اجتماع شرائطها، ومنها التقبل لها، كما لا يكون الزند ـ وهو العود الذي يوري النار ـ قادحاً، اي سبباً في اشتعال النار اذا لم تجتمع الشرائط، التي منها الاستعداد لذلك، كعدم الرطوبة التي هي مانع من الاشتعال.

وهاتان الحالتان النفسيتان طبيعية للانسان وان لم يمنع ذلك من أداء الواجب الاسلامي، كما كانت مواقف الامام القائد مع البعض المتمرد.

واشار الامام الى هذه النتيجة المتوقعة في البداية عند ما ارتقعت الاصوات المؤيدة للتحكيم ودعوات الصلح، حينما علم العدوّ بالعجز عن المقاومة في ساحة الحرب، وكان موقف الامام موقف أيّ قائد يسير على مبادئه الثابتة وأشار الىٰ ذلك بقوله:

١ ـ (وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري)

٢ ـ (ونخلت لكم مخزون رأيي)

فان القائد المخلص يدرس الآراء وينخلها كما ينخل دقيق الحنطة، فيخزن الاصلح للاستفادة منه في وقت الحاجة، ويأمر بها كذلك.

واستشهد عليه السلام بالمثل الشائع في عصره: (لو كان يطاع لقصير أمر).

(٣ / ط ـ ٣٥) الاستشهاد بالأمثال:

فَكُنْتُ أناَ وإيّاكُمْ كَماَ قَالَ أَخُو هَوَازِنَ[1]:

أَمَـرْتُهُمُ أَمْـرِي بِـمُنْعَرَجِ اللِّـوَى — فَلم يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إلاّ ضُحَى الْغَدِ[2]

---

(١) في هـ. ص: هو دريد بن الصمة. وفي هـ. ب: اخو هوازن، وهو دريد بن الصمة، غزا اخوه عبد الله بن الصمة قوماً وغنم منهم وساق ابلهم، وأقام بمنعرج اللوىٰ، ونهاه دريد عن المقام، وقال: ان القوم سيطلبونك ويتبعونك، فلجّ اخوه واقام، ثم ظعن ولحقهُ القوم فقتلوه، وأفلت دريد، فقال: أمرتكم ... البيت. انتهىٰ.

قلت: نسبه عليه السلام الىٰ هوازن، لان دريداً هو ابن الصمة، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، فاطلق لفظ الأخوّة لمجرد الاتصال بهم.

وقصته في هذه القصيدة: ان اخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن، فغنم منهم واستاق ابلهم، فلما كان بمنعرج اللوىٰ أراد ان يقسّم النهب فقال له اخوه دريد: لاتفعل؛ فان القوم في طلبك، فأبىٰ عليه واقام وبات، فلما اصبح هجم عليه القوم وقتلوه ونجىٰ دريد بعد طعنات وجراح، فقال القصيدة. ومطلعها:

نَصَحْتُ لِعاَرِضٍ وأَصْحاَبِ عاَرِضٍ — ورَهْطِ بَنِي السَّوْداَءِ وَالْقومُ شُهَّدي
فقلت لهم ظُنّوا بألْفيْ مُدَجَّجٍ — سَراَتُهُمُ في الفارسيّ المَسرّدِ
أَمَرْتُهُمُ أمْرِي بمنعَرَجِ اللّوَىٰ — فلم يَستَبِينُوا النُّصْحَ إلاّ ضُحَى الْغَدِ
فَلَمّا عَصَوْنِي كُنتُ منهم وقد أرَى — غَوايتَهُم وأنّنِي غيرُ مُهْتَدِ
وماَ أناَ إلاّ مِنْ غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ — غَوَيتُ، وإنْ تَرْشُدْ غَزِيّة أرْشُدِ

قلت: قال المرزوقي: يجوز أن يكون معنى «ظنوا» كل ظن قبيح بهم، إذا غزوكم في أرضكم وعقر دياركم. ويجوز أن يكون معني ظنوا: أيقنوا؛ لأن الظن يستعمل في اليقين، على حدّ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُوا رَبِّهِمْ﴾ البقرة: ٢ / ٤٦. والمدجج: التام السلاح، من الدجة، وهي الظلمة. وسراتهم: خيارهم، وعنى بالفارسي المسرد: الدروع. ديوان الحماسة ج٢ص ٨١٣.

(٢) في هـ. أ: هذه استعارة في عدم الفائدة في قول الناصح اذا لم يقبل منه، معناه: انه لم يبد بعد ذلك رأي مصيب؛ لشدة ما لقيته منكم من الاباء والمخالفة، وهذا حق؛ لان المشير الناصح اذا اتهم فسد رأيه.

وسبب التحكيم ان اهل الشام طلبوا ذلك فراراً من سيوف اهل العراق، لأنّهم رأوا منهم امارات القهر والغلبة وانها قد لاحت فلما رأوا ذلك عدلوا عن النزاع الىٰ الخداع، وكان ذلك رأي عمرو بن العاص، وقد اورد ذلك نصر بن مزاحم في كتاب صفين، وهو ثقة صحيح العلم من اصحاب الحديث غير منسوب الىٰ هوىٰ وتعصب، فمن اراد الوقوف على ذلك فليطالع كتابه

واستخدم الامام في هذه الخطبة مثلين عربيين يظهر شيوع استعمالهما في عصر الامام.

الاول: «لو كان يطاع لقصير أمر»، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ ه) «قصير صاحب جذيمة، وحديثه مع جذيمة ومع الزباء مشهور، فضرب المثل لكل ناصح يعصىٰ كقصير»[١].

قال الجلالي: وجذيمة هو الابرش بن مالك بن فهيم التنوخي القضاعي، من ملوك العرب في الجاهلية، ملك العراق. والزباء ـ وقد تسمّى زينب، و زنوبيا ـ هي ملكة تدمر، السورية حكمت في العصر الجاهلي، أي حوالى خمسماءة عام قبل الهجرة.

وكان الابرش وزنوبيا في حرب ولما استولت زنوبيا على اراضي الابرش كان من رأي وزيره المسمىٰ «قصير» مواصلة الحرب حتى النصر، ولم يستجب لذلك الابرش، وكانت النتيجة ان تحالفت زنوبيا مع الرومان وقضت على الابرش بالقتل، وقام قصير من بعده بقتل زنوبيا بالحيلة التي اصبحت مثلا معروفا، بقولهم (لأمرٍ مّا جدع قصير أنفه).

الثاني: شعر أخي هوازن، وهو دريد بن الصمة، من شعراء الجاهلية من هوازن المخضرمين، فقد ادرك الاسلام وقتل في السنة الثانية من الهجرة، وكان له اخ قد قام بغزو غطفان وغنم مالا عظيما، ولبث في منعرج اللوى، فحذّره أخوه دريد عن اللبث قائلاً: (ان غطفان ليست بغافلة عنا) لكنه لم يقبل النصح. وثارت عليه غطفان وقتلته وقال الابيات التي اولها:

نصحت لعارض وأصحاب عارض ... ورهط بني السوداء والقوم شهدي
فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ... سراتهم في الفارسي المسرد
أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ... فلم يستبينوا النصح إلّا ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى ... غوايتهم وأنني غير مهتد
وما أنا إلّا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد[٢]

واستشهاد الامام بالمثل الشائع يكشف عن علم كامل بالتاريخ الماضي للاقليمين: العراق وسوريا، وتاريخ الحكومات فيهما، والعبر التي كانت معروفة بين اهلها في ذلك العصر، وان لم يعتبر بها أصحابه، وما اكثر العبر واقل الاعتبار.

المذكور. انتهىٰ. هذا، وقد نقل ابن أبي الحديد نبذاً من قصة التحكيم وظهور امر الخوارج عن كتاب صفين في شرحه ٢ : ٢٠٦. فراجع.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٣٠٤.

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ٢٠٥ .

[الخطبة ٣٦]

ومن خطبة له عليه السلام

في تخويف أهل النهروان

تجمّع الذين فرضوا التحكيم أولاً ثم رفضوا نتيجتها أخيراً في منطقة النهروان، وهي الكوت ـ العراق ـ اليوم، (وللتفصيل راجع المادة في المعجم) واعلنوا المعارضة المسلحة ضد الامام عليّ ومن هنا عرفوا بالخوارج (راجع المادة في المعجم) وكان شعارهم: (لاحكم إلاّ لله) وأن قبول التحكيم كفر. وغريب هذا النوع من التكفير مع انهم كانوا اول من رضخ الى دعوة الحكومة، فكانوا هم اولىٰ بهذا الاتهام من غيرهم، ووقف الامام عليّ تجاه هؤلاء موقفاً اسلاميا حازماً عندما اعلنوا الثورة المسلحة في النهروان اولاً، وانذرهم اخيراً بعد ان لم ينفع النصح.

(١/٣٦ ـ ط) **في تخويف أهل النهروان:**

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ[١] أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ[٢] هَذَا النَّهْرِ، وبِأَهْضَامِ[٣] هَذَا الْغَائِطِ،[٤] عَلَى غيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلاسُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ، قَدْ طَوَّحَتْ[٥] بِكُمُ الدَّارُ، وَاحْتَبَلَكُمُ[٦] المِقْدَارُ.[٧]

وقَدْ كَنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحكُومَةِ، فَأَبَيْتُمْ عَلَيّ إبَاءَ الُـمخَالِفِينَ المُـنابَذِين، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلى هَوَاكُمْ. وأَنْتُمْ مَعاَشِرُ أَخِفَّاء الهاَمِ، سُفَهاء الأحْلامِ، وَلم آتِ ـ لا أباَ لَكُمْ[٨] ـ بُجْراً[٩]، وَلاأَرَدْتُ بِكُمْ ضُرّا.

---

(١) في ه. أ: المخاطبون الخوارج.

(٢) في ه. ص: الاثناء جمع ثني، وهوالعطف، وفي ه. ب: أوسط.

(٣) في ه. ص: الاهضام جمع هضم، اي المتطاطيء، وفي ه. أ: الأهضام جمع هضم، وهوما اطمأن من الارض، وفي هـ. ب: وهوالمطمئن من الارض.

(٤) من ص : الغائط: ما غار من الارض وتسافل.

(٥) في ه. ص: طوحت، اي بعدتم من محالّكم من غير مخرج لكم، الاانفسكم، وفي ه. ب: بعدت، وفي هامش آخر: من التطوح، وهو التبعيد.

(٦) في ه. ص: احتبلتكم: اي احتبسكم الجبن وفي ه. ب: عقر بكم.

(٧) في ه. أ: القدر.

(٨) في ه. أ: لا ابا لكم، يقال في الذم، ومعناه: لاابالكم تقر عينه بكم، ومعناه: انه منفرد لا اب له.

(٩) في ه. أ: في نسخة: عرّا، وفى ه. ب: في نسخة: عرّ، هجرا: فحش، وفي ه. د: لاأبالكم عراً

وتتضمن الخطبة مواد الانذار وبيان الواقع الذي يكشف عن حقيقة الخوارج.

مواد الانذار:

١ ـ القتل (ان تصبحوا صرعى) فان الفئة الباغية التي تسخدم القوة المسلحة لا يمكن ان يطلق لها الحرية في الاعتداء على حياة الآخرين، ولم يبادر الامام بذلك حتى تكرر اعتداؤهم ثلاث مرات.

٢ ـ الرد السريع (بأثناء هذا النّهر) المعروف بالنهروان تارة، والحروراء اخرى، وما بقربه من المناطق القريبة، وهي (أهضام هذا الغائط) والهضم: بطن الوادي، والغائط: المنخفض من الارض، فلا يكون تأخير في انزال العقوبة على من اعلن الثورة المسلحة ضد الحكم القائم، للاسباب التالية:

٣ ـ لامبرّر للخروج؛ فان المعارضة المسلحة لابد لها من مبرّر قانوني، والخوارج كانوا (على غير بيّنة) من ربهم، فلا مجوز شرعي لخروجهم المسلّح، فتكون معارضتهم غير شرعية.

٤ ـ لا سلطة شرعية قانونية لهم حيث (لا سلطان مبين) معهم؛ فان السلطة الشرعية السياسية تكون بالشورى، والمفروض انهم اقلية وليست لهم سلطة واضحة تؤيدها الشورى. بل هم على العكس من ذلك.

٥ ـ (طوّحت بكم الدّار) أي قذفتكم في الضلالة.

٦ ـ (احتبلكم المقدار) والمقدار هو القدر، والاحتبال: جعلهم في الحبالة، فهم كقوة معارضة وقعوا في حبل خطط مقدّرة لإشعال الحرب الداخلية في صفوف الامام، حتى تتسع اختلاف الكلمة، وينصرف الامام عن معارضة العدوّ.

الثانية: (سفهاء الأحلام) وهي الرؤيا في المنام، والسفاهة: الجهل بالحق، فان المعارضة المسلحة التي لا تبتني على شرعية قانونية، ولا تتمتّع بموافقة الاغلبية بالشورى ليست الاّ حلم السفيه الذي يراه في المنام، حيث لا تخدم غرضا فيه خدمة المجتمع، بل تكون المعارضة المسلحة حينئذ ارهاباً، شأن اللصوص والسوقة، ولا تستحق من الحاكم المسؤول إلاّ القضاء العادل.

وختم الخطبة بموقف القيادي الصريح الناصح، الذي يبتني في مواقفه على الثوابت الاسلامية، واشار الى نقضين لا يمكنهم انكارهما، وهما:

ـ ن وع، وروي: عزاً ـ ر، ويروى: نكرا وهجرا ـ ك وفي هـ. ص: البجر: الداهية والامر العظيم، وفي هـ. أ: البجر: الشر والامر العظيم، والعر: داء يصيب الابل في مشافرها، وهوهنا استعارة.

١ ـ (لم آت بجرا) اي شراً، فلا أستحق أن يعارضوني على ما رفضته، وهم قد فرضوه عليّ من قبول الحكومة.

٢ ـ (لا أردت لكم ضرّا) فان قبول الحكومة كان رأيهم، لا رأيه. ووافقهم كي لا يحصل الانقسام في صفوف جيشه، فكيف يؤاخذ بما هم فرضوه؟

بيان الواقع:

ان حجة الخوارج هي عليهم وليست لهم، وذلك لحقيقتين تقدمتا في الخطبة ٣٥، حيث ان موقف الامام كان ناهيا عن الحكومة وموقف هؤلاء كان آمرا بها وخاضعا لها، فقد قابلوا نهي الامام بالإباء التام، وهو (إباء المنابذين) للأوامر القيادية، ولم يكن للاباء حينئذٍ ـ في مثل هذه الحالة ـ إلاّ قبول الحكومة.

حقيقة الخوارج:

وهذان الموقفان المتناقضان من الخوارج حيث رضخوا للتحكيم اولا، ثم رفضوا نتيجتها أخيراً، يدلاّن علىٰ حقيقة الخوارج في المبادئ والسلوك، وعبّر الامام عن هذه الحقيقة بنقطتين هما:

الاول: (أخفّاء الهام) وهو الرأس الذي هو محل العقل، وخفته كناية عن التسرّع في القرارات المصيرية، فالمطالبة الجادة وفرض الاهواء على القيادة العليا يدل على خفة العقل.

[الخطبة ٣٧]

ومن كلام له عليه السلام يجرى مجرى الخطبة

قال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة» :« هذه فصول أربعة، لا يمتزج بعضها ببعض، وكل كلام منها ينحو به أمير المؤمنين عليه السلام نحوا غير ما ينحوه بالاخر ، وإنما الرضى رحمه الله تعالى التقطها من كلام لامير المؤمنين عليه السلام طويل منتشر ، قاله بعد وقعة النهروان ، ذكر فيه حاله منذ توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى آخر وقت ، فجعل الرضى رحمه الله تعالى ما التقطه منه سردا ، وصار عند السامع كأنه يقصد به مقصدا واحدا»[١] .

قال الجلالي: ان الرضيّ رحمه الله ذكر في العنوان انه (من كلام له يجري مجرى الخطبة) وانه قاله بعد وقعة النهروان، مشيراً الى نقاط هي:

١ ـ ان هذا المنقول ليس من الخطب الاسبوعية في الجمع من الامام، ولا من الخطب الموسمية كالاعياد، وانما هو من الكلام العادي الذي يحصل بين الافراد في الاجتماعات العادية والزيارات المتبادلة.

٢ ـ انه (يجري مجرى الخطبة) لان الكلام المنقول يناسب ان يكون ملقىً في الخطب المقصود بها توعية الجمهور عامة، فيكون من هذه الجهة جاريا مجرى الخطبة.

٣ ـ ان الكلام كله قاله بعد وقعة النهروان عام ٣٧، والفصول الأربعة المذكورة اجوبة مناسبة للشبهات المثارة من قبل المعارضة، سواءً في صفوف الاعداء القدماء كمعاوية، أو الاعداء الجدد كالخوارج، ولا منافاة في ان يتكرر الكلام في المناسبتين؛ فان الكلام الحق لا يتبدّل بتبدل الازمان.

وعليه، تكون الفصول الاربعة ممتزجة بعضها ببعض، وان تكررت في مناسبات مختلفة. واما ما ذكره من أنّ الرضى رحمه الله التقطها من كلام لأميرالمؤمنين عليه السلام طويل منتشر، قاله بعد وقعة النّهروان، فهو حق، وقد صرّح الرضي بهذا الاسلوب في مقدمة النهج كما شرحته في القسم الاول، وذكرت ما وقفت له من اسناد في القسم الثاني بعنوان «مسند نهج البلاغة» مشيراً الى الأطراف من الكلام والخطب، والتي ذكر بعضها ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في الشرح أيضاً، فراجع.

والكلام يتضمن مقاطع أربع، يستعرض فيها صفات القائد المسلم.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٥ .

(ط - ١ / ٣٧) تاريخ القائد:

فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا[١] ونَطَقْتُ[٢] حِينَ تَعْتَعُوا[٣]، وتَطَلَّعْتُ[٤] حِينَ تَقَبَّعُوا[٥]، ومَضَيْتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وقَفُوا. وكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وأَعْلاَهُمْ فَوْتاً[٦]، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا[٧] وَاسْتَبْدَدْتُ[٨] بِرِهَانِهَا.

قال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة»:« فالفصل الاول ـ وهو من أول الكلام إلى قوله : واستبددت برهانها ـ يذكر فيه مقاماته في الامر بالمعروف والنهى عن المنكر أيام أحداث عثمان ، وكون المهاجرين كلهم لم ينكروا ولم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه به وينهاه عنه ، فهذا هو معنى قوله : فقمت بالامر حين فشلوا ، أي قمت بإنكار المنكر حين فشل أصحاب محمّد ﷺ عنه . والفشل : الخور والجبن»[٩].

ان شخصية أي انسان ـ كائناً من كان ـ تتكون من عوامل التربية الفكرية التي ينشأ عليها، والبيئة التي يتربىٰ فيها ثقافياً، فيكون تاريخه الماضى لبنة في بناء صرح شخصية الانسان، فان حياة الانسان يبتني على ماضيه ومستقبله على حاضره، وفي هذا المقطع اشارة الى نقاط بارزة من تاريخ حياة الامام في الحياة:

١ ـ القيام بالمسؤولية كما تتطلّب المسؤولية حين فشل الآخرون بالقيام بها.

٢ ـ الحضور في ساحة المسؤولية بالتطلّع الى اداء الواجب الاسلامي حين يتقبّع الآخرون، أي يختبئون؛ لئلاّ يواجهوا المسؤولية.

٣ ـ الاعلان عن الواجب الاسلامي حين يتتعتع الآخرون، أي لم يعلنوا عن مواقفهم.

٤ ـ السير في اداء الواجب مهتدياً بنور الله حين يتوقف الآخرون عن السير. وهذه

---

(١) في ه. ب: فقمت بأمر الخلافة حين فشلوا، يعني ... عند الجهاد والقتال وعند بيان المسائل و... المشكلات، وفي هامش آخر منه: اي غلبت علىٰ الخلافة ولم تغلب الخلافة عليّ، اي كل ما كان من امرها فهو حامل الي وبنفسي ضمنتها لامع أحد من الانصار والمعين.

(٢) ه. د: وروي قطعت وتطلقت حين تعتعوا ـ ر.

(٣) في ه. أ: التعتعة في الكلام: الترديد فيه... قالوه في الدابة إذا ارتطمت في الرمل، قال الشاعر: يتعتع في...اذا علاه ويعثر في الطريق المستقيم. وفي ه. ب: تعتوا: ترددوا.

(٤) في أ: وتطلّعت، وفي ب: وتلطفت، وفي الهامش: في نسخة: وتطلعت: اي اشرفت وغلبت علىٰ الامر حين اكرهوا عليّ.

(٥) في ه. د: حين تعتعوا ـ ن ول وف.

(٦) في ه. ب: اي ظفراً وسبقا.

(٧) ه. د: فطرت لعنانها، وروي: ظفرت بعنانها ـ ك ور، وفي ه. ب: اي بعنان الخلافة.

(٨) في ه. ب: انفردت.

(٩) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٥ .

النقاط البازرة تصوّر بوضوح تاريخ حياة الامامعليه السلام المخلصة للاسلام والمسلمين، وقد رافقت تلك النقاط صفات زادتها خلوصا، وهي:

٥ ـ العمل الصامت في سبيل الله (أخفضهم صوتاً) من دون اعلان صاخب.

٦ ـ المبادرة في العمل (أعلاهم فوتاً) أي سبقا؛ لوضوح الرؤية عنده.

٧ ـ سرعة العمل كالخيال الذي يطير بعنان الفرس في حلبة السباق.

٨ ـ الفوز بنتيجة العمل، كما يفوز الخيّال في سباق الخيل على الرهان، وهو الجائزة التي يتصرف بها السابق، فيكون المستبدّ بالرهان.

(٢/٣٧ - ط) صفات القائد:

كَالْجَبَلِ لاتُحَرِّكُهُ[١] الْعَوَاصِفُ ، وَلاَ تَزِيلُهُ الْقَوَاصِف[٢]. لم يَكُنْ لأحَدٍ فِيّ مَهْمَزٌ، وَلاَ لِقَائِلٍ فِيّ مَغْمَزٌ، الذَّلِيلُ عِنْدِى عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِى ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَا الْحَقَّ مِنْه.

قال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة»:« الفصل الثاني فيه ذكر حـالهعليه السلام فـي الخلافة بعد عثمان ، يقول : كنت لما وليت الامر كالجبل لا تحركه العواصف ، يعنى الرياح الشديدة ، ومثله القواصف . والمهمز : موضع الهمز ، وهو العيب ، وكذاك المغمز.»[٣]

والقائد المسلم يجب ان يتمتع بصفات لها اثر مباشر في نجاح المهمة التي يقوم بها ملتزما بالثوابت الاسلامية التي يؤمن بها، واشار الى نقاط، منها:

١ ـ العمود (كالجبل لا تحركه العواصف) وهي الريح الشديدة، فلا تكون بها تأثير من تحريك الجبل من أية جهة كانت العاصفة.

٢ ـ الاستقامة (لا تزيله العواصف) وهي الريح السريعة السير؛ فان سـرعتها يـحنى الاشجار العالية، ولكنها لا تزيل الجبال الشاهقة.

٣ ـ حسن السلوك (لم يكن لأحد فيَّ مهمز) لعلوّه عن الهمز ـ أي العيب ـ في سلوكه.

٤ ـ غير مرتكب للجريمة (ولا لقائل فيَّ مغمز) والغمز: الطعن في ارتكاب جريمة.

٥ ـ العدالة بين الناس باحقاق الحق وتطبيق العدالة مـن دون أيّ اعـتبار لأي مـن موازين غير اسلامية، اجتماعية أو قبلية أو سياسية، غير تطبيق العدالة (فالذّليل عندي عزيز حتّى آخذ الحقّ له) فان طبقته الاجتماعية لا توثر في الدفاع عنه. (والقويّ عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه) ولا تمنع طبقته الاجتماعية من ان يؤخذ الحق منه.

---

(١) في هـ. ب: لاترده.

(٢) في هـ. ب: جمع قاصفة، وهي الريح التي تكسر كلّ شيء.

(٣) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٥ .

(٣/ط - ٣٧) هدف القائد:

رَضِيناَ عَنِ[1] اللهِ قَضاَءهُ[2]، وسَلّمْناَ لِلّهِ[3] أَمْرَهُ. أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله! وَاللهِ لأناَ أَوّلُ مَنْ صَدّقَهُ، فَلاَ أكُونُ أَوّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ.

قال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة»:« الفصل الثالث من قوله : رضينا عن الله قضاءه ، إلى قوله : فلا أكون اول من كذب عليه ، هذا كلام قاله عليه السلام لما تفرّس في قوم من عسكره، أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى الله عليه وآله من أخبار الملاحم والغائبات ، وقد كان شك منهم جماعة في اقواله ، ومنهم من واجهه بالشك والتهمة في الاخبار الواردة عن معرفة الامام عليّ بالامور الغيبية» .[4]

وفي هذا المقطع اشار عليه السلام الى هدف القائد المسلم، ويتلخص في ركنين اساسين، هما:

١ ـ رضا الله، بالايمان بقضائه تعالىٰ، والتسليم لأمره، والعمل بكتابه في الحياة.

٢ ـ رضا رسوله صلى الله عليه وآله بالرواية عما بلّغ في حياته من السنن والاحكام والحلال والحرام، فان أي حاكم وقائد لا يستند في قراراته الى الكتاب الكريم والسنة النبوية لايكون قائداً إسلاميا، ومواقف الامام في حياته بعد النبي صلى الله عليه وآله كانت على هذه الخطى، ورفض أي شرط زائد على الكتاب والسنة في البيعة.

ولم يتمكن الاعداء من المناقشة في تاريخ حياة الامام ولا في صفاته القيادية الفائقة، والمعارضة المسلحة من الاعداء القدامىٰ تمثلت في معاوية، والاعداء الجدد المتمثلون في الخوارج وجدوا طريقا للطعن في هدف القائد من رواية السنة المطهرة.

ودفع الامام هذا الاتهام بان الكذب انما يصدر ممن لا يؤمن بالرسالة، وكان عليه السلام ـ كما ينبئ عن ذلك تاريخه الماضي ـ (اول من صدّقه) في النبوة والرسالة، فكيف يمكن ان يكون كاذباً عليه؟!

(٤/ط - ٣٧) مصلحة القيادة:

فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا طاَعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي[5]، وإذاَ الْمِيثاَقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي[6].

قال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة»:« الفصل الرابع: وهو من قوله : فنظرت في

---

(١) في ب: علىٰ الله .

(٢) في ب: قضاه.

(٣) في أ : في نسخة: سلمنا اليه، وفي ب: وسلمنا له، وفي نسخة: وسلمنا لله.

(٤) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ٢٨٤ ـ ٢٨٦ .

(٥) في هـ. ب: فنظرت في أمري فاذا طاعتي قد وجبت عليهم قبل بيعتهم اياي بما فرض الله عليهم من طاعتي وولايتي.

(٦) في هـ. ب: وقوله: في عنقي لغيري، يشير بذلك ما أُكره عليه من بيعته للمتقدمين عليه.

أمرى...إلى آخر الكلام ، هذه كلمات مقطوعة من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسـول الله صلى الله عليه وآله ، وأنه كان معهودا إليه ألا ينازع في الامر ولا يثير فتنة ، بل يطلبه بالرفق ، فـإن حصل له وإلّا أمسك . هكذا كان يقول عليه السلام ، وقوله الحق ، وتأويل هذه الكلمات : فنظرت فإذا طاعتي لرسول الله، أي وجوب طاعتي ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه . قد سبقت بيعتى للقوم ، أي وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ ، ووجوب امـتثالي أمـره سابق على بيعتى للقوم ، فلا سبيل لى إلى الامتناع من البيعة لانه صلى الله عليه وآله أمرنى بـها . وإذا الميثاق في عنقي لغيري ، أي رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ عليّ الميثاق بترك الشقاق والمنازعة ، فلم يحل لى أن أتعدى أمره ، أو أخالف نهيه» .[(١)]

ان القائد المسلم ينظر الى القيادة على انها مسؤولية يجب مراعاة مصلحتها التي هي مصلحة الاسلام والمسلمين عامة وليس مصلحة القائد خاصة.

وقد اشار الى هذه الثابتة في نظام القيادة في الاسلام بنقاط، هي:

١ ـ النظر في امر القائد نفسه بنفسه (فنظرت في أمري) فيحاسب نفسه قبل ان يحاسبه التاريخ.

٢ ـ طاعة الله ورسوله، فان لها الاولوية في كل شئ في حياة القائد، حيث ان طاعة الله تدعوا الى طاعة رسول الله، وهما متلازمان.

٣ ـ ان الرسول أخذ الميثاق والعهد من عليّ بعدم الشقاق فيما أجمعت عليه الامـة، وهذا الميثاق سبقت البيعة، وجعله ان يتخذ مواقفه السياسية المعروفة في التاريخ.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

[الخطبة ٣٨]

ومن كلام له عليه السلام

في معنى الشبهة

وإنّماَ سُمّيَتِ الشبْهَةُ شبهة؛ لأنـَّهاَ تشبه الْحَقَّ، فَأمَّا أَوْلِياء اللهِ، فَضِياَؤُهُم فِيهاَ الْيَقِينُ، ودَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى. وأَمّا أعْدَاءُ اللهِ، فَدُعاَؤُهُمْ الضَّلالُ[١]، ودَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَماَ يَنْجُو مِنَ الْمَوتِ مَنْ خاَفَهُ، وَلايُعْطَى الْبَقاَء مَنْ أَحَبّه.

إنّ كل انسان في الحياة يواجه الشبهات، وللمرجفين مهارة في خلقها وترويجها واشغال الجمهور بها لكل من يكون بعيداً عن الحقائق التي هي اولى بالاهتمام في الحياة القصيرة الفانية.

ويتضمن هذا الكلام امرين في معنى الشبهة، والواجب الاسلامي عند حصولها.

(١/ط - ٣٨) معنى الشبهة:

عرف الامام الشبهة بأنها ما يشبه الحق وليس إياه، حيث علل تسمية الشبهة شبهة بقوله: (لأنها تشبه الحقّ) وهذا التماثل بين الحق وغيره بأي وجه كان هو ما يقوّم الشبهة مفهوما ويختلف عنه مصداقا.

وقد ذكر اللغويون لمادة الشبهة معاني مستقاة من استعمالات المادة في المحاورات العربية، وأهم ما ذكره ابن منظور الافريقي (ت / ٧١١ ﻫ) في «لسان العرب» من معاني المادة (شبهة):

١ ـ الشبه والشبة والشبيه: المثل، والجمع: اشباه.

٢ ـ واشبه الشئ بالشئ ماثله.

٣ ـ وتشابه الشيئان واشتبها: اشبه كل واحد منهما صاحبه.

٤ ـ والمشبّهات من الامور: المشكلات.

٥ ـ والمتشابهات: المتماثلات.

٦ ـ والتشبيه: التمثيل.

٧ ـ والشبهة: الالتباس.

٨ ـ وامور مشبهة ومشتبهة: مشكلة يشبه بعضها بعضا.

---

(١) ب: فدعاؤهم فيها الضلال.

٩ ـ وشبه عليه: خلط عليه الامر حتى اشتبه بغيره.

١٠ ـ شبه: اذا ساوى بين شئ وشئ.

١١ ـ وظروف الشئ يقال له: اشباه، ولذلك كل شئ يكون سواء، وجمع الشبهة: شبه، وهو اسم من الاشتباه.

١٢ ـ والشبه والشبه: النحاس يصنّع فيصغر، والجمع أشباه.

١٣ ـ الشبه شجرة كثيرة الشوك تشبه السمرة، وليست بها.

١٤ ـ والمشبه المصغر من النص.

١٥ ـ والشباه حب على لون الحرف، يشرب للدواء.

١٦ ـ والشبهتان نبت يشبه التمام.

(راجع المادة في العجم) وذكر في المعجم المفهرس موارد ذكرها في القرآن الكريم تسعة عشر مرة.

مرة من باب التفعيل، قوله تعالى: ﴿ولكن شبّه لهم﴾ [(١)]

واُخرىٰ من باب الافتعال، وهو قوله تعالى: ﴿والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه﴾ [(٢)] وثالثة من باب الافتعال، ومنها قوله تعالى: ﴿ان البقر تشابه علينا﴾ [(٣)]

وذكرت في «تلخيص الذهب» أنّ مرجع المعاني المذكورة كلها الى المثل، سواءً في المفهوم أو اللون أو الجسم؛ فان المعانى الشكل والالتباس والخلط، من التماثل في المفهوم غالباً، ومنشأؤها هو التماثل بوجه من الوجوه، ولو لا المثلية لما حصل شئ منها.

واما معنى المساواة، فهو مبني على المثلية في الجسم والشكل، فان حروف الشئ: اسنانه الثلاثة، وكانت تكتب في العصور المتقدمة متساوية، وهي في عصرنا ـ علىٰ اثر تطور الكتابة ـ يختلف، فالسن الاول أعلى من الثاني، وهو أعلى من الثالث، فليست هي اشباه في عصرنا.

واما معاني الاسماء النحاس والشجر والحب فهى للمثلية في اللون للصفرة والسمرة ولون الخردل.

فالمعنى الجامع من هذه المعاني هو المثل، وهو القاسم المشترك الاعظم فيها ويعبر الاصوليون عن ذلك بالمشترك المعنوي.

وصدق كلام الامامعليه‌السلام؛ فان الشبهة بمعنى الالتباس معنى منساق من التماثل بينه وبين

(١) النساء ٤ : ١٥٧.

(٢) الانعام ٦ : ٢٩.

(٣) البقرة ٢ : ٧٠.

الحق، ولو لا هذا التماثل لما وجد معنى الالتباس.

الواجب الاسلامي:

عند الشبهات يتحدد الواجب الاسلامي الذي يقود الانسان الى اتخاذ قرار في الحياة، وقد اشار هذا المقطع الى حقائق تقود الانسان المسلم في حالة الشبهة، وأضداد تقود اعداء الحق الىٰ الباطل، وبهذه الصفات المتضادّة يعرف وجه الصواب الذي يجب ان يختاره الانسان المسلم في حياته.

اولياء الله:

ان أولياء الله يقودهم صفتان تنبعان من ثوابت اسلامية اصيلة؛ فهم يستضيئون بهما، وهما يدلانهم على الصراط المستقيم، وهما:

اولا: اليقين المستند الى كتاب الله سبحانه، فهو الضياء للحياة من الولادة الى الوفاة، الذي حدد الخطوط العريضة لمسيرة الانسان في الحياة.

ثانياً: الهدى الذي شرحه النبي الاعظم بسنته، وجعله دليلاً للهداية بكمال الدين وتمام النعمة على المسلمين. فالمسلم يهتدي بهما ويسير في ضوئهما، ولا يحيد عن دلالتهما.

اعداء الله:

واما أعداء الله، فهم على النقيض من ذلك، وليس لهم ثوابت اصيلة سوى المصلحة، وحيث أن المصالح تتغير في كل لحظة حسب الأهواء لمن بيده القدرة، فان لهم صفتان متلازمتان ، هما:

اولا: الضلال، فان دعواهم هو الدعايات المضللة بدون استناد الى الحقائق؛ إذ ليس لهم هدف سوى التضليل لتحصيل مقاصدهم حسب مصالحهم.

ثانيا: العمى، حيث ليس لهم ثوابت مبدئية، فهم لا يتحركون عن دليل واضح في الحياة لهم، وفي كل مرحلة يتخذون مواقف قد تكون متضادة، ويعلنون كلمات متضاربة تكشف عن فقدان الدليل، كالأعمى الذي يسير من دون دليل.

واخيراً:

فان الامام عليه السلام يشير الىٰ أن لاعداء الله ثابتة واحدة أصيلة، وهي حب الحياة، ولذلك فهم يستخدمون كل وسائل التضليل والدعايات والاكاذيب ويرفضون كل القوانين والاعراف، ويخلقون كل الاعذار لكي يستمروا في الحياة ولو للحظات، منهمكين في الاسراف وما شابه، ويعلن الامام عليه السلام عن هذه الروحية الضعيفة انها طبيعة حيوانية؛ فان الموت لايرحم أحداً وسوف يحل بهم عاجلاً ام آجلاً، والخوف من الموت لايكون سببا للنجاة منه، كما ان حب البقاء في الحياة لا يكون سببا للحياة، بل الانسان يسير بخطى

متقدمة نحو الموت سواءَ شاء أم أبى، فما احلى الموت في سبيل المبدأ والذلّ في الحياة مع الظالمين. ومن ذلك يظهر وحدة الكلام والتئام الصدر والعجز، لا كما توهمه الشارح.

[الخطبة ٣٩]

ومن خطبة له عليه السلام(١)

في بيان وظائف الجيش

خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير ـ صاحب معاوية ـ لعين التمر وفيها يبدي عذره ويستنهض الناس لنصرته

ومن تاريخ هذه الخطبة ان النعمان بن بشير الانصاري صاحب معاوية أغار على مالك بن كعب الارحبي صاحب علي عليه السلام في عين التمر ـ العراق.

والنعمان ـ هذا ـ هو ابن بشير بن ثعلبة بن سعد بن خلاس بن زيد بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الانصاري، ومما قال عليّ بن الاثير الجزري (ت / ٦٣٠) في ترجمته: (... ولد قبل وفاة رسول الله بثماني سنين وسبعة أشهر ـ الى ان قال: ـ

واستعمله معاوية على حمص ثم على الكوفة، واستعمله عليها بعده ابنه يزيد بن معاوية، وكان هواه مع معاوية وميله إليه والى ابنه يزيد، فلما مات معاوية بن يزيد دعا الناس إلى بيعة عبد الله بن الزبير بالشام فخالفه أهل حمص فخرج منها فاتبعوه وقتلوه، وذلك بعد وقعة مرج راهط سنة أربع وستين، في ذى الحجة، وكان كريما جواداً شاعراً شجاعاً»(٢).

قال المامقاني: «مالك بن كعب الارحبي، كان عامل عليّ علىٰ عين التمر، وأميره على الجيش الذي سيّره لنصرة محمّد بن أبي بكر، وفيه دلالة بينة علىٰ عدالته؛ لما نبّهنا عليه غير مرة من عدم تعقل تسليطه عليه السلام غير العدل الأمين الضابط علىٰ ما يعتبر فيه العدالة والضبط من أحكام الله تعالىٰ وأنفس الناس وأعراضهم وأموالهم، ويأتي في النعمان بن بشير نقل قصةٍ لنعمان معه، وانه أغار علىٰ مالك في ألفين من أهل الشام وكان مع مالك الف رجل، وقد أذن لهم فرجعوا الى الكوفة ولم يبق معه إلاّ مائة أو نحوها، فكتب الىٰ عليّ يستصرخه، فبينما علي عليه السلام يجهّز العسكر اذ ورد عليه الخبر بهزيمة النعمان ونصرة مالك، وفي تاج العروس: ان يزيد بن قيس وعمر بن سلمة ومالك بن كعب الارحبيون من عمال

---

(١) ذكر هذه الخطبة أو مقاطع منها كل من المبرد في الكامل ٣:١٨٠، وزبير بن بكار في الموفقيات :٣٤٨، وابن هلال الثقفي في الغارات ١: ١٠١، والبلاذري في انساب الاشراف ٢:٤٠٤، والطبري في تاريخه ٦: ٣٤١١، وغيرهم.

(٢) أسد الغابة ؛ لابن الاثير ٥ : ٢٣.

عليّ رضي الله عنه». (١)

قال ياقوت الحموي:« عين التمر : بلدة قريبة من الانبار غربى الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا ، منهما يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد ، وهو بها كثير جدا ، وهي على طرف البرية ، وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢للهجرة ، وكان فتحها عنوة فسبى نساءها وقتل رجالها ، فمن ذلك السبى والدة محمّد بن سيرين ، وسيرين اسم أمه». (٢)

قال الجلالي: والمنطقة قريبة من كربلاء المقدسة، زرتها، ومـاؤها ـ اليـوم ـ خـليط بالنفط، وعلى اثر بيئتها يبدو علىٰ وجوه الاهـالي الصـفرة، ولا تـزال تـمورها فـائقة، ويستخدم الاهالي نواة التمر المخلوطة بالطين لبناء الدور مـحكمة احكـم مـن اللـبن المصنوع من الطين الخالص؛ وذلك لكثرة التمور التي لا تستهلك، وخاصة الزهدي من أنواعه، وهي قرية موالية لاهل البيت منذ عهد الامام علي‌عليه السلام، وفيها جمع من الشيخية، وهذه المنطقة التاريخية مهملة اليوم، ادارياً اهمالاً مطلقاً.

قال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة»، عن الغزوة ما نصه:« فأقبل النعمان بن بشير ، حتى دنا من عين التمر ، وبها مالك بن كعب الارحبي الذى جرى له معه ما جرى، ومع مالك ألف رجل ، وقد أذن لهم ، فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلّا مائة أو نحوها ، فكتب مالك إلى على‌عليه السلام : أما بعد ، فإن النعمان بن بشير ، قد نزل بى في جمع كثيف ، فر رأيك ، سددك الله تعالى وثبتك . والسلام . فوصل الكتاب إلى على‌عليه السلام ، فـصعد المـنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : اخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم ، فإن النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ، ليس بالكثير ، فانهضوا إلى إخوانكم ، لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفا ، ثم نزل . فلم يخرجوا ، فأرسل إلى وجوههم وكبرائـهم ، فأمرهم أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير ، فلم يصنعوا شيئا ، واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلثمائة فارس أو دونها ، فقام‌عليه السلام ، فقال : ألا إنى منيت بمن لا يطيع... الفصل الذى شرحناه إلى آخره ، ثم نزل . فدخل منزله ، فقام عدى بن حاتم ، فقال : هذا والله الخذلان ، على هذا بايعنا أمير المؤمنين؟، ثم دخل إليه فقال : يا أمير المؤمنين ، إن معى من طئ ألف رجل لا يعصوننى ، فإن شئت أن أسير بهم سرت . قال : ما كنت لاعرض قبيلة واحدة من قبائل العرب للناس ولكن اخرج إلى النخيلة فعسكر بهم ، وفرض على‌عليه السلام لكل رجـل

(١) تنقيح المقال ٢: ٥٠.
(٢) معجم البلدان ؛ للحموي ٤ : ١٧٦.

سبعمائة ، فاجتمع إليه ألف فارس ، عدا طيئا أصحاب عدى بن حاتم . وورد على علي عليه السلام الخبر بهزيمة النعمان بن بشير ونصرة مالك بن كعب فقرأ الكتاب على أهل الكوفة وحمد الله وأثنى عليه ، ثم نظر إليهم وقال: هذا بحمد الله وذم أكثركم .

فأما خبر مالك بن كعب مع النعمان بن بشير ، قال عبد الله بن حوزة الازدي، قال: كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان بن بشير ، وهو في ألفين ، وما نحن إلّا مائة ، فقال لنا : قاتلوهم في القرية ، واجعلوا الجدر في ظهوركم ، ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة واعلموا أن الله تعالى ينصر العشرة على المائة ، والمائة على الالف ، والقليل على الكثير . ثم قال : إن أقرب من هاهنا إلينا من شيعة أمير المؤمنين وأنصاره وعماله قرظة بن كعب ومخنف بن سليم ، فاركض إليهما ، فأعلمهما حالنا ، وقل لهما : فلينصرانا ما استطاعا، فأقبلت أركض ، وقد تركته وأصحابه يرامون أصحاب ابن بشير بالنبل ، فمررت بقرظة فاستصرخته ، فقال : إنما أنا صاحب خراج ، وليس عندي من أعينه به . فمضيت إلى مخنف بن سليم ، فأخبرته الخبر ، فسرح معي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلا ، وقاتل مالك بن كعب النعمان وأصحابه إلى العصر ، فأتيناه وقد كسر هو وأصحابه جفون سيوفهم ، واستقبلوا الموت، فلو أبطأنا عنهم هلكوا ، فما هو إلّا أن رآنا أهل الشام ، وقد أقبلنا عليهم ، فأخذوا ينكصون عنهم ويرتفعون ، ورآنا مالك وأصحابه ، فشدوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية ، فاستعرضناهم ، فصرعنا منهم رجالا ثلاثة ، وارتفع القوم عنا ، وظنوا أن وراءنا مددا ، ولو ظنوا أنه ليس غيرنا لاقبلوا علينا ولاهلكونا ، وحال الليل بيننا وبينهم ، فانصرفوا إلى أرضهم .

وكتب مالك بن كعب إلى علي عليه السلام: أما بعد ، فإنه نزل بنا النعمان بن بشير في جمع من أهل الشام ، كالظاهر علينا ، وكان عظم، أصحابي متفرقين ، وكنا للذى كان منهم آمنين ، فخرجنا إليهم رجالا مصلتين، فقاتلناهم حتى المساء واستصرخنا مخنف بن سليم ، فبعث إلينا رجالا من شيعة أمير المؤمنين وولده ، فنعم الفتى ونعم الانصار كانوا ، فحملنا على عدونا وشددنا عليهم ، فأنزل الله علينا نصره ، وهزم عدوه ، وأعز جنده . والحمد لله رب العالمين ، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته». (١)

ومن ذلك يظهر مدى تحلّي مالك الارحبي بالانضباط العسكري من وجوه:

منها: المقاومة ا لمسلحة بحكمة عسكرية لا تكون فيها إلقاء الى التهلكة.

ومنه: المواصلات السريعة مع من يأمل فيه النصر.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ٣٠٣ ـ ٣٠٦.

ومنها: الاتصال المباشر مع القيادة بقوله: «فر رأيك»، وكل واحدة منها تستدعي دراسة مستقلة.

(١/ ط - ٣٩) القائد والجيش:

مُنِيتُ(١) بِمَنْ لايُطِيعُ إذا أمَرْتُ، وَلايُجِيبُ إذَا دَعَوْتُ، لاأباَ لَكُمْ! ماَ تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ! أماَ دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلاحَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ(٢)!، أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً، وأُناَدِيكُمْ مُتَغَوِّثاً(٣)، فَلا(٤) تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً، وَلاتُطِيعُونَ لِي أَمْراً، حَتّىٰ تَكَشَّفَ(٥) الأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ المَساَءَةِ(٦)، فَماَ يُدْرَكُ بِكُمْ ثاَرٌ، وَلايُبْلَغُ بَكُمْ مَرَام.

دَعَوْتُكُمْ إلَىٰ نَصْرِ إخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةِ الْجَمَلِ(٧) الأسَرِّ(٨)، وتَثاَقَلْتُمْ تَثاَقُلَ النِّضْوِ(٩) الأَدْبَرِ(١٠)، ثُمَّ خَرَجَ إلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذاَئِبٌ ضَعِيفٌ، «كَأَنَّماَ يُساَقُونَ إلَىٰ الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ».

مواقف القائد:

يخاطب الامام كقائد أعلى للجيش الذي مهمته الدفاع عن الشعب والوطن، والمفروض ان يقوم بدور الطاعة للقيادة، وبما ان القيادة الاسلامية ليست ديكتاتورية بالغلبة، بل هي تبتني على سياسة التطوّع فليس في وسع القائد الاسلامي اجبارهم، بل الدعوة الى اداء الواجب، وقد اشارت هذه الخطبة الى دور الامام كقائد ودور الجيش في نقاط:

الاوّل: الامر القيادي يجب ان يطاع للمصلحة العليا التي يراها القائد الأعلى، وقد قام

---

(١) في هـ. ص وب: اي بليت.
(٢) في هـ. ص وب: اي تغضبكم وفي هـ. أ: أحشمه: اذا أغضبه.
(٣) في هـ. ب: المتغوّث: الذي يقول «واغوثاه».
(٤) في ص : فما .
(٥) في هـ. ب: تنجلي.
(٦) في هـ. ب: الحزن.
(٧) في هـ. ص: الجرجرة: صوت يردده البعير في حنجرته، وأكثر ما يكون ذلك عند الإعياء والتعب. وفي هـ. أ وب: الجرجرة صوت يردده البعير في حنجرته، اي حييتموني بجرجرة كجرجرة البعير.
(٨) في هـ. ص و أ: الذي بكركرته دبرةً، فإذا برك جرجر من ألَمها، وفي هـ. ب: الأسِر: البعير الذي يشتكي سرته.
(٩) في هـ. ب: النضو: البعير الذي بظهره دبر. وفي هـ. ص: النضو: البعير المهزول.
(١٠) في هـ. ص: الادبر: الذي به عقر من القتب وغيره.

الامام بواجبه القيادي حيث قال: (اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم)، وكان موقف وجوه الجيش (فلم يخرجوا) سوى عديّ بن حاتم الذي قال: (يا اميرالمؤمنين إنّ معي من طيّ ألف رجل لا يعصونني، فان شئت ان اسير بهم سرت.

ورفض الامام ان يسير هذا وحده قائلاً: (ما كنت لأعرض فئة واحدة من قبائل العرب للناس، ولكن اخرج الى النخيلة فعسكر بهم) فان الحرب ليست حربا قبلية، بل هي من حيث المبدأ اسلامية، فيجب ان تكون المشاركة من جميع القبائل، ولكنه عليه السلام لم يرفض الاستعداد من هذه القبيلة بالاستعداد في النخيلة، ولخص هذا الموقف بأداء الواجب، وهو الامر والدعوة الى ما فيه المصلحة العامة حتىٰ درجة الصراخ والغوث.

الثانية: موقف الجيش المفروض فيه الطاعة، لكنه واجه الامام باهمال هذه الاوامر، ولم تذكر الاسباب لهذا الموقف الذي اشار الامام في خطبته الىٰ امرين يعبران عن ضعف في المبادئ، وهما:

ـ ضعف في العقيدة (أما دين يجمعكم) اذ لو كانت الحرب عقائدية لم يكن سبب لإهمال الاوامر سوىٰ ضعف العقيدة.

ـ ضعف في الغيرة الوطنية (ولا حميّة تحشمكم) والحمش: الغضب بسبب الاعتداء على الشعب والوطن.

ونتيجة إهمال الاوامر (لا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً حتّى تكشّف الامور عن عواقب المساءة) وطبيعيّ ان جيشاً على هذه الحالة من الضعف في الرؤية أن لا يقوم بواجبه الوطني الاسلامي، واشار عليه السلام أيضاً الى امرين آخرين، هما:

ضياع الحق للدم المعتدىٰ عليه (فما يدرك بكم ثار)، وبالنتيجة ضياع النصر المطلوب في الحرب (لا يبلغ بكم مرام).

الثالثة: حالة الجيش النفسية، وهي حالة نفاق، لا ترفض الاوامر صراحة وتأتي بأقل ما يجب، كي لا تعتبر الحالة حالة عصيان، وذكر لها مظاهر عند صدور الاوامر، كالآتي:

ـ التباطؤ في تنفيذ الاوامر، ومثّل لها الامام بالآلة العسكرية المعطوبة عند القوم انذاك، وقوله: (فجرجرتم جرجرة الجمل الاسرّ) والجرجرة: صوت الجمل عند الاعياء. والأسر: المصاب بداء السرر، وهو قرحة يدل عليها صوت الجمل، فهم كالالة العسكرية المعطوبة .

ـ التثاقل؛ لاعتبار الاوامر ثقيلة، ومثل له الامام عليه السلام بـ(تثاقل النضو الأدبر) والنضو: المهزول من الابل، والادبر: المصاب بالدبرة، وهي الجرح الحادث بسبب الرحل، فيكون ثقيلاً على الابل حمله بسبب الجرح. وحالة الجيش في طاعة الاوامر طاعة من لا يتحملها، مع ان المفروض من الجيش الاستعداد للتضحية للوطن والمبدأ.

ـ الامتثال بأداء اقل الواجب في الطاعة الامتثال، وذلك لكيلا يخرج الجيش من الطاعة الى المعصية، ووصف هذا الامتثال بقوله: (جنيد متذائب ضعيف كأنّما يساقون الى الموت).

وبين عليه السلام هذه في الصفات :

ـ (جُنيد) تصغير للجند، أي صغير في العدد.

ـ (متذائب) مضطرب في الموقف.

ـ (ضعيف) في الرأي.

ونتيجة هذه الاوصاف انها غير جديرة بالنصر، بل تعتبر خاسرة قبل دخول المعركة.

ويظهر ان الدعايات المعادية كانت مؤثرة في هذه المواقف وفي خلق هذه الصفات في صفوف جيش الامام، فان حملة معاوية بقيادة بشير بن النعمان كانت مكوّنة من الفي مقاتل، وجيش الامام المرابط في عين التمر كان مكونا من ماءة مقاتل فقط، فلا تعادل بينها في النسبة، وطبيعي ان تكون الحملة من جانب جيش معاوية عند اطلاعها علىٰ ذلك، وعلى علم بهذه القلة، وهي بمقاييسها العسكرية المادية لابد وان تنتصر، ولكن مقاومة اصحاب عليّ الماءة بالرغم من قلتهم نجحت؛ لاستبسالها في سبيل مبادئها التي آمنت بها، وان قادة الجيش في الكوفة وقعوا تحت تأثير الدعايات المعادية، فظهرت عليهم حالات نفسية من التخاذل، وسلكت مسلك التباطؤ والتثاقل والامتثال بأقل ما يمكن من الواجب، المعبرة عن النفاق وعدم الخروج من الطاعة، وهذه مواقف تدل علىٰ الخسران قبل الدخول في المعركة، فالامام عليّ عليه السلام سلك في هذه المعركة مسلك السنة النبوية في حروبها العقائدية، وكان له النصر معنوياً ومادياً.

[الخطبة ٤٠]

ومن كلام له عليه السلام في الخوارج[١] لما سمع قولهم: «لاحكم إلّا للّه» قال:

كَلِمَةُ[٢] حَقٍّ يُرَادُ بِهاَ باطل[٣] نَعَمْ إِنَّهُ لاحُكْمَ إلاّ لِـلّهِ[٤]، وَلَكِـنَّ هَـؤلاء يَـقُولُونَ: لاإمْرَةَ[٥]. وإنّهُ لابُدَّ لِلنّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوفاَجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إمْرَتِهِ الْمُؤْمِن، ويَسْتَمْتِعُ[٦] فِيهاَ الْكاَفِر[٧]، ويُبَلِّغُ اللّهُ فِيهاَ الأجَل، ويُجْمَعُ بِهِ[٨] الْفَيْء، ويُقاَتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ[٩] وتَأْمَـنُ بِـهِ السّبُل، ويُؤخَذُ بِهِ لِلضَّعِيف مِنَ الْقَوِيّ، حَتّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، ويُسْتَرَاحَ مِنْ فاَجِرٍ.

وعن خلفية هذا الكلام روى ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة» ما نصه:«روى إبراهيم بن الحسن بن ديزيل المحدث في كتاب صفين عن عبد الرحمن ابن زياد ، عن خالد بن حميد المصرى ، عن عمر مولى غفرة ، قال : لما رجع على عليه السلام من صـفين إلى الكوفة ، أقام الخوارج حتى جموا[١٠]، ثم خرجوا إلى صحراء بالكوفة تسمى حروراء ، فنادوا : لا حكم إلّا لله ولو كره المشركون ، ألا إن عليا ومعاوية أشركا فـي حكـم الله . فأرسل على عليه السلام إليهم عبد الله بن عباس ، فنظر في أمرهم وكلمهم ، ثم رجع إلى على عليه السلام ، فقال له : ما رأيت ؟ فقال ابن عباس : والله ما أدرى ما هم ! فقال له عـلى عليه السلام : رأيـتهم منافقين ! قال : والله ما سيماهم بسيما المنافقين ، إن بين أعينهم لاثر السجود وهم يتأولون القرآن . فقال على عليه السلام : دعوهم ، ما لم يسفكوا دما ، أو يغصبوا مالا ، وأرسل إليهم : ما هذا الذى أحدثتم ؟ وما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نخرج نحن وأنت ومن كان معنا بصفين ثلاث ليال ، ونتوب إلى الله من أمر الحكمين ، ثم نسير إلى معاوية ، فنقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينه ، فقال على عليه السلام : فهلا قـلتم هـذا حـين بـعثنا الحكـمين وأخـذنا مـنهم العـهد ،

(١) في ب وهـ . ص: فى نسخة فى معنى الخوارج.
(٢) في ص: هذه كلمة.
(٣) في هـ. د: الباطل ـ ض.
(٤) في هـ. ب: قالوا لاحكم إلّا لله، أتريد يا عليّ ان تحكم علينا؟! لاحكم الاّ لله ولا إمرة.
(٥) في هـ. د: لاإمرة إلاّ لله ض في هـ. ص: قال في الشرح: كان هذا رأي الخوارج ابتداءً ثم رجعوا وأمرّوا عليهم أُمراء وبايعوا بعضهم. وفي هـ. ب: الإمرة لذوي القربىٰ لاستظهارهم...
(٦) في هـ. ب: ويمتنع فيها، وفي نسخة: ويستمتع.
(٧) في هـ. ب: بيانه في رواية اخرىٰ: الىٰ ان تنقطع مدته ... الىٰ اخره.
(٨) في ص: فيها
(٩) في هـ. ص: اي عدوالمسلمين جملة.
(١٠) الجمام ـ بالفتح ـ: الراحة .

وأعطيناهموه ! ألا قلتم هذا حينئذ ! قالوا : كنا قد طالت الحرب علينا ، واشتد البأس ، وكثر الجراح ، وخلا الكراع والسلاح ، فقال لهم : أفحين اشتد البأس عليكم ، عاهدتم ، فلما وجدتم الجمام قلتم ننقض العهد ! إن رسول الله كان يفي للمشركين ، أفتأمرونني بنقضه ! فمكثوا مكانهم لا يزال الواحد منهم يرجع إلى عليعليه السلام ، ولا يزال الاخر يخرج من عند عليعليه السلام ، فدخل واحد منهم على عليعليه السلام بالمسجد ، والناس حوله ، فصاح : لا حكم إلّا لله ولو كره المشركون ، فتلفت الناس ، فنادى : لا حكم إلّا لله ولو كره الملتفتون ، فرفع عليعليه السلام رأسه إليه ، فقال : لا حكم إلّا لله ولو كره أبو حسن . فقال عليعليه السلام : إن أبا الحسن لا يكره أن يكون الحكم لله ، ثم قال : حكم الله أنتظر فيكم ، فقال له الناس : هلا ملت يا أمير المؤمنين على هؤلاء فأفنيتهم ! فقال : إنهم لا يفنون ، إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء ، إلى يوم القيامة» .[١]

ويستفاد من هذه الرواية: ان النقطة الاساسية في موقف الخوارج هو الدعوة الى (نقض العهد) عند القدرة، والرضوخ له عند عدمها، شأن كل اصحاب السياسات المادية المبتنية على المصالح.

وقد أوضح الامام سياسته المبتنية على السنة النبوية (ان رسول الله كان يفي للمشركين، أفتأمروني بنقضه؟!) ومن أجل ذلك رجع من رجع (منهم الى عليّعليه السلام) لوضوح السياسة الاسلامية المبتنية على احترام العهد، وحيث ان اتباع السياسيات المبتنية على المصلحة ـ شأن كل السياسيات المادية ـ موجودون في كل زمان ومكان، أكد الامام عليه السلام على (انهم لفي اصلاب الرجال وارحام النساء) فانّ أصحاب المصالح دوما في الساحة، من أجل مصالحهم، لاعهدوهم.

(٢/ط ـ ٤٠) **الرواية الاخرى:**

قال الرضي: وفي رواية أُخرى أنّهعليه السلام لما سمع تحكيمهم قال:

حُكْمَ الله أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.

وقال[٢]:

أَمّاَ الاِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهاَ التَّقِيُّ[٣]، وأَمّا الاِمْرَةُ الْفَاَجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهاَ الشَّقِيُّ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُه، وتُدْرِكَهُ مَنِيّتُه.

وهذه الرواية الثانية تشرح بوضوح الهدف من الامرة من منطلق البر والفاجر، فان

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ٣١٠ ـ ٣١١ .
(٢) ليس في ب: قال.
(٣) في هـ. ص: اي الأمير التقي، أي يكسب الأجر.

الهدف للإمرة البرّة: العمل فيها لمن يتقي الله سبحانه ويسعى في العمل في سبيله تعالى وحده كما امر، والهدف للإمرة الفاجرة: التمتع بالحكم، فيكون السعي فيها مقتصراً علىٰ تأمين المصالح المادية، فيكون الأمير الفاجر متعلقاً بالحكم ومتشبثاً بالسلطة مادام حيا، ويستمر في ذلك (الى أن تنقطع مدّته) التي قضى الله سبحانه بموته (و تدركه منيّته) فتنتهي سلطته من دون رغبة منه.

وهذا المنطلق على النقيض تماماً من إمرة البر الذي يترك الامرة اذا أحس من نفسه أنه لا يتمكن من العمل بالمسؤولية الملقاة على عاتقة.

[الخطبة ٤١]

ومن خطبة له عليه السلام

ينهى فيها عن الغدر

تتضمن الخطبة بيان صفتين متضادين، هما: الوفاء والغدر، وكأنها من خطبةٍ خطبها عليه السلام بعد واقعة التحكيم، حيث انشق الخوارج داعين الى مواصلة الحرب ضد معاوية بالرغم من العهد الذي حصل في التحكيم عام ٣٧ هـ، وفيها تأكيد على الثوابت التي كان يسير عليها الامام عليه السلام كمبدأ أساسي في الحياة،ومنها: الوفاء بالعهد، وقد اشار الامام الى حقيقة الوفاء وآثاره الاجتماعية، ومن ذلك يظهر حقيقة الغدر وآثاره.

(١ / ط - ١٤) **الوفاء والغدر:**

أَيُّها النّاس[١]، إِنَ الْوَفاَء تَوْأمُ الصّدْقِ، وَلاأَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَىٰ[٢] مِنْهُ، وَما[٣] يَغْدِر[٤] مَنْ عَلِمَ كَيْفَ المَرْجِعُ[٥].

ولَقَدْ أَصْبَحْناَ فِى زَماَنٍ اتَّخَذَ[٦] أَكْثَرُ أَهْلِهِ[٧] الْغَدْرَ كَيْساً، ونَسَبُهْمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَىٰ حُسْنِ الْحِيلَةِ.

ماَ لَهُمْ قاَتَلَهُمُ اللهُ! قَدْ يَرَى الْحوَّلُ الْقُلَّبُ[٨] وَجْهَ الْحِيلَةِ ودُونَها[٩] ماَنِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ ونَهْيِهِ، فَيَدَعُهاَ رَأْيَ عَيْنٍ[١٠] بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهاَ، وينْتَهِزُ فَرْصَتَهاَ مَنْ لاحَرِيجَةَ لَهُ فِى الدّين.[١١]

---

(١) لم ترد في النسخ المخطوطة: «ايها الناس».

(٢) في هـ. ب: اي أحفظ.

(٣) في هـ د: ولايغدر ـ ض.

(٤) في هـ. ب: الغدر والكذب.

(٥) في هـ. أ: اي الآخرة، وفي هـ. ب: من كان له ايمان بالقيامة لايغدر.

(٦) في ط وهـ. د: قد اتخذ ـ ض وح.

(٧) في ب: اهلها. وفي الهامش: اهله. وفى هـ. أ: يشير بذلك إلىٰ عمروبن العاص والمغيرة بن شعبة ونحوهما.

(٨) في هـ. أ: ذي البصيرة في أُمور الدين يقلّبها ظهراً وبطناً. وفي هـ. ب: الحول القلّب: الكيّس الذي يمكنه تحويل الأُمور وتقليبها.

(٩) في أ ود: ودونه، وفي وهـ. ص فى نسخة: ودونه.

(١٠) في ب رأي العين فى هـ. ب: يطلب، وفى هامش آخر: [الانتهاز] التناول والفرصة النهرة.

(١١) في هـ. أ: اي الحرج، وقيل هي: التقوىٰ، وفي هـ. ب من لاجريحة اي من لايحسب من الحرج وهوالاثم، وقيل: اسم المتحرج وهوالمتأثم.

حقيقة الوفاء:

عرف الامام حقيقة الوفاء بقوله: (انّ الوفاء توأم الصّدق) والتوأم: المرادف في الشبه، وانما الفرق بينهما ان الصدق في القول، والوفاء في العمل بالعهد، فهو في الحقيقة صدق في الالتزام بالعهد.

وذكر من آثار الوفاء أمرين متلازمين، هما:

الاول: ان الوفاء جنة، وهي الترس الذي يستخدمه الانسان ضد العدوّ في الحرب، وذلك لان عدم الوفاء بالعهد يكون ذريعة لاستمرار الحرب من جانب العدوّ، فيكون الالتزام بما يتفق عليها الطرفان من العهد ترساً ضد العدوّ.

الثاني: ان الوفاء يقى من الوقوع في الحرب المتوقع مع عدم الوفاء، والوفاء خير من العلاج، فان الحرب اذا سعرت لا يعرف مداها، فالوفاء أوقى من أي صلح متوقّع بعد الحرب حيث لا يمكن ان تستمر الحرب الىٰ الابد.

حقيقة الغدر

وعلى الضد حقيقة الغدر؛ فانها توأم الكذب، والفرق بينهما ان الكذب في القول، والغدر في العمل، فهو في الحقيقة كذب في الالتزام بالعهد.

واشار الامام الى اثر ملازم للغدر، وهو مرجع الغدر؛ فان الغدر يرجع على الغادر في سلسلة الاسباب والمسببات، فالغدر من أي جانب كان يبرر الغدر من الجانب الآخر، ويكون بذرة لغدر آخر، ويكون نتيجة الغدر على البادئ بالغدر، فاذا علم الانسان بهذا الاثر الملازم لحقيقة الغدر ونتيجته من البداية فانه (ما يغدر من علم كيف) يكون (مرجع) الغدر على صاحبه كما يؤيده التاريخ.

النظرة العامة:

وعامة الناس الذين لا ينظرون الى حقائق الامور ونتائجها، فهم (أهل الجهل) لانهم ينظرون الى الامور على ظواهرها من دون اعتبار للنتائج والعواقب، ولذلك يرون في الغدر صفتين، هما:

١ـ الكياسة: وهي الفطنة والذكاء، حيث ان الغادر يستعمل القوة في حين غفلة المغدور به وعجزه عن المقاومة.

٢ـ حسن الحيلة، وهي ما يتوسل اليه لنيل المقصود بأية وسيلة ممكنة مشروعة أو غير مشروعة.

وقد نفى الامام ان يكون أيّ من الصنفين صادقاً لأنهما لا يستندان الى الثوابت الاسلامية لسببين، هما:

اولا: ان الحرب في الاسلام لم يشرع إلاّ لغرض تحقيق العدالة الاسلامية، ولا تستعمل القوة إلّا بعد ان يرفض العدوّ كافّة الحلول السلمية، فتكون المواجهة علنا وفي وضح النهار لا غدراً، ولاجل ذلك منع الاسلام من الغارة ليلا، وقتل الجرحى وتعقيب الهارب في المعارك كما هو مشروح في كتاب الجهاد من الفقه.

ثانياً: ان الوسيلة الحربية في الاسلام يجب ان تكون مشروعة؛ فان الغاية لاتبرر الواسطة، ومن أجل ذلك لا يمكن استخدام المحرمات كالخمر والفساد في محاربة الفساد؛ لانه نوع من النفاق الذي يحاربه الاسلام فكريا وعمليا.

النظرة الخاصة:

وعلى العكس من النظرة العامة، هي نظرة القيادة الاسلامية الحكمية التي تقيس الامور بالثوابت الاسلامية، فلا تستخدم القوة إلّا في صورة الضرورة حسبما يدعوا اليه القانون الاسلامي بالرغم من القدرة على استخدامها.

وقد عبر الامام عن هؤلاء الخاصة بـ(الحوّل القلّب) أي المحنّك المجرّب الذي قد تحوّل وتقلّب في الأُمور، وعرف وجه الصواب منها بالتجربة العملية، بالاضافة الى الافكار النظرية، فان هؤلاء امام خيارات مفتوحة برؤيتهم الواضحة جميعاً ـ الحق والباطل، والمشروع وغير المشروع ـ ولكن يمنعهم من استخدام الخيارات غير المشروعة مبدئيا (امر الله ونهيه) بالرغم من العلم بالنجاح عند سلوك الطريق غير المشروع.

وهذه هي النقطة الفارقة بين الذي يتحرك استناداً على المبدأ، وبين الانتهازيّ الذي لا يؤمن بالمبدأ. فيكون القائد المسلم المتلزم بالثوابت الاسلامية والمؤمن بالقانون الاسلامي امام الخيارات غير المشروعة (يدعها رأي عين بعد القدرة عليها) فيدخل التاريخ من ابوابه.

والقائد الانتهازي الغير الملتزم بالمبادئ، يستخدم كل الخيارات، مشروعة أو غير مشروعة (وينتهز فرصتها) لانه لا يتحرك على مبدأ اسلامي، بل يتحرك على مبدئه الخاص، وهو (لاحريجة له في الدين) والحريجة هي الخوف من الانحراف عن الثوابت الدينية، وما أحسن ما قاله الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ ه) في « شرح نهج البلاغة»، حيث قال:« وهذه كانت سجيته عليه السلام وشيمته ، ملك أهل الشام الماء عليه ، والشريعة بصفين ، وأرادوا قتله وقتل أهل العراق ، عطشا ، فضاربهم على الشريعة حتى ملكها عليهم ، وطردهم عنها، فقال له أهل العراق : اقتلهم بسيوف العطش ، وامنعهم الماء ، وخذهم قبضا بالايدي ، فقال : إن في حد السيف لغنى عن ذلك ، وإنى لا أستحل منعهم

الماء . فأفرج لهم عن الماء فوردوه ، ثم قاسمهم الشريعة شطرين بينهم وبينه . وكان الاشتر يستأذنه أن يبيّت [١] معاوية ، فيقول: إن رسول الله ﷺ نهى أن يبيت المشركون ، وتوارث بنوه عليهم السلام هذا الخلق الابي» . [٢]

قال الجلالي: والبيات ـ لغة ـ : قصد العدو ليلاً بغتة، والغريب ان الشارح رحمه الله يرى هذا الخلق الأبي موروثا من عليّ مع تصريحه بأن النبي نهى عن ان يبيّت المشركون. مع انه خلق اسلامي سنة النبيّ الاعظم ﷺ وسار عليه كل اخذ بالسنة النبوية، وكان اولهم الامام واهل البيت عليهم السلام ، ويجب ان لا يغفل عنه اي مؤمن برسالة القرآن وهدى الرسول القائد.

(١) يقال : بيّت العدو ، أي قصده في الليل من غير أن يعلم، فيؤخذ بغتة ، وهو البيات .
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٢ : ٣١٣ ـ ٣١٤ .

[الخطبة ٤٢]

ومن خطبة له عليه السلام

في بيان صفات الدنيا

(١/ط - ٤٢) **الصفات البارزة للدنيا:**

أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ أَخْوَفَ ما أخافُ عَلَيْكُمْ اثنتان[١]: اتِّبَاعُ الهَوَى وطُولُ الأمَل، فَأمّا اتّباعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقّ، وأَمّا طُولُ الأمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَة.

ألا وإنَّ الدُّنْيا قَدْ وَلَّتْ حَذّاء[٢] فَلَمْ يَبْقَ مِنْها إلاّ صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الإناء، اصْطَبَّها[٣] صابُّها[٤]، ألا وإنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلٍّ مِنْهُما بَنُون، فَكُونُوا مِنْ أَبْناءِ الآخِرَةِ وَلاتَكُونُوا مِنْ أَبْناء الدُّنْيا؛ فَإنَّ كُلّ[٥] وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ[٦] يَوْمَ الْقِيامَةِ، وإنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاحَسابَ، وغَداً حِسابٌ وَلاَ عَمَل.

قال الشريف: أقول: الحذاء: السريعة، ومن الناس من يرويه: «جذاء».

من تاريخ الكلام:

حدد المنقري (ت / ٢١٢ هـ) مكان وتاريخ هذا الكلام في المسجد الاعظم في الكوفة، يوم الاثنين ١٢ / رجب / ٣٦ هـ، فيكون الكلام موجهاً لقادة الجيش الذين هم عادة يغترون بنشوة النصر بعد الحرب.

وقد ذكرت الرواية في المسند؛ وهي تستدعي دراسة مستقلة، ونصّها: «روى نصر بن مزاحم المنقري في «وقعة صفين»، قال: أنبأنا نصر بن مزاحم التميمي ، قال عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي ، عن الحارث بن حصيرة [٧] عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي

---

(١) في د: اثنان.
(٢) في هـ. أ وص: السريعة، ومن الناس من يرويه بالجيم، اي انقطع درّها وخيرها.
(٣) في هـ. ب: اي صبّها
(٤) في هـ. د: اصطبها صاحبها ـ م.
(٥) في هـ. د: فان لكل – م.
(٦) في د: بأبيه.
(٧) هو الحارث بن حصيرة الأزدي ، أبو النعمان الكوفي . روى عن زيد بن وهب وأبي صادق الأزدي ، وجابر الجعفي . وعنه : عبد الواحد بن زياد ، والثوري ، ومالتك بن مغول ، وعبد السلام بن حرب . قال ابن عدى : عامة روايات الكوفيين عنه في فضائل أهل البيت . وهو يعد من المحترفين بالكوفة في التشيع . وحصيرة ، بفتح المهملة وكسر المهملة بعدها . وفي

الكنود وغيره قالوا : لما قدم عليّ بن أبي طالب من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة مضت من رجب سنة ست وثلاثين ، وقد أعز الله نصره وأظهره على عدوه ، ومعه أشراف الناس وأهل البصرة ، استقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم ، فدعوا له بالبركة وقالوا : يا أمير المؤمنين ، أين تنزل ؟ أتنزل القصر ؟ فقال : لا ، ولكني أنزل الرحبة . فنزلها، وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وقال: أما بعد، يا أهل الكوفة فإن لكم في الإسلام فضلا ما لم تبدّلوا وتغيّروا . دعوتكم إلى الحق فأجبتم ، وبدأتم بالمنكر فغيرتم . ألا إن فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والقسم . فأنتم أسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه . ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل . فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة . ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، والآخرة ترحلت مقبلة ، ولكل واحدة منها بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة . اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل .

الحمد لله الذى نصر وليه ، وخذل عدوه ، وأعز الصادق المحق ، وأذل الناكث المبطل . عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم ، الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه ، من المنتحلين المدعين المقابلين إلينا[١] ، يتفضلون بفضلنا ، ويجاحدونا أمرنا ، وينازعونا حقنا ، ويدافعونا عنه [٢] . فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيا . ألا إنه قد قعد عن نصرتي منكم رجال فأنا عليهم عاتب زار . فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا [٣] ، ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة.

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي – وكان صاحب شرطته – فقال : والله إنى لأرى الهجر وإسماع المكروه لهم قليلا . والله لئن أمرتنا لنقتلنهم فقال عليّ : سبحان الله يا مال ، جزت المدى ، وعدوت الحد ، وأغرقت في النزع ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لبعض الغشم أبلغ في أمور تنوبك من مهادنة الأعادي .

فقال عليّ : ليس هكذا قضى الله يا مال ، قتل النفس بالنفس، فما بال الغشم . وقال : ﴿

الأصل :) حضيرة (بالضاد المعجمة ، تحريف . انظر تهذيب التهذيب (٢: ١٤٠ وتقريب التهذيب: ٨٧ .

(١) في نسخة:«القائلين إلينا».

(٢) كذا وردت الأفعال الثلاثة هنا وفي «ح» بحذف نون الرفع لغير ناصب أو جازم ، وهى لغة صحيحة . انظر خزانة الأدب ٣ : ٥٢٦ – ٥٢٥ .

(٣) الإعتاب : إعطاء العتبى ، وهى الرضا . وأعتبنى فلان : ترك ما كنت أجد عليه من أجله .

ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ﴾ . والإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك ، فقد نهى الله عنه ، وذلك هو الغشم .

فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي – وكان ممن تخلف عنه – فقال: يا أمير المؤمنين ، أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة ، بم قتلوا ؟ قال :«قتلوا شيعتي وعمالي ، وقتلوا أخا ربيعة العبدى ، رحمة الله عليه ، في عصابة من المسلمين قالوا : لا ننكث كما نكثتم ، ولا نغدر كما غدرتم . فوثبوا عليهم فقتلوهم ، فسألتهم أن يدفعوا إلى قتلة إخوانى أقتلهم بهم ، ثم كتاب الله حكم بينى وبينهم ، فأبوا عليّ ، فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ، ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي ، فقتلتهم بهم ، أفي شك أنت من ذلك ؟

قال : قد كنت في شك ، فأما الآن فقد عرفت ، واستبان لي خطأ القوم ، وأنك أنت المهدى المصيب .

وكان أشياخ الحي يذكرون أنه كان عثمانياً ، وقد شهد مع عليّ على ذلك صفين ، ولكنه بعد ما رجع كان يكاتب معاوية ، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة ، وكان عليه كريماً .

ثم إن عليا تهيأ لينزل ، وقام رجال ليتكلموا ، فلما رأوه نزل جلسوا وسكتوا» .(١)

المهلكتان:

يواجه كل انسان في حياته مغريات الحياة التي تهلكه، وقد أشار الامام إلى أخوفها، وهو اثنان:

اولا:اتباع الهوى، فيما يتخذه الانسان من قرار؛ فان المطلوب ان يتحرك الانسان على اساس مبدأ مدروس لبناء حياته وعلاقاته الشخصية والأسرية والاجتماعية؛ فان الالتزام بهذا المبدأ هو الذي يولد الثقة في العلاقات، وبالهوى تعمى البصيرة لعواقب الامور، فيترك على غير مبدأ سوى المصلحة الوقتية، وهذه تعدم الثقة وتجعل العلاقات في قلق دائم، ونتيجة ذلك ان (يصدّ عن الحق) فيرتكب الاعمال غير المشروعة للوصول الى الهدف.

ثانياً: طول الامل في الحياة، وهذا يستتبع تأخير المسؤوليات على أمل القيام بها في المستقبل، لا تأمّل في العواقب ولا تذكّر الآخرة؛ لأمله ان يقوم بها في وقت لاحق، وبالنتيجة (ينسئ الآخرة) وقد واجه الامام اليربوعي الذي غمرته نشوة النصر، فاقترح قتل كلّ من قعد عن نصر الامام، فقام الامام عليه السلام بمواجهته بالتذكير ان ذلك من اتباع الهوى بقوله: (جزت المدى وعدوت الحد واغرقت في النزع) فان الحدود الاسلامية

---

(١) وقعة صفين؛ لابن مزاحم المنقري : ٣ ـ ٥.

مشروحة، وليس للقعود عن النصر القتل.

ولعله كان يشير الى ابن عوف في التذكير لطول للامل حيث كان جاسوسا لمعاوية، واقطعه قطعية في الفلّوجة وتنكّر على مبادئه الاسلامية في الحرب العقائدية.

الدنيا والاخرة:

أشار الامام الى السبب الرئيسي في المهلكين (اتباع الهوىٰ وطول الامل) وهو حب الدنيا، الذي يضاده الخوف من الاخرة؛ فان حب الدنيا يدعوا اليهما، والخوف من العاقبة والاخرة ينهى عنهما؛ والخيار بيد الانسان نفسه، فهو مخيّر بين ان يكون من ابناء الدنيا أو أبناء الاخرة، فكما ان من الطبيعي ان يرث الابناء آباءهم في الدنيا (فان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيامة) وصفات الدنيا والاخرة متقابلتان.

من الصفات البارزة للدنيا:

١ ـ الفناء (ولّت حذّاء) وهي بالمهملة، اي مسرعة، وبالمعجمة اي منقطعة.

٢ ـ يوم العمل (ولا حساب) إلّا عند الانتهاء من العمل.

٣ ـ لا يبقىٰ منها إلاّ حكم زائل.

وقد عبّر عن هذا الحكم بقوله (صبابة كصبابة الإناء اصطبّها صابّها) والصبابة: البقية (واصطبها صابها) أي أبقاها مبقيها، وفي ذلك كناية عن ان هذا الحكم الباقي لا قيمة له بالنسبة الى دور الانسان المطلوب في الحياة، وليس ما يبنى فيها إلّا كالالعوبة في عالم الطفولة، والمفروض ان لا يغتر بها الانسان المسؤول في الحياة.

ومن الصفات البارزة للآخرة ـ على الضدّ من صفات الدنيا ـ هي:

١ ـ دائمة، لانها عاقبة العمل ونتيجتهُ، ولا يحصل على الانتاج الابعد الانتهاء من العمل.

٢ ـ يوم الحساب، حيث ينتهي موعد العمل، فلا مجال سوى المحاسبة لما انتج.

٣ ـ الذكرى الخالدة في التاريخ، والى الابد، خيرا أو شراً.

والخيار للانسان بين العمل في وقت العمل للحصول على النتائج في وقت النتائج، أو الإهمال فالخسران. والله المستعان.

وهاتان المهلكتان عامتان في حياة كل انسان لا يعيش كانسان يؤمن بدور انسانى مسؤول له في الحياة، ويعيش عيشة الحيوانات التي همّها علفها، ونعم ما قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) بما نصه:«وأنت إذا تأملت هلاك من هلك من المتكلمين كالمجبرة والمرجئة ، مع ذكائهم وفطنتهم واشتغالهم بالعلوم ، عرفت أنه لا سبب لهلاكهم إلّا هوى الأنفس ، وحبهم الانتصار للمذهب الذي قد ألفوه ، وقد رأسوا بطريقه ، وصارت

لهم الاتباع والتلامذة ، وأقبلت الدنيا عليهم ، وعدهم السلاطين علماء ورؤساء ، فيكرهون نقض ذلك كله وإبطاله ، ويحبون الانتصار لتلك المذاهب والآراء التي نشئوا عليها ، وعرفوا بها ، ووصلوا إلى ما وصلوا إليه بطريقها ، ويخافون عار الانتقال عن المذهب ، وأن يشتفي بهم الخصوم، ويقرعهم الأعداء ، ومن أنصف علم أن الذي ذكرناه حق».[١]

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٢ : ٣١٩.

[الخطبة ٤٣]

ومن كلام له عليه السلام

وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله إلى معاوية جرير بن عبد الله البجلّي

وعن تاريخ هذا الكلام روى نصر بن مزاحم المنقري في «وقعة صفين» عن عمر بن سعد، عن نمير بن وعلة، عن عامر الشعبي، أن عليا عليه السلام حين قدم من البصرة نزع جريرا همدان، فجاء حتى نزل الكوفة، فأراد عليّ أن يبعث إلى معاوية رسولا فقال له جرير: ابعثني إلى معاوية، فإنه لم يزل لي مستنصحا وودا[١]، فآتيه فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر، ويجامعك على الحق، على أن يكون أميرا من أمرائك، وعاملا من عمالك، ما عمل بطاعة الله، واتبع ما في كتاب الله، وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك، وجلهم قومي وأهل بلادي، وقد رجوت ألا يعصوني. فقال له الأشتر: لا تبعثه ودعه، ولا تصدقه، فو الله إني لأظن هواه هواهم، ونيته نيتهم. فقال له عليّ: دعه حتى ننظر ما يرجع به إلينا. فبعثه علي عليه السلام وقال له حين أراد أن يبعثه: إن حولي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الدين والرأي من قد رأيت، وقد اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيك: «إنك من خير ذي يمن». ايت معاوية بكتابي، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلّا فانبذ إليه، وأعلمه أني لا أرضى به أميرا، وأن العامة لا ترضى به خليفة.

فانطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاوية، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد يا معاوية فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين وأهل المصرين وأهل الحجاز، وأهل اليمن، وأهل مصر، وأهل العروض وعمان، وأهل البحرين واليمامة، فلم يبق إلّا أهل هذه الحصون التي أنت فيها، لو سال عليها سيل من أوديته غرقها. وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل.

ودفع إليه كتاب عليّ بن طالب، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد. وإنما الشورى للمهاجرين

---

(١) الود، بكسر الواو: الصديق، كالحب بمعنى المحبوب. والود، بضم الواو: الصديق، على حذف المضاف. وجاء في اللسان: «وفي حديث ابن عمر: إن أبا هذا كان ودا لعمر. هو على حذف المضاف، تقديره كان ذا ود لعمر، أي صديقا».

والأنصار».[١]

و سيأتي النص بتمامه في الكتاب السادس.

وايضا بالاسناد عن المنقري (ت / ٢١٢) قال:« وفي حديث صالح بن صدقة قال: أبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس، وقال عليّ: وقّتُّ لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً! وأبطأ على عليّ حتى أيس منه.

وفي حديث محمّد وصالح بن صدقة، قالا: وكتب عليّ إلى جرير بعد ذلك: «أما بعد، فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيّره بين حرب مجلية، أو سلم محظية. فإن اختار الحرب فانبذ له، وإن اختار السلم فخذ بيعته».[٢]

من هو جرير ؟

قال الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ): «جرير بن عبدالله، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله البجلي، سكن الكوفة، وقدم الشام برسالة اميرالمؤمنين عليه السلام الى معاوية، واسلم في السنة التي قبض فيها النبي صلى الله عليه وآله، وقيل: ان طوله كان ستة أذرع، ذكره محمّد بن اسحاق».[٣]

وقال الخزرجي (ت / ٩٢٣ ـ ح) «جرير بن عبدالله بن جابر، وهو السليل بن مالك بن نصر البجلي القشيري، أبو عمرو. اسلم سنة عشر، وبسط له النبي صلى الله عليه وآله ثوبا، ووجهه الى ذي الحليفة فهدمها، وعمل على اليمن أيامه صلى الله عليه وآله له مائة حديث، اتفقا على ثمانية (ح) لحديث و (م) بسنة، وعنه ابنه وانس وزيد بن وهب والشعبي وطائفة. قال: ما صحبني النبي صلى الله عليه وآله منذ اسلمت ولا رآني إلّا تبسّم، وكانت نعله ذراعاً، وشهد فتح المدائن، وكان على ميمنة الناس يوم القادسية، ويلقب بيوسف هذه الامة، قال خليفة: مات سنة احدى أو اربع وخمسين».[٤]

وترجمه ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) بتفصيل في الشرح (ج ٣ ص ١١٦) وأنّ عليّ هدم داره بعد أن فارق علياً .

ومن وصفه: ان طوله ستة اذرع، ونعله بذراع يستكشف انه كان طوالا خارقاً غير معتاد في الجسم وفي الطموح، وفسح الامام له المجال في استخدام هذا الطموح في الصلح»[٥].

---

(١) وقعة صفين؛ لابن مزاحم المنقري : ٢٨ ـ ٢٩.
(٢) وقعة صفّين: ٥٥، ط / ١٣٨٩ هـ.
(٣) راجع: رجال الطوسي .
(٤) خلاصة تهذيب الكمال: ٥٢، ط / ١٣٣٣ هـ .
(٥) شرح نهج البلاغة ١ : ٢٣٥.

(ط ـ ٣٤١) دور المفاوضة:

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشّامِ وجَرِيرٌ عِنْدَهُم، إِغْلاقٌ لِلشّام، وَصَرْفٌ لأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ، وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لايُقِيمُ بَعْدهُ إلاّ مَخْدُوعاً أَو عَاصِياً، وَالرَّأي عندي[1] مَعَ الأَنَاةِ[2] فَأَرْوِدُوا[3]، وَلاَ أَكْرَهُ لَكُمُ الإعْدَادَ.

اشار المقطع الى ان اية مفاوضة ناجحة لابد وان تخضع لأمرين اساسيين، هما:

اولا: الالتزام بشروط التفاوض. من الجانبين، واهم هذه الشروط ـ وهو شرط طبيعي ـ: عدم اتخاذ موقف معلن قبل انتهاء دور المفاوضة.

ثانياً: تحديد وقت التفاوض، بأن يكون محدداً زماناً وبانتهاء الوقت ينتهي التفاوض، حيث ان استمرار التفاوض من دون تحديد زمني معين يستلزم ان لا يكون مفاوضة حقيقية، بل كسبا للوقت للتحيّل على الآخر.

وقد التزم الامام بهذين الشرطين الاساسيين في المفاوضة.

فأولا: رفض اعلان الحرب (وجرير عندهم) في دورا لمفاوضة بالرغم من علمه وعلم الجانبين بنوايا العدوّ، فان اعلان الحرب في حال التفاوض يستلزم نتيجتين يتجنبهما الجيش الاسلامي، وهما:

الاول: دفع طائفة من المسلمين الى المعارضة استناداً الى الخيانة بالشرط الطبيعي للمفاوضة وذكره دافعا لهم (من خير ارادوه).

والثانية: استقلال الشام من الدولة الاسلامية (اغلاق للشام) حيث لا يبقى لدعاة الاصلاح فيها أمل بعد اعلان الحرب.

وثانياً: حدد الامام للرسول المتفاوض (وقتّ لجرير وقتا) فهو مقيد بجدول زمني محدّد، وبعد انتهاء هذا الجدول (لا يقيم) هذا الرسول المفاوض بين العدوّ الذي يحاول تطويل المفاوضة لكسب الوقت (إلاّ مخدوعا) من العدو (أو عاصياً) لشروط التفاوض.

فلابد للقائد ان يلتزم بشروط التفاوض عملاً بالثوابت الاسلامية، وهذا لا ينافي اعداد الجيش للحرب عند فشل المفاوضات فالمراد من استعداده للحرب اعلان الحرب حين فشل المفاوضات، وهذا لا ينافي اعداده الشخصي لها، لعلمه المسبق بنتائجها المعلوم من تاريخ المتفاوضين، كما لا ينافي اعداد الجيش لها، وبذلك يظهر ما في كلام الشارحين، حيث قال ابن الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) «... كره منهم اظهار الاستعداد والجهر به، ولم يكره

(١) لم ترد «عندي» في أ و ب.
(٢) في هـ. أ: الاناة: التثبت.
(٣) في هـ. أ: اي ارفقوا، وفي هـ. ب: يقال: ارودوا: تفكروا، ويقال: أرود في السير: اذا أرفق.

الاعداد في السر وعلى وجه الخفاء والكتمان، ويمكن ان يقال: انه كره استعداد نفسه ولم يكره اعداد اصحابه، وهذان متغايران، وهذا الوجه اختاره القطب الراوندي».(١)

وذلك أوّلا: لان الخفاء والكتمان ينافيان هذا الكلام المعلن وهما غير خافيين على الاعداء.

وثانياً: انه لا فرق بين الامام كقائد الجيش، والجيش كمنفّذ للعمليات الحربية، في وحدة الجبهة في الحرب من حيث الهدف والوسائل.

والقائد باعتباره قائداً للجيش اظهر اعتقاده الشخصي في الموقف الذي يجب ان يتخذ في الجبهة في دور المفاوضة، وقوامه امران:

اولا: التأني حتىٰ ينتهي الجدول الزمني المفروض في المفاوضة، فقال عليه السلام:(الرأي عندي مع الأناة) فاورد ـ اولا ـ الأناة، اي التأنّي في الامر، والارواد: الرفق في عدم التسرع في القرارات الارتجالية.

الثاني: الاعداد للحرب، للعلم بطبيعة العدوّ من ماضية، وكان هذا الاعداد عجيب، لعلم القائد بنتيجة المفاوضات مسبقاً، فانه احتياط مسبق يجب ان يستعد له أي جيش محارب.

(٢/ط - ٤٣) **الخيارات:**

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الأمْرِ وعَيْنَهُ(٢)، وقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وبَطْنَهُ، فَلمأرَ لِي(٣) إلاالْقِتَالَ أو الْكُفْرَ(٤).

إِنَّهُ قَدْ كاَنَ عَلَى الأمَّةِ وَالٍ(٥) أَحْدَثَ أَحْدَاثاً، وأَوجَدَ النّاس(٦) مَقاَلاً، فَقاَلُوا، ثمّ نَقَمُوا

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢: ٣٢٣.

(٢) في هـ. أ: ضربت أنف هذا الأمر وعينه، اي جربت الأمور وصرّفت الاحوال. وفي هـ. ب: الأنف: الاول، والعين: الآخر، اي قطعت.

(٣) في ط: فلمأر فيه إلّا القتال، و في هـ. د: فلمأر إلاّ القتال ـ ن، فلمأر فيه إلاّ القتال ـ ح.

(٤) في ط ود زيادة: بما جاء محمّد صلى الله عليه وآله. وفي هـ. أ: أو الكفر بما أنزل الله علىٰ محمّد، ويجوز ان يكون المراد: ان النبي صلى الله عليه وآله قال: «ان عليا يقاتل الناكثين» فان لم يقاتل يلزم من ذلك تكذيب النبي، وذلك كفر. ويجوز ان يكون المراد بقوله عليه السلام: لمأر: لم أعتقد إلّا وجوب القتال، كما يقال: ان ابا حنيفة يرىٰ كذا، أي يعتقد، وذلك لان القتال في سبيل الله واجب لقوله تعالىٰ: ﴿**فقاتلوا في سبيل الله**﴾ وقوله: ﴿**فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة**﴾ وغيرها من الايات، ومعاوية وحزبه كانوا باغين، ناكثين، ساعين في الارض بالفساد، فمن لميعتقد وجوب قتالهم كمن لميعتقد بمقتضىٰ آيات الله، وذلك كفر.

ويؤيد هذاـ: تصريحه به في كلام له بعد هذا، وهوقوله: فما وجدتني يسعني إلاّ قتالهم أو الجحود بما جاء ني به محمّد صلى الله عليه وآله. [الخطبة: ٥٣].

(٥) في هـ. أ: يشير لذلك الىٰ عثمان وفي هـ. ب: والوالي الذي أحدث أحداثاً هوعثمان.

فَغَيَّرُوا.

واشار في هذا المقطع الى الخيارات المطروحة والمتوقعة في المفاوضات، وبحكم معرفة الامام بماضي الاعداء وتاريخهم في الجاهلية ومواقفهم من بدء بزوغ فجر الاسلام كرسالة عالمية، اعلن الامام موقفه القيادي وانه يستند الى دراسة موضوعية للمبادئ التي يدعوا اليها، وكذلك المبادئ التي يدعوا اليها العدو، مستخدماً المثل العربي: (ضربت أنف هذا الأمر وعينه) اشارة الى دقة البحث والفكر في الموضوع، وزاد على المثل بقوله: (وقلّبت ظهره وبطنه) اشارة الى الدعايات الظاهرية والتي أعلنها العدوّ، والمبادئ الحقيقية التي ينويها ولا يعلنها، واستناداً الى هذه الدراسة العميقة، ليس له سوى خيارين:

اولاً: القتال بالمواجهة المسلحة؛ لان المبادئ متناقضة ولا يمكن حلّها بالمفاوضات السلمية.

ثانياً: الكفر بما جاء به محمّد ﷺ من رسالة الاسلام، لان الاعداء في الجاهلية أخذوا يتحركون بوجوه جديدة ودعايات حديثة، فهي في خططها كفر (بما جاء به محمّد) من الحكم بالشورى.

وفنّد مسؤليته الشخصية عن سياسيات من سبقة من الحكام، التي جعل الناس ناقمين فأوجدت ثورة عارمة مشيراً الى الخليفة الثالث عثمان بانه (كان على الامّة والٍ أحدث أحداثا) في سياسته المالية (و أوجد النّاس مقالاً فقالوا) وان هذه السياسة المالية سببت سلسلة من الاحداث المتسلسلة، وهي المعارضة بالقول (فقالوا) واستتبعت النقمة، وهي الاستنكار (نقموا) واستتبعت الثورة (فغيّروا)، وهذه النقاط الثلاث مترابطة.

---

(٦) في هـ. ب: الايجاد: جعل الغير واجداً للشيء.

[الخطبة ٤٤]

ومن كلام له عليه السلام

لمّا هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية[١] من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم فلما طالبه عليه السلام بالمال خاس به[٢] وهرب الى الشام

وفي تاريخ هذا الكلام روايات ذكرتها بتفصيل في مسند نهج البلاغة، وأخصرها بالاسناد الىٰ الشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ)، فقد روى الشيخ الطوسي في الحديث ٥٥١، باسناده عن الحسين بن سعيد، عن حماد وصفوان، عن معاوية بن عمار، عن ابيه، عن أبي الطفيل: ان بني ناجية قوما كانوا يسكنون الاسياف، وكانوا قوما يدعون في قريش نسبا، وكانوا نصارى فاسلموا، ثم رجعوا عن الاسلام، فبعث امير المؤمنين عليه السلام معقل بن قيس التميمي، فخرجنا معه، فلما انتهينا الى القوم جعل بيننا وبينه امارة، فقال: إذا وضعت يدي على رأسي فضعوا فيهم السلاح، فأتاهم فقال: ما انتم عليه ؟ فخرجت طائفة، فقالوا: نحن نصارى لا نعلم دينا خيرا من ديننا فنحن عليه، قال: فعزلهم، قال: ثم قالت طائفة منهم: نحن كنا نصارى فأسلمنا، فنحن مسلمون لا نعلم دينا خيرا من ديننا، فنحن عليه، وقالت طائفة: نحن كنا نصارى ثم اسلمنا، ثم عرفنا انه لا خير من الدين الذي كنا عليه فرجعنا إليه، فدعاهم الى الاسلام ثلاث مرات، فأبوا فوضع يده على رأسه، قال: فقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم، قال: فأتى بهم عليا عليه السلام فاشتراهم مصقلة بن هبيرة بمائة الف درهم فأعتقهم، وحمل الى عليّ امير المؤمنين عليه السلام خمسين الفا فأبى ان يقبلها، قال: فخرج بها فدفنها في داره ولحق بمعاوية لعنه الله، قال: فأخرب امير المؤمنين عليه السلام داره واجاز عتقهم».[٣]

ويظهر من الرواية أن بني ناجية ـ شأن الاقليات ـ اصبحوا على طوائف، فمنهم من بقي

---

(١) بنوناجية: حي ينسبون انفسهم إلىٰ سامة بن لؤي، اخي كعب بن لؤي، وأكثر علماء النسب ينفون نسبهم، وروي نفي نسبهم عن أمير المؤمنين عليه السلام وكان أكثرهم نصارىٰ وبعضهم كان قد أسلم فخرج منهم خارجي فازلّ قومه فارتد بعضهم، ونقض الذمة النصارىٰ، فقتل معقل الخارجين والمرتدين وسبىٰ النصارىٰ. [شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٢٠].

(٢) في هـ. أ وب: خاس: اي غدر به، يقال: خاس فلان بالعهد: إذا نكث.

(٣) تهذيب الأحكام؛ للشيخ الطوسي ١٠: ١٣٩ ـ ١٤٠.

على دينه، ومنهم من اسلم وبقي على اسلامه، ومنهم طائفة ثالثة اختارت الردة، وأن هذه الفئة الثالثة اصحبت معاقبة دون غيرها.

(١/ط - ٤٤) **المواقف المتناقضة:**

فقال:(١) قَبَّحَ(٢) اللهُ مَصْقَلَةَ! فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ(٣)، وفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيد، فَماَ أَنْطَقَ ماَدِحَهُ حَتّىَ أسْكَتَهُ، وَلاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتّى بَكَّتَهُ(٤)، وَلَو أَقَامَ لأخَذْناَ مَيْسُورَهُ(٥)، وانْتَظَرْناَ بِماَلِهِ مَوْفُورَه.(٦)

والامام عليه السلام قيّم مواقف مصقلة بروح موضوعية، فان أيّ عمل يصدر من أيّ انسان يجب ان يقوم بحسب نتائجه المترتبة على ذلك العمل ان خيرا أو شراً، فاذا كانت المواقف سائرة على المبادئ فانها تستوجب التحسين، والمواقف المتناقضة تستلزم التصحيح،

وهكذا كانت مواقف مصقلة التي كانت لهما نتائج متناقضة اشار اليها الامام في النقاط التالية:

١ ـ (فعل فعل السّادة) حيث اشترى السبايا بماءة الف درهم، واعتقهم، وهذا مسؤولية تود الى السادة.

٢ ـ (فرّ فرار العبيد) حيث لم يرضح للقانون والعدالة ولم يدفع الثمن كاملاً.

٣ ـ (فما أنطق مادحه حتّى أسكته) فان نتيجة فعل السادة المدح، والمدح لا يمكن ان يستمر مع الخيانة المالية في الحقوق المادية.

٤ ـ (ولا صدّق واصفه حتّى بكّته) والتبكيت: التأنيب؛ فان من يصفه مادحاً يفتقر الى تصديق بالسير على المبادئ من دون تناقض، والتناقض يستوجب التأنيب، حيث لا يجوز ان يتصدق بمال السرقة؛ فاذا اشترى الاسارى فهو المسؤول عن المال، ولا فرق في السرقة بين السرقة من شخص اومن بيت مال المسلمين.

٥ ـ (ولو أقام لأخذنا ميسوره) فالعدالة في القضاء يقتضي تطبيق الحكم على جميع

---

(١) ليس في د: فقال.

(٢) في هـ . ص: اي نحاه عن الخير، وهوفي معنىٰ اللعن، وفي هـ . أ: من القَبْح، لامن القُبْح، معناه: لعنه الله وبعّده من الخير. وفي هـ . ب: ابعده الله من كل خير.

(٣) في هـ د: فعل السادات ـ شرح محمّد عبده.

(٤) في هـ . ص: التبكيت كالتقريع وقطع الحجج، وفي هـ . أ: غلبه بالحجة وقرعه، وفي هـ . ب: سكّته. والتبكيت: التقريع والتعنيف.

(٥) في هـ . ب: يُسر أمره.

(٦) في أ وب وط ود: وفوره، وفي هـ . ص: في نسخة: وفوره، وفي هـ . أ: في نسخة: موفوره، وفي هـ . ب: اي موفوره، اي تمامه.

المسلمين من دون استثناء ولا يمكن اعفاء أي شخص من أداء حقوق بيت مال المسلمين، ومن هنا لو كان مصقلة مقيما في الدولة الاسلامية لأقام القضاء العادل فيه، بأداء حكم الغريم الذي عليه ان يرفع ما عليه من الغرم بالفعل، حسب القدرة لما يتمكن بالفعل، ثم أداء الباقي عند القدرة.

٦ ـ (وانتظرنا بماله وفوره) وذلك بالانتظار لأداء ما بقي عليه من مال الغرامة عند وفوره عنده في المستقبل.

ولم يرضخ مصقلة لهذا الحكم العادل، وقرر الفرار من العدالة، والالتحاق بمعاوية، وممّا ذكر ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ ﻫ) في تفصيل ذلك في شرحه(٢: ١٢٠ ـ ١٤٧) أنّ علياً سار الى داره فهدمها، كما رفض الاقتراح برد الذين سبوا قائلا: (ليس ذلك في القضاء بالحق) واعلن ان الغبن (قد صار على غريم من الغرماء فاطلبوه)[١].

واستخدم معاوية مصقلة لكي يمني اخاه نعيم بن هبيرة الشيباني الامارة، فاجابه بقصيدة منها:

اصبحت تبغضك الاحياء قاطبة ... لم يرفع الله بالعصيان انسانا

وصدق﵇ كما يشهد بذلك التاريخ.

(١) شرح نهج البلاغة ٢: ١٤٧.

[الخطبة ٤٥]

ومن خطبة له عليه السلام

وهو بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر، وفيها حمد الله وذم الدنيا.

من الطبيعي في يوم عيد الفطر، وهو الاول من شوال من كل عام، ان يبتهج المسلمون بهذا اليوم الذي يعتبر عيداً وطنيا شعبيا اسلاميا، واقتطع الشريف من هذه الخطبة مافيه التأكيد على الثوابت الاسلامية منها، وهي:

اولاً: حمد لله.

وثانيا: عدم الاغترار بالدنيا.

(١/ ط - ٤٥) **الاسباب الموجبة لحمد الله:**

الْحَمْدُ للهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ[١] مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلاَمَخْلُومِنْ نِعْمَتِهِ، ولاَ مَأْيُوسٍ مِـنْ مَـغْفِرَتِهِ، وَلامَسْتَنْكَفٍ[٢] عَنْ[٣] عِبادَتِهِ، الذِي لاَ تَبْرَحُ[٤] منه [٥]رَحْمَةٌ، وَلاَ تُفْقَدُ[٦] لَهُ نِعْمَةٌ.

وفي المقطع الاول، سرد الامام بعض الاسباب الموجبة لحمد الله تعالىٰ، وهي:

١ ـ (غير مقنوط من رحمته) فان فتح باب ا لرجاء على مصراعيه مما يوجب الحمد.

٢ ـ (ولا مخلوّ من نعمته) ونعم الله كثيرة على كل انسان في كل آنٍ ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[٧] واقلها نعمة الصحة والسلامة، وما أحسن القول: «نعمتان مجهولتان: الامن والعافية».[٨]

٣ ـ (ولا مأيوس من مغفرته) فإن اليأس دائماً يسبب القلق النفسي الذي قد يؤدي بحياة الانسان، والامل بالغفران هو سبب للحمد.

٤ ـ (ولا مستنكف عن عبادته) فانه ليس من يستحق العبادة سواه سبحانه لانه هو الكمال المطلق، فكيف يمكن ان يستنكف أحد من عبادة ذلك!

---

(١) في ه. ب: القنوط والخيبة واليأس بمعنىً.
(٢) في ه. ب: استنكف: أنف.
(٣) في ص و أ: من، وفي ه أ: في نسخة : عن.
(٤) في ه. ب: الذي لاتزال تبرح.
(٥) في أ: له.
(٦) في ه. أ: في نسخة: ولاتَقِفْ.
(٧) ابراهيم ١٤ : ٣٤.
(٨) روضة الواعظين :٤٧٢.

٥ ـ (الذي لا تبرح منه رحمة) والبرح: الزوال، فالرحمة الالٰهية بالاضافة الىٰ تواجدها فيه لا تزول عنه؛ فانه سبحانه خلق الطبيعة على صورة لا تزول نعمها إلّا بارادته.

٦ ـ (ولا تفقد له نعمة) فان كل نعمة تؤدي دورها المطلوب في وجودها في الطبيعة، فلا تفقد النعمة أثرها.

(٢/ط ـ ٤٥) الاغترار بالدنيا:

وَالدُّنْياَ دَارُ مُنِيَ[١] لَهاَ الْفَنَاَء، ولأهْلِهاَ مِنْهاَ الْجَلاء[٢]، وهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَة[٣]، وقَدْ عَجِلَتْ[٤] لِلطَّالِبِ، والْتَبَسَتْ[٥] بِقَلْبِ النّاظِرِ، فاَرْتَحِلُوا مِنْهاَ[٦] بِأَحْسَنِ ماَ بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزّاد، ولاَ تَسْأَلُوا فِيهاَ فَوْقَ الكَفاَفِ[٧]، ولاتَطْلُبُوا مِنْهاَ أَكْثَرَ مِنَ الْبَلاَغ[٨].

وفي هذا المقطع اشارة الى الاعتبار في وقت يلتهى الانسان بالفرح الموجب عـادة للاغترار، وحيث ان مواسم الاعياد هي مواسم الفرح، ويقبل الناس فيه على ما يوجب الابتهاج في الحياة الدنيوية، أكد الامام عليه السلام على عدم الاغـترار بـالدنيا، وابـتدأ بسـرد اوصاف الدنيا التي يغفل الناس عنها عادة وخاصة في ايام العيد، وهي:

١ ـ (الدنيا دار منى) والمُنى: الاختبار، يقال: منّاه الله بكذا، أي اختبره وامتحنه به، فان في هذه الدنيا تظهر حقيقة الانسان بالالتزام بدوره المسؤول في الحياة.

٢ ـ (لها الفناء) فليست الدنيا بخالدة، بل لابد لها من الفناء عاجلاً أم آجلا، فلا يبقى الاّ العمل الصالح الذي يحتفظ به التاريخ الصحيح الذي لا يرحم احداً.

٣ ـ (ولأهلها منها الجلاء) فكما ان الدنيا في نفسها ليست بخالدة فكذلك اهلها؛ فانه لن يخلد فيها أحد، فان كل شئ فيها من انسان وحيوان ونباتٍ وجماد يسير الى الفناء من حالة اخرى.

٤ ـ (وهي حلوة خضراء) وحلائها كناية عن الحياة فيها، والحلاء من مظاهر الطبيعة التي فيها وكنىٰ عنها بالخضرة.

---

(١) في ه. أ وب: اي قدّر. وفي ه. ب: سميت المنية؛ لانـّها مقدرة.
(٢) في ه. أ وب: الجلاء ـ بفتح الجيم ـ: الخروج عن الوطن.
(٣) في ب وط وهـ د: خضراء ـ ض.
(٤) في ب: قد عجلت، وفي الهامش: اي اسرع حصولها للطالب.
(٥) في ه. ب: اختلطت.
(٦) في ص : عنها.
(٧) في ه. ص: هوما أغنىٰ عن الطلب وصان عن السؤال.
(٨) في ه. ص: البلاغ والبلغة من العيش: ما يتبلّغ به إلىٰ الأجل. وفي ه. ب: البلاغ والبلغة: ما يتبلّغ به من العيش ويستكفىٰ.

٥ ـ (قد عجلت للطّالب) اي أنها حاضرة جاهزة لمن يطلبها، وليست بعيدة عن التناول.

٦ ـ (والتبست بقلب النّاظر) وفي نفس الوقت الذي تكون فيه الدنيا حاضرة على عجل، فهي ملتبسة، واللبس: الاشتباه بالغير، وفي الحقيقة فهي مستورة على حقيقتها الفانية.

وفي التذكير بهذه الاوصاف للدنيا اشار عليه السلام الىٰ الواجب علىٰ الانسان في هذه الدنيا، وهو ان يؤدي الانسان دوره المسؤول (بأحسن ما بحضرتكم من الزّاد) وهو العمل بالمسؤولية الانسانية للفرد في حياته الشخصية والأُسريّة والاجتماعية، ويترك الدنيا انساناً مسؤولا ادّى مسؤوليته بأمانة يخلدها التاريخ.

واشار الى ان ذلك لا يكون إلاّ بأمرين:

اولاً: الكفاف، وهو ما يكف الانسان عن السؤال بالكفاءة الذاتية للحوائج اليومية التي هي ضرورية لعيش الانسان، وان السؤال (فيها فوق الكفاف) سؤال لزيادة الهمّ على الهم، فمن كثرت امواله كثرت همومه في حراستها واستثمارها وخسرانها المؤدي الى العقد النفسية.

ثانياً: البلاغ، وهو ما يكفي من العيش ولا يفضل، وهذا مرتبة أُخرىٰ غير الاول، ففي الاول نوع من التقشف دون الثاني، فان ما يكفي في العيش امر نسبي بالنسبة الى الانسان حسب حاجاته الشخصية والاجتماعية، ويميزه عن غيره عدم الفضلة، فاذا زاد وفضل منه شئ لايكون بلاغاً، بل يكون ادخاراً.

[الخطبة ٤٦]

ومن كلام له عليه السلام

عند عزمه على المسير إلى الشام

عن تاريخ هذا الكلام روى نصر بن مزاحم المنقري في «وقعة صفين» عن عمرو بن شمر ، وعمر بن سعد ، ومحمّد بن عبد الله ، قال عمر : حدثنى رجل من الأنصار عن الحارث بن كعب الوالبى ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود ، قال : لما أراد عليّ الشخوص من النخيلة قام في الناس لخمس مضين من شوال يوم الأربعاء فقال : الحمد لله غير مفقود النعم (١) ولا مكافأ الإفضال ، وأشهد ألا إله إلّا الله ونحن على ذلكم من الشاهدين ، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله . أما بعد ذلكم، فإني قد بعثت مقدماتي ، وأمرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم أمرى ، فقد أردت أن أقطع هذه النطفة إلى شرذمة منكم موطنين بأكناف دجلة ، فأنهضهم معكم إلى أعداء الله ، إن شاء الله ، وقد أمرت على المصر عقبة بن عمرو الأنصاري ، ولم الكم ولا نفسي . فإياكم والتخلف والتربص ، فإني قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعي ، وأمرته ألا يترك متخلفا إلّا ألحقه بكم عاجلا إن شاء الله .

فقام إليه معقل بن قيس الرياحي فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لا يتخلف عنك إلّا ظنين ، ولا يتربص بك إلّا منافق . فأمر مالك بن حبيب أن يضرب أعناق المتخلفين .

قال عليّ : قد أمرته بأمري ، وليس مقصرا في أمري إن شاء الله .

وأراد قوم أن يتكلموا فدعا بدابته فجاءته ، فلما أراد أن يركب وضع رجله في الركاب وقال :«بسم الله». فلما جلس عليّ ظهرها قال : ﴿ سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ○ وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ . ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحيرة بعد اليقين ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد . اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، ولا يجمعهما غيرك ، لأن المستخلف لا يكون مستصحبا ، والمستصحب لا يكون مستخلفاً». (٢)

(١ / ط ـ ٤٦) دعاء السفر:

(١) في الأصل :«غير معقود النعم»، وصوابه في نهج البلاغة (١ : ٢٨٧) بشرح ابن أبي الحديد .
(٢) وقعة صفين؛ لابن مزاحم المنقري : ١٣١ ـ ١٣٣.

اللّهُمّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثاء السَّفَر[١]، وكَآبَةِ[٢] الْمُنْقَلَبِ[٣]، وسُوء الْمَنْظَرِ[٤] فِي السفر والأهْلِ والْمالِ[٥]. اللّهُمَّ أنْتَ الصّاحِبُ في السّفَر، وأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الأهْلِ، وَلاَ يَجْمَعُهُماَ غَيْرُك[٦] لأنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لايَكُونُ مُسْتَصْحَباً، وَالْمُسْتَصْحَبُ لايَكُونُ مُسْتَخْلَفاً.

قال السيد رحمه الله:[٧] **وابْتداء هذا الكلام مرويٌ عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وَقَد قَفَّاه أمير المؤمنينَ عليه السلام بأبلَغ كلامٍ، وتمَّمَهُ بأحسن تمامٍ، من قَوْله: «ولايَجْمَعُهُماَ غَيْرُك»، إلى آخرِ الفصل.**

السفر قطعة من السقر، كما في الخبر[٨]، ويشهد بذلك من اختبر ذلك في العصر الحاضر، فكيف فيما غبر! ولا ملجأ في الخلاص من تبعات السفر سوى الله سبحانه، بالتوجه اليه بالدعاء، وهكذا سنّ الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله بهذا الدعاء والتزم به اهل البيت عليهم السلام في حياتهم.

وتبعات السفر ثلاث: في السفر نفسه، وفي المسافر وفيما يخلفه. وقد تضمّن الدعاء الاشارة اليها بالاستعاذة عنها، وهي:

الاول ـ السفر في نفسه وعثاء، أي مشقة لما يجب الاعداد له من الزاد والراحلة والجواز والقافلة واعداد كل واحد منها يتطلب وقتا وجهداً ومالاً، يؤثر على المنهاج اليومي للانسان.

الثاني ـ المسافر الذي ينقلب من حالة الى أُخرىٰ في السفر، فهو في الحضر شبه واثق بسير الامور بصورة طبيعية، وقد اعتاد عليها في مجتمعه، ولكن في السفر لا يدري عن السفر والنتائج كيف تصير؟ وهذا الانقلاب في الحالة يوجب كئابة، أي حزنا لعدم العلم

(١) في هـ. ص: اي مشقته، وعث السائر: وقع في طريق دهس تغيب فيه الاقدام، هذا اصله، ثم نقل الىٰ المشقة مطلقا. وفي هـ. أ: الوعثاء: المشقة، وفي هـ. ب: الشدة. الوعثاء: الرمل اللّين في الاصل، ثم يكنىٰ بها عن الصعوبة؛ لان المشي في الرمل اللّين متعذر.

(٢) في هـ. ص وأ وب: الحزن.

(٣) في هـ. أ: المنقلب: مصدر انقلب، اي رجع، وفي هـ. ب: موضع الانقلاب.

(٤) في هـ. ص والف: اي قبح المرأىٰ، وفي هـ. ب: سوء المنظر من النظّارة وهم القوم ينظرون الىٰ الشيء.

(٥) في هـ. ص: زاد نصربن مزاحم: ومن الحيرة بعد اليقين، وفي ط ود وهـ. ب زيادة: والولد.

(٦) في هـ. ص مايلي: وذلك لان غير الباريء سبحانه جسم أو عرض، ومحال كون الجسم الواحد أو العرض الواحد في محلّين في وقت واحد، فاما الباريء سبحانه فليس بذي محل، فانفرد بجمع هذين الحكمين.

(٧) لم ترد «قال السيّد رحمه الله» في ب ود، وفي أ: قال السيد.

(٨) جامع الأحاديث، صرف الحاء.

بالنتائج.

الثالث ـ ما يخلّفه المسافر وراءه من الاهل والمال والولد؛ فان ذلك في الحضر يكون باشراف مباشر منه دون السفر، واهم ذلك ثلاثة يوجب النظر اليهم في حال السفر قـلقاً نفسياً لجهالة الحالة بعده، وهي:

١ ـ الاهل، فالمرجع في حل الامور العائلية مادام الرجل حاضراً يكون بالتعاون مع اهله، ولكن في حاله غيابه فانه لا يمكن ان يكون كنفسه مهما قرب ذلك الغير حسباً و نسباً.

٢ ـ المال، الذي هو أُمّ الفساد، فمن يغب عن ادارة ماله بنفسه يقع تحت رحمة من لا يعرف قدره ممّن سعى في تحصيله بكّد اليمين وعرق الجبين، فيتصرف كما يهواه، لا كما يريد صاحبه.

٣ ـ الولد، فمن يكون كالاب يحسن على مستقبل ولده من بعده، فليس لهؤلاء احداً أبداً سوى الله.

الصاحب الخليفة:

وكما ان المسافر يفتقر الى من يخلفه في الاهل والمال والولد كذلك يفتقر الى مـن يصحبه في السفر، وليس هناك من يجمع بينهما من الصحبة في السفر وصفة الخلافة في الاهل والمال والولد سوى الله سبحانه، وبالاعتماد عليه يسـير الانسـان واثـقا بـعناية الرحمن الذي هو معه في كل زمان ومكان.

زيادة تفسيرية:

وحيث ان الدعاء النبوي لم يشرح الجمع بين الصفتين: الصحبة في السفر والخلافة في الاهل، فقد تكفّل الامامعليه السلام شرحها بقوله: (لا يجمعها غيرك) فالله سبحانه هو الذي يكون في السفر وفي الحضر في آن واحد؛ لانه في كـل مكـان لتـنزّهه عـن الجسـمية (لان المستخلف) المادي (لا يكون مستصحباً) فـي السـفر، والله سـبحانه هـو الذي يكـون مستخلفاً ومستصحباً في آن واحدٍ في المكانين: السفر والحضر.

وراجع المادة في المعجم وروايات الاصل والزيادة في المسند، والمقارنة بين رواية الرضي والمنقري يكشف عن أنّ كتاب صفين كان من مصادر الرضي وان لم يذكر ذلك بصراحة.

[الخطبة ٤٧]

ومن كلام له عليه السلام

في مستقبل الكوفة

(ـ١ـ / ط ـ ٤٧) في ذكر الكوفة:

كَأَنِّي بِكِ[١] يا كُوفَةُ تمدّينَ مَدَّ الأديمِ الْعُكَاظِيّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ[٢]، وتُرْكَبِينَ بِالزَّلازِلِ[٣]، وإنّي لأعْلَمُ أَنَّهُ ما أَرادَ بِكِ جَبّارٌ سُوءاً إلاّ ابْتَلاهُ اللهُ بِشاغِلٍ، ورَماهُ[٤] بِقاتِلٍ.

العاصمة الجديدة:

طبيعي ان يصدر هذا الكلام بعد أن اتخذ الامام عليه السلام الكوفة عاصمة لدولته الاسلامية العلوية، وشأنه عليه السلام شأن أي قائد: ان يتنبّأ بمستقبل شعبه ووطنه، وتنبأ الامام في هذا الكلام في خصوص مستقبل العاصمة الجديدة في نفسها وفي حصانتها المعنوية، وذلك في نقاط:

١ ـ التوسعة العمرانية (كأنّي بك يا كوفة تمدّين) فان امتدادها ليس بسبب وجود المنابع الطبيعية كالفرات فحسب، فان هذه المنابع كانت موجودة من قبل ان يتخذها الامام عليه السلام عاصمة له، ولم توجب التوسعة العمرانية في كل منطقة تمر بها الفرات من شمال العراق الى جنوبه. فالتوسعة العمرانية المتنبأ به انما هو بسبب كونها عاصمة روحية وسياسية للحكومة الاسلامية المتمثلة في الامام علي عليه السلام.

٢ ـ ان التوسعة العمرانية لها وحدة وتعددية في نفس الوقت، فانها (مدّ الاديم العكاظيّ) والاديم هو الجلد الذي تمّ دباغته والعكاظي: نسبة الى عكاظ، السوق المعروفة للعرب في الجاهلية في مكة المكرمة، كانت تقام في كل سنة لمدة شهر واحد، يجتمع فيه الجمهور، ومنهم من ينشد فيها الاشعار، ومنهم من يتسوّق لحاجاته، وطبيعي

---

(١) في هـ . ب: كأنّي عالم باحوالك. وفي هامش آخر: ذكر عليه السلام أوّلاً ما يجري بعده على الكوفة – أي اهل الكوفة ـ وليس ذلك بعلم الغيب، وانما كان النبي صلى الله عليه وآله اخبره بذلك، يقول: ان المحن تنزل كثيراً بالكوفة، ويعترك اهلها عرك الاديم المنسوب الى عكاظ، وهواسم سوق للعرب بناحية مكة، كانوا يجتمعون فيها في كل سنة فيقيمون شهراً ويتبايعون، فبالاسلام هدم ذلك. وورد في هـ . أ مثل هذه العبارة بزيادة: واكثر ما كان يباع بها الأديم.

(٢) في هـ . ب: النوازل: جمع نازلة، وهي الحوادث.

(٣) في هـ . أ: اي الأمور المزعجة.

(٤) في ط ود: أو رماه.

ان تعرض في مثل هذا السوق احسن الصنائع التي يغلب عليها الطلب بقانون العرض والطلب، ومنها ـ ان لم يكن اهمها ـ: ما يفتقر اليه من الفرش، وكان الأديم هو الفرش الطبيعي المفضّل حسب أنواعه، لكونه مدبوغاً وصالحاً للاستعمال، وطبيعي أيضاً ان يكون لكل اديم خاصية من النوعية والحجم واللون وما شابه، وكانت تعرض في السوق على الارض، وتشكل وحدة نوعية مع تعدد بينها في نفسها، وهكذا الشأن في المدن الكبرى المتكونة من الاحياء المختلفة، ولكل حي خصائصة الاقتصادية والبشرية وما شابه، وفي نفس الوقت تشكل وحدة اقليمية تميّزها عن سائر الاقاليم.

٣ ـ زيادة التجربة: نتيجة لهذا الامتداد العمرانى الذي يستلزم عادة شدائد معها، فالكوفة كعاصمة جديدة (تعركين بالنّوازل) عرك الاديم: دلكه حتى يكون صالحا للاستعمال، والنوازل: الشدائد؛ فان الامتداد العمراني يكون نتيجة للهجرة من مختلف الامكان اليها، ونتيجة ذلك التعارف وتبادل التجارب بين القبائل المختلفة.

٤ ـ التغلّب على المشاكل الناشئة من الهجرة (وتركبين بالزلازل) والزلزال: رجفة الارض الطبيعية، وكنىٰ بها عن الخوف الناشئ من مشاكل الهجرة التي لا يخلو منها حياة أي انسان مهاجر في أي زمان ومكان، حيث يتعوّد الانسان على الحياة الحديثة بمرور الزمان، ويتكيف بما يؤمن له السلامة، وبالاضافة، أي هذه التنبّؤات أشار ﷺ إلىٰ حقيقة الطامعين للسيطرة على الكوفة، وقد عبر عنهم بقوله: (جبّار) أي متفرعن يقصد عاصمة اسلامية اسست على نظام عادل متكافل، ويريد بها سوءاً، وذكر ان هذا المهاجم سوف يلاقي امرين، هما:

اولاً ـ (ابتلاه الله بشاغل) والشاغل: هو التخطيط بالدسائس حيث لايكون العاصمة المتكافلة شعبا وحكومة لقمة سائغة للمعتدي كالعواصم التي تفقد الحكومات التي لاتساندها الشعوب، وتحكم بالحديد والنار، وبالنتيجة في ايام المحنة لا تساندها الشعوب.

ثانياً ـ (رماه بقاتل) فان الاعتداء يولد الاعتداء، والقاتل لابد له من قاتل، على النقيض تماماً من العدل الذي يولد العدل والثقة، التي تولد الثقة.

وعلى كل هذه النقاط شواهد من التاريخ يجب الاعتبار بها، وما أكثر العبر واقل الاعتبار!

[الخطبة ٤٨]

ومن خطبة له عليه السلام
عند المسير الى الشام

قال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة»، عن تاريخ الخطبة :« وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام وهو بالنخيلة خارجا من الكوفة ومتوجها إلى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين ، ذكرها جماعة من أصحاب السير ، وزادوا فيها : وقد أمرت على المصر عقبة بن عمرو الانصاري ، ولم آلكم(١) ولا نفسي ، فإياكم والتخلف والتربص ، فإني قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعي ، وأمرته ألا يترك متخلفا إلّا ألحقه بكم عاجلا ، ان شاء الله ».

وروى نصر بن مزاحم عوض قوله : « فأنهضهم معكم إلى عدوكم»: «فأنهضهم معكم إلى عدو الله» .

قال نصر : فقام إليه معقل بن قيس الرياحي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما يتخلف عنك إلّا ظنين ، ولا يتربص بك إلّا منافق ، فمر مالك بن حبيب فليضرب أعناق المتخلفين . فقال : قد أمرته بأمرى ، وليس بمقصر إن شاء الله ».(٢)

(١/ط - ٤٨) **الهدف الاسلامي:**

الْحَمْدُ لله كُلَّماَ وَقَبَ(٣) لَيلٌ وغَسَقَ(٤)، والْحَمْدُ لله كُلَّماَ لاحَ نَجْمٌ وخَفَقَ(٥)، والْحَمْدُلله غَيْرَ مَفْقُودِ الإنْعاَمِ، وَلامُكاَفَإ(٦) الإفْضاَلَ.

اشار الامام في هذا المقطع الى الهدف الاسلامي في هذه الحرب، وهو اعلاء كلمة الله سبحانه، فاستفتح الخطبة بسلسلة من الحمد في الحالات المختلفة التي تعم الكون كله، فالموجودات كلها مؤتمرة بأمره تعالى، وكذلك الانسان الذي هو أحد الموجودات يجب ان يكون مؤتمراً بأوامره سبحانه.

---

(١) يقال : ما يألو الشئ ، أي ما يتركه.،
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٣ : ٢٠١ ـ ٢٠٢ .
(٣) في ه. ص: اي دخل علىٰ الناس وفي ه. ب: دخل.
(٤) في ه. ص: اي اظلم واسودّ، وفي ه. ب: أظلم.
(٥) في ه. ص: مال الىٰ الغروب، وفي ه. ب: افل وغرب.
(٦) فى هامش ب: لا يجازى فضله، والافضال: الانعام.

١ ـ (الحمد لله كلّما وقب ليل وغسق) وقب أي دخل، وغسق أي اظلم، فالحالتان متناقضتان، ولا يخلو حياة الانسان من الدخول في الظلام وشدته في بعض الأحيان، والحالتان تستوجبان الحمد لله، لما فيها من العبر.

٢ ـ (والحمد لله كلما لاح نجم وخفق) والحالة الطبيعية للنجوم ظهورها ثم خفقها فهما حالتان متعاقبتان، ولا يخلوا حياة الانسان منها سواءً في جسمه أو مركزه الاجتماعي، فلكل الانسان صعود وهبوط، ولا اقل في قواه الجسمية وان لم ينته اليه، والحالتان ايضاً تستوجبان الحمد لله لما فيهما من العبر.

٣ ـ والسبب الاخير للحمد هو الرحمة الالٰهية المطلقة التي تعم الكون، من دون ان يكون فيها رحمة مضاهية، فان الرحمة بالمقياس المادي من الانسان ـ مثلا ـ لاتضاهيها ابداً؛ لان الرحمة الالٰهية لها صفتان اساسيتان، هما:

اولاً: (غير مفقود الإنعام) فالانعام من الله مستمر بدون انقطاع على الخلق اجمعين.

ثانياً: (ولا مكافأ الافضال) وليس في مقدور أي انسان ان يكافيء الافضال منه سبحانه، لنعمه التي لا تحصىٰ، وأقلها نعمة العقل والحرية الفكرية.

(٢ / ط ـ ٤٨) الاستعداد للزحف:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي، وأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذاَ الْمِلْطَاطِ(١)، حَتّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ(٢) هَذِهِ النُّطْفَةَ إلى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ، مُوَطِّنِينَ(٣) أكْنَافَ(٤) دَجْلَةَ، فَأُنْهِضَهَمْ مَعَكُمْ إلى عَدُوِّكُمْ، وأَجْعَلَهُمْ مِنْ أمْدَادِ القُوَّةِ.

قال الرضى رحمه الله(٥): يعنِي عليه السلام بِالْمِلْطاط ـ هاهنا ـ السَّمْتَ الذِي أَمَرَهم بلزومه،

---

(١) في ه. ص: في الصحاح: الملطاط: حافة الوادي وشفيره وساحل البحر، قال رؤبة: نحن جمعنا الناس بالملطاط، قال الاصمعي: يعني ساحل البحر، وقول ابن مسعود: هذا الملطاط طريق بقية المؤمنين هرّاباً من الدجال، يعني شاطيء الفرات.

(٢) في ه. ب: اقطع، يجوز ان يكون من الإقطاع.

(٣) في هـ. ص: اي متخذين لها اوطاناً، و في هـ. ب: اي متخذين حوالي هذا النهر وطناً يقال: أوطنت البلاد و وطّنتها و استوطنتها، اي اتخذتها وطناً ـ و في هـ. أ: من الإيطان: اي جعلوا أكنافها وطناً.

(٤) في ه. ص: جمع كنف، وهو: الجانب، وفي ه. أ: والاكناف: الجوانب، واحدها: كنف، وهذه الخطبة خطب بها خارج الكوفة بالنخيلة، لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين، ومرّ بمدائن كسرىٰ فسمع رجلاً من أصحابه يتمثل بقول اسود بن يعفر:

جرت الرياح علىٰ محل ديارهم فكأنهم كانوا علىٰ ميعاد

فقال له عليه السلام: هلا قلت: ﴿كم تركوا من جنّات وعيون وزروع ومقام كريم﴾... الآيات.

(٥) في أ: قال السيد، ولم ترد العبارة في ب ود.

وهو شاَطِيء الفُرَات، ويقال ذَلكَ أيْضاً لِشَاطِيء البحر، وأصْله: ما اسْـتَوَى مِـنَ الأرض. ويعني بالنُّطْفَة: ماَء الفُرَات، وهو من غريب العِباراتِ وعجيبها.

قال الجلالي: وبعد أن أشار عليه السلام الى الهدف من الزحف، وهو امتثال الامر الالٰهي، أشار في هذا المقطع الى استعداده للزحف، وأعلنها على الشعب عامة (فقد بعثت مقدمتي) لانه جيش عقائدى شعبي، مع الاحتفاظ بالتفاصيل خشية تسرّ بها الى الاعداء (حتى يأتيهم أمري) وهذان الامران اساسيان في أي نجاح عسكري يعتمد على الشعبيّة فـيجب. أن يكونوا على بصيرة من الامر بالاجمال من دون اعـلان للـتفاصيل التـي تـهم القـيادة العسكرية خاصة، والمستفاد من هذا المقطع دور طائفتين، هما:

اولاً: مقدمة الجيش، ودورهم (لزوم هذا الملطاط) أي السمت والجهة التي منها يكون مواجهة العدوّ.

ثانياً: الحماية من قبل جماعة قليلة (شرذمة) مسؤوليتهم البقاء في مراكز حسـاسة يحتسب هجوم العدوّ منها (موطّنين أكناف دجلة).

والمراد من (النطفة) نهر الفرات، وبعد المسافة بين الدجلة والفرات معروف، وجـعل الحماية في الدجلة يدل على تحسّب ان يهجم العدوّ من الخلف، والهدف هو الامداد.

ولو كنا نعلم المواقع الجغرافية بالضبط لأمكن استنتاج امورا اُخرىٰ، وعسى ان يقيّض الله من يقوم لذلك ممّن له القدرة والكفاءة.

[الخطبة ٤٩]

ومن خطبة له عليه السلام

في بيان العلم الالهي

الْحَمْدُ لله الّذِي بَطَنَ(١) خَفِيّاتِ الأُمُور(٢)، ودَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلاَمُ الظُّـهُور(٣)، وامْـتَنَعَ عَلَى عَيْنِ البَصِيرِ(٤)، فَلاعَيْنُ(٥) مَنْ لَمْيَرَهُ تُنْكِرُه(٦)، وَلاقَلْبُ(٧) مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُه.

سَبَقَ فِي العُلُو فَلا شَيءَ أَعْلَى مِنْهُ، وقَرُبَ فِي الدُّنُوفَلاشَيءَ أَقْرَبُ مِنْهُ، فَلا اسْتِعْلاَؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيءٍ مِنْ خَلْقِه، وَلا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكاَنِ بِهِ.(٨)

لم يُطْلِعِ العُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِه(٩)، ولم يَحْجُبْهاَ عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَـهُوالّـذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الُوجُود، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحود(١٠)، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُهُ المُشَبّهُونَ بِهِ والجاَحِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيراً.

ويتضمن هذا الكلام بعض الصفات الالهية المشروحة بتفصيل في علم الكلام، المعبر عنه بالعلم الالٰهي أو الالٰهيات، وهي:

١ ـ ان الله تعالى في حقيقته اخفى من كل الأُمور الحقيقية الشخصية عن الحـواس

(١) في هامش ب: في نسخة: فطن، وفي هـ د: فطن ـ ن وك، وفي هـ. أ: بطن الأمر: اي عـرف باطنه.

(٢) في هامش ب: معناها: ان جميع الحمد ثابت لله الذي يعلم كل أمر مستور، ويدل علىٰ كونه: افعاله الظاهرة التي هي دالة عليه، وليس هوبمشاهد.

(٣) في هـ. أ: الأعلام جمع علم، وهوالمنار يهتدى بـه. واعـلام الظـهور: أي الادلّـة الظـاهرة الواضحة، وأعلام الوجود: أي الادلة الموجودة.

(٤) في هامش ب: وكذلك لاتدركه عين البصير، إلاّ أنّه مع ذلك لايمكن ان ينكره في كل حال من لميره، ولايمكن لمن أثبته بالدلائل ان يحيط به علماً.

(٥) في هـ د: ولاعين ـ ك، وفي هـ. ص: في نسخة: قلب.

(٦) في هـ. أ: أي: أنّه سبحانه ليس يبيّن بالغير، ومع ذلك فلايمكن لمن لميره بـعينه أن يـنكره؛ لدلالة كل شيء عليه.

(٧) في هـ. ص: في نسخة: عين.

(٨) في هامش ب: اي فلاعلوّه ابعده عن الخلق، ولاقربه منهم جعله مساويا لهم في الاحـتياج الىٰ المكان.

(٩) في هامش ب: ان العقول لاتطلع علىٰ معرفة الله الواجبة فـان وجـوده وعـظمته لايـحدّان بمعنىٰ لايوصف تعالىٰ بعقل إلاّ وكان اعظم.

(١٠) في هـ. أ: اعلام الوجود، اي الأدلة الموجودة، وفي هامش ب: تمسك اصحاب المعارف كالجاحظ بقوله: «فهوالذي تشهد له اعلام الوجود علىٰ اقرار قلب ذي الحجود».

كالعقل والكهرباء.

٢ ـ دلت على وجود الله سبحانه (أعلام الظهور) والاعلام: الأدلة، والظهور صفه لها، أي الادلة الظاهرة الحسية، فيدل المعلول على العلة كما يدل الضوء في المصباح على وجود الكهرباء في الاسلاك.

٣ ـ (امتنع على عين البصير) التي هي من الحواس الخمس الظاهرة؛ لان الحواس انما تحسّ الاجسام دون المجردات، من المادة والماديات، فالبصير لا يدرك بالناظرة العقل، بل بآثاره من التصرفات المعقولة.

٤ ـ ونتيجة ذلك ان (عين من لم يره) بالباصرة لا يمكن ان (تنكره) لان دائرة الانكار والاثبات للباصرة هي المحسوسات دون المجردات، فلا تنكره، من السالبة بانتفاء الموضوع.

٥ ـ (ولا قلب من أثبته يبصره) على حقيقته؛ لان قلب الانسان المادى محدود بالجسم الانساني المادي، فلا يمكنه معرفة حقائق غير الماديات معرفة حقيقية.

٦ ـ (سبق في العلوّ) زمانا؛ لانه كان قبل كلّ شئ (فلا شيء أعلى منه) مطلقا، ويستلزم ذلك أن لا يكون (شيء أعلا منه) لا زماناً ولامكانا، لانه متنزّه عن الجسمية.

٧ ـ ونتيجة التنزّه عن الجسمية انه تعالى (قرب في الدّنوّ فلا شيء أقرب منه) لتجرده تعالى.

٨ ـ ولازم ذلك ان الاستعلاء ليس مبعداً، ولا القرب مساويا للخلق في المكان، بل هو ـ بقدرته الغالبة ـ في كل زمان ومكان.

٩ ـ والله سبحانه حجب عن العقول (تحديد صفته) على الحقيقة؛ فان ذلك لا ينفعها في دينها أو دنياها، فهي قاصرة عن المعرفة الحقيقية لذاته تعالى.

١٠ ـ والله سبحانه لم يحجب عن العقول (عن واجب معرفته) تعالى، وهذه المعرفة الاجمالية كافية.

فهذه النقاط العشر لصفات الله سبحانه تكفي في الايمان به تعالى، وانه تعالى هو (الذي تشهد له أعلام الوجود) أي ادلة الموجودات؛ فان وجودها تدل على موجد لها دلالة المعلول على العلة، وتلك الادلة تستلزم (اقرار قلب ذي الجحود) الذي لا يؤمن إلّا بالماديات؛ فان الماديات تدل على وجود موجد لها، لا يشبهها في الجسم أو المادة أو الصفات؛ فان عبدة الاصنام يشبهونها بالله من حيث الجسم أو الصفات، والجاحدون المنكرون لوجود الله ينكرون الاستدلال من المعلول الى العلة، و(تعالى الله عمّا يقوله المشبّهون به) من المشركين وعبدة الاوثان (والجاحدون له) من المنكرين (علوّا كبيراً)

لانه تعالى منزّه عن الجسمية، وآثار الخلق تدل عليه كما هو مشروح في علم الكلام.

[الخطبة ٥٠]

ومن خطبة له عليه السلام

في بيان أسباب الفتنة

إنّما بَدْء وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ، ويَتَوَلّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً[١] عَلَى غَيْرِ دِينَ اللهِ[٢]،

(١/ط - ٥٠) **علامات الفتنة:**

يشير الامام في هذا الكلام الىٰ اسباب الفتنة، وهي:

اولاً: الهوى، فتكون القرارات ارتجالية (أهواء تتّبع) يتابع فيها الانسان هوى نفسه، أو هوى عشيرته أو أصحابه وماشابه، من دون دراسة وتحليل للنتائج التي تترتب على تلك الاهواء، فلابد وان ينجر اتباع الهوىٰ الى الفتنة.

ثانياً: البدعة المخالفة لكتاب الله، فليس الشيئ المبدع الجديد مرفوضا اذا وافق كتاب الله، ولكن الحكم المبتدع الذي يخالف القانون ـ وهو في المنبع الاسلامي: كتاب الله سبحانه ـ يؤدي الى الفتنة؛ لان المفروض غياب حكم القانون وحلول الفوضى.

ثالثاً: تولّي الاشخاص دون المبادئ، باعتبارهم الغاية، لا باعتبارهم رموز لتطبيق المبادئ؛ فان تولّي الرجال الذين هم (على غير دين الله) والتعصّب لهم من دون رعاية للمبادئ، لابد وان يؤدي الى الفتنة.

فهذه الأسباب الثلاثة علامات تقتضي تعقب الفتنة على اثرها.

(٢/ط - ٥٠) **حقيقة الفتنة:**

فَلَو أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مزَاجِ الْحَقِّ لميَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ[٣]، وَلَوأَنّ الْحَقَّ خَلَصَ مِن لبس الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلٰكِنْ يُؤخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ[٤]، ومِنْ هٰذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، ويَنْجُوالّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ

---

(١) في هامش ب: ويتولىٰ عليها رجال رجالاً، اي يتبع قوم قوماً علىٰ تربية البدع في الشريعة علىٰ خلاف الكتاب والسنة ويولي بعض الرجال بعضاً علىٰ اثبات تلك الفتن.

(٢) في هـ. أ: يقول عليه السلام: المذاهب الباطلة والاراء الفاسدة التي يفتتن الناس بها اصله اتباع الأهواء وابتداع الاحكام التي لم تعرف، ومستند وقوع هذه الشبهات امتزاج الحق بالباطل.

(٣) في هـ. أ: المرتاد: الطالب وفي هامش ب: من الارتياد وهوالطلب، اي طالب.

(٤) في هـ. أ: اي قبضة من الحشيش.

الْحُسْنَى.

وفي هذا المقطع الاشارة، أي حقيقة الفتنة، وهي مزج الحق بالباطل، وقد عبّر الامام عن ذلك بالمزج دون الخلط، لان الخلط يمكن التفريق فيه بين ما اختلط، كما هو الحال في الجمادات عادة، دون المزج؛ فانه لا يمكن ذلك، كما في المائعات أو ما دقّ جسمه كالدقيق الجيد بالرديء، ففي مثل هذه الحالة لا يمكن للانسان العادي التمييز بين الحق والباطل، كما في رفع الشعائر الاسلامية لما هو محرّم شرعا كالخمر والربا والزنا، فان هذه المحرمات معروفة لكل مسلم، ويتجنّب عنها كل مؤمن، والحق الخالص لا لبس فيه، كعصير الفواكه والتجارة والنكاح، فليس في ذلك كلام للمعاندين، واذا مزج مفهوم احداهما بالاخرىٰ بأن اخذ من احداهما (ضغث) أي البعض، ومن الآخر كذلك وامتزجا اصبحت الفتنة والامتحان، كما لو مزج الخمر بعصير الفواكه، ومزج مفهوم الربا بالمعاملة المشروعة بعنوان القرض الاسلامي، وما شابه، فهذه هي حقيقة الفتنة.

والنجاة من الفتنة:

وختم الكلام بان النجاة من الفتنة لا تكون إلّا بالرجوع الى الله سبحانه، وذلك بمخالفة الهوى ومخالفة الحكم المخالف لكتاب الله، وعدم تولّي الرجال، بل الالتزام بالمبادئ، فان هذه النقاط الثلاث المتقدمة هي التي تحدد طريق النجاة، فمن اهملها واتبع الهوى وخالف كتاب الله أو اتبع الرجال فقط كان من أولياء الشيطان، وحين الفتنة (يستولي الشيطان على أوليائه) ومن التزم بها وخالف الهوى ووافق القانون الاسلامي أي القرآن الكريم، ولم يتول الرجال بل التزم بالمبادئ، كان من (الذين سبقت لهم من الله الحسنى) وطبيعيّ انّ من يلتزم بالمبادئ الاسلامية قبل الفتنة ان تكون له النجاة عند الفتنة، والله العاصم.

[الخطبة ٥١]

ومن كلام له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات[(١)] بصفين ومنعوهم من[(٢)] الماء

عن خلفية الخطبة قال نصر: حدثنا عمر بن سعد، عن يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الاحمر، قال: لما قدمنا على معاوية وأهل الشام بصفين، وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستوياً بساطاً واسعاً، وأخذوا الشريعة فهى في أيديهم، وقد صف عليها أبو الأعور الخيل والرجالة، وقدم الرامية ومعهم أصحاب الرماح والدرق، وعلى رؤوسهم البيض، وقد أجمعوا أن يمنعونا الماء، ففزعنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرناه بذلك، فدعا صعصعة بن صوحان فقال: ائت معاوية وقل له: إنا سرنا إليك مسيرنا هذا وأنا كره لقتالكم قبل الاعذار إليكم، وإنك قدمت خيلك، فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، وبدأتنا بالحرب، ونحن ممن رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها، قد حلتم بين الناس وبين الماء، فخل بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم له، وإن كان أحب إليك، أن ندع ما جئنا له، وندع الناس يقتتلون حتى يكون الغالب هو الشارب، فعلنا.

فلما مضى صعصعة برسالته إلى معاوية، قال معاوية لاصحابه: ما ترون؟

فقال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان، حصروه أربعين يوماً يمنعونه برد الماء ولين الطعام، اقتلهم عطشاً، قتلهم الله!

وقال عمرو بن العاص: خل بين القوم وبين الماء، فإنهم لن يعطشوا وأنت ريان، ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم. فأعاد الوليد مقالته.

وقال عبد الله بن سعيد بن أبي سرح – وكان أخا عثمان من الرضاعة –: امنعهم الماء إلى الليل، فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا، وكان رجوعهم هزيمتهم، امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة!

فقال صعصعة بن صوحان: إنما يمنعه الله يوم القيامة الفجرة الكفرة، شربة الخمر، ضربك وضرب هذا الفاسق – يعني الوليد بن عقبة. فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهددونه.

---

(١) فى هامش الاصل: هي الموضع الذي يغترف منه. وفي هامش ب: مورد الشارعة، ومشرعة الماء.

(٢) لم ترد «من» في أ.

فقال معاوية : كفوا عن الرجل ، فإنما هو رسول .

قال عبد الله بن عوف بن أحمر : إن صعصعة لما رجع إلينا حدثنا بما قال معاوية ، وما كان منه وما رده عليه ، قلنا : وما الذى رده عليك معاوية ؟ قال : لما أردت الانصراف من عنده ، قلت : ما ترد عليّ ؟

قال : سيأتيكم رأيي ، قال : فو الله ما راعنا إلّا تسوية الرجال والصفوف والخيل ، فأرسل إلى أبي الاعور : امنعهم الماء ، فازدلفنا والله إليهم ، فارتمينا واطعنا بالرماح ، واضطربنا بالسيوف ، فطال ذلك بيننا وبينهم حتى صار الماء في أيدينا ، فقلنا : لا والله لا نسقيهم . فأرسل إلينا علي عليه السلام أن خذوا من الماء حاجتكم ، وارجعوا إلى معسكركم ، وخلوا بينهم وبين الماء فإن الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم ».(١)

(١/ط - ٥١) **ضرورة الحرب:**

قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ(٢) الْقِتَالَ، فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ(٣) أورَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاء تَرْوَوْا مِنَ الْمَاء، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ.

ألاَ وإنَّ مُعَاوِيةَ قَادَ لُمَّةً(٤) مَنَ الغُوَاةِ، وَغَمَّسَ(٥) عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ المَنِيّةِ.

وكان المنع عن الماء هو سبب بدء الحرب باستلاب المادة الضرورية في الحياة،

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٣ : ٣١٧ ـ ٣١٩ .

(٢) في هـ . ص: قوله: «استطعموكم» كلمة مجازية، معناها: طلبوا القتال، وأصلها طلب الطعم، ثم استعملت في مطلق الطلب، وفي الحديث: اذا استطعمكم الامام فاطعموه، ثم توسع فيها حتىٰ استعملت في الطلب الحكمي.

وفي هـ . أ: استطعموكم القتال كلمة مجازية، وفي الحديث: اذا استطعمكم الامام فاطعموه، يعني امام الصلاة اذا ارتجّ عليه واستعلم، فافتحوا عليه، ويقال: فلان يستطعمني الحديث، أي يطلب أن احدثه.

وفي هامش ب، بعد عبارات لا تقرأ: معاوية طلبوا ان تطعموهم القتال، وجعلوا المقاتلة طعمة لهم. وقيل: معناه: استفتح اهل الشام مقاتلتكم: اي ابتدأوا بقتالكم فقاتلوهم.

(٣) في هـ . أ: المحلة المرتبة والمنزلة.

(٤) في هـ . ص: بالتخفيف: اي جماعة. وفى هـ . أ: اللمة بالتخفيف ـ جماعة قليلة، وفي هامش ب: جماعة ما بين الثلاثة الىٰ العشرة...

(٥) في د: غمس. وفي هـ . ص: بالتخفيف والتشديد، اي لبسه عليهم حتىٰ أشكل واظلم. ليل غماس، اي مظلم، وفي هـ . أ: وغمس بالتشديد، معناه: ابهم عليهم الخبر، جعله مظلماً، وليل غماس اي مظلم، وفي هامش ب: ليس عليهم وجعله مظلماً يقال: أمر غموس اي مظلم، ويقال: جاء بأُمور مغمسات، اي مظلمة، ولولا تلبيس معاوية على أصحابه لما قتلوا انفسهم دونه.

والمنع منها، فهو اذاً مناوشة صريحة داعية إلى الحرب، وقد عبّر الامام عنه بقوله: (قد استطعموكم القتال) مفيدا تحقق ذلك في المستقبل القريب، وكان ردّ الفعل لهذا الاعتداء أحد خيارات ثلاث:

اولاً:الاستسلام (فأقرّوا على مذلّة) بان عدم الردع يعني الاقرار بنصر العدوّ في بداية المعركة.

ثانياً: عدم الرد السريع (وتأخير محلّة) وذلك يستلزم اشتداد الحاجة الى الماء كلما تأخّر الردّ.

ثالثاً: الرد السريع الحازم وهو (رووا السيوف من الدّماء) فان هذا الردّ السريع الحازم هو الذي يؤمّن خذلان العدو في انتصاره وقوة الجيش في ارادته والحصول على ذخيرته من الماء (ترووا من الماء).

وذكر السبب في هذا الخيار الثالث بأنّ الموقف هو بين الحياة في ذل وقهر، وهو الموت الروحي، أو النصر العاجل وان استلزم الموت؛ فانه حياة للمبادئ التي يسير عليها الجيش الاسلامي.

ثم أشار الى أن اسلوب العدوّ يناقض اسلوب الامام تماماً، فانّ السياسة الاسلامية في الحرب أنّ الغاية لا تبرّر الواسطة، فلا يمكن المنع عن الماء الذي هو حق طبيعي لكل انسان، فان حرمان الناس من التنفس أو غيره من الماء قتل جماعيّ، وليست حرباً مشروعة. فان عليا قاد شعبا يسير على مبادئ الاسلام الواضحة في الحرب، وعلى النقيض كان معاوية، فانه كان يقود للحرب (لمة) أي الجماعة القليلة بالنسبة الى الشعب المسلم عامة، وهم من (الغواة) وهم اهل الضلالة، بالأماني الكاذبة، (وعمش) أي ستر (عليهم الخبر) الصادق في هذه الحرب، ونتيجة للدعايات الكاذبة (جعلوا نحورهم أغراض المنيّة) حيث ان الموت كان يستهدفهم غرضا من دون علم بالحقائق، فالقاسم المشترك الاعظم بين الجانبين هو الالتزام بالمبادئ الاسلامية في الحرب، والغائها من جانب معاوية لا يستلزم الغائها من جانب عليّ ما امكن، باعتباره قائد الحرب الاسلامية المشروعة.

[الخطبة ٥٢]

ومن خطبة له عليه السلام

[وقد تقدّم مختارها برواية(١) ونذكر ما ها هنا برواية أُخرى؛ لتغاير الروايتين](٢)

(١/ ط ـ ٥٢) **صفات الدنيا:**

أَلاَ وإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ(٣)، وآذَنَتْ(٤) بـانْقِضَاء، وتَـنَكَّرَ(٥) مَـعْرُوفُهَا، وأَدْبَـرَتْ حَذَّاء(٦)، فَهِيَ تَحْفِزُ(٧) بِالْفَنَاء سُكَّانَها، وتَحْدُوبِالْمَوْتِ جِيرَانَها(٨)، وقَدْ أَمَرَّ(٩) منها(١٠) ماكَانَ حُلْواً، وكَدِرَ(١١) مِنهَا ماكَانَ صَفْواً، فَلم يَبْقَ مِنْهاَ إلاّ سَمَلَةٌ(١٢) كَسَمَلَةِ الإدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ(١٣) كَجُرْعَةِ المَقْلَةِ(١٤)، لَوتَمَزَّزَها(١٥) الصَّدْيَانُ(١٦) لم يَنْقَعْ(١٧).

وسرد الامام عليه السلام في هذا المقطع صفات الدنيا في عصره، بل هي الصفات الغالبة لها:

١ ـ (قد تصرّمت) والتصرّم: الفناء، فان من طبيعة الدنيا انها تفنىٰ آناً بعد آنٍ، وصدق

---

(١) تقدم مختارها برواية في الخطبة رقم [٢٨].

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في أ

(٣) في هـ. ص وب: اي انقطعت.

(٤) في هـ. ص و أ: اي اعلمت، وفي ب: آذنت الدنيا بانقضاء: اي أعلمت بأنها تفنىٰ.

(٥) في هـ. ص: صار منكوراً لايعرف. وفي هامش ب: تغيّر.

(٦) في هامش ب: في نسخة: جذّاء، وحذاء: سريعة، وفى هـ. ص: سريعة أو مقطوعة، ويروىٰ بالجيم. وفى هامش د: الحذاء بالحاء والجيم ـ ر.

(٧) في هـ. ص: اي تسوقهم الىٰ الآخرة بعجلة، وفي ب: تحفز، اي: تدفع وتسوق.

(٨) في هامش ب: اي اهلها.

(٩) في هـ. أ: امرّ، من المرارة، اي صار مرّاً، وأمرّ لازم ومتعدي.

(١٠) في ط: فيها. وفى هـ د: قد امرّ فيها ماكان ـ ح.

(١١) في هـ. أ: اي صار كدراً.

(١٢) في هـ. ص: بقية الماء، وفي هـ. أ: الماء القليل يبقىٰ في أسفل الاناء، وفي هامش ب: ماء قليل.

(١٣) في أ وط: وجرعة.

(١٤) في هـ. ص: المقلة ـ بفتح الميم وتسكين القاف ـ: حصاة توضع في قاع الإناء يقدّر بـها نصيب كل شارب من الماء، وفي هـ. أ: المقلة: حصاة القسمة التي يتعرف بها قدر ما يسقي كل واحد منهم، وذلك عند قلة الماء في السفر، وهي الحصاة التي تلقىٰ في الكوز ثـم تـملأ ويغمرها الماء، وفي هامش ب: صخرة يقسم عليها الماء. ويقال: حجارة تطرح في الماء.

(١٥) في هـ. ص: أي ترشّفها قليلاً قليلاً و في هامش ب: التمزز و المص: شرب الماء قليلا قليلاً.

(١٦) في هـ. ص وب: العطشان.

(١٧) في هـ. ص وب: اي لم يرو.

الشاعر الشيخ احمد الوائلي حفظه الله بقوله:

دقات قلب المرء قائلة له إنّ الحياة دقـائق وثـوان

فإنّ كلّ ثانية منها فانية يعقبها ثانية اخرى ... وهكذا حتى الموت.

٢ ـ (آذنت بانقضاء) فان اللحظة فانية، والآن هو اعلان للموت الذي هو آخر الحياة في الدنيا.

٣ ـ (تنكّر معروفها) فما يعرفه الانسان معروفا في دور من الحياة يصبح منكراً في دور آخر منها.

٤ ـ (وأدبرت حذّاء) والحذاء ـ بالمهملة ـ : السرعة في الذهاب، وبالمعجمة: انقطاع الخير، فان الدنيا تمر أيامها بسرعة نحو الموت، وكذلك شهواتها، ولا يـبقى إلاّ العـمل الصالح أو العمل الطالح.

٥ ـ (فهي تحفز بالفناء سكّانها) فبالسرعة التي تسير الدنيا هي في الحقيقة تحفز ـ أي تسوق ـ اهلها نحو الفناء، فان اهلها كركاب الحافلة التي تسير بسرعة، وكلما اشـتدت سرعتها اشتد سوقهم الى المقصد، والمقصد الأخير في الدنيا هو الفناء بالموت.

٦ ـ (وتحدو بالموت جيرانها) والحدي: سوق الإبل حالكونه معيناً لها، وهكذا الدنيا تسوق الناس الى الموت وهي تطربهم بأنواع الالحان في هذا المسير.

٧ ـ (وقد أمرّ فيها ما كان حلواً) ومن طبيعة الدنيا أنّ الحلو فيها لا يبقىٰ فيها حلواً الى الابد، بل ينقلب الحلو مراً بانقلاب الاحوال.

٨ ـ (وكدر منها ما كان صفواً) وكذلك الصفاء لا يبقى كذلك الى الأبد، بـل يـتكدّر الصافي. ويتغيّر بمرور الزمن.

٩ ـ (ولم يبق منها إلاّ سملة كسملة الإداوة) السملة: بقية الماء في الانـاء، والأداوة: الماء الذي يتطهر به، وذلك كناية عن قلّة ما يبتفع به في الدنيا.

١٠ ـ (أو جرعة كجرعة المقلة) والمقلة ـ بفتح الميم ـ : حصاة كانت تستعمل لتقسيم الماء في الاناء عند شح الماء، والتمزز: امـتصاص الشـراب قـليلاً قـليلاً، والصـديان: العطشان، فالباقي من حياة الدنيا كجرعة أخيرة باقية في الإناء، يمتصه العطشان قـليلا قليلا، وهو على علم بانتهاء الماء سريعاً، و (لم ينقع): اي لم يرو العطشان.

وهذه الصفات العشر للدنيا تكفي حافزا لئلا يغتر الانسان بالدنيا وشهواتـها، فـانها زائلة، والعاقل لا يتسابق الىٰ شيءٍ زائل، بل الاستعداد يكون للشئ الثابت الباقي، وليس هو سوى العمل.

(٢/ط - ٢٩) الواجب في الدنيا:

فَأَزْمِعُوا[(١)] عِبَادَاللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدّار المَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَال، وَلايَغْلبَنَّكُمْ فيهاَ الأَمَلُ، وَلايَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدْ[(٢)].

ويحدد الامام الواجب في هذه الدنيا الفانية باداء المسؤولية الملقاة على عاتق الانسان في كل لحظة، من دون تأخير الى لحظة اخرى حيث ان اللحظة الاخرى لها مسؤولية اخرى، فقال عليه السلام: (فأزمعوا) اي اعزموا (الرحيل عن هذه الدار) لأن المفروض أن (المقدور على أهلها الزّوال) فليس فيها انسان مخلّد ابد الدهر، واشار الى ما يثبط العزيمة، وهو امران:

اولاً: غلبة الأمل، فالامل في نفسه ليس منهيا عنه، بل المنهيّ عنه هو غلبة الامل.

ثانياً: طول الامد، بالاعتماد على أداء الواجب في المستقبل، فاذا علم الانسان فناء هذه الدار وزوالها، فلا مبرّر لأمل طويل له، وان كان يعيش مع الامل ولكن من دون غلبة عليه، وينبغي ان لا يعتمد على المستقبل لعلمه بالزوال، بل يؤدي واجبه حين وجوبه من دون تأخير.

(٣/ط - ٥٢) الثواب والعقاب:

فَوَاللهِ لَو حَنَنْتُم حَنِينَ الوُلّهِ[(٣)] العِجَال[(٤)]، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الحَمامَ[(٥)]، وجَأَرْتُمْ جُؤَارَ[(٦)] مُتَبَتِّلِي[(٧)] الرُّهْبَان، وخَرَجْتُمْ إلى اللهِ مِنَ الأمْوَالِ وَالأَوْلادِ، اِلتماَسَ القُرْبَةِ إلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجةٍ عِنْدَهُ، أَوغُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُه، وحَفِظَتْهَا رُسُلُه، لَكَانَ قَلِيلاً فِيما أَرْجُولَكُمْ مِنْ ثَوَابِه، وأخاَفُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

وللأعمال في الدنيا نتيجتان: إمّا الثواب أو العقاب، حسب طبيعة الاعمال التي يقوم بها الانسان، ومهما أتى الانسان من الاعمال فهي قليلة بالنسبة إلى ما وهب الله تعالى

---

(١) في ﻫ. ص: اي اعزموا.
(٢) في ط: عليكم فيها الأمد، وفي هـ د: عليكم فيها الأمد ـ ض وح.
(٣) في ﻫ. ص: الولّه: جمع واله، وهي الفاقدة ولدها. وفي هامش ب: جمع واله وواله‍ة، وهوالذي ذهب عقله ولها لفقد محبوب.
(٤) في ﻫ. ص: العجال، جمع عجول: المبادرة، وفي هامش ب: العجال: جمع عجول، وهي الناقة التي فقدت ولدها.
(٥) في ﻫ. ص: هديل الحمام: هو صوته المرتفع ، وفي ﻫ. أ: الهديل: صوت الحمام.
(٦) في ﻫ. ص: الجُوار: هوصوت مرتفع، وفي ﻫ. أ: الجوار: التضرع الىٰ الله، وفى هامش ب: لصرختم، والجوار: التضرع الىٰ الله.
(٧) في د: متبتل، وفي ﻫ. ص: اي منقطعيهم في البِيَع، وفي ﻫ. أ: التبتل: هوالانقطاع عن الدنيا للعبادة. وفى هامش ب: المتبتل: المنقطع من الدنيا الىٰ الله تعالىٰ.

للانسان من مواهب القدرة والاستطاعة والفكر والعقل والصحة والسلامة، فأداء حقوق هذه المواهب بمسؤولياتها امر لا يتمكن منه الانسان عادة، فمهما أتىٰ منه الانسان لا يكون ضماناً أكيداً ـ لولا رحمة الله ـ من العقاب على ترك المسؤولية كما هي مطلوبة، كما ان ما ما ياتي به الانسان من الاعمال الصالحة فهي قليلة بالنسبة الى ما يرجو من الثواب مهما حاول ا لانسان.

وقد عبّر الامام عليه السلام عن بعض الحالات التي يمكن ان يتقرب بها الانسان وهي:

١ـ (حنين الوله العجال) والحنين: الصوت الحزين، والوله: ذهاب العقل. والعجال: الناقة التي فقدت ولدها، وهي منتهى ما يمكن للانسان من الجزع.

٢ـ الدعوة (بهديل الحمام) والهديل: صوت الحمام لفقد إلفه، في الحزن على الفراق.

٣ـ والجأر (جوار متبتّلي الرّهبان) والجؤار: رفع الصوت. والمتبتل: المنقطع للعبادة، والراهب المنعزل عن الناس منقطعا الى الله خوفا منه بالادعية الخاصة.

٤ـ (الخروج الى الله) بالانقطاع اليه عن الماديات كلها، وخصّ منها امران شائعان في الحياة هما (الاموال) التي يتها لك عليها الناس، و(الاولاد) الذين يتباهى بهم؛ لانهم زينة الحياة الدنيا.

فهذه الحالات غاية ما يتصوره الانسان المادي للتقرب الى الله، لغرض (التماس القربة إليه) بهذه الاعمال في الدنيا على اختلاف درجات التقرّب وخصّ منها امر ان:

اولاً: (ارتفاع درجة عنده) لمن تطهّر من المعاصى كالاولياء والعلماء.

ثانياً: (غفران سيّئة) لمن تلبس بالسيئات في حياته المادية على اختلاف السيئات التي (احصتها كتبه) السماوية (وحفظتها رسله) في الأحاديث النبوية؛ فان هذه الحالات ـ على اهميتها ـ ليست بدرجة متكافئة مع الثواب فيكون الثواب تفضل من الله سبحانه وليست فرضا عليه، ولا تضمن الامن من العقاب، فان المسؤوليات أعظم منها.

(٤/ ط ـ ٥٢) نعمة الهداية:

وتَاللهِ لَوْ[١] انْمَاثَتْ[٢] قُلُوبُكُمْ انْمِيَاثاً، وسَالَتْ عُيونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ ورَهْبَةٍ[٣] مِنْهُ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ[٤] في الدُّنْياَ، ماَ الدُّنْياَ باَقِيَةٌ، ماَ جَزَتْ أعْماَلُكُمْ[٥] ـ ولَولمتُبْقُوا شَيْئاً مِنْ

---

(١) في د: والله.
(٢) في هـ. ص: يقال: انماث الملح في الماء: ذاب، وفى هـ. أ: ذابت،
(٣) في ط أو رهبة، وفي هـ د: أو رهبة ـ ض ح.
(٤) في هامش ب: عمّرتم، اي لوبقيتم ما بقيت الدنيا.
(٥) في د زيادة: اعمالكم.

جُهْدِكُمْ ـ أَنْعُمَهُ[١] عَلَيْكُمْ العِظَامَ، وهُدَاهُ إِيّاكُمْ لِلإِيمانَ.

وفي هذا المقطع اشارة إلى أنّ نعمة الهداية اعظم نعمة في الدنيا حيث ان الانسان يشعر بانسانيته ويتحرر من الشهوات التي تحرفة عن سلوكه الانساني فمهما أتىٰ الانسان من اعمال بحيث (انماثت قلوبكم انمياثا) والانمياث: الذوبان من خشية الله سبحانه (وسالت عيونكم من رغبة اليه أو رهبة منه دما) وهذا غاية ما يمكن للانسان، فان هذه الأعمال لا تبقىٰ، بل تفنىٰ بفناء الدنيا الفانية، وهذه الأعمال على انها غاية جهد الانسان في الدنيا لا تكون جزاءً لأنعم الله سبحانه العظام وأعظمها (هداه إيّاكم للايمان) فان نعمة الهداية في نفسها من أعظم النعم التي تحيي القلوب، ولا تعادلها نعمة اخرى.

(١) في هامش ب: مفعول «ماجزت».

[الخطبة ٥٣]

ومنها[١]

في ذكر يوم النحر، وصفة الأضحية[٢]

(١/ط - ٥٣) صفة الاضحية:

ومِنْ تَماَمِ الأُضْحِيةِ: اسْتِشْرَافُ[٣] أُذُنِهاَ، وَسَلامَةُ عَيْنِهاَ، فَإِذاَ سَلِمَتِ الأُذُنُ والْـعَيْنُ سَلِمَتِ الأُضْحِيَةُ وتَمَّتْ، وَلَو كاَنَتْ عَضْباء القَرْنِ[٤] تَجُرُّ رِجْلَهاَ إلى الْمَنْسَك.

قال الرضي ﷺ: والمَنْسَكُ ـ هاهنا ـ: المَذْبَحُ[٥].

هذه الخطبة من خطبة عيد الاضحى، وذكرتها بطولها في مسند نهج البلاغة فراجع، وقد اختار منها الشريف هذا المقطع بحسب شرطه البلاغي، وليس لمدلولها الفقهي، ولكل منها مقام خاص.

فان قوام الجسم بالرأس، وقوام الرأس بالعينين والأُذنين، ومن الناحية البـلاغية: ان قوام الجسم بالرأس اولاً، ثم سائر الاعضاء كل حسب وضعه ثانيا، فأول ما يتوجه اليه الانسان ويحلب نظر الانسان هو الوجه، وجمال الوجه في العينين والاذنين في الانسان، وفقدهما عيب له لا يستهان به في كل المجتمعات التي تعنىٰ بالرشاقة والجمال، ينتبعهما سائر الجسم من الكمال، ويتعدى هذا الكمال في الجسم الى الحيوان، فالحيوان الكامل جسما هو ما سلم فيه الاعضاء الرئيسية في الجسم، وذكر الامام منها امرين رئيسيين، هما:

اولاً: (استشراف أذنها) بكمالها من دون قطع أو خرم وما شابه.

ثانياً: (سلامة عينها) كمالها من عوار وحول.

فاذا اجتمع الصفتان في الحيوان عدّ الجسم كاملا، وان حصل نوع من النقص في سائر

---

(١) كذا في جميع النسخ، إلاّ أنّ كلمة «منها» لم ترد في نسخة المعجم، ولم يشر اليها في الهامش.

(٢) في هـ. أ: اي ما يذبح يوم النحر وأيام التشريق من النعم.

(٣) في هـ. أ: استشرافها: انتصابها وارتفاعها، وفي هامش ب: اذن شرفاء: اي طويلة عالية، يقال: استشرفت الشيء اذا رفعت بصرك تنظر اليه وبسطت كفك فوق حاجبك، كالذي يستظل من الشمس.

(٤) في هـ. أ: العضباء: مكسورة القرن. وجر الرجل الىٰ المنسك، كناية عن العرج.

(٥) من ط: وفي د: المنحر.

الاعضاء واشار عليه السلام إلىٰ الثنين منهما، وهما:

١ ـ العضباء، أي المكسورة القرن فان القرن ليس جذءاً اصيلاً في تمامية الجسم.

٢ ـ العرجاء، التي (تجرّ رجلها؛ الى المنسك) وقد غبّر عن المذبح بالمنسك؛ لانه في هذه الشعيرة نسكٌ.

وقد علل ذلك بقوله: (فاذا سلمت الأُذن والعين سلمت الاضحية وتمّت) لتمام صفة الكمال فيها، ومن ذلك ظهر الحكم الفقهي على التفصيل الذي ذكرته في دليل جواهـر الكلام في المادة، وهو خارج من هذا المقام، فراجع. ومن ذلك ـ أيضاً ـ ظهر حكم سائر الانواع كالجلحاء، وهي التي لم يخلق لها قرن، والعضماء، وهي التي انكسر غلاف قرنها، والشرقاء: التي انثقب اذنها من الكي، والخرقاء التي شقت أُذنها طولا، على خلاف ذلك في المذاهب والفتاوى، والله العاصم.

[الخطبة ٥٤]

ومن كلام له عليه السلام في ذكر البيعة

وفيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام

في هذا المقطع من الخطبة استعراض للموقف من حرب صفين عام ٣٧ هـ، ويتضمن امرين:

(١ / ط - ٥٤) **موقف الاصحاب:**

الاول ـ موقف اصحاب الامام، وقد أشار اليه بقوله:

فَتَدَاكُّوا[١] عَلَيّ تَدَاكَّ الإبِلِ الِهيم يَوْمَ وِرْدِها[٢]، وَقَـدْ أَرْسَـلَهاَ رَاعِـيَها، وخُـلِعَتْ مَثَانِيها[٣]، حَتّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قاتِلِيّ، أوبَعْضُهُمْ قاتِلُ بَعْضٍ لَدَيّ.

وفيه تأكيد على الاختلاف الشديد بين الأُمراء بين من يدعو الى الحرب بشدة، وبين من يعارض بشدة كذلك بحيث ان الجبهتين استعدا للمواجهة، وهم في محضر القائد؛ لان كلي الجبهتين اصرت على رأيها حتى حصل الظن بان بعضهم قاتل البعض الذي لا يوافقه على الرأي، وكلهم (لدى) الامام وطبيعي في مثل هذه المواقف الحادة ان يحصل الظن بأنّ القائد يكون مستهدفا من قبل الجهة التي لا توافق على قراره.

وقد تجمهر اصحاب الجهتين المتعارضتين على الامام عليه السلام بطريقة فوضوية، لا ترى إلّا تطبيق رايها كما (تداك الابل الهيم) والتداك: الازدحام، والهيم: العطاش (يوم وردها) أي دخولها على الماء للشرب بسبب العطش، حالكونها (خلعت مثانيها) والمثاني الحبال، وخلعها: اطلاق عنان الحبال لتمكن الابل العطاش من الشرب بحرية تامة، فـالجماهير المزدحمة على مقر الامام دخلت بهذه الصورة العشوائية التي هي اشبه بالحركة الطـائة التي لا يمكن التنباؤ بنتائجها، ولا يحكمها النظام والأدب.

الثاني ـ موقف الامام:

---

(١) في هـ . ص و أ : اي ازدحموا. وفي هامش ب: تزاحموا، ووردوا عليّ يدق بعضهم بعضاً مثل تداكّ الإبل العطاش، يوهم ورودها ودخولها الماء مرسلة مخلوعة حبالها، والتداك التفاعل: من الدك، وهوالدقّ، وكأن الكاف مبدل من القاف.

(٢) في ب: ورودها.

(٣) في هـ . ص: جمع مثناة، وهي ـ بفتح الميم وبكسرها ـ: الحبل، وفـي هـ . أ: أزمّـتها، وفـي هامش ب: مثاني جمع مثنىٰ، وهي حبل المثنىٰ يجعل في طرف الزمام.

(٢/ط - ٤٥) موقف الامام:

وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الأمْرَ[١] بَطْنَهُ وظَهْرَه حَتَّى مَنَعَني[٢] النَّوْمَ، فَما وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إلاقِتالُهُمْ أو الْجُحُودُ بِماَ جاَء بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله[٣]. فَكاَنَتْ مُعاَلَجَةُ القِتاَلِ أَهْوَنَ عَلَيّ مِنْ مُعاَجلَةِ[٤] العِقاَبِ، ومَوْتاتُ الدُّنْياَ أَهْوَنَ عَلَيّ مِنْ مَوْتاتِ الآخِرَةِ.

وقال الامام عليه السلام ما تكرر منه في مثل هذا الموقف (راجع الخطبة ٤٣) من انه ليس له كقائد اسلامي يجب عليه الحفاظ على الثوابت الاسلامية سوى خيارين:

اولاً: القتال حيث يجد العدو يحاول تغيير نظام الحكم بالشورى الى الملوكية القبيلة، فيجب على القائد المحافظة على نوع النظام الاسلامي الذي قام على سيرة النبي القائد صلى الله عليه وآله.

ثانياً: الجحود بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله والرضوخ لانواع الحكم التي لا توافق سيرة النبي صلى الله عليه وآله، وطبيعي ان هذا والخيار الثاني مرفوض من راى مسلم، فكيف بالقائد الاسلامى؟

و اشار عليه السلام الى ان الخيار الاول هو الخيار الوحيد، وانه لم يتخد هذا الموقف على نحو الارتجال، بل بعد ان (قد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتّى منعني النّوم) فإنّ دراسة موضوع الحرب والسلم يشغل بال القائد حتى من نومه؛ اذ عليه ان يدرس جميع الجوانب الظاهرة والباطنة على الامة في الحاضر والمستقبل، وبعد هذه الدراسة المتواصلة انتهى الى قرار القتال.

مؤكّدا على ان العلاج للعدوّ لا يكون الاّ بالحرب المبتنية على اسس عقائدية كما كانت في عصر الرسالة، وفي الحرب العقائدية لا يهتم المحارب بالموت، فان الموت في الدنيا أهون من الموت في الآخرة، فان العقاب الالهي على ترك الواجب في الدنيا موت

---

(١) في هامش ب: قلبت: اي فكّرت فيه سرا وجهرا وليلا ونهارا حتىٰ أرقت بسبب ذلك وذهب مني النوم.

(٢) في هـ د: حتى فارقتني ـ ك.

(٣) في هـ. ص: قتال البغاة واجب بنص الكتاب، فتاركه جاحد أو في حكم الجاحد؛ لأنّ من لايحذر ضراً دلّ عليه خبر، لابد وأن يكون مرتاباً في ذلك الخبر، وإلاّ لما فرّط في مقتضاه القطعي.

ودليله نفي الله عمّن لايعمل لوجه الله وثواب الآخرة ـ الايمان في كثير من القرآن نحو [كالذي ينفق ماله رئآء الناس ولا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر] وغيرها ممّا يكثر علىٰ الايراد.

وفي هـ. أ: هذا مثل ما سبق [في الخطبة ٤٣] من كلامه عليه السلام في هذا المعنىٰ وهو يدل علىٰ ان النبي صلى الله عليه وآله أخبره عن علم الغيب بما يلقي من اهل الشام وأمره بقتالهم.

(٤) كذا في ص ، وفي غير ص: معالجة.

في الآخرة وعلى صفحات التاريخ الى الابد، ومن أجل ذلك يـحتفظ ذاكـرة التـاريخ بالشهداء الذين ضحّوا بدمائهم من اجل مستقبل اُمتهم واوطانهم.

[الخطبة ٥٥]

ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين

ومن تاريخ الخطبة انها في ربيع الآخر سنة ٣٧ هـ، قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في « شرح نهج البلاغة»، قال:« من أخبار يوم صفين، لما ملك أمير المؤمنين عليه السلام الماء بصفين ثم سمح لاهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة، رجاء أن يعطفوا إليه، واستمالة لقلوبهم وإظهارا للمعدلة وحسن السيرة فيهم، مكث أياما لا يرسل إلى معاوية، ولا يأتيه من عند معاوية أحد، واستبطأ أهل العراق إذنه لهم في القتال، وقالوا: يا أمير المؤمنين، خلفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة، وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطنا، ائذن لنا في القتال، فإن الناس قد قالوا. قال لهم عليه السلام: ما قالوا ؟ فقال منهم قائل: إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت، وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام. فقال عليه السلام: ومتى كنت كارها للحرب قط ! إن من العجب حبي لها غلاما ويفعا، وكراهيتي لها شيخا بعد نفاد العمر وقرب الوقت ! وأما شكي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة، والله لقد ضربت هذا الامر ظهرا وبطنا، فما وجدت يسعنى إلّا القتال أو أن أعصى الله ورسوله، ولكني أستاني بالقوم، عسى أن يهتدوا أو تهتدى منهم طائفة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس» .(١)

(١ / ط ـ ٥٥) **الجبهة المتشددة:**

أَمَّا قَوْلُكُمْ: أكُلَّ(٢) ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ! فَوَاللهِ مَا أُبَالِي، دَخَلْتُ إِلَى(٣) الْمَوْتِ أوخَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيّ. وأمّا قَوْلُكُم: شَكًّا فِي أَهْلِ الشّام(٤)! فَوَاللهِ ماَ دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إلاّ وأناَ أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وتَعْشُوإِلَى ضَوْئِي(٥)، وذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيّ(٦) مِنْ أَنْ

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٤ : ١٣ ـ ١٤.

(٢) في أ : كلّ.

(٣) في هـ د: عليٰ.

(٤) في هامش ب: كان عليه السلام لايأذن لأصحابه في قتال أهل الشام، لعلهم يندمون ويهتدون، فظن منافقوا اصحابه انه يمتنع من القتال كراهية الموت أو شكّاً في اهل الشام، يعني انهم يقولون: انني شاك في اهل الشام هل يستوجبون القتل...

(٥) في هـ. ص: عشا الىٰ النار: استدل عليها ليلا ببِصر ضعيف، وفي الكلام كناية عن ضعف بصائر أهل الشام وانهم لايستثبتون الحق واضحاً.

أَقْتُلَهاَ عَلَى ضَلاَلِهاَ، وإِنْ كانَتْ تَبُوءُ[(٧)] بِآثاَمِهاَ.

كان موقف الامام في الحرب ينطلق من مبدأ اسلامي عقائدي، وشأن كل الحروب التي فيها جبهتان متشددة ومتقاعسة، لم يخل جيش الامام من الجبهتين، وقد استخدمت الجبهة المتشددة دعايتين ضد موقف الامام، هما:

١ ـ (كراهية الموت) حيث لم يتسرع الامام الى اعلان الحرب والأمر بالقتال.

٢ ـ (الشك) في شرعية الحرب.

وقد فنّد الامام الدعايتين باقواله وموافقة.

اولاً: كراهية الموت، فانه ليس في قاموس من له تاريخ واضح في الحروب هكذا عنوان، فان القائد الكفوء لا يرهب من الموت في ساحة المعركة، لانه واجب عسكري يؤديه مؤمناً به.

ثانياً: لو كان هناك شك لما اتخذ الموقف الذي اتخذه في الحرب التصحيحية في البصرة.

وموقف الامام القائد:

حدده في نقطة اساسية في الحرب الاسلامية كانت هي السبب الاول والاخير في الحرب، ولخّصهابقوله: (فوالل هما دفعت الحرب يوما إلّا وأنا أطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي، فان الهداية من الضلالة هي الهدف الاول، فلو حصلت لاستنارت بضوء الحقيقة، وعشى يعشو: أي يستدل على الامر ببصر ضعيف، ولو حصل ذلك لكان مبرراً، كافيا علىٰ عدم المبادرة الىٰ الحرب حتى تستنفذ جميع الوسائل السلمية في الهداية ؛ فان ذلك (أحب الي من أن أقتلها على ضلالها، وبعد استنفاذ جميع وسائل السلم شرع في الحرب الاسلامية.

وفي هـ. أ: عشا يعشو: إذا استدل عليها ببصر ضعيف، وفي هامش ب: ... وعشوت الىٰ النار اعشواليها: اذا استدللت عليها ببصر ضعيف، قال الشاعر:

فان تعشوا الىٰ ضوء ناري تجد　　　　خير نار عندها خير موقدٍ.

(٦) في ب: الىٰ ضوئي احب اليّ، وفي هـ. د: فهوأحب اليَّ ـم.

(٧) في هـ. أ: تبوء اي ترجع بآثامها.

[الخطبة ٥٦]

ومن كلام له عليه السلام يصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

ومن تاريخ الخطبة انها كانت في ربيع الثاني، سنة ٣٧، قال شارح نهج البلاغة ابن أبي الحديد : «فتنة عبد الله بن الحضرمى بالبصرة جـ وهذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في قصة ابن الحضرمى حيث قدم البصرة من قبل معاوية ، واستنهض أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه إلى البصرة ، فتقاعدوا .

قال أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفى في كتاب الغارات: حدثنا محمّد بن يوسف ، قال : حدثنا الحسن بن علي الزعفراني ، عن محمّد بن عبد الله ابن عثمان ، عن ابن أبي سيف ، عن يزيد بن حارثة الازدي ، عن عمرو بن محصن ، أن معاوية لما أصاب محمّد بن أبي بكر بمصر وظهر عليها ، دعا عبد الله بن عامر الحضرمى ، فقال له : سر إلى البصرة ، فإن جل أهلها يرون رأينا في عثمان ، ويعظمون قتله ، وقد قتلوا في الطلب بدمه ، فهم موتورون حنقون لما أصابهم ، ودوا لو يجدون من يدعوهم ويجمعهم وينهض بهم في الطلب بدم عثمان ، واحذر ربيعة ، وانزل في مضر ، وتودد الازد ، فإن الازد كلها معك إلّا قليلا منهم ، وإنهم إن شاء الله غير مخالفيك . فقال عبد الله بن الحضرمى له : أنا سهم في كنانتك ، وأنا من قد جربت ، وعدو أهل حربك ، وظهيرك على قتله عثمان ، فوجهنى إليهم متى شئت . فقال : اخرج غدا إن شاء الله . فودعه وخرج من عنده . فلما كان الليل جلس معاوية وأصحابه يتحدثون ، فقال لهم معاوية : في أي منزل ينزل القمر الليلة ؟ فقالوا : بسعد الذابح ، فكره معاوية ذلك ، وأرسل إليه ألا تبرح حتى يأتيك أمرى . فأقام».(١)

الى ان قال: وروى الواقدي أن عليا عليه السلام ، استنفر بني تميم أياما لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمى ، ويرد عادية بنى تميم الذين أجاروه ، بها فلم يجبه أحد ، فخطبهم ، وقال : أليس من العجب أن ينصرنى الازد ، وتخذلنى مضر ! وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بى ، وخلاف تميم البصرة على ، وأن أستنجد بطائفة منها ، تشخص إلى إخوانها فتدعوهم إلى الرشاد ، فإن أجابت وإلّا فالمنابذة والحرب . فكأنى أخاطب صما بكما لا يفقهون حوارا ، ولا يجيبون نداء ، كل هذا جبنا عن الباس ، وحبا للحياة ، لقد كنا

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٤ : ٣٤.

مع رسول الله ﷺ نقتل آباءنا وأبناءنا .... الفصل إلى آخره .

قال : فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي ، فقال : أنا – إن شاء الله – أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب ، وأتكفل لك بقتل ابن الحضرمي ، أو إخراجه عن البصرة . فأمره بالتهيؤ للشخوص ، فشخص حتى قدم البصرة».[١]

(١/ط - ٥٦) الجيش العقائدي:

ولَقَدْ كُنّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَقْتُلُ آباءناَ وَأَبْناءناَ وإِخْوَانَنا وَأعمامَنا[٢]. مَا يَـزِيدُنَا[٣] ذَلِكَ إلاّ إيماناً وتَسْليماً ومُضِيًّا عَلى اللّقَمِ[٤]، وصَبْراً عَلى مَضَضِ[٥] الأَلَمِ، وَجِـدّاً فِـي جِهاَدِ[٦] الْعَدُوّ.

ولَقَدْ كانَ الرَّجُلُ مِنّاَ وَالآخَرُ مِنْ عَدوّناَ يَتَصاَوَلاَن[٧] تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ[٨]. يَتَخَالَسَانِ أنْفُسَهُمَا[٩] أيُّهُمَا يَسْقِي[١٠] صَاحِبَهُ كأسَ الْمُنُونِ. فَمرّةً لنَا مِنْ عَدُوّناَ، ومَرّةً لِعَدُوّنَا مِنّا.

في هذا المقطع استعرض الامام صفات الجيش العقائدي الذي لا يخضع للروح القبلية والعلاقات الاسرية، كما قال الشاعر:

أبـــي الاســـلام ولا   أب لي ســـــــواه

وأهم هذه الصفات:

١ ـ الايمان بعدالة القضية التي يحارب من اجلها.

٢ ـ التسليم لاوامره تعالى في السراء والضراء والنصر والفشل.

٣ ـ المضيّ على اللقم. واللقم: الجادة الواضحة، والمراد: المضي في الحرب من دون تلكّؤ.

٤ ـ الصبر في اداء المسؤولية الحربية على مضض الالم؛ فان لكل ألم في الحياة مضض

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٤: ٤٦.

(٢) في هـ. أ: اما قتلهم الاقارب في ذات الله سبحانه فكثير، فإنّ علياً عليه السلام قتل من بني عبد مناف وبني عبد الدار ـ وهم عترته وبنوعمه ـ جماعة، وقتل يوم بدر العاص بن هاشم بن المغيرة، وقتل حمزة شيبة بن ربيعة الىٰ غير ذلك.

(٣) في هـ د: ولايزيدنا ـ ن.

(٤) في هـ. أ: اللقم: وسط الطريق، وفي ب: الطريق الواضح.

(٥) في هامش ب: اي شده الألم.

(٦) في ب: على جهاد.

(٧) في هـ. أ: التصاول: ان يحمل كل واحد من المتبارزين علىٰ صاحبه.

(٨) في ب: الفحلين منه، والظاهر انها من زيادة الناسخ لتغاير الخطين.

(٩) التخالس: التسالب والانتهاب.

(١٠) في هـ. د يستقي ن.

اي حرقة، يستهين بها الصابر في من سبيل الهدف.

٥ ـ الجد في جهاد العدو، وهو أحد خيارين، لا ثالث لهما (النصر أو الشهادة) فان التثليث بطلب السلامة يكشف عن عدم الجد في الجهاد.

وهذه النقاط الخمس هي اهم ما يدعو الى عدم الاستهانة في الحرب، وبذلك تختلف الحرب العقائد ية عن غيرها، فان المحارب المتحلي بهذه الصفات يحارب العدو بصورة (تصاول الفحلين) كما يكون حملة كل من القرنين على صاحبه (يتخالسان أنفسهما) بان يحاول كل منها اختلاس نفس الآخر، أي ازهاقها بقتلها في المعركة، فان كلا منهما يحاول قتل الآخر، وطبيعي ان لا يمكن التنبؤ بالنتائج مسبقا (فمرّة لنا من عدوّنا، ومرّة لعدوّنا منّا) فان الحرب سجال، وكل الاحتمالات فيها واردة. ولا يهم الجندي المخلص لعقيدته أياً من الاحتمالات سوى اداء الواجب في المعركة.

(٢/ط - ٥٦) النصر مع الصدق:

، فَلَمّا رَأى اللهُ صِدْقَنا أَنْزَلَ بِعَدُوّنا الْكَبْتَ(١)، وأَنْزَلَ عَلَيْنا النّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الإسْلامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ(٢). ومتَبَوّءًا(٣) أَوْطَانَهُ

والجيش المحارب عن عقيدة ثابتة والمتحلي بالصفات الخمس يكتب له النصر عاجلا ام اجلاً، لانها حرب مبتنية على مبادئ صادقة في اعتقاد المحارب، والله سبحانه ينصر من ينصره، ومن أجل ذلك انتصر الاسلام على اعدائه بالرغم من قلّة عدد المسلمين وكثرة المشركين، وما ذلك إلاّ لعدالة القضية واستعداد الجيش المحارب للتضحية من اجلها في الحياة، وكانت النتيجة ان استقر الاسلام كحقيقة بديلة لنظام الشرك، وانمحىٰ الشرك من جزيرة العرب الى الأبد، وقد مثل بذلك بما كان يألفه اهل ذلك العصر، وهو ان الابل بعد اداء دورها اليومي ترجع الى موطنها وتلقي بأعناقها على الارض للاستراحة. وكذلك الجيش الاسلامي، فانه بعد اداء الجيش المحارب دوره المطلوب منه يبوء الىٰ موطنه، ويلقي ما عليه من ادوات الحرب للاستقرار.

(٣/ط - ٥٦) الجيش المصالح:

، وَلَعَمْرِى لَو كُنّا نَأْتِى مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدّينِ عَمُودٌ(٤)، ولا اخْضَرَّ للإيمَانِ عُودٌ(٥)، وايْمُ

---

(١) في هـ. أ. الكبت: الإذلال.

(٢) في هـ. أ: جران البعير: مقدم عنقه من مذبحه الىٰ منحره، اي متمكنا كالبعير يلقي جرانه علىٰ الارض.

(٣) في هـ. أ: متبّوء اوطانه: جعله كالجسم المستقر في وطنه.

(٤) في هـ. أ: جعله كالبيت القائم علىٰ العمد.

اللهِ لَتَحْتَلِبُنَّها دَماً(٦) ولَتُتْبِعُنَّها نَدَمَاً.

ثم تعرض الامام الى حالة الجيش الذي يقوده بما يقاد من وصف الجيش العقائدي، حيث استخدم الجيش نعمة الصلح بقوله: «ولعمري لو كنّا تأتي ما أتيتم ما قـام للـدّين عمود، ولا اخضر للايمان عود، وايم الله لتحتلبنّها دما ولتتبعنّها ندما!».

فالجيش اليوم يفقد الصفات الخمس المتقدمة التي بها فاز المسلمون الاوائل بتطبيقها، ولو كانوا أهملوها (لما قام للدين عمود) فكان كالبيت المنهدم و(لا اخضر للايمان عود) بل كان شجرا يابساً غير مثمر.

وحيث ان حالة الجيش اليوم على الضد من حالة الجيش الاسلامي المطلوب، فلابدّ وان تكون النتيجة عكسية، ولذلك اشار الى نتيجتين حتميين لهذه الحالة، وهما:

١ ـ فناء الجيش؛ لفقدان مقومات الروح المعنوية في المقاومة فيه (لتحلبنّها دماً) فلا يحلب بعد انعدام الحليب سوى الدم، الغير الصالح للشرب.

٢ ـ ندم الجيش النابع من عدم اداء الواجب المسؤول عنه في الحرب من طاعة القيادة، وقد اثبت التاريخ الأمرين من المواقف بعد صفين.

قال الشارح ابن أبي الحديد:« وهذه ألفاظ مجازية من باب الاستعارة ، وهي : قوله :) استقر الاسلام ملقيا جرانه (، أي ثابتا متمكنا ، كالبعير يلقى جرانه على الارض . وقوله : « متبوئا أوطانه » ، جعله كالجسم المستقر في وطنه ومكانه . وقوله :) ما قام للدين عمود (، جعله كالبيت القائم على العمد . وقوله : « ولا اخضر للايمان عود» ، جعله كالشجرة ذات الفروع والاغصان . فأما قتلهم الاقارب في ذات الله فكثير ، قتل علي عليه السلام الجم الغفير من بني عبد مناف وبني عبد الدار في يوم بدر وأحد ، وهم عشيرته وبنو عمه ، وقتل عمر ابن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هشام بن المغيرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شيبة ابن ربيعة يوم بدر ، وهو ابن عمه ، لانهما ابنا عبد مناف ، ومثل ذلك كثير مذكور في كـتب السيرة . وأما كون الرجل منهم وقرنه يتصاولان ويتخالسان ، فإن الحال كذلك كانت ، بارز علي عليه السلام الوليد بن عتبة ، وبارز طلحة بن أبي طلحة ، وبارز عمرو بن عبدود ، وقتل هؤلاء الاقران مبارزة ، وبارز كثيرا من الابطال غيرهم وقتلهم ، وبـارز جـماعة مـن شـجعان الصحابة جماعة من المشركين ، فمنهم من قتل ، ومنهم من قتل ، وكتب المغازى تتضمن

(٥) في ه. أ: جعله كالشجرة ذات الفروع والأغصان.
(٦) الاحتلاب: استخراج ما في الضرع من اللبن، وهذا تمثيل لاجترارهـم عـلىٰ انـفسهم سـوء العاقبة من اعمالهم، وانهم سيعقبون تلك الاعمال بالندم.

تفصيل ذلك».[١]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٤: ٣٤.

[الخطبة ٥٧]

ومن كلام له عليه السلام في صفة رجل مذموم

قال الشارح ابن أبي الحديد: «كثير من الناس يذهب إلى أنه عليه السلام عنى زيادا، وكثير منهم يقول: إنه عنى الحجاج. وقال قوم: إنه عنى المغيرة بن شعبة، والاشبه عندي أنه عنى معاوية، لانه كان موصوفا بالنهم وكثرة الاكل، وكان بطينا، يقعد بطنه إذا جلس على فخذيه، وكان معاوية جوادا بالمال والصلات، وبخيلا على الطعام، يقال: إنه مازح أعرابيا على طعامه، وقد قدم بين يديه خروف، فأمعن الاعرابى في أكله، فقال له: ما ذنبه إليك، أنطحك أبوه؟ فقال الاعرابي: وما حنوك عليه؟ أأرضعتك أمه!

وقال لاعرابى يأكل بين يديه، وقد استعظم أكله: ألا أبغيك سكينا؟ فقال: كل امرئ سكينه في رأسه، فقال: ما اسمك؟ قال: لقيم، قال: منها أتيت.

كان معاوية يأكل فيكثر، ثم يقول: ارفعوا، فو الله ما شبعت ولكن مللت وتعبت.

تظاهرت الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا على معاوية لما بعث إليه يستدعيه، فوجده يأكل، ثم بعث فوجده يأكل، فقال: «اللهم لا تشبع بطنه»، قال الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهاوية كأن في أحشائه معاوية(١)

وعبارة ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) (ت / ٦٥٦) هو الاقرب؛ لمكان السين الاستقبالية في قوله عليه السلام، وامارة كل من زياد والحجاج والمغيرة لم تكن اقرب من حكم معاوية.

(١ / ط - ٥٧) **تنبّؤات القائد:**

أَمَا إِنَّهُ(٢) سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ(٣) بَعْدِي رَجلٌ(٤) رَحْبُ الْبُلْعُومِ(٥)، مُنْدَحِقُ(٦) البَطْنِ(٧)،

---

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٤: ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) في هـ د: اما وانه ـ م.

(٣) في هـ. أ: يخاطب أهل الكوفة.

(٤) في هـ. أ: يعني به زياداً، وكان عامل علي عليه السلام حين قتل، وكان في يده مال الاهواز فالتجأ الىٰ معاوية، فلما استولىٰ على الكوفة جمع الناس في المسجد ليأمرهم بلعن علي، فخرج حاجبه فأمر الناس بالانصراف، فانصرف الناس وكان قد أصابه الفالج حين خرج حاجبه، ولم يزل علي يسبّ علىٰ المنابر بعد خطب الجمع مدّة خلافة معاوية، ومَن بعده من خلفاء بني أميّة، الىٰ أن ولي عمربن عبد العزيز الخلافة فأمر بقطع السب، وأن يجعل مكانها ﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القرىٰ وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون﴾ النحل: ١٦ / ٩٠.

يَأْكُلُ ماَ يَجِدُ، ويَطْلُبُ ماَلايَجِدُ، فاَقْتُلُوه ـ ولَنْ تَقْتُلُوه. ألاَ وإنّهُ سَيأْمُرُكُمْ بسبّي والبَرَاءَةِ مِنّي.

أمّا إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه! ألا وإنّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي.

وقد استظهر عليه السلام ذلك من مقارنة المواقف، فكما ان مواقف التاريخ الماضي يشير الى الأثر الحاضر، فان المواقف في الحاضر تشير الى الآثار في المستقبل. وقد تحققت تاريخيا كل ما تنبأ به الامام في هذا المقطع من الكلام، وهي:

١ ـ الغلبة في الحكم (سيظهر عليكم) بالحرب في سبيل اهدافه واستسلامكم للقوة الغالبة.

٢ ـ عقيب وفاة القائد (بعدي) فان القائد مادام حيا فانه ساهر علىٰ مصالحكم، و يكشف خطط العدو ويخطط لمقاومتها مهما كانت الظروف.

٣ ـ رجل (رحب البلعوم مندحق البطن) والرحبة: الوسعة، والدحوق: الظهور، وتقدم وصف ذلك من ابن أبي الحديد في الصفات الجسمية لمعاوية، ولم تكن هذه الصفات عيبا، سوى انها تلازم النتائج السيئة التالية:

٤ ـ (يأكل ما يجد) من الطعام لحاجته الجسمية من دون اعتبار لمصادرها.

٥ ـ (و يطلب ما لا يجد) من المأكولات أو الأعم منها ومن غيرها، فان هدف الحكومات الغالبة هو خزن المادة للتباهي بها.

٦ ـ(فاقتلوه) لان القائد المسلم يجب ان يولى اهتمامه بحاجة الشعب المسلم، وليس بنفسه، فان لم يعمل بما انزل الله ﴿فأولئك هم الكافرون﴾، وبما ان هذا الرجل قد تغلب على الحكم الاسلامي من دون شورى، فانه استحق القتل.

٧ ـ(ولن تقتلوه) لانه لصّ تغلب علىٰ الحكم الشرعي، واللص يتحصّن بما يمنعه من القتل من الطرق المشروعة وغيرها (سيأمركم بسبى والبراءة منّي...).

قال الشارح ابن أبي الحديد، في قوله عليه السلام : «يأمركم بسبى والبراءة مني» ، ما نصه : «إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب علي عليه السلام والبراءة منه . وخطب بذلك على منابر الاسلام ، وصار ذلك سنة في أيام بنى أميد إلى أن قام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فأزاله . وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة : اللهم

---

(٥) في ه. ص: هومجرىٰ الطعام، اي واسعهُ، والمعنىٰ كثير ما يجري فيه.

(٦) في ه. أ: واسع.

(٧) في ه. ص: اي بارزه، لفرط امتلائه.

إن أبا تراب، الحد في دينك ، وصد عن سبيلك، فالعنه لعنا وبيلا ، وعذبه عذابا أليما. وكتب بذلك إلى الآفاق ، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر ، إلى خلافة عمر بن عبد العزيز .

وذكر أبو عثمان أيضا أن هشام بن عبد الملك لما حج خطب بالموسم ، فقام إليه إنسان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب ، فقال : اكفف ، فما لهذا جئنا . وذكر المبرد في ، ، الكامل ، ، أن خالد بن عبد الله القسرى لما كان أمير العراق في خلافة هشام ، كان يلعن عليا عليه السلام على المنبر ، فيقول : اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، صهر رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته ، وأبا الحسن والحسين ! ثم يقبل على الناس ، فيقول هل كنيت !

وروى أبو عثمان أيضا أن قوما من بنى أمية قالوا لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، إنك قد بلغت ما أملت ، فلو كففت عن لعن هذا الرجل ! فقال : لا والله حتى يربو عليه الصغير ، ويهرم عليه الكبير ، ولا يذكر له ذاكر فضلا !». [١]

(٢ / ط - ٥٧) **توجيهات القائد:**

فأمّا السّبُ فَسُبُّونِي [٢]**؛ فَإِنَّهُ لِي زَكاةٌ** [٣] **ولَكُمْ نَجاةٌ** [٤]**، وأمّا البَرَاءةُ فَلاَتَتَبَرءوا منّي؛ فإني وُلِدْتُ عَلَى الفِطْرَةِ** [٥]**، وسَبَقْتُ إلى الإيمانِ وَالْهِجْرَةِ.**

والقائد الساهر على مصلحة الاسلام والمسلمين لا تنحصر توجيهاته في حياته الخاصة، بل يسدي توجيهاته باتخاذ مواقف مبدئية حتى لما بعد وفاته، ومن هذه التوجيهات: ان من يامر بالسب فليقم بذلك من دون تحرج؛ لان العدوّ يريد بهذه الاوامر التعسفية ان يحرف الهدف من الحروب الاسلامية العقائدية الى حروب شخصية قبليّة، وليس السباب من الاسلام في شيئ، وانما هو حرفة العاجز، وهذا بخلاف (البراءة) فانها تعني البراءة عن المبادئ الاسلامية التي يجب ان يعتبر بها كل مسلم، واشار منها الى امرين تكون البراءة منها سلباً للهوية الاسلامية، وهما:

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٤ : ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) في ه. أ: اباح لهم سبّه عند الاكراه؛ لأنّ الله تعالىٰ قد أباح التلفّظ بكلمة الكفر عند الإكراه.

(٣) في ه. أ: اي زيادة في الحسنات أوفي الشرف، فإنّ الله تعالىٰ جعل الاسباب التي حاول أعداءه بها الغض منه سبباً لانتشار صيته في مشارق الارض ومغاربها.

(٤) في ه. أ: من القتل.

(٥) في ه. أ: اي خلقت في أوّل حالي على الايمان والهدىٰ، وذلك لأنّه تعالىٰ اعطىٰ الانسان في اول الفطرة، فلولم يعرض الضلال من خارج لكان مقتضاه معرفة الخالق وتوحيده ولزوم سبيل الهدىٰ.

اولاً: العقيدة وهي (الفطرة) الاسلامية التي ولد عليها.
ثانياً: التاريخ، وهو السبق الى (الايمان) بالله و (الهجرة) في سبيل الله.
فان كل من العقيدة والتاريخ الاسلامي يحددان الهوية الاسلامية.

[الخطبة ٥٨]

ومن كلام له عليه السلام[1] كلّم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة وتنادوا: ان لا حكم إلّا لله

تتضمن الكلمات ٥٨ و٥٩ و٦٠ و٦١ ما يخص الخوارج وموقف الامام منهم، وهي مشروحة في كتب التاريخ، ومما قال أبو الحسن المسعودي (ت / ٣٤٦١ ه) في «مروج الذهب» تحت عنوان «اجتماع الخوارج ومسير علي اليهم»، مالفظه: «واجتمعت الخوارج في أربعة آلاف، فبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي، ولحقوا بالمدائن، وقتلوا عبد الله بن خباب عامل علي عليها: ذبحوه ذبحاً، وبقروا بطن امرأته وكانت حاملا، وقتلوا غيرها من النساء، وقد كان علي انفصل عن الكوفة في خمسة وثلاثين ألفاً، وأتاه من البصرة، من قبل ابن عباس ـ وكان عامله عليها ـ عشرة آلاف، فيهم الأحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدي، وذلك في سنة ثمان وثلاثين، فنزل علي الأنبار، والتأمت اليه العساكر، فخطب الناس وحرّضهم على الجهاد، وقال: سيروا الى قتلة المهاجرين والأنصار قدماً، فانهم طالما سعوا في اطفاء نور الله، وحرضوا على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه، إلّا ان رسول الله امرني بقتال القاسطين، وهم هؤلاء الذين سرنا اليهم، والناكثين وهم هؤلاء الذين فرغنا منهم، والمارقين ولم نلقهم بعد، فسيروا الى القاسطين، فهم أهم علينا من الخوارج، سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين يتخذهم الناس ارباباً ويتخذون عباد الله خولا وما لهم دولاً، فأبوا إلّا ان يبدأوا بالخوارج، فسار علي اليهم، حتى أتى النهروان، فبعث اليهم بالحارث بن مرّة العبدي رسولا يدعوهمالرجوع، فقتلوه، وبعثوا الى علي: إن تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك، وإن أبيت فاعتزلنا حتى نختار لأنفسنا إماماً فإنا منك براء، فبعث اليهم علي: أن ابعثوا اليَّ بقتلة اخواني فأقتلهم ثم أُتارككم الى أن أفرغ من قتال اهل المغرب، ولعل الله يقلب قلوبكم،

---

(١) هذا الكلام لاميرالمؤمنين عليه السلام وما يتعلق به من شرح، لم يكن في نسخة ص ، والموجود في آخر الورقة ٧٢/ ب مايلي : فقال دغفل: صادف درء السيل . بينما تبدأ الصفحة ٧٣/ أ بقوله: وقال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج ... الىٰ اخره ، وهو اول الكلام رقم ٥٨ من نهج البلاغة.

ونحن اثبتنا هذه الخطبة من نسختي أ و ب ، مع الاشارة الىٰ ما ورد في هامش النسخة أ ، فان نسخة ب قد حصل فيها سقط ورقة واستكبتت من نسخة اخرىٰ كما ألمحنا الىٰ ذلك انفا.

فبعثوا اليه: كلنا قتلة اصحابك، وكلنا مستحلّ لدمائهم، مشتركون في قتلهم، وأخبره الرسول ـ وكان من يهود السواد ـ ان القوم قد عبروا نهر طبرستان وهذا النهر عليه قنطرة، تعرف بقنطرة طبرستان، بين حلوان وبغداد، من بلاد خراسان، فقال علي: والله ما عبروه ولا يقطعونه، حتى نقتلهم بالرميلة دونه، ثم تواترت عليه الأخبار بقطعهم لهذا النهر، وعبورهم هذا الجسر، وهو يأبى ذلك، ويحلف انهم لم يعبروه، وأن مصارعهم دونه. ثم قال: سيروا الى القوم، فو الله لا يفلت منهم إلّا عشرة، ولا يقتل منكم عشرة، فسار علي، فأشرف عليهم، وقد عسكروا بالموضع المعروف بالرميلة على حسب ما قال لأصحابه.

الىٰ أن قال: فتصافّ القوم، ووقف عليهم بنفسه، فدعاهم الى الرجوع والتوبة، فأبوا ورموا أصحابه، فقيل له: قد رمونا، فقال: كفوا، فكرروا القول عليه ثلاثاً، وهو يأمرهم بالكف، حتى أتى برجل قتيل متشحط بدمه، فقال علي: الله اكبر، الآن حل قتالهم، احملوا على القوم،... الىٰ آخر كلامه»[١]

(١/ ط - ٥٨) موقف القائد:

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ[٢]، وَلابَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ. أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ[٣]، وجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ! لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وماَ أَنَاَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ، فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ[٤]، وارجِعُوا عَلَى أَثَرِ الأَعْقَابِ.

أَماَ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاّ شاَمِلاً، وسَيْفاً قاَطِعاً، وأَثَرَةً[٥] يَتَّخِذُهاَ الظّاَلِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

ويتضمن هذا المقطع مواقف ثلاث للامام القائد تجاه الفرقة المنشقّة من اصحابه:

اولاً: الدعاء عليهم، فان اصل النقمة على الامام كان قبوله التحكيم، وكما هو مشروح في التاريخ بتفصيل، وكان هؤلاء هم الذين فرضوا على الامام قبول التحكيم ورفضوا استمرار الحرب، فهم المسؤلون في ذلك من البداية، فان فرض قبول التحكيم في البداية ثم رفضها في النهاية تناقض في المواقف منهم، فهم على هذا التناقض في الامور المصيرية يستحقون الدعاء عليهم باعتبارهم عنصر الخلاف في كل الحالات، ونص

---

(١) مروج الذهب ١: ٤٠١ ـ ٤٠٥، ط / داغر.

(٢) في هـ . أ: الحاصب: الريح الشديدة التي تثير الحصباء.

(٣) في هـ . أ: واما قوله: أبعد إيماني؛ فلانّه يقال: ان الخوارج زعموا انه كفر بسبب التحكيم، فقالوا له: اشهد علىٰ نفسك بالكفر وأسلم حتىٰ نبايعك، فأجابهم بهذا. وهم كانوا اصحابه في الجمل وصفين قبل التحكيم، وقد استجيب دعاءهُ عليهم؛ فانهم لقوا بعده الذل الشامل والسيف القاطع، وما زالت حالتهم تضمحلّ حتىٰ أفناهم الله تعالىٰ.

(٤) اي انقلبوا شر منقلب.

(٥) في هـ . أ: اثرة. يريد ـ هنا ـ الاستبداد بالفيء والمغنم واطّراح جانبهم.

الدعاء عليهم هو بما يلي:

١ ـ (أصابة الحاصب) وهو الريح الشديدة القوية التي تصطحب الحصى والرمال، وتهلك المصاب بها.

٢ ـ (لابقي منكم آبر) لان الوجود المعاكس في كل حالة من الحالات يكون عائقا عن تحقق الاهداف المشروعة.

٣ ـ (الأوب شرّ مآب) فان الأوب أي المصير لمثل هذا الوجود هو شر مصير ومنقلب.

٤ ـ (الرجوع على إثر الاعقاب) والعقب: مؤخر القدم، والرجوع إلىٰ الوراء تأخر عن الاهداف، والانسان المسلم في حياته يجب ان يتقدم نحو الامام، لا أن يرجع الى الوراء، وهؤلاء لمخالفتهم القيادة العسكرية عن علم وعمد لا يستحقون إلّا التأخّر في الحياة بدل التقدّم نحو الامام، فلا يكون لهم مستقبلاً قيادياً.

ثانياً: رفض مطلب الخوارج حيث قالوا: (ان تبت من حكومتك وشهدت على نفسك بالكفر بايعناك) وهذا المطلب نص علىٰ نقاط ثلاث، هي: التوبة والشهادة على النفس بالكفر، والبيعة بعد ذلك.

وهذه النقاط متناقضة بعضها لبعض، فان التوبة انما تكون في المعاصي دون العقائد، وبعد ان يقوم القائد بدوره المسؤول حسب الظروف لا يكون عاصيا حتى يتوب.

وأمّا الكفر فهو ينافي الايمان، والماضي المعروف من شخصية القائد هو الايمان بالله والجهاد مع رسول الله في كل المواقف والمشاهد، فكيف يتحقق مع ذلك كله الكفر؟

وأما البيعة، فالمفروض انها تحققت من الخوارج من قبل، والبيعة في عنقهم ثابتة لا يجوز نقضها بسبب شبهة طارئة، فلا محيص لهم سوى عرض الشبهة لحلها، لا نقض البيعة من اجلها.

روى الطبرى انهم وجهوا النداء على القائد بما نصّه:

«يا علي اجب إلى كتاب الله عزوجل اذا ادعيت اليه، وإلاّ ندفعك برمّتك الى القوم، أو نفعل كما فعلنا بابن عفّان»(١)

وفي هذا النص اشارة الى ان للخوارج دور من قبل في خلافة عثمان، وانما اعلنوا نواياهم في خلافة علي، و في مناسبة الصلح بالذات، حيث تبنّوا مبدأ الحكم بالكفر على مرتكب الكبيرة، وبالنتيجة الحكم على استحلال دم الكافر واستملاك امواله غنيمة.

وقد وجد الامام القائد عليه السلام بان المبدأ المعلن هو اساس لاشعال الفتن، سواء قَبِل مطلب

---

(١) تاريخ الطبرى ١: ٣٣٣٠.

الخوارج ام لا، فان المبدأ متناقض؛ للتضاد بين التوبة والكفر، فان التوبة تستلزم المعصية، والمفروض ان الموقف لم يكن معصية اساساً، فلا حاجة الى التوبة. ثم كيف يضاف الى التوبة الشهادة بالكفر؟ ولو شهد به لأمكن القول بان الشهادة اقرار، وذلك يكفي في قتل الكافر، وكيف يبايع من أقر على نفسه بالكفر.

ثم إنّ وعدهم بالبيعة بعد الاقرار بالمعصية والكفر ليس بافضل من بيعتهم من قبل، فاذا هم نقضوا البيعة بما ادعوه من الشبهة فكيف يطمئن بانهم لا ينقضوا الوعد الذي هو أهون من البيعة المعقودة من قبل؟ وكل ذلك يكشف عن تخطيط مسبق من الخوارج لبثّ التفرقة في صفوف الجيش الاسلامي فيجب ان يواجه العدوّ بالوحدة والقوة.

الثالث: التنبؤ بمستقبل الفرقة المنشقة كما هو شأن كل فرقة منشقة من السواد الاعظم، بأنها سوف تصبح اقلية، والاقلية هي مطمع للانتهازيين الذين يتبعون سياسة «فرّق تسد» ويستخدمون الاقليات لضرب بعضها بالبعض، والهاؤهم عن التركيز على بناء المستقبل كما هو مسطور في التاريخ بأحرف من دم، وقد أشار الامام القائد الى نقاط ثلاث منها هي:

١ ـ الذل الشامل؛ لان الاقلية تقع فريسة للقوى المترابطة باستخدامها لمصالحها.

٢ ـ السيف القاطع؛ لان القوة الغالبة سوف لا ترحم الاقلية، ولا تحكمها إلّا بالقوة والحديد والنار.

٣ ـ وأثرة، وهي الحكم بالاستبداد، حيث تفرض القوة الغالبة ارادتها على الاقلية التي ليست منها، على رغم ارادتها لتحقيق مصالحها حتى يصبح ذلك قانونا طبيعيا للحكام الظالمين، والتاريخ يشهد بهذه الصفات لكل فرقة منشقة من القيادة في حياتها السياسية والاجتماعية.

الروايات الثلاث:

قال الرضيرحمه الله[(١)]: قوله عليه السلام: «وَلاَ بَقِي مِنْكُمْ آبرٌ»، يُرْوَى عَلى ثلاثةِ أوجهٍ:

أحدُها: أن يكونَ كما ذَكَرْناهُ: «آبِرٌ» بالرّاء، من قولهمْ: رَجُلٌ آبِرٌ، للذي يَأْبُرُ النَخْل، أي يُصْلِحُهُ.

ويُرْوَى: «آثِرٌ» بالثّاء، بثلاثِ نقطٍ، يُرَاد به: الذي يَأثِرُ الحدِيثَ، أي يروِيه ويحكيه، وهو أصحُّ الوُجُوه عنْدِي، كأنهُ عليه السلام قال: لابِقِيَ منكم مُخْبِرٌ.

ويَرْوَى: «آبِزٌ» بالزّاي المعجمة، وهو الوَاثِب، والهاَلِكُ ـ أيضاً ـ يُقاَلُ له: آبِزٌ.

(١) لم ترد «قال الرضى رحمه الله» في أ وب ود.

قال الجلالي: والروايات الثلاث لاتنافي وحدة المصدر.

والاول: (آبر) بالباء الموحدة ثم الراء المهملة من التأبير، بمعنى الاصلاح.

والثاني: (آثر) بالثاء المثلثة ثم الراء المهملة، من الاثر معنى الخبر.

والثالث: (الآبز) بالباء الموحدة ثم الراء المهملة، بمعنى الهلاك.

فان الخلاف في الروايات يكشف عن ان المصدر فيها كتاب واحد، وليس رواية مسموعة شفهية؛ وان الاختلاف حصل من الكتابة بالخط الكوفي العاري من النقط، ومنت أجل ذلك حصل الخلاف، وقد اختارا الرضي الاوسط؛ لانه أوفق بالمعنى الذي يبقى عبرة. علىٰ مدى التاريخ.

[الخطبة ٥٩]

وقال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج

وقيل له: إن القوم قد عبروا جسر النهروان:

(١/ط - ٥٩) اخبارالامام:

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ(١)؛ وَٱللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ.

قال الرضيّ رحمه ٱلله(٢): يَعْني بالنُّطْفَةِ ماء النَّهْر، وهِي أفْصَح كناية عنِ الماءِ وإنْ كَانَ كَثِيراً جَمًّا، وَقَدْ أشرنا إلى ذلِكَ فيما تَقَدَّم عِندَ مُضِيٍّ ما أشبَهَه(٣).

قال في الشارح ابن أبي الحديد:«هذا الخبر من الاخبار التي تكاد تكون متواترة ، لاشتهاره ونقل الناس كافة له ، وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب . والاخبار على قسمين : أحدهما : الاخبار المجملة ، ولا إعجاز فيها ، نحو أن يقول الرجل لاصحابه : إنكم ستنصرون على هذه الفئة التي تلقونها غدا ، فان نصر جعل ذلك حجه له عند اصحابه ، وسماها معجزة ، وإن لم ينصر ، قال لهم: تغيرت نياتكم وشككتم في قولي ، فمنعكم الله نصره ، ونحو ذلك من القول ، ولانه قد جرت العادة أن الملوك والرؤساء يعدون أصحابهم بالظفر والنصر ، ويمنونهم الدول ، فلا يدل وقوع ما يقع من ذلك على إخبار عن غيب يتضمن إعجازا . والقسم الثاني : في الاخبار المفصلة عن الغيوب ، مثل هذا الخبر ، فإنه لا يحتمل التلبيس ، لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج ، ووقوع الامر بعد الحرب بموجبه ، من غير زيادة ولا نقصان ، وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله من جهه الله سبحانه . والقوه البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا ، ولقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره».(٤)

وقال ابراهيم الثقفي (ت / ٣٢٠ ـ ح) في محاسن الصدق ما لفظه: «ومنهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال يوم النّهروان لأصحابه: شدّوا عليهم، فوالله لا يقتُلون عشرة، ولا ينجو منهم عشرة. فشدّوا عليهم، فو الله ماقتل من أصحابه تمام عشرة، ولا نجا منهم تمام

---

(١) في هامش الف: هذا خبر من الأخبار التي يكاد يكون من متواتراً؛ لاشتهاره وهو من معجزاته عليه السلام، فإنّ الأمر جرىٰ كما أخبر من غير زيادة ولا نقصان، وهو من باب الإخبار بالمغيبات، وقد اتفق له مثل [ذلك] كثير، وقد ذكر في كتب الملاحم.

(٢) لم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أ و ب و ص و د .

(٣) الخطبة رقم [٤٨] .

(٤) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٥ : ٣.

عشرة. ثم قال: اطلبوا ذا الثّديّة، فطلبوه، فقالوا: لم نجده، فقال: والله ما كذبت قطّ، ولا كذّبت، والله لقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنّه يقتل مع شرّ جيلٍ، يقتلهم خير جيل. ثم دعا ببغلة رسول الله ﷺ فركبها، فسار حتى وقفت على قليب فيه قتلى، فقال: اقلبوا القتلى، واطلبوه بينهم، فإذا هو سابع سبعة، فلمّا أخرجه قال: الله أكبر!، لولا أن تنكلوا فتتركوا العمل، لأخبرتكم بما جعل الله جلّ وعزّ لمن قتلهم على لسان نبيّه ﷺ».(١)

ولابد وان ينتهي القرار ـ بعد الشورى ـ الى القائد الساهر علىٰ مصلحة الاسلام والمسلمين، واذا لم يبتني الحكم على الشورى أو لاينتهي القرار الأخير إلى القائد، لابد وان ينتهي الى الاستبداد في الحكم. فالمعارضة السياسية النظرية أمر ضروري لاستمرارية الشورى والمشاركة العملية في القرارات السياسية كخيارات معروضة للقائد حتى يتخد القرار الأخير.

وليس الحال كذلك في المعارضة العسكرية المسلحة التي لا تتمتع بمساندة الأغلبية والتي لا تقوم على اساس الشورى كما كانت الحال في معارضة الخوارج، فهم في العدد كانوا اربعة الاف، كما في رواية المسعودي المتقدمة (الخطبة ٥٨)، وكان مجموع الجيش بقيادة الامام علي (٤٥/٠٠٠ الفاً): خمسة وثلاثين الفاً من الكوفة وعشرة آلاف من البصرة، حين حرب النهروان عام ٢٨ للهجرة، بينما الفئة التي تزعمها الخوارج كانت لا تقاس بالاغلبية الساحقة، وبعد فشل المفاوضات بين هذه المجموعة وبين القائد بواسطة الرسول الذي (كان من يهود السواد) كما في رواية المسعودي (الخطبة ٥٨) اتخذ القائد قراره الاخير بالقضاء على التمرّد العسكري.

ويلاحظ في تاريخ هذه المجموعة أمران، الاول: انها لم تستخدم رسولا مسلماً، بل يهوديا من السواد أي العراق. الثاني: ان هذا الرسول اليهودي كان يحرّف الاخبار إمّا عمداً أو عن رسالة يبلغها بقوله: (ان القوم قد عبروا نهر طبرستان) فقال علي: (و الله ما عبروه ولا يقطعونه حتى نقتلهم بالرميلة دونه) فعليّ كقائد للجيش الاسلامى احترم الثوابت الاسلامية من الاستماع الى الرسول مهما كانت ديانته من ناحية، وعدم الاذعان بما يقوله من الاخبار من جهة اخرىٰ، مما يكشف عن اعتماده على متابعته الخاصة للأخبار.

---

(١) المحاسن والمساوئ ٢: ٩٩، ط / القاهرة ١٣٨٠ هـ.

[الخطبة ٦٠]

وقال عليه السلام في الخوارج

وقال عليه السلام لما قتل الخوارج فقيل له: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم[(١)]:

(١/ط-٦٠) تنبؤ القائد:

كَلاَّ ـ وَاللهِ[(٢)] ـ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجالِ، وَقَرَارَاتِ[(٣)] النِّسَاء، وكُلَّمَا نَجَمَ[(٤)] مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ[(٥)].

اقسام المعارضة:

ويشير الامام القائد في هذا المقطع الى وجود المعارضة للحكم القائم في كل زمان ومكان، فان الحكم ـ أيّ حكم كان ـ لابد وان يتعارض مع مصالح طائفة من المحكوم عليهم، فان للعدالة اعداءها، كما أنّ للظلم اعوانه، والفرق هو العدد، ولا يستقر الحكم ـ أي حكم كان ـ إلاّ بمساندة الاغلبية من المحكوم عليهم، اذا كان الحكم بالشورى، وأما إذا كان الحكم للاقلية على الاكثرية من دون شورى فلا يكون إلّا بالحديد والنار والاستبداد.

والمعارضة المخلصة تكتفى بابداء النصح والارشاد في موارد الانحراف في السلوك السياسى، وتمتنع عن المعارضة المسلحة اذا لم يتوفر شرائطها، واهمها مساندة الاكثرية بالشورى.

مصير المعارضة:

واشار عليه السلام الى أن المعارضة بكلي قسميها ـ المسالمة والمسلحة ـ أمر متوقع لأيّ حكم قائم، ولما قيل له بالقضاء على دور الخوارج في النهروان عام ٣٨ علّق على النبأ بقوله: (كلا) مشيراً الىٰ أن أيّ حكم لا يخلو من معارضة حقة أو باطلة، وحيث ان مورد الكلام

---

(١) في الف: وقال لما قتلهم فقيل هلك القوم باجمعهم.

(٢) في الأصل: فقال كلا.

(٣) في هامش الأصل: جمع قرارة وهي مجتمع الماء، وهذه كناية لطيفة عن الارحام، وهي هامش الف: كناية لطيفة عن الارحام، ومن الكنايات اللطيفة الجارية هذا المجرىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أو لامَسْتُمُ النِّساءَ﴾ يعني الجماع، وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يسقين ماءه زرع غيره» أراد النهي عن نكاح الحامل.

(٤) في هامش الأصل: أي ظهر.

(٥) أي ينتهي أمرهم إلىٰ ان يكونوا لصوصاً سلابين، لا يقومون بملك، ولا ينتصرون لمذهب، ولا يدعون إلىٰ عقيدة، شأنهم شأن الاشّرار الجهلة وقطّاع الطرق.

هو معارضة الخوارج، اشار الى صفاتهم:

١ ـ (انهم نطف في اصلاب الرجال) فان الابناء يتوارثون افكار الآباء، ومنهم وراثة الاحقاد.

٢ ـ (وقرارات النساء) لانهم المدرسة الاولى لتربية النشء الجديد وتهيئة الجيل للمستقبل.

٣ ـ (كلما نجم منهم قرن قطع) لانها قوة مسلّحة ضد الاكثرية، ولا تنجح اية قوة ضد الاكثرية حتى تنسى الاكثرية مبادئها طوعاً أو كرها، ولم يكن الامر كذلك بالنسبة الى الخوارج.

٤ ـ (حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين) فان الجبهة المسلحة القليلة ضد الاكثرية تتبنى مبادئ تراثها حين التسلح ـ وهي غلبا مبادئ عادلة في نظرها ـ وعلى طول الزمن تفتقر الجبهة الىٰ اسلحة وعدّة اقوى، وحيث ان المفروض ان الاكثرية لا تساندها، والجبهة تفتقر لتامين حوائجها بأية صورة، فلا يكون لها حل سوى تأمين الآلات العسكرية باية طريقة تمكنت منها، حتى ولو بالسرقة والسلب، فالجبهة في بدايتها تتحرك على أساس نظري ـ قد يكون مبرراً في نظرها ـ ولكنها لابد وان تنحرف عن تلك النظريات، وتستخدم ما يناقض تلك النظريات في النهاية، والله العاصم.

[الخطبة ٦١]

وقال عليه السلام في الخوارج

لاَ تقاتِلوُا[١] ٱلخَوَارِجَ بَعْدي؛ فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ ٱلحقَّ فَأَخْطَأَهُ[٢]؛ كَمَنْ طلبَ ٱلبَاطِلَ فَأَدْرَكهُ.

قال الرضيّ رحمه ٱلله[٣]: يَعْني معاويةَ وأصحابه.

(١/ط - ٦١) عقاب الخوارج:

يتضمّن هذا المقطع عقاب المقاومة المسلحة الغير مشروعة، فالخوارج في عهد الامام علي عليه السلام سلكوا هذا المسلك باختيارهم ـ مهما كانت الاسباب ـ والقائد المسؤول عن مصلحة الامة الاسلامية التي يقودها يجب ان يقوم بواجبه في الحد من هذا الانحراف بالوسائل الاسلامية المعروفة من الامر بالمعروف والمحاجة والمفاوضة على اساس الثوابت الاسلامية، وحيث ان القائد استنفذ هذه الوسائل، كان له الخيار الوحيد للحد من هذا الانحراف، وهو القضاء عليه بالقوة.

فالامام لم يحاربهم لاعتقادهم، فان الخوارج قد طلبوا الحق فأخطاوه والاعتقاد في نفسه لا يستوجب الحرب، ولكنه حاربهم بعد استخدامهم القوة المسلحة في وجه الحكم الشرعي القائم على الشورى، كما شرحتها كتب التاريخ، ومن موافقهم قتل عامل عليّ عليه السلام (ذبحوه ذبحاً) (و بقروا بطن امراته) ووقف عليهم بنفسه، فدعاهم الى الرجوع والتوبة، فأبوا ورموا أصحابه، فقال لاصحابه: (كفّوا)، فكرروا وهو يأمرهم بالكف حتى أُتي برجل قتيل متشحط بدمه. فقال علي عليه السلام: (الله اكبر) الآن حل قتالهم (راجع الخطبة: ٥٨).

وعليه، فان عقاب الخوارج كان مختصاً بالمتلبّسين بالجريمة، دون غيرهم ممن اعتقد نفس الاعتقاد، ولكن لم يتلبس بالجريمة جميعهم، فلكل مواطن مسلم حرية الرأي والعقيدة فيما لا يمس الثوابت الاساسية، وانما حاربهم الامام عليه السلام أجمع لمّا قالوا:« نحن كلنا قتلناهم) فحل له عليه السلام قتالهم.

وبالنتيجة: لا يجوز قتل الخوارج كطائفة لها آراؤها الخاصة، وان كانوا على خطأ؛ لانهم في اعتقاد انفسهم (طلبوا الحق) وان كانوا في الحقيقة (قد أخطاوه)، فيختلف حال

---

(١) في ط: لا تقتلوا، وفي هـ و د: لا تقاتلوا ـ ح .

(٢) في ب، وهامش الف: في نسخة: فاعطيه.

(٣) لم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أ و ب و ص و د .

الخوارج عن البغاة الذين عرفوا الحق والباطل في الحكم الاسلامي فاختاروا البـاطل، وهو الحكم الذي لا يقوم على الشورى، بل الاستبداد، واعلنوا البغي.

فهما يختلفان في الموضوع والحكم، فيجب محاربة البغاة ماداموا بغاةً، دون الخوارج.

[الخطبة ٦٢]

ومن كلام له عليه السلام لمّا خوّف من الغيلة(١)

(١/ط - ٦٢) **جريمة الاغتيال:**

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ ٱللهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي؛ فَحِينَئِذٍ لاَ يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلاَ يَبْرَأُ ٱلْكَلْمُ.

الغيلة: القتل بمخطط لا يشعر به المقتول ويفاجأ به، والقادة دائماً في تحسّب لها وخاصة في الحروب الاهلية، وكان ذلك متوقعاً في حرب صفين. كما كان متوقعاً بعد وقعة النهروان من الخوارج، باعتبارهم الفرقة المنشقة من اصحاب علي عليه السلام، وهم أعرف بالطرق المتيسرة للوصول إليه على غفلة، من اصحاب معاوية البعيدين عنه مكانا، فمن الطبيعي ان يتحذر اصحاب عليّ من ذلك.

وفي مثل هذه الظروف تظهر الشجاعة الحقيقية للقائد، والامام باعتباره القائد الاسلامي مؤمن بالقضاء والقدر، يؤكد على أنّ الموت مصير محتّم لكل انسان، ويجب ان لا يخاف الانسان من الاغتيال ان كان على طريق الصواب ويؤدّي واجبه الاسلامي كما هو المطلوب، فان الذي يجب للانسان انما هو أن يؤدي الانسان دوره الانساني في الحياة، وان لا ينشغل بالمخاوف، وانه لا حافظ سوى الله سبحانه، فإنّ ارادة الله (جُنَّة) وهي الدرع الذي يستر الانسان من العدوّ، وهذه الجُنّة (حصينة) إذا ما اراد الله سبحانه، فإذا جاء يوم الموت الذي لا مفرمنه لأي انسان، لم تكن الجنّة حصينة، وسوف تسلم الانسان الى القضاء الالٰهي، فان كل شئ يرجع إلى إرادة الله سبحانه.

فان مع القضاء الالٰهي (لا يطيش السهم) ولا ينحرف عن الهدف، بل يصيب الهدف ويؤدي دوره، ومع القضاء الالٰهي (لا يبرأ الكلم) والكلم: الجرح، فبعد ان يصيب السهم، وينزف الدم على اثر الكلم لا برء إلاّ اذا اراداللهُ سبحانه ذلك، لانه الزمن المقدر للموت، وعلى العكس اذا لم يكن الوقت وقت الموت فانه سوف يطيش السهم ويبراء الكلم، سواءً تحذّر الانسان أم لم يتحذّر. وليس في الكلام منع من التحذر، بل هناك دلالة واضحة علىٰ ان التحذّر انما ينبع من الخوف من الموت، والانسان الشجاع لا يخاف من الموت في سبيل اداء الدور الاسلامي المطلوب منه.

---

(١) في هامش الف: أي القتل علىٰ غير علم.

[الخطبة ٦٣]

ومن خطبة له عليه السلام

أَلاَ إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا(١)، وَلاَ يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا، ٱبْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً(٢)، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ(٣) وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ، وَأَقَامُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي العُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ(٤)، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتى قَلَص، وَزَائِداً حَتى نَقَص.

(ط ـ ٦٣ / ١) صفات الدنيا:

يستعرض هذا المقطع صفات الدنيا والتنبيه عليها في وقت يغفل عنها عادة، كمواسم العيدين، وذكر منها:

١ ـ (ان الدّنيا دار لا يسلم منها الاّ فيها) قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «لا يسلم من عقاب ذنوبها إلاّ فيها، وهذا حق؛ لأنّ العقاب المستحق انما يسقط بأحد أمرين: إما الثواب على طاعات تفضل على ذلك العقاب المستحق، أو بتوبة كاملة الشروط، وكلا الامرين لا يصح من المكلفين إلاّ في الدنيا؛ فإنّ الآخرة ليست دار تكليف».(٥)

٢ ـ (لا يُنجى بشيء كان لها) خالصة، فما من عمل يقصد به الدنيا وحدها لا يكون فيه النجاة في الاخرة، وعلى العكس لو كان العمل بشئ فيها لا يقصد به الدنيا، بل يتخذ وسيلة للآخرة، ففي ذلك يكون النجاة.

---

(١) في هامش الف: تقدير الكلام ان الدنيا لا تسلم من عقاب ذنوبها إلّا فيها؛ لأن عقابها يسقط بأحد الامرين، اما بثواب علىٰ طاعات تفضل علىٰ ذلك العقاب المستحق، أو توبة كاملة الشروط، وكلا الأمرين لا يصح إيقاعه إلّا في الدنيا؛ فإنّ الآخرة ليست دار التكليف ليصح من الانسان فيها عمل طاعة «ولا ينجىٰ بشيء كان لها»، معناه: إنّ أفعال التكليف التي يفعلها لاغراضه الدنيوية ليست طريقاً إلىٰ نجاة الآخرة، ولكن بافعال البر التي يقصد بها وجه الله تعالىٰ، وقد أوضح ذلك بقوله: «ما اخذوه» إلىٰ قوله: «واقاموا فيه» فمثال الاول: من يكسب الاموال ويدّخرها بالملاذّ، ومثال الثاني: من ينفقها في سبيل الله.

(٢) في هامش ب: الناس في الدنيا [في] فتنة؛ أي امتحاناً وتكليفاً، وهذا الكلام مقطوع بما قال: ولا ينجىٰ بشيء كان لها ولزينتها.

(٣) وفي هامش ب: أي فما أخذوها من هذه الدنيا لأجل الدنيا وزينتها ولذاتها، اُخرجوا منه وتركوه في الدنيا وحوسبوا عليه.

(٤) في هامش الف: لأنّ العرب تضيف الشيء إلىٰ نفسه، والظلّ أعم من الفيء؛ لأنّ الفيء لا يكون إلّا بعد الزوال وكل فيء ظل وليس كلّ ظلّ فيء.

(٥) شرح نهج البلاغة ٥: ١٤١.

٣ ـ (ابتلي النّاس بها فتنة) كان الدنيا دار امتحان وفترة الامتحان ليس فيها هدف سواه.

٤ ـ ونتيجة هذا الامتحان إنّ ما (أخذوه منها لها) مما عمله من الدنيا لاجل الحياة الدنيا فقط (أخرجوا منه) بالموت (وحوسبوا عليه) فإن في حلالها حساب وفي حرامها عقاب.

٥ ـ (وما أخذوه منها لغيرها) من الأعمال الصالحة لأجل ثواب الآخرة (قدموا عليه) لأنّهم أرسلوها ذخراً قبل الموت، وبعد الموت قدموا على ما عملوا (وأقاموا فيه) لأن أعمال الآخرة خالدة.

٦ ـ فالدنيا (عند ذوي العقول) الذين ينظرون الى النتائج (كفيْ الظل) والفيْ: الظل بعد الزوال يمر بمرور الشمس في دورتها الطبيعية ويفنى في لحظات (تراه سابغاً) أي ممتداً (حتى قلص) اي انقبض وقصر حيث انه لا ثبات للفيْ، فتراه في لحظة (زائداً) وفي لحظة اخرى (ناقصا) وهكذا شأن الدنيا لاثبات لشيْ فيها من المادة والماديات والعناوين، كما يشهد بذلك التاريخ.

[الخطبة ٦٤]

ومن خطبة له عليه السلام في المبادرة الى صالح الأعمال

يتضمن هذا المقطع من الخطبة الدعوة الىٰ التقوى والاسباب الداعية الىٰ التقوى وصفات المتقى والدعاء

(١/ط - ٦٤) الدعوة الىٰ التقوى:

وَاتَّقُوا[١] ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ، وَبَادِرُوا[٢] آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَٱبْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ[٣]، وَتَرَحَّلُوا[٤] فَقَدْ جُدَّ[٥] بِكُمْ، وَٱسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ[٦]، وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا

قد استعرض الامام الدعوة الى التقوىٰ في نقاط:

١ ـ المبادرة بالعمل والبدار: العجلة (بادروا آجالكم بأعمالكم) أي سابقوها وعاجلوها.

٢ ـ (ابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم) فان افضل البيوع ما يعوض بالشئ الثابت.

٣ ـ الرحيل؛ فان سرعة زوال الساعات في الدنيا تدعوا الى الرحيل (وترحّلوا فقد جدّ بكم) وجد بمعنى حثَّ على الرحيل.

٤ ـ الاستعداد (واستعدّوا للموت فقد أظلّكم) أي قرب منكم كالظل.

٥ ـ الانتباه (وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا).

٦ ـ العلم (وعلموا أنّ الدّنيا ليست لهم بدار) يسقّرون بها (فاستبدلوا) الدار الفانية بالعمل الصالح الباقي.

وهذه النقاط تدعوا الى التقوى، أي وقاية الانسان من المهالك.

---

(١) في ط : فاتقوا، وفي ه. د: فاتقوا ـ ح ض ل .

(٢) في هامش الف: أي سابقوها وعاجلوها.

(٣) في هامش الف: أي ابتاعوا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية.

(٤) في ه. د: فترحلوا ـ م، وفي هامش ب: ارتحلوا وهيئوا الرحيل، فقد اجتهد بكم الجدّ والاجتهاد في الأمر.

(٥) وفي هامش الف: فقد جدّ بكم، أي حُثثتم علىٰ الرحيل.

(٦) في هامش الف: أي قرب منكم، وفي هامش ب: أي قرب منكم وعلا عليكم ظلّه، وفي هامش آخر: أي قرب منكم الموت.

(٢/ ط - ٦٤) أسباب التقوى:

فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ[١] لم يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً[٢]، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً[٣]، وَمَا بَيْن أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ ٱلْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا ٱلْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ[٤].

وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا ٱللَّحْظَةُ، وَتَهْدِمُهَا ٱلسَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقصَرِ ٱلْمُدَّة. وَإِنَّ غَائِباً[٥] يَحْدُوهُ ٱلْجديدَانِ، ٱللَّيلُ وَالنَّهَارُ، لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ ٱلْأَوْبَة. وَإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بالفَوْز أَوِ ٱلشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ[٦] العُدَّةِ.

وذكر في هذا المقطع من الاسباب التي تدعوا الى وقاية الانسان نفسه من المهالك:

١ ـ حكمة الخلق (فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا) بل خلق الانسان لأداء دوره الانساني في الحياة، كلٌّ حسب علمه وطاقته.

٢ ـ المسؤولية (ولم يترككم سدى) اي مهملين بدون مسؤولية؛ لان الانسان منعم بالعقل، دون سائر الحيوانات.

٣ ـ الموت، وهو مصير الناس اجمعين، وهو الباب الذي يتشعب منه الطريق اما الىٰ الجنة أو الىٰ النار، حسب الاعمال.

٤ ـ قصر المدة في الحياة في الدنيا مهما طالت، فهي قصيرة المدة؛ للعلم بفنائها لحظة فلحظة، فالغاية المضروبة للحياة تنقص في كل لحظة وكل ساعة يفكر الانسان فيها تهدمها.

٥ ـ سرعة الأوبة للغائب، أي الرجعة؛ فان الموت الذي هو غائب عن الأذهان راجع بسرعة يحدوه الجديدان، والحداء: السوق، والجديدان: الليل والنهار الذين يتجددان في كل يوم وليلة، فما هذا شأنه حريّ ـ أي جدير ـ بسرعة الرجوع.

٦ ـ الاستعداد للأمر المتوقع، سواءً كان خيراً أم شراً، فان (قادما يقدم بالفوز أو الشّقوة لمستحقّ لأفضل العدّة) لمواجهة الفوز الذي هو خير أو الشقوة التي هي شرّ.

وهذه الاسباب تدعوا الى وقاية الانسان نفسه من المهالك، وذلك بسلوك طريق التقوى.

---

(١) في ط و د زيادة : سبحانه.

(٢) في هامش ب: قوله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾.

(٣) في هامش الف و ب: سدىٰ، أي مهملين.

(٤) في هامش الف: بدل من قوله: «إلّا الموت».

(٥) في هامش الف: الغائب المشار إليه هو الموت، وفي هامش ب: غائباً، الغائب هو الموت، وكذلك القادم، وقيل: الغائب الصاحب، تديّنا لمكان ... خلق لغيرها فهو سريع الأوبة والرجوع.

(٦) في ب: بأفضل.

(٣/ط - ٦٤) **صفة المتقي:**

فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ[١] غَداً، فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ[٢] تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ؛ يُزَيِّنُ لَهُ ٱلْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُمَنِّيهِ[٣] التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حَتَّىٰ تَهْجَمَ[٤] مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا.

فَيَالَهَا حَسْرَةً[٥] عَلَى كُلِ[٦] ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى ٱلشِّقْوَةِ!

نَسْأَلُ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، وَلاَ تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلاَ كَآبَةٌ.

واشار الى صفات المتقين في الدنيا، ومنها:

١ ـ التزوّد في الدنيا بما يفتقر اليه الانسان في الحياة الدنيا من الدنيا، لكي يحرز نفسه في الآخرة.

٢ ـ التقوى من الله الرب الذي خلقه، فهو الجدير بالتقوى، دون المادة والماديات.

٣ ـ نصح النفس قبل ان يفكر في النصيحة للآخرين.

٤ ـ تقديم التوبة في الدنيا من دون تأخيرها في الدنيا، فكيف بتأخيرها الىٰ الاخرة؟.

٥ ـ غلبة الشهوة، فان الشهوات النفسية هي المزالق التي تهوي بالانسان الى الحضيض الخلقي والروحي، وحيث ان هذه النقطة الاخيرة اكثرها ابتلاءً ذكر اموراً يوجب على الانسان ان يغلب الشهوة، وهي:

اولاً: (ان أجله مستور عنه) فلا يعلم أحدٌ ان أجله متى يحل؟ وربما يكون عند استسلامه للشهوات.

ثانياً: (أمله خادع له) فمن انزلق مع الشهوات فانه ربما يعتمد على الامل، وهو خادع لا يغني عن الحقيقة شيئاً.

---

(١) في ب: نفوسكم.
(٢) هـ. د: قدم ـ ض ح .
(٣) في هامش الف: أي يعده ويحسّن له التسويف، وهو ان يقول لنفسه: سوف افعل، وفي هامش ب: يمنّيه التوبة: أي يجعل في امنيته انه يتوب بعد ذلك، والتسويف: ان يقول سوف أفعل.
(٤) في ط: إذا هجمت.
(٥) في هامش ب: أي ما أعظمها حسرة.
(٦) لم ترد «كلّ» في د.

ثالثاً: (الشيطان موكّل به) فلكل انسان شيطان (يزين له المعصية ليركبها) فتغلب الشهوة على الانسان (ويمنيه التوبة ليسوّفها) اي يؤخّرها، ويكون امله الخادع له، ولا يمنع شيئ من ذلك (اذا هجمت المنية) اي الموت.

رابعاً: (ان يكون عمره عليه حجّة) حيث ان له الفسحة في ايام الحياة من التوبة وعمل الصالحات، وكان باختياره ان يؤدي امامه الخيرات، وقد اختار (ان تؤدّيه أيّامه الى الشّقوة).

* * *

وختم المقطع بالدعاء بالوقاية من امور ثلاثة لا يمكن الوقاية منها بدون عناية من الله تعالىٰ، وهي:

١ ـ البطر عند النعمة، فان الطغيان في الحياة يظهر عند انعدام التقوى في الدنيا.

٢ ـ القصور في الطاعة، فانه يلازم طول الامل في التوبة في الدنيا.

٣ ـ الندامة والكآبة بعد الموت، وتكشفان عن غلبة الشهوة في الدنيا، أعاذنا الله منها جميعاً.

[الخطبة ٦٥]

ومن خطبة له عليه السلام

(ط - ٦٥/١) الصفات الالٰهية:

اَلْحَمْدُ للهِ[١] اَلَّذِي لَمْ يَسْبِقْ[٢] لَهُ حَالٌ حَالاً[٣]، فَيَكُونَ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً[٤]؛ كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ[٥]، وكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ، وكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرَهُ ضَعِيف، وكُلُّ مَالِكٍ غَيْرَهُ مَمْلُوكٌ، وكُلُّ عالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ، وكُلُّ قَادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ وَيَعْجَزُ، وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرَهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ ٱلأَصْوَاتِ؛ وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا؛ وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا، وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ ٱلْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ ٱلاجْسَامِ، وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرَهُ غَيْرُ بَاطِنٍ، وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ.

وفي هذا المقطع سرد لبعض الصفات الالٰهية الموجبة لحمده تعالى، منها:

١ ـ ٢ ـ الاول والاخر: (الذي لم تسبق له حال حالاً) لكونه ازلياً ومقتضى الحالية الزمان، وباعتبار الزمان الحال يتصور القبلية والبعدية، والذات المقدسة الازلية لم تسبق له الحال، فتكون الاولية والآخرية خارجة عن الأزلية، فانه تعالى أوّل وآخر في كل حال من دون سبق لأحد الوصفين حتى (يكون أولا قبل أن يكون آخرا) وكذلك الحال في صفتي الظهور والبطون، فهو تعالى باطن في ظهوره في كل حال من دون سبق احداهما حتى (يكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً)؛ فان صفات الاول والآخر والظاهر والباطن ذاتية أزلية فيه تعالىٰ.

٢ ـ الواحد: (كل مسمّى بالوحدة غيره قليل)، فان الواحد اقل عدد تتركب منه الأعداد المستمرة الى كثرة الاشياء، والذات الاحدية يوصف بالوحدة حيث أنه (وحدانية العدد)،

---

(١) لم ترد «الحمد لله» في ألف وب.

(٢) في د: لم تسبق، وفي هـ. د: لم يسبق ـ ح و ل.

(٣) في هامش ألف: معناه انه تعالى منزّه عن تغيّر الأحوال والصفات، وحين كان موصوفاً بالأوّليّة كان موصوفاً بالآخريّة؛ لأنّه كان موجوداً قبل كلّ موجود، ويكون موجوداً بعد عدم الأشياء كلّها.

(٤) في هامش ب: للظاهر بالأدلّة الدالّة عليه، والباطن لكونه غير مدرك بالحواس قد اُجـمعت له الأوّليّة والآخرية والظهور والخفاء، والباطن: الذي بطن كل شيء، أي: عَلِمَهُ.

(٥) في هامش ب: قوله: «قليل» هاهنا، مجاز غير حقيقة، يعني الذي يسمىٰ بالوحدانية هـو الله تعالىٰ.

ولكن من دون اشارة الى القلة أو الكثرة؛ لانهما من صفات الاجسام، والذات المقدسة منزّهة عن الجسمية.

٤ ـ العزيز (وكل عزيز غيره ذليل) فانّ العزة تـضادّ الذلة، المـلازمة للـحاجة، والله سبحانه غنيّ عن العالمين، وكل موصوف بالعزّة غيره تعالى يفتقر الى رحمته سبحانه، فهو ذليل امام قدرته العليا تعالى.

٥ ـ القوى (وكلّ قويّ غيره ضعيف) فالقوة والضعف صفتان متضادتان، وقوته تعالى مطلقة، فانه على كلّ شئ قدير.

٦ ـ المالك (وكلّ مالك غيره مملوك) لارادته تعالى؛ ومؤتمر بامره النافذ في الطبيعة كلها.

٧ ـ العالم (وكلّ عالم غيره متعلّم) لان صفة العلم فيه تعالى ذاتية، وفي غيره كسبية.

٨ ـ القادر (وكلّ قادر غيره يقدر ويعجز) فالقدرة والعجز صفتان متضادتان ينعت بها كل شئ ذي ارادة، وقدرته سبحانه مطلقة لا يحدّها شئ.

٩ ـ السميع (وكلّ سميع غيره يصمّ عن لطيف الأصوات، ويصمّه كبيرها، ويذهب عنه ما بعد منها) فان صفة السمع فيه تعالى غير محدودة بحدّ، واشار الى فوارق ثلاث:

اولاً: لطيف الاصوات التي لا تحس بحاسة السمع البشري، ولبعض الحيوانات حاسة سمعية أقوى من الانسان، ولا يسمع ألطف الاصوات إلّا اللطيف الخبير.

ثانياً: درجات النبرات، فأشد النبرات دقة يصم ويخرس عن الاضعف، وهو سبحانه غير محدود بها.

ثالثاً: الاصوات البعيدة، لا تحسّ بحاسة السمع و(تذهب مابعد) من الاصوات غـير محسوسة لحاسة السمع البشري والحيواني، وصفة السمع فيه تعالى غير مـحدود بـهذه المحسوسات.

١٠ ـ البصير (وكلّ بصير غيره يعمى عن خفيّ الألوان ولطـيف الاجسـام) والبـصر والعمى صفتان متضادّتان في الانسان، والباصرة محدودة، فلا تبصر ما خفي من الألوان ولا ما لطف من الاجسام، والله بصير بكل شئ مما دقّ وخفي ولطف وما لا يرى.

١١ ـ الظاهر (وكلّ ظاهر غيره باطن) فان الموجودات على كثرة لا يعرف حـقيقتها على ما هي عليها، والعلم يكتشف منها شيئاً فشيئاً باختلاف آثارها.

١٢ـ الباطن (وكلّ باطن غيره غير ظاهر) لانها جميعاً تـحس بـالحواس الخـمس، وبالمقادير المادية، دونه سبحانه، فهو على ظهوره للعقول خفيّ عن الحواس والعقول.

(٢ / ط - ٦٥) صفات الجلال:

لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ[١]، وَلا تَخَوُّفٍ[٢] منْ عَوَاقِبِ زَمَانٌ، ولا اسْتِعانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ[٣]، وَلا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ، ولا ضِدٍّ مُنَافِرٍ[٤]، ولَكِنْ خَلاَئِقُ مَرْبُوبُونَ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ[٥]، لَمْ يَحْلُلْ[٦] في الأَشْيَاءِ فَيُقَال: هُو فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَال: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ.

لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ، ولاَ تدْبِيرُ مَا ذَرَأَ ولاَ وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَق، وَلاَ وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيما قَضَى وَقَدَّرَ، بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ، وَعَلِمَ مُحْكَمٌ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ[٧]، اَلْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَم[٨]، المَرْهُوبُ مَعَ النِّعَم[٩].

واستعرض هذا المقطع الصفات التي تجلّ الذات المقدسة عنها، التي هي وليدة الفكر الانساني، الذي يقيس المجردات بالمقاييس المادية، واكثر هذه المقاييس المادية شيوعاً:

١ ـ الحاجة في الخلق (لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان) فان الخلق فيض الٰهي، ولا يمكن قياسه بالمقاييس المادية حيث يخلق الانسان ويؤسس ما يؤسس لحاجته المادية، واشار تباعاً الى بعض هذه المقاييس وأهمها: (تشديد السلطان) أي لغرض السلطة على من هو دونه، وما أبعد هذه المقاييس المادية من الفيض الالهي!!! والله سبحانه غنيّ عن العالمين.

٢ ـ الخوف (ولا تخوّف من عواقب زمان) فالانسان المادّي يؤسس ما يؤسّسه تخوّفاً من العواقب الطارئة عادة في الحياة، والله سبحانه بيده ملكوت كل شئ.

٣ ـ الاستعانة، ولا يستعين بغيره سوى العاجز، والله سبحانه على كل شئ قدير.

٤ ـ الندّ، وهو المثل (ولا استعانة على ندّ مثاور) والمثاور: المحارب، فان الانسان

---

(١) في هامش ب، وفي نسخة: لشديد لسلطان.
(٢) في هامش ب تخويف، وفي هـ. د: تخويف ـ م .
(٣) في هامش ب: المشاورة: المواثبة. قلت: والمواثب هو المحارب.
(٤) في هامش الف: المنازع نسباً، المنافر: المحاكم في الرفعة: نسباً، يقال: نافرته فغلبته وأثبتُّ رفعتي عليه.
(٥) في هامش الف: الدخور: المذلّة، وفي هامش ب: عاجزون وخاضعون.
(٦) في هامش ب: ذكرها هو تأكيد لجميع ما تقدم وقال: «لم يحلل ...» بين انه ليس بصفة الاجسام والاعراض.
(٧) المبرم: المحتوم، واصله من «أبرمت الحبل»: إذا فتلته.
(٨) في هامش ب: السحط .
(٩) في هامش ب، وفي نسخة: المأمول مع النعم والمرهوب مع النقم.

المادي هو الذي يستعين بالخلق بالتحالفات العسكرية ضد الحاكم المادي المخالف له.

٥ ـ الشريك (ولا شريك مكاثر) بالمثلثة، اي المفاخر بكثرة الاصحاب، وبالموحدة المتكبّر على شريكه، وتعالى الله من الشريك علوّاً كبيرا.

٦ ـ الضدّ (ولا ضدّ منافر) والضد: الخصم، والمنافر: المغالب، والله سبحانه أجلّ من هذه الصفات المادية البشرية، بل كل (الخلائق) الذين خلقهم سبحانه (مربوبون) مملوكون له سبحانه، فهم (عباد) الله سبحانه (داخرون) أي اذلاء لذاته المقدسة.

٧ ـ الحلول (لم يحلل في الاشياء، فيقال: هو كائن) لان وجود الذات المقدسة منزّه عن الجسمية، فلا يمكن فيها الحلول، فيقال له: (كائن) الناقصة، بل هو كائن بمعنى الموجود.

٨ ـ البعد (ولم ينأ عنها، فيقال: هو منها بائن) وفي نفس الوقت الذي غير حال في شئ حلول الجسم، فهو ليس بعيداً نائياً عنها حتىٰ يقال: إنه بائن بعيد، بل هو اقرب من الانسان من حبل الوريد.

٩ ـ التعب، (لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ) والأود: الثقل، وهو كناية عن التعب، وخلق الخلق على عظمته وتدبيره على دقته كان تحت قدرته الواسعة.

١٠ ـ العجز، (ولا وقف به عجزا عمّا خلق) فان قدرته التامة لا توقف فيها بسبب العجز في الخلق والتدبير.

١١ ـ الشبهة، (ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدّر) الولوج: الدخول، فليس من صفات الذات المقدسة الكاملة ورود شبهه فيما يقضي ويقدّر سبحانه، بل يقدر حسب الحكمة العليا في الخلق والتدبير.

فان الذات المقدسة اجل من الاتصاف بهذه الصفات المادية البشريّة؛ لانه الذات المجردة الكاملة. وبالنتيجة: فانه لا يصدر من الذات المقدسة التي هي الكمال المطلق إلاّ ما هو كامل، ومثّل عليه السلام بامور ثلاث، هي:

اولاً: (قضاء متقن).

ثانياً: (علم محكم).

ثالثاً: (أمر مبرم)، والابرام: الإحكام، وهذه الصفات الثلاث مترابطة في الكمال المطلق تعالى.

والله سبحانه باعتباره الكمال المطلق تجتمع فيه الصفات المتضادة، واهمها انه تعالى (المأمول مع النّقم) الصادرة من الخلق، وفي نفس الوقت: هو (المرهوب مع النّعم) النازلة بقضائه وعلمه وامره. فليس هناك أحد أحق بالعبادة من ذاته المقدسة.

[الخطبة ٦٦]

ومن كلام له عليه السلام كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين في تعليم الحرب والمقاتلة

والمشهور أنه قاله لأصحابه ليلة الهرير، أو أول اللقاء بصفين

وليلة الهرير هي ليلة الجمعة الاول من ذي الحجة عام ٣٦ هـ، في حرب صفين، وسميت بالهرير ـ وهو صوت الكلب ـ دون النباح؛ لكثرة اصوات ضرب السيوف في هذه الليلة، التي كادت ان تكون قاضية على معاوية وجيشه، فقد استمرت المعركة حتى الصباح، وعلى اثر هذه الليلة رفع جيش معاوية المصاحف؛ داعياً الى تحكيم القرآن، وأثّر ذلك في صفوف جيش الامام علي عليه السلام، فقالت طائفة: القتال حتى النصر، وقالت اخرى ـ عرفوا فيما بعد بالخوارج ـ: المحاكمة الى الكتاب. وانتهت بحادثة التحكيم، وقد ذكرت تفصيلها، في «موارد الاعتبار» مجلد عصر الخلافة، فراجع.

وقال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «ان هذا الكلام خطب به اميرالمؤمنين عليه السلام في اليوم الذي كانت عشيّته ليلة الهرير في كثير من الروايات، وفي رواية نصر بن مزاحم: انه خطب به في اول ايام اللقاء والحرب بصفين، وذلك في صفر سنة سبع وثلاثين».(١)

(١ / ط - ٦٦) **مواصفات الجندي المسلم:**

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ(٢)، وتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ(٣)، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ(٤)، فَإِنَّهُ أَنْبَى(٥) لِلسُّيُوفِ عَنِ الهَامِ. وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ(٦)، وَقَلْقِلُوا(٧) السُّيُوفَ فِي

---

(١) شرح نهج البلاغة ٥: ١٧٥.

(٢) في هامش الف: يعني اجعلوا خشية الله شعاركم وهو اللباس الداخل الذي يمس الجسد وما فوقه الدثار ومراده امرهم بمداومة الخشية من الله كما ان الجلد يلاصق الشعار، وفي هامش ب: اي اجعلوا خشية الله شعاركم، والشعار من الثياب دون الدثار، وهو على جلد الانسان، وفي هامش الأصل: اي اجعلوا الخوف من الله شعاركم، والشعار من الثياب ما يكون دون الدثار، وهو يلي الجسد، وهو الصق ثياب الجسد، وهذه استعارة حسنة.

(٣) في هامش الف: اي اجعلوها جلباباً لكم وفي هامش ب: أي اجعلوا الوقار والحلم جلباباً. وفي هامش الأصل: اي اجعلوا السكنية والحلم والوفاق جلباباً، والجلباب: الثوب المشتمل على البدن.

(٤) في هامش الف زيادة: ولكل انسان أربع نواجذ لكلّ شقٍ ناجذان والعض عليهما كناية عن الصبر. وفي هامش الأصل: جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس.

أَغْمَادِهَاقَبْل سَلِّهَا، وَٱلْحَظُوا الخزْرَ(٨)، وَٱطْعَنُوا الشَّزْرَ(٩)، وَنَافِحُوا(١٠) بِالظُّبَا(١١)، وَصِلُوا السيُوفَ بِالخُطَا(١٢).

وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ(١٣) بِعَيْنِ ٱللهِ(١٤)، وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ. فَعَاوِدُوا الكَرَّ، وَٱسْتَحْيُوا مِنَ الفَرِّ؛ فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ، وَنَارٌ يَوْمَ الحِسَابِ(١٥)، وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْساً(١٦)، وَٱمْشُوا إِلَى المَوتِ مَشْياً سُجُحاً(١٧)، وَعَلَيْكُمْ(١٨) بِهَذَا السَّوَادِ ٱلْأَعْظَمِ(١٩)، وَالرَّوَاقِ المُطَنَّبِ(٢٠)، فاضْرِبُوا ثَبَجَهُ(٢١)، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ(٢٢) كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ(٢٣)، وَقَدْ

---

(٥) في هامش الف أي أشد تجافياً وتباعداً، من قولهم :نبا السيف، إذا لم يقطع. وفي هامش الأصل: افعل من النبوّ، وهو الارتفاع.

(٦) في هامش الأصل: اللأمة هي جميع آلة الحرب. وفي هامش ب: الدرع.

(٧) في هامش الف: وقلقلوا: اي حركوها في اغمادها كيلا تنشب فيها عند سلّها.

(٨) في هامش الف: الخزر: النظر بمؤخر العين وفي هامش ب: الخزر: نظر المغضب،في هامش الأصل: الخزر هو ان ينظر بمؤخر العين، وهو نظر المغضب .

(٩) في هامشي أ و ص: الشزر: الطعن عن اليمين والشمال، وفي هامش ب: طعن يطعن، بالظم: بالسنان، وبالفتح: باللسان، والخزر والشزر صفتان للنظر.

(١٠) في هامش الف: أي اضربوهم بها. وفي هامش ب: اضربوهم بها في المكافحة، وفي هامش أ و ص المنافحة: المدافعة عند الاختلاط بحد السيف.

(١١) في هامش ب: حدّ السيف.

(١٢) في هامش الف: وصلوا السيوف بالخطى، مثل قوله:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها   خطانا إلىٰ اعدائنا فنضارب

اي استعملوها في كل خطوة. وفي هامش ب: يعني كان عليّ ﷺ يوماً ومعه سيف قصير يصله بالوثوب خطوة وخطوتين، يقال في حقه: ما اقصر حسامك وما أطول خطاك؟ والخطى جمع خطوة.

(١٣) في هـ. د: وانتم ـك .

(١٤) في هامش الف: اي ينظر إليكم ويشاهد اعمالكم، فلا تقصروا، بل واصلوا الكر، وفي هامش ب: اي يراكم الله تعالىٰ ويرىٰ افعالكم، وفي هامش الأصل: اي يعلم عملكم.

(١٥) في هامش الف: أراد أنّ الفرار من الزحف ذنب عظيم، وهو عند المعتزلة من الكبائر.

(١٦) في هامش الأصل: طيبوا عن أنفسكم: اي هوّنوا الموت عليها واسمحوا بها لما لكم من الجزاء.

(١٧) في هـ. أ و ب: سهلاً، وفي هـ. د: سهلاً ـ م . وفي هامش الأصل: أي سهلاً، والسجوحة السهولة.

(١٨) في هـ. د: عليكم ـع .

(١٩) في هامش الف: السواد الاعظم: اي القوم الأكثر. وهاهنا: جمهور أهل الشام. وفي هامش ب: اي يجب عليكم ان تقاتلوهم وتقتلوهم، وسواد الناس عوامهم وكل عدو كثير، والسواد: الشخص يجوز ان يعني معاوية وحده لان الالف في ... للجنس كالدينار والدرهم.

(٢٠) في هامش الف: الرواق المطنّب: مضرب معاوية، وفي هامش ب: المطنب المشدود بالاطناب.

قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ(٢٤) يَداً، وَأَخَّرَ لِلنُّكوصِ(٢٥) رِجْلاً.

فَصَمْداً صَمْداً(٢٦)! حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الحَقّ(٢٧) ﴿وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ، وَٱللّٰهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ(٢٨) أَعْمَالَكُمْ(٢٩)﴾(٣٠).

واستعرض الامام في هذا المقطع مواصفات الجندي المنظم في المعركة، وأهمّها:

١ ـ شعار الخشية من الله سبحانه، كما هو المطلوب في الحرب العقائدية، وليس شعار الولاء للأشخاص أو الجماعات أو الاقليم، فيجب ان يكون الشعار اسلاميا كاملاً، والشعار: هو الثوب الملاصق للبدن.

٢ ـ جلباب السكينة، وهي حالة الضبط النفسي الكاشف عن رؤية واضحة في الموقف، فتكون كالجلباب، وهو الثوب المشتمل على البدن، فلا ينفعل المحارب بالامور الجانبية المشوّهة للهدف.

٣ ـ الارادة القوية (وعظّوا على النواجذ) والناجذ: اقصى الأضراس، ويسمى ضرس الحلم، لانه ينبت بعد البلوغ، وللانسان اربعة نواجذ في كل شقّ، وهذه الحالة توجد عند الارادة القوية للوصول الى الهدف، وقد علل ذلك بان هذه الحالة لها اثر ظاهر وهو (انه أنبئ للسيوف عن الهام) والهام هو الرأس، وقوله: (أنبئ للسيوف) أي أبعد عنها لتلازمة لسكون القلب بحصول الهدف.

٤ ـ كمال الاستعداد، (احكموا اللأمة) وهي الدرع، وما يفتقر اليه في ساحة الحرب من الآت الدفاع والحرب، فلا يدخل المحارب ساحة الحرب الاّ بعد كمال الاستعداد لها.

٥ ـ التمرين العسكري (وقلقوا السيوف في أغمادها قبل سلّها) الغمد هو الغلاف الذي يحتوي علىٰ السيف، والقلقلة: الحركة، فلا يكون استعمال السيف من دون تمرّن، بل يجب التمرّن على سلّ السيف، وحتى قبيل سلّه، بالحركة المطلوبة، وهي بعد في أغمادها،

---

(٢١) في هامش الف: ثبج الانسان: ما بين كاهله إلىٰ ظهره وثبج الرجل معظمه وفي هامش ب: اي ظهره، وفي هامش الأصل: أي وسطه،

(٢٢) في هامش الأصل: يحتمل ان يريد نفس الشيطان وان يريد معاوية.

(٢٣) في هامش الف: الكسر: جانب الخباء. وفي هامش الأصل: كسره: أي جانبه.

(٢٤) في هامش الأصل: اي ان جبنتم و وهنتم.

(٢٥) في هامش الف: نكص: تأخّر.

(٢٦) في هامش ب: اي اقصدوا قصداً. وفي هامش الأصل: اي اصمدوا إليه صمداً.

(٢٧) في هامش الف: عمود الحق، اي سطوع نوره.

(٢٨) في هامش الاصل: اي ينقصكم.

(٢٩) في هامش الف: اي لن ينقصكم اجر اعمالكم.

(٣٠) اقتباس من سورة آل عمران ٣: ١٣٩.

حتى يسهل سلّها وقت الحاجة إليها.

٦ ـ الغضب في وقت الحرب، وكنّى عنه بقوله: (والحظوا الخزر) وهو ان ينظر الانسان بعينه وكأنّه ينظر بمؤخرها، وهي أمارة الغضب المطلوب في ساحة الحرب.

٧ ـ التحسب للعدوّ من كل جانب (واطعنوا الشزر) وهو الطعن في الجوانب يميناً وشمالاً، فلا يكون التركيز على جانب واحد بل يكافح العدوّ من كل جانب.

٨ ـ ايقاع الضربة القاضية، وكنىٰ عنها بقوله: (نافحوا بالظبا) اي كافحوا بالضبة، وهي حدّ السيف، فكما أن العدوّ يحاول القضاء على الانسان فانه يجب على المحارب أن يستعمل حدّ السيف القاضي عليه في ساحة المعركة.

٩ ـ المواصلة في الحرب بتعقيب العدوّ بالسيف، بضربات متصلة تتوالىٰ علىٰ العدو، من دون امهال له في المقاومة والرد بالمثل.

١٠ ـ العلم والرؤية الواضحة بسلوك الصراط المستقيم بطاعة القيادة الاسلامية الحكيمة في قراراتها العسكرية التي تبتني على مصلحة الاسلام والمسلمين عامة، وفي هذه الحرب خاصة، لانهم (بعين الله) تعالى فهو الناظر والآمر بالمعروف والناهي وعن المنكر في محاربة الفئة الباغية، وان هذه الحرب بقيادة اسلامية كفوءة (مع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله) الذي يدعوا الى سنته المطهرة في الحرب العقائدية.

١١ ـ الاستمرار في الحرب (فعاودوا الكرّ) فلا يقتصر الحرب على المرة، بل التكرار كرة بعد أخرىٰ، فان النصر لا يتحقق بالمرة الواحدة، فلابد في نجاح أيّ عمل من التكرار فيه حتى يتم ويتحقق النصر الاخير.

١٢ ـ التركيز على الحرب فان النجاح في اية عملية عسكرية أو غير عسكرية ـ يتوقف على التركيز، والجندي المحارب يجب ان لا يفكر في الفرار (واستحيوا من الفرّ) فان مجرد التفكير في ذلك يؤثر على التركيز في اداء الواجب العسكري، وخاصة في ساحة المعركة. واشار عليه السلام الى ان في الفرار من المسؤولية في ساحة الحرب أثران ثابتان، هما:

اولاً: محاسبة التاريخ في الدنيا (فانه عار في الأعقاب) حيث ان مستقبل الامة يتوقف على أداء الجندي المسؤول مسؤوليته العسكرية في ساحة الحرب، والاخلال بهذه المسؤولية تضييع لمستقبل الامة.

ثانياً: محاسبة الله سبحانه بالعقاب وهو (نار يوم الحساب) جزاءً للخيانة وعدم القيام بالمسؤولية العسكرية، فان الفرار من الزخف من الذنوب الكبيرة التي اوعد الله عليها النار، كما هو مشروح في الفقه، وراجع المادة في المعجم.

١٢ ـ التضحية في سبيل الله (وطيبوا عن أنفسكم نفساً) فان نجاح اية فكرة تتوقف على التضحية، ونجاح مستقبل الامة يتوقف على تضحية اكبر، هي التضحية بالنفس.

١٤ ـ الاستماتة في سبيل الهدف (وامشوا الى الموت مشياً سجحا) والسجح: هو السهولة، اي كونوا مستميتين في سبيل تحقيق الهدف.

١٥ ـ تحديد الهدف، فانه ينبغي للجندي المحارب ان يكون ذا هدف واضح يتقدم نحوه، من دون أن يتأثر بالعوامل الأُخرى التي قد يكون لها دورها في اعاقة السير، ولكن يجب ان لا يغفل عن الهدف الاصلي في الحرب، وهو القضاء على العدوّ المحارب، والعدوّ ـ شأن كل محارب ـ له مراتب عسكرية تتكوّن من ثلاثة، هي:

١ ـ الجيش العام، وهو (السواد الاعظم).

٢ ـ قيادة الجيش، وهم في مجلس (الرواق المطنّب) والرواق: السقف في البيت، مضروب بالأطناب أي الحبال، وسمي بذلك لا ستحكامه.

٣ ـ قمّة القيادة، وهي القلب النابض (الثبج) بالتحريك أي الوسط الذى به قوام القيادة.

وحدّد الامام أنّ هدف الجندي المحارب يجب ان يكون عاليا، وهو القضاء على رأس الفتنة بالتدرّج، فليس الهدف من محاربة الجيش المعادي سوى القضاء على قيادة الجيش في مجلسها العسكري، بالقضاء على القلب النابض فيها، وحيث ان ذلك لا يمكن بصورة مباشرة، فلا بد من محاربة السواد الاعظم للوصول الى ذلك، ومن هنا امر الامام بمحاربة الجيش المعادي (عليكم بهذا السواد الاعظم) ولكن صرّح بانه ليس الهدف الاصلي في المعركة، لانهم جنود يأتمرون بامر القيادة الآمرة بها والمستقرة في مجلس (الرواق المطنب) فيجب ان يكون الهدف الاصلي هو القضاء على هذا المجلس (فاضربوا ثبجه) بالتحريك، أي وسطه، وهو القلب النابض للحرب.

وقد شرح الامام السبب الاصلى في ان يكون هذا هو الهدف الاصلى في الحرب بانه (مقرّ الشيطان)، وهو العقل المدبّر للحرب، واشار الى ثلاث نقاط تستخدمها القيادة العسكرية في مقرات القيادة العسكرية وهي:

اولاً: ان يكون مقر القيادة مجهولاً، فهو (كامن في كسره) والكسر: الجانب الاسفل من الخباء المعد للقيادة العسكرية، ليكون وقاية له من السهام أو الاغيتال، ويتخذ هذا المأمن كمينا عسكريا له يتستر فيه إلاّ عن خلّص أصحابه.

ثانياً: يكون للمقر موقعاً معروفاً للعامة (الرواق المطنب) فهو سقف مرفوع يترائىٰ بعناوينه البارزة للعامة، وهي مستحكمة بالوسائل الدفاعية في ذلك العصر من الاطناب، وهي الحبال المشدودة لاستحكامها، وكل هذه المظاهر هي للدعاية وليست حقيقية؛ فان

داعية الحرب ليس إلاّ في جانبٍ اسفلٍ محصنٍ فيها، غير معروف لعامة جيشه المحارب.

ثالثاً: ان العقل المفكر للحرب يقبع في هذا المكمن بسياسة اللعب على الحبلين، وطريق النفاق المعمولة في كل الحروب المادية (قد قدّم للوثبة يداً) باعداد الجيش المحارب من ناحية واعلان مركز القيادة العسكرية من ناحية اخرى. ولكن في نفس الوقت (اخّر للنكوص رجلاً) والنكوص: التأخّر والفرار، بأن خبأ في المكمن الاسفل، لكي يمكنه الفرار عند بروز علامات الفشل.

وهذه النقاط الثلاث تكشف عن معرفة كاملة للامام عليه السلام بكل مخططات العسكر المعادي بقيادة معاوية، وتأبى سياسة الامام النابعة سياسة النبي الاعظم ان تحيد عن سنة الرسول صلى الله عليه وآله في المواجهة العسكرية الواضحة؛ لوضوح المبادئ والوسائل والاهداف.

١٦ ـ الصمود في المقاومة حتىٰ النصر أو الشهادة، وختم الامام هذه المواصفات بقوله: (فصمداً صمداً) بالتكرار مؤكّداً على اهمية الثبات على هذه المواصفات حتىٰ النصر، وقد حدّد النصر بأربعة نقاط:

اولاً: ظهور الحق (حتى ينجلي لكم عمود الحق) اي يسطع نوره.

ثانياً: النصر الروحي (وانتم الأعلون) والواو حالية.

ثالثاً: أداء الواجب الاسلامي (والله معكم) في اداء المسؤولية.

رابعاً: الخلود في التاريخ الصحيح (لن يتركم أعمالكم) أي لن ينقصكم، فانّ العمل الصالح مخلّد في التاريخ باعتباره عمل صالح وعلى مبادئ انسانية إسلامية ثابتة، والعمل الظالم كذلك سوّد وجه التاريخ إلىٰ الأبد، وكتب التاريخ وحياة المصلحين والفراعنة معروفة مشهورة، فلا يبقىٰ إلّا الحق المقرون بالتقدير، أو العمل الباطل المقرون بلعنة التاريخ، والله العاصم.

[الخطبة ٦٧]

ومن كلام له عليه السلام لما انتهت الى أميرالمؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله

السقفية: هي سقيفة بني ساعدة في المدينة المنورة، وموقعها في عصرنا ـ سنة (١٣٨٥ هـ) ـ عند الدوار المثلث علىٰ بعد حوالى ثلاثمائة متراً عن مرقد النبي الاعظم صلى الله عليه وآله، وقد اجتمع فيها بعض الصحابة بعد وفاة النبي مباشرة لأمر الخلافة من بعده، وذلك في عام ١١ للهجرة، ويعتبر هذا المؤتمر هو الاول بعد وفاة القائد الاعظم عليه السلام، والمنعقد في ظروف غير طبيعية من حيث المبدأ والمنهج والنتائج، وشرحتها في «موارد الاعتبار» فليراجع هناك ويراجع ايضاً «المعجم» فان مبدأ الشورى كان في عهد الرسول القائد على مشاركة جميع الصحابة، وفي هذا الموتمر قاطعها زعيم الانصار سعد بن عبادة الخزرجي حتى الموت، ولم يحضرها الها شميون قاطبة لاشتغالهم بتغسيل جسد النبيّ الاطهر.

ومن حيث المنهج كانت البيعة في عهد الرسول القائد للرجال والنساء جميعاً، ولكن لم تشارك في هذا المؤتمر ولا إمراة واحدة من الصحابيات، مع كثرة البيعة من الصحابيات في عهد الرسول صلى الله عليه وآله، وقصة بيعة هند بنت أبي سفيان معروفة في كتب السيرة.

وأما من حيث النتائج، فانه لم يكن لأهل البيت النبوي أيّ صوت في هذا المـؤتمر، سوى ما صدر بعد المؤتمر من تعليقات وملاحظات فردية وجماعية، وخاصة من بني هاشم ومواليهم، وبالاخص من عليّ وفاطمة الزهراء عليها السلام والتى امتدت طيلة حياة فاطمة الزهراء عليها السلام وقد تضمنت نصوصها كتب التاريخ، وسرد بعضها الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في شرحه، المجلد (٥) الصفحات (١ ـ ٥١)، فراجع.

ومن تلك الملاحظات ما قاله الامام في هذا الكلام عندما انتهت اليه أنباء السـقيفة، ونكتفي هنا من حديث السقيفة الطويل بمقتطفات توضّح خلفية هذا الكلام مما نقله ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) عن (أخبار يوم السقيفة)(١)، فانه قال ما نصه: «ونحن نذكر خبر السقيفة، روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرى في كتاب السقيفة. قال: أخبرنى أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أحمد بن سيار، قال: حدثنا سعيد بن كثير ابـن عـفير الانصاري أن النبي صلى الله عليه وآله لما قبض، اجتمعت الانصار في سقيفة بنى ساعدة، فقالوا: إن

(١) انظر أخبار السقيفة أيضا في شرح ابن أبي الحديد، الجزء الاول، الصفحات ٢١ – ٦١.

رسول الله صلى الله عليه وآله قد قبض، فقال سعد بن عبادة لابنه قيس – أو لبعض بنيه: إني لا أستطيع أن أسمع الناس كلامي لمرضي، ولكن تلق مني قولي فأسمعهم. فكان سعد يتكلم، ويستمع ابنه ويرفع به صوته ليسمع قومه، فكان من قوله، بعد حمد الله والثناء عليه أن قال: إن لكم سابقة إلى الدين، وفضيلة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب. إن رسول الله صلى الله عليه وآله لبث في قومه بضع عشرة سنة، يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الاوثان، فما آمن به من قومه إلّا قليل، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله، ولا يعزوا دينه، ولا يدفعوا عنه عداه، حتى أراد الله بكم خير الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصكم بدينه، ورزقكم الايمان به وبرسوله، والاعزاز لدينه، والجهاد لاعدائه فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم وأثقله على عدوه من غيركم، حتى استقاموا لامر الله طوعا وكرها، وأعطى البعيد المقادة صاغرا داحضا، حتى أنجز الله لنبيكم الوعد، ودانت لاسيافكم العرب ثم توفاه الله تعالى، وهو عنكم راض، وبكم قرير عين، فشدوا يديكم بهذا الامر، فإنكم أحق الناس واولاهم به. فأجابوا جميعا: أن وفقت في الرأى وأصبت في القول، ولن نعدو ما أمرت، نوليك هذا الامر، فأنت لنا مقنع، ولصالح المؤمنين رضا. ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم، فقالوا: إن أبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الاولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلام تنازعوننا هذا الامر من بعده؟ فقالت طائفة منهم: إذا نقول: منا أمير، ومنكم أمير، لن نرضى بدون هذا منهم أبدا، لنا في الايواء والنصرة ما لهم في الهجرة، ولنا في كتاب الله ما لهم، فليسوا يعدون شيئا إلّا ونعد مثله، وليس من رأينا الاستئثار عليهم فمنا أمير ومنهم أمير. فقال سعد بن عبادة: هذا أول الوهن. وأتى الخبر عمر، فأتى منزل رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجد أبا بكر في الدار وعليا في جهاز رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الذى أتاه بالخبر معن بن عدى، فأخذ بيد عمر وقال: قم، فقال عمر: إنى عنك مشغول، فقال: إنه لا بد من قيام، فقام معه، فقال له: إن هذا الحى من الانصار قد اجتمعوا في سقيفة بنى ساعدة، معهم سعد بن عبادة، يدورون حوله، ويقولون: أنت المرجى، ونجلك المرجى وثم أناس من أشرافهم، وقد خشيت الفتنة، فانظر يا عمر ماذا ترى! واذكر لاخوتك من المهاجرين، واختاروا لانفسكم، فإنى أنظر إلى باب فتنة قد فتح الساعة إلّا أن يغلقة الله. ففزع عمر أشد الفزع، حتى أتى أبا بكر، فأخذ بيده، فقال: قم، فقال أبو بكر: أين نبرح حتى نوارى رسول الله! إنى عنك مشغول. فقال عمر: لابد من قيام، وسنرجع إن شاء الله. فقام أبو بكر مع عمر، فحدثه الحديث، ففزع أبو بكر أشد الفزع، وخرجا مسرعين إلى سقيفة بنى ساعدة، وفيها رجال من أشراف الانصار، ومعهم سعد بن عبادة وهو مريض بين أظهرهم، فاراد عمر أن يتكلم ويمهد لابى بكر، وقال خشيت

أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام ، فلما نبس عمر ، كفه أبو بكر وقال : على رسلك ، فتلق الكلام ثم تكلم بعد كلامى بما بدالك . فتشهد أبو بكر ، ثم قال : إن الله جل ثناؤه بعث محمّدا بالهدى ودين الحق ، فدعا إلى الاسلام ، فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا إلى ما دعانا إليه ، وكنا معاشر المسلمين المهاجرين أول الناس إسلاما ، والناس لنا في ذلك تبع ، ونحن عشيرة رسول الله ﷺ، وأوسط العرب أنسابا ، ليس من قبائل العرب إلّا ولقريش فيها رسول الله ﷺ، وأوسط العرب أنسابا ، ليس من قبائل العرب إلّا ولقريش فيها ولادة ، وأنتم أنصار الله ، وأنتم نصرتم رسول الله ﷺ ، ثم أنتم وزراء رسول الله ﷺ، وإخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين ، وفيما كنا فيه من خير ، فأنتم أحب الناس إلينا ، وأكرمهم علينا ، وأحق الناس بالرضا بقضاء الله ، والتسليم لما ساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين ، وأحق الناس ألا تحسدوهم ، فأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة ، وأحق الناس ألا يكون انتفاض هذا الدين واختلاطه على أيديكم ، وأنا أدعوكم إلى أبي عبيدة وعمر ، فكلاهما قد رضيت لهذا الامر ، وكلاهما أراه له أهلا . فقال عمر وأبو عبيدة : ما ينبغى لاحد من الناس أن يكون فوقك ، أنت صاحب الغار ، ثانى اثنين ، وأمرك رسول الله بالصلاة ، فأنت أحق الناس بهذا الامر . فقال الانصار : والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم ، ولا أحد أحب إلينا ولا أرضى عندنا منكم . ولكنا نشفق فيما بعد هذا اليوم ، ونحذر أن يغلب على هذا الامر من ليس منا ولا منكم ، فلو جعلتم اليوم ، رجلا منكم بايعنا ورضينا ، على أنه إذا هلك اخترنا واحدا من الانصار ، فإذا هلك كان آخر من المهاجرين أبدا ما بقيت هذه الامة ، كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمّد صلى الله عليه وسلم ، فيشفق الانصاري أن يزيغ فيقبض عليه القرشى ، ويشفق القرشى أن يزيغ فيقبض عليه الانصاري . فقام أبو بكر فقال : إن رسول الله ﷺ لما بعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخالفوه وشاقوه ، وخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والايمان به ، والمواساة له ، والصبر معه على شدة أذى قومه ، ولم يستوحشوا لكثرة عدوهم ، فهم أول من عبد الله في الارض ، وهم أول من آمن برسول الله ، وهم أولياؤه وعترته ، وأحق الناس بالامر بعده ، لا ينازعهم فيه إلّا ظالم . وليس أحد بعد المهاجرين فضلا وقدما في الاسلام مثلكم . فنحن الامراء وأنتم الوزراء ، لا نمتاز دونكم بمشورة ، ولا نقضى دونكم الامور . فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال : يا معشر الانصار ، املكوا عليكم أيديكم ، إنما الناس في فيئكم وظلكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ، ولا يصدر الناس إلّا عن أمركم ، أنتم أهل الايواء والنصرة ، واليكم كانت الهجرة ، وأنتم أصحاب الدار والايمان ، والله ما عبد الله علانية إلّا عندكم وفي بلادكم، ولا جمعت الصلاة إلّا في مساجدكم ، ولا

عرف الايمان إلّا من أسيافكم ، فاملكوا عليكم أمركم ، فإن أبي هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير . فقال عمر : هيهات ! لا يجتمع سيفان في غمد ، إن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، وليس تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم ، وأو لوا الامر منهم ، لنا بذلك الحجة الظاهرة على من خالفنا ، والسلطان المبين على من نازعنا ، من ذا يخاصمنا في في سلطان محمّد وميراثه ، ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلّا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط في هلكة ! فقام الحباب ، وقال : يا معشر الانصار ، لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من الامر ، فإن أبوا عليكم ما أعطيتموهم فأجلوهم عن بلادكم ، وتولوا هذا الامر عليهم ، فأنتم أولى الناس بهذا الامر ، إنه دان لهذا الامر بأسيافكم من لم يكن يدين له ، أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب[١]، إن شئتم لنعيدنها جذعة[٢]، والله لا يرد أحد على ما أقول إلّا حطمت أنفه بالسيف .

قال : فلما رأى بشير بن سعد الخزرجى ما اجتمعت عليه الانصار من تأمير سعد بن عبادة - وكان حاسدا له ، وكان من سادة الخزرج - قام فقال : أيها الانصار ، إنا وإن كنا ذوى سابقة ، فإنا لم نرد بجهادنا وإسلامنا إلّا رضا ربنا وطاعة نبينا ، ولا ينبغى لنا أن نستطيل بذلك على الناس ، ولا نبتغي به عوضا من الدنيا ، إن محمّداً صلى الله عليه وآله رجل من قريش وقومه أحق بميراث أمره ، وايم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الامر ، فاتقوا الله ولا تنازعوهم ، ولا تخالفوهم . فقام أبو بكر ، وقال : هذا عمر وأبو عبيدة ، بايعوا أيهما شئتم ، فقالا : والله لا نتولى هذا الامر عليك ، وأنت أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين ، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله على الصلاة ، والصلاة أفضل الدين . ابسط يدك نبايعك . فلما بسط يده ، وذهبا يبايعانه ، سبقهما بشير بن سعد ، فبايعه ، فناداه الحباب بن المنذر : يا بشير ، عقك عقاق ، والله ما اضطرك إلى هذا الامر إلّا الحسد لابن عمك . ولما رأت الاوس أن رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايع ، قام أسيد بن حضير - وهو رئيس الاوس - فبايع حسدا لسعد أيضا ومنافسة له أن يلى الامر ، فبايعت الاوس كلها لما بايع أسيد وحمل سعد بن عبادة وهو مريض ، فأدخل إلى منزله ، فامتنع من البيعة في ذلك اليوم وفيما بعده . وأراد

---

(١) قال الزمخشري في الفائق ١ : ١٨١:« الجذل : عود ينصب الاءبل الجربى تحتك به فتستشفى . المحكك : الذى كثر به الاحتكاك حتى صار مملسا . والعذق ، بافتح : النخلة . والمرجب : المدعوم بالرجبة ، وهي خشبة ذات شعبتين ، وذلك إذا طال وكثر حمله . والمعنى : إنى ذو رأى يشفى بالاستضاءة به كثرافي مثل هذه الحادثة ، وأنا في كثرة التجارب والعلم بموارد الاحوال فيها ، وفي أمثالها ومصادرها» .

(٢) قال في اللسان : «إن شئتم أعدناها جذعة» ، أي أول ما يبتدأ فيها.

عمر أن يكرهه عليها ، فأشير عليه ألا يفعل ، وأنه لا يبايع حتى يقتل وأنه لا يقتل حتى يقتل أهله ، ولا يقتل أهله ، حتى يقتل الخزرج وإن حوربت الخزرج كانت الاوس معها . وفسد الامر فتركوه ، فكان لا يصلى بصلاتهم ولا يجمع بجماعتهم ، ولا يقضي بقضائهم ، ولو وجد أعوانا لضاربهم ، فلم يزل كذلك حتى مات أبو بكر ، ثم لقى عمر في خلافته ، وهو على فرس ، وعمر على بعير ، فقال له عمر : هيهات يا سعد ! فقال سعد : هيهات يا عمر ! فقال : أنت صاحب من أنت صاحبه ؟ قال : نعم أنا ذاك ، ثم قال لعمر : والله ما جاورني أحد هو أبغض إلي جوار منك ، قال عمر : فإنه من كره جوار رجل انتقل عنه ، فقال سعد : إني لارجو أن أخليها لك عاجلا إلى جوار من هو أحب إلي جوارا منك ومن أصحابك فلم يلبث سعد بعد ذلك إلّا قليلا حتى خرج إلى الشام فمات بحوران ولم يبايع لاحد لا لابي بكر ولا لعمر ولا لغيرهما».(١)

(١/ط - ٦٧) الاحتجاج في السقيفة:

قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟

قالوا: قالت: منّا أمير ومنكم أمير.

قال عليه السلام: فَهَلَّا ٱحْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُول ٱلله صلى الله عليه وآله وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إلى مُـحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟

قَالُوا: وَما فى هذَا مِنَ ٱلحجَّةِ عَلَيْهِمْ؟

فَقَالَ عليه السلام: لَوْ كَانَت الإمَارةُ(٢) فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ.

وفي غياب اهل البيت في مؤتمر السقيفة كان الاحتجاج من جانبين فقط، هما: الانصار وقريش، وهذا المقطع يستعرض بعض احتجاج الجانبين، ويعلق الامام عليه السلام على كلّ منها بروح موضوعية.

احتجاج الانصار:

والدعوى التي اعلنها زعيم الانصار الحباب بن المنذر بن الجموح الخزرجي (ت / ٢٠) وقد قاد الجبهة ضد المهاجرين، وقال يوم السقيفة: (أناجذيلها المحكك وعذيقها المرجب) الذي اصبح مثلا، والجذيل: أصل الشجرة، والمحكك: العود الذي يساق به الابل والعذيق: النخلة والمرجب: الدعامة التي توضع للوقاية، فقد قال: (منا امير ومنكم أمير) لحل النزاع بين الجانبين: الانصار والمهاجرين، رواه الطبري وغيره، وراجع ما

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٥ : ٥ ـ ١١.
(٢) في ط و هـ. د: الامامة ـ ح .

ذكرت من التفصيل في «موارد الاعتبار».

واحتجّ الامام علىٰ هذه الدعوى بما روي عن الرسول القائد ﷺ في حق الانصار من قوله ﷺ: (أُوصيكم بالانصار؛ فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) رواه البخاري وغيره، وراجع المادة في المعجم.

ثم شرح عليه السلام ان الامامة (لو كانت في الانصار لما حسنت الوصية المذكورة من النبي ﷺ بهم) فان الوصية تضمنت امرين، هما من شأن الامام، وهما: الاحسان الى المحسن، والتجاوز عن المسيئ، وهذان من شأن الامام، وليساً من شأن المأموم، ولو كانت الامامة في الانصار لاستقبحت الوصية المذكورة، فالوصية بالانصار تكشف عن ان الامامة ليست لهم، والامام ـ أياً كان ـ فهو من غيرهم، ويجب على الامام ان يعامل الانصار بواجب الامامة بالمادتين المذكورتين.

(٢/ط ـ ٦٧) احتجاج قريش:

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟

قَالُوا: ٱحْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُول ﷺ.

فَقَالَ عليه السلام: ٱحْتَجُّوا بِالشجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ(١)!

وعلق الامام على هذا الاحتجاج بانه يلزمهم ما لم يلتزموا به؛ فان الاحتجاج بالأقربية في العشرة والشجرة يستلزم الالتزام بها بين قريش نفسها ايضاً، فان قريش أبعدت الخلافة عن الانصار لأن الانصار أبعد من رسول الله في العشيرة وشجرة النسب، وان المهاجرين أقرب في ذلك، فهم اولى من الانصار بالخلافة، وهذا الاحتجاج يرد عليهم بالنسبة الى اهل البيت، فان اهل بيت النبي ﷺ اقرب الى النبي ﷺ من سائر قريش، فيجب ان تكون الخلافة فيهم وهم اولىٰ ممن بعد عن النبي في شجرة النسب، فان

---

(١) في هـ. ص: أقول: انه وقع خلاف في صلاة أبيبكر بالناس في مرض رسول الله ﷺ، أكانت عن امر رسول الله ﷺ فيكون تأهيلا للامامة الكبرىٰ، كما روي عن عمر: «رضيك لديننا، أفلا نرضاك لدنيانا» أو لم يكن عن أمره كما رواه أصحابنا واسلافنا.

واعلم أنّه إذا صح ان رسول الله ﷺ أمر أبابكر بالصلاة ثم عزله عنها فإن ذلك من أقوىٰ الادلة علىٰ عدم صلاحيته لخلافته، وان هذه طريقته عليه الصلاة والسلام في التنبيه بأمر من يخيّل الناس فيه أمراً به ثم يصرفه عنه، لينبّه علىٰ انه لا يصلح له، وذلك كما أرسل ببراءة مع أبيبكر ثم صرفه عن تبليغها بعليّ عليه السلام، وكما أرسل أبابكر ثم عمر بالراية في فتح خيبر قبل علي لينبّه على أنهما لا يصلحان لما يصلح له، وكما أمرهما بقتل ذي الخويصرة المبتدع المارق فلم يقتلاه، ثم أمر عليّاً بقتله فلم يجده، ونحو ذلك الكثير من أفعاله وأقواله المنبّهة علىٰ صلاحية علي لخلافته دون غيره، والله أعلم وأحكم.

قريشاً جميعا هي شجرة واحدة ثمرتها رسول الله ﷺ، واذا كان الميزان في الخلافة الأقرب، فالاقرب إليه ﷺ وهم اهل بيته، أقرب اليه من غيرهم، سواءً كانوا من قريش أو غيرهم، فيكون الاحتجاج حجة لهم علىٰ قريش نفسها.

والى ذلك يشير في بيت له عليه السلام:

وان كنت بالقربى ملكت أُمورهم
فغيرك اولى بالنبيّ وأقرب

وفي قوله عليه السلام: (اضاعوا الثّمرة) اشارة لطيفة إلى ثمرة الرسالة التي بشّر بها رسول الاسلام ﷺ؛ فإن الهدف من الشجرة ليس منظرها الخارجي الطبيعي فقط، بل تقوّم الأشجار بحسب مالها من الثمار والمنافع والاثار، والاحتفاظ بالشجرة من دون ثمرة فائدة ناقصة، ولا تتم إلّا بالثمرة، وليست ثمرة الرسالة إلاّ تطبيقها كما امر الرسول القائد ﷺ بها، من تطبيق السنة النبوية في الحكم الذي طبقه في حياته وسار على سنته اهل بيته عليه السلام بعد وفاته.

[الخطبة ٦٨]

ومن كلام له عليه السلام لمّا قلّد محمّد بن أبي بكر مصر فَمُلِكَت عليه وقُتِل

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ(١) ؛ وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ ٱلْعَرْصَةَ(٢)، وَلاَ أَنْهَزَهُمُ(٣) ٱلْفُرْصَةَ، بِلاَ ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً، وَكَانَ لِي رَبِيباً(٤).

ولمعرفة حقيقة هذا الكلام يجدر الاشارة إلىٰ ترجمة كلّ من هاشم بن عتبة ومحمّد بن أبي بكر، ومعرفة تاريخ الكلام.

(١/ط - ٦٨) **هاشم المرقال:**

هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، مالك بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، ويلقب بالمرقال، وهو صفة الناقة السريعة، وكان فارساً خطيباً، أسلم يوم فتح مكة، وسافر الى الشام بعد فتحها، وشهد القادسية في العراق مع سعد، واصيبت عينه يوم اليرموك فعرف بالأعور، وكان مع الامام علي بن أبي طالب في حروبه، ولما جاء نبأ قتل عثمان إلى اهل الكوفة، قال هاشم لأبي موسى الاشعري: «تعال يا ابا موسى بايع لخير هذه الامة عليّ، فقال ابو موسى ـ وهو امير الكوفة ـ: لا تعجل. فوضع هاشم احدى يديه على الأُخرى فقال: هذه لعليّ وهذه لي، وقد بايعت عليها،

---

(١) في هـ ص : هاشم بن عتبة هو المرقال، سمّي مرقالاً لأنّه كان يرقل في الحرب إرقال الجمال البزل، وكان من شيعة عليّ عليه السلام وخلصائه وقتل بصفين رحمه الله قبل مقتل محمّد بن أبي بكر رحمه الله فهذا اخبار من أمير المؤمنين عن ارادته حين وليّ محمّد بن أبي بكر وذلك قبل صفين وربما يؤخذ من هذا الكلام دليل علىٰ الاجل المشروط، فقتل هاشم مشروط بحضوره في صفين وبقاءه وردّه لأصحاب معاوية مشروط بحضوره مصر، والله أعلم.

(٢) في هامش ب: أي لم يخل وأصحابه عرصة مصر، يقول هذا لأنّ محمّداً ترك عرصة مصر وهرب. وفي هامش الأصل: العرصة أي عرصة مصر؛ لأن محمّداً لمّا غُلب فرّ.

(٣) في هامش الاصل: أي لما جعلهم منتهزين للفرصة، يصفه بالحزم الشجاعة، وفي هامش ب: أي لا اعطاهم.

(٤) في هامش الف: كانت أُمّ محمّد بن أبيبكر، اسماء بنت عميس، تحت جعفر بن أبي طالب، وهاجرت معه إلىٰ الحبشة فولدت له هناك عبدالله بن جعفر الجواد، ثم قتل يوم موته فتزوجها أبوبكر الصديق فأولدها محمّداً، ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب، فكان محمّد ربيبه وجارياً عنده مجرىٰ أولاده، فلم يعرف أباه إلّا عليّاً حتىٰ كان يقول: محمّد ابني من صلب أبيبكر، وفي هامش ب: والدة محمّد بن أبي بكر أسماء بنت عميس، فلما قتل جعفر بن أبيطالب تزوجها [أبوبكر، فأولدها محمّداً، فلما مات تزوجها] علي بن أبيطالب [وصار محمّد له] ربيباً.

وانشد يقول:

ابايع غير مكــترث عــلياً ولا اخشى أميراً أشــعريا
أُبايعه واعلم ان سأرضــي بــذاك الله حــقاً والنــبيا

وكان مع الامام علي عليه السلام في قيادة الرجالة في صفّين حتى استشهد بها عام ٣٧ هـ.

محمّد بن أبي بكر:

وصفه شارح نهج البلاغة ابن أبي الحديد وصفاً وافياً، فقال: «أم محمّد بن أبي بكر، أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم، كانت تحت جعفر بن أبي طالب، وهاجرت معه إلى الحبشة، فولدت له هناك عبد الله بن جعفر الجواد، ثم قتل عنها يوم مؤتة، فخلف عليها أبو بكر الصديق، فأولدها محمّدا، ثم مات عنها، فخلف عليها علي بن أبي طالب، وكان محمّد ربيبه وخريجه، وجاريا عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصبا، فنشأ عليه، فلم يكن يعرف له أبا غير علي، ولا يعتقد لاحد فضيله غيره، حتى قال علي عليه السلام: محمّد ابنى من صلب أبي بكر، وكان يكنى أبا القاسم في قول ابن قتيبة. وقال غيره: بل كان يكنى أبا عبد الرحمن».(١)

تاريخ الكلام:

وقد فصل الشارح ابن أبي الحديد نصوص التواريخ التي تكشف عن خلفية الكلام، بامور منها ما يلي: «قال إبراهيم: فحدث محمّد بن عبد الله بن عثمان، عن ابـن سـيف المدائنى، عن أبي جهضم الازدي أن أهل الشام لما انصرفوا عن صفين، كانوا ينتظرون ما يأتى به الحكمان فلما انصرفا وتفرقا، وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة لم يزدد معاوية إلّا قوة، واختلف أهل العراق على علي بن أبي طالب فلم يكن هم معاوية إلّا مصر، وقد كان لاهلها هائبا لقربهم منه، وشدتهم على من كان على رأى عثمان، وقد كان علم أن بها قوما قد ساءهم قتل عثمان، وخالفوا عليا مع أنه كان يرجو أن يكون له فيها معاونة إذا ظهر عليها على حرب علي، لوفور خراجها، فدعا معاوية من كان معه من قريش، وهم عمرو بن العاص السهمى، وحبيب بن مسلمة الفهرى وبسر بن أرطاة العامري، والضحاك بن قيس لفهرى، وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد المخزومى. ودعا من غير قريش نحو شرحبيل بن السمط الحميرى، وأبى الاعور السلمى، وحمزة بن مالك الهمدانى، فقال: أتدرون لماذا دعوتكم؟ قالوا: لا، قال: فإني دعوتكم لامر هو لي مهم، وأرجو أن يكون الله عزوجل قد أعان عليه، فقال له القوم – أو من قال له منهم: إن الله لم يطلع على غيبه

---

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٦: ٥٣.

أحدا ، ولسنا ندري ما تريد ! فقال عمرو بن العاص : أرى والله أن أمر هذه البلاد المصرية لكثرة خراجها وعدد أهلها قد أهمك ، فدعوتنا تسألنا عن رأينا في ذلك ، فإن كنت لذلك دعوتنا ، وله جمعتنا فاعزم واصرم ، ونعم الرأى ما رأيت ! إن في افتتاحها عزك وعز أصحابك ، وذل عدوك ، وكبت أهل الخلاف عليك . قال معاوية : أهمك ما أهمك يابن العاص ! وذلك أن عمرا كان بايع معاوية على قتال علي ، وأن مصر له طعمة ما بقى . فأقبل معاوية على أصحابه ، وقال : إن هذا - يعنى ابن العاص - قد ظن وحقق ظنه ، قالوا : ولكنا لا ندرى ، ولعل أبا عبد الله قد أصاب . فقال عمرو : وأنا أبو عبد الله ، إن أفضل الظنون ما شابه اليقين . ثم إن معاوية حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فقد رأيتم كيف صنع الله لكم في حربكم هذه على عدوكم ! ولقد جاءوكم وهم لا يشكون أنهم يستأصلون بيضتكم ويجوزون بلادكم ، ما كانوا يرون إلّا أنكم في أيديهم ، فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكفاكم مؤنتهم . وحاكمتموهم إلى الله فحكم لكم عليهم . ثم جمع كلمتنا ، وأصلح ذات بيننا ، وجعلهم أعداء متفرقين ، يشهد بعضهم علي بعض بالكفر ، ويسفك بعضهم دم بعض ، والله إنى لارجو أن يتم الله لنا هذا الامر ، وقد رأيت أن أحاول حرب مصر ، فماذا ترون ؟ فقال عمرو بن العاص : قد أخبرتك عما سألت ، وأشرت عليك بما سمعت . فقال معاوية : ما ترون ؟ فقالوا : نرى ما رأى عمرو بن العاص . فقال معاوية : إن عمرا قد عزم وصرم بما قال ، ولم يفسر كيف ينبغى أن نصنع ! قال عمرو : فإنى مشير عليك بما تصنع ، أرى أن تبعث جيشا كثيفا ، عليهم رجل صارم ، تأمنه وتثق به ، فيأتى مصر فيدخلها فإنه سيأتينا من كان على مثل رأينا من أهلها ، فنظاهره على من كان من عدونا ، فإن اجتمع بها جندك ومن كان بها من شيعتك على من بها من أهل حربك ، رجوت الله أن يعز نصرك ، ويظهر فلجك .

فقال معاوية : هل عندك شئ غير هذا نعمله فيما بيننا وبينهم قبل هذا ؟ قال : ما أعلمه . قال معاوية : فإن رأيى غير هذا ، أرى أن نكاتب من كان بها من شيعتنا ، ومن كان بها من عدونا ، فأما شيعتنا فنأمرهم بالثبات على أمرهم نمنيهم قدومنا عليهم ، وأما من كان بها من عدونا فندعوهم إلى صلحنا ، ونمنيهم شكرنا ، ونخوفهم حربنا ، فإن صلح لنا ما قبلهم ، من غير حرب ولا قتال فذلك ما أحببنا ، وإلّا فحربهم من وراء ذلك . إنك يا بن العاص لامرؤ بورك لك في العجلة ، وبورك لى في التؤدة . قال عمرو : فاعمل بما أراك الله ، فوالله ما أرى أمرك وأمرهم يصير إلّا إلى الحرب . قال : فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلد الانصاري ، وإلى معاوية بن حديج الكندى ، وكانا قد خالفا عليا : أما بعد ، فإن الله عزوجل قد ابتعثكما لامر عظيم ، أعظم به أجركما ورفع درجتكما ومرتبتكما في

المسلمين. طلبتما بدم الخليفة المظلوم، وغضبتما لله، إذ ترك حكم الكتاب، وجاهدتما أهل الظلم والعدوان، فأبشرا برضوان الله، وعاجل نصرة أولياء الله، والمواساة لكما في دار الدنيا وسلطاننا، حتى ينتهي ذلك إلى ما يرضيكما، ويؤدى به حقكما. فالزما أمركما، وجاهدا عدوكما، وادعوا المدبرين منكما إلى هداكما فكأن الجيش قد أظل عليكما، فاندفع كل ما تكرهان، ودام كل ما تهويان، والسلام عليكما ورحمة الله. وبعث بالكتاب مع مولى له يقال له سبيع، فخرج بكتابه حتى قدم به عليهما بمصر، ومحمّد بن أبي بكر يومئذ أميرها قد ناصبه هؤلاء النفر الحرب، وهم هائبون الاقدام عليه، فدفع الكتاب إلى مسلمة بن مخلد، فقرأه فقال: الق به معاوية بن حديج، ثم القنى به حتى أجيب عنى وعنه. فانطلق الرسول بكتاب معاوية فأقرأه إياه، ثم قال له: إن مسلمة قد أمرني أن أرد الكتاب إليه لكى يجيب عنك وعنه. قال: قل له فليفعل، فأتى مسلمة بالكتاب فكتب الجواب عنه وعن معاوية بن حديج: أما بعد، فإن هذا الامر الذى قد ندبنا له أنفسنا، وابتغيا الله به على عدونا أمر نرجو به ثواب ربنا، والنصر على من خالفنا، وتعجيل النقمة على من سعى على إمامنا، وطأطأ الركض في مهادنا، ونحن بهذه الارض قد نفينا من كان بها من أهل البغى، وأنهضنا من كان بها من أهل القسط والعدل. وقد ذكرت موازرتك في سلطانك وذات يدك، وبالله إنه لا من أجل مال نهضنا، ولا إياه أردنا، فإن يجمع الله لنا ما نريد ونطلب، أو يرينا ما تمنينا، فإن الدنيا والاخرة لله رب العالمين، وقد يثوبهما الله جميعا عالما من خلقة، كما قال في كتابه: ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين﴾[1] عجل لنا بخيلك ورجلك، فإن عدونا قد كان علينا جريئا وكنا فيهم قليلا، وقد أصبحوا لنا هائبين، وأصبحنا لهم منابذين، فإن يأتنا مدد من قبلك بفتح الله عليك، ولا قوه إلّا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل. قال: فجاء هذا الكتاب معاوية وهو يومئذ بفلسطين، فدعا النفر الذين سميناهم من قريش وغيرهم، وأقرأهم الكتاب، وقال لهم: ماذا ترون؟ قالوا: نرى أن تبعث إليهم جيشا من قبلك فأنت مفتتحها، أن شاء الله بإذن الله. قال معاوية: فتجهز إليها يا أبا عبد الله – يعنى عمرو بن العاص – فبعثه في ستة آلاف، فخرج يسير، وخرج معه معاوية يودعه، فقال له معاوية عند وداعه إياه: أوصيك بتقوى الله يا عمرو، وبالرفق فإنه يمن، وبالتؤدة فإن العجلة من الشيطان، وبأن تقبل من أقبل، وتعفو عمن أدبر، أنظره فإن تاب وأناب قبلت منه، وإن أبي فإن السطوة بعد المعرفة أبلغ في الحجة، وأحسن في العاقبة. وادع الناس إلى الصلح والجماعة، فإن أنت ظفرت

---

(١) آل عمران ٣: ١٤٨.

فليكن أنصارك أبر الناس عندك ، وكل الناس فأول حسنا .

قال : فسار عمرو في الجيش ، حتى دنا من مصر ، فاجتمعت إليه العثمانية ، فأقام وكتب إلى محمّد بن أبي بكر : أما بعد ، فتنح عنى بدمك يابن أبي بكر ، فإني لا أحب أن يصيبك منى ظفر ، وإن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، وهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان ، فاخرج منها فإني لك من الناصحين . والسلام . قال : وبعث عمرو إلى محمّد مع هذا الكتاب كتاب معاوية إليه ، وهو : أما بعد ، فإن غب الظلم والبغى عظيم الوبال ، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا والتبعة الموبقة في الاخرة ، وما نعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا ، ولا أسوا له عيبا ، ولا أشد عليه خلافا منك ، سعيت عليه في الساعين ، وساعدت عليه مع المساعدين ، وسفكت دمه مع السافكين ، ثم تظن أنى نائم عنك ، فتأتى بلدة فتأمن فيها وجل أهلها أنصارى ، يرون رأيى ، ويرفضون قولك ، ويستصرخونني عليك . وقد بعثت إليك قوما حناقا عليك ، يسفكون دمك ، يتقربون إلى الله عزوجل بجهادك ، وقد أعطوا الله عهدا ليقتلنك ، ولو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك ، الله بأيديهم أو بأيدى غيرهم من أوليائه ، وأنا أحذرك وأنذرك ، فإن الله مقيد منك ، ومقتص لوليه وخليفته بظلمك له ، وبغيك عليه ووقيعتك فيه ، وعداوتك يوم الدار عليه ، تطعن بمشاقصك(١) فيما بين أحشائه وأوداجه ، ومع هذا فإني أكره قتلك ، ولا أحب أن أتولى ذلك منك ، ولن يسلمك الله من النقمة أين كنت أبدا ، فتنح وانج بنفسك . والسلام . قال : فطوى محمّد بن أبي بكر كتابيهما ، وبعث بهما إلى علي عليه السلام ، وكتب إليه : أما بعد ، يا أمير المؤمنين ، فإن العاصى ابن العاص ، قد نزل أدانى مصر واجتمع إليه من أهل البلد من كان يرى رأيهم ، وهو في جيش جرار ، وقد رأيت ممن قبلى بعض الفشل ، فإن كان لك في أرض مصر حاجة فامددنى بالاموال والرجال ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال : فكتب إليه علي : أما بعد ، فقد أتاني رسولك بكتابك ، تذكر أن ابن العاص ، قد نزل في جيش جرار ، وأن من كان على مثل رأيه قد خرج إليه . وخروج من كان يرى رأيه خير لك من إقامته عندك ، وذكرت أنك قد رأيت ممن قبلك فشلا ، فلا تفشل وإن فشلوا ، حصن قريتك ، واضمم إليك شيعتك ، وأذك الحرس في عسكرك ، واندب إلى القوم كنانة ابن بشر ، المعروف بالنصيحة والتجربة والبأس ، وأنا نادب إليك الناس على الصعب والذلول . فاصبر لعدوك وامض على بصيرتك ، وقاتلهم على نيتك ، وجاهدهم محتسبا لله سبحانه ، وإن كانت

---

(١) المشاقص : جمع مشقص ، وهو النصل العريض .

فئتك أقل الفئتين ، فإن الله تعالى يعين القليل ويخذل الكثير . وقد قرأت كتابى الفاجرين المتحابين على المعصية ، والمتلائمين على الضلالة ، والمرتشيين على الحكومة ، والمتكبرين على أهل الدين ، الذين استمتعوا بخلاقهم ، كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم ، فلا يضرنك إرعادهما وإبراقهما ، وأجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله ، فإنك تجد مقالا ما شئت . والسلام . قال : فكتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه : أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكر من أمر عثمان أمرا لا أعتذر إليك منه ، وتأمرني بالتنحى عنك كأنك لى ناصح ، وتخوفني بالحرب ، كأنك على شفيق ، وأنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم ، وأن يهلككم الله في الوقعة وأن ينزل بكم الذل ، وأن تولوا الدبر ، فإن يكن لكم الامر في الدنيا فكم وكم لعمري من ظالم قد نصرتم ! وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به ! وإلى الله المصير وإليه ترد الامور ، وهو أرحم الراحمين ، والله المستعان على ما تصفون . قال : وكتب محمّد بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص جواب كتابه : أما بعد ، فهمت كتابك وعلمت ما ذكرت ، زعمت أنك تكره أن يصيبنى منك ظفر ، فأشهد بالله أنك لمن المبطلين . وزعمت أنك ناصح لى ، وأقسم أنك عندي ظنين . وقد زعمت أن أهل البلد قد رفضونى ، وندموا على اتباعى ، فأولئك حزبك وحزب الشيطان الرجيم ، وحسبنا الله رب العالمين ونعم الوكيل ، وتوكلت على الله العزيز الرحيم رب العرش العظيم .

قال إبراهيم : فحدثنا محمّد بن عبد الله ، عن المدائنى ، قال : فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر ، فقام محمّد بن أبي بكر في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، يا معاشر المؤمنين ، فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة ، ويغشون) (١االضلالة ، ويستطيلون بالجبرية ، قد نصبوا لكم العداوة ، وساروا إليكم بالجنود ، فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم في الله . انتدبوا[١] رحمكم الله مع كنانة بن بشر . ثم ندب معه نحو ألفى رجل ، وتخلف محمّد في ألفين ، واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمّد ، فلما دنا عمرو من كنانة سرح إليه الكتائب ، كتيبة بعد كتيبة ، فلم تأته من كتائب الشام كتيبة إلّا شد عليها بمن معه فيضربها حتى يلحقها بعمرو ، ففعل ذلك مرارا . فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج الكندى ، فأتاه في مثل الدهم[٢] فلما رأى كنانة ذلك الجيش ، نزل عن فرسه ، ونزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه ، وهو يقول : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله كتابا مؤجلا﴾[٣] ، فلم يزل يضاربهم

(١) انتدبوا : خفوا .
(٢) الدهم : العدد الكثير .
(٣) آل عمران ٣ : ١٤٥.

بالسيف حتى استشهد رحمه الله .

قال إبراهيم : حدثنا محمّد بن عبد الله ، عن المدائني ، عن محمّد بن يوسف ، أن عمرو ابن العاص لما قتل كنانة أقبل نحو محمّد بن أبي بكر ، وقد تفرق عنه أصحابه ، فخرج محمّد متمهلا ، فمضى في طريقه حتى انتهى إلى خربة[١] فآوى إليها ، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط ، وخرج معاوية بن حديج في طلب محمّد ، حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق ، فسألهم . هل مربهم أحد ينكرونه ؟ قالوا : لا ، قال أحدهم : إني دخلت تلك الخربة ، فإذا أنا برجل جالس . قال ابن حديج : هو هو ورب الكعبة ، فانطلقوا يركضون ، حتى دخلوا على محمّد ، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا ، فأقبلوا به نحو ا لفسطاط . قال : ووثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص ، وكان في جنده ، فقال : لا والله لا يقتل أخي صبرا ، ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه ، فأرسل عمرو ابن العاص : أن ائتني بمحمد ، فقال معاوية : أقتلتم كنانة بن بشر ، ابن عمي وأخلي عن محمّد ! هيهات ! ﴿ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر﴾[٢] .

فقال محمّد : اسقوني قطرة من الماء ، فقال له معاوية بن حديج : لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبدا ، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما ، فسقاه الله من الرحيق المختوم ، والله لاقتلنك يابن أبي بكر وأنت ظمآن ، ويسقيك الله من الحميم والغسلين ، فقال له محمّد : يابن اليهودية النساجة ، ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان ، إنما ذلك إلى الله يسقي أولياءه ويظمئ أعداءه ، وهم أنت وقرناؤك ومن تولاك وتوليته ، والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني ما بلغتم . فقال له معاوية بن حديج : أتدري ما أصنع بك ؟ أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار . قال : إن فعلتم ذاك بي فطالما فعلتم ذاك باولياء الله ، وايم الله إني لارجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها بردا وسلاما ، كما جعلها الله على إبراهيم خليله ، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك ، كما جعلها على نمرود وأوليائه ، وإني لارجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية ، وهذا – وأشار إلى عمرو بن العاص بنار – تلظى ، كلما خبت زادها الله عليكم سعيرا . فقال له معاوية بن حديج : إني لاأقتلك ظلما ، إنما أقتلك بعثمان بن عفان ، قال محمّد : وما أنت وعثمان ! رجل عمل بالجور ، وبدل حكم الله والقرآن وقد قال الله عزوجل :﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[٣] ﴿ فأولئك هم الظالمون﴾[٤] ﴿فأولئك هم

(١) الخربة : موضع الخراب .
(٢) القمر ٥٤ : ٤٣.
(٣) المائدة ٥ : ٤٤.

الفاسقون﴾[٥] فنقمنا[٦] عليه أشياء عملها فأردنا أن يخلع من الخلافة علنا ، فلم يفعل ، فقتله من قتله من الناس .

فغضب معاوية بن حديج ، فقدمه فضرب عنقه ، ثم ألقاه في جوف حمار وأحرقه بالنار . فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا ، وقنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج ، وقبضت عيال محمّد أخيها وولده إليها ، فكان القاسم بن محمّد من عيالها . قال : وكان ابن حديج ملعونا خبيثا يسب علي بن أبي طالب عليه السلام».[٧]

الى ان قال: «قال إبراهيم : فحدثنا محمّد بن عبد الله ، عن المدائنى ، قال : كتب علي إلى عبد الله بن عباس وهو على البصرة من عبد الله علي أمير المؤمنين عليه السلام ، إلى عبد الله بن عباس : سلام عليك ورحمة الله وبركاته : أما بعد ، فإن مصر قد افتتحت ، وقد استشهد محمّد بن أبي بكر ، فعند الله عزوجل تحتسبه . وقد كنت كتبت إلى الناس ، وتقدمت إليهم في بدء الامر ، وأمرتهم بإغاثته قبل الوقعة ، ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدءا ، فمنهم الاتى كارها ومنهم المتعلل كاذبا ، ومنهم القاعد خاذلا . أسأل الله أن يجعل لى منهم فرجا ، وأن يريحنى منهم عاجلا ، فو الله لولا طمعى عند لقاء عدوى في الشهادة وتوطينى نفسى عند ذلك لاحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا . عزم الله لنا ولك على تقواه وهداه ، إنه على كل شئ قدير . والسلام عليك ورحمة الله وبر كاته . قال : فكتب إليه عبد الله بن عباس : لعبد الله علي أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس . سلام علي أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد بلغنى كتابك تذكر فيه افتتاح مصر وهلاك محمّد بن أبي بكر ، وأنك سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيتك التي ابتليت بها فرجا ومخرجا ، وأنا أسأل الله أن يعلي كلمتك ، وأن يغشيك بالملائكه عاجلا . واعلم أن الله صانع لك ، ومعز دعوتك ، وكابت عدوك . وأخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطئوا ثم نشطوا ، فارفق بهم يا أمير المؤمنين ودارهم ومنهم ، واستعن بالله عليهم . كفاك الله الهم ! والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . دارهم ومنهم ، واستعن بالله عليهم . كفاك الله الهم ! والسلام

---

(٤) المائدة ٥ : ٤٥.

(٥) المائدة ٥ : ٤٧.

(٦) نقم عليه ، بكسر الفاف : أنكر أمره .

(٧) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٦ : ٧٩ ـ ٨٧.

عليك ورحمة الله وبركاته . قال إبراهيم : وروى عن المدائنى ، أن عبد الله بن عباس قدم من البصرة على علي فعزاه عن محمّد بن أبي بكر . وروى المدائنى ، أن عليا قال : رحم الله محمّداكان غلاما حدثا ، لقد كنت أردت أن أولى المرقال[1] هاشم بن عتبة مصر ، فإنه والله لو وليها لما خلى لابن العاص وأعوانه العرصة ، ولا قتل إلّا سيفه في يده ، بلا ذم لمحمد ، فلقد أجهد نفسه فقضى ما عليه .

قال المدائنى : وقيل لعلى عليه السلام : لقد جزعت على محمّد بن أبي بكر يا أمير المؤمنين . فقال : وما يمنعنى ! إنه كان لى ربيبا ، وكان لبنى أخا ، وكنت له والدا ، أعده ولدا».[2]

وفي كلامه عليه السلام دلالات:

اولاً: انه لم يتمكن لفرض ارادته الشخصية في تعيين والي مصر، حيث كانت ارادة قيادات جيشه علىٰ تولية غير من يريده شخصيا، وهذا الموقف يدل على احترام القائد لمبدأ الشورى الاسلامي والتزامه به على الرغم من ارادته خلاف ذلك، ومن الطبيعي ان يكون في مخالفة الشورى مضاعفات أشد، كخروج هذا البعض في القيادة واعلان المعارضة كما فعله الخوارج، ولعله تحسباً لذلك لم يفرض ارادته.

ثانياً: اعتماده على هاشم المرقال وخبرته العسكرية، كما ينبئ عن ذلك تاريخه الماضي الوضيئ، فانه لوكان والى مصر (لما أخلىٰ لهم العرصة) وهي الارض الواسعة، والمعنيّ بها ساحة الحرب بمصر (ولا انهزهم الفرصة) وهي فرصة تعاون الأعداء مع الاقلية المعارضة التي انتهزوها لاشعال نار الفتنة.

ثالثاً: التقدير لمواقف محمّد بن أبي بكر، الذي أدّى دوره حسب اجتهاده ـ باخلاص، وان كانت تنقصه الخبرة العسكرية بحكم حداثة سنه بالنسبة الى المرقال، وفقدان هذه الخبرة ليس ذمّاً، فالناس مختلفون في المواهب، وانما الاعمال بالنيات.

رابعاً: العطف الشخصي لمحمد بن أبي بكر، الذي يرجع نسباً الى الخليفة الاول (رض)، ولكنه تربّى في حجر علي عليه السلام، فطبيعيّ ان يكون قريباً إليه روحياً، فيكون له (حبيباً) بحكم تربيته الاسلامية التي تلقاها من الامام عليه السلام، علىٰ انه (كان) له (ربيا) والربيب هو ابن إمرأة الرجل من غيره، فانه ابن اسماء بنت عميس التي تزوّجها ابو بكر (رض) فاولدت له محمّداً ثم بعد وفاته تزوّجها علي عليه السلام فكان كأحد أولاده في التربية.

---

(١) الارقال : ضرب من العدو ، يقال : أرقلت الناقة فهي مرقل ومرقال ، قال في اللسان :) والمرقال : لقب هاشم بن عتبة الزهري ، لان عليا عليه السلام دفع إليه الراية يوم صفين ، فكان يرقل بها إرقالا .

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٦ : ٩٢ ـ ٩٤.

وتاريخ حياته من الولادة حتى الوفاة ينبئ عن الولاء الخالص للمبادئ الاسلامية، ومواقف اعدائه كذلك تكشف عن بعدهم عن المبادئ الاسلامية والتي ختموها باحراق جسده في جلد حمار مما لم يسبق له مثيل في تاريخ الاسلام.

[الخطبة ٦٩]

ومن كلام له عليه السلام في ذم أصحابه

كَمْ أُدَارِيكُمْ(١) كَما تُدَارَى ٱلبِكَارُ(٢) العَمِدَةُ(٣)، وَالثِّيَابُ المُتَدَاعِيَةُ(٤)، كُلما حِيصَتْ(٥) مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ(٦) مِنْ آخَر، كُلَّمَا أَظَلَّ(٧) عَلَيْكُمْ مِنْسَرٌ(٨) مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَٱنْجَحَرَ(٩) ٱنْجِحَارَ الضَّبَّةِ(١٠) فِي جُحْرِهَا، وَالضُّبُعِ فِي وِجَارِهَا(١١).

الذَّلِيلُ ـ وَٱللهِ ـ مَنْ نَصَرْتُمُوه، وَمَنْ رمىَ بِكُمْ فَقَدْ رمىَ بِأَفْوَقَ(١٢) نَاصِلٍ(١٣).

إِنَّكُمْ وَٱللهِ لَكَثِيرٌ فِي ٱلْبَاحَاتِ(١٤)، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَات، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ(١٥)، وَلَكِنِّي وَٱللهِ لاَ أَرَى إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي.

---

(١) المداراة بالهمزة: المدافعة، وبغير الهمزة: الملاينة.
(٢) في هامش الأصل والف وب: جمع بكر، وهو الفتىٰ من الإبل، وفي هامش ب: الجمل.
(٣) في هامش الأصل: العمدة جمع عميد، وهو الذي تشدّخ سنامه من داخله وظاهره صحيح، وفي هامش الف: عمد البعير: إذا انتفخ داخل سنامه من الركوب وظاهره صحيح، وهو ذو عمد.
(٤) في هامش الف: تداعت الحيطان للخراب: إذا خرب بعضها فدعا الآخر إلىٰ مثل حاله، وفي هامش ب: الثياب المتداعية: الخلق، كأن بعضها يدعو بعضها للانخراق إذا مس باليد.
(٥) في هامش الأصل: أي رقعت، والحيص: الخياطة، وفي هامش الف وب: أي خيطت.
(٦) في هامش ب: انخرقت.
(٧) في الف وط ود: أطل. وفي هامش الأصل: روي بالمعجمة وبالمهملة، والمعنىٰ: أشرف.
(٨) في هامش الأصل: بفتح الميم وكسر السين، وبكسر الميم وفتح السين: سريّة، وفي هامش الف: جماعة. وفي هامش ب: قطعة من الجيش، المقدم.
(٩) في هامش ب: دخل.
(١٠) في هامش الف: انما أوقع التشبيه علىٰ الضبة مبالغة في وصفهم بالجبن؛ لأنّ الأُنثىٰ أذلّ من الذكر.
(١١) في هامش ب: موضعها.
(١٢) في هامش الف: الأفوق: السهم إذا انكسر فوقه، وفي هامش الأصل: أي مكسور فوقه وهو موضع الوتر من السهم، وفي هامش الف: مثله بزيادة: وهذا مثل يضرب لمن استنجد بمن لا ينجد.
(١٣) في هامش ب: إذا الغي نصله، وفي هامش الأصل: أي سقط نصله.
(١٤) في هامش الف: الباحة: ساحة الدار، وفي هامش ب: العرصات.
(١٥) في هامش الف: معناه: لا يصلحكم إلّا السياسة بالسيف، وأنا لا أرىٰ ذلك، وفي هامش الأصل: أي اعوجاجكم.

أَضْرَعَ[١] ٱللهُ خُدُودَكُمْ[٢]، وَأَتْعَسَ[٣] جُدُودَكُمْ[٤]، لاَ تَعْرِفُونَ الحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُم ٱلْبَاطِلِ، وَلاَتُبْطِلُونَ ٱلْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُم الحَقَّ!

(١ / ط - ٦٩) بين الاستبداد والاعداد:

هذا الكلام من خطبة تقدم مطلعها في الخطبة (٣٩) في شأن غارة النعمان بن بشير على عين التمر، وفيها استنهض عليه السلام الجيش لأداء دوره الدفاعي المطلوب في محاربة المعتدين، فراجع، وفيه يعبّر الامام عليه السلام عن سياسته العسكرية القائمة على الشورى في نظام الجيش، فان الجيش يساق الى ساحة المعركة بأحد طريقين لا ثالث لهما:

اولاً: الاستبداد بسوق الجيش الى المعركة على رغم ارادته بسبب القيود القانونية التي يقيد بها، فلا يكون للجندي الخيار بعدها حيث انه يعاقب قانونا عند تخلّفه، اضافة إلىٰ اختلاف الاسباب التي تجبره علىٰ التقيّد بالقانون من الاغراءات بالمال أو الجاه وما شابه من الماديات والعناوين.

ثانياً: الاعداد والتثقيف للجيش بأداء واجبه العسكري عن ايمان بشرعية الحرب وضرورة الدفاع عن الاهداف التي من اجلها اعلنت الحرب كما هو شأن الحروب العقائدية للدفاع عن الارض والوطن والمبدأ وماشابه.

وقد اختار الامام الطريق الثاني ورفض الطريق الاول، على علمه بما في هذا الطريق، والاسباب والنتائج التي صرح بها في اكثر من مناسبة، ومنها: هذا الكلام عند غارة جيش العدوّ على عين التمر.

تعبئة الجيش:

في سبيل اعداد الجيش المسؤول للدفاع عن المبادئ أشار الامام القائد إلىٰ الحالة السائدة التي تكشف عن غياب الوعي العسكري (لا يعرفون الحق كمعرفتكم الباطل) في نقاط:

موقف المداراة من القائد برفض استخدام القوة في إعداد الجيش، فان ذلك منافٍ للمبادئ الاسلامية اولاً، وقد تنتج نتائج عكسية ثانيا، فالافضل في مثل هذه الحالة المداراة، وقد أشار الامام الى ان المداراة بلغت حدها الأقصى بامرين، اولاً: التكرار بقوله:

---

(١) في هامش ب: أي ذلّل، وفي هامش الأصل: أي أذلّ.
(٢) أي أذل الله وجوهكم.
(٣) في هامش الف: أي أهلك حظوظكم، يريد جعل شعوركم ادباراً، وفي هامش ب: التعس الهلاك، وأصله النكب، وهو ضد الانتعاش [والمعنىٰ]: ألزمه هلاكاً.
(٤) في هامش ب: جمع جد، وهو البخت.

(كم أُداريكم) في مناسبات مختلفة وطرق متعددة وهذا الكلام منها.

ثانياً: اسلوب المداراة بالتمثيل بالحالات المعروفة في ذلك العصر، وذكر من ذلك مثالين:

المثال الاول: (كما تدارى البكار العمدة) حيث ان الوسيلة النقلية المستخدمة آنذاك بكثرة كانت هي الابل (البكار)، وهي الفتيّ من الابل (والعمدة) هي الابل التي انشدخت اسنمتها من داخل وظاهرها صحيح، وذلك لكثرة ركوبها، فالجيش كالفتيّ من الابل، حيث يفقد الخبرة العسكرية المطلوبة بالرغم من مظهره المخيف بالكثرة العددية ولكنه غير معدّ لتحمّل المسؤولية.

المثال الثاني: (الثياب المتداعية، كلما حيصت من جانب تهتّكت من آخر) والمتداعية: الخلقة من الثياب، فان الخرق في بعضها يدعوا البعض الاخر الى الخرق ايضا، والخوص: الخياطة، والتهلك: الخرق. فان الثياب الخلقة لا ينفع فيها الخياطة لاتساع الخرق على الراقع أحياناً من كل الجوانب.

موقف الجيشين:

وأشار عليه السلام الى موقف الجيش لعدم في الدفاع عن حقوقه، وهو موقف تكرر منه تجاه العدوّ بقوله: (كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه) والاطلال: الاشراف كالظل، والمنسر: طائفة من الجيش. واغلاق الباب كناية عن عدم الاستعداد للمواجهة بسبب التقاعس عن الدور المسؤول في الدفاع، ومثل لذلك بمثالين:

اولاً: (انجحار الضبّة في جحرها) والانجحار: التستّر، والضبة: انثى الضب، وهو حيوان زاحف وحشي له ذنب كثير العقد، وإذا ادخل حجره فانه لا يخرج منه خوفاً حتى أصبح مثلا (لا أفعله حتى يرد الضب).

ثانياً: (والضبع في وجارها) والضبع: حيوان وحشي من السباع، والوجار: بيت الضبع الذي يستتر فيه من العدو.

والمثالان يكشفان عن مدى فقدان الوعي العسكري للناس في عصره، حيث انهم يفقدون الاستعداد لمواجهة العدوّ في ساحة المعركة، ويعتبرون غلق الابواب رادعاً للاعتداء من العدوّ المحارب الذي لا يردعه سوى الدفاع بالقوة العسكرية.

نتيجة الموقفين:

ونتيجة الموقفين الطبيعية هي: انتصار العدوّ بالطرق غير المشروعة اسلامياً.

اما موقف الجيش، فهو الحضور في المظاهرات (الكثير في الباحات) والباحة هي الساحات حيث يأمن من الاعتداءات (قليل تحت الرايات) التي تستخدم للحرب لردّ

الاعتداءات.

اما موقف القائد، فهو ان النصر يكون بالجيش، والجيش الذي لا يستعد للتضحية لا يمكن ان ينتصر، وبالنتيجة يكون قائدها منكسراً أمام العدوّ.

(الذليل والله من نصرتموه) لان النصر عندهم كان بالشعارات والمظاهرات، وليس بالجهاد في ساحة المعركة، ولا يمكن للقائد ان ينتصر من دون جيش مستعد للتضحية، بل يكون شأنه شأن (من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل) والنصل: حديدة الرمح السهم والسكين وما شابه، والسهم الافوق الناصل: المكسور فوقه أو المنزوع نصله، فلا يكون له الدور المؤثر المطلوب منه، وليس له سوى ظاهر السهم، فهو يخيف من لا يعرفه على حقيقته، وليس للقائد في مثل هذه الحالة سوى خيارين:

اولاً: الاستبداد باستخدام القوة في سوق الجيش، وهذا امر مرفوض مبدئياً في الاسلام، كما تدل عليه سيرة النبيﷺ في حروبه، وقال: (وإني لعالم بما يصلحكم) بالاستبداد الذي (يقيم إوَدكم) والأود: الانحراف والاعوجاج، ولكن هذا مرفوض اسلاميا (ولكن لا أرى اصلاحكم بإفساد نفسي) لان استخدام القوة انحراف عن سنة الرسول ﷺ ولا يستخدمها إلاّ من لا يؤمن بالمبادئ الاسلامية أو الثوابت النبوية.

ثانياً: الاعداد بالنية على ما قد يهيؤهم لأداء الدور المطلوب منهم، وقد أشار الىٰ حقائق قد اجتمعت فيهم، وهي:

١ ـ (أضرع الله خدودكم) وهو إخبار بما حصل من نتائج مواقفهم، ومنها غارة النعمان، أو هو دعاء عليهم نتيجة اعمالهم.

٢ ـ (وأتعس جدودكم) والجد: الحظ، والتعس: الهلاك، وما أتعس من لم يهتد الىٰ دوره المطلوب منه في ظل قيادة حكيمة، وما حصل في عين التمر، من غارة النعمان هو افضل شاهد على ذلك.

٣ ـ (لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل) فان المفروض أن من عرف الحق يجب عليه ان يؤدى دوره المطلوب على اساسه. والمفروض ـ في حادثة عين التمر ـ انهم قد عرفوا الظلم الحاصل، والنتيجة الظالمة، ولكن لا يقومون بدورهم في الدفاع عن انفسهم قبل وقوع الظلم عليهم.

٤ ـ (ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق) حيث انهم يتقاعسون عن الدفاع الذي هو واجب حقّ عليهم، ويستخدمون كل المبررات لعدم القيام بالدفاع الحق في الواجب الشرعي قولا وعملا، ولا يقومون بنفس الدور بالنسبة الى إبطال الباطل، وهو الظلم، بل يكتفون بالقول استنكارا من دون أيّ فعل عملا.

[الخطبة ٧٠]
وقال عليه السلام في سحرة[١] اليوم الذي ضرب فيه

انّ اليوم الذي ضرب فيه الامام على كان عند صلاة الفجر من اليوم التاسع عشرمن شهر رمضان في مسجد الكوفة، ولا يزال المحراب الذى ضرب فيه معروفاً في الجهة الجنوبية من المسجد، المحاذي للباب المعروف بباب الفيل، واذا صح حسب الجداول الفلكية أنّ طلوع الشمس في مكة المكرمة في تاريخ ١٩ / رمضان / ٦٠ هـ وكان الاغتيال في الساعة السادسة واثنين واربعين دقيقة (٦:٤٢) فيكون صلاة الفجر في ٧٢ دقيقة قبل ذلك أي في الساعة (٥:٥٤) الخامسة واربعة وخمسين دقيقة. والسحر ـ لغة ـ آخر الليل قبل انصداع الفجر، فيكون هذا السنح قد حصل حوالي الساعة الخامسة والنصف بعد منتصف الليل، قبيل تناول طعام السحور أو بعده، قبيل صلاة الفجر، وهو جالس استعداداً لاستفتاح الواجب اليومي بصلاة الفجر.

(١/ط - ٧٠) **مكاشفة روحية:**

مَلَكَتْنِي عَيْنِي[٢] وَأَنَا جَالِسٌ، فَسَنَحَ[٣] لِيَ رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وآله، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ ٱللهِ! مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ[٤] مِنَ ٱلْأَوَدِ[٥] وَٱللَّدَدِ[٦]! فَقَالَ: ٱدْعُ عَلَيْهِمْ. فَقُلْتُ: أَبْدَلَنِي ٱللهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ[٧]، وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي.

(قال الرضيّ رحمه الله)[٨]:

ويَعْنِي[٩] بالأَوَد ٱلإعْوجاج، وباللَّدَد الخِصَام، وهذا منْ أَفْصَح الكلام.

---

(١) في هامش ب: وقت سحر اليوم الذي قتل فيه.

(٢) في هامش الف: أي غلبني النوم. وفي هامش ب: نامت عيني.

(٣) في هامش الأصل والف: أي مرّ مسرعا كما يمر الطير، وفي هامش ب: سنح: اعترض، وسنح: مرّ من ميامنك إلىٰ مياسرك.

(٤) في هامش الف: عنىٰ بهم الخوارج وما جرىٰ معهم بالنهروان.

(٥) في هامش الأصل: الاعوجاج.

(٦) في هامش الأصل: الخصومة، وفي هامش ب: الداهية، يريد أيّ شرّ لقيت، علىٰ معنىٰ التعجب، كقوله: يا جارتا ما أنت جار.

(٧) في الف وب ود: خيراً لي منهم.

(٨) لم ترد «قال الرضيّ... إلى من أفصح الكلام» في أ و ب، ولم ترد عبارة «قال الرضي رحمه الله» في ص و د.

(٩) في ص : يعني.

الصلة الروحية بين الانسان وما يتعلق به تجعل الانسان ان يتذكّره في أغلب الحالات، وخاصة في الحالات الصعبة التي يواجهها في الحياة، ومن هنا يتوجه المؤمنون الى الله سبحانه ويذكرونه على كل حال، ويتوجّه الأبناء إلىٰ لآباء والاولاد إلى الامهات لما يعهدون فيهم من الخبرة والاخلاص والعطف.

فليس من الغريب ان يتذكر الامام علي مربّيه الاول الرسول الاعظمﷺ فيما يواجهه من الصعوبات في الحياة، وأفضل وقت تفتح الطبيعة قلبها للانسان هو وقت السحر، حيث تسود الطبيعة الكون بالهدوء والسلام حتى مطلع الفجر، وتسنح، أي تظهر وتثمر هذه الحالة الروحية للامام علي عليه السلام.

وقوله: (ملكتني عيني) من فصيح الكلام، يريد: غلبتني النوم، قاله الشارح بن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ).

وقوله: (فسنح لي رسول الله) أي ظهر لي، في مكاشفة روحية سريعة المدّة، كما تمرّ الطيور في الجوّ مرورا سريعاً، وكانت المحادثة المقتضبة التي تكشف عن عمق صلة الامام بالنبي ﷺ والاهتداء بهديه في قراراته الشخصية.

اشتكى لرسول الله قائلاً: (ما لقيت من امتك من الأود واللّدد) ويعني بالأود: الاعوجاج، واللدد: الخصام، وهذا من أفصح الكلام، قاله الشريف الرضي، ويكفي دليلا على ذلك: الحروب التصحيحية الثلاث التي خاضهاعليه السلام في الجمل وصفين والنهروان خلال ثلاث سنوات متعاقبة.

وكان جواب الرسول ﷺ: (ادع عليهم) ففي مثل هذه الحالات الصعبة التي لا تحلّ بالطرق العادية لا يمكن الحل بسوى التوجّه الى الله تعالى سبحانه بالدعاء.

وقد اخذ الامام بهذا التوجيه ودعا، مما يكشف عن عمق الأسىٰ في قلبه، بقوله: (أبدلني الله بهم خيراً منهم، وابدلهم بي شراً لهم منّي) وهاتان النقطتان تحققتا عقيب هذه السانحة بقليل، فالنقطة الاولى: تحققت في أقل من نصف ساعة تقريبا حيث ضرب الامام عليعليه السلام بالضربة القاضية على حياته، وهو يقوم بدوره المسؤول حيث قال :(فزت وربّ الكعبة) فما أعظم الشهادة والموت في حال اداء المسؤولية! والنقطة الثانية: تحققت عقيب وفاته من الحكم الملكي المستبدّ الذي ابتدأ بحكم معاوية بن أبي سفيان مؤسس الخلافة الاموية القائمة على الملك والقبليّة، معرضا بذلك عن اصل الشورى الذي أكدّ عليه الاسلام في الحكم، ولم يقم في تاريخ الاسلام للامة حكومة الخلافة الراشدة قط، وان حصلت محاولات متفرقة في فترات زمنية متقطعة.

[الخطبة ٧١]
ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل العراق
وفيها يوبّخهم على ترك القتال والنصر، ثم تكذيبهم له

يتضمن هذا المقطع وصف اهل العراق ومصيره اليـه واتـهام عـليّ بـالكذب ولغـة المصالح.

وتاريخ الخطبة، كما يظهر من ابن أبي الحديد، انها من خطبة له بعد صفين، في سنة ٣٧ وتكشف عن خلفية الخطبة بعض الروايات، منها رواية الرضي، وهذه تتفق مـع روايـة المفيد حيث يخاطب فيها اهل الكوفة، في كثير من المقاطع في خطبة طويلة، اوردتها نصّاً في «مسند نهج البلاغة» في الخطبة (٢٥) والتي تلقي الضوء على خلفية هـذا المـقطع، وأكتفي هنا بمطلعها، قال المفيد رحمه الله (ت / ٤١٣ هـ):

ومن كلامه عليه السلام في مقام آخر : أيها الناس ، إني استنفرتكم لجهاد هؤلاء القـوم فـلم تنفروا ، وأسمعتكم فلم تجيبوا ، ونصحت لكم فلم تقبلوا ، شهود كالغيب ، أتلو عليكم الحكمة فتعرضون عنها ، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها ، كأنكم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، وأحثكم على جهاد أهل الجور فما اتى على آخر قولي حتى أراكـم متفرقين أيادي سبأ ، ترجعون إلى مجالسكم تتربعون حلقا ، تضربون الامثال ، وتناشدون الاشعار ، وتجسسون الاخبار ، حتى إذا تفرقتم تسألون عن الاسعار ، جهلة من غير لم ، وغفلة من غير ورع ، وتتبعا في غير خوف ، نسيتم الحرب والاستعداد لها ، فأصـبحت قلوبكم فارغة من ذكرها ، شغلتموها بالاعاليل والاباطيل . فالعجب كل العجب وما لي لا أعجب من اجتماع قوم على باطلهم ، وتخاذلكم عن حقكم ! . يا أهل الكوفة ، أنتم كام مجالد ، حملت فأملصت ، فمات قيمها ، وطال تأيمها ، وورثها أبعدها . والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إن من ورائكم للاعور الادبر جهنم الدنيا لا يبقى ولا يذر ، ومن بعده النهاس الفراس الجموع المنوع ، ثم ليتوارثنكم من بني أمية عدة ، ما الاخر بأرأف بكم من الاول ، ما خلا رجلا واحدا بلاء قضاه الله على هذه الامة لا محالة كـائن ، يـقتلون خـياركم ، ويستعبدون أراذلكم ، ويستخرجون كنوزكم وذخائركم من جوف حـجالكم نـقمة بـما ضيعتم من أموركم وصلاح أنفسكم ودينكم . يا أهل الكوفة ، أخبركم بما يكون قبل أن يكون ، لتكونوا منه على حذر ، ولتنذروا به من اتعظ واعتبر . كأني بكم تقولون : إن عليا يكذب ، كما قالت قريش لنبيها صلى الله عليه وآله وسيدها نبي الرحمة محمّد بن عبد الله حبيب الله ، فيا

ويلكم ، أفعلى من أكذب ! ؟ أعلى الله ، فأنا أول من عبده ووحده ، أم على رسوله ، فانا أول من آمن به وصدقه ونصره ! كلا ، ولكنها لهجة خدعة كنتم عنها أغبياء والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لتعلمن نبأه بعد حين ، وذلك إذا صيركم إليها جهلكم ، ولا ينفعكم عندها علمكم ، فقبحا لكم يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال ، أم والله أيها الشاهدة أبدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهواؤهم، ما أعز الله نصر من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، ولا قرت عين من آواكم ، كلامكم يوهي الصم ، الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم علوكم المرتاب . يا ويحكم ، أي دار بعد داركم تمنعون ! ومع أي إمام بعدي تقاتلون ! المغرور – والله – من غررتموه ، من فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ، أصبحت لا أطمع في نصركم ، ولا أصدق قولكم ، فرق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم ، وأعقبكم من هو شر لكم مني».[١]

(١/٧١ - ط) اهل العراق:

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ ٱلْعِرَاق، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالمَرْأَةِ الحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ[٢] أَمْلَصَتْ[٣] ومَاتَ قَيِّمُهَا[٤]، وطَالَ تأَيُّمُهَا[٥]، ووَرِثَهَا أَبْعَدُهَا[٦].

يصف الامام في هذا المقطع اهل العراق ـ وفي رواية المفيد: وأهل الكوفة ـ والكوفة باعتبارها عاصمة الامام علي عليه السلام، كانت تمثل العراق كله، والخطاب موجّه إلى قادة

(١) الارشاد ؛ للشيخ المفيد ١ : ٢٧٨.
(٢) في هامش ب: زمان حملها.
(٣) في هامش الأصل: ألقت ولدها سقطا، وفي هامش ب: اسقطت.
(٤) في الف: قائمها، وفي هـ ب و ص: زوجها، وفي هامش الف: بعلها.
(٥) في هامش الأصل: خلوها عن زوجها، وفي هامش ب: طال عليها الأيومة، وفي هامش الف: خلوها عن الأزواج، يقول: لما شارفتم استئصال أهل الشام وظهرت لكم أمارات الظفر، نكصتم وأوجفتم إلىٰ السلام والإجابة إلىٰ التحكيم عند رفع المصاحف، فكنتم كالمرأة الحامل لما أتمّت أشهر حملها ألقت ولدها هالكا، ثم لم يكتف لهم حتىٰ قال: ومات بعلها وطال أيمتها وورثها أبعدها.
ثم أقسم أنّه لم يأتهم اختياراً، بل اضطراراً؛ فإنّه عليه السلام لولا احتياجه إلىٰ أهل الكوفة ليستعين بهم على أهل البصرة لما خرج من المدينة أصلا.
ثم بلغه عن منا فقي أصحابه أنهم يقولون: يكذب، وذلك أنّه روي عنه انه قال: لو شئت لحدثتكم بأخباركم وماتخفون عنّي وما يكون منكم خفياً، يظهرني الله سبحانه عليه، وإذا تأملت أحواله في خلافته وجدتها مختصرة من أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته من حربه وسلمه وسيرته وأخلاقه وشكواه من منافقي أصحابه، وتكذيب قومه له واستبعاد ما كان يخبرهم به.
(٦) في هامش ب: تزوج بها جاف سيء الخلق، وفي هـ . ب ـ أيضاً ـ: أبعدها: اي الخائن، ومنه قولهم: كبت الله الأبعد.

الجيش المفروض فيه تحمّل المسؤولية العسكرية للدفاع عن الوطن والاهداف الاسلامية.

ويظهر من الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) أنها من خطبة بعد التحكيم حيث شرحه بقوله: «لما شارفتم استئصال اهل الشام وظهرت امارات الظفر لكم ودلائل الفتح نكصتم وجنحتم الى السلم والاجابة الى التحكيم عند رفع المصاحف، فكنتم كالمرأة الحامل لما أتمت أشهر حملها القت ولدها...».(١)

وليس في رواية المفيد ما يصرّح بذلك، والظاهر انه وصف عام لطبيعة قيادة الجيش في الكوفة، باعتبارها قيادة ذات طريقة عسكرية، فهي تستجيب للمادة والماديات فقط، وتفتقر الىٰ الخبرة السياسية والروحية.

والتمثيل بالمرأة الحامل، يشير الى سلسلة مترابطة من الأحداث في الماضي والحال والمستقبل، ففي الماضي تحققت اسباب متصلة حتى تمّ الحمل، ولم يتم مسؤولية الحمل، وفي الحال حصل الاجهاض، حيث أملصت الحامل، اي أسقطت حملها بشكل غير طبيعي، وفي المستقبل سوف تترتب آثاراً سيئة غير متوقعة، هي:

١ ـ (مات قيّمها) أي زوجها، فهي بدون والي يحميها.

٢ ـ (وطال تأيّمها) أي عزوبتها عن الزواج بزوج اخر.

٣ ـ (وورثها أبعدها) بعد موتها حيث لا ولد لها ولا زوج، فورثها الأباعد.

وحالة الجيش ـ أي جيش ـ مع غياب الوعي السياسي وعدم الانصياع للقائد في قراراته، لابد وان يمر بالمراحل الثلاث من الماضي والحال والمستقبل، بان يفقد القائد المخلص ويطول غياب القيادة الحكيمة ويصبح الجيش في النتيجة طعمة لأُناس غير كفوئين يصادرون قدرات الجيش في سبيل مصالحهم بدل ان تبذل في سبيل الوطن والاهداف الاسلامية.

(٢ / ط - أ٧) المصير الى العراق:

أَمَا وَٱللهِ مَا أَتَيْتُكُم (٢) ٱخْتِيَاراً؛ وَلٰكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً(٣).

وحيث ان هذا الوصف الدقيق يكشف عن معرفة كاملة بماضي القوم وتاريخهم يطرح سؤال مباشر على الامام، وهو أنه كيف صار الى العراق وهو يعلم منهم ما يعلم؟

وأشار عليه السلام في الجواب إلىٰ الحقيقة التاريخية، فانه لم يقصد التوطّن في العراق قط،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ١٦٧.

(٢) في الأصل ظاهراً: أجبتكم، ويحتمل: جئتكم، ثم صحح بما في المتن.

(٣) في هامش ب: أي ساقوني إليكم سوقاً.

وحلف لذلك قائلا: (اما والله ما أتيتكم اختياراً ولكن جئت إليكم سوقاً).

ونعم ما قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «ثم أقسم أنه لم يأتهم اختيارا ، ولكن المقادير ساقته إليهم سوقا ، يعني اضطرارا . وصدق عليه السلام ، لانه لو لا يوم الجمل لم يحتج إلى الخروج من المدينة إلى العراق ، وإنما استنجد بأهل الكوفة على أهل البصرة ، اضطرارا إليهم ، لانه لم يكن جيشه الحجازي وافيا بأهل البصرة الذين أصفقوا على حربه ونكث بيعتة ، ولم يكن خروجه عن المدينة وهي دار الهجرة ومفارقته لقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر فاطمة عن إيثار ومحبة ، ولكن الاحوال تحكم وتسوق الناس إلى ما لا يختارونه ابتداء».(١)

(٣/ط - ٧١) الاتهام الكاذب:

وَلَقَد بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ(٢) يَكْذِبُ، قَاتَلَكُمُ اللهُ(٣)! فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ!أَعَلَى اللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ منْ آمَنَ بِه! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوّلُ مَنْ صَدَّقَهِ(٤)!

وعليٌّ باعتباره القائد الذي عاش مع النبي صلى الله عليه وآله منذ صغره، وخاض الحروب في جنبه، وعاصر الاحداث السياسية الكبرى بعد النبوة حتى خلافته كان يتنبأ بالمستقبل استناداً الى تجاربه الشخصية ومارواه عن النبي صلى الله عليه وآله من الملاحم، ولم يعي الجيش الذي تقوقع على نفسه في الكوفة ذلك، فاتهم الامام عليه السلام بالكذب، وقد فنّد عليه السلام هذا الافتراء بحقيقتين من تاريخه المشرق، وهما:

(فعلى من أكذب؟)

١ ـ فإنّ الكذب على الله لا يكون ممن يؤمن به وعليّ هو (أوّل من آمن به) صغيراً قبل غيره من الصحابة الكرام.

٢ ـ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا لا يكون ممّن صدّقه وصلّى معه صغيرا قبل غيره من الصحابة، فالاتهام بالكذب ليس إلّا وسيلة المنافقين للدعاية ضد الامام عليه السلام.

ونعم ما قال ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) (ت /٦٥٦) في هذا الصدد: «واذا ما تأملت احواله في خلافته كلّهاوجدتها هي مختصره عن احوال رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته كأنّها نسخة منتخبة منها في حربه وسلمه، وسيرته واخلاقه، وكثرة شكايته من المنافقين من

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٦ : ١٢٨.
(٢) كذا في ط وهامش ب، وفي نسخة، ولم ترد «علي» أو في .
(٣) في ط: الله تعالىٰ.
(٤) في ط: صدّق به. وفي هـ. د: صدق به ـ ح .

اصحابه والمخالفين لأمره، واذا اردت ان تعلم ذلك علما واضحا فاقرأ سوره براءة»[١]

(٤ / ط - ١٧) لغة المصالح:

كَلَّا واللهِ؛ لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ[٢] غِبْتُمْ عَنْهَا، ولَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا[٣]، وَيْلُ أُمِّهِ[٤] كَيْلاً[٥] بِغَيْرِ ثَمَنٍ[٦] لَوْ كَانَ لَهُ[٧] وعَاءٌ: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[٨].

واشار اخيرا الىٰ أنّ قادة الجيش بحكم صفتهم العسكرية لا يفهمون إلاّ لمصالح المادية البحتة، والامام علي عليه السلام بحكم ماضيه العريق يختلف معهم في هذه المقامين، وهو يتكلم بلغة السياسة الاسلاميه العادلة والمبادئ الروحية الانسانية، ويستخدم الجيش في سبيل تحقيق ذلك، وأين هذا من استخدام الجيش للمصالح المادية البحتة، ولغة الامام القائد هي لغة الايمان والحرب العقائدية والسياسية الاسلامية، فقد اغترف الامام عليّ الايمان من زلال ينبوع الايمان حيث تخرج من مدرسة النبي الاعظم يافعاً، وخاض الحروب لنصرة الاسلام، وعرف مواقف المشركين وخططهم في الحرب عن تجربة شخصية، وعاصر السياسات الاسلامية التي تقدم بها الخلفاء الراشدون قبله، فتكونت له رؤية واضحة للوسائل والاهداف.

و اين هذا من لغة الجيش المتوقع على نفسه في العراق، والذي يفقد التجارب الشخصية التي مرّ بها الامام العقائد منذ بدء الدعوة الاسلامية حتى مصيره إلىٰ العراق؟

ولغة الامام القائد لغة الاسلام المبدئي، والجيش لا يعرف سوى لغة المصالح.

ومن هنا أكّد الامام حالفاً على هذه الحقائق المرّة.

١ ـ (لكنّها لهجة) أي لغة وفلسفة (غبتم عنها) لعدم التخرج من المدرسة الاسلامية الأصيلة.

٢ ـ (ولم تكونوا من أهلها) لعدم المشاركة في مواقف التضحية الاسلامية.

٣ ـ (ويل امّه) عبارة تستعمل للذم، وقد تستعمل للمدح، اشارة إلىٰ الخسارة في فهم

---

(١) شرح النهج ٦: ١٢٩.

(٢) في هامش الأصل: اي طريقة علم، وفي هامش الف: كلمة وفي هامش ب: لهجة لسان يقال: فلان حسن اللهجة.

(٣) في هامش ب: اي تقولون بها وأنتم غافلون.

(٤) في هامش ب: لهجة تعجّب، والضمير في «امه» للعلم أو الكلام.

(٥) في هامش ب: اكيل علمي كيلا، اكيل كيلا يعني علمه وكلامه.

(٦) في هامش ب: ثمن با اشارة إلىٰ كثرة ما يعطهم ولا يريد منهم جزاء ولا شكورا.

(٧) في هـ. د: لو كان لهم وعاء ـ ع .

(٨) اقتباس من سورة .

لغة الثقافة الاسلامية.

٤ ـ (كيلاً بغير ثمن، لو كان له وعاء) اشارة إلىٰ عرض الثقافة الاسلامية لهم من دون ثمن يتقاضى عليه لمنفعة شخصية كما هو المطلوب اسلامياً.

٥ ـ ان المستقبل يكشف عن مدى الخسارة في الاعراض عن المبادئ الاسلامية في الجيش، سواء في خسران الجيش انفسهم القيادة المخلصة، أو خسران الامة بسبب عدم انصياع الجيش للقيادة الحكيمة.

ويكشف عن مدى هذه الخسارة ما نقله الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ)بقوله: «وروى المدائنى أيضا، قال: خطب علي عليه السلام، فقال: لو كسرت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل أو جبل إلّا وأنا عالم متى أنزلت، وفيمن أنزلت. فقال رجل من القعود تحت منبره: يا لله وللدعوى الكاذبة! وقال آخر إلى جانبه: أشهد أنك أنت الله رب العالمين! قال المدائنى: فانظر إلى هذا التناقض والتباين فيه».[(١)]

فلم يستوعب المكذّب تاريخ حياة الامام عليه السلام التي قضاها مع النبي صلى الله عليه وآله منذ الصغر واستوعب الاسلام من منابعه الأصيلة، وأيّة دعوى منها كاذبة؟ هل عدالة الاسلام التي تعمّ جميع الملل وتحترم جميع الاديان من أهل التوراة والانجيل والقران؟

ام من العلم بالقران ونزوله تاريخاً وتفسيراً وتنزيلاً، ممن قضىٰ حياته في خدمة القرآن، واستشهد بآياته في كل مناسبة وفرصة متاحة؟

وهذا التناقض في فهم كلام الامام عليه السلام يكشف عن أن اللغة التي كان يستخدمها الامام في تحليل الثقافة الاسلامية لم تكن مسبوقة الى اذهان الجيش، وان الجيش كان يفسّر كل فقرة حسب فهمه المادي، والله العاصم.

---

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٦ : ١٣٦.

[الخطبة ٧٢]

ومن خطبة له عليه السلام علّم فيها الناس الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله
وفيها بيان صفات الله سبحانه وصفة النبي والدعاء له

الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله:

تتضمن هذه الخطبة الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله في ثلاث مقاطع: مفتتح الصلوات ونص الصلوات وخاتمة الصلوات في سلسلة مترابطة.

وكان الامام على عليه السلام جعل مادة الصلوات على النبي للتعليم وأخذ يعلّمها اصحابه، حيث انها تشير الى الدور البنّاء لتحكيم حكم الله تعالى على الارض.

فبالاسناد الى ابراهيم بن محمّد الثقفي (ت / ٢٨٢ ه) عن أبي سلام الكندي، قال:«كان علي عليه السلام يعلمنا الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله يقول : قولوا : اللهم داحـى المـدحوات وبـارئ المسموكات وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجـعل شـرائـف صـلواتك ونوامى بركاتك، ورأفة تحننك، على محمّد عبدك ورسولك ونبيك، الخـاتم لمـا سـبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيشات الأباطيل ، والدامغ صـولات الاضاليل، كما حمل فاضطلع قائما بأمرك لطاعتك ، مستوفزا في مرضاتك، غير نكل عن قدم، ولا واه في عزم، واعيا لوحيك ، حافظا لعهدك ، ماضيا على نفاذ أمرك ، حتى أورى قبس القابس، وأضاء الطريق للخابط ، وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام ، وأنار موضحات الأعلام ونيرات الاحكام ، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك بالحق ، ورسولك إلى الخلق ، اللهم فاجزه مضاعفات الخير من فضلك ، اللهم أعل على بناء البانين بناءه ، وأكرم مثواه لديك ومنزلته، وأتمم له نوره ، واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة، مرضي المقالة ، ذا منطق عدل، وحظ فصل ، وحجة وبرهان عظيم، آمين رب العالمين».(١)

والصلوات من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن النـبى الدعـاء، كـما شرحت المادة في المعجم، فراجع.

---

(١) الغارات ؛ لابراهيم بن محمّد الثقفي ١: ١٥٩.

(١/ط - ٧٢) **فاتحة الصلوات:**

اللَّهُمَّ دَاحِيَ(١) المَدْحُوَّاتِ(٢)، ودَاعِمَ المَسْمُوكاتِ(٣)، وجَابِلَ الْقُلُوب(٤) عَلَى فِطَرَاتِها(٥): شَقِيِّهَا وسَعِيدِهَا(٦).

وافتتح عليه السلام الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله بالتوجّه الى الله سبحانه بنداء الله بصفاته تعالى، التي تدل على قدرته العامة الواسعة في الخلق اجمعين، وهي:

١ ـ (اللهم داحي المدحوّات) والدحو: البسط والامتداد، فان امتداد كل موجود يرجع الى موجده، وهو الله سبحانه واظهر هذه الموجودات هي الارض التي ينتفع بها كل المخلوقات، فالله سبحانه هو الذي بسط الارضين قدير علىٰ استجابة الصلوات.

٢ ـ (وداعم المسموكات) والمسموك: السقف المرفوع، ومنه سميت السماوات: مسموكات لارتفاعها، ودعمها: حفظها، والمسموكات: السموات المرفوعة التي خلقها الله سبحانه بقدرته في طبيعة محفوظة ونظام دقيق محفوظ من الانحراف عن المسار الطبيعي الذي قدّره لها سبحانه.

٣ ـ (وجابل القلوب على فطرتها) والجبل: الخلق، والفطرة: الحالة التي تخلق عليها حيث خلق الله سبحانه القلوب على الفطرة.

٤ ـ (شقّيها وسعيدها) فمهما اختلفت القلوب بعد الفطرة من درجات الشقاء والسعادة فانها جميعا تشترك في الفطرة الانسانية التي تدعوا الى الله، وانما تغلب على الفطرة العوامل الخارجية التي تنحرف الىٰ الشقاء أو السعادة.

وهذه الصفات الالهية جديرة باستجابة الدعاء في الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله:

(٢/ط - ٧٢) **نص الصلوات:**

اجْعَلْ شَرَائِفَ(٧) صَلَوَاتِكَ، ونَوَامِيَ(٨) بَرَكاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الخَاتِمِ

---

(١) في هامش الف وب: الدحو: البسط.

(٢) وفي هامش ب: أي يا باسط الأرضين المسبوطات، وفي هـ. د: الممسوكات ـ م.

(٣) في هامش الف: تقول دعمت البناء: إذا حفظته من الهدم، فداعم المسموكات: حافظ السموات المرفوعات، وفي هامش ب: حافظ السماوات.

(٤) في هامش الف وب: أي خالق القلوب.

(٥) في ط: فطراتها، وفي هامش الف: أي خالق القلوب علىٰ ما استعدت له في أصل الخلقة؛ لأنّ النفوس الإنسانية انما تنال السعادة والشقاوة بحسب استعدادها الجبلّي لذلك، وفي هامش ب: الفطرة التي فطر الآدمي عليها.

(٦) في هامش ب: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: ان السعيد والشقي كلاهما مجبولان علىٰ الفطرة، أي علىٰ الحالة التي يمكن معها اختيار فعل الخير والشر.

(٧) في هامش ب: جمع شريف.

لِمَا سَبَـقَ، والْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ[(٩)]، والمُعْلِنِ الحَقَّ بِالحَقِّ[(١٠)]، والدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأبَاطِيل[(١١)]، والدَّامِغِ[(١٢)] صَوْلاَتِ الأَضَالِيل[(١٣)]، كَـمَا حُـمِّلَ[(١٤)] فـاضْطَلَع[(١٥)]، قَـائِماً بِأَمْـرِكَ، مُسْتَوْفِزاً[(١٦)] في مَرْضَاتِك، غَيْرَ ناكِلٍ عَن قُدُمٍ[(١٧)]، ولاَ وَاهٍ[(١٨)] في عَزْمٍ، وَاعِـياً[(١٩)] لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً[(٢٠)] عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ؛ حَتَّى أَوْرَى[(٢١)] قَبَسَ[(٢٢)] الْقَابِسِ، وأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ[(٢٣)]، وهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ[(٢٤)] الْفِتَنِ[(٢٥)] والآثام، وأقامَ بِمُوضِحَاتِ[(٢٦)] الأَعْلاَمِ وَنَيِّرَاتِ[(٢٧)] الأحكَامِ؛ فَهُوَ أَمِينُكَ[(٢٨)] الْمَأْمُونُ، وخَازِنُ

---

(٨) في هامش الأصل: جمع نامية، وهي المتزائدة، وفي هامش ب: عوالي.

(٩) في هامش الأصل: أي ما كان باب الهدىٰ قد انغلق فيه لغلبة الجاهلية، ففتحه.

(١٠) في هامش الف: أي المظهر لدين الحق بالمعجزات الحقّة والكتاب.

(١١) في هامش الأصل: جيشات الأباطيل: تزايدها وعلوّها، وفي هامش ب: جمع جيّش.

(١٢) في هامش الأصل: الدمغ: ضرب الرأس حتىٰ تؤثر في الدماغ، وفي هامش الف: المهلك الموصل إلىٰ دماغه، وفي هامش ب: دمغه دمغاً: أي شجّه.

(١٣) في هامش الف: جمع ضلال، علىٰ غير قياس.

(١٤) في هامش الأصل: كما حمّل، يراد ها هنا التعليل، وهي تستعمل له وفي هامش الف: كما حمّل من اعباء الرسالة.

(١٥) في هامش الأصل والف: أي نهض قوياً، وفي هامش الف أيضاً: يقال: فرس ضَلِع، أي قوي الأضلاع، يريد أنّه حث نفسه وأجهدها في رضى الله تعالىٰ، وفي هامش ب: أي قوي فحمل ما حمّله الله من الرسالة.

(١٦) في هامش الأصل: مستوفزاً: أي حثيثاً مستيقظاً، وفي هامش الف وب: المستوفز: المستعجل.

(١٧) في هامش الأصل: غير ناكل عن قدم، أي عن تقدّم، وفي هامش الف: أي غير جبان ولا متأخّر عن اقدام، والقدم: التقدم، وفي هامش ب: غير جبان عن التقدم.

(١٨) في هامش ب: واه: أي ضعيف.

(١٩) في هامش الأصل: أي ناهماً عاقلاً، وفي هامش ب: أي حافظاً.

(٢٠) في هامش الف: مصراً، كقوله تعالىٰ ﴿في تِسْعِ آياتٍ إِلىٰ فِرْعَوْنَ﴾، ولم نقل مرسلاً لان ؟؟ يدل بعضه علىٰ بعض.

(٢١) في هامش الأصل: الإيراء: قدح النار من الزند، والمراد أظهر نور الحق لمن يقتبسه، وفي هامش الف: الوري: خروج النار من الزند، والإيراد: اخراجها منه، وفي هامش ب: ما ورى الزند.

(٢٢) في هامش الأصل: القبس: الشعلة، وفي هامش الف: القبس: شعلة من النار، وأراد به ـ ها هنا ـ نور الحق، وفي هامش ب: شعلة نار.

(٢٣) في هامش الأصل: هو السائر في ظلمة على غير طريق جادة واضحة.

(٢٤) في هامش الأصل: جمع خوضة، وهي المرّة من الخوض في الماء والوحل.

(٢٥) في ب زيادة: والاثم، وفي ط ود زيادة: والآثام، وفي هامش ب: والمصدر في «خوضات» و«الفتن» يضاف إلىٰ المفعول: أي بعد ما خاضت القلوب الفتن أطواراً.

(٢٦) في هامش ب: أي إلىٰ موضحات الاعلام.

عِلْمِكَ الْمخْزُونِ(٢٩)، **وشَهِيدكَ**(٣٠) **يَوْمَ الدّينِ، وبَعيثُكَ**(٣١) **بِالحَقِّ، ورَسُولُكَ إلى الخَلْقِ.**

ويحتوي نص الصلوات على سلسلة من صفات النبي ﷺ التي هي الاسباب الداعية الى الصلوات من الله والملائكة والناس اجمعين؛ لانها تكشف عن انه ﷺ كان رحمة للعالمين، فقال:

(اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمّد) والشرائف: الخيار، والنامي: المتكاثر، والبركة: الزيادة. فان النبي محمّد ﷺ باعتباره خاتم الانبياء الذي ارسله الله سبحانه لهداية البشرية تجمّعت فيه الصفات التي توجب خيار الصلوات وتكاثر السعادات عليه، والتي منها:

١ ـ العبادة (عبدك) فان عبادته لله تعالى ـ بحكم نبوّته ـ كانت خالصة، لا يشوبها شائبة انسانية مادية.

٢ ـ الرسالة (ورسولك) حيث ادّى الرسالة الاسلامية كاملة بما يعجز عنه الانسان المادي.

٣ ـ (الخاتم لما سبق) فهو خاتم الانبياء ختم الله به النبوة، فلا نبيّ بعده، لإكماله الرسالات السابقة.

٤ ـ (الفاتح لما انغلق) من منهج الحياة المتكاملة روحياً وفكرياً واجتماعياً واقتصادياً بإرساء الثوابت الاسلامية التي تفتح ابواب العدالة لطلابها من دون سترة وغموض.

٥ ـ (المعلن الحقّ بالحق) فان رسالة النبي محمّد ﷺ واضحة معلنة لإحقاق الحق بواسطة الحق، فلا يستخدم الباطل لإحقائق الحكم؛ لان الغاية لا تبرر الواسطة.

٦ ـ (الدّافع جيشات الأباطيل) والجيشة: الغليان، فان الباطل إذا جاش لابدّ من دفعه، وقد قام النبي ﷺ بذلك خير قيام.

---

(٢٧) في هامش الف: النيّرات: ذوات النور.

(٢٨) في هامش الف: امينك علىٰ وحيك، والمأمون من القابة عليه السلام.

(٢٩) في هامش الأصل: العلم المخزون: ما أطلع الله عليه رسوله من الأُمور الخفيّة التي لا تتعلق بالأحكام الشرعية؛ كالملاحم وأحوال الآخرة ونحو ذلك من الغيوب، وفي هامش الف: يريد: أطلع الله نبيه علىٰ الأُمور الخفيّة التي لاتتعلق بالأحكام الشرعية كالملاحم وأحوال الآخرة؛ لأن الأُمور الشرعية لا يجوز أن تكون مخزونة عن المكلّفين.

(٣٠) في هامش الف، وفي نسخة: شاهد. وفي هامش الف: شهيدك أي شاهدك؛ كقوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلاءِ شَهِيداً﴾ وفي هامش ب: الشاهد علىٰ أُمّته.

(٣١) في هامش الف: البعيث: المبعوث.

٧ ـ (الدّامغ صولات الاضاليل كما حمّل) وللضلال صولة في محاربة الحق يتدرج فيه خطوة فخطوة، ولابد من دفعه في كل خطوة، وسيرته المطهرة كـافلة بشـرح ذلك فـي المواقف الكثيرة، حاملاً الرسالة كاملة.

٨ ـ (فاضطلع قائما بأمرك) فقام ﷺ بأمر الله سبحانه مضطلعاً، أي بقوة من دون توانٍ.

٩ ـ (مستوفزا في مرضاتك) اي مسارعاً الىٰ الهدف واحد وهو رضا الله سبحانه وحده.

١٠ ـ (غير ناكل عن قدم) والنكول هو النكوص، وغالبا ما يكون عن الجبن من القدم، وهو التقدم في ساحة الحرب الفكرية التي قام بها ﷺ منذ بدء الدعوة والتى اسـتمرت حتىٰ وفاته.

١١ ـ (ولا واهٍ في عزم) والواهي: الضعيف، فلم يكن في مواقفه الرسالية ضعيفا.

١٢ ـ (واعيا لوحيك) والوعي: الفهم، فانه ﷺ كان قد استوعب رسالة الوحي وفهمها فهماً كاملاً.

١٣ ـ (حافظا لعهدك) وهو عهد الله الذي حمّله الانبياء قاطبة حتى النبي الاعظم ﷺ الذي حفظه حرفيا.

١٤ ـ (ماضيا على نفاذ أمرك) حيث نفذ جميع بنود العهود في حياته الشريفة.

١٥ ـ (حتّى أورى قبس القابس) أي اشعل نار الثورة لمن يطلب نور الحق تعالى، وري الزند، أي اخرج ناره. والقبس: شعلة من النار، والمراد بالقبس ـ هاهنا ـ نور الحق؛ قاله الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ).

١٦ ـ (وأضاء الطّريق للخابط) والخابط: الذي يسير ليلا على غير جادة واضحة، فان نور الحق الذي اشعله ﷺ في حياته من أقواله وسننه، أضاء الطريق لمن أراد الاهتداء به.

١٧ ـ (وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام) ونـتيجة الرسـالة المـحمدية كانت: ان القلوب وصلت الى الهداية بعد الخوض في الفتن الجاهلية، والانزلاق بالآثام البشرية المادية.

١٨ ـ (وأقام بموضحات الاعلام) حيث اسس وأقام ﷺ في سننه الاعلام التي يهتدي البشر بها في الحياة، وذلك بوضع منهج العمل الاسلامي.

١٩ ـ (ونيّرات الأحكام) فان الاحكام الرسالية والتشريع المـتكفل لكـافة جـوانب الحياة واضحة نيّرة، من دون غموض في المفهوم أو خفاء في الدلالة.

٢٠ ـ (فهو أمينك المأمون) فانه ﷺ أمين الله على الرسالة، وقد أدّاها بأمـانة، فـهو (المأمون في الاداء).

٢١ ـ (وخازن علمك المخزون) لان علمه مستمد من عـلمه تـعالى، والله سـبحانه

اختص بعلمه المخزون الانبياء، ومن آثاره تظهر التنبؤات المستقبلية في الملاحم والفتن.

٢٢ ـ (وشهيدك يوم الدّين) حيث انه ﷺ الشاهد بعد اداء رسالته، كما قال تعالى: ﴿انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الىٰ الله بإذنه وسراجاً منيرا﴾.

٢٣ ـ (وبعيثك بالحقّ) أي مبعوثك بالرسالة بالحق، فان سيرته الحسنى تدل على انه رسول الله حقاً.

٢٤ ـ (ورسولك الى الخلق) فانه لم تختص رسالته ﷺ بطائفة خاصة، أو اقليم خاص، أو قوميّة خاصة، بل كانت الرسالة التي حملها للبشرية بصورة عامة.

وهذه الصفات المستجمعة في شخصية الرسول القائد ﷺ تستوجب الصلاة عليه في كل مناسبة؛ تاكيداً على حيوية المبادئ التي بشّر بها، كما شرحتها كتب السيرة الشريفة.

(٣/ط - ٧٢) **خاتمة الصلوات:**

اللّهُمَّ ٱفْسَحْ[١] لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ؛ وَٱجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ ٱلْخيْرِ مِن فَضْلِكَ.

اللّهُمَّ وأَعْلِ[٢] عَلَى بنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ[٣]، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَٱجْزِهِ[٤] مِنَ ٱبْتِعَاثِكَ لَهُ، مَقْبُولَ[٥] ٱلشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ ٱلْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخطّةٍ[٦] فَصْلٍ.

اللّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرَدِ ٱلْعَيْشِ[٧] وَقَرارِ ٱلنِّعْمَةِ[٨]، وَمُنَى ٱلشَّهَوَاتِ[٩]، وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ[١٠]، وَرَخَاءِ[١١] ٱلدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى ٱلطُّمَأْنِينَةِ[١٢]، وَتُحَفِ ٱلْكَرَامَةِ[١٣].

---

(١) في هامش الف: في ظلك: أي الظل الممدود الذي ذكره سبحانه فقال: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ يقول: فلان يشملني بظلّه أي بإحسانه، وفي هامش ب: أي وسِّع له المقام في ظلك.

(٢) في د: أعل.

(٣) في هـ. ص: بناءه أي في دار الجزاء، كأنّ العامل يبني بعمله منزله فيها.

(٤) في هامش ب: من الجزاء.

(٥) في هامش ب: مقبول، نصب علىٰ الحال.

(٦) في ط: خطبة. وفي هامش ب: الخطة: الحال والأثر، يقال: خطة سوء.

(٧) في هامش الأصل: برد العيش: العرب تقول: عيش بارد ومعيشة باردة، أي لا حرّ فيها ولا نزاع، لأنّ البرد والسكون متلازمان كتلازم الحر والحركة.

(٨) في هامش الأصل: قرار النعمة: مستقرها، لا ينتقل عنها.

(٩) في هامش الأصل: منىٰ الشهوات: أي ما يتعلّق به الشهوات فيتمنىٰ.

(١٠) في هامش الأصل: وأهواء اللذات: أي ما تهواه الأنفس لتحصيل لذتها.

(١١) في هامش الأصل: ورخاء الدعة: الرخاء مصدر، من قولهم رجل رخي البال، أي واسع الحال مطمئن. والدعة: السكون وعدم التخوّف.

(١٢) في هامش الأصل: منتهىٰ الطمأنينة: غايتها بحيث لا طمأنينة ترجىٰ بعدها. وفي هامش ب: الطمأنينة: السكون في الامن وخفض العيش.

وبعد سرد الاسباب التي توجب الصلوات على النبي ﷺ ختم الصلوات بالدعاء مبيناً لتلك المواقف النبوية الصلبة في أداء الرسالة، في نقاط:

اولاً: (اللّهمّ افسح له مفسحاً في ظلّك واجزه مضاعفات الخير من فضلك) والمراد من الظل: الفيض الالٰهي المترشّح من الذات المقدسة، وهو الاحسان منه تعالى، وهذه المسؤولية التي أدّاها النبي ﷺ بايمانة تستحق الجزاء، وحيث انه لا يعادلها جزاء فهو ﷺ مستحق للجزاء (مضاعفات الخير) ولا يكون ذلك إلّا من فضل الله تعالى.

ثانياً: (اللّهمّ وأعل على بناء البانين بناءه) وتتضمن هذه الفقرة البنود التالية:

١ ـ علوّ البيان في الدنيا، وهي اشارة الى ان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فكريا وعمليا، ويستلزم ذلك امور اُخرىٰ، هي:

٢ ـ كرامة المنزلة عند الله سبحانه، لما قام به من اداء الرسالة الاسلامية الكاملة.

٣ ـ تمام النور بوصول رسالته الى الخلق اجمعين.

٤ ـ قبول الشهادة مصدقا في شهادته يوم القيامة.

٥ ـ مرضيّ المقالة، حيث ادى ما عليه من واجب الرسالة.

٦ ـ ذا منطق عدل، أي عادل، لعدالته في اقواله كما كان في اعماله.

٧ ـ وخطبة فصل، اي الخطاب الفاصل بين الحق والباطل.

فان هذه البنود هي غاية ما يمكن طلبه من الدعاء لشخصية النبي القائد بالنسبة الى شخصه في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: (اللّهم أجمع بيننا وبينه) وهذه النقطة الاخيرة تتضمن الدعاء للمسلمين في ارتباطهم بالقائد العظيم؛ لاشتراكهم جميعاً في الهدف الذي جاء من أجله، وهي في بنودٍ:

١ ـ (اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش) كناية عن السلام من الحرب والحياة الروحية السلمية.

٢ ـ (وقرار النّعمة) اي مستقرها ودوامها في الدنيا والاخرة.

٣ ـ (ومنى الشّهوات) اي ما يتمناه الانسان في الحياة الدنيوية والاخروية.

٤ ـ (وأهواء اللذّات) اي ما يهواه الانسان ويلتذ به من الجسم والروح.

٥ ـ (ورخاء الدّعة) الرخاء: الوسع، والدعة: السكون في الحياة.

٦ ـ (ومنتهى الطّمأنينة) والمنتهى: الغاية التي لا غاية بعدها الى كمال الطمأنينة.

٧ ـ (وتحف الكرامة) والتحفة: الهدية، وليس هناك شئ للانسان افضل من الكرامة

---

(١٣) في هامش الأصل: التحف جمع تحفة، ما يتحف بها المكرم.

الانسانية بأنواع البرّ والاحسان الذي يميّز الانسان عن الحيوان.

وكل ذلك مطلوب في الحياة في الدنيا كما هو مطلوب في الحياة الآخرة، ولكل منها درجات، نسأل الله سبحانه ان يجمع بيننا وبينه ﷺ في اعلى الدرجات، آمين يا رب العالمين.

[الخطبة ٧٣]

ومن كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة

ومروان هو رابع الخلفاء الامويين، ومن تاريخ هذا الكلام ما قاله محمّد بن سعد (ت / ٢٠٣ هـ) في الطبقات الكبرى:«أخبرنى موسى بن إسماعيل قال حدثنى جويرية بن أسماء عن نافع قال ضرب مروان يوم الدار ضربة جدت أذنيه فجاء رجل وهو يريد أن يجهز عليه قال فقالت له أمه سبحان الله تمثل بجسد ميت فتركه قالوا فلما قتل عثمان وسار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان خرج معهم مروان بن الحكم فقاتل يومئذ أيضا قتالا شديدا فلما رأى انكشاف الناس نظر إلى طلحة بن عبيد الله واقفا فقال والله إن دم عثمان إلّا عند هذا هو كان أشد الناس عليه وما أطلب أثرا بعد عين ففوق له بسهم فرماه به فقتله وقاتل مروان أيضا حتى ارتث فحمل إلى بيت امرأة من عنزة فداووه وقاموا عليه فما زال آل مروان يشكرون ذلك لهم وانهزم أصحاب الجمل وتوارى مروان حتى أخذ له الامان من على بن أبي طالب فأمنه فقال مروان ما تقرنى نفسى حتى آتيه فأبايعه فأتاه فبايعه ثم انصرف مروان إلى المدينة ـالى ان قال :ـ وكانت ولايته على الشام ومصر لم يعد ذلك ثمانية أشهر ويقال ستة أشهر وقد قال على بن أبي طالب له يوما ونظر إليه ليحملن راية ضلالة بعدما يشيب صدغاه وله إمرة كلحسة الكلب أنفه».(١)

ومما قاله ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٥ هـ) في شرح نهج البلاغة، عن مروان بن الحكم ونسبه وأخباره: «ونحن ذاكرون في هذا الموضع نسبه، وجملا من . مره وولايته للخلافة، ووفاته على سبيل الاختصار . هو مروان بن الحكم بن أبي العباس بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكناني . يكنى أبا عبد الملك، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، منذ سنة اثنتين من الهجرة وقيل عام الخندق، وقيل يوم أحد، وقيل غير ذلك . وقال قوم : بل ولد بمكة، وقيل : ولد بالطائف . ذكر ذلك كله أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب . قال أبو عمر : وممن قال بولادته يوم أحد مالك بن أنس، وعلى قوله يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قد توفي، وعمره ثمان سنين . ونحوها . وقيل : إنه لما نفى مع أبيه إلى الطائف كان طفلا لا يعقل، وإنه لم ير رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الحكم أبوه قد طرده رسول الله عن المدينة، وسيره إلى الطائف، فلم يزل بها حتى ولي عثمان، فرده إلى

(١) الطبقات الكبرى ؛ لمحمد بن سعد ٥ : ٤٣.

المدينة ، فقدمها هو وولده في خلافة ، عثمان وتوفي فاستكتبه عثمان وضمه إليه ، فاستولى عليه إلى أن قتل .

والحكم بن أبي العاص هو عم عثمان بن عفان ، كان من مسلمة الفتح ، ومن المؤلفة قلوبهم ، وتوفي الحكم في خلافة عثمان قبل قتله بشهور . واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله ﷺ ، فقيل : إنه كان يتحيل ويستخفى ويتسمع ما يسره رسول الله ﷺ إلى أكابر الصحابة في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين ، ويفشي ذلك عنه ، حتى ظهر ذلك عنه .

وقيل: كان يتجسس على رسول الله ﷺ وهو عند نسائه ، ويسترق السمع ويصغي إلى ما يجرى هناك مما لا يجوز الاطلاع عليه ، ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء». (١)

ثم قال ابن أبي الحديد:«وأ ما وفاة مروان ، والسبب فيها أنه كان قد استقر الامر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية على ما قدمنا ذكره ، فلما استوثق له الامر ، أحب أن يبايع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه ، فاستشار في ذلك ، فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد ، وهي ابنه هاشم بن عتبة بن ربيعة ليصغر شأنه فلا يرشح للخلافة ، فتزوجها . ثم قال لخالد يوما في كلام دار بينهما والمجلس غاص بأهله : اسكت يابن الرطبة ، فقال خالد : أنت لعمري مؤتمن وخبير . ثم قام باكيا من مجلسه ، وكان غلاما حينئذ ، فدخل على أمه ، فأخبرها ، فقالت له : لا يعرفن ذلك فيك ، واسكت فأنا أكفيك أمره . فلما دخل عليها مروان ، قال لها : ما قال لك خالد ؟ قالت : وما عساه يقول ؟ قال : ألم يشكني إليك قالت : إن خالدا أشد إعظاما لك من أن يشتكيك ، فصدقها . ثم مكثت أياما ، فنام عندها وقد واعدت جواريها ، وقمن إليه ، فجعلن الوسائد والبراذع عليه ، وجلسن عليه حتى خنقنه ، وذلك بدمشق في شهر رمضان . وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقدي». (٢)

قال الحافظ احمد بن عبدالله الخزرجي (ت / ٩٢٢): «مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة الأموي ابو عبد الملك المدني، لا يصح له سماع، روى عن عثمان وعليّ، وعنه ابنه عبد الملك، وسهل بن سعد اكبر منه في صحيح البُخاري، استولى على مصر والشام، ومات بدمشق سنة خمس وستين». (٣)

قال الجلالي: ومن أعجب العجب أن يروي البخاري احاديث هذا الرجل في الصحيح،

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٦ : ١٨٤ ـ ١٤٩.
(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٦ : ١٦٥.
(٣) خلاصة تهذيب الكمال: ٣١٨، ط / ١٣٣٣ هـ .

ولا يروى عن سادس ائمة اهل البيت جعفر الصادق مما يكشف عن ترسّب الآثار السياسة الاموية في اذهان نقلة الروايات، والله العاصم.

(١/ ٧٣ ـ ط) بيعة الغادر:

قالوا: أُخِذَ مَرْوان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام؛ فكلّماه فيه فَخَلّى سبيله، فقالا له: يُبايعُك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ؟! لاَ حَاجَةَ لِيَ فِي بَيْعَتِهِ، إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ(١)، لَوْ بَايَعَنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسُبَّتِهِ(٢)، أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ(٣)، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ(٤)، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ(٥).

الغادر طبيعته الغدر سواء كان ذلك العمل أو الكلام، ومن اظهر ذلك: المواعيد والعهود، ومن اهمّها البيعة، وقد أشار الامام عليه السلام الى حقائق ثلاث في حياة مروان في الماضي والحاضر والمستقبل:

ففي الماضي: ان مروان دخل في البيعة العامة بعد مقتل عثمان عام ٣٥ في المدينة، أي قبل عام واحد من هذا الكلام تقريبا، حيث ان اهل المدينة دخلوا في بيعة عليّ عليه السلام بعد مقتل عثمان (رض) وكان من الطبيعي ان يدخل فيهم مروان الذي كان له دور بارز في معارضة الثائرين، لكيما يظهر بمظهر الملتزم بالرأي العام، وسرعان ما انظم الى المعارضة ناكثا البيعة، وهذا أول غدر منه بالبيعة.

وفي الحاضر: بعد ان انتهى الحرب في الجمل وانتصر الامام علي عليه السلام علىٰ الخارجين عليه، وخاب مروان من تحصيل ما كان يتوقعه، استحصل على الامان وعرض تجديد

---

(١) في هامش الأصل: أي غدّارة وفي هامش الف: قيل: إنّ آباء مروان كانوا يهوداً باليمامة، وقيل: انما قال ذلك لأنّ اليهود مشهورون بالغدر.

(٢) في هامش الف: السبة ـ بفتح السين ـ وذكر السبة إهانه له، والعرب تسلك مثل ذلك في خطبها، وفي هامش ب: السبة: الأست، ويقال: سبه بسبته: أي طعنه في الأُست، يعني انه منافق.

(٣) في هامش الف: كلعقة الكلب أنفه: يريد قصر المدة، وكذلك كانت خلافته فإنّها [كانت] تسعة أشهر. وفي هامش ب: كلعقة الكلب: اشارة إلىٰ قصر مدة تولّيه وإمرته، وانها كانت ستة أشهر، ولعقت الشيء: أي لحسته، واللعقة بالفتح ـ المرة الواحدة.

(٤) في هامش الأصل: الأكبش الأربعة، هؤلاء الأربعة هم شياطين من ولي من ولده ومردتهم وعتاتهم وجبابرتهم، وفي هامش الف: قيل: انه أراد بهم: بنوا ابنه عبد الملك، وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، ولم يل الخلافة من بني أُمية ولامن غيرهم أربعة إخوة إلّا هؤلاء، وقيل: الاكبش: هم بنو صلبه عبد الملك وعبد العزيز ومحمّد ـ والد مروان الحمار ـ والحكم. وفي هامش ب: هم ولده عبد الملك والوليد وسليمان وهشام.

(٥) في هامش الأصل: يوماً أحمر، أي: قتلاً ذريعاً.

البيعة، وليس لمثل عليّ الذي يعرف تاريخه الماضي البعيد والقريب أن يهتم بمثل هذه البيعة التي أجبرته عليها خسران المعركة ضدّ الامام علي عليه السلام، ولذلك قال الامام عليه السلام: (لاحاجة لي في بيعته) لانها ليست هذه البيعة إلّا كالتي سبقت منه انهما بيعتا غادرٍ ممّن طبعه الغدر. واشار الى السبب: فقال: انها (كفّ يهوديّة) اي غادرة؛ لان اليهود جبلوا على خرق العهود وقلب الحقائق بالطرق الملتوية وذكر شاهداً محسوساً من مواقف الغادرين الذين يعتبرون مواقفهم ذكاء وشطارة: ان اقوالهم لا تسانده مواقفهم كسائر الخوارج، فان فلتات اللسان وتغيّر الالوان ونبرات الصوت واضطراب الحال كلها تكشف عن كذب المقال؛ فان اقوالهم وأبوالهم سواء، والصوت الخارج من حنجرة الفم والتي تعبر عادة عن القصد والعلم لا تختلف عندهم عن الصوت الخارج من الاست والمسموع ضراطاً، وليس للانسان مخرج للصوت غيرهما، المبايعة بالكف عادة مصحوبة بالكلام الدال على الولاء، والغادر يقوم بذلك مضمراً العداء ومعقباً ذلك بضراط من استه وهو الذي يكشف عن مدى الانحطاط في نفسه.

و اما المستقبل، فقد تنبأ الامام عليّ عليه السلام بمستقبل مروان بحكم معرفته بماضي الرجل فكريا وسياسيا ونفسيا، في نقاط:

اولاً: وصول مروان للحكم في مدة قصيرة (انّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه) وأن وصوله للحكم فيه صفة الكلب من الطاعة العمياء لحاجته، ومهما نهره صاحبه رجع الكلب اليه حتىٰ يصل الى مطلوبه، وهذا هو الطريق للوصول الى الاهداف المادية بالطرق المادية، وقد استخدمها في البيعة الاولىٰ، واراد أن يستخدمها في البيعة الثانية هذه، والامام رفضها وان عامله معاملة اسلامية بالحرية مع الأمان.

ثانياً: انه خلّف أربعة اولاد يرثون هذه الصفة من ابيهم فهم أكبش أربعة، والكبش: الفحل من الغنم، وهم يسيرون كما يسيّرهم الراعي من دون استقلال لهم في التفكير، وهي الصفة الغالبة للجيل الثالث من أية اسرة حاكمة أو علمية أو غيرهما، حيث يمهّد ذلك لهم الجيل الاول بالجدّ والكدّ حتىٰ يصل اليهم الدور فهم يرون ان ذلك حق طبيعيّ لهم، وهم:

١ ـ عبدالملك بن مروان (ت / ٨٧ هـ) حيث تولىٰ الخلافة من بعد ابيه.

٢ ـ عبدالعزيز بن مروان، ولي مصر.

٣ ـ بشير بن مروان، ولي العراق.

٤ ـ محمّد بن مروان، ولي الجزيرة.

ثالثاً: ان الحكم الذي استمر بمروان وولده من بعده تلقّت الامة الاسلامية منهم (يوماً أحمر) أي شديداً بسبب استبدادهم في الحكم بعيدا عن الثوابت الاسلامية، واستبدالهم

نظام الحكم الاسلامي بالنظام نظام الملوكي بدلاً عن الشورى الاسلامية، وهكذا كان، فقد استمرت الخلافة في الحكم الاموي في مروان وولده حتى قيام الخلافة العباسية التي قضت عليهم، وتولىٰ الخلافة منهم كالآتي:

١ ـ مروان بن الحكم (ت / ٦٥ هـ).

٢ ـ عبدالملك بن مروان (ت / ٨٧ هـ).

٣ ـ الوليد الاول (ت / ٩٦ هـ).

٤ ـ سليمان بن عبدالملك (ت / ١٠٠ هـ).

٥ ـ عمر بن عبدالعزيز بن مروان (ت / ١٠٢ هـ).

٦ ـ يزيد الثاني بن عبدالملك (ت / ١٠٥ هـ).

٧ ـ هشام بن عبدالملك (ت / ١٢٦ هـ).

٨ ـ الوليد الثاني بن سليمان بن عبدالملك (ت / ١٢٧ هـ).

٩ ـ يزيد الثالث بن الوليد بن عبدالملك (ت / ١٢٧ هـ)، وهو آخرهم، حيث قضت عليهم وعلى الامويين بصورة عامة ثورة العباسيين.

وقد أحسن الشارح ابن أبي الحديد حيث قال:«وكل الناس فسروا الاكبش الاربعة بمن ذكرناه، وعندي أنه يجوز أن يعنى به بنى مروان لصلبه، وهم عبد الملك، وعبد العزيز، وبشر، ومحمّد، وكانوا كباشا أبطالا أنجادا، أما عبد الملك فولى الخلافة، وأما بشر فولى العراق، وأما محمّد فولى الجزيرة، وأما عبد العزيز فولى مصر، ولكل منهم آثار مشهورة. وهذا التفسير أولى، لان الوليد وإخوته أبناء ابنه، وهؤلاء بنوه لصلبه. ويقال لليوم الشديد: يوم أحمر، وللسنة ذات الجدب: سنه حمراء. وكل ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكلام وقع كما أخبر به، وكذلك قوله: يحمل راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه، فإنه ولى الخلافة وهو ابن خمسة وستين في أعدل الروايات».(١)

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٦: ١٤٧ ـ ١٤٨.

[الخطبة ٧٤]

ومن كلام له عليه السلام لمّا عزموا على بيعة عثمان[(١)]

لَقَدْ عَلِمْتُمْ[(٢)] أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي؛ وَوَٱللهِ لأُسْلِمَنَّ[(٣)] مَا سَلِمَتْ أُمُورُ ٱلْمُسْلِمِينَ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ[(٤)] إِلاَّ عَلَيَّ خَاصَّةً، ٱلْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ[(٥)] مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ[(٦)].

(١ / ط - ٧٤) كلامه لما عزموا على بيعة عثمان

يتضمن هذا المقطع اموراً ثلاثة في الخلافة النبوية:

اولاً: انه عليه السلام احق الناس بالخلافة من أي شخص آخر، وأنّ المخاطبين على علم بهذا الحق، ولكنهم يمتنعون من الرضوخ لهذا الحق لسبب آخر (لقد علمتم أنّي أحقّ النّاس بها).

ثانياً: انه لا يتنازل عن حقه، ولكنه يرضخ للامر الواقع بشرط يراه أهم، وهو:

(والله لاسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين) لان الهدف من الخلافة ليس إلّا ذلك؛ فان في حالة سلامة امور المسلمين يكون الجور على الامام علي عليه السلام حق شخصي، دون ما اذا كانت امور المسلمين في خطر، فان الواجب الاسلامي يفرض الدفاع عنها.

ثانياً: السبب في هذا الرضوح للامر الواقع، وقد أشار في هذا المقطع الى أمرين:

اولاً: ان الصبر على الجور الخاص بالانسان لالتماس أجر الصابرين، وللصبر فضل معروف في القرآن والسنة والتاريخ، دون العكس.

وثانيا: ان الصبر على فقدان الحق الشخصي زهد فيما حصل التنافس عليه من منافع الخلافة المادية، من الزخرف، وهو الذهب، والزبرج وهو الزينة، دون التطبيق الكامل

---

(١) كذا في ب و ط، والعنوان في الأصل وألف : ومن كلام له عليه السلام في بيعة عثمان.

(٢) في هامش الأصل: قوله «لقد علمتم» هذا نصٌ منه عليه السلام ان القوم كانوا يعلمون ان الخلافة حقه.

(٣) في هامش الأصل: وقوله: «لأسلمن... إلىٰ قوله: وزبرجه» في هذا دليل علىٰ ان ترك الانسان حقه في يد الظالم والصبر عليه فضيلة دينية، ولو كان الأخذ له منكراً، لما خص الصابر، ومثله الإعراض عن الاذىٰ والسب كما نصه القرآن.

(٤) في هامش ب: من جور.

(٥) في هامش الف: أي تنافستم فيه فحذف، وأوصل الفعل، وفي هامش ب: رغبتم.

(٦) في هامش ب: زينته من جوهر وغيره.

للسنة النبوية في جمع المرافق الادارية للخلافة، كما هو المطلوب.

وهذا المقطع اشارة الى النقاش حول موضوع الخلافة والذي عرض الامام فيه سبع نقاط في مناشدتهم، وهم جميعاً أذعنوا بها حتى قوطع في كلامه، فان اقرارهم بهذه النقاط اقرار بعلمهم بأنه أحق الناس بالخلافة، ونص المناشدة في رواية الشارح ابن أبي الحديد تحت عنوان: كلام لعلى قبل المبايعة لعثمان، قال:«ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى، وتعديده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غير هم. قد روى الناس ذلك فأكثروا، والذى صح عندنا أنه لم يكن الامر كما روى من تلك التعديدات الطويلد، ولكنه قال لهم بعد أن بايع عبد الرحمن والحاضرون عثمان وتلكأ هو عليه السلام عن البيعة: إن لنا حقا، إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الابل وإن طال السرى، في كلام قد ذكره أهل السيرة، وقد أوردنا بعضه فيما تقدم، ثم قال لهم: أنشدكم الله! أفيكم أحد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين نفسه ـ حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض ـ غيري، فقالوا: لا، فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فهذا مولاه، غيرى؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبى بعدي، غيرى؟ قالوا: لا، قال: أفيكم من اؤتمن على سورة براءة، وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه لا يؤدى عنى إلّا أنا أو رجل منى غيرى؟ قالوا: لا، قال: ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فروا عنه في مأقط الحرب[1] في غير موطن، وما فررت قط! قالوا: بلى، قال: ألا تعلمون أنى أول الناس إسلاما؟ قالوا: بلى قال: فأينا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نسبا؟ قالوا: أنت. فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه، وقال: يا على، قد أبي الناس إلّا على عثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا، ثم قال: يا أبا طلحة، ما الذى أمرك به عمر؟ قال: أن أقتل من شق عصا الجماعة، فقال عبد الرحمن لعلي: بايع إذن، وإلّا كنت متبعا غير سبيل المؤمنين، وأنفذنا فيك ما أمرنا به. فقال: لقد علمتم أنى أحق بها من غيرى، والله لاسلمن.... الفصل إلى آخره، ثم مد يده فبايع».[2]

ولولا مقاطعة ابن عوف كلامه لزادت النقاط على السبع، ولم يبق خيار للامام إلاّ ان ينفّذ فيه ما أمروه بتهمة (شقّ عصا الجماعة) فكان شرط الامام بالبيعة رفضها صريحاً بهذه التهمة، وحقناً لدمه وغيره من ان يراق في تهمة باطلة.

(١) المأقط: موضع القتال.
(٢) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٦: ١٦٧.

[الخطبة ٧٥]

ومن كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أُميّة له بالمشاركة في دم عثمان

أَوَ لَمْ يَنْهَ(١) بَنِي أُمَيَّةَ(٢) عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي(٣)! أَوَمَا(٤) وَزَعَ(٥) ٱلجُهَّال سَابِقَتِي(٦) عَنْ تُهَمَتِي! وَلَمَا(٧) وَعَظَهُم ٱللهُ بِهِ(٨) أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي.

أَنَا حَجِيجُ(٩) المَارِقِينَ، وَخَصِيمُ(١٠) المُرْتَابِينَ، عَلَى(١١) كِتَابِ ٱللهِ تُعْرَضُ ٱلْأَمْثَالُ(١٢)، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى(١٣) ٱلْعِبَادُ.

(١/ط - ٧٥) **مواجهة التهمة:**

يستعرض هذا الكلام التهم التي تتوجه الى الانسان ـ اية تهمة كانت ـ اسبابها وكيفية مواجهتها، ومنها: التهمة التي اتهمتها بنو أُميّة الامام بالمشاركة في دم عثمان (رض).

والتهمة ـ بفتح الهاء ـ من الوهم التي يتخيلها الانسان ويعلنه دعاية ، وذكر من اسباب ذلك أمرين:

الاول: العلم، فالعدوّ يخلق الموهومات على علم وعمد؛ لغرض الدعاية في الحرب النفسية، وهكذا كانت الحال في بني أُميّة، لعلمهم بان عليا لم يشارك في دم عثمان، بل دافع عنه هو وإبناه الحسن والحسين، ورد الجماهير الغاضبة، وحملوا الماء اليه في تلك الظروف الحرجة، (راجع: «موارد الاعتبار»).

والمقتضىٰ الطبيعي للعلم بالشيء العمل على طبقه، لا استخدامه للمضادة، وإلّا لكان

---

(١) في هامش ب: فاعل «ينه» علم بني اُمية به، أي بعلي أنّه من أُمناء الله ... .

(٢) في هـ. د: أو لم ينه اُمية ـ م ف ن ل .

(٣) في هامش ب: قرفي: عيبي وتهمتي.

(٤) في هامش ب: الهمزة للاستفهام دخلت علىٰ واو العطف.

(٥) في هامش ب: وزع : زجر ودفع.

(٦) في هامش ب: فاعل «وزع».

(٧) في هامش الف: اللام للابتداء.

(٨) في هامش ب: الهاء راجعة إلىٰ الوعظ أو إلىٰ كتاب الله.

(٩) في هامش ب: أي محاج الخوارج.

(١٠) في ط زيادة: الناكثين.

(١١) في ط: وعلىٰ.

(١٢) في هامش ب: أي كل ما كان مشتبهاً من الاُمور تعرض علىٰ كتاب الله وتعرف به.

(١٣) في الف وط ود: تجازىٰ.

هذا احتقاراً بالعلم بذلك قال ﷺ: (أو لم ينه بني أميّة علمها بي عن قرفي) والقرف: العيب، اي ان عملهم بحقيقة الحال يستلزم ألاّ يتهموه بما لم يفعل، وانما دعاهم الى هذه التهمة السياسة لا العلم بالحقائق، فتكون التهمة السياسية للدعاية ـ شأن سائر التهم ـ ينكشف بطلانها بمرور الزمن لمن يريد معرفة الحقيقة.

الثاني: الجهل بالنسبة الى الذين لا يعرفون الحقيقة، فهم يرددون الدعايات كالببغاء، واستيلاء الدعايات على عقولهم، والمفروض ان الجاهل بالشئ لابدّ ان يتوقف ولا يدلي برأي قط، لا بالوفاق ولا بالخلاف، ويحاول أن يثقف نفسه لمعرفة الحقيقة، ومن طرق ذلك: معرفة ماضي الانسان، فان تاريخ حياة الانسان يُنبئُ عن مواقفه، ولذلك قال: (او ما وزع) اي ردع (الجهال سابقتي عن تهمتي) بان يدرسوا تاريخ الرجل في ماضيه، ويعرفوا ان ماضي الرجل يمنع عن صدور شئ يؤيد التهمة، فان الماضي القريب من موقف الامام بالنسبة الى عثمان (رض) من حمل الماء اليه وردع الناس عنه يوضح كل الوضوح ان من وقف مثل هذا الموقف لا يمكن ان توجّه اليه التهمة في المشاركة في دم عثمان (رض).

والمواجهة للتهمة تكون بإحدى الطرق الثلاث:

١ ـ الوعظ، بأنّ التهمة محرمة شرعاً، يجب الاقلاع عنه، كسائر المحرمات الاخلاقية؛ فان (وعظهم الله به أبلغ من لساني) لان الله سبحانه وصف الغيبة بانها اكل لحم الميتة، والتهمة هي غيبة وزيادة، ولها مساوئها وزيادة، فينبغي للقائل الارتداع عنه.

٢ ـ الحجّة، بان يكون المتهم واجداً للحجة في موقفه، ومستعداً لبيانها للمارقين، اي الخارجين من ثوابت الدين، وقد استعد لذلك الامام بقوله: (أنا حجيج المارقين) لمن تنفعه إقامة الحجة منهم.

٣ ـ التحاكم بالنسبة الى الناكث، أي الناقض للعهد بسبب الارتياب والشك الذي يحصل في موارد الاتهام، فهذه الطائفة لاتنفع فيهم الوعظ أو اقامة الحجة، لعدم ما يؤمنون به من الثوابت الاسلامية، وليس بين المسلمين اوثق واجدر مصدر يتحاكم اليه من (كتاب الله) الذي يتضمن الاصول الاسلامية، وعليه (تعرض الامثال) اي الحوادث التي توجد امثالها في القرآن الكريم، ولابد ان يجعل ذلك في التحكيم لمن آمن بالاسلام دينا.

وختم مواقف التهمة ومواطنها بأنّ مروّجي التهم قد لا يقومون بها من جهل وشك، فلا تنفع معهم هذه المواجهة من الوعظ والحجة والتحاكم، لانهم يروّجونها للدعاية للسياسية، فان الأعمال بالنيات، والتاريخ كفيل بكشف نواياهم (وبما في الصّدور) من النيات (تجازى العباد) حينما تنكشف في التاريخ الحقائق.

[الخطبة ٧٦]

ومن خطبة له عليه السلام

رَحِمَ ٱللهُ عبْداً(١) سَمِعَ حُكْماً(٢) فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا(٣)، وَأَخَذَ بَحُجْزَةِ(٤) هَادٍ فَنَجَا؛ رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ، قَدَّمَ خَالِصاً، وَعَمِلَ صَالِحاً، اكْتَسَبَ(٥) مَذْخُوراً(٦)، وَٱجْتَنَبَ مَحْذُوراً، رَمَى غَرَضاً(٧)، وَأَحْرَزَ(٨) عِوَضاً، كَابَرَ(٩) هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ.

جَعَلَ ٱلصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَٱلتَّقْوَى عُدَّةً وَفَاتِهِ، رَكِبَ ٱلطَّرِيقَةَ ٱلْغَرَّاءَ، وَلَزِمَ ٱلْـمحَجَّةَ ٱلْبَيْضَاءَ(١٠)، ٱغْتَنَمَ ٱلْمَهَلَ(١١)، وَبَادَرَ ٱلْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ ٱلْعَمَلِ.

(١ / ط ـ ٧٦) الحكمة وآثارها:

يتضمّن هذا المقطع من الخطبة آثار الحكم التي تدل على وجود الحكمة، وانـتفائها تدل على انتفائها، والمراد من الحكم: الحكم التي لا تتحدد بزمان أو مكان أو عصر، فاذا تحققت في انسان كان حكيماً في أي مقطع زماني أو مكاني أو عمري كان، كـما قـال سبحانه: ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ فتشمله الرحمة الالهـية فـي الحـياة (رحـم الله أمـراً) وطبيعيّ انّ الحكمة ليست ذاتية، بل هي كسبية، ويشـير الامـام عليه السلام الى اركـان ثـلاثة ضرورية في اكتساب الحكمة، وهي:

---

(١) في ط: إمرءاً، وهامش الأصل والف و د، وفي نسخة: امرءاً.
(٢) في هامش الف: أي حكمة، وفي هامش ب: سمع حكمة فحفظها وعمل عليها.
(٣) في هامش الأصل، أي: لم يتباعد استكباراً.
(٤) في هاشم الأصل: أي اقتدىٰ بمن جعله الله قدوة ودلّ عـليه، وفـي هـامش الف: الحـجزة: معقد الإزار، وفي هامش ب: حجزة السروايل: التي فيها التكة، وها هنا كناية عـن التـمسك بحبل رجل هاد.
(٥) في هامش ب: كسب أهل العلم والصواب، كسب مذخوراً، كـقوله تـعالىٰ ﴿لَـهَا مَـا كَسَـبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾.
(٦) في هـ. د: والصواب: كسب مذخوراً ـ ك، وفي هامش الف: يعني بـالمذخور: الثـواب؛ لأنّ ثواب العمل الصالح في الدنيا مذخور في الآخرة.
(٧) في ط: ورمىٰ غرضاً، وفي هامش الأصل: أي اشتغل بما يعنيه، وفـي هـامش الف: ورمـىٰ عرضاً، أي ألقىٰ مقصوداً في الدنيا وطرحه، وأحرز عوضه من ثواب الآخرة.
(٨) في هامش ب: أي جعله في حرزه.
(٩) في هامش الف: كابر هواه: غالبه.
(١٠) في هامش ب: الحجة: الجادّة الواضحة.
(١١) في هامش ب: طول العمر.

اولاً: السماع للحكمة ممن توجد لديه، بالوعي لها بكمالها (سمع حكما فوعى) فالسماع بدون وعي، ليس حكمة، كما ان الوعي للحكمة لا تتحقق بدون السماع.

ثانياً: الدعوة الى أهم آثار الحكمة، التي هي الرشد بالتقرب اليه خطوة فخطوة (ودعي الى رشاد فدنا) فالدنّو إلىٰ الشئ يفتقر إلىٰ دعوةٍ اليه من الفكر الحر.

ثالثاً: العمل على مقتضىٰ الحكمة (وأخذ بحجزة هادٍ فنجا) والحجزة: المعتصم الذي يُتوسل به للنجاة، فلا يكون النجاة إلّا بالعمل بالحكمة التي وعاها، ولاقيمة للحكمة من دون عمل.

الآثار الهامة:

واشار الى آثار عامة كاملة للحكمة، هي:

١ ـ المراقبة (راقب ربّه) لاسواه، بأداء الواجب كما تقتضيه المسؤولية التي يتحملها.

٢ ـ الخوف من التقصير في الواجب (خاف ذنبه) فتجنب الذنوب.

٣ ـ الخلوص (قدّم خالصاً) فنتائج اعماله خالصة من غير التواء كالملق والاعتذار.

٤ ـ الصلاح (عمل صالحاً) ولا يضيّع وقته بالاعمال التافهة.

٥ ـ الاحتياط (اكتسب مدخورا) كما يدخر المال للحاجة اليه.

٦ ـ الحذر (اجتنب محذوراً) خشيه الوقوع في الهلاك.

٧ ـ الهدف المركّز في حياته (رمى غرضا) والغرض: الهدف، فهولا يعيش بدون هدف.

٨ ـ الثواب (أحرز عوضا) والعوض: الثواب الذي يحصده في العمل.

٩ ـ مخالفة الهوى (كابر هواه) بان يغالب الهوى ولا يطيعه.

١٠ ـ الرؤية الواضحة (كذّب مناه) من دون تعويل على الأماني الفارغة.

١١ ـ الصبر؛ لانه مفتاح الفرج (جعل الصّبر مطيّة) أي وسيلة (نجاته) في اعماله.

١٢ ـ التقوى في الحياة بان يجعل (التّقوى عُدّة) ووسيلة (وفاته).

١٣ ـ سلوك الصراط المستقيم (ركب الطّريقة الغرّاء) والطريقة: ما يسلكه الانسان من الطرق، والغراء: الواضحة.

١٤ ـ لزوم السلوك المستقيم (ولزم المحجّة) وهي الطريق (البيضاء) لوضوحها؛ بان لا يتزلزل ولا ينحرف يمينا أو شمالا.

١٥ ـ اغتنام الفرص المتاحة للانسان من الصحة والأمان (اغتنم المهل) اي المهلة التي منحت له في الحياة.

١٦ ـ المبادرة الى العمل قبل حلول الأجل.

١٧ ـ التزوّد من العمل، بأن يكون العمل زاداً له في حياته، فلا يعمل اكثر مما يتمكن،

ويتزود اكثر مما يفتقر اليه، فانه اما يدعوا الى فساد الزاد أو استهلاك جهد من الانسان للمحافظة على الزاد خشية عروض الفساد، وليس ذلك من الحكمة في شئ.

[الخطبة ٧٧]

ومن كلام له عليه السلام(١)

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي(٢) تُرَاث مُحَمَّدٍ(٣) تَفْوِيقاً، وَٱللهِ لَئِنْ(٤) بَقِيتُ لَهُمْ لأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ ٱللَّحّامِ ٱلْوِذَامَ ٱلتَّرِبَةَ(٥).

قال الرضيّ رحمه الله(٦):

وَيُرْوَى «ٱلتِّرَابَ(٧) الْوذَمَة»، وهو على الْقَلْب(٨).

قال الشريف: وقوله(٩) عليه السلام: «**لَيُفَوِّقُونَنِي**»:

أي يُعْطُونني من المال(١٠) قليلاً كفُواق الناقة، وهو الحلبة الواحدةُ من لبنها.

وَٱلْوِذَامُ ٱلتَّرِبةُ: جمعُ وَذَمَةٍ، وهي الْحُزَّة(١١) من الكَرِش أو الكَبِد تقع في التُّراب

---

(١) أورد هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام: ابو الفرج الاصفهاني في الأغاني ٢: ٢٩، وأورد مقاطع منه قاسم بن سلام في غريب الحديث: ١٩٦، والأزهري في تهذيب اللغه ١٥: ٢٧، وابو هلال العسكري في جمهرة الأمثال: ١٦٥.

(٢) وفي هامش ب: فوقت الفضيل أي سقيفه اللبن فواقا فواقا، والفواق ما بين الحلبتين، والتراث: الميراث.

(٣) في د: زيادة صلى الله عليه وآله.

(٤) في هامش الف: روىٰ ابو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ان سعيد بن العاص حيث كان أميراً بالكوفة من قبل عثمان، بعث إلىٰ عليّ عليه السلام. بهدايا، فقال: والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية ما أفاء الله علىٰ رسوله بمثل قوت أرملة ثم قال: والله لئن بقيت ... الخ.

وفي هامش آخر: حاشية عن الأصمعي عن شعبة، قال: أهدىٰ سعيد بن العاص هدايا لأهل المدينة وقال لرسوله لا تعد ... إلّا عليّ عليه السلام. قال له ...، وفي الهدية اهداها إليك ...، فقال علي: لشد ما ... بني أمية مصانعتي، والله لئن وليّتها لانفضنّهم نفض القصاب التراب الوذمة.

قال الأصمعي: غلط شعبة، انما قال: التراب الموذمة.

قال الثوري: احسب شعبة أصاب والأصمعي وهم التِراب: الكروش، واحدها [ترب]، والوذمة: ذات زوائد شبيهة بوذام الدلو، وحكّم في ذلك أبو عمرو، فصوّب قول شعبة.

(٥) في هامش ب: الوذام التربة، أي [ما] سقط في التراب.

(٦) لم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أ و ب و ص و د.

(٧) في هامش ب: الترب: الحِزَن، والتِراب لغة في الترب.

(٨) على القلب، أي على قلب الكلمات في الجملة. وهو اصطلاح بلاغي، معناه: ان الأصل «الوذام التربة»، فقلبت على: التراب الوذمة، فالمراد من هذه العبارة مقلوبها.

(٩) في ط: وقوله.

(١٠) في هامش الأصل: صوابه: «من الأمر».

(١١) في هامش ب: أي القطعة.

فَتُنْفَض.

(١/ط - ٧٧) سياسة التمييع:

كان بنو أميّة على علم كامل بمواصفات الخلافة النبوية وآثارها العامة في المجتمع الاسلامي، والخاصة بالنسبة الى بنى أميّة، كما كان الامام علي عليه السلام على علم كامل بمواقفهم واهدافهم. وفي هذا المقطع اشارة الى سياسة التمييع والتطميع بالهدايا المقدمة لتحقيق هذا الهدف، وقد كشف الامام بكل وضوح عن هذه السياسة واهدافها ومواقفه الصامدة لتقويض تلك الاهداف التي كانت تعارض الخلافة النبوية.

تاريخ الكلام:

ويكشف عن خلفية هذا الكلام روايتان ذكر هما ابو الفرج الاصفهاني (ت / ٣٧٠ ه)(١) ونقلها الشارح بن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ ه) بما نصه:«اعلم أن أصل هذا الخبر قد رواه أبو الفرج على بن الحسين الاصفهانى في كتاب الاغانى بإسناد رفعه إلى الحارث بن حبيش، قال: بعثنى سعيد بن العاص – وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان – بهدايا إلى المدينة، وبعث معى هدية إلى علي عليه السلام، وكتب إليه: إنى لم أبعث إلى أحد أكثر مما بعثت به إليك، إلّا إلى أمير المؤمنين، فلما أتيت عليا عليه السلام وقرأ كتابه قال: لشد ما يحظر على بنو أمية تراث محمّد صلى الله عليه وآله! أما والله لئن وليتها لانفضنها نفض القصاب التراب الوذمة.

قال أبو الفرج: وهذا خطأ، إنما هو الوذام التربة. قال: وقد حدثنى بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهرى عن أبي زيد عمر بن شبة، بإسناد ذكره في الكتاب، أن سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفة، بعث مع ابن عائشة مولاه إلى على بن أبي طالب عليه السلام بصلة، فقال على عليه السلام: والله لا يزال غلام من غلمان بنى أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الارملة، والله لئن بقيت لانفضنها نفض القصاب الوذام التربة».(٢)

وسعيد بن العاص ترجمه ابن الاثير (ت / ٦٣٠ ه)بقوله:«(ب دع) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى وجده هو المعروف بأبى احيحة وكان أشرف قريش وأم سعيد أم كلثوم بنت عمرو بن عبد الله بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حر بن عامر بن لؤى العامرية ولد عام الهجرة وقيل بل ولد سنة احدى وقتل أبوه العاص يوم بدر كافرا قتله على بن أبى طالب قال عمر بن الخطاب رأيت العاص بن سعيد بوم بدر يبحث التراب عنه كالأسد فصمد له على فقتله

---

(١) الاغانى ٢: ١٤٤ (طبعة دار الكتب).

(٢) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٦: ١٧٤ ـ ١٧٥.

وقال عمر يوما لسعيد بن العاص لم أقتل أباک وانما قتلت خالي العاص بن هاشم وما أعتذر من قتل مشرک فقال له سعيد بن العاص ولو قتلته لكنت على الحق وكان على الباطل فتعجب عمر من قوله وكان جده ابو أحيحة إذا اعتم بمكة لا يعتم أحد بلون عمامته اعظاما له وكان يقال له ذو التاج وكان هذا سعيد من أشراف قريش وأجوادهم وفصحائهم وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان بن عفان واستعمله عثمان على الكوفة بعد الوليد بن عقبة بن أبى معيط وغزا طبرستان فافتتحها وغزا جرجان فافتتحها سنة تسع وعشرين أو سنة ثلاثين وانتقضت أذربيجان فغزاها فافتتحها في قول ولما قتل عثمان لزم بيته واعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين فلما استقر الأمر لمعاوية أتاه وله مع معاوية كلام طويل عاتبه معاوية على تخلفه عنه في حروبه فاعتذرهو فقيل معاوية عذره ثم ولاه المدينة فكان يوليه إذا عزل مروان عن المدينة ويولى مروان إذا عزله وكان سعيد كثير الجود والسخاء وكان إذا سأله سائل وليس عنده ما يعطيه كتب به دينا إلى وقت ميسرته وكان يجمع اخوانه كل جمعة يوما فيصنع لهم الطعام ويخلع عليهم ويرسل إليهم بالجوائز ويبعث إلى عيالاتهم بالبر الكثير وكان يبعث مولى له إلى المسجد بالكوفة في كل ليلة جمعة ومعه الصرر فيها الدنانير فيضعها بين يدى المصلين وكان قد كثر المصلون بالمسجد بالكوفة في كل ليلة جمعة إلاّ انه كان عظيم الكبر وروى سعيد هذا عن النبي صلى الله عليه وآله وعن عمر وعن عثمان وعائشة روى عنه ابناه يحيى وعمر والاشدق وسالم بن عبد الله بن عمر وعروة...»[١]

ولم ينس سعيد بن العاص يوماً ان علي بن أبي طالب قتل والده في بدر، وهو يريد التمهيد بالصلة الحسنة فيما لو قدّر وصول الحكم اليه، والهدايا هي الطريقة المتعارفة بين الناس، وزاد ـ كما في الرواية الاولى ـ وكتب اليه اني لم ابعث الى احد اكثر مما بعثت به اليك إلاّ امير المؤمنين [عثمان] ـ لانه هو الذي كان المترقب للخلافة بعده، ولذلك أكدّ الامام علي فضح هذه السياسة وبيان اهدافها، والتأكيد على مواقفه المستقلة.

والرواية الثانية تشير الى سياسة التجويع (مثل قوت الارملة) فأعلنها الامام بانها سياسة فاشلة؛ لان هذه السياسات من التمييع والتطبيع والتجويع انما تؤثر في النفوس الضعيفة التي لا ثوابت لها. والمسلم القيادي لا يخضع لها مهما كانت عظيمة ومدبرة من قبل اصحابها، كما هو المطلوب من كل قيادى مؤمن برسالته، والتاريخ في ذلك خير شاهد ودليل.

---

(١) أسد الغابة ؛ لابن الاثير ٢ : ٣٠٩ ـ ٣١٠.

وفي التمثيل تصوير رائع للمشابهة، فان اللحّام ـأي المعروف في عصرنا بالقصاب ـ الذي مهنته قطع لحم الحيوان قطعاً للبيع والاستهلاك. فستكون قطعا وذاماً ـ اي قطعاً ـ متراكمة، والتربة: ما يقع منها على التراب فتفتقر الى نفض التراب عنها، والتفويق: العطاء قليلا قليلاً كفواق الناقة؛ فان في كل حلبة تدر حصة من اللبن وتكون نتائج الحلبات مجتمع اللبن الصالح للاستهلاك.

وهذا التمثيل يعني ان النسبة بين ما يستخدمه اصحاب سياسات التطميع كهدايا تقدم للمعارضين، وبين ما يستخدمونه لمصالحهم نسبة فاحشة كنسبة الحلبة الواحدة من لبن الناقة الى ما في ضرعها من اللبن، وأنّ ارجاع الحق الى نصابه يستدعي تغييراً جذريا كما يقوم به اللحّام مع مراعاة ما يقتضيه التغيير من التدبّر والتنظيف، وان كل ذلك مرهون بالوقت المناسب، وهو حينما يكون القائد مسؤولا في القيادة.

[الخطبة ٧٨]

ومن كلمات كان عليه السلام يدعو بها

اللهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي؛ فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ(١) مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي.

اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي، ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي. اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ ٱلْأَلْحَاظِ(٢)، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ(٣)، وَسَهَوَاتِ(٤) ٱلْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ(٥).

(١/ط - ٧٨) على قدر العلم والمعرفة تكون المسؤولية:

اشار الامام في هذا المقطع الى ان على قدر العلم والمعرفة تكون المسؤولية، فاذا كان للجاهل عذره فليس للعالم عذراً، ومن هنا جاء «حسنات الابرار سيّئات المقرّبين» لعلوّ درجة المقرّبين، فتكون مسؤلياتهم اكبر من الابرار، وما يفرض على القريب لا يفرض على الغريب، وان الذي يتحمل المسؤولية ـ اية مسؤلية كانت ـ يواجه أنواع التقصير في المسؤولية التي لا يمكن التخلّص منها إلاّ بالمغفرة من الله سبحانه، واشار عليه السلام الىٰ ثلاثة منها:

اولاً: التقصير فيما لا يعلم، والمفروض للمسؤول ان يعلم، فان الاثر الوضعي للتقصير في ذلك لا يتغير، فيفتقر الى المغفرة من الله سبحانه الذي هو (اعلم بـه) مـن الانسـان المسؤول نفسه، وطبيعي ان يتكرر هذا النوع من التقصير في الانسان المخلوق ضعيفا، ويتطلب ذلك اعادة المغفرة من العالم بما تخفي الصدور والاعمال واثارها.

ثانياً: التقصير في الوعد، والرأي: الوعد، بان يعد العمل بشئ واثقاً من نفسه، ولكن لم يتفق (له وفاء) بالوعد، ومهما كانت الاسباب الموجبة لخلف الوعد فانه يستوجب المغفرة.

ثالثاً: التقصير في الاخلاص، بان يقول باللسان شيئا لم يعقد عليه النية (ثم خالفه

---

(١) في هامش الأصل وب: أي وعدت، وفي هامش ا لف: من الوأي، وهو الوعد.
(٢) رمزات الألحاظ: الإشارة بالعين، وفي هامش ب: النظر بمؤخر العين (قلت).
(٣) في هامش ب: اللّغو.
(٤) في الف وب: وشهوات، وفي هامش ب: أي غفلات.
قلت: وتفسيره «بغفلات» يدل علىٰ انّه أثبت «سهوات» في المتن. وان وافقه بعض النسخ المطبوعة أيضاً.
(٥) في هامش ب: أي الزلّات.

قلبي) فانه يستوجب المغفرة.

ثم مثل لكل منها مورداً، فللاول (رمزات الالحاظ) والرمز: الاشارة، واللحظ: باطن العين، وذلك لا يعرف حقيقته سوى الله سبحانه، ومن آتاه الله علم ذلك.

ومن الثاني: (سقطات الالفاظ) وسقطات اللفظ اللغو فان الوعد من دون وفاء لغو.

ومن الثالث: (شهوات الجنان) والشهوة الميل. والجنان: اللقلب، فان التقصير في خلوص النية ميل الى القلب دون رضى الرب.

وقد ختم كل ذلك بما لا يخلو منه حياة انسان وهو (هفوات اللّسان) والهفوة: الزلة، فان الانسان محل السهو والغفلة والنسيان، ولاعصمة منها إلّا لمن عصمة الرحمن.

[الخطبة ٧٩]

ومن كلام له عليه السلام قاله[(١)] لبعض أصحابه[(٢)] لما عزم على المسير إلى الخوارج، وقال له[(٣)]: يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم، فقال عليه السلام:

هذا الاقتراح من البعض بقوله: (خشيت ألاّ تظفر بمرادك من طريق علم النجوم) لما عزم الامام على المسير الى الخوارج، ويكشف عن ان هذا البعض لم يكن يؤمن بالعزم الذي اتخذه الامام في هذا الوقت، واستخدم ورقة جديدة لتثبيط عزم الامام.

والامام من جانبه تجنب عن الوقوع في حبالة النقاش من دوافع هذا الاقتراح الذى لو كان اقتراحاً مخلصا لوجب ان يقدم قبل العزم على المسير، وفي المقطع الاول ذكّر المقترح بأُمور ثابتة في الاسلام لايمكن ان ينكرها مسلم، ومن دون توجه الى اقتراحه فـ(اقبل عليه السلام على الناس) وحثهم على السير كما في المقطع الثاني.

(١/٧٩ - ط) علم الساعة:

قال عليه السلام: **أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ، وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ[(٤)] الَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ[(٥)] بِهِ الضُّرُّ! فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ ٱلْقُرْآنَ، وَٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلاسْتِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ الْمحْبُوبِ وَدَفْعِ المَكْرُوهِ، وَيَنْبَغِي[(٦)] فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ[(٧)] أَنْ يُولِيَكَ[(٨)] ٱلْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ؛ لِأَنَّكَ ـ بِزَعْمِكَ ـ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النَّفْعَ، وَأَمِنَ الضُّرَّ.**

في هذا المقطع اشار الى امور ثلاثة ثابتة في الاسلام لا يمكن ان ينكرها مسلم، هي:

اولاً: ان علم الساعة لا يعلمها إلّا الله سبحانه ﴿علمها عند ربّي﴾ فمن يدّعي أنّه يعرف

---

(١) لم ترد في ألف.

(٢) في هامش ب: هذا المنجم هو عفيف بن قيس، أخ الأشعث بن قيس.

(٣) في د: وقد قال.

(٤) ليس في الف وب ود: من.

(٥) في هامش ب: حاق: أحاط، قال الله تعالىٰ: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا۟ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وحاق الأمر: أي: لزم ويقال: الحيق: ما يشتمل عليه من مكروه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّيءُ﴾.

(٦) في ط: وتبتغي.

(٧) في هامش الأصل: أي علىٰ مؤدّاه ومقتضاه.

(٨) في هامش ب: ولّاه الأمير على كذا، أو ولّاه على بيع كذا، وأوليت معروفاً.

(السّاعة التي من سار فيها صرف عنه السّوء) فهو يدّعي مالا يعلمه إلاّ الله سبحانه، فانه وحده يعرف تلك الساعة، كما يعرف (السّاعة التي من سار فيها حاق به الضّرّ) ولا شريك له في ذلك فالمصدق لهذا المدعى مكذّب للقرآن، ولا يكذب بالقران الاّ الكافر.

ثانياً: ان الاستعانة لا تكون إلّا بالله (في نيل المحبوب ودفع المكروه) وهذا هو سرّ البسملة التي اصبحت شعار المسلمين، يقدّمونها في كل عمل يقومون به بالاستعانة بالله سبحانه لا سواه.

ومدعي علم الساعة في واقع الحال يدعي انه هو المستعان لانه الذي يعرف هذا العلم في عصره أو في مصره، أو ذلك الوقت دون سواه، والله وحده هو المستعان.

ثالثاً: ان دعوى علم الساعة تستلزم الشرك بالله سبحانه عملياً؛ فان (الحمد) لا يكون على حقيقته إلّا لله سبحانه دون سواه، وان مدعي علم الساعة مدّع للهداية الى مافيه النفع وأمن الضرّ الذي لا يعلمها سوى الله سبحانه، ومن اخبر عن الله سبحانه، والمفروض ان مدّعي علم الساعة ليس منهم، ولا سائر على طريقتهم ولا تابع لامامهم، بل متّبع لدعوى لايدعيها غيره لنفسه، وهذا يستلزم ـ حسب زعمه ـ ان يكون الهادي المستحق للحمد دون الله تعالى، وهو حقيقه الشرك.

والحاصل: ان من يدعي علم الساعة لابد وان يكون له حجة معقولة في الاسلام، ولايكون ذلك إلّا للانبياء، وليس هذا منهم، ولم يدع احد منهم ذلك، فيستلزم المدعي اموراً كلها واضحة البطلان بالاسلام من تكذيب القران والاستعانة بغير الله، ولوازم الشرك بالله بان يستحق الحمد على الصفة المختصة بالله بادّعائها لنفسه، وهو علم الساعة.

وفي هذا الامر الثالث إشارة الى الدواعي النفسية التي دفعت المقترح الى ما قام به، ومن اجل ذلك أعرض عنه الامام وخاطب الناس مباشرة في المقطع التالي:

(٢/ط - ٧٩) علم النجوم:

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال:(١)

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ(٢) فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنهَا تَدْعُو إِلَى ٱلْكَهَانَةِ؛ المُنَجِّمُ كَالكاهِنِ، وَٱلْكاهِنُ كالسَّاحِرِ(٣)، وَالسَّاحِرُ كَالْكافِرِ، وَٱلْكافِرُ فِي النَّارِ؛

---

(١) لم ترد «ثمّ أقبل عليه السلام علىٰ الناس فقال» في أ.

(٢) في هامش ب، وفي نسخة: بها.

(٣) في هامش ب: السحر: كل ما لطف مأخذه ودقّ، والساحر: من يصرف الناس عن الحق بتخييل.

سِيرُوا عَلَى ٱسْمِ ٱللهِ وعونه[١].

واشار الامام في هذا المقطع الى ان النجوم ـ كسائر ما خلق الله ـ لها آثار طبيعية على الكون محسوسة كالشمس في الفصول الاربعة والنجوم في الهداية حساً (في برّ أو بحر) على مدار السنة، وهذا علم جليل يجب ان يستفاد منه كسائر العلوم المؤثرة في حياة الانسان، وقد اكثر اهل الاختصاص التأليف في ذلك.

واما ما كان يدعيه المقترح، فليس من علم النجوم، بل هو دعوى لاتستند الى علم ولا الى دين، بل يناقضهما معاً؛ اذ لا دليل علمي أو ديني يساند ما يدعيه هؤلاء، وهذا الذي حذّر الامام من المسير الى الخوارج اثبت كذبه بالظفر على الخوارج، واما من الناحية الدينية، فليس في الاسلام ما يؤيد هذا العلم، ومن اعرف بذلك من امير المؤمنين عليه السلام ؟.

ثم أشار عليه السلام الى ان هذه الدعوى تستلزم الكفر في سلسلة مترابطة:

فان تعلم النجوم على اساس التنجيم اي كشف المغيّبات ـ تستلزم (الكهانة)، وهي الانباء بالغيب، فيكون المنجم في دعواه العلم بما يجري في المستقبل كالكاهن من دعوى علم الغيب. والكاهن يستخدم شخصيته القوية في الارادة على من له شخصية ضعيفة، فيؤثر فيه بارادته فيكون (كالساحر) حيث ان الساحر عادة يستخدم الوسائل التي تؤثر في نفسية المسحور بالإيحاء لما يعتقد انه ينفعه أو يضرّه، والساحر بحكم كونه مستخدما الطريق الغير الانساني في التاثير على الاخرين يكون (كالكافر)؛ لانه لا يؤمن بقدرة الله تعالى الذي على كل شئ قدير، ويبطل ما فكر به الانسان بفكره وايحائه، وقد وعد الاسلام بان (الكافر في النار).

وبالنتيجة: ان علم التنجيم ـ اي تأثير النجوم على حياة الانسان ـ بغير الطرق الطبيعة علم ينتهي بصاحبه الى الكفر بقدرة الله سبحانه.

وبعد هذه الملاحظة المقتضبة حول تأثير النجوم الطبيعي والغير الطبيعي، وفي مثل هذا الوقت الذي كان يقتضي طرح القول الفصل في أداء المسؤولية الملقاة علىٰ الامام عليه السلام بالدفاع عن الدين والوطن، قال: (سيروا على اسم‌الله) مؤكّدا على ان اساس المسيرة هو الثوابت الاسلامية والسير على اسم الله سبحانه دون سواه.

(١) كذا في الأصل، ولم ترد «وعونه» في الف وب وط و د.

[الخطبة ٨٠]

ومن كلام له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل فى ذمّ النساء[١] ببيان نقصهنّ

لقد كان لحرب الجمل عام ٣٦ هـ أسوأ الاثر على المجتمع الاسلامي بصفة عامة، لاسباب، اهمها: انها كانت اول حرب اهلية وقعت بين المسلمين، ولم يكن قبلها حرباً اهلية.

وأن قادة المعارضة استخدمت ام المؤمنين عائشة (رض) كواجهة ولم تشارك امراة مسلمة كواجهة في الحرب قبل ذلك، لا من امهات المومنين ولا من غيرهنّ، ولا في عهد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ولا في عهد الخلفاء من بعده.

وكان لهذه الواجهة اثر بارز في كسب العواطف العامة فـي قـيادة الامـام وقـيادة المعارضة على حدّ سواء، وكانت المعارضة تربح الحرب من هذه الواجهة سواءً نجحت في الساحة أو فشلت ام المؤمنين لتجد فيما اذا قتلت مبرراً جديدا وقميصاً آخر كقميص عثمان. ولو لا ان تدارك الامام الموقف بحكمة، وهو أمره القيادي بعقر الجمل، وارجاع ام المؤمنين عليها السلام برفقة اخيها محمّد بن أبي بكر الى موطنها ـ المدنية ـ لكانت الفاجعة والطامة التي خطط لها الاعداء واقعة لا محالة.

(١ / ط ـ ٨٠) **طبيعة النساء:**

مَعَاشِرَ النَّاسِ؛ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ، نَوَاقِصُ الحُظُوظِ، نَوَاقِصُ ٱلْعُقُولِ.
فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاَةِ[٢] وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ.
وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ الأَمْرَأَتَيْنِ[٣] منهنّ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ.
وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوارِيثُهُنّ عَلَى الأَنْصَاف مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ.
فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلاَ تُطِيعُوهُنَّ[٤] فِي ٱلْمَعْرُوفِ

---

(١) في هـ. أ: وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله في ذم النساء أخبار يطول ذكرها، منها: انه خطب يوم عيد ثم التفت إلىٰ صفوف النساء فقال: «معاشر النساء تصدّقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار عدداً، فقالت واحدة منهنّ: لِمَ يا رسول الله؟ فقال: انكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير وتمكث إحداكن شطر عمرها لا تصلّي.
وفي حديث أخر: «ما رأيت ناقصات عقل ودين مثلكنّ».

(٢) في هامش ب: الصلاة من الإيمان.

(٣) في ب وط ود: فشهادة إمرأتين.

(٤) في هامش الف: أي لا تفعلوهُ طاعة لهن، بل افعلوه لأنّه معروف، وهذا مثل ما في المثل: لا

حَتَّى لاَيَطْمَعْنَ فِي ٱلْمُنْكَرِ.

وفي هذا المقطع اشارة الى طبيعة النساء اللاتي عاصرهنّ الامام لتنفيذ قرار السيدة عائشة (رض) بالمشاركة في هذه الحرب الاهلية كواجهة، حيث انها كانت الوحيدة من امهات المؤمنين اللواتي قررن المشاركة في الحرب ضد الامام علي عليه السلام، ورفضن التمسك بدعوة القرآن من الاستقرار في الوطن ـ المدينة المنورة أو مكة المكرمة ـ، كما سرد ابن أبي الحديد الروايات المتضمنة لذلك بتفصيل في الشرح، ولكنها خالفتهن، وربما لصغر سنّها بالنسبة الى سائر امهات المؤمنين.

واشار في هذا المقطع الى هذا النقص في التجربة السياسية؛ لانهن لم يكنّ في ذلك العصر بالمستوى الفكري المطلوب لمحاسبة مجريات الاحداث، وان النساء يختلفن عن الرجال في مجالات ثلاث:

اولاً: الايمان، وفسّر ذلك بأنّ المرأة يسقط عنها (الصلاة والصيام في ايام حيضهن) وبما ان الصلاة عمود الدين والصيام من الواجبات الاسلامية المفروضة، فان فقدانهما نقص في نظر المجتمع، مع انها تخفيف على المرأة من وجهة نظر التشريع.

ثانياً: الحظ، وهو ما يحظو به الانسان من مال أو متاع، ففي المواريث (للذكر مثل حظ الانثيين) لان المسؤولية المالية ملقاة على الرجل شرعاً، وليس عليها مسؤولية مالية بالانفاق، فان ما تخصّ به من الارث يكون ناقصاً في نظر المجتمع، مع انه نظام اقتصادي عادل من وجهة نظر الشرع.

ثالثاً: العقل، وهو اتخاذ القرار الصارم في الامور، فشهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد، وليس ذلك لجهلها، بل لشدة حذرها لمصلحتها، بحكم انه ليس في يدها القرار الاخير، وذلك نقص في نظر المجتمع، مع انه وقاية من الكيد العظيم الذي لهن في طبيعتهن.

وهذه النقاط الثلاث من وجهة نظر المجتمع نقص، وكذلك من وجهة نظر المراة نفسها، فهو شعور بالنقص، والشعور بالنقص يستلزم عادة ردّ فعل بصورة واخرى، وان لم يشعر المجتمع باسبابه، وقد ظهرت بعض تلك في قبول ام المؤمنين عليه السلام تزعّم المواجهة مع الامام علي في حرب الجمل.

عقدة النقص:

ان من له عقدة النقص ـ سواءً كان نقصاً حقيقة ام لا ـ فان نفس الشعور بذلك يجعل له

تعطي العبد كراعاً فيأخذ ذراعاً.

رد فعل يجب الاستعداد لمواجهته، واشار الى مواقف ثلاثة:

١ ـ الوقاية (فاتقوا شرار النّساء) فان الوقاية خير من العلاج، واهمها التثقيف الاسلامي الصحيح.

٢ ـ الحذر (وكونوا من خيارهنّ على حذر) لان الطبيعة لها تأثيرها والشعور بالنقص قد يؤدي الى قررات ارتجالية غير مدروسٍ عواقبها.

٣ ـ الحزم بعد الدراسة، ولا يكون إلّا بعدم الانقياد للعواطف، وهذا هو المقصود من قوله: (لا تطيعوهنّ في المعروف) لان المعروف طاعة في نفسه، ويجب على المسلم ان يكون مبادراً اليه من دون سؤال ولو تحقق السؤال لكانت الطاعة للمعروف الذي امر الله به لا للسؤال. فان الذين يسيطرون على العقول انما يستخدمون العواطف بالهدايا والصداقات والاكاذيب والدعايات، وتلك لا تؤثر الاّ بعد ان تستولي على ثقة الانسان.

وهذه الطرق الثلاثة كافية في مواجهة من له عقدة النقص.

[الخطبة ٨١]

ومن كلام له عليه السلام(١)

أَيُّهَا النَّاس؛ ٱلزَّهَّادَةُ(٢): قِصَرُ ٱلْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمْ، وَالْوَرْعُ(٣) عِنْدَ(٤) الْمحَارِم، فَإِنْ عَزَبَ(٥) ذَلِكَ عَلَيْكُمْ(٦) فَلاَ يَغْلِبِ ٱلْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلاَ تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ؛ فَقَدْ أَعْذَرَ ٱللهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ(٧) ظَاهِرَةٍ؛ وَكُتُبَ بَارِزَةِ ٱلْعُذْرِ وَاضِحَةٍ.

(١/ط - ٨١) **بيان الزهد:**

الزهد يتكوّن من اعمدة ثلاثة، هي:

١ ـ قصر الامل، فان طول الامل يستلزم الاستعداد للمستقبل، وكلما بعد المستقبل لزم طول لزم الاستعداد وكثرته.

٢ـ الشكر عند النعم، واكثرها توفراً: نعمة الحياة التي تستوجب الشكر، فانها أفضل من الموت التي لا مجال للعمل فيها.

٣ ـ التورّع عن المحارم، وهو الوقاية من الوقوع فيها، باجتناب مظانها، وله مراتب مختلفة. دون ارتكاب الحرام.

فالزهد حقيقة لا يتحقق بدونها جميعاً، وقد شاع بان الزهد هو قصر الامل، لاستلزامه الامرين عادة، وبدونها يكون تقشفا. وليس زهداً، بل تجلداً؛ نتيجة رد فعل مؤقت، دون الزهد الذي هو طبيعة ثابتة. ومن أجل ذلك قال عليه السلام: ان هذه الدعائم الثلاث ان لم تجتمع

---

(١) أورد هذا الكلام أو فقرات منه: الشيخ البرقي في المحاسن: ٢٣٤، والشيخ الكليني في الكافي ١: ١٤١، و ٥: ٧١، والشيخ الصدوق في الخصال ١: ١١ و١٧، ومعاني الأخبار: ٢٥١، وابن شعبة الحراني في تحف العقول: ١٠١، و١٣٨، و١٥٤، والطبرسي في مشكاة الأنوار: ١٠٦، والفتال النيشابوري في روضة الواعظين: ٤٣٤، والآمدي في الغرر ١ : ٢١٩ و٢٧٦ و٣٠٨، و ٢: ٦٦٣.

(٢) في هامش الف: اعلم ان الزهد في العرف هو الإعراض عن منافع الدنيا وطيّباتها، لكنه لما كانت الأمور الثلاثة طريقاً إلىٰ ذلك أُطلق الزهد عليها. وفي هامش ب: ذكر عليه السلام ان الزهد ثلاثة اشياء: أدونها قصر الأمل، وأعظمها الشكر والورع.

(٣) في ط : والتورع، وفي هـ. د: والتورّع ـ ح .

(٤) في ب: عن.

(٥) في هامش ب: أي بعد.

(٦) في الف وط و د عنكم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: عنكم.

(٧) في هامش ب: مضيئة، أسفر الصبح: إذا أضاء .

كلها (فان عزب ذلك) اي بعد ولم يكن ممكنا، فلابدّ من الاهتمام باهمها، وهما امـران بالترتيب:

الاول: المرتبة الاخيرة، دون ارتكاب المحرم، وهو ان (لا يغلب الحرام صبركم) فان الصبر عن الحرام اولىٰ من ارتكاب الحرام.

الثاني: الشكر (عند النّعم) واقلها نعمة الحياة. ثم ذكر عليه السلام الاسباب الموجبة للـزهد، وهي ثلاثة حجج:

الاول: العقل، وهو حجة باطنة (مسفرة) أي كاشفة عن ضرورة الزهد في الحياة.

الثاني: الانبياء، وهم حجج (ظاهرة) بعثوا في مقاطع من الزمن للهداية الى الصـراط المستقيم، واهمهم: أُولوا العزم.

الثالث: (الكتب) السماوية للاديان، فانها توجّه الانسان الى الزهد القويم.

وكل هذه الحجج الثلاث (بارزة العذر واضحة) وبروز العذر لها ظهورها لمن يدرسها ويتأمّل فيها، ووضوحها لانها محكية في كل الآداب الانسانية التي تستخدم العقل في حياتها، وتهتدي برسالات الانبياء صلى الله عليهم وآله وتنقل من نصوص الكتب السماوية في كل انحاء العالم.

[الخطبة ٨٢]

ومن كلام له عليه السلام في صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ، أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! في حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا[١] عِقَابٌ. مَنْ اسْتَغْنَىٰ فِيهَا فُتِنَ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ[٢]، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ[٣]، وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ[٤]، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا[٥] أَعْمَتْهُ[٦].

قال الرضيّ رحمه الله:

أقول:[٧] وإذا تأمَّلَ المُتَأمِّلُ قوله عليه السلام: «ومَن أبصرَبها بصَّرَتْه» وَجدَتحته من المعنى العجيب، والغرض البعيد، مالا يبلغ[٨] غايتُه ولا يدرَك غَوره، لا سِيَّما إذا قرن إليه قولَهُ: «وَمَنْ أبْصَرَ إليها أعمتْهُ»، فَإنه يجد الفرق بين «أبصرَ بها» و«أبصَرَ إليها» وَاضِحًا نَيِّراً، وعجيباً باهراً صلوات الله وسلامه عليه.

(١/ط - ٨٢) صفات الدنيا:

عدّ الامام عليه السلام في هذا الكلام من صفات الدنيا عشرة صفات رئيسية كدار يحل فيها للسكن ويتمتعون فيها كأيّ انسان آخر يسكنها، وكل من يسكن فيها ـ بلا استثناء ـ يواجه بعض هذه الصفات بنفسه، ويشاهدها في غيره، وهي:

---

(١) في هـ. د: وحرامها عقاب ـ ف.

(٢) في هامش ب: فاتته: سبقته وصارت فائتة، وفي هامش الف: نظر عبدالله بن المعتز إلىٰ قوله عليه السلام: «ومن ساعاها فاتته» فقال: الدنيا كظلك إن طلبته زاد منك بعداً.

(٣) في هامش ب: واتته أي طاوعته. وفي هامش الف، وفي نسخة: وافقته.

(٤) في هامش الأصل: أبصر بها، أي اعتبر بعبرها وفكر في تصرّف أحوالها علم أنّها لم ترد لنفسها وأنّ المراد بها غيرها.

(٥) في هامش ب: ابصر إليها أي من راقه زبرجها فطلبها لنفسها نسي ما ورائها فعمي عن المقصد والمطلب، وفي هامش ب: ابصر إليها أي نظر إليها معجباً بها.

(٦) وفي هامش الف: نظر عبد الحميد المدائني إلىٰ قوله:«ومن ابصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته »فقال:

دنياك مثل الشمس تدني	إليك الضوء لكن وعر المسلك
ان أنت ابصرت إلىٰ نورها	تعش وان تبصر به تدرك

وفي هامش ب: ابصر بها: أي اعتبر بها فابصر بمعنىٰ استبصر كأجاب واستجاب وإذا قلت ابصر بها فالمحذوف هو المفعول أي ابصر بها الدليل.

(٧) كذا في ط، وفي الأصل: قال السيد رضي الله عنه، وفي د: أقول.

(٨) في د: تبليغ.

١ ـ (أوّلها عناء) وهو التعب لتحصيل المعاش واستمرار الحياة بالوسائل المتيسّرة حتى يمكنه اكمال المسيرة.

٢ ـ (وآخرها فناء) فلن يخلّد أحد في داره مهما طال به الزمن، ويواجه الموت آجلاً أم عاجلا.

٣ ـ (في حلالها حساب) دقيق يسيّره الى الامام أو يطرحه الى الخلف بمعادلات رياضية لاتخطأ.

٤ ـ (وفي حرامها عقاب) على التجاوزات والغرامات التي يؤاخذه بها الشرع والتاريخ.

٥ ـ (من استغنى فيها فتن) فان الغنى فتنة وامتحان لان الغني يتصورهما مستمراً الى الابد، فيطغى.

٦ ـ (ومن افتقر فيها حزن) لانه يرى الفقر ذلاً موجبا للحزن على مافاته ولم ينله.

٧ ـ (ومن ساعاها فاتته) والمساعاة: المسابقة؛ فانها اسبق في الجري؛ لان الزمن يطير وهو نائم.

٨ ـ (ومن قعد عنها واتته) اي طاوعته؛ فان روح القناعة تجعل الانسان متأقلما بالمحيط الذي يعيش فيه، فتكون الحياة مطاوعة له.

٩ ـ (ومن أبصر بها بصّرته) فان دراسة التاريخ في الدنيا من حالات الملوك والفقراء والاقوياء والضعفاء، تجعل الانسان على بصيرة من أمره.

١٠ ـ (ومن أبصر إليها أعمته) بان اتخذها هدفاً في الحياة، فتكون له كنور الشمس، فان كل من طالع الشمس نفسها أعمته، ذلك النور وان لم ينظر الى الشمس واستخدم نور الشمس لقضاء حاجته في الحياة جعلت له طريق الحياة مبصراً. وهكذا الدنيا، فمن اتخذهاهدفا وتهالك في تخزين الاموال والضياع، لا يزيده ذلك الاّ همّا وغمّا، وهو العمى. دون من اتخذ منها ما يفتقر اليه في الحياة من دون زيادة غير متوقعة، فيكون كالمهتدي بنور الشمس، لا الناظر اليها.

[الخطبة ٨٣]

ومن خطبة له عليه السلام

وتسمى بالغرّاء؛ وهي من الخطب العجيبة

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ[١]، وَدَنَا بِطَوْلِهِ[٢]؛ مَانِحِ[٣] كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ[٤] أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ[٥] كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ[٦] نِعَمِهِ[٧]، وَأُومِنُ[٨] بِهِ أَوَّلًا بَادِياً[٩]، وَأَسْتَهْدِيهِ[١٠] قَرِيباً هَادِياً[١١]، وَأَسْتَعِينُهُ[١٢] قَاهِراً[١٣] قَادِراً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً[١٤] نَاصِراً؛ وَأَشْهَدُ[١٥] أَنَّ مُحَمَّداً[١٦] عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ[١٧] عُذْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ[١٨].

(ط - ٨٣/١) من صفات الخالق:

ويتضمن هذا المقطع بعض صفات الذات المقدسة للخالق، وموجبات حمده، وبعض

---

(١) في هامش ب: أي بقوّته، ذكر عليه السلام عظمة الله أوّلاً بأنّه علا بحوله وقوّته، واستغنىٰ عن غيره بقدرته.
(٢) في هامش ب: أي بفضله.
(٣) في هامش ب: مانح: أي معطي.
(٤) في هامش الف وب: الازل ـ بفتح الهمزة ـ: الضيق والحبس.
(٥) في هامش الف: العواطف، يجوز ان تكون من العطف بمعنىٰ الميل، ولا شك ان نعم الله تعالىٰ مائلة علىٰ عباده، وان تكون من عطف عليه بمعنىٰ اشفق عليه، وتكون العاطفة بمعنىٰ المصدر كالعافية، وفي هامش ب: العواطف جمع عاطفة، وهي عائدة ورحمة مرّة بعد أُخرىٰ.
(٦) السوابغ: التوامّ والكوامل.
(٧) في هامش ب: سوابغ نعمه: الصفة مضافة إلىٰ الموصوف.
(٨) في هامش ب: من الإيمان.
(٩) في هامش ب: أي مبتدءاً.
(١٠) في هامش ب: الاستهداء: طلب الهداية.
(١١) في هامش ب: أي في حال قربي وهدايتي أو حال قربه وهدايته إلىٰ عبده.
(١٢) في هامش ب: الاستعانة: طلب الإعانة.
(١٣) في هامش ب: في حال قهره وعزته.
(١٤) في هـ. د: كافلاً ـ ن.
(١٥) في هـ. د: وأشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمّداً ـ م.
(١٦) في د زيادة صلى الله عليه وآله.
(١٧) في هامش ب: تعريف وابلاغ عذره.
(١٨) لم ترد «وتقديم نذره» في أ، وفي هامش ب: مقتبس من قوله تعالىٰ: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً عُذْراً أَوْ نُذْراً﴾ أي اعتذاراً من الله وانذاراً إلىٰ خلقه.

صفات العبد المخلوق مختتما بالشهادة الثانية.

والصفات المذكورة هنا الموجبة للحمد ستة، يحسها كل انسان في حياته لو توجه الى الباري سبحانه بضمير يقظ، وهي:

١ ـ (الّذي علا بحوله) والحول: القوّة، فهو تعالى غني عن الاسباب، وعلوّه بقوته الذاتية الذي اوجد بها المخلوقات، وهذه القدرة الذاتية توجب الحمد له، لا لسواه.

٢ ـ (ودنا بطوله) الدنوّ: القرب، والطول: الاحسان، فهو تعالى لتجرده عن الزمان والمكان عالٍ دان في نفس الآن، واجتماع الصفات المتناقضة يوجب الحمد له لالسواه.

٣ ـ (مانح كلّ غنيمة وفضل) المانح: المعطي لكل غنيمة يغتنمها الانسان وكل فضيلة يحصل عليها؛ لان الاسباب المادية كلها ترجع الىٰ الله تعالى، فهو مسبّب الاسباب.

٤ ـ (كاشف كلّ عظيمة وأزل) والازل: الضيق، فما يكرهه الانسان مهما كان عظيما وموجباً للضيق، فانه ينكشف بارادته تعالىٰ والتضرع اليه.

٥ ـ (احمده على عواطف كرمه) فان كرمه لا ينحصر في شئ؛ لأن كرمه يتعطف بعضها على بعض حسب ارادته، فنعمة الحياة تستمر وتتعاقب حتى يؤدي الانسان دوره في الحياة.

٦ ـ (وسوابغ نعمه) السابغ: الشامل، فان النعم، منها ما يخص انسانا لوحده دون غيره لمزايا جسمية خاصة به، وقد تعم الانسان وغيره طول العمر كنعمة الحياة.

من صفات المخلوق:

١ ـ الايمان (اولا بادياً) أي أول ما خلق في بدء الخلق، والى ذلك يشير الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة) وهي الايمان؛ فان وجوده مخلوقا مع ايمان طبيعيّ ويحرفه عن هذا الايمان المحيط الغير المؤمن الذي يعيش فيه.

٢ ـ طلب الهداية (واستهديه فيها هادياً) فانّ فاقد الشئ بفطرته يطلب ذلك عند من يجده، والانسان بفطرته يتوجه الى خالقه وخاصة عند السراء والضراء. ولا هادي سواه.

٣ ـ الاستعانة (واستعينه قاهراً قادراً) حيث ليس من يجدر ان يكون موردا للاستعانة حقيقة سواه، لكونه قاهراً على العالم وقادراً على كل ذي قدرة؛ لانه على كل شئ قدير.

٤ ـ التوكل (وأتوكّل عليه كافياً ناصراً)، فانّ التوكل لا يصح إلاّ على من له اهلية ذلك، بأن يكون (كافياً ناصراً) على كل حال، وليس كذلك سواه تعالى.

الشهادة الثانية:

وذكر في الشهادة بنبوة النبي محمّد ﷺ الذي هو (عبده ورسوله)، وليس فيه صفة الوهية كما تدّعيه بعض الاديان الاخر في الانبياء، واشار إلى اهداف الرسالة المحمدية

الثلاث، وهي:

١ ـ (لانفاذ أمره) من الهداية للبشرية الى الصراط المستقيم.

٢ ـ (وإنهاء عذره) اي ابلاغ الحجة للناس كافة.

٣ ـ (وتقديم نذره) من الانذار بعواقب الافعال في الدنيا والآخرة لقبح العقاب بلا بيان، والشهادة بالنبوّة اقرار بالالتزام بها فكريا والسلوك على مقتضاها عمليا.

(٢/ ط ـ ٨٣) الوصية بالتقوى:

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ الَّذِي ضَرَبَ لكم[1] ٱلْأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ[2] لَكُمُ الْآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ ٱلرِّياشَ[3]، وَأَرْفَغَ[4] لَكُمُ ٱلْمَعَاشَ[5]، وَأَحَاطَ بِكُمُ ٱلْإِحْصَاءَ[6]، وَأَرْصَدَ[7] لَكُمُ ٱلجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ[8] بِالنِّعَمِ ٱلسَّوَابِغِ، وَٱلرِّفَدِ[9] ٱلرَّوَافِغِ[10]، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ ٱلْبَوَالِغِ[11]؛ فَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا، وَوَظَّفَ[12] لَكُمْ مُدَدًا[13]، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ[14]، وَدَارِ عِبْرَةٍ[15]، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

سرد في هذا المقطع الاسباب الموجبة لتقوى الله، فان كل واحد منها للمتأمل فيها إلزام بالتقوى، وهي:

---

(١) لم ترد «لكم» في ط.

(٢) في الف: أي جعل الآجال لوقت معلوم مقدّر.

(٣) في هامش الأصل: أي لباس الزينة، وفي هامش الف: الرياش: اللباس الفاخر، وقيل: الخصب والغنىٰ، وفي هامش ب: الريش والرياش: اللباس الفاخر.

(٤) في هامش الأصل: أي ألان.

(٥) في هامش الف: أي جعله رفيغاً واسعاً مخصباً، وفي هامش ب: عيش رافغ: طيب واسع.

(٦) في هامش الف: الإحصاء، يجوز ان يكون المفعول به، تقول: حاط فلان كرمه، أي جعل عليه حائطاً، فكانه جعل الإحصاء والعدّ كالحائط المدار عليهم، لا يتعدونه ولا يخرجون عنه، وفي هامش ب: أي جعل الإحصاء يحوطكم وفسّر بقوله:« ووظّف لكم مُدداً».

(٧) في هامش الف وب: أرصد: اعدّ.

(٨) في هامش الف: آثركم: من الإيثار، وأصله: أن تقدّم غيرك علىٰ نفسك في منفعة أنت قادر علىٰ الاختصاص بها، وهو في هذا الموضع مجاز حسن، وفي هامش ب: اختاركم.

(٩) في هامش الأصل: جمع رافدة من الرفد، وهو المعونة، وفي هامش الف: الرفد: [جمع رافدة]: العطية والصلة، وفي هامش ب: العطاء.

(١٠) في هامش الأصل: الروافغ: جمع رافغة، والرفغ: لين العيش.

(١١) في هامش ب: جمع بالغة، وفي هامش الف: الظاهرة، قال تعالىٰ: ﴿وللهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ﴾.

(١٢) في الأصل: ووصف، وفي هامش الأصل: أي قدّر وقسم، وفي هامش الف: قدّر.

(١٣) في هامش الأصل، وفي نسخة: أمداً.

(١٤) في هامش الف: خبرة بكسر الخاء، أي دار بلاء وامتحان.

(١٥) في هامش الف: أي اعتبار.

١ ـ (الّذي ضرب الامثال) فان الامثال موارد الاعتبار مما حل في الامم السالفة من عوامل الرقي والاضمحلال، والتي توجد في كل امة في التاريخ، ولا يحفظها عن الانحراف إلاّ تقوى الله.

٢ ـ (وقّت لكم الآجال) فان لكل فرد ولكل أمّة اجل موقت تحديداً زمينا، وبحلول الوقت الذي يستهان فيه بتقوى الله يكون بداية النهاية لتلك الحضارة، وسوف ترثها حضارة اخرى.

٣ ـ (وألبسكم الرّياش) ولولا نعمة الطبيعة التي خلقها في توفير المواد الاولية للباس كالريش ونحوه، لما تمكن الانسان من الوقاية باللباس.

٤ ـ (وأرفغ لكم المعاش) اي جعله رفيغاً واسعاً بوفرة المحصولات الزراعية الطبيعية.

٥ ـ (وأحاط بكم الإحصاء) اي جعل الاحصاء لعدد النفوس كالحائط الدائر حولهم احصاءً دقيقاً.

٦ ـ (وأرصد لكم الجزاء) للاعمال على اختلافها في الصلاح والفساد، فكل يصير الىٰ جزائه العادل.

٧ ـ (وآثركم بالنّعم السّوابغ) واهمها نعمة العقل والفكر الذي يتميز به الانسان عن غيره من الحيوانات.

٨ ـ (والرّفد الرّوافغ) والرفد: العطية والصلة، والروافغ: الواسعة الموارد من الطبيعة جوّاً وبرّاً وبحراً.

٩ ـ (وأنذركم بالحجج البوالغ) والحجة: ما يستند اليه، والبالغة: الواضحة، ومنها رسالات الانبياء.

١٠ ـ (فأحصاكم عدداً) بعلمه الازلي، فهي معددوة محدودة لا يعزب عن علمه مثقال ذرة.

١١ ـ (ووظّف لكم مدداً) ما يمد به الحياة كالماء الذي به كل شيئ حيّ، وسائر الموارد الطبيعية.

١٢ ـ كل ذلك في هذه الدنيا الفانية التي من صفاتها انها (قرار خبرة) اي دار يستقر لها الانسان للاختبار والامتحان، وانها (دار عبرة) بدراسة التاريخ الذي هو مليئ بموارد الاعتبار.

وبالنتيجة: فان كل هذه الاسباب توجب تقوى الله الذي بيده كل شيئ، في هذه الدنيا الفانية التي (أنتم مختبرون فيها) على مدى الالتزام بالثوابت التي يدعوا اليها تقوى الله كما أنكم (محاسبون عليها) وعلى ما يصدر منكم من الاعمال خيراً أو شرا.

(٣/ ط ـ ٨٣) من صفات الدنيا:

فَإِنَّ الدُّنْيَا(١) رَنِقٌ(٢) مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ(٣) مَشْرَعُهَا، يُونِقُ(٤) مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ(٥) مَخْبَرُها. غُرُورٌ(٦) حائِلٌ(٧)، وَضَوْءٌ آفلٌ(٨)، وظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ(٩) مَائِلٌ، حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُها(١٠)، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا(١١)، قَمَصَتْ(١٢) بِأَرْجُلِهَا، وقَنَعَمتْ(١٣) بِأَحْبُلِهَا، وَأَقْصَدَتْ(١٤) بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَت(١٥) ٱلْمَرْءَ أَوْهَاقَ(١٦) الْمَنِيَّةِ، قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ(١٧) ٱلْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ.

وَكَذَلِكَ ٱلخَلَفُ بعَقَبِ السَّلَفِ؛ لَا تَقْلَعُ(١٨) ٱلْمَنِيَّةُ ٱخْتِرَاماً(١٩)، وَلَا يَرْعَوِي(٢٠) ٱلْبَاقُونَ ٱجْتِرَاماً(٢١)، يَحْتَذُونَ(٢٢) مِثَالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً(٢٣)، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ،

---

(١) في هامش ب: فإن الدنيا، الفاء يتعلّق بأُوصيكم.
(٢) في هامش الأصل: أي كدر، وفي هامش الف: رنق بكسر النون: اي كدر، والرنق ـ بفتح النون ـ مصدر «رنق» بالكسر، أي كدر.
(٣) في هامش الأصل: أي وَحِلٌ، وفي هامش الف: ردغ: ذوطين ووحل، وفي هامش ب: مختلط والردغمة والرداغ: الطين الرقيق.
(٤) في هامش الأصل: أي معجب، وفي هامش ب: يعجب.
(٥) في هامش الأصل: أي يهلك.
(٦) في هامش الف: الغرور ـ بضم الغين ـ: ما يغتر به من متاع الدنيا، وبفتحها: الشيطان.
(٧) في هامش الأصل: يحول ويذهب، وفي هامش الف: الحائل: الزائل.
(٨) في هامش ب: زائل.
(٩) في هامش الف: السناد: دعامة يسند بها البيت، وفي هامش ب: السناد: الناقة الشديدة الخلق، وعبّر عنه ـ ها هنا ـ بما يستند إليه.
(١٠) النافر: ذات النفار.
(١١) في هامش الف: ناكرها: فاعل، من نكرت الشيء: إذا أنكرته.
(١٢) في هامش الأصل: أي رفعتها معتمدة عليها، فعل الدابة النفور: وفي هامش الف: قمصت، من قمص الفرس: إذا رفع يديه وطرحهما معاً، وفي هامش ب: قَمْصُ الفرس: ان يرفع يديه ويطرحهما معاً.
(١٣) في هامش الأصل وب: أي صادت، وفي هامش ب: أي صادت برسها التي هي كالأحبل.
(١٤) في هامش الأصل: أي امرت في الرمية، وفي هامش ب: أي أصابت المقتل سهامها فقتلت.
(١٥) في هامش الأصل: أي جعلتها عالقة به.
(١٦) في هامش الأصل: جمع وهق: الحبل.
(١٧) في هامش ب: ضيق.
(١٨) في هامش ب: أي لا يرجع الموت عن القطع.
(١٩) في هامش ب: أي انقطاعاً.
(٢٠) في هامش ب: اي لا يتوب عن ارتكاب عن الذنوب.
(٢١) الاجترام: اقتراف السيئات والجرائم.
(٢٢) في هامش ب: اي يصيرون بهذا المثال المتقدم، واحتذىٰ: اقتدىٰ.

وَصَيُّورِ ٱلْفَنَاءِ(٢٤).

النقاط التي أشار اليها في هذا المقطع اربع وعشرون صفة للدنيا، كانت منذ خلقت الدنيا، فهي ذاتية لها في الماضي والحاضر والمستقبل، وحتى نهاية الدنيا. وفي كل صفة من صفاتها عبرة يجب على الخلق أن يتخذونها دروساً لأداء الواجب في كل مقطع زمني منها، كما هو مقتضى المسؤولية الاسلامية، ومن الصفات:

١ ـ (فانّ الدّنيا رنق مشربها) والرنق: الكدر، وطبيعي ان الماء الكدر لا يستساغ شربه.

٢ ـ (ردغ مشرعها) الردغ: ما كان ذو طين ووحل. والمشرع: الشريعة الجارية، فهي غير صافية ولاصالحة للشرب إلاّ بعد العلاج.

٣ ـ (يونق منظرها) والاناقة: الاعجاب، فان مظاهر الحياة الدنيا تعجب من لا يقف على حقيقتها.

٤ ـ (يوبق مخبرها) والوبق: الهلاك، فان اختبارها مع ما اخبر التاريخ عنها يعرض من يختبرها للهلاك، وان يصطلي بنارها.

٥ ـ (غرور حائل) والغرور: ما يغترّ به من متاع الدنيا، والحائل: الزائل، فان كل ما في الدنيا فانٍ بعد زمان.

٦ ـ (ضوء آفل) فان الضوء يفتقر إليه في الظلماء، وافوله: ذهابه، وما هـذا شأنـه لا يمكن ان يعتمد عليه للأبد.

٧ ـ (ظلّ زائل) ومن آثار الضوء ان يكون له ظلّ، وبُفول الضوء يزول الظل طبيعياً.

٨ ـ (سناد مائل) السناد: الدعامة، والمطلوب فيها الاستقامة لاثبات السقف، ولكن الدنيا سناد مائل لا يمكن استخدامه.

تمثيل محسوس:

ثم مثّل الامام الدنيا بما يتعاهده الناس في الحياة من الوسائل النقلية المتعارفة فـي عصره، وهو الفرس، وللعرب في الفروسية يدٌ طولىٰ لاتزال باقية في القبائل والجيوش من العرب وغيرهم من الامم. فانّ لكلّ من الدنيا والفرس حقائق مشتركة حيث انهما تحملان الانسان على ظهرهما، ويستخدمها الانسان لمصالحه الخاصة في الحياة، ولكل مـنهما

---

(٢٣) في هامش الف: الرسل بفتح السين، هو القطيع من الإبل والغنم، يقال: جاءت ارسالاً، أي قطيعاً قطيعاً، وفي هامش ب: جماعة جماعة.

(٢٤) في هامش الأصل: صيور الأمر، آخره وما يؤول إليه، وهو فيعول (انـتهىٰ مـن الصـحاح) فتكون الإضافة من إضافة العام إلىٰ الخاص، وفي هامش الف: آخر الأمر وما يـصير إليـه، وفي هامش ب: ما يصير الخلق إليه، والصيور: الآخرة وما يؤدي إليه.

ردود فعل متشابهة ايضاً، لا محيص للانسان من أن يواجهها في حياته، ومن ردود الفعل للفرس ما أشار اليه بقوله:

٩ ـ (حتّى إذا أنس نافرها) والنافر: الفارس الذي يعلو ظهر جواده بعد ان يربيه ويستأنس به، بان ينقاد لما يأمر به من النفر والوقف والجري والعدو وما شابه.

١٠ ـ (واطمأنّ ناكرها) والنكران: للجهل بالحقائق فيطمئن بالشيئ جاهلا بالحقائق.

١١ ـ (قمصت بأرجلها) وقمص الفرس: ان يرفع يديه معاً في آنٍ واحد ويعتمد على رجليه، ونتيجة ذلك: ان يقع الفارس على الارض ولا يمكنه من استخدام الفرس في تلك الحالة، بل لايمكن الانتفاع به إلّا في حالة العدو والجري، فشبّه عليه السلام الدنيا بالفرس القموص، فانه بعد ان يطمئن الانسان بالدنيا تنقلب فجاءة عليه فيفقد الجاه والمال والصحة وما شابه من مغريات الحياة.

١٢ ـ (وقنصت بأحبلها) والقنص: الاصطياد بالحبل، فتكون الدنيا صائدة للانسان بأحبلها.

١٣ ـ (وأقصدت بأسهمها) أي قتلت من غير تأخير بواسطة الأسهم التي استخدمت للقنص.

١٤ ـ (وأعلقت المرء أوها المنيّة) والأعلاق: الربط بالعنق، والوهق: الحبل، والمنية الموت، كما قال الشاعر:

واذا المنيّة انشبت اظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

١٥ ـ (قائدة له الى ضنك المضجع) فتكون الدنيا بهذه الوسيلة قائدة للانسان الى القبر الذي هو المضجع الاخير، وفيه الضنك، أي الضيق الذي لايسع فيه سوى جسمه.

١٦ ـ (ووحشة المرجع) فان التراب كان الاصل في الخلق وهو المرجع بعد الفناء ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾[(١)] والمصير الأخير لهذه المسيرة الشاقة امران، أشار اليهما عليه السلام بقوله:

١٧ ـ (ومعاينة المحلّ) فيرىٰ الانسان محله الخالد إلى الابد: إما الجنّة أو النار؛ لما سبق له من الوعد والوعيد.

١٨ ـ (وثواب العمل) وان ذلك يوم الجزاء على الاعمال خيراً أو شراً؛ لان الثواب في اللغة: الجزاء، والبعث هو يوم الجزاء في الاخرة بعد انقضاء يوم العمل في الدنيا.

الخلف والسلف:

---

(١) طه ٢٠ : ٥٥.

واشار عليه السلام الى ان هذه الصفات للدنيا لا تختلف من فرد لآخر، ولا من أُمة لأُخرى، ولا من عصر لعصر أو مصر لمصر؛ فانها صفات ذاتية للدنيا يقف عليها من يدرس التاريخ بعين البصيرة فان التاريخ يعيد نفسه في كل زمان ومكان وحتى نهاية الدنيا الفانية.

هكذا كانت الدنيا في (السلف) الذين تقدموا علينا، وهكذا تكون الحالة (بعقب السّلف) يعني الباقي بعد السلف، ومنهم نحن الذين على خطاهم سائرون، ومن يأتي بعدنا من (الخلف) الذين عن السلف وعنا يتأخّرون، وكلنا على نفس الطريق سائرون الى الفناء، ولا يبقى لايّ انسان إلاّ عمله المرهون به، فيخلد به ان كان صالحاً، ويطرح في مزبلة التاريخ ان كان طالحاً.

ثم اشار عليه السلام الى الحقائق التالية:

١٩ ـ (لا تقلع المنيّة اختراماً) الاقلاع: الكف. والاخترام: اذهاب النفس، وذهب الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) الىٰ ان الفاعل هو المنية، والمفعول: الاخترام، واظن ان الفاعل هو (الدنيا) المشار اليه في الخطبة، اى ان لا تتمكن الدنيا من قلع المنية التي هي الموت اختراماً، واستصالاً، فيكون الاخترام مفعولاً مطلقا، ولا يكفّ الموت عن استيصال الناس، والله اعلم.

٢٠ ـ (ولا يرعوي الباقون اجتراماً) والارعواء: الامساك، والاجترام: ارتكاب الجريمة والذنوب، فان الباقي من السلف حاضرا ومستقبلا لا يكفون عن الذنوب بالرغم من كثرة العبر التاريخية.

٢١ ـ (يحتذون مثالاً) والاحتذاء: الاقتداء، والمثال: العادات والتقاليد التي تركها السلف، فيتخذونها مثالاً لحياتهم، مع انها كانت لزمان غير زمانهم.

٢٢ ـ (ويمضون أرسالاً) والمضي: السير، والارسال ـ بالفتح ـ: القطائع من الاغنام التي تتحرك مجتمعة، لا لهدف سوى متابعة من سبق، لاغير.

٢٣ ـ (إلى غاية الانتهاء) فهذه الصفات تستمر الى النهاية التي هي نهاية الحياة في الدنيا؛ لانها صفات ذاتية للدنيا.

٢٤ ـ (وصيّور الفناء) وصيور الامر: آخره وما يؤول اليه، وهو الفناء التام، ﴿ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾(١)

(٤ / ط ـ ٨٣) من حالات البعث:

(١) الرحمن ٥٥ : ٢٧.

حَتّى إِذَا تَصَرّمَتِ[(١)] ٱلْأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ[(٢)] ٱلدُّهُورُ، وَأَزِفَ[(٣)] النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ[(٤)] مِنْ ضَرَائِحِ[(٥)] ٱلقُبُورِ، وَأَوْكارِ ٱلطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ[(٦)] السّباعِ، وَمَطَارِحِ[(٧)] الْمَهَالِكِ[(٨)]؛ سِراعاً إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ[(٩)] إِلَى مَعَادِهِ، رَعِيلًا[(١٠)] صُمُوتاً[(١١)]، قِيَاماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ ٱلْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ ٱلدَّاعِي؛ عَلَيْهِمْ لَبُوسُ[(١٢)] ٱلِاسْتِكَانَةِ[(١٣)]، وَضَرَعُ[(١٤)] ٱلِاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ، قَدْ ضَلَّت ٱلْحِيَلُ، وَانْقَطَعَ ٱلْأَمَلُ، وَهَوَتِ[(١٥)] ٱلْأَفْـئِدَةُ كَـاظِمَةً[(١٦)]، وَخَشَـعَتِ ٱلْاصْـوَاتُ مُهَيْنِمَةً[(١٧)]، وَأَلْجَمَ[(١٨)] ٱلْعَرَقُ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ[(١٩)]، وَأُرْعِدَتِ[(٢٠)] ٱلْأَسَمَاعُ، لِزَبْرَةِ[(٢١)]

---

(١) في هامش ب: انقطعت.
(٢) تقضّىٰ: انقضىٰ.
(٣) أزف: قرب.
(٤) في هـ. د: اخرجهم ملائكتهم ـ ن، وفي ب: أُخرجتم، وفي هامش ب، وفي نسخة: أخرجهم.
(٥) في هامش الف: الضريح: الشق في وسط الأرض، واللحد: ما كان في جانبه.
(٦) في هامش ب: جمع وجار السبع.
(٧) المطارح: جمع مطرح.
(٨) في هـ. د: الهلاك ـ ن.
(٩) في هامش الأصل: الإهطاع: استشراف الشيء فزعاً منه. وفي هامش ب: مسرعين، يـقال: أهطع: إذا مدّ عنقه وصوب رأسه، والإهطاع: الإسراع في الذلة والمذلة.
(١٠) في هامش الأصل: أي جمعاً، وفي هامش الف: الرعيل: القطعة من الخيل، وفي هامش ب: رعيلاً: جماعة من الناس.
(١١) في هامش ب: جمع صامت.
(١٢) في هامش الأصل: ما يلبس، والإستكانة: التواضع.
(١٣) في هامش ب: التواضع.
(١٤) في هامش ب: الخضوع.
(١٥) في هامش الأصل: يحتمل ان يكون المعنىٰ: ارتفعت فصارت في هواء الصدور، وهوىٰ من مكان مرتفع، ويحتمل ان يكون المعنىٰ: خلت من العقول كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾، وفي هامش ب: هوت: سقطت.
(١٦) في هامش ب: مجترعة الغيظ.
(١٧) في هامش الف: صوت خفيّ، وفي هامش ب: أي يـتكلّمون بكـلام فـي أنـفٍ بـتحيّر ... والهينمة: الصوت الخفيّ.
(١٨) في هامش ب، وفي نسخة: الفرق، وفي هامش الف: أي صارت لجاماً، وفي الحديث: «ان العرق ليجري منهم حتىٰ ان منهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ صـدره، ومـنهم مـن يـبلغ عنقه، ومنهم من يلجمه وهو أعظمهم مشقة» أعاذنا الله منه، وفي هامش ب: اي سال العرق من كل احد حتى يغرق فيه إلىٰ فيه، فالإلجام كناية عن وصول العرق إلىٰ الأفواه، وغـرقهم في عرقهم إلىٰ موضع اللّجام، وهو الفم.
(١٩) في هامش الف: الشفق والشفقة، بمعنىٰ الاشفاق، أي: الخوف والحـذر، وفـي هـامش ب: الإشفاق والخشية.
(٢٠) في هامش الف: اي عرته الرعدة، وفي هامش ب: اي يأخذ مواضع السمع الرعـدة ومـا

ٱلدَّاعِي إِلَى فَصْلِ ٱلْخِطابِ(٢٢)، وَمُقَايَضَةِ(٢٣) الْجَزاء، وَنَكالِ ٱلْعِقَابِ، وَنَوَالِ الثَّوابِ.

يستعرض هذا المقطع الحالات والصفات للبعث والمبعوثين بعد الموت، وحيث انها من وجهة النظر الاسلامية حقائق ثابتة ليس هناك من سبيل سوى التأكيد عليها، كما لا يمكن توعية الطفل الهارب من المدرسة إلاّ بالتاكيد على اهمّية الدراسة عسى ولعل ان يعتبر، ويستمر في الصراط المستقيم من يعرف نتيجة اعماله عندما يطالب بشهادة مدرسية ووثيقة تخرّج، وتلك الحالة هي حالة البعث والمبعوثين في الاخرة، وقد وصفها الامام عليه السلام في الفقرات التالية:

١ ـ (حتّى اذا تصرّمت الامور) أي تقطعت وانتهت بانتهاء دور العمل وحلول دور النتائج.

٢ ـ (وتقضّت الدّهور) والانقضاء: الانتهاء، والدهر: الزمن، وذلك بانتهاء الحياة في الدنيا الفانية.

٣ ـ (وأزف النّشور) والنشور: البعث والحصاد، والازف: القرب؛ لقربه زمانا بعد الحياة في الدنيا.

٤ ـ (وأخرجهم من ضرائح القبور) الضريح: الشق في وسط القبر، واللحد ما كان في جانبه، وذلك بالبعث والنشور لمن دفن منهم.

٥ ـ (وأوكار الطّيور) لمن أكلت الطيور لحومهم في أوكارها، والوكر: عش الطائر الذي يأوي اليه.

٦ ـ (وأوجرة السّباع) لمن اصبح طعمة للحيوانات المفترسة، والوجار: بيت السبع والضبع ونحوهما.

٧ ـ (ومطارح المهالك) لمن قاده القدر اليها، كالربع الخالي من الجزيرة العربية، حيث

يتصل بها من خفق الاسماع بالرعدة من دعوة الملك الجبار.

(٢١) في هامش الأصل، وفي نسخة: لزجرة، وفي هامش الف: لزبرة الداعي: صوته، وفي هامش ب: الزبرة: الصيحة التي هي الزجر والمنع.

(٢٢) في هامش الف: فصل الخطاب: هو بتّ الحكومة التي بين الله وبين عباده في الحكومة، وفي هامش ب: جواب خطاب الله، لم فعلتم هذا؟ ولم تركتم هذا وفي هامش الف: الفصل: القطع، والخطاب المخاطبة. وكأنهم دعوا ليقطعوا خطاب من يسألهم.

(٢٣) في هامش الأصل: في الصحاح: قايضت الرجل مقايضة، اي: عاوضته بمتاع وهما قيضان كما يقال بيّعان ، انتهى فيكون قوله: «ونكال العقاب ونوال الثواب» تفصيل المقايضة، وفي هامش الف: المقايضة: المعاوضة، أي انظروا ليرجعوا إلىٰ الطاعة ويخلصوا التوبة؛ لأن إخلاص التوبة هو المخرج من ربقة المعصية، وفي هامش ب: المقايضة: معاوضة الشيء بالشيء وفي هامش آخر: مكافأة.

لاماء ولا كلأ، ومثل بحيرة الملح لمن يطرح فيها من الطائرات، وكذا اعماق البحار؛ فانها لا جرم مهلكة لا منجى منها بالطرق العادية لمن يطرح فيها ظلما وعدوانا، أو جهلا بالمخاطر ونسيانا.

واشار الى حالات المبعوثين في هذه الفترة بقوله:

٨ ـ (سراعاً الى أمره) حيث لا أمر أعلى من أمره، فيكون كل شيءٍ منقاداً اليه، وهم يسرعون لما يشاهدوه من الحقائق.

٩ ـ (مهطعين الى معاده) اي يكون الخوف مستولياً عليهم في حالة السرعة إلى المهد الذي جعله الله لهم، والهطوع: المشي بخوف وسرعة، والمعاد: المضاف الى الله سبحانه هو يوم البعث والنشور.

١٠ ـ (رعيلا صموتا) والرعيل الجماعة، وهو لغة القطيع من الخيل، ويعلوهم الصمت لهول الحالة العامة.

١١ ـ (قياماً صفوفاً) فهم في حالة القيام في صفوف متعددة متعاقبة باتجاه واحد.

١٢ ـ (ينفذهم البصر) والنفوذ: الدخول في الشيئ خارقاً أو على الشئ حاكماً، والمراد هنا: التعميم، كما يقال: طريق نافذ اي طريق عام، والمراد: ان البصر اي الحكم الالهي يعمهم جميعاً بلا استثناء.

١٣ ـ (ويسمعهم الدّاعي) وهو الله سبحانه الذي لا تخفىٰ عليه خافية ﴿وهو السميع البصير﴾[1] ومن الغريب ما قاله الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) : «لا يبقىٰ منهم احد إلّا اذا دعاه داعي الموت سمع دعاءه و نداءه»[2] فان داعي الموت ـ وهو عزرائيل ـ يكون قبل الموت وليس بعد البعث، والله اعلم.

١٤ ـ (عليهم لبوس الاستكانة) وهي الخضوع، واللبوس: ما يلبس، وهو كناية عن حالة الخضوع التام.

١٥ ـ (وضرع الاستسلام والذلّة) والضرع: الوهن بسبب حالة الاستسلام بالبعث الذى يعم الناس، وكانوا بها بين منكر ومثبت، وكل منهما لا يدرى المسير الاخير، فهو في وهن وذلة حين تظهر النتائج.

ثم اشار الى اثبات الوهن بقوله:

١٦ ـ (قد ضلّت الحيل) والحيلة: الوسيلة؛ لان المعاد هو ساعة النتائج، وقد فات

---

(١) غافر ٤٠ : ٤٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٢٥١.

حينئذٍ وقت العمل، ولذلك ضلت وتاهت الحيل للوصول الىٰ نتائج العمل.

١٧ ـ (وانقطع الأمل) للعلم بانقضاء وقت العمل، وبالنتيجة:

١٨ ـ (هوت الافئدة كاظمةً) والهوي: السقوط، وفي حالة كهذه يكون الفؤاد والقلب ساقطا إلىٰ أدون درجات الثقة بالنفس (كاظمة) اي ساكنة لا تحرك شيئا؛ لهول المقام.

١٩ ـ (وخشعت الاصوات مهيمنة) الهيمنة: هي الصوت الخفي، وخشوع الاصوات لعدم قدرتها على الكلام المعتاد إلّا بحديث النفس.

٢٠ ـ (وألجم العرق) العرق: العظم الذي اخذ منه معظم اللحم، ولهول الموقع يذوب اللحم ويصبح العرق ملجماً، واللجام: ما يحصل في فم الفرس من حديدة، فلا يتكلم المبعوثون وكأنّ على افواههم اللجام الذي يمنعهم من الكلام.

٢١ ـ (وعظم الشّفق) وهو الخوف والحذر، وعظمه لشدة الموقف المجهول المصير.

٢٢ ـ (وأرعدت الاسماع لزبرة الدّاعي) والرعدة: الاضطراب، والزبرة: الصوت الصاخب، والدعوة تتضمن اموراً أربعة، هي الغاية من البعث والنشور، وهي:

اولاً: (فصل الخطاب) اي الحكم الفاصل والقرار الاخير.

ثانياً: (مقايضة الجزاء) والجزاء: نتيجة العمل خيراً أو شراً بما يعادله مقايضة عادلة.

ثالثاً: (نكال العقاب) بانزال العقوبات على من يستحقها، جزاءً للجرائم المرتكبة.

رابعاً: (نوال الثّواب) بالجزاء الخير على من يستحقه؛ جزاءً للاعمال الصالحة التي قام بها في الدنيا.

وبهذه الامور الاربعة يتحقق مصير المبعوثين، ويرى كل منهم جزاء عادلاً من الله، وهو احكم الحاكمين.

(٥/ط ـ ٨٣) تربية الخلق:

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اَقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ[١] اَقْتِسَاراً[٢]، وَمَقْبُوضُونَ اَحْتِضَاراً[٣]، وَمُضَمَّنُونَ[٤] أَجْدَاثاً، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً[٥]، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً، وَمَدِينُونَ[٦] جَزَاءً، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً[٧]، قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ اَلْمخْرَجِ[٨]، وَهُدُوا سَبِيلَ اَلْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ[٩]

---

(١) في هامش ب: أي رباهم الله.

(٢) الاقتسار: الغلبة والقهر.

(٣) في هامش الف: حضور الملائكة عند الموت، وفي هامش ب: احتضر القوم: ماتوا.

(٤) في هامش ب: جعلوا في قبورهم.

(٥) في هامش ب: الرفات: البالية.

(٦) في هامش ب: مدينون: مجزيّون.

(٧) في هامش ب: كتاباً.

اَلْمُسْتَعْتَبِ(١٠)، وَكُشِفَ(١١) عَنْهُمْ سُدَفُ(١٢) اَلرِّيَبِ، وَخُلُّوا لِمِضْمارِ(١٣) اَلْجِيَادِ(١٤)، وَرَوِيَّةِ(١٥) اَلاِرْتِيَادِ، وَأَنَاةِ اَلْمُقْتَبِسِ(١٦) اَلْمُرْتَادِ(١٧)، فِي مُدَّةِ الأَجَلِ، وَمُضْطَرَبِ المَهَلِ(١٨).

وفي هذا المقطع اشارة الى بعض الصفات العامة للناس في الحياة الدنيا والآخـرة، وهي:

١ ـ (عباد مخلوقون اقتداراً) حيث خلقهم الله سبحانه بقدرته العليا في أحسن تقويم.

٢ ـ (مربوبون اقتساراً) ربّاهم الله سبحانه بالأسباب الطبيعية اقتساراً، أي بالغلبة حيث جعل تربية الناس خاضعة للاسباب، والاسباب خاضعة لارادته، فهو الغالب عليهم جميعاً.

٣ ـ (مقبوضون احتضاراً) حيث يقبض عزرائيل ـ ملك الموت ـ ارواحهم عند حضور آجالهم للموت.

٤ ـ (مضمّنون أجداثاً) والجدث: القبر، فهم بعد الموت يوضعون في القبور، فهي تضمهم كالضامن لهم حتى وقت الحشر والنشر في يوم المعاد.

٥ ـ (كائنون رفاتاً) والرفات: ما يبقى من الشيء من الآثار ويتحول الانسان بالموت الى رفات وآثار تدل عليه.

٦ ـ (مبعوثون أفراداً) فان البعث والنشور هو لكل فرد فرد من البشر، من دون استثناء.

٧ ـ (مدينون جزاء) الدينونة: الحساب، فالناس يحشرون للحساب جزاء على اعمالهم.

٨ ـ (مميّزون حساباً) فانّ دقة الحساب يقتضي التمييز بين كل واحد منهم كما تقتضيه

---

(٨) المخرج: المخلص.
(٩) في هامش ب: المهل: الوقت.
(١٠) في هامش الف: المستعتب: المسترضي.
(١١) في الف وب ود: كشفت.
(١٢) في هامش الف: السدفة: قطعة من الليل المظلم، وقيل: من الضوء، فهي من الأضداد. وفي هامش ب: كشفت السدفة: أي الظلمة.
(١٣) في هـ . د: وروي بمضمار الجياد ـ ك، وفي هامش الف: المضمار: الموضع الذي يضمر فيه الفرس والتضمير: ان يعلف الفرس حتىٰ يسمن، وفي هامش ب: استعارة.
(١٤) في هامش ب، وفي نسخة: الخيار، أي حلوا مضمار الخيار.
(١٥) في هامش الأصل: التروي والتفكر، والإرتياد: الطلب، وفي هامش ب: التفكر.
(١٦) في هامش الأصل: الاناءة: التؤدة والانتظار، والمقتبس ـ ها هنا ـ الطالب للعلم، وفي هامش ب: أي سكون مطالب العلم.
(١٧) في هامش الف: الطالب، وفي هامش ب: الاتياد: الطلب، والمرتاد: الطالب.
(١٨) في هامش ب: الدنيا.

العدالة.

٩ ـ (قد أُمهلوا في طلب المخرج) والعدالة تقتضي الامهال في الوقت للخروج من المأزق نتيجة المحاسبة، وقد امهلوا لذلك في الدنيا مهلة العمر، وما أوسعها من مهلة؟!.

١٠ ـ (وهدوا سبيل المنهج) وليست المحاسبة في يوم القيامة مفاجاءة؛ لان الناس اعطوا ما يستحقون من الهداية الى طريق الحق والنهج المستقيم في الحياة الدنيا؛ ليستحق ما يترتب على ذلك في الاخرة.

١١ ـ (عمّروا مهل المستعتب) والاستعتاب انما هو لغرض حصول الرضى من الكريم، وقد اعطى الله سبحانه مهلة العمر الطويل فرصةً لحصول الرضى منه بالاعمال الصالحة.

١٢ ـ (كشفت عنهم سدف الرّيب) والسدفة: القطعة من الليل المظلم، أو ضّدها، وهو الضوء، وقد قام الانبياء والرسل بكشف الريب والشك عن يوم المعاد في سيرتهم واقوالهم.

١٣ ـ (وخلّوا لمضمار الجياد) التضمير: ان يعلف الفرس حتى يسمن ويرد الى قوّته الاولى للمشاركة في سباق الخيل (والجياد) صفة للخيل، أي نجائبها. وهذا اشارة الى ان دار الدنيا دار سباق لعمل الصالحات، لتنظهر نتائجه في الاخرة كما تتسابق الجياد من الخيل في السباق، وتعطى الخيل فرصة كافية لذلك، وقد حدده البعض لتضمير الخيل اربعين يوما، والبشر في الحياة خلي ونفسه للاستعداد لهذه المسابقة حتى جاء وقت النتائج.

١٤ ـ (ورويّة الارتياد) الرويّة: الفكرة، والارتياد: الطلب، وقد كان البشر في الحياة الدنيا يتمتع بالفراغ والخلوة للتفكر الصحيح والطلب الصائب.

١٥ ـ (وأناة المقتبس المرتاد) الاناة: التؤدة والانتظار، والمقتبس ـ بناءً على الفاعل ـ: الذي بيده القبس للاضاءة، وهو من يرتاد شيئا، اي يطلب مراده، فان عليه الصبر والتؤدة والانتظار حتى يحصل على مراده، وقد اعطى الله سبحانه الانسان مهلة كافية لذلك في الحياة.

١٦ ـ (في مدّة الأجل) فإن في المدة التي عاشها الانسان في الدنيا قبل حلول الاجل كفاية لطلب ما يفتقر اليه من زاد الاخرة.

١٧ ـ (ومضطرب المهل) أي مدة الاضطراب الذي كان للانسان من المهلة الممتدة من حين البلوغ الى الموت، وهي مدة مضطربة، أي مختلفة باختلاف الحالات التي تعرض الانسان في الحياة، ولكنها لا تخرج عن انها مهلة تكفي الانسان ان يسير على صراط مستقيم، وان يستغفر من ذنوبه بتعديل اسلوب حياته مع نفسه ومع ربه والاخرين، والله

ارحم الراحمين.

(٦ / ط - ٨٣) **المواعظ وشرائطها وآثارها:**

فَيَالَهَا[١] أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً[٢]، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً[٣]، وَآرَاءً عَازِمَةً[٤]، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً[٥]، فَاتَّقُوا ٱللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، وَٱقْتَرَفَ[٦] فاعْتَرَفَ، وَوَجِلَ[٧] فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ، وَحُذِّرَ (فَحَذِرَ، وَٱزْدُجِرَ)[٨] فَازْدَجَرَ[٩]، وَأَجَابَ فَأَنَابَ[١٠]، وَرَاجَعَ فَتَابَ، وَٱقْتَدَى فَاحْتَذَى[١١]، وَأُرِيَ فَرَأَى[١٢]، فَأَسْرَعَ طَالِباً، وَنَجَا هَارِباً، فَأَفَادَ[١٣] ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً، وعمَّر مَعاداً، واسْتَظْهَرَ زَاداً[١٤] لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ، وَحَالِ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ.

فَاتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ[١٥]، وَٱحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ[١٦] مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نفْسِهِ[١٧]، وَٱسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ[١٨] لِصِدْقِ مِيعادِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعادِهِ[١٩].

اشار الامام ﷺ في هذا المقطع الى المواعظ وشرائطها وآثارها:

اما المواعظ:

---

(١) في هامش ب: فيالها، فالهاء ضمير الكلمات، «فيالها» تقال للتعجب.
(٢) في هامش ب: طاهرة.
(٣) في هامش ب: حافظة.
(٤) في هامش ب: ذات عزم.
(٥) في هامش ب: الحزم: ضبط الرجل أمره.
(٦) اقترف: اكتسب.
(٧) وجل: خاف.
(٨) ما بين القوسين من الأصل ولم يرد في الف وب وط، وفي هـ. د: ساقط من ن م ف ل ش.
(٩) في هامش ب: ازدجر: افتعل.
(١٠) في هامش ب: أي رجع.
(١١) احتذىٰ: عمل بما عمله مقتداه.
(١٢) أُري: بُيّن له وكشفت لأجله الحقائق فرآها.
(١٣) في هامش ب: استفاد، وهو من الأضداد.
(١٤) استظهر زاداً: حمل زاداً علىٰ ظهر راحلته.
(١٥) في هامش ب: أي اجعلوا نفوسكم تستحقّ الجنة بأن تصدّقوا بالبعث.
(١٦) في هامش ب: أي غاية.
(١٧) أي التعرض لمعصيته.
(١٨) في هامش ب: بالإنجاز: أي الاستيفاء.
(١٩) في هامش ب: أي مصيرة.

فقد اكتفى بالاشارة الى ما تقدم من صفات الدنيا واحوالات الاخرة وحالات المبعوثين بعد الموت، فانها تدل على ان الموت يواجه كل انسان لا محالة، وفيما تقدم احسن المواعظ، وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله: «كفىٰ بالموت موعظةً»(١) ولذلك اكتفى الامام بوصف عام لهذه المواعظ في فقرتين، هما:

١ ـ (فيالها أمثالا صائبة) فهي امثال لانها تعبّر عمّا يشابهها في الحياة على مرّ الدهور، وهي صائبة لانها حقائق لا ينكرها متأمّل في التاريخ.

٢ ـ (ومواعظ شافية) والوعظ: النصيحة، وهي شافية من الامراض الروحية، فتبرئُ الانسان من الجهل والهوى، كما يبرئ الدواء الجسد من الادواء.

واما الشرائط:

والشروط في تأثير هذه المواعظ اثرها المطلوب إلّا بها، كما لا يوثر الدواء في الصحة إلّا بوجود العلة التامة لها من وجود المقتضي وتحقق الشرط وعدم المانع، فعندئذٍ تتحقق الغاية، واشار الى أهمها، وهي:

١ ـ (لو صادفت قلوبا زاكية) فان طهارة القلب وزكاته من المقتضي لقبول الموعظة، والمصادفة أي بلوغ الهدف شرط لذلك.

٢ ـ (وأسماعاً واعية) فان الوعي للموعظة وفهمها شرط للتأثير، والاذن التي لا تسمع عاطلة عن الوعي.

٣ ـ (وآراء عازمة) والرأي وحده لايكون مؤثرا إلّا بعد العزم على تنفيذه.

٤ ـ (وألباباً حازمة) واللب وهو العقل والفكر، والحزم: الضبط، والفكر المجرّد عن الضبط المطلوب في التنفيذ يكون فاقداً للتأثير.

وبعد اجتماع هذه الشرائط وفقدان الموانع تكون للموعظة تأثير في الانسان.

لوازم الموعظة:

واشار عليه السلام الىٰ أنّ الموعظة تستلزم العمل على طبقها مباشرة من دون تأخير زمني، وسرد من الآثار المتعاقبة على الموعظة ما يأتي:

١ ـ (اتّقوا الله تقيّة من سمع فخشع) فالسماع بدون الخشوع لغو، والخشوع لابد وان يتحقق بعد السماع مباشرة عادة؛ لمكان فاء التفريع.

٢ ـ (اقترف فاعترف) والاقتراف ارتكاب الخطيئة، ويجب ان يتبعها الاعتراف المستلزم للتوبة.

---

(١) الكافي ٢ : ٨٥.

٣ ـ (وَجِل فعمل) والوجل وهو الخوف من الله يجب ان يستتبعه العمل على طبق ذلك.

٤ ـ (حاذر فبادر) والحذر يستلزم المبادرة والسرعة إلىٰ درء الاخطار وبدونه لا يكون حذراً.

٥ ـ (أيقن فأحسن) واليقين غاية وضوح الرؤية، وبدون ذلك يكون شكاً، ويقتضي ذلك العمل وهو الاحسان حسب رؤيته الواضحة.

٦ ـ (وعُبِّر فاعتبر) وعُبر بالبناء على المفعول فيه، وفيما يلي، اي حينما ذكر له الاخرون العبر اعتبر بها؛ فان موارد الاعتبار في التاريخ كثيرة، وما اكثر العبر واقل الاعتبار.

٧ ـ (حُذّر فحذر) والحذر: التحرّز من الشيُ لاحتمال المكروه، والتحذير من الآخرين يستلزم العمل بالتحرّز عن الموارد المشبوهة ذي الريبة.

٨ ـ (وزُجر فازدجر) والزجر: النهي والمنع عما لا ينبغي، فاذا زجره من له الصلاحية امتنع عما نهي عنه.

٩ ـ (وأجاب فأناب) والجوب: القطع، أي قطع عهداً من العهود ثم تنبّه إلىٰ خطئه وعصيانه، فأناب، أي رجع الى ما كان عليه من الصلة.

١٠ ـ (وراجع فتاب) فان مراجعة النفس والمراقبة والمحاسبة لها حقيقة تستتبع التوبة.

١١ ـ (واقتدى فاحتذى) والاقتداء: متابعة الشخص الذي اتخذه قائداً له، وذلك يستلزم الاحتذاء، وهو الفعل المطابق للمثل ممّا يفعله القائد.

١٢ ـ (وأُري فرأى) الرؤية: النظر بالبصر، وبعد ان أُرشد إلىٰ ما يتحقق به الرؤية قام بدوره فرأى ببصره الحقيقة، التي لو لا الإرائه لم تتحقق الرؤية.

آثار الموعظة:

ثم اشار الى آثار الموعظة التي تترتب على ما تقدم من المستلزمات منها:

١٣ ـ (فأسرع طالباً) بأن يتقدم في طلب الحقيقة غير منتظر للدعوة الى ذلك.

١٤ ـ (نجا هارباً) وفيما لو كان قد وقع في شبكة الفساد، سعى في خلاص نفسه كالمسجون.

١٥ ـ (فأفاد ذخيرة) أي اقتنى الموعظة ذخيرة كما يدخر اصحاب المال اموالهم.

١٦ ـ (وأطاب سريرة) وهي ما يسرّه في الباطن فيكون طيب القلب في راحة نفسية.

١٧ ـ (عمّر معاداً) بان قدم لعمران ما يعود اليه في المستقبل، وهو معاد كل انسان.

١٨ ـ (واستظهر زاداً) والاستظهار: حمل الشئ على الظهر بالاستعداد لزاد الاخرة من أعمال البر التي سوف يفتقر اليها (ليوم رحيله) من الدنيا بالموت (ووجّه سبيله) وهو

المقصد الذي يتوجّه اليه بعد الموت في الوقت الذي يفتقر اليه، وهو (حال حاجته) إلىٰ ذلك الزاد في يوم المعاد، وهو (موطن فاقته) حقيقةً، دون الدنيا.

١٩ ـ (قدّم أمامه لدار مقامه) فيكون ممن أمّن مستقبله بنفسه.

فاتقوا الله:

ونتيجة دراسة المواعظ وشروطها ومستلزماتها وآثارها هو تقوى الله في السرّ والعلانية، تقوى له المواصفات التالية:

اولاً: العقد من التقوى، ما خلق الله العباد له (جهة ما خلقكم له) وهي العبادة له وحده لا شريك له.

ثانياً: الحذر من القصور في الواجب. (واحذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه) فإن كل ما يأتي به الانسان من الواجبات فهي دون عظمة الله سبحانه ونعمهُ التي أنعم بها على العباد.

ثالثاً: الاعداد للاستحقاق (واستحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتّنجّز) لانه منجزٌ وعده اذا استحق الانسان ذلك.

رابعاً: (لصدق ميعاده) وأهوال يوم القيامة؛ لما في ذلك من الحساب الدقيق (والحذر من هول معاده) فلا يتحقق التقوى حقيقة إلّا بتواجد هذه المقوّمات من الانسان في سيرته الشخصية وسلوكه الاجتماعي، والله العاصم.

(٧ / ط ـ ٨٣) عظة خلق الانسان:

مِنها: جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ ماعَنَاهَا[١]، وَأَبْصَاراً[٢] لِتَجْلُوَ[٣] عَنْ عَشَاها[٤]، وَأَشْلاَءَ[٥] جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا[٦]، فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، وَمُدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا[٧]، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ[٨] لِأَرْزَاقِهَا، في مُجَلِّلَاتِ[٩] نِعَمِهِ، وَمُوجِبَاتِ

---

(١) في هامش ب: لتحفظ تلك الاسماع ما يعنيها، أي ما يهمّها، ومنه قوله ﷺ: «من حُسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

(٢) في هامش ب: أي جعل لكم أبصاراً.

(٣) في هامش ب: أي ليكشف تلك الأبصار ما يؤذيها من الظلمة.

(٤) في هامش ب: عماها.

(٥) في هامش الف: أطرافاً، وفي هامش ب: أي وجعل لكم أشلاءً، وهي أعضاء اللحم في الجسم، واحدها: شلو.

(٦) في هامش ب: موافقة لجوانبها.

(٧) في هامش ب: ومنافعها، بأعوانها، وفي هـ. د: وروى بأرماقها ـ ك.

(٨) في هامش ب: رائدة: أي طالبة، من «راد يرود»: إذا جاء وذهب.

(٩) في هامش ب: بالفتح معظمات، وبالكسر: غواشي.

مِنَنِهِ[١]، وَحَوَاجِز عَافِيَتَهِ[٢]، وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ.

وفي الخطبة سلسلة عظات في خلق الانسان وتاريخ الماضي والنعم وغيرها تهدي الانسان الى الدور المطلوب منه في الحياة، وأعظمها: خلق الانسان، كما قال سبحانه: ﴿لقد خلقنا الانسان احسن تقويم﴾.[٣]

وفي هذه المقطع ابتدأ بأهم اعضاء جسم الانسان، ومنها:

١ ـ (جعل لكم أسماعا) فانّ بالسمع يتمكن الانسان من سماع المواعظ؛ لأن الغرض منها (لتعي ما عناها) بواسطة تلك الاسماع، فهنّ وسائط للمعرفة، لها دورها، فان الانسان لم يخلق عبثاً فعلى الانسان الاتعاظ بها.

٢ ـ (وأبصاراً لتجلو عن عشاها) والعش: من يبصر نهارا لا ليلا، وفيه اشارة الى عدم وضوح الرؤية للحقائق بمجرد النظر، فالبصيرة ـ كالباصرة ـ وسيلة لجلاء الغشاوة وكشف الحقائق.

٣ ـ (وأشلاء جامعة لأعضائها) والشلو: العضو الظاهر، وبانضمامها مع سائر الاعضاء الباطنة يكون الجسم السليم القادر على اداء دوره في الحياة.

٤ ـ (ملائمة لأحنائها) الأحناء: الجوانب والجهات.

وقد شرح ملائمة الجوانب في جسم الانسان من ناحيتين، هما:

الاولى: (في تركيب صورها) فإن كل عضو من الجسم موضوع في الموضع المناسب له، بحيث لو وضع العضو في غير الموضع الذى هو الآن فيه لاختل الجسم في اداء دوره الانساني المطلوب.

الثانية: و(مدد عمرها) فان لكل مرحلة من مراحل نموّ الجسم الانساني دوره الخاص، من: الطفولة فالمراهقة والكهولة فالشيخوخة حتى ينتهي إلىٰ أرذل العمر، ولكلٍ دور خاص به.

٥ ـ (بأبدان قائمة بأرفاقها) ففي كل دور يقوم البدن بدوره المطلوب منه في ذلك الدور، بأرفاقها، أي منافعها الخاصة في ذلك الدور.

٦ ـ (وقلوب رائدة لارزاقها) الريادة: الطلب، ففي كل دور يطلب الجسم ما يفتقر اليه بما ألهمه الله سبحانه، فالطفل يطلب الحليب بالبكاء، وكلما كبر توجهت طلباته الىٰ ما

---

(١) في هامش ب: منن النعم.

(٢) في هامش ب، وفي نسخة: وحواجز بليّته، وجوامع عافيته. وفي هـ . د: حواجز بليّته ـ حاشيه م، وروي: جوائز عافيته.

(٣) التين : ٤.

يريد بالسعي اليه بالطريقة التي يهديه الله اليها.

٧ ـ (في مجلّلات نعمه) أي التي تجل الناس وتعمهم كـالقدرة والصحة والسـلامة والارادة والعقل وغيرها.

٨ ـ (وموجبات مننه) وهي النعم العامة التي توجب الامتنان والشكر لله سبحانه؛ اذ لولاها لما تمكن من السعي.

٩ ـ (وحواجز عافيته) والحاجز: المانع، اي ما يمنع العافية من الزوال والعدم، وذلك بإعطائه المناعة في الجسم لدفع الامراض والاعراض.

١٠ ـ(وقدّر لكم أعماراً سترها عنكم) فكل انسان يسير خطوة خطوة الى نهاية عمره، فلو علم بتاريخ موته ونهاية عمره بالضبط لربما غلبه الحسد لحياة من يعيش بعده، وقام بما لا يحمد عليه، كما نشاهد ذلك في المتهمين بالاعدام، وبالله الاعتصام.

وفي هذه النقاط العشر الكفاية في موارد العظة من خلق الانسان للرجوع الى طاعة الرحمن، والله المستعان.

(٨ / ط ـ ٨٣) عظة التاريخ:

وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنَ آثَارِ ٱلْمَاضِينَ قَبْلَكَمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ[١]، وَمُسْتَفْسَحِ[٢] خَنَاقِهِمْ[٣]، أَرْهَقَتْهُمُ[٤] ٱلْمَنَايا دُونَ ٱلْآمالِ، وَشَذَّ بِهُمْ[٥] عَنْهَا تَخَرُّمُ[٦] ٱلْآجَالِ، لَمْ يَمْهَدُوا في سَلَامَةِ ٱلْأَبْدَانِ[٧]، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِى أُنُفِ[٨] ٱلْأَوَانِ.

وعظة التاريخ بموارد الاعتبار الذي لا يخلو منه فترة من التاريخ، فان التاريخ يعيد نفسه.

١ ـ (آثار الماضين قبلكم) فقد خلّف الماضون آثارهم في الحياة على الارض التي عاشوا على ظهرها ودفنوا في بطنها ويحتفظ بها التاريخ.

٢ ـ (من مستمتع خلاقهم) الخلاق: النصيب، فقد استمتع الماضون بنصيبهم من الحياة

---

(١) في هامش ب: أي نصيبهم من الحياة.
(٢) في هامش ب: أي متّسع.
(٣) الخناق بالفتح: حبل يخنق به، وبالضم: داء يمتنع معه التنفس.
(٤) في هامش الف وب: اي أعجلتهم.
(٥) في هامش ب: أي قطعهم انقطاع آجالهم عنها، أي غـرّتهم الآمـال، والشـذّ: قـطع أغـصان الشجر.
(٦) في هامش ب: الإستفصال والاقتطاع.
(٧) في هامش ب: لم يبسطوا فرشاً لمضجعهم في القبر عند قدرتهم علىٰ ذلك إذ كانوا سالمين.
(٨) في هامش ب: أوائل.

في الدنيا من دون ان تدوم لهم.

٣ ـ (ومستفسح خناقهم) الخناق: الحبل الذي يخنق به، وكل من يعيش في الدنيا يعلم بان الموت الذي يكون بانتظاره يطوقه بحبل الخناق، وكلما طال عمره تضيق الخناق، وهو يحاول طالبا الفسحة من هذا الخناق ما أمكنه في الحياة.

٤ ـ (أرهقتهم المنايا دون الآمال) والمنية: الموت، وتدرك الانسان بسرعة، وتسبب له الارهاق والمتاعب قبل حصول الآمال التي اعتمد عليها في الحياة.

٥ ـ (وشذّ بهم عنها تخرّم الآجال) فان الآجال تخرم، اى تستأصل الانسان من تلك الآمال (وتشذّ بهم) أي تقطعهم عنها.

٦ ـ (لم يمهّدوا في سلامة الابدان) ومقتضئ العبرة ان يمهّدوا لما بعد الحياة حال كونهم في سلامة البدن، ولكنهم لم يفعلوا ذلك.

٧ ـ (ولم يعتبروا في أُنُف الأوان) أُنُف الشئ: أوله. والاتعاظ بمدرسة التاريخ يجعل الانسان يعتبر بموارد الاعتبار فيه، من اول الامر، وليس بعد انتهاء الأوان، وما اكثر العبر واقل الاعتبار.

(٩/ ٨٣ - ط) عظة الصحة:

فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ[١] إِلَّا حَوَانِيَ الْهَرَمِ[٢]، وَأَهْلُ غَضارَةِ[٣] الصِّحَةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ، وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ[٤] الْفَنَاءِ، مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ[٥]، وَأُزُوفِ[٦] الاِنْتِقَالِ، وَعَلَزِ[٧] الْقَلَقِ[٨]، وَأَلَمِ الْمَضَضِ، وَغُصَصِ[٩] الجَرَضِ[١٠]، وَتَلَفُّتِ الاِ سْتِغَاثَةِ

---

(١) في هامش ب: حلاوتها وطرواتها ورونقها، يقال: رجل بضّ: أي رقيق الجلد.

(٢) في ه.د: وروي حواني ـ ك، وفي هامش ب: حواني الهرم: معاطف تنحني وتنعطف وتعوج في حال الشيب.

(٣) في هامش الف: يقال أنّه في غضارة العيش، أي أنه في حضرة وخير أوَبة، وفي هامش الف: وقت.

(٤) في هامش ب: جمع: أوان.

(٥) في هامش ب: أي المفارقة.

(٦) في هامش ب: أي قرب الانتقال.

(٧) في هامش ب: العلز: خفة وسكون.

(٨) في هامش ب: القلق: الاضطراب.

(٩) في هامش ب: الغصص ـ بالفتح ـ: جمع غصّ بالطعام، وبضم العين: جمع الغصة، وهي الشحناء.

(١٠) في هامش ب: الجرض ـ بالتحريك ـ: الريق يُغَصّ به، يقال: جرص بريقه يجرض: أي غصّ بابتلاع ريقه.

بِنُصْرَةِ ٱلْحَفَدَةِ(١) وَٱلْأَقْرِبَاء، وَٱلْأَعِزَّةِ وَٱلْقُرَنَاءِ.

ومن موارد العظة: انواع الصحة والسلامة التي لا تعرف إلّا باضدادها، وقد أشار عليه السلام إلىٰ بعضها:

منها: الشباب، الذي لا يعرف الشباب هذه النعمة إلّا بعد حصول الهرم (فهل ينتظر أهل بضاضة الشّباب) والبضاضة: امتلاء البدن بالعضلات القوية (إلّا حواني الهرم) والحواني: ما يجعل الجسم منحنيا عن الاستقامة حالة الهرم، وهو أقصىٰ الكبر من العمر المداوم للضعف قوى الجسم.

ومنها: الصحة الذي لا يعرف قدرها إلّا من فقدها، وهو السقم، فهل ينتظر (أهل غضارة الصّحّة إلاّ نوازل السّقم) والغضارة: السعة والخصب، فهي لاتستمر الى اخر العمر، بل يتعقبها انواع المرض والسقم التي تنزل على جسم الانسان كلما تقدم به العمر لا محالة.

ومنها: البقاء في الحياة، فهو نعمة لا يعرف إلّا بضدّه، وهو الفناء بالموت.

ثم أشار عليه السلام إلىٰ أنّ لوازم السير الطبيعي لهذه الثلاث الشباب والصحة والبقاء إلىٰ الأضداد، ومنها:

١ ـ (قرب الزّيال) اي المفارقة؛ فان كل آتٍ قريب.

٢ ـ (أزوف الانتقال) اي دنوّه خطوة فخطوة.

٣ ـ (وعلز القلق) أي الهلع؛ لملازمته العلم بتحقق الاضداد.

٤ ـ (وألم المضض) اي الوجع المؤلم روحياً.

٥ ـ (وغصص الجرض) والغصّة: الشجا، والجريض: الذي يبلع ريقه علىٰ همّ وبصعوبة.

٦ ـ (تلفّت الاستغاثة) فهو يتلفت مستغيثاً بمن حوله، ولا يمكن لاحد اغاثته باستعادة الشباب أو الصحة أو البقاء بعد زوالها. فلا يكون المنجبر كالصحيح قط، وليس بمقدور أحد استعادتها مهما قرب وعظم، سواءً في ذلك الحفدة، وهم الاعوان والخدم، ولذلك سميّ ولد الولد حفيداً، والاقرباء بالنسب قريباً أو بعيداً، والأعزّة: أصحاب القوة والسلطان في الدنيا، والقرناء من الاصحاب والاصدقاء؛ فانهم جميعاً عاجزون عن النصر والاعانة في استعادة الشباب والصحة أو ابقاءها بعد حصولها.

(١٠ / ط - ٨٣) عظة الموت:

---

(١) في هامش ب: الخدم والاعوان وولد الولد.

فَهَلْ دَفَعَتِ ٱلْأَقَارِبُ، أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ(١)، وَقَدْ غُودِرَ(٢) فِي مَحَلَّةِ ٱلأَمْوَاتِ رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ ٱلْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ(٣) ٱلْهَوَامُّ(٤) جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَّتِ(٥) ٱلْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ، وَ صَارَتِ الأَجْسَادُ شَحِبَةً(٦) بَعْدَ بَضَّتِهَا(٧)، وَٱلْعِظامُ نَخِرَةً(٨) بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَٱلأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبائِها(٩)، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبائِهَا، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، وَلَا تُسْتَعْتَبُ(١٠) مِنْ سَيِّء زَلَلِهَا.

واعظم العظات هي عظة الموت، كما قال الرسول الاعظم ﷺ «كفى بالموت موعظةً»(١١) وراجع المادة المعجم وقد سرد عليه السلام حالات تصاحب الموت وما بعد الموت بما لا يمكن لاحد انكارها ولا مقاومتها، وهي سلسلة مترابطة:

١ ـ (فهل دفعت الاقارب) مهما قربوا في النسب، من منع حلول الموت.

٢ ـ (أو نفعت النّواحب) والناحبة: الرافعة صوتها بالبكاء جزعا على الميت.

٣ ـ (وقد غودر في محلّة الأموات رهينا) حيث اصبح الانسان مغادراً للحياة، وهو في المحل الذي يحل فيه الاموات (رهيناً) اي ثابتاً فيه الى ان تتلاشى اعضاءه.

٤ ـ (وفي ضيق المضجع وحيداً) فان القبر الذي يضطجع فيه ممتداً كالنائم في مكان ضيّق لا يكفي سوى جسمه، وحيداً لا يشاركه فيها احد.

٥ ـ (قد هتكت الهوامّ جلدته) والهامة: ما يخاف ضرره كالعقارب ونحوها، فانها تجد في جسم الميت طعمة سائغة، فتهتك الجلد، أي تمزقه لمقاصدها، كما هي طبيعتها.

٦ ـ (أبلت النّواهك جدّته) الناهكة: ما يبلي البدن، والجدة: كونه جديداً بحدوث الموت، وكلما تقدم الزمن في تاريخ الموت اصبح جسد الميت باليا بالعوامل الطبيعية.

٧ ـ (وعفت العواصف آثاره) وعفت اي درست بتدرج الزمن.

٨ ـ (ومحا الحدثان معالمه) والحدثان: مصدر الحدث، اي ما يحدث في الطبيعة ليلا

---

(١) في هامش ب: النواحب: النساء اللآتي يرفعن أصواتهن بالبكاء والنحيب.
(٢) في هامش ب: أي ترك.
(٣) في هامش ب: مزقت.
(٤) في هامش ب: الهوام: الدواب المخوفة، واحدتها هامة.
(٥) في هامش ب: عفت الريح المنزل: درسته، وعفي المنزل: درس.
(٦) في هامش الف: متغيّرة اللّون، وفي هامش ب: متغيّرة.
(٧) في هامش ب: طراوتها.
(٨) في هامش ب: بالية.
(٩) في هامش ب: أثقالها.
(١٠) في هامش ب: أي لا تطلب الرضا.
(١١) الكافي ٢ : ٨٥.

ونهاراً حتى يمتحي معالم الجسم بانقلابه الى العناصر الاوّلية في الارض.

٩ ـ (وصارت الأجساد شحبة بعد بضّتها) الشحب: الهلاك، والبضّ: نيل الشيئ قليلاً قليلاً إلىٰ أن تستهلك الاجساد تدريجياً الى الفناء التام.

١٠ ـ (والعظام نخرة بعد قوّتها) أي تبلىٰ فتصبح بالية لاقوة لها.

١١ ـ (الارواح مرتهنة بثقل أعبائها) العبُ: ما يثقل من الحمل، ففي نفس الوقت الذي يتقدم الجسم نحو الهلاك يبقىٰ الروح رهينا بالحمل الثقيل من الاعمال التي خلفها الجسم.

١٢ ـ (موقنة بغيب أنبائها) لعلم الارواح بعد الموت بالحقائق، فتوقن بالأنباء الغيبية التي انذرت بها في الدنيا وتواجه النتيجة الحتمية، وهي:

١٣ ـ (لاتستزاد من صالح عملها) بل لها ما كسبت فقط.

١٤ ـ (ولا تستعتب من سيّيء زللها) بل العتب على ما اكتسبت من السيئات فقط.

(١١ / ط ـ ٨٣) **متطلبات العظات:**

أَوَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ ٱلْقَوْمِ وَٱلْآبَاءَ وَإِخْوَانَـهُمْ وَٱلأَقْـرِبَاءَ؟ تَـحْتَذُونَ أَمْـثِلَتَهُمْ، وَتَـرْكَـبُونَ قِدَّتَهُمْ[(١)]، وَتَطَاونَ جَادَّتَهُمْ. فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا، كَأَنَّ المَعْنِيَّ سِوَاهَا، وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

وفي كل من العظات من عظة الخلق والتاريخ والصحة والموت عبرٌ للانسان اذا درس تاريخ من مضى من البشر، فليس يختلف الانسان في حياته الحاضرة عـمّا سـبق، الّا بتطوّر الزمن، فانهم بشر مثله، يمرّ بهم نفس الحالات المتقدمة لغيره، وتجمعهم جـميعاً روابط مشتركة، وقد أشار عليه السلام إلىٰ بعضها:

اوّلها ـ الرابطة من النسب:

(أو لستم أبناء القوم والآباء وإخوانهم والاقرباء) فان الانسان مرتبط بمن تقدم عليه من الماضي في النسب والانتماء القومي بالقرابة في النسب: بنوه واخوه ومـا شـابه، أو المنتهي الى الانتماء العرقي والحضاري.

ثانياً ـ الرابطة في الحضارة (تحتذون أمثلتهم) فان الجيل الحاضر يقتدي بالماضي في حضارته الموروثة فتجمعها الرابطة في الحضارة.

ثالثاً ـ وحدة الطريقة (تركبون قدّتهم) والقدة ـ بالدال المهملة وكسر القاف ـ: الطريقة،

---

(١) في هـ. د: وروي قدهم ـ ك، وتـركبون قـذتهم ـ ل. وفـي مـصححة والف: قـذتهم، بـالذال مضمومة القاف، وفي هـ. أ: كذا صححه والدي رحمه الله، والصواب فيما نرىٰ «قدتهم» بالدال غير معجمة مكسورة القاف، وهي الطريقة، والله أعلم بـالصواب. وفـي هـامش ب: قـدتهم أجود، والصواب: قدتهم: أي طريقتهم، هذا لقوله تعالىٰ ﴿طَرَائِقَ قِدَدَاً﴾.

وبالذال المعجمة وضم القاف: ريشة السهم، والمعنى انكم تقتفون آثارهم وتشابهونهم في افعالهم.

رابعاً ـ وحدة المسير في الشباب الى الهرم، ومن الصحة إلىٰ السقم ومن الحياة الى الموت، كما أن الجادة، وهو السبيل الذي يسير عليه البشر جميعا ـ واحد، سواءً في ذلك الحاضر أو الماضي أو المستقبل، فلا يبقىٰ للانسان الاّ عمله خيرا أو شراً.

ثم أشار عليه السلام إلىٰ الحقيقة التي لا تتغير من الانسان الحاضر كما كانت في الماضي وتكون في المستقبل في نقاط:

١ ـ (فالقلوب قاسية عن حظّها) حيث لا يعتبر من التاريخ بالرغم من كثرة موارد الاعتبار.

٢ ـ (لاهية عن رشدها) مع علمها بالرشد والغيّ لما في اللهو من التخلّص من المسؤولية الانسانية.

٣ ـ (سالكة في غير مضمارها) والمضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل في حدود اربعين يوماً؛ استعداداً للسباق.

٤ ـ (كأنّ المعنيّ سواها) فلم يعتبر الانسان بهذه المواعظ بالرغم من وجودها وعلمه بها اهمالاً لدلالتها.

٥ ـ (وكأنّ الرّشد في إحراز دنياها) ففي ذلك اعراض عملي عن ان الرشد في النتائج، والاعتماد على ان الرشد فقط في الدنيا من دون اعتبار للآخرة والنتائج.

(١٢ / ط ـ ٨٣) التحذير من هول الصراط:

وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ[١] دَحْضِهِ[٢]، وَأَهَاوِيلِ[٣] زلَلِهِ، وَتَارَاتَ[٤] أَهْوَالِهِ[٥].

الصراط: هو الممرّ الذى يمر عليه العباد بعد الحساب إما الى الجنة أو الى النار، وينتهي الصراط الى سور مبوّب وصفه القران الكريم بقوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾[٦] وجاء وصف الصراط في الاخبار بأنّه

---

(١) في الف ود: علىٰ الصراط مزالق، وفي هامش ب: المزالق: مواضع الزلق، وإضافة المزالق.
(٢) الدحض: إنقلاب الرجل الذي يوجب السقوط.
(٣) في هامش ب: أي المخاوف.
(٤) في هامش ب: أوقات.
(٥) في هامش ب: أي تتابع أهواله.
(٦) الحديد: ١٣.

«أحدّ من السيف وأدقّ من الشعر»(١) وراجع المادة في المعجم.

وما يشير اليه هذا المقطع: ان الانسان في الحياة الدنيا بعد فنائها ينتقل الى حياة اخرى، وفي يوم الحساب حيث تظهر نتائج الاعمال خيراً أو شراً لابد وان يسلك الانسان في طريق يوصله إلىٰ ما وعد به في الدنيا من أنه سوف يجزى به في الاخرة، وهو (صراط) وطريق يجب ان يجتازه كل انسان، وان لهذا الصراط صفات اساسية ثلاث، وهي:

١ ـ (مزالق دحضه) المزلق: اسم مكان، بمعنى محل الزلق والدحض: الفلات الرجل. فجاءة من دون استعداد.

٢ ـ (أهاويل زلّه) فان لهذا الزلل والانزلاق ـ وان كان غير اختياري ـ أهاويل، اي امور مفزعة.

٣ ـ (وتارات أهواله) بالمفاجاءة، والتارة: العود مرة بعد اخرى من دون استمرار، بل بتخلل فترات غير مترقبة وغير مضبوطة، فيهاجم على غير استعداد للصدّ والمنع.

وهذه الصفات الثلاث المتعاقبة من الانزالاق والفزع المترتب عليه والمفاجاءة الغير المتوقعة، من الصفات الاساسية للصراط الذي يمر عليه الانسان، فان بعض آثار المعاصي التي ارتكبها الانسان في الدنيا تمنعه من السير عليه باطمئنان، فيقع في النار المعدّ له، دون من أتىٰ بالصالحات، فانه يمرّ عليه بسرعة حتى يصل الى ما أعدّه الله له من الجنة.

(١٣/ط - ٨٣) **صفات المتقي:**

فَاتَّقُوا اللّٰهَ عِبَادَ اللّٰهِ(٢) تَقِيَّةَ ذِي لبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ(٣) الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ(٤) غِرَارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ(٥) الرَّجَاء هَوَاجِرَ(٦) يَوْمِهِ، وَظَلَفَ(٧) الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ، وَأَوْجَفَ(٨) الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخوْفَ لأَمَانِهِ(٩)، وَتَنَكَّبَ(١٠) المَخَالِجَ(١١) عَنْ وَضَحِ

(١) الزهد؛ للحسين بن سعيد: ٩٣.
(٢) كذا في الأصل و د، ولم ترد «عباد الله» في ألف و ب و ط. وفي هـ. د: عباد الله ساقطة من ن ف ل م ش.
(٣) في هامش ب: أتعب.
(٤) في هامش ب: التهجّد من الأضداد، يكون بمعنىٰ النوم والسهر، والمراد هنا: السهر.
(٥) في هامش ب: أعطش.
(٦) في هامش ب: الهاجرة: نصف النهار.
(٧) في هامش ب: أي قطع.
(٨) في ط ارجف، وفي هامش الف: أي أسرع، وفي هامش ب: من الوجيف، وهو الإضطراب، وفي هـ. د: أرجف ـ ب.

السَّبِيلِ(١٢)، وَسَلَكَ أَقْصَدَ(١٣) المَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ المَطْلُوبِ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ(١٤) فَاتِلاَتُ(١٥) ٱلْغُرُورِ، وَلَمْ تَعْمَ(١٦) عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ ٱلْأُمُورِ.

وفي هذا المقطع من صفات المتقين حقيقة ان تكون التقية صادرة ممن يتواجد فيهم الصفات التالية:

١ ـ (ذي لبّ شغل التّفكّر قلبه) فالتقوى من دون تفكر ليس بتقوى حقيقة.

٢ ـ (أنصب الخوف بدنه) والنصب: التعب، فان من لوازم التقوى العمل بمقتضاه بالطاعات، وذلك يستلزم نصب البدن في سبيل ذلك، ولا يكون ذلك إلّا بالخوف من التقصير في الواجب الاسلامي، دون الخوف من الناس.

٣ ـ (أسهر التّهجّد غرار نومه) والتهجد: السهر في الليل في العبادة، ومنها: صلاة الليل، والغرار: قلة النوم.

٤ ـ (وأظمأ الرّجاء هواجر يومه) والهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر، وبالرغم من معاكسات الطبيعة لاينقطع عن الرجاء.

٥ ـ (وظلف الزّهد شهواته) والظلف: الكف، فيكفّه الزهد عما تشتهيه النفس الانسانية في الدنيا.

٦ ـ (وأوجف الذّكر بلسانه) الوجيف: ضرب من السرعة في السير، أي اسرع لسانه بالذكر قبل أيّ كلام.

٧ ـ (وقدّم الخوف لأمانه) اي خاف من حلول الحوادث من قبل حدوثها ليأمن من ذلك.

٨ ـ (وتنكّب المخالج عن وضح السّبيل) التنكب: الميل عن الشيئ، والمخالج: مواضع الخلج، وهو الجذب كالانزلاق، والوضح: الجادة المسلوكة من السبل، فان المتقى يتحاشئ عنها.

---

(٩) في ط: لابانه، وفي هـ. د: لابانه ـ ب.
(١٠) في هامش الأصل، وفي نسخة: فتنكّب، وفي هامش ب: انحرف عن الشكوك.
(١١) في هامش ب: المَخَالِج: الأُمور التي تكون مخلجة، أي تختلج به عن قصد السبيل.
(١٢) وضح السبيل: الجادة.
(١٣) في هامش ب: أقومها.
(١٤) أي لم ترده وتصرفه، وفي الأصل: ولم تقتله قاتلات، وفي هامش الأصل، وفي نسخة: بالفاء.
(١٥) الفاتلات: الأُمور التي ترد وتصرف الإنسان عن الشيء.
(١٦) في ألف: وتعم.

٩ ـ (وسلك أقصد المسالك الى النّهج المطلوب) وأقصد المسالك: اقومها.

١٠ ـ (ولم تفتله فاتلات الغرور) والفلت: الصرف؛ فان غرور الانسان المتقي لصحة نفسه وقوته لا يصرفه عن الاحتياط من المزالق والحوادث غير المرتقبة في طريق السير إلىٰ مقصده الذي يرنو الوصول اليه.

١١ ـ (ولم تعم عليه مشتبهات الامور) فإنّ العمى تضاد الرؤية الواضحة التي يجب ان يتمتع بها المتقي في امور الحياة.

والخلاصة: ان هذه الصفات تلازم التقوى والتحذر، فلا يكون المتقي متقياً حقيقة إلّا اذا اتصف بها في جميع اموره في الحياة ومسيرته حتى الممات.

(١٤ / ط - ٨٣) نتيجة التقوى:

ظَافِراً بِفَرْحَةِ ٱلْبُشْرَى، وَرَاحَةِ النُّعْمَى[١]، فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَآمَنِ يَوْمِهِ، قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ ٱلْعَاجِلَةِ[٢] حَمِيداً وَقَدَّمَ زَادَ ٱلْآجِلَةِ سَعِيداً، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ. وَأَكْمَشَ[٣] فِي مَهَلٍ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ[٤]، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ[٥] قُدُماً[٦] أَمَامَهُ، فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالا، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالًا، وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً، وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً.

وعّدعليه السلام **من نتائج التقوى:**

١ ـ (ظافراً بفرحة البشرى) فالبشرى بالحصول على النجاح في امتحان الحياة لا تعادلها فرحة قط لدوامها في الاخرة.

٢ ـ (وراحة النعمى) اي سعة النعمة في الدنيا والاخرة، فان الراحة الدائمة من مستلزمات التقوى فيها.

٣ ـ (في أنعم نومه) حيث ان المتقي ينام مرتاحاً من الهموم والغموم لسبق احتياطاته منها.

٤ ـ (وآمن يومه) ويكون آمنا في حياته اليومية نتيجة حذره من المزالق التي احتاط منها.

---

(١) في الف: وتعم.
(٢) النعمىٰ: سعة العيش.
(٣) في هامش الأصل وب: أي واسرع.
(٤) أي انصرف عما يجب الهروب منه.
(٥) في هـ. د: وربما نظر ـ ح.
(٦) في الأصل: قُدْما، وفي هامش ب، وفي نسخة: تقدماً، وفي الهامش: القدم: المتقدّم.

٥ ـ (وقد عبر معبر العاجلة حميداً) وفي مسيرته من الدنيا (العاجلة) الى الاخرة الباقية يسير حميداً؛ لاستعداده المسبق لما يفتقر اليه حيث من الاحتياط في العمل.

٦ ـ (وقدّم زاد الآجلة سعيداً) حيث اتى بالاعمال الصالحة للحياة الآجلة، وهي الآخرة متمتعاً بالسعادة.

٧ ـ (وبادر من وجل) لكونه بادر إلىٰ الأعمال الصالحة في الدنيا خوفاً من عقاب الآخرة.

٨ ـ (وأكمش في مهل) والكمش: الإسراع، والعجلة للعمل في وقت المهلة وهو الدنيا.

٩ ـ (ورغب في طلب) أي رغب فما يطلب مثله من النجاح والفلاح في الاخرة.

١٠ ـ (وذهب عن هرب) أي فرّ عمّا يهرب من مثله من السقوط والخسران.

١١ ـ (وراقب في يومه غده) حيث احتاط لمستقبله قبل حلول الأجل وفوات الأوان.

١٢ ـ (ونظر قدما أمامه) حيث نظر إلىٰ المستقبل ولم يكتفِ بالحاضر من الحياة الفانية، وتقدم الى الامام برؤية واضحة.

١٣ ـ (فكفى بالجنّة ثواباً ونوالا) حيث يواجه في الاخرة نتيجة الاعمال للصالحين من الثواب والنوال الذى لا أمد له ولا انقطاع.

١٤ ـ (وكفى بالنّار عقاباً ووبالاً) لما يستحقه العاصي عقابا لارتكابه المحرمات، والوبال: هو سوء العاقبة.

١٥ ـ (وكفى بالله منتقماً) من العاصين لاستحقاقهم ذلك (ونصيراً) للصالحين جزاء لما قدموه من صالح الأعمال.

١٦ ـ (وكفى بالكتاب) اي القران الكريم، أو كتاب اعمالهم الذي يعطى كل انسان بيمينه أو من وراء ظهره (حجيجاً) يحتجّ به على الحساب والجزاء العادل (وخصيماً) فتكون اعمال العاصي المدرجة هي الخصم الذي لا يرد، عصمنا الله من شر ذلك اليوم بالاستعداد قبل حلول المعاد.

(١٥/ط ـ ٨٣) الوصية بالتقوى:

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ[١] بِتَقْوَى ٱللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَٱحْتَجَّ بِمَا نَـهَجَ، وَحَـذَّرَكُـمْ عَدُوّاً[٢] نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً[٣]، وَنَفَثَ فِي الآذَانِ نَـجِيّاً[٤]، فَأَضَـلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَـدَ

---

(١) كذا في الأصل، ولم ترد «عباد الله» في ألف وب و ط و د.
(٢) في هامش ب: يعني الشيطان.
(٣) في هامش ب: لقوله ﷺ: «الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم».
(٤) في هامش ب: أي مناجياً.

فَمَنَّى[(١)]، وَزَيَّنَ سَيِّئاتِ ٱلْجَرَائِمِ[(٢)]، وَهَوَّنَ[(٣)] مُوبِقَاتِ[(٤)] ٱلْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا ٱسْتَدْرَجَ[(٥)] قرِينَتَهُ[(٦)]، وَٱسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ وَٱسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ[(٧)].

وفي هذا المقطع سرد لموجبات التقوى: ومنها ثلاث بارزة، وهي:

الاول: الإعذار (أعذر بما أنذر) وما مصدرية، أي اعذر الله سبحانه بانذاره في الكتب وبواسطة والرسل أيضاً.

الثانية: الحجة (احتجّ بما نهج) حيث أوضح النهج لسلوك طريق النجاة بالعقل والنقل.

الثالثة: التحذير من العدوّ ووسائله، وهو الشيطان الرجيم، الذي هو للانسان عدوّ مبين، واشار الى وسائله التي توجب الانحراف، ومنها:

١ ـ الخفاء (نفذ في الصّدور خفيّا) ودائماً يكون للشيطان واجهة لا يعرف بها، ويعمل في الخفاء بالوسوسة في الامكنة المتيسرة.

٢ ـ السر (نفث في الآذان نجيّاً) والنجوى: المحادثة سراً، حيث يبدو بصورة الصديق المناجي.

٣ ـ الضلال (فأضلّ وأردى) فان العدول عن الصراط المستقيم ضلال، ونتيجة الردى: هو الوقوع في المهالك.

٤ ـ الوعود من دون عجل (ووعد فمنّى) فأغر الانسان بالوعود الكاذبة التي هي الاحلام والمُنى.

٥ ـ الزينة للتفاخر (وزيّن سيّئات الجرائم) بأنّها حسنات وأنواط شجاعة، وهي لا تسمن ولا تغني من جوع.

٦ ـ الاستهانة بالموبقات (وهوّن موبقات العظائم) فان الانسان بعقله يعلم الموبقات وعظم جرمها، والشيطان يهوّنها.

وهذه النقاط يستخدمها بالاستدراج، وكذا كلّ عدوّ، في الايقاع بالفريسة، والقضاء على الانسان، وهي وسيلتها في كل عصر ومصر، وبعد ان يستولي العدوّ يُظهر حقيقته (حتّى إذا استدرج قرينته) أي النفس الانسانية التي اصبحت في حبال العدو (واستغلق

(١) منّىٰ: أي صوّر الأماني كذباً.
(٢) في هامش ب: الجرائم: الذنوب.
(٣) في هامش ب: أي سهل.
(٤) في هامش ب: أي مهلكات.
(٥) الاستدراج: التدرج بالنفس لارتكاب الجرائم.
(٦) في هامش ب: أي النفس.
(٧) استغلق الرهن: جعله بحيث لا يمكن تخليصه.

رهينته) بان أصبح رهينة أي حبيسه في حبس الشيطان المغلق من دون أي نصر خارجي يظهر العدوّ على حقيقته.

حقيقة العدوّ:

وهناك ثلاث حقائق للعدو تظهر بعد الاستدراج، وهي:

أولاً: الانكار (أنكر ما زيّن) بان ينكر الوعود وتسقط الاقنعة المزيفة بالزينة وظهرت صورته النكراء.

ثانياً: الاستعظام (واستعظم ما هوّن) فالتأكيد على ان الموبقات لا تخرج عن حقيقتها بانها موبقات لكونها امراض اجتماعية روحية لها آثارها الوضعية شاء الانسان أم أبىٰ، فكان من حماقة الانسان الاستهانة بواقعها، فان الاستهانة لا يغير حقيقتها.

وثالثاً: التحذير، وذلك بعد ان انكر العدو الشيطان كل الوسائل المرغبة، وأهمها الأمان الذي يرغب فيه الانسان، وهل للمجرمين من أمان؟ (وحذّر ما أمّن) مدعياً ان قبول الامان إقرار بالعصيان، وللعصيان توابع قانونية يجب اجراؤها، وأن الامان لا يرفعها، فهذه حالة من يقع في حبالة العدوّ الشيطاني في كل حال في الماضي والحال والاستقبال، وليس من مفرّ منها سوى الاتكال على الله تعالى.

(١٦ / ط - ٨٣) مواعظ اُخر:

والمقطع التالي إلى آخر الخطبة، تحتوى على مواعظ اُخر في الخلق والحياة والموت والقبر والتاريخ والاعتبار، ومن ذلك يبدو انها خطبة اخرى ملحقة بالاولى في العظة جمعهما الراوي سرداً، والله العالم.

ومنها في صفة خلق الإنسان

أَمْ[١] هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ ٱلأَرْحَام، وَشُغُفِ[٢] ٱلأَسْتَار؛ نُطْفَةً دِهَاقاً[٣]، وَعَلَقَةً مِحَاقاً[٤]، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً[٥]؛ ثُمَّ مَنَحَهُ[٦] قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لَافِظاً، وَبَصَراً لَاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ[٧] مُزْدَجِراً.

---

(١) في هامش ب: «أم» يجوز أن يكون بمعنىٰ بل، ويجوز ان يكون بمعنىٰ إستفهام معطوف علىٰ كلام متقدم لم يذكر، أي بلىٰ.
(٢) في هامش ب: غلاف القلب.
(٣) دهاقاً: أي متتابعاً، وقد تفسّر بالممتلئة.
(٤) في هامش ب، وفي نسخة: مجاجاً، وفي هامش ب: محاقاً، أي ممحوقاً.
(٥) في هامش ب: أيفع الغلام: ارتفع، من اليفاع، وهو ما ارتفع من الأرض.
(٦) في هامش ب: أعطاه.
(٧) في هامش ب: ليكفّ.

عظة الخلق:

فانّ خلق الانسان من العظات التي أشار عليه السلام فيها الىٰ تطوّر حالات الجنين في الخلق، بقوله:

١ ـ (أنشأه في ظلمات الارحام) وهي الظلمات الثلاث التي يتكون فيها الانسان في مسيرته التي تكون غالباً تسعة اشهر وتسعة ايام.

٢ ـ (وشغف الاستار) والشغف ـ بالضم ـ: غلاف القلب، واستعير للمشيمة التي تستر الطفل في الرحم.

٣ ـ (نطفة دهاقاً) النطفة: القطرة من الماء السائل، والدهاق: المتتابع بقوة حين خروج المني.

٤ ـ (وعلقة محاقاً) ثم تتطور النطفة الى علقة لا تظهر فيها صورة الانسان، فهي كالمحاق تخفي الصورة للقمر.

٥ ـ (وجنيناً) وفي مرحلة متطوّرة تصير العلقة جنينا، له صورة الانسان في بداية نموّه.

٦ ـ (وراضعاً) بعد الولادة، يرتضع من الحليب ما يزيده نموّاً.

٧ ـ (ووليداً) بان يصح ولداً كسائر الاولاد باستغنائه من الرضاعة.

٨ ـ (ويافعاً) أي الغلام المرتفع في العمر ببلوغه سنّ المسؤولية، وذلك حين ما يقارن بلوغه السن القانونى لتحمل المسؤولية في الحياة كعضو نافع في المجتمع بأُمور، أهمّها دلالة النقاط التالية:

الاول: (منحه قلباً حافظاً) يعي الصالح من الطالح، والخير من الشر لتحفظه من الانزلاق.

الثانى: (لساناً لافظاً) يستخدمه في التعبير عما في ضميره من الافكار لتأمين حياته.

الثالث: (بصراً لاحظاً) يرى به ما يلاحظ مما يحيط به من الآيات الكونية في الطبيعة، كل ذلك (ليفهم) حقائق الحياة (معتبراً) بها في نفسه و (يقصّر) من التعدي على ما لا يجوّزه له العقل والشرع (مزدجراً) من النواهي.

عظة الحياة:

حَتَّى إذَا قَامَ ٱعْتِدَالُهُ، وَٱسْتَوَى مِثَالُهُ؛ نَفَرَ مُسْتَكْبِراً[١]، وَخَبَطَ سَادِراً[٢]؛ مَاتِحاً[٣] فِي

(١) في هامش ب: متكبراً.

غَرْب[٤] هَوَاهُ، كَادِحاً[٥] سَعْياً[٦] لِدُنْيَاهُ؛ فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ[٧] أَرَبِهِ[٨]؛ ثـمَّ[٩] لَايَحْتَسِبُ[١٠] رَزِيَّةً، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً.

ومن عظات الحياة:

١ ـ (حتّى إذا قام اعتداله) ببلوغه الكامل واستقلاله في الحياة.

٢ ـ (واستوى مثاله) والمثال: الصورة، والمراد: بلوغ الصورة الحقيقية المطابقة لذاته المعبّرة عن قدراته وامكاناته للعمل المطلوب في العمر والقدرة في امثاله من الشباب.

٣ ـ (نفر مستكبراً) النفر: الاسراع في السير، فان شرخ الشباب يجعل الانسان متسرّعاً في القرارات بكبرياء، معتمداً على قوة الشباب والفتوّة.

٤ ـ (وخبط سادراً) وخبط البعير: اذا مشي بحيث لا يتوقى شيئا، والسادر: المسرع من دون انثناء.

٥ ـ (ماتحاً في غرب هواه) الماتح: المستقي من البئر، والغرب: الدلو العظيمة؛ فـان عنفوان الشباب يجعله لان يستقى من هواه اموراً عظيمة.

٦ ـ (كادحاً سعياً لدنياه) والكدح: شدة السعي والحركة لتأمين حوائج الدنيا.

٧ ـ (في لذّات طربه) من جوانح النفس الانسانية: اللذة بمتع الحياة، ومنها: الطرب. والطرب: الاضطراب فرحا أو حزنا.

٨ ـ (وبدوات أربه) والبداء: ما يبدو لأول مرة، والاربة: المقصد؛ فان طبيعة الشباب الاغترار بأوّل ما يبدو له من الرأي من دون التامل في العواقب.

٩ ـ (ثمّ لا يحتسب رزيّة) والاحتساب: الاحتمال بوقوع رزية ومصيبة على العمل بالرأي الاول من دون تأمل ممّا قد يتعقبه من الاحتمالات والنتائج المحتملة.

١٠ ـ (ولا يخشع تقيّة) وهي من الوقاية من تلك العواقب المحتملة.

وهذه النقاط العشر تلازم الشباب في حياتهم، حيث يعتبرون انفسهم في حصانة من

---

(٢) في هامش الف: سادراً: الذي لا يبالي بما صنع ولا يهتم لأُموره، وفي هامش ب: المتحيّر.
(٣) في هامش الأصل: الماتح: المستقي بالدلاء، وفي هامش ب: المستقي.
(٤) في هامش الأصل: الدلو العظيمة.
(٥) في هامش الأصل: الكدح: العمل الشديد.
(٦) في هامش الأصل: أي ساعياً.
(٧) في هامش الأصل: جمع بدوه، وهو ما يبدو، وفي هامش ب : بدا له الرأي: أي ظهر له،
(٨) الإرب: الدهاء والمكر والخبث والغائلة والعفو والعقل والدين والفَرْج والحاجة.
(٩) لم ترد «ثم» في ب و د.
(١٠) أي لا يظنها ولا يفكّر في وقوعها.

الامراض والاعراض، وكذا من الموت، ويغامرون بحكم طبيعة الشباب من امور عظام من دون تدبّر في العواقب.

(١٧/ ٨٣ - ط) عظة الموت:

فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً[١]، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ[٢] يَسِيراً[٣]، لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً.

دَهِمَتْهُ[٤] فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ[٥] جِمَاحِهِ[٦]، وَسَنَنِ[٧] مِرَاحِهِ[٨]، فَظَلَّ سَادِراً[٩]، وَبَاتَ سَاهِراً، فِي غَمَرَاتِ الآلَامِ، وَطَوَارِقِ الْأَوجَاعِ وَالْأَسْقَامِ؛ بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ[١٠]، وَوَلِدٍ[١١] شَفِيقٍ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، وَلَادِمَةٍ[١٢] لِلْصَّدْرِ قَلَقاً؛ وَالمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ[١٣]، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ[١٤]، وَأَنَّةٍ مُوْجِعَةٍ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ[١٥]، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ.

ومن عظات الموت:

١ ـ (فمات في فتنته غريراً) اي مغروراً بغرور الحياة في الدنيا من دون استعداد للموت.

٢ ـ (وعاش في هفوته يسيراً) والهفوة: الخطيئة في التقدير لمدة الحياة.

٣ ـ (لم يفد عوضاً) لهذه المدة اليسيرة بالاستفادة منها للاستعداد لما بعدها.

٤ ـ (ولم يقض مفترضاً) بأداء المسؤوليات كاملة التي كانت مفروضة عليه في الحياة.

---

(١) في هامش ب: أي غافلاً.
(٢) في هامش الأصل: هي الزلّة والخطيئة، وفي هامش ب: أي سقطته.
(٣) في ب: اسيراً.
(٤) في هامش ب: أي أتته غَفلة.
(٥) في هامش الأصل: الغبّر: البقايا من كلّ شيء، وفي هامش ب: البقيّة.
(٦) في ب: جمامه، وفي هامش ب، وفي نسخة: جماحه.
(٧) في هامش الأصل وب: هو الطريقة.
(٨) في هامش الف: أي نشاطه، وفي هامش ب: شدّة البطر.
(٩) في هامش الأصل: السَّدِر: المتحيّر، وفي هامش الف: المتحيّر.
(١٠) في هامش ب: كل شيء انشق بنصفين فيقال لكل واحد منهما: شقيق.
(١١) في هامش الأصل، وفي نسخة: وولد.
(١٢) في هامش الأصل وب: أي ضاربة.
(١٣) في ط : وسكرة ملهثة، وفي هـ. د: وسكرة ملهثة ـ ح وحاشية ن، وفي هامش ب، وفي نسخة: ملهية ـ بالياء ـ، وروي: ملهثة، من لهث الكلب، وهو ان يدلع لسانه من العطش، والسكرة الملهية: أي التي تُغفل وتلهي عن الموت، والموت يلهي عن كل شيء.
(١٤) في هامش ب : الكارِثة: المحزنة، وفي هـ. د: ويروىٰ وغمرة كاربة ـ ك .
(١٥) في هامش الف: مكربة: موثقة مُضيّقة عليه، من أكرب الدلو: إذا شدد بها بالكرب. وهو الحبل، واكربت السقا: إذا ملأته.

٥ ـ (دهمته فجعات المنيّة) المداهمة: المفاجاة؛ فان الموت يأتـي بـغتة وبـه يـحل الفجيعة.

٦ ـ (في غبّر جماحه) الغبر: البقايا، والجموح: الاستعصاء؛ فان مداهمة الموت فجيعة لامردّ منها.

٧ ـ (وسنن مراحه) السنة: الطريقة، والمراح: محل الراحة.

٨ ـ (فظلّ سادراً) أي سائراً نحو الآخرة سالكا طريق الموت في النهار.

٩ ـ (وبات ساهراً) واذا عمّ الليل مات ساهراً بالتفكّر في مصيره.

١٠ ـ (في غمرات الآلام) التي ترافق المسير والبينونة.

١١ ـ (وطوارق الاوجاع والاسـقام) والوجـع: الاثـر للأمـراض، والاسـقام: نـفس الأمراض.

١٢ ـ (بين أخ شقيق) وهو مغميً عليه في حال نزع الروح بين اخ شقيق يعز عـليه فراقه.

١٣ ـ (ووالد شفيق) يتألم من حالة ولده؛ شفقة عليه، في حين لا يتمكن من انقاذه.

١٤ ـ (وداعية بالويل جزعاً) من النساء القريبات اللواتـي يـظهرن الجـزع بـالويل والثبور.

١٥ ـ (ولادمة للصّدر قلقاً) واللدم: الضرب قلقا على مصير القريب الذي هو عـلى أعتاب الموت.

حالة المحتضر:

والمحتضر في حال الاحتضار لا ينفعه شئ من مواقف الاقرباء بالنسبة اليه.

١٦ ـ (والمرء في سكرة ملهثة) واللهث: اخراج اللسان من التعب أو العطش لشدة هول المنظر.

١٧ ـ (وغمرة كارثة) والغمرة: مايحيط بالانسان من الشدة، والكارثة: القاطعة للحياة.

١٨ ـ (وأنّة موجعة) فانّ الأنين اثر الوجع من المحتضر، يكون موجعاً.

١٩ ـ (وجذبة مكربة) والجذبة: التنفس غير الطبيعي للمحتضر، والتي توجب الكربة للحاضرين.

٢٠ ـ (وسوقة متعبة) السوقة: حالة السوق الى الموت التي يعيش فيها المحتضر، فهو يتعب نفسه ويتعبُ من يشاهده من الحاضرين.

الجنازة: (١٨ / ط ـ ٨٣)

ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً[١]، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً[٢]؛ ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى ٱلأَعْوَادِ، رَجِيعَ[٣] وَصَبٍ[٤]، وَنِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ[٥] ٱلْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ[٦] ٱلْإِخْوَانِ؛ إِلَى دَارِ غُـرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ[٧]؛ وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ؛ حَتَّى إِذَا ٱنْصَرَفَ المُشَيِّعُ، وَرَجَعَ المُتَفَجِّعُ.

وبعد الموت فان أول ما يقوم به الاقرباء والاصحاب هو تهيئة الجنازة والقيام بمراسيمها.

١ ـ (ثم أدرج في أكفانه مبلساً) والابلاس: الانكسار والحزن؛ فان حالة المسجّىٰ في الجنازة يوجب الانكسار المطلق له.

٢ ـ (وجذب منقاداً سلساً) فانه بعد ان كان قائداً لنفسه باختياره اصبح مجذوباً من دون اختيار، منقاداً لغيره، والسلسل: السهل القياد من دون أية معارضة ممكنة.

٣ ـ (ثمّ ألقي على الاعواد) المعدة لحمله الى القبر، كمادة هامدة، لاحراك بها.

٤ ـ (رجيع وصب) الرجيع: من رجع يرجع، والوصب: التعب، فهو يرجع الى اصله تعبا.

٥ ـ (ونضو سقم) والنضو: الهزيل بسبب السقم الذي حل به في الحياة.

٦ ـ (تحمله حفدة الولدان) الحفيد: العبد والخادم، واصطلح اطلاقه على ابن الابن.

٧ ـ (وحشدة الاخوان) الحاشد: المتأهب المستعد للقيام بالواجب وهو تشييع الجنازة من الاخوان والمعاريف.

٨ ـ (إلىٰ دار غربته) اى القبر الذي يغرب ويبعد فيه عن الاهل الى الابد.

٩ ـ (ومنقطع زورته) وهو المحل الذي ينقطع فيه عن الزيارت والتزاور من قبل معارفه.

١٠ ـ (ومفرد وحشته) حيث ينفرد في القبر الذى لا يشاركه فيه غيره مستوحشاً.

١١ ـ (حتّى اذا انصرف المشيّع) من الاقارب والارحام الذين شيّعوا جنازته.

---

(١) في هامش ب: الإبلاس: الحيرة واليأس.
(٢) في هامش ب: سهلاً.
(٣) في هامش الف: الرجيع من الدواب: ما ردّ من سفر في سفر حتىٰ كلّ، والوصب: المرض.
(٤) في هامش ب: أي وضع علىٰ الجنازة وقد أخلقته الارجاع والاوصاب والأوجاع، والثوب الرجيع: الخلق.
(٥) في هامش ب: الحفدة: ولد والولد والأعوان.
(٦) في هامش ب: الحشدة: المجتمعون لمعاونته، وفي هامش ب، جمع حاشد: المستعدّ المتأهّب. وفي هامش آخر: جماعة.
(٧) في هامش ب: زيارته.

١٢ ـ (ورجع المتفجّع) من المعارف والاصدقاء الذين شيعوه، ولاول مرة شعروا بالفراغ الذى احدثه الموت في علاقاتهم الاجتماعية بالميت.

وهذه الحالات لا يختلف فيه انسان عن آخر من حيث اوصافها الاولية، وان كانت تختلف مظاهرها بين الناس، وتلك المظاهر ان نفعت اصحاب الميت في الدنيا فانها لا تنفع الميت الذي سيكون رهين عمله خيراً أو شراً:

وفي القبر: (١٩/ ط ـ ٨٣)

أُقْعِدَ فِى حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ[١] السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ[٢] ٱلاِمْتِحَانِ.

وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُلُ[٣] ٱلْحَمِيمِ[٤]، وَتَصْلِيَةُ ٱلْجَحِيمِ[٥]، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ[٦]، لَا فَتْرَةٌ[٧] مُرِيحَةٌ[٨]، وَلَا دَعَةٌ[٩] مُزِيحَةٌ[١٠]، وَلَاقُوَّةٌ حَاجِزَةٌ[١٦]، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ[١٢]، وَلَا سِنَةٌ[١٣] مُسْلِيَة[١٤]؛ بَيْنَ أَطْوَارِ[١٥] المَوْتَاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ؛ إِنَّا بَاللهِ عَائِذونَ[١٦]!

وجاء التصوير لحالات القبر التي يمرّ فيها الميت محسوساً، في نقاط:

١ ـ (أُقعد في حفرته) فهو بعد الموت في حفرة القبر يُقعد للاستجواب عن اعماله في الدنيا.

٢ ـ (نجيّا لبهتة السّؤال) والنجي: المناجي بمحادثة نفسه، والبهتة: الحيرة، استعداداً للاجابة علىٰ ما يطرح عليه من الاسئلة.

---

(١) في هامش ب: لغفلة.
(٢) في هامش ب، وفي نسخة: وعبرة.
(٣) في ط: نزول.
(٤) في هامش ب: أي الحمم النازلة.
(٥) في هامش ب: أي مقاساة حرّها.
(٦) في ط ود زيادة: وسورات الزفير.
(٧) في هامش ب: الفترة: فصل بين اثنين.
(٨) في هامش ب: أي قاطعة.
(٩) في هامش ب: راحة.
(١٠) في هامش ب: أي مبعدة.
(١١) في هامش ب: أي مانعة.
(١٢) في هامش ب: أي سريعة قاضية.
(١٣) في هامش ب: النوم القليل.
(١٤) في هامش ب: من الاسلاء (السلو).
(١٥) في هامش ب: أطوار: أحوال، وفي هامش الأصل: يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾.
(١٦) في ب: إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ.

٣ ـ (وعثرة الامتحان) فان الاستجواب امتحان، والعثرة فيه مفضية الى البلاء، ويختلف انواع البلاء فيها:

٤ ـ (وأعظم ما هنالك) من انواع البلاء (بليّة نزول الحميم) وهو الابتلاء بالحميم، وهو المكان الشديد الحمى والعذاب.

٥ ـ (وتصلية الجحيم) والصلي: الاحراق بالنار، أي نار جهنم.

٦ ـ (وفورات السّعير) وهو النار الملتهب ذو الشعلة والوهج.

٧ ـ (وسورات الزّفير) والسورة: الشدة، والزفير: صوت النار عند الاشتعال.

٨ ـ (لا فترة مريحة) لاستمرار الشعلة من النار والوقود بلا انقطاع.

٩ ـ (ولا دعة مزيحة) الدعة: الراحة، والازاحة: ازالة التعب.

١٠ ـ (ولا قوّة حاجزة) تحجز، أي تمنع من هذا العذاب بالوقاية من النار.

١١ ـ (ولا موتة ناجزة) اي لا ينتهي العذاب بموت حاضر.

١٢ ـ (ولا سنة مسلّية) السنة: الغفوة والنعاس قبل النوم، ولو قدرت في النار لا مكن ان تكون سبباً في خفة العذاب.

١٣ ـ (بين أطوار الموتات) فالحالة من أشد انواع الحالات بين انواع من الموت؛ لاستمرار العذاب الذي يعدّ كل لحظة منه نوعاً من الموت.

١٤ ـ (وعذاب السّاعات) الساعة: الوقت الحاضر، ففي كل وقت حاضر عذاب مستمر.

١٥ ـ (إنّا بالله عائذون) فان هذه الانواع من العذاب لا يمكن ان يتحمله الانسان ولا سبيل للتخلص منها إلاّ بالاستعاذة بالله تعالى.

(٢٠/ط ـ ٨٣) عظة التاريخ:

عِبَادَ ٱللهِ، اَلذينَ[١] عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنظِرُوا[٢] فَلَهُوا[٣]، وَسُلِّمُوا فَنَسُوا! أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَمُنِحُوا[٤] جَمِيلاً، وَحُذِّرُوا أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسِيماً[٥]، ٱحْذَرُوا الذُّنُوبَ المُوَرطَةَ[٦]، وَٱلْعُيُوبَ المُسْخِطَةَ.

(١) في ط ود: أين الذين.
(٢) في هامش ب: أمهلوا وأُخّرت أعمارهم في الدنيا.
(٣) في هامش ب: غفلوا من البطر.
(٤) في هامش ب: اعطوا، وفي هـ. د: وأمهلوا جميلاً ـ م.
(٥) في هامش ب: النعمة الكبيرة.
(٦) الذنوب توصف بالمورّطة لأنّها تلقي في الورطة، وهي الهلاك، وفي ط وب: الموَرِّطَة، وفي هامش ب، وفي نسخة: المُورِطَة.

ومن العظات التي تعم البشر: عظة التاريخ، فان التاريخ يعيد نفسه في كل الطبقات:

الصفة الاولىٰ: (أين الّذين عمّروا فنعموا) بالنعم المادية الظاهرة من الملك والصحة والسلامة وامثالها، فهل خلّد احد منهم الى الأبد؟ فيكفى دراسة حياتهم عبرة للحاضرين.

الصفة الثانية: (وعلّموا ففهموا) وهؤلاء تنعموا بالنعم الثقافية من العلم والفهم كما انكم كذلك.

الصفة الثالثة: (وأُنظروا فلهوا) وهؤلاء طبقة كانت لهم فترة الانظار ليحاسبوا أنفسهم، ولكنهم غفلوا عن هذا الواجب بالنسبة الى انفسهم حتىٰ اخذهم الموت بغتة.

فان هؤلاء الطبقات جميعاً من دون استثناء يشتركون في نقاط:

١ ـ (أمهلوا طويلاً) في طول العمر الذي عاشوا فيه وغفلوا عن اصلاح انفسهم.

٢ ـ (منحوا جميلاً) حيث منحهم الله نعمة العقل والحياة، وليس اجمل واهم منهما أية نعمة اُخرىٰ.

٣ ـ (حذّروا أليما) من العذاب على الاهمال بالواجبات.

٤ ـ (ووعدوا جسيماً) من الحسنات على الاعمال الصالحات.

ونتيجة الاتّعاظ بالتاريخ لعباد الله أمران اساسيان، هما:

اولاً: (احذروا الذّنوب المورّطة) والورطة: الهلاك؛ لان الذنوب تسبب ذلك.

ثانياً: (العيوب المسخطة) وهي التي توجب سخط الله سبحانه، وان لم تكن ذنوبا، كإهمال الصدقات لأهل الحاجات، فان التاريخ يشهد بان أي مسؤول لم يؤدّ واجبه في الامرين الاساسين، ادى ذلك الاهمال الىٰ هلاكه في الدنيا. ولعذاب الاخرة اشد من ذلك.

(٢١ / ط ـ ٨٣) الاعتبار:

يا أُولِي ٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَسْمَاعِ، وَٱلْعَافِيَةِ وَالمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مِنَاص[١] أَوْ خَلاَصٍ، أوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلاَذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ[٢]، أم لاَ؟ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ، أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ، أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ[٣]! وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَٱلْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ[٤]، منعفِراً[٥] عَلَى خَدِّهِ.

وهذه الحقائق توجب الاعتبار بطوائف اربع، وهم:

اولاً: (أُولي الابصار) اصحاب البصيرة الذين يرون الحقائق بأُمّ أعينهم.

---

(١) في هامش الف: مفرّ. وفي هامش ب: المناص: الملجأ والمفر، يقال: ناص عن قرنه مناصاً: أي فرّ.
(٢) في هامش ب: مرجع، يقال: حور، أي رجع، أي: لا مرجع.
(٣) في هامش ب: من الغرور.
(٤) في هامش الف: أي قدر. وفي هامش ب: أي مقدار قامته.
(٥) في ط: متَعَفِّراً.

ثانياً: (أُولي الاسماع) الذين يستمعون القول ويتبعون احسنه.

ثالثاً: (أُولي العافية) الذين يتمتعون بصحة تساعدهم علىٰ التمييز.

رابعاً: (أُولي المتاع) الذين يتمتعون بالحياة في هذه الدنيا.

فان هذه الطوائف الاربع يعلمون أنّ الجواب هو بالنفي على الاسئلة التالية:

١ ـ (هل من مناص؟) وهو الملجأ والمفر من تلك الحقائق؟.

٢ ـ (هل من خلاص؟) من الاثار المترتبة على الحياة فيالدنيا.

٣ ـ (هل من معاذ؟) يتعوّذ به الانسان من تلك الآثار، سوى العمل في الدنيا؟

٤ ـ (هل من ملاذ؟) اي محلّ للّوذ يمكن الالتجاء اليه بعد الانقطاع من دار التكليف.

٥ ـ (هل من فرار؟) من الحكم العادل الذي يواجهه الانسان يوم الحساب.

٦ ـ (هل من محار؟) والمحار: المرجع الذي يرجع اليه الانسان سوى الاعمال التي قدّمها في الدنيا.

٧ ـ (هل من أمل؟) حيث لا يوجد أمل في ذلك.

وحيث تعترف الطوائف الاربع بانه لا يوجد شئ من ذلك، فلا محيص سوى الاستعداد لذلك، وذلك بالاعتبار بما يلي:

ـ (فأنّى تؤفكون؟) اي تنقلبون بدون الاستعداد بالعمل.

ـ (أم أنّى تصرفون؟) اي توجّهون وجوهكم من دون العمل.

ـ (أم بماذا تغترّون؟) بما سوى العمل، والعمل وحده هو الذي يمكن ان ينجيكم من تلك الاهوال.

ليس هناك اي جواب لمن كان من الطوائف الاربع سوى الاعتراف بالحقيقة التالية:

(إنّما حظّ أحدكم من الارض) التي تتهالكون عليها في الحياة، وهي ارض (ذات الطّول والعرض) اللذان يشملان الدنيا كلها، ولكن في الآخرة ليس الحظ لأحدكم إلاّ (قيد قدّة) القيد: هو المقدار، والقد: هو قامة الانسان، فلا يشغل الانسان بعد الموت من الارض سوى مقدار بما يواري جسده حالكونه ممتداً في القبر (متعفّراً على خدّه) والتعفير: وضع الوجه على التراب، هذا اذا كان سعيداً بالقيام بالواجبات والمراسم الشرعية، فان تراب القبر سوف يلامس جسمه مهما طال الزمن.

($\frac{٢٢}{ط - ٨٣}$) ساعة العمل:

الآنَ(١) عِبَادَ ٱللهِ، وَٱلْخِنَاقُ(٢) مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ(٣) مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةِ(٤) ٱلْإِرْتِيَادِ(٥)، وَرَاحَةِ ٱلْأَجْسَادِ(٦)، وَمَهَلِ ٱلْبَقِيَّةِ، وأُنُفِ المَشِيَّةِ(٧)، وَإِنْظَارِ(٨) التَّوْبَةِ، وَٱنْفِسَاحِ(٩) ٱلْحَوْبَةِ(١٠)، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالمَضِيقِ، وَالرَّوْعِ(١١) وَالزُّهُوقِ(١٢)، وَقَبْلَ قُدُومِ ٱلْغَائِبِ المُنْتَظَرِ(١٣)، وَأَخْذَةِ ٱلْعَزِيزِ المُقْتَدِرِ.

قال الرضيّ رحمه الله:(١٤)

وفِي الخبرِ أَنَّهُ عليه السلام لَمَّا خطب بِهَذِه الْخُطْبَةِ ٱقْشَعَرَّتْ لَهَا الجُلُودُ، وَبَكَتِ ٱلْعُيُونُ، وَرَجَفَتِ ٱلْقُلُوبُ؛ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُسَمِّي هَذِهِ الخُطْبَةَ ٱلْغَرَّاءَ(١٥).

وختم الامام عليه السلام الخطبة ببيان الهدف الاصلي منها، وهو الاستعداد ليوم المعاد بحمل الزاد وخدمة العباد قبل الموت وفوات الاوان، وذلك في نقاط:

١ ـ (الآن عباد الله) وليس غداً ولا بعد غدٍ؛ فان الانسان المسؤول يؤدّي واجبه في كل لحظة مؤاتية من دون تأخير.

٢ ـ (والخناق مهمل) والخناق: الحبل المستخدم للخنق، واهماله عدم استخدامه، وهو كناية عن حبل الموت.

---

(١) في هامش ب: أي الآن اعملوا يا عباد الله.
(٢) في هامش ب: أي الحبل الذي يخنق به.
(٣) في هامش ب: «الروح يذكر ويؤنث».
(٤) في هامش الأصل: أي مهلة، وفي هامش الف: حين، وفي هامش ب: ساعة.
(٥) في هامش الف: أي الطلب، وفي الف وب وط ود: الارشاد، وفي هامش ب: فينة الارشاد، يعني: وقت الارشاد، واضافتها إلىٰ الإرشاد؛ لأنّ العمر يوجد فيها الرشاد.
(٦) في ط ود زيادة: «وباحة الإحتشاد» باحة الدار: ساحتها، والاحتشاد: الاجتماع، يريد: إمكان التعاون على البرّ في الدنيا.
(٧) في هامش ب: اول المشيئة، والمشيئة: الإرادة.
(٨) في هامش ب: امهال.
(٩) في هامش ب: اتساع.
(١٠) في ب وط ود: الحوبة، وفي هامش الأصل: بالجيم وهو في الأصل المكان الواسع، وفي هامش الف: ... الجوبة، من قولهم: نزلنا بجوبة من الأرض، وفي لغة بني أسد، أي: بمكان واسع بمنزله الجوابة، والجواب، وهما: الواسع من الأودية، وفي هامش ب: والجوبة ـ بالجيم ـ: ما اتسع من الأرض، وها هنا بالحاء والحوبة: ... .
(١١) في هامش ب: الخوف.
(١٢) في هامش ب: الهلاك.
(١٣) في هامش ب: هو الموت.
(١٤) من ط قمط، ولم ترد «قال الرضي رحمه الله» في أ ب ص د.
(١٥) لم ريد «ومن الناس» : إلى: الغرّاء.

٣ ـ (والرّوح مرسل) أي الروح يمنع بالارسال، وهو الحرية في ان يستخدم لارادة الانسان كما يريد، وهذا الارسال في الدنيا فقط، حيث ان الارواح تتجرّد من الاجساد في الآخرة، ولا تكون لها هذه الحرية آنذاك.

٤ ـ (في فينة الارشاد) والفينة: الوقت، حيث ان الدنيا وقت العمل على طبق الارشاد الذي يرسمه النبي والامام عليه السلام.

٥ ـ (وراحة الاجساد) وراحتها: تمتعها بصحة الروح حيث يستخدمه الجسد لما يريد.

٦ ـ (وباحة الاحتشاد) الباحة: الساحة، والاحتشاد: اجتماع الروح والجسد وسائر الاجساد.

٧ ـ (ومهل البقيّة) أي المهلة الباقية في الحياة.

٨ ـ (وأنف المشيّة) وهي الارادة، وانفها: اول اوقات الارادة والاختيار.

٩ ـ (وإنظار التّوبة) اي المهلة التي انظر الله عباده للتوبة والانابة.

١٠ ـ (وانفساح الحوبة) وهي الحاجة، وانفساحها: سعة الوقت لتحصيل الحاجة المطلوبة، وهي التوبة بالعمل.

١١ ـ (قبل الضّنك) وهو الشدة بالمرض.

١٢ ـ وقبل (المضيق) بالشيخوخة.

١٣ ـ وقبل (الرّوع) وهو الخوف عند الاحتضار للموت.

١٤ ـ وقبل (الزّهوق) اي الاضمحلال عند سكرات الموت.

١٥ ـ (وقبل قدوم الغائب المنتظر) وهو عزرائيل قابض الأرواح وملك الموت.

١٦ ـ وقبل (اخذة العزيز المقتدر) بالموت حيث يأخذ روح الانسان الذي يفارق جسمه الى يوم القيامة، ولا يكون ذلك الاستعداد والتأهب إلاّ بالعمل الصالح استعداداً للاخرة في هذه الدنيا الفانية.

[الخطبة ٨٤]

ومن كلام له عليه السلام
في ذكر عمروبن العاص

مما قال ابن الاثير في أسد الغابة:(ب د ع) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ابن غالب القرشي السهمى يكنى أبا عبد الله وقيل أبو محمّد وأمه النابغة بنت حرملة سبية من بنى جلان بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عترة وأخوه لامه عمرو بن اثاثه العدوي وعقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري وسأل رجل عمرو بن العاص عن / صفحة / ١١٦أمه فقال سلمى بنت حرملة تلقب النابغة من بنى عترة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت له فأنجبت فان كان جعل لك شئ فخذه وهو الذي ارسلته قريش إلى النجاشي ليسلم إليهم من عنده من المسلمين جعفر بن أبي طالب ومن معه فلم يفعل وقال له يا عمرو كيف يعزب عنك أمر ابن عمك فوالله انه لرسول الله حقا قال أنت تقول ذلك قال اي والله فأطعنى فخرج من عنده مهاجرا إلى النبيصلى الله عليه وآله فأسلم عام خيبر وقيل أسلم عند النجاشي وهاجر إلى النبيصلى الله عليه وآله وقيل كان اسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر وكان قد هم بالانصراف إلى النبيصلى الله عليه وآله من عند النجاشي ثم توقف إلى هذا الوقت وقدم على النبيصلى الله عليه وآله هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدرى فتقدم خالد وأسلم وبايع ثم تقدم عمرو فأسلم وبايع على ان يغفر له ما كان قبله فقال له رسول اللهصلى الله عليه وآله الاسلام والهجرة يجب ما قبله ثم بعثه رسول اللهصلى الله عليه وآله أميرا على سرية إلى ذات السلاسل إلى اخوال أبيه العاص بن وائل، وكانت أمه من بلى بن عمرو بن لحاف بن قضاعة، يدعوهم إلى الاسلام ويستنفرهم إلى الجهاد، فسار في ذلك الجيش وهم ثلاثمائة، فلما دخل بلادهم استمد رسول اللهصلى الله عليه وآله فأمده ـ الى ان قال: ـ ثم ان عمراً سيره أبو بكر أميرا: إلى الشام فشهد فتوحه وولى فلسطين لعمر بن الخطاب ثم سيره عمر في جيش إلى مصر فافتتحها ولم يزل واليا عليها إلى ان مات عمر فأمره عليها عثمان أربع سنين أو نحوها ثم عزله عنها واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح فاعتزل عمر وبفلسطين وكان يأتى المدينة احيانا وكان يطعن على عثمان فلما قتل عثمان سار إلى معاوية وعاضده وشهد معه صفين ومقامه فيها مشهور وهو أحد الحكمين والقصة مشهورة ثم سيره معاوية إلى مصر فاستنقذها من يد محمّد بن أبي بكر وهو عامل

لعلي عليها واستعمله معاوية عليها إلى ان مات سنة ثلاث وأربعين وقيل سنة سبع وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين وقيل سنة احدى وخمسين والاول أصح وكان يخضب بالسواد وكان من شجعان العرب وابطالهم ودهاتهم وكان موته بمصر ليلة عيد الفطر فصلى عليه ابنه عبد الله ودفن بالمقطم ثم صلى العيد وولى بعد ابنه ثم عزله معاوية واستعمل بعده أخاه عتبة بن أبي سفيان ولعمرو شعر حسن فمنه ما يخاطب به عمارة بن الوليد عند النجاشي وكان بينهما شر قد ذكرناه في الكامل في التاريخ

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ... ولم ينسه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة ... إذا ذكرت امثالها تملا الفما

ولما حضرته الوفاة قال: اللهم انك أمرتني فلم أأتمر، وزجرتني فلم أنزجر. ووضع يده على موضع ؟ وقال: اللهم لا قوي فأنتصر، ولا بري فأعتذر، ولا مستكبر، بل مستغفر لا اله إلّا أنت، فلم يزل يرددها حتى مات.

وروى يزيد بن أبي حبيب: ان عبد الرحمن بن شماسة حدثه قال لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال ابنه عبد الله لم تبكى أجزعا من الموت قال لا والله ولكن لما بعد الموت فقال له كنت على خير وجعل يذكر صحبته لرسول الله ﷺ وفتوحه الشأم ومصر فقال عمرو تركت أفضل من ذلك شهادة ان لا اله إلّا الله انى كنت على أطباق ثلاث كنت أول شئ كافرا فكنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فلومت حينئذ وجبت لى النار فلما بايعت رسول الله ﷺ كنت أشذ الناس حياء منه فلومت لقال الناس هنيئا لعمرو أسلم وكان على خير ومات فترجى له الجنة ثم تلبست بالسلطان وأشياء فلا أدري أعلى أم لى فإذا مت فلا تبكين على باكية ولا تتبعنى نائحة ولا نار وشدوا على ازاري فانى مخاصم وشنوا على التراب فان جنبى الايمن ليس بأحق بالتراب من جنبى الايسر ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجرا وإذا واريتمونى فاقعدوا عندي قدر نحر جزور وتقطيعه أستأنس بكم وأنظر ماذا أوامر رسل ربي».[1]

(١/ط - ٨٤) **الدعايات الباطلة:**

عَجَباً لابْنِ النَّابِغَةِ[2]! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً[3]، وَأَنِّـي ٱمْـرُؤٌ تِـلْعَابَةٌ[4]،

---

(١) أسد الغابة ؛ لابن الاثير ٤ : ١١٥ ـ ١١٨.
(٢) في هامش الأصل: هي أُمّه وكانت بغياً فنسبه إليها إهانة؛ لاستحقاقه الاهانة، وفي هامش ب: العرب تنسب الانسان إلىٰ أُمه عند ذكره لأمرين: اما لشرفها كما يقال محمّد بن الحنفية؛ إذ كان لها شأن عظيم وقصة عجيبة، وأما تذكر محاسنها دونا لها إذ هو فيه ... .
(٣) في هامش ب: لهو.

أُعَافِسُ(٥) وَأُمَارِسُ(٦)! لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً، وَنَطَقَ آثماً.

أَمَا ـ وشَرُّ ٱلْقَوْلِ ٱلْكَذِبُ ـ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ(٧)، وَيَخُونُ ٱلْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ ٱلإِلَّ(٨)؛ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ! مَالَمْ تَأْخُذِ السُّيوفُ مَآخِذَهَا، فَإِذا كانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ(٩) أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ(١٠) سَبَّتَهُ(١١).

أَمَا وَٱللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ ٱللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ ٱلْحقِّ نِسْيَانُ ٱلآخِرَةِ. إِنَّهُ(١٢) لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً(١٣).

لقد استخدم الجيش الاموى الدعايات الباطلة ضد الامام علي عليه السلام، ومن الدعايات التي استخدمتها ابن النابغة عمرو بن العاص، وهو في قيادة الجيش الاموي لتضليل الجيش عن شخصية الامام علي عليه السلام انه اعلن اتصاف الامام بالصفات الاربع التالية:

١ ـ الدعابة، ومعناها المزاح.

٢ ـ التلعابة، ومعناها كثرة اللعب.

٣ ـ المعافسة، وهي المصارعة.

٤ ـ الممارسة، وهي المغازلة للنساء.

وقصد من اشاعة ان الامام لاهمّ له سوى ملذات نفسه الخاصة، وبالنتيجة لا يصلح للقيادة العليا، لان هذه الصفات انما هي عادةً صفات الشباب الذين ليس لهم حكمة في القيادة وتجربة في الحياة وتدبير في الحكم، فهو فاقد للثوابت الاسلامية التي يجب ان يتحرك عليها القائد المسلم.

رد الدعايات:

وقد أثبت الامام وعيه الكامل لهذه الدعايات في صفوف جيش العدو واعلن عن طبيعة هذه الدعايات، وان الهدف منها هو تحريف المجتمع الاسلامي عن معرفة

---

(٤) في هامش ب: تلعابة: كثير اللعب وإنها للمبالغة.
(٥) في هامش ب: المعافسة: المعالجة، وأيضاً العفس: الابتذال.
(٦) في هامش ب: الممارسة: اشد المعالجة.
(٧) في الف ود: ويَسأل فيلحف ويُسْأل فيبخل.
(٨) في هامش الف: الوصلة، وفي هامش ب: القرابة، وفي هامش آخر: الله والقرابة.
(٩) في هامش ب: حيلته.
(١٠) في ط : القِرْمَ.
(١١) في هامش الف: اسقه.
(١٢) في ط: وانه.
(١٣) في هامش ب: رضيخة: أي عطاءاً قليلاً، والرضخ ـ بالحاء والخاء ـ كسر العصا والنوىٰ.

المواصفات المطلوبة للقائد المسلم بتحوير الخلاف الأساسي في النزاع حول القيادة الىٰ النزاع في امور شخصية جانبية.

وأكدّ عليه السلام وجوب التركيز على هذا الهدف وعدم الاهتمام بهذه الامور الجانبية الدعائية، ولذلك اختصر الجواب بالتأكيد على كذب هذه الدعايات بقوله: «لقد قال باطلا، ونطق آثما، أما وشرّ القول الكذب» ويكفي هذا في رد الدعايات الملفقة حول شخصية الامام.

الصفات المطلوبة في القائد المسلم:

ثم سرد الامام عليه السلام الصفات التي يفتقر اليها القائد المسلم والتي لا توجد في ابن النابغة ومعاوية، وهي:

١ ـ الصدق (انّه ليقول فيكذب) ومن مظاهر كذبه: هذه الدعايات التي يكشف تاريخ حياة الامام عليه السلام في الماضي على كذبها.

٢ ـ خلف الوعد (ويعد فيخلف) والالتزام بالوعد مطلوب في أيّ قائد سياسي، وهذا يعمل بضدّ ذلك.

٣ ـ السخاء، (ويسأل فيبخل) وهو حينما يسأله الناس يبخل في العطاء لهم.

٤ ـ الاقتراح من دون احراج، وهو (يسأل فيلحف) أي يلح في السؤال احراجاً للمسؤول منه.

٥ ـ حفظ العهد، فانه (يخون العهد) والعهود يجب احترامها في كل الامم والقيادات، والوفاء بالعهد من الثوابت الاسلاميةنص عليها القرآن الكريم بقوله: ﴿ان العهد كان عنه مسؤولا﴾.

٦ ـ صلة الرحم، وهو (يقطع الإلّ) اي الرحم والقرابة.

وهذه الصفات الستة مطلوبة في القائد المسلم، وهي مفقودة في عمرو بن العاص، كما يظهر من تاريخه قبل الاسلام وبعده، وبالنتيجة فهو منحرف عن الثوابت الاسلامية المطلوبة. وبالنسبة الى هذه الثوابت يصح السؤال (فاذا كان) ابن النابغة (عند الحرب، فأيّ زاجر وآمر هو؟) هل هو قائد اسلامي يتحرّك على الثوابت الاسلامية، أم على النقيض؟ يكون فاراً عن الساحة ومنتهزاً للفرص للوصول الىٰ اهدافه من وراء وراء.

شاهد صدق:

ويستعرض الامام آثار التاريخ الماضي لابن النابغة في الحبشة، لانها من التاريخ الماضي الذي يكشف بعض مواصفاته عن شخصية ابن النابغة، واشار الى ما حصل في مواجهته مع علي عليه السلام في المعركة حيث اتقاه بالكشف عن عورته امام الامام عليه السلام،

فأعرضعليه السلام عن النظر اليه، فهرب ونجئ بنفسه، وكان هذا (أكبر مكيدته ان يمنح القرم سبّته) والمكيدة: التخطيط، والقرم: الفحل ومن اشتدت شهوته، والسبّة: الاست، وذلك كناية عن عدم التورّع من أيّ محرم للحصول على الاهداف باستخدام القولة الشائعة: «ان الغاية تبرّر الواسطة» وان القائد المسلم يتحرك على اساس مناقض لذلك تماماً فان الواسطة يجب ان تكون مبررة كالغاية نفسها، وختم الامام الكلام بحقيقتين تاريخيتين يؤكدّهما تاريخ حياة كلّ من الرجلين:

الاول: قوله (أما والله انّي ليمنعني من اللّعب ذكر الموت، وانّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة) فالمواقف التى وقفها كل منهما في الحرب الأهلية كانت واضحة الاهداف، فمن جانب الامام علي كانت الحرب حربا عقائدية اسلامية، ومن جانب ابن النابغة كانت الحرب حرباً سياسية للحكم فقط، فأحدهما كان يحارب للاخرة، والآخر كان يحارب من أجل الدنيا، وشتّان ما بينهما.

الثاني: ان ابن النابغة (لم يبايع معاوية حتّى شرط) شرطين، أولهما: (أن يؤتيه أتيّة) وهي العطية في مقابل البيعة، فهي بيعة المصالح بالتجارة.

وثانيهما: ان (يرضخ له على ترك الدّين رضيخة) والرضيخة: الشئ القليل، اي ترك الدين والابتعاد عنه قليلاً، ويراهن علىٰ الثوابت الاسلامية التي جاء الاسلام من أجلها، والتواريخ المسطرة لمواقفه في الحياة تشرح هذه النفسية في شخصيته، فانها شرح لهذه المواقف، وقد اورد ترجمته الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) مفصلا في شرح النهج (٦: ٣٨١ ـ ٣٣٠) فراجع.

ونعم ما قال ابن أبي الحديدفي هذا المقام، ما نصه:«وأنت إذا تأملت حال علىعليه السلام في أيام رسول اللهصلى الله عليه وآله ، وجدته بعيدا عن أن ينسب إلى الدعابة والمزاح ، لانه لم ينقل عنه شئ من ذلك أصلا ، لافي كتب الشيعة ولا في كتب المحدثين ، وكذلك إذا تأملت حاله في أيام الخليفتين أبي بكر وعمر ، لم تجد في كتب السيرة حديثا واحدا يمكن أن يتعلق به متعلق في دعابته ومزاحه ، فكيف يظن بعمر أنه نسبه إلى أمر لم ينقله عنه ناقل ، ولا ندد به صديق وعدو ، وإنما أراد سهولة خلقه لا غير ، وظن أن ذلك مما يفضى به إلى ضعف إن ولى أمر الامة ، لاعتقاده أن قوام هذا الامر إنما هو بالوعورة ، بناء على ما قد ألفته نفسه ، وطبعت عليه سجيته ، والحال في أيام عثمان وأيام ولايتهعليه السلام الامر ، كالحال فيما تقدم ، في أنه لم يظهر منه دعابة ، ولا مزاح يسمى الانسان لاجله ذا دعابة ولعب . ومن تأمل كتب السير عرف صدق هذا القول ، وعرف أن عمرو بن العاص أخذ كلمة عمر إذ لم يقصد بها العيب فجعلها عيبا ، وزاد عليها أنه كثير اللعب ، يعافس النساء ويمارسهن ، وأنه

صاحب هزل. ولعمر الله لقد كان أبعد الناس من ذلك، وأي وقت كان يتسع لعلي عليه السلام حتى يكون فيه على هذه الصفات؟ فإن أزمانه كلها في العبادة والصلاة، والذكر والفتاوى والعلم، واختلاف الناس إليه في الاحكام وتفسير القرآن، ونهاره كله أو معظمه مشغول بالصوم، وليله كله أو معظمه مشغول بالصلاة. هذا في أيام سلمه، فأما أيام حربه فبالسيف الشهير، والسنان الطرير، وركوب الخيل، وقود الجيوش، ومباشرة الحروب. ولقد صدق عليه السلام في قوله: إنني ليمنعنى من اللعب ذكر الموت، ولكن الرجل الشريف النبيل، الذى لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيبا أو يعدوا عليه وصمة، لابد أن يحتالوا ويبذلوا جهدهم في تحصيل أمر ما وإن ضعف، يجعلونه عذرا لانفسهم في ذمه، ويتوسلون به إلى أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقته، والانحراف عنه، وما زال المشركون والمنافقون يصنعون لرسول الله صلى الله عليه وآله الموضوعات، ينسبون إليه ما قد برأه الله عنه من العيوب والمطاعن، في حياته وبعد وفاته إلى زماننا هذا، وما يزيده الله سبحانه إلّا رفعة وعلوا فغير منكر أن يعيب عليا عليه السلام عمرو بن العاص وأمثاله من أعدائه، بما إذا تأمله المتأمل، علم أنهم باعتمادهم عليه وتعلقهم به، قد اجتهدوا في مدحه والثناء عليه، لانهم لو وجدوا عيبا غيرذلك لذكروه، ولو بالغ أمير المؤمنين وبذل جهده في أن يثنى أعداؤه وشانئوه عليه من حيث لا يعلمون، لم يستطع إلى أن يجد إلى ذلك طريقا ألطف من هذه الطريق التي أسلكهم الله تعالى فيها، وهداهم إلى منهاجها، فظنوا أنهم يغضون منه، وإنما أعلوا شأنه، ويضعون من قدره، وإنما رفعوا منزلته ومكانه».(١)

---

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٦: ٣٢٨ ـ ٣٣٠.

[الخطبة ٨٥]

ومن خطبة له عليه السلام

تتضمن الخطبة صفات الباري سبحانه التي توجب الاتعاظ ثم بيان نقاط الاتعاظ، ثم نتيجة الاتعاظ، في سلسلة مترابطة

(١/ط - ٨٥) **من صفات الجلال:**

وَأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَٱلْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لَا تَقَعُ ٱلْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تُعْقَدُ[١] ٱلْقُلُوبُ مُنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ؛ وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ وَٱلْقُلُوبُ.

وافتتح الخطبة بالشهادة الاولى في سلسلة من صفات الجلال التي تجل الذات المقدسة عنها؛ لانها صفات تنافي الكمال المطلق في المفهوم أو المصداق، وهي في ثمانية جمل نافية:

١ ـ (لا اله الاّ الله) وحكمة التوحيد هذه اساس العقيدة الاسلامية، راجع المادة في المعجم.

٢ ـ (وحده لا شريك له)، فان الشرك يستلزم العجز أو الحاجة، والله تعالىٰ متنزّه عنهما.

٣ ـ (الاوّل لا شيء قبله) فهو الاول لان الذات المقدسة ازلية.

٤ ـ (والآخر لا غاية له) لان الغاية والنهاية من صفات الذات غير الازلية.

٥ ـ (لا تقع الأوهام له على صفة) فكل ما يتوهمه الفكر الانساني فهو في محدودة الفكر، ولا يستلزم كونه حقيقة خارجية.

٦ ـ (لا تعقد القلوب منه على كيفيّة) والمراد من العقد: الاستحكام، ومن القلب: الفكر، فان الفكر الانساني لا يمكنه الحكم القطعي بذلك.

٧ ـ (لا تناله التّجزئة والتّبعيض) لان ذلك يستلزم الجسمية، والذات المقدسة من المجردات.

٨ ـ (لا تحيط به الأبصار والقلوب) لأن الرؤية بالبصر تستلزم جسمية المرئي، والله منزّه عن الجسمية.

والقلوب والافكار لا يمكنها الاحاطة الكاملة بالذات المقدسة وان كان لها حظ في

(١) في د: تَعْقِد، وفي هامش ب: تُعْقَدْ. ما لم يسم فاعله، وبخط الرضي رحمه الله: لا تَعْقِدْ.

المعرفة الاجمالية بالوجود من دون تفصيل.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الالهية ، ما عرفت إلّا من كلام هذا الرجل ، وأن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئا من ذلك أصلا ، ولا كانوا يتصورونه ، ولو تصوروه لذكروه . وهذه الفضيلة عندي أعظم فضائله عليه السلام».[١]

(٢ / ط - ٨٥) نقاط الاتعاظ:

ومنها:

فاتَّعِظُوا عِبَادَ اللهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ[٢]، وَٱعْتَبِرُوا بِالآى[٣] السَّوَاطِعِ، وَٱزْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ[٤] ٱلْبَوَالِغِ[٥]، وَٱنْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ[٦] وَٱلْمَوَاعِظِ، فَكأَنْ قَدْ عَـلِقَتْكُمْ[٧] مَـخَالِبُ[٨] ٱلْـمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ[٩] عَلاَئِقُ ٱلْأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ[١٠] ٱلْأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى ٱلْوِرْدِ ٱلْمَوْرُودِ، وَجَاءَت كُلُّ[١١] نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ؛ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا؛ وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

والشهادة تستلزم الاتعاظ بما اودع سبحانه في هذا الكون من الآيات، وأشار عليه السلام الى

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٦ : ٣٤٦.

(٢) في هامش ب: جمع نافع.

(٣) كذا في الأصل، وفي الف وب وط : الآلاء، وكتب في الهامش: الآي: جمع آية، ويجوز أن يريد بها آي القرآن، ويجوز أن يريد بها آيات الله في خلقه، وهي غرائب الحوادث في العالم، والسواطع المنيرة المشرقة والآلاء: النعم، ويجوز ان يريد: النعم الخارجية والنعم البدنية، ففي كلّ ذلك دليل ومعتبَر.

وفي هامش ب: جمع آية من القرآن، ووصَفها بالبوالغ؛ لعلوّها، يقال: سطح الصبح سطوعاً إذا ارتفع.

(٤) في هامش ب: النذر: الانذار، ومنه ما قال الله تعالىٰ في سورة القمر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ونُذُرِ﴾.

(٥) في هامش ب: جمع بالغ، أفرد أوّلاً، وجمع ثانياً، لقوله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾.

(٦) في هامش ب: الذكر نقيض النسيان، وهو مصدر، أي لذلك الجمع.

(٧) في هامش ب: أي كان الامر والشأن: علقكم الموت.

(٨) في هامش ب: مخالب جمع مخلب.

(٩) في هامش ب، وفي نسخة: عنكم.

(١٠) في هامش الأصل: ... من أفضع الأمر وهو مفضع، ويجوز فظع الأمر فهو فضيع واقطع بالرجل علىٰ ما لم يسم فاعله نزل بـه ذلك ، انتهى ، وفي هامش ب: مفظع: أي عظيم، مشكلات الأمور.

(١١) كذا في الأصل ومصححة الف، وفي ب: وكل، وفي ط: فكلّ، وفي د: وكل.

نقاط الاتعاظ:

١ ـ (فاتّعظوا عباد الله بالعبر النوافع) ففي كلّ شئ في الكون عبرة، وتختلف درجات العبر في النفع في الدنيا أو الاخرة، حيث ان المتأخّر زمنا لايبتدئ من نقطة الصفر، بل يبني على ما بنىٰ عليه المتقدمون ويطوّره الى احسن مما كان من قبل، فيكون عنده احسن العبر وانفعها وادومها، وقد يدوم نفعها حتى الىٰ ما بعد الموت، ويشهد على اصالتها التاريخ الصحيح.

٢ ـ (واعتبروا بالآي السّواطع) الآي: جمع آية، وهي العلامة، والسواطع: المشرقة النيرة في الدلالة.

٣ ـ (وازدجروا بالنّذر البوالغ) والنذير: المخوف من سوء العاقبة، والبالغة: الفاصلة، اي الواضحة.

٤ ـ (وانتفعوا بالذّكر والمواعظ) فإنّ الاذكار معروفة، والمواعظ كثيرة، والمهم الانتفاع بها، وليس مجرد معرفتها.

٥ ـ (فكأن قد علقتكم مخالب المنيّة) والمنية: الموت الذي لا مفرّ منه، وحيث انّ كلّ آت قريب، فان المنيّة كالسبع المفترس الذي تعلقت مخالبه بفريسته ـ وهو الانسان ـ في الحياة.

٦ ـ (وانقطعت منكم علائق الامنيّة) فكل ما يتمنّاه الانسان في الحياة لا يمكن العمل من أجلها إلّا في الدنيا وبعد الموت ينقطع كل علقة ووسيلة لتحقيق تلك الامنيات.

٧ ـ (ودهمتكم مفظعات الامور) وهي شدائدها النازلة بالانسان والمفاجئة في الحياة.

٨ ـ (والسّياقة الى الورد المورود) الورد: الماء الذي يرد عليه الناس للشرب، فهو المورود لعامة الناس، والمورود: الموت الذي يساق اليه الناس اجمعين، ويسوقهم اليه ملك الموت، وان ﴿كلّ نفس معها سائق وشهيد﴾[١] في يوم القيامة.

وقد فسّر الامام هذه النقطة الاخيرة لاستشهاده بقوله تعالى، فاضطر الى تفسيره وقال: (سائق يسوقها الى محشرها) وهو ملك الموت الذي يقبض الروح، ويكون سبباً لان تساق إلىٰ يوم الحشر خطوة فخطوة، (وشاهد يشهد عليها بعملها) فان كل جارحة من جوارح الانسان يكون شاهداً على ما صدر منه من فعلٍ خيراً كان أو شراً.

(١) سورة ق: ٢٠.

(٣/ط ـ ٨٥) نتيجة الاتعاظ:

ومنها في صفة الجنة:

دَرَجَاتٌ(١) مُتَفَاضِلَاتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبْأَسُ(٢) سَاكِنُهَا.

ونتيجة الاتعاظ هو العمل، وهذه النتائج تختلف من حيث الدرجات، وحيث ان من الطبيعي التطلّع الى النتائج الحسنة من الاتعاظ، فقد أشار عليه السلام الى اوصاف الجنة، وهي:

١ ـ ((درجات متفاضلات) فهي طبقات مختلفة في الرتبة بحسب الاعمال المقتضية لها.

٢ ـ (منازل متفاوتات) حيث ينزل فيها اصحابها، وتفاوتها بسبب تفاوت موجباتها.

٣ ـ (لا ينقطع نعيمها) لانها جنة الخلد الذي يخلد فيه كل شئ، النازل والمنزول فيه، ومنها: النعيم الدائم.

٤ ـ (ولا يظعن مقيمها) الظعن: الرحيل من المكان، فالمقيم لا يخرج منها لخلوده فيها.

٥ ـ (ولا يهرم خالدها) وحيث ان الحياة في الآخرة لا تقاس بالمقاييس المادية في الدنيا، فلا يكون في الجنة حالات الشيخوحة والهرم؛ لانها حالات مادية، والحياة في الجنة ليست محكومة بها.

٦ ـ (ولا ييأس ساكنها) والبؤس: الشقاء، وذلك لان الحياة في الجنة معدّة للنعيم، والجزاء لمن يستحقه بالاعمال الصالحة التي اتى بها في الدنيا.

---

(١) في هامش ب، وفي نسخة: دوحات، أشجار.

(٢) في هامش الأصل: مضارع بئس كعلم، ويجوز بئس بالكسر، وهو شاذ، والمعنىٰ يصيبه البؤس وهو الشقاء، وفي هامش الف: بئس يبئس بؤساً: اشتدت حاجته، فهو بائس، وفي هامش ب: من البؤس، وفي هامش ب، وفي نسخة: ولاييأس.

[الخطبة ٨٦]

ومن خطبة له عليه السلام

وفيها بيان صفات الحق جل جلاله، ثم عظة الناس بالتقوى والمشورة

وقد أشار الامام عليه السلام في هذه الخطبة الى الدور المسؤول الذي يتحمله الانسان في الحياة، والدور الذي لا يعزب عن علم الله سبحانه العالم بالسرائر، حيث انزل الكتاب هادياً الىٰ هذا الدور، وارسل النبي صلى الله عليه وآله موضحاً بسنته الشريفة هذا الدور، ثم شرح بيان الحياة الاسلامية الفاضلة وختمها بالنصائح العارفة.

(١/ط - ٨٦) **من صفات الله:**

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَخَبَرَ[1] الضَّمَائِرَ، لَهُ ٱلْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَٱلْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَٱلْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

أشار من صفات الله ما يرتبط مباشراً بالدور المسؤول للانسان في الحياة فمهما يعمل الانسان في هذه الحياة، فعمله محكوم بهذه الصفات، وهي:

١ ـ (قد علم السرائر) والسريرة: ما يكتمه الانسان في نفسه من السر والنية التي تدفع الانسان الى العمل.

٢ ـ (وخبر الضّمائر) وخبر ـ بالفتح ـ: امتحنها وابتلاها، والضمير: ما يضمر في النفس من النوايا.

٣ ـ (له الاحاطة بكل شيء) من حيث المبدأ والمسير والمنتهى، ابتداء بالنية الباعثة على العمل، ثم السير على تطبيقه، وانتهاءً بنتيجة العمل.

٤ ـ (والغلبة لكلّ شيء) بالصد عن تحقق ما ينويه الانسان بابتلائه بما هو اهم مما نوى.

٥ ـ (والقوّة على كلّ شيء) لانه على كل شئ قدير، فعّال لما يريد، والعلم بهذه الصفات يكفي بان يقوم الانسان بدوره المسؤول كما هو المطلوب منه في الحياة.

(٢/ط - ٨٦) **العمل بالمسؤولية:**

فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ[2]، قَبْلَ إِرْهَاقِ[3] أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ

---

(١) في هامش الأصل وب: بفتح الباء، أي ابتلاها وامتحنها، ومن رواه بكسر الباء أراد عَلِمَ الخُبْر ـ بضم الخاء ـ: العلم.
(٢) في هامش الأصل: وهو التؤدة والتمهّل.

شُغْلِهِ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ(٤)؛ وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ(٥) لِدَارِ إِقَامَتِهِ.

واشار الى ان العمل بالمسؤولية له دور زمني محدد لا يمكن تجاوزه، وهي فرصة لن تعوض قط (فليعمل العامل منكم):

١ ـ (في أيّام مهله) والمهلة: الفرصة والتؤدة التي تتيح له فرصة الحياة في الدنيا (قبل إرهاق أجله) الرهق: حمل ما لا يطاق، والأجل: هو موعد الموت الذي لا يطيقه الانسان.

٢ ـ (وفي فراغه) أي تفرغه للعمل بالمسؤولية، حيث ان له فسحة العمل (قبل أوان شغله) بما يمنعه من ذلك؛ فان الموت يمنع من العمل.

٣ ـ (وفي متنفّسه) أي سعة وقته، ولعله اسم المكان والموضع الذي يتمكن فيه من التنفس، وهو الدنيا؛ لسعة الوقت للعمل (قبل أن يؤخذ بكظمه) والكظم: مخرج النفس، فان الموت يأخذ الروح بأخذ ذلك.

٤ ـ (ليمهّد لنفسه وقدَمه) فان العمل تمهيد لما يفتقر إليه لنفسه في الدنيا وما يفتقر اليه للمستقبل الذي يقدم عليه حيث يضع قدمه.

٥ ـ (وليتزوّد من دار ظعنه) والظعن: الدخل؛ لان الدنيا فانية يتزود الانسان فيها بالعمل للرحلة إلى (دار اقامته) وهي الاخرة التي يخلد فيها الانسان.

والعمل بالمسؤولية لا يستغني عن دستور عمل للنشر كتابا هاديا ومن يشرحه للناس.

(٣/ط - ٨٦) القرآن الكريم:

فَاللهَ اللهَ(٦) أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ(٧) مِنْ كِتَابِهِ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً(٨)، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سدىً(٩)؛ وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمْى، قَدْ

---

(٣) في هامش الأصل: يقال ارهقهُ، أي غشيه ليهلكه، وفي هامش ب: الإرهاق مصدر أرهقه عسراً، أي كلّفه إياه، وأرهقه: أغشاه، وفي هامش آخر: تضييق.

(٤) في هامش الأصل وب: بفتح الفاء والعين: مجرىٰ التنفس.

(٥) في هامش الأصل وب: بفتح العين وباسكانها: الترحّل.

(٦) في هامش الأصل وب: منصوب علىٰ التحذير والإغراء.

(٧) في هامش ب: أي خِفوا الله فيما كان وفيما يكون من إقامة ما استحفظكم الله، أي ما شاء لكم حفظه والمحافظة عليه من أحكام كتاب الله الشرعية، وفي مراعاة ما استودعكم من الواجبات العقلية في حقوق الله.

(٨) في هامش ب: لعباً.

(٩) في هامش الأصل: بضم السين، أي: مهملين.

سَمَّى آثَارَكُمْ[١]، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً[٢] لكل شئ.

وفي هذا المقطع اشار الى الركيزه الأولى في اي عمل، وهي الدستور العملي ثم يعقبه في المقطع الثاني الاشارة الى الركيزة الثانية وهي النبوة الشارحه لهذا الدستور. فأكّد عليه السلام بقوله: (الله الله).

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «ونصب على الاغراء، أي اتقوا الله، وجعل تكرير اللفظ نائبا عن الفعل المقدر»[٣] ووجه الخطاب للناس عامة (أيّها النّاس) وذكر خاصيتين للقران الكريم بقوله:

اولاً: (فيما استحفظكم من كتابه) فالقرآن المنزل دستور اسلامي الهي للعمل، ولهذا السبب (استحفظكم) وجعل حفظه في العمل به، كما في القلب واجباً على الناس، كما يستحفظ أي قائد من يؤمن به.

ثانياً: (واستودعكم من حقوقه) فان حقوق الخالق المنعم كلها مستودعة في القرآن الكريم، من العمل بالطاعات والعبادات الشرعية تعمّ كل الصالحات التي أمر بها سبحانه في هذا الدستور الخالد.

وعلّل عليه السلام وجوب العمل في نقاط:

١ ـ (فانّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً) فان للخلق حكمة، ومنها: أنه وهب لكل انسان قدرة خلاّقة ليقوم بدوره في الحياة وخدمة المجتمع بالدور المسؤول المطلوب منه.

٢ ـ (ولم يترككم سدى) السدى: الاهمال، حيث انزل دستورا عمليا هو القران الكريم.

٣ ـ (ولم يدعكم في جهالة ولا عمىً) حيث ان القرآن يهدي للتي هي أقوم، فلا تكون معها جهالة، وفيه تبيان كل شئ فلا يكون هناك عمى.

٤ ـ (قد سمّى آثاركم) اي تبيّن الآثار التي تترتب على اعمالكم خيراً أو شراً، ثواباً وعقاباً.

٥ ـ (وعلم أعمالكم) التي تقومون بها قبل ان تعملوا بشئ لعلمه الأزلي بكل شئ.

٦ ـ (وكتب آجالكم) والاجل: المدة التي يعيش فيها الانسان في الحياة حتىٰ الموت

---

(١) في هامش الأصل: يفسّر بتفسيرين، أحدهما: قد بيّن لكم خيرها وشرّها، والثاني: قد أعلىٰ مآثركم، أي رفع منازلكم أن أطعتم، وتكون سمىٰ بمعنىٰ أسمىٰ. ذكره في الشرح.

(٢) في هامش الأصل: تبياناً ـ بكسر التاء ـ مصدر بيّن وهو شاذّ، لم يأت علىٰ وزنه إلّا تلقاء، انتهىٰ من الشرح.

(٣) شرح نهج البلاغة ٦: ٣٥٢.

في كتاب مضبوط.

٧ ـ (وأنزل عليكم الكتاب) وهو القران الكريم الذي هو دستور اسلامي للحياة ﴿تبياناً لكلّ شيء﴾ يفتقر اليه الانسان في الحياة فكرياً وعقائدياً واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وغيرها من شؤون الحياة، وطبيعيّ ان يكون هذا القانون الاسلامي حاوياً علىٰ الثوابت الاسلامية التي يتفرع منها فروع تفصيلية كما هو الشأن في أي قانون اساسي للدول، ويفتقر تفصيل ذلك الى من يشرحه على الامة، وهو بالنسبة الى القرآن الكريم نبيّنا العظيم صلى الله عليه وآله.

(٤ / ط ـ ٨٦) الرسول القائد:

وَعَمَّرَ فِيْكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيَما أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ[(١)] الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى[(٢)] إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ[(٣)] مِنَ ٱلْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، فَأَلْقَى[(٤)] إِلَيْكُم المَعْذِرَةَ، وَٱتَّخَذَ عَلَيْكُم ٱلْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيد، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.

والرسول محمّد صلى الله عليه وآله ـ كأي نبيّ من الانبياء قبله ـ سهر علىٰ اداء رسالته ببيان القرآن الكريم في كل بنوده وآياته، وطبقها شخصياً في حياته قبل مماته، وقد اشار في هذا المقطع الى الدور الرسالي الذي قام به صلى الله عليه وآله في نقاط:

١ ـ (وعمّر فيكم نبيّه أزماناً) فالله سبحانه الذي انزل الدستور القرآني الخالد، طوّل عمر صاحب الرسالة مدّة زمنية كافية لأداء الرسالة كاملة.

(حتّى أكمل له ولكم ـ فيما أنزل من كتابه ـ دينه) فان فترة البعثة التي استغرقت ٢٣ عاماً كمل به الدين تشريعا من الله وتطبيقاً من الرسول صلى الله عليه وآله حتىٰ قال سبحانه: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾[(٥)] وكمال الدين يساوق كمال رسالة الرسول (الّذي رضي لنفسه) حيث قال سبحانه: ﴿ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ باعتباره خاتمة الأديان السماوية، حيث لم يتمكن احد من الانبياء قبله من تأسيس دولة سواه.

---

(١) لم ترد «دينه» في أ و ب.
(٢) في هامش ب: أذن وأراكم وشرّفكم.
(٣) في هامش ب: محابه، أي الطاعة التي هي ذوات محابه، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه.
(٤) في ط: وألقىٰ.
(٥) المائدة: ٣.

٢ ـ (أنهى إليكم ـ على لسانه ـ محابه من الاعمال ومكارهه) أنهى: أي اعلم، والمحاب: جمع محبّة، والمكاره: جمع مكروه، فقد اوضح ما هو المحبوب من الاعمال من الطاعات، وما هو المكروه منها بحيث علمه كل من عاصره (ونواهيه وأوامره) كما شرح الثوابت الاسلامية التي لايمكن الانحراف عنها (كالنواهي) من الفواحش التي يعاقب عليها، والاوامر بالعبادات التي يثاب عليها بكل وضوح في اهدافها وهى اقامة المجتمع الاسلامي الصالح.

٣ ـ (وألقى اليكم المعذرة) فلا عذر لمن بلغه الرسالة الاسلامية ووعاها.

٤ ـ (واتّخذ عليكم الحجّة) حيث تمت الحجة بالقرآن الكريم وسنة نبيّه الكريم.

٥ ـ (وقدّم اليكم بالوعيد) على ارتكاب المعاصي والنواهي التي حاربها الاسلام كالربا اقتصاديا، وغيرها مما قرره في والمجتمع الاسلامي.

٦ ـ (وأنذركم بين يدي عذاب شديد) في الاخرة عذابا الهياعا دلاً.

وهذا تمام الحجة بتبليغ الرسالة الاسلامية كاملة بحيث لا يبقى مجال سوى تحمّل المسؤولية بالعمل على الثوابت الاسلامية.

(٥ / ط - ٨٦) الحياة الفاضلة:

فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ اَيَّامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ[١]، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ، وَالتَّشَاغُلُ عَنِ المَوْعِظَةِ، وَ لَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ؛ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ، وَلَا تُداهِنُوا[٢] فَيَهْجُمَ[٣] بِكُمْ الْإِدْهَانُ عَلَى المَعْصِيَةِ.

واشار الى ما يستلزمه الحياة الاسلامية الفاضلة من خصال اهمها:

١ ـ تصحيح الخطأ بالاستدراك لما فات (فاستدركوا بقيّة أيّامكم) فان العمل الصحيح في الباقي يكون بتصحيح الخطأ الماضي بالتوبة الصادقة.

٢ ـ الصبر (وأصبروا لها أنفسكم) فان العمل المقرون بالسأم يؤدي الىٰ الفشل وعدم الاتقان؛ (فإنّها) أي الايام الباقية (قليل في كثير الايّام) التي مضت من الحياة (فيها بالغفلة والتشاغل عن الموعظة) وليس هناك من رجعة الى الوراء، فلابدّ من جبران ما مضى في الحال.

---

(١) في هامش الأصل: يقال: صبر نفسه على كذا: حبسها، يتعدىٰ فينصب، وفي هامش ب: احبسوا انفسكم.

(٢) في هامش ب: المداهنة كالمصانعة، والادهان مثله، وقال قوم: داهنت بمعنىٰ واريت، أدهنت بمعنىٰ أغشيت، قال الله تعالىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِن فَيُدْهِنُونَ﴾.

(٣) في هامش ب: هجم علىٰ الشيء: أتاه بغتة.

٣ ـ ورفض المسامحة (ولا ترخّصوا لانفسكم) في التقصير بالواجبات والمسؤوليات (فتذهب بكم الرّخص مذاهب الظّلمة) لأن المسامحة في المسؤوليات الصغيرة تؤدي الى المسامحة في المسؤوليات الكبيرة، والردع السريع للنفس في الصغائر تعصمها من الوقوع في الكبائر.

٤ ـ رفض المساومة على الثوابت (ولا تداهنوا) والمداهنة: المصانعة بالمساومة، فهي في الامور العادية مقبولة، ولو اعتاد الانسان عليها فانه سوف يستمر على هذه العادة في الامور الكبيرة (فيهجم بكم الادّهان على المعصية) وهذه هي سيرة الجبارين دائماً مع الانبياء، قال تعالى: ﴿ودوّا لو تدهنوا فيدهنون﴾(١) وكذا من سار على دربهم من العلماء والصالحين.

وهذه النقاط الاربع الاساسية هي خصائص المجتمع الاسلامي الصالح الذي يحفظ الامن الروحي للانسان، والامن الاجتماعي للجميع، والتقدم في الحياة الانسانية المبتنية على اساس العدل.

(٦/ط - ٨٦) نصائح هامة:

عِبَادَ ٱللهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَالمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ(٢)، وَالمَغْبُوطُ(٣) مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ(٤).

وَٱعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ ٱلْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ(٥)، وَمَحْضَرَةٌ(٦) لِلشَّيْطَانِ، جَانِبُوا ٱلْكَذِبَ؛ فإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيْمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَفَا(٧) مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ،

---

(١) القلم: ٩.

(٢) في هامش ب: يقال غبن في البيع فهو مَغبُون، وغبنته ـ بالفتح ـ: خدعته، وغِبْنٌ رأيه ـ بالكسر ـ: أي نقص، فهو غبين أي ضعيف.

(٣) في هامش الأصل: هو الذي يتمنىٰ صلاح حاله، وفي هامش ب: المغبوط من الغبطة، وهي محمودة، والحسد مذموم.

(٤) في هامش ب، وفي نسخة: بهواه.

(٥) في هامش الف: أي داعية إلىٰ نسيانه، وفي هامش ب: المنساة: أي المدعاة إلىٰ نسيان توابع الإيمان وفروعه والقيام بأوامره ونواهيه.

(٦) في هامش الأصل: إمّا بمعنىٰ موسم حضوره، أو بمعنىٰ داعية حضوره.

(٧) في ط: شرف، وفي هامش الأصل: شفا الشيء: طرفه وحرفه، وفي هامش ب: شفا كل شيء: حرفه، وأشفىٰ علىٰ الشيء وأشرف عليه، بمعنىٰ واحد، وفي هامش ب: الشرف: المكان العالي، والمهواة: المسقط، وهوىٰ: سقط، والهوّة: الحفرة العميقة، والمهواة: ما بين الجبلين، والهاوية نحوها.

وَٱلْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ، وَلَا تَحَاسَدُوا؛ فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ ٱلْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغَضُوا؛ فَإِنَّها الحَالِقَةُ[1]، واْعْلَمُوا أَنَّ الأمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ وَيُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ؛ فَإِنَّهُ غَرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

ثم شرح عليه السلام النقاط الأساسية الاربعة من تصحيح الخطأ والصبر ورفض المسامحة والمقاومة في الثوابت، بنصائح هامة لا يستغني عنها المجتمع الاسلامى الفاضل، بقوله: (عباد الله)

١ ـ (انّ أنصح النّاس لنفسه أطوعهم لربّه) فليست النصيحة بالكلام المجرد عن العمل، بل بالطاعة.

٢ ـ (انّ أغشهم لنفسه أعصاهم لربّه) فالعمل هو المقياس في معرفة النصيحة والغش.

٣ ـ (المغبون من غبن نفسه) فان الغبن: خدعة ومن يخدع نفسه في مواجهة الحقيقة هو المغبون حقاً؛ لان الحقيقة لابد وان يظهر، والتاريخ لا يرحم احداً، فانه «ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً».

٤ ـ (المغبوط من سلم له دينه) والغبطة تمنّي مثل الشئ لنفسه كما لغيره، وليس هذا مذموماً كالحسد؛ لانه تمن زوال النعمة عن الغير، دون الغبطة، فمن سار على طريقة سليمة هو المغبوط حقاً.

٥ ـ (السّعيد من وعظ بغيره) فانّ المواعظ في الحياة كثيرة، وفي التاريخ مرت بها اجيال من البشر قبل حياتنا.

٦ ـ (الشّقيّ من انخدع لهواه وغروره) لاجتماع صفات ثلاث فيه هي: الانخداع واتباع الهوى والغرور.

٧ ـ (اعلموا أنّ يسير الرّياء شرك) فان العمل للاراءة للناس اشراك لهم في النية، مهما كان يسيراً وكان خفيا.

٨ ـ (ومجالسة أهل الهوى منسأة للايمان) لأن الايمان يدعو الى العمل بمقتضاه، والهوى يدعو الى نسيانه. (ومحضرة للشّيطان) اي مكان حضوره؛ لكونه الداعي الى متابعة الهوى واهمال العمل.

٩ ـ (جانبوا الكذب) بالاعراض عنه جانبا، وعلل ذلك بقوله: اولاً: (فانّه مجانب للايمان) وانهما لن يجتمعا قط.

---

(١) في هامش الأصل: أي المستأصلة التي تأتي على القوم كالحلق للشعر، وفي الحديث «تحلق الدين»، وفي هامش الف: الحالقة: الداهية، وحلاق معدولة منها، وهي من الحلق، وفي هامش ب: الحالقة: المهلكة.

وثانياً: ان (الصّادق على شفا منجاة وكرامة) وأشفى عليه: أي اشرف، فللصدق أثران وضعيان، هما: النجاة والكرامة.

وعلى النقص يكون الكذب؛ فان (الكاذب على شرف مهواة ومهانة) والمهواة: موضع السقوط، والمهانة: الحقارة؛ حيث تنعدم الثقة فيه، فيكون الكاذب ميتاً بين الاحياء.

١٠ ـ (ولا تحاسدوا) والحسد: تمنّي زوال النعمة عن الآخرين، وعلل ذلك بقوله: (فانّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب) كما في الحديث، وراجع المادة في المعجم.

١١ ـ (ولا تباغضوا) والبغض: المقت والكراهة، وهو ضد الحبّ (فانّها الحـالقة) أي الماحية، فهي تستأصل راحة الانسان في نفسه كما يستأصل الحلاّق الشعر.

١٢ ـ (واعلموا أنّ الأمل يسهي العقل) والتضاد بينهما يدل على ان العقل هو الفكر، والامل هو الجهل، ويستلزم ذلك ان (ينسي الذّكر) فان السهو والذكر متناقضان، والعلاج في الوقاية من السهو والنسيان هو محاربة الأمل، فقوله: (فأكذبوا الامل) بعدم تصديقه مهما كان حبيباً الى النفس، وذلك (فانّه غرور) لا يستند إلىٰ حقيقة وطبيعي ان النتيجة تكون كذلك ف(صاحبه مغرور).

وهذه النقاط الانثي عشر تلازم النقاط الاربع الثوابت المتقدمة.

[الخطبة ٨٧]

ومن خطبة له عليه السلام
في بيان صفات أحب عباد الله

(١/ط - ٨٧) **أحبّ العباد:**

عِبَادَ ٱللهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَيْهِ عَبْداً أَعَانَهُ(١) ٱللهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَاسْتَشْعَرَ(٢) ٱلْحُزْنَ، وَتَجَلْبَبَ(٣) ٱلْخَوْفَ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ ٱلْهُدَى فِي قَلْبِهِ(٤)، وَأَعَدَّ ٱلْقِرَى(٥) لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ(٦)، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ ٱلشَّدِيدَ، نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَٱرْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ(٧) سَهُلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهَلاً(٨)، وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً(٩)، قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وَتَخَلَّى عَنِ ٱلْهُمُومِ(١٠) إِلَّا هَمًّا وَاحِداً ٱنْفَرَدَ بِهِ(١١)، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ أهل(١٢) ٱلْعَمَى وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ ٱلْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ ٱلْهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ ٱلرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ(١٣)، وَقَطَعَ غِمَارَهُ(١٤)، ٱسْتَمْسَكَ

---

(١) في هامش ب: صفة «عبداً» ومعناه: كسر شهواته.

(٢) في هامش الأصل: أي لازمه، فجعله كالشعار، وهو ما يلي الجسد من ا لثياب، وفي هامش ب: أي اتخذه شعاراً.

(٣) في هامش الأصل وب: أي جعله جلباباً، أي لباساً.

(٤) في هامش ب: أي أضاء سراج العلم واليقين في قلبه.

(٥) في هامش الأصل: أي الضيافة، والمراد به هنا: الطاعة.

(٦) أي الموت.

(٧) في هامش الأصل: يعني به علما صحيحاً خالصاً من الشبهة.

(٨) في هامش الأصل: يجوز ان يريد شرباً مكرراً، ويجوز أن يريد كافياً، والشرب الثاني يسمىٰ نهلاً، وفي هامش ب: النهل: الشرب الأوّل، وقد نهل وأنهلته لأن الابل تسقي من أول الورد فترد إلىٰ القطر، ثم تسقىٰ الثاني وهي العلل فتزود....

(٩) في هامش الأصل: أي واضحاً يؤمن فيه العثار، وفي هامش ب: جدد: جمع جادة.

(١٠) في هـ. د: عن الهموم ـ ح.

(١١) في هامش ب، وفي نسخة: تفرّد به.

(١٢) لم ترد «هل» في ألف و ب و ط و د.

(١٣) في هامش الأصل: أي عَلَمَهُ الذي يقتدي به، والمنار: عَلَم الطريق.

(١٤) في هامش الأصل: جمع غمرة، هو ما يَغمر، وفي هامش ب: أي شديدة، يقال: بحر غمر، أي كثير الماء، وبحار غمار، وغمرات الموت، شدائده، والغمرة: الزحمة من الناس والماء، والجمع غمار، ودخلت في غمار الناس ـ يُضم وبكسر ـ أي في زحمتهم وكثرتهم.

مِنَ ٱلْعُرَى بِأَوْثَقِهَا[١]، وَمِنَ ٱلْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا، فَهُوَ مِنَ ٱلْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ[٢] ضَوْءِ الشَّمْسِ، قَدْ أَنْصَبَ[٣] نَفْسَهُ[٤] لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ ٱلْأُمُورِ، مِنْ إِصْدَارِ[٥] كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ[٦]، مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ[٧]، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ[٨]، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ[٩]، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ[١٠]، يَقُولُ فَيُفْهِمُ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ، قَدْ أَخْلَصَ لِلّٰهِ سُبْحَانَه فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِه، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ ٱلْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيَ ٱلْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ ٱلْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا[١١]، وَلَا مَظِنَّةَ إِلَّا قَصَدَهَا[١٢]، قَدْ أَمْكَنَ ٱلْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ[١٣]، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

استفتح هذا المقطع بتعريف احب العباد إلىٰ الله، وان كل مؤمن صالح فهو يحب هذه الدرجة الرفيعة، فمن هو؟ ولخص الامام الجواب بجملة واحدة: انه العبد الذي (أعانه الله على نفسه) وبذلك تختلف درجات الحب، فان الحب الالهى لا يجتمع مع حب النفس، وكلما ابتعد الانسان عن حب النفس كان اقرب الىٰ الله، وباختلاف تلك الدرجات يكون احبّ ممن هو دونه، ولا يتحقق ذلك الاّ بعون منه تعالى.

ثم سرد الصفات التي تستلزم الحب الالهى فبلغت (٤٦) صفة، قال عليه السلام:

١ ـ (فاستشعر الحزن) فبعد ان يعينه الله سبحانه، يجعل الحزن شعاراً لنفسه، لان

(١) في هامش الأصل: يعني عرف الحق وأهله، فدخل في جملتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿اتَّقُوا اللّٰهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.
(٢) في الف: في مثل، وفي هـ. أ، وفي نسخة: علىٰ مثل.
(٣) كذا في الأصل، وفي النسخ: قد نصب.
(٤) في هامش ب: نصب نفسه: أقامها، ونصب ـ بالكسر: أتعبها، وفي أرفع الأُمور، كأنـهُ إشارة إلىٰ الفقه ... فان الفقيه ينصب نفسه لله في الأدلّة والنصوص في كل ما يرد عليه، ولا يقيس في الأحكام.
(٥) في هامش الأصل: أي أجابه كل سؤال بجواب صحيح.
(٦) في هامش الأصل: أي إدخال كلّ مسألة تحت دليلها المتناول لها بالبيان.
(٧) في ب عشوات: وفي ط: عشاوات. وفي هامش الأصل: جمع عشوة ـ بالحركات الثلاث في الفاء ـ: أي شبهة، وفي هامش ب: العشوات: الأغطية وقريء علىٰ «عشوة» أي غطاء، والغاشية: القيامة، والعشوات: جمع عشوة، وهي سواد الليل.
(٨) في هامش الأصل: حلقة مبهمة لا يدرىٰ أين طرفها، وفي هامش ب: حلقات.
(٩) في هامش الأصل: اعضل الامر: صعب، وفي هامش ب: شدائد.
(١٠) في هامش الأصل: أي يهتدىٰ به في مضال الدين كما يهتدىٰ بدليل الفلاة، وهي المنارة.
(١١) في هامش ب: قصدها.
(١٢) في هامش الأصل: مظنة الشيء حيث يظن وجوده، وفي هامش ب: علامة المنزل: العَلَم.
(١٣) في هامش ب: ثَقْلُهُ. وفي هامش ب، وفي نسخة: ثَقَلَهُ.

الواجب عليه ان يتحسس بآلام المحرومين في المجتمع، الذين يعيشون في حزن وكآبة، ويتألم بآلامهم، فيكون في المقدمة لخدمتهم.

٢ ـ (وتجلبب الخوف) والجلباب: الثوب الشامل للجسم كله ، فالمؤمن يخاف من القصور في واجباته.

٣ ـ (فزهر مصباح الهدى في قلبه) الزهر: الضياء؛ فاذا كان قلبه وفكره مقتبساً لضياء الهداية، فانه سوف يكون سائرا على الصراط المستقيم.

٤ ـ (أعدّ القرى ليومه النّازل به) القرى ـ بالكسر ـ ما يهيّأ للضيف والمحبوب بعدّ ما يحتاج اليه في اليوم الذي ينزل به قبل حلول ذلك؛ استعداداً له.

٥ ـ (فقرّب على نفسه البعيد) لعلمه بأنّ البعيد سيتحقق، فاستعد له قبل حلوله.

٦ ـ (وهوّن الشّديد) ممّا يستصعبه الآخرون، فتحمل ما لا يتحمل غيره في سبيل الله المحبوب.

٧ ـ (نظر فأبصر) فقد اعطاه الله سبحانه حاسة النظر بحكمة، وهي ان يبصر بها الاشياء على حقيقتها وأسبابها ونتائجها، وليس علىٰ ما هي عليه مقطوعة عن العلل والمعلولات.

٨ ـ (وذكر فاستكثر) ولا يكتفي بذكر الشيئ فقط، بل الاستكثار منه لمواصلة العمل.

٩ ـ (وارتوى من عذب فرات سهّلت له موارده) الفرات: الماء السائغ شربه، والارتواء: الشرب حتى يصبح روياً، والمورد: الماء الذي يرده المارة، وسهولته بتيسيره لمن يطالبه، فالمحب يرتوي من هذا المنبع الزلال بحيث لا يفتقر الىٰ غيره، فيكون قد (شرب نهلاً) اي اول ما يشرب هو الماء العذب الفرات من منابعه الاصليّة.

١٠ ـ (وسلك سبيلاً جدداً) الطريق الجدد: الذي لاغبار فيه لقوة الارض من كثرة المارة.

١١ ـ (قد خلع سرابيل الشّهوات) السربال: القميص الذي يلبس، وليس للمحب من شهوات النفس شيئ.

١٢ ـ (وتخلّى من الهموم الاّ همّا واحداً انفرد به) وهو الذكر على شيئ واحد فقط وهو الحب الالهي، لاغير.

١٣ ـ (فخرج من صفة العمى) التي تعمى العقول اولا، وتعمي الابصار عن معرفة الاثار ثانيا.

١٤ ـ كما انه يخرج من (مشاركة أهل الهوى) في أعمالهم ولا يجتمع معهم في مواقفهم ودعواتهم.

١٥ ـ (صار من مفاتيح أبواب الهدى) فيكون له تأثير في فتح الطريق لهداية الآخرين

بدور ايجابي ملموس.

١٦ ـ وأيضاً صار من (مغاليق أبواب الرّدى) بان يكون له تأثير مباشر في غلق دور الفساد.

١٧ ـ (قد أبصر طريقه) بان يكون له رؤية واضحة في مسيرته في الحياة من حيث أسبابها ونتائجها.

١٨ ـ (وسلك سبيله) وبعد الرؤية تحرك على مقتضاها بالعمل على حسب الرؤية.

١٩ ـ (وعرف منازله) فكما يسير أي مسافر في الطريق، فانه يعرف المنازل التي يجب ان يتوقف فيها، وفترة النزول والنزوح بالمنارات للمسافر في البحار.

٢٠ ـ (وقطع غماره) الغمار: وسط البحر حيث لا يرىٰ المسافر سوى الماء والسماء، والمسافر في البحر الذي يقطع الغمار في البحار يقبل إلىٰ الساحل الذي فيه النجاة بلهفة وشوق.

٢١ ـ (واستمسك من العرى بأوثقها) اقتباس من قوله تعالى: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[1] وطبيعي ان يكون النجاة لمن حاله كذلك.

٢٢ ـ (ومن الحبال بأمتنها) المتين: الصلب القوي من الشئ، فمن استمسك به فانه يأمن من السقوط، كما هو الحال في المستمسك بالمتهرئ من الحبال.

٢٣ ـ (فهو من اليقين على مثل ضوء الشّمس) فان الرؤية الواضحة التي يتمتع بها المؤمن لا شبهة فيها في أي شئ لانه بلغ مرتبه اليقين الذي لا يتطرقه شك، كما لا يتطرق الشك الى ضوء الشمس.

٢٤ ـ (قد نصب نفسه لله ـ سبحانه ـ في أرفع الامور) النصب: الاقامة، بان يتعهد بالمسؤولية التي يتمكن من القيام بها خير قيام، وهذه المسؤولية يجب ان تكون من (ارفع الامور) في الحياة.

٢٥ ـ (من اصدار كلّ وارد عليه) ولعل المراد: انّ كلما يرد عليه من الآلام والافكار والنعم لا يبخل بها، بل يصدرها الى غيره ممن يفتقر اليها، والله أعلم.

٢٦ ـ (وتصيير كلّ فرع الى أصله) بربط ذلك بقانون العلة والمعلول في الحياة، مهما عظم ودقّ.

٢٧ ـ (مصباح ظلمات) فهو محكم معرفته والرؤية الواضحة التي يمتمتع بها تكون مصباحاً لغيره للسلوك في الظلمة المخيمة على الامور، فالتوجيه يكون للجميع.

---

(١) البقرة ٢ : ٢٥٦ .

٢٨ ـ (كشّاف عشوات) العشوة: الامر المتلبس، فيكشفه بعلمه بالثوابت الاسلامية.

٢٩ ـ (مفتاح مبهمات) وبسببه تنفتح ابواب لما اشكل وابهم من المسائل والمواقف.

٣٠ ـ (دفّاع معضلات) فهو يدفع الامور من ان تقع في العضل، وهو الشدة التي لا يقوى لها.

٣١ ـ (دليل فلوات) الفلاة: الصحراء، والمسافر يفتقر إلىٰ دليل في السفر، والمحب في الله ولله سبحانه هو الدليل في الحياة لمن يفتقر اليه.

٣٢ ـ (يقول فيفهم) فما يصدر منه من قول إلّا عن فهم واحاطة بجميع جوانب الموضوع الاساسية وآثارها.

٣٣ ـ (ويسكت فيسلم) ولا يكون سكوته إلّا عن حكمة، وهي السلامة من الاضرار غير المحتملة على نفسه أو اهله ومجتمعه، في الحاضر أو المستقبل.

٣٤ ـ (قد أخلص لله فاستخلصه) فالأعمال التي تصدر منه ليست إلّا لوجه الله تعالى دون غيره، وبسبب هذا الخلوص في النية كان من احبّ العباد، واستخلصه سبحانه بالقرب اليه.

٣٥ ـ (فهو من معادن دينه) حيث انه أقرب ما يكون إلىٰ الله سبحانه كالمعدن الذي ينبع منه الخير لينتفع به الآخرون.

٣٦ ـ (وأوتاد أرضه) الوتد: المسمار الذي يجعل في الارض لاستحكام الخيام ونحوها، والمجتمع الاسلامي يفتقر الى من يحكّم فيها الثوابت الاسلامية وليس ذلك إلّا لأحب العباد.

٣٧ ـ (قد ألزم نفسه العدل) وذلك باختياره وارادته في كل تصرفاته الشخصية والاجتماعية في النفس والأهل والمجتمع.

٣٨ ـ (فكان أوّل عدله: نفي الهوى عن نفسه) فلم يبتدئ بالآخرين قبل نفسه، بل ابتدأ بنفسه قبل الآخرين بمخالفة الهوى.

٣٩ ـ (يصف الحقّ ويعمل به) فهو يصف الحق وصفاً صادقاً حالكونه عاملا بالحق.

٤٠ ـ (لا يدع للخير غاية الاّ أمّها) ولم يكتف بأقل الواجب، بل اصعبها واعلاها.

٤١ ـ (ولا مظنّة الاّ قصدها) فهو غير مكتف بما تعلم منها، بل هو مستقصٍ لما لا يعلم من الخير.

وقد لخصّ هذه النقاط الاحدى والاربعين في ثلاث نقاط ختامية، حيث قال عليه السلام:

٤٢ ـ (قد أمكن الكتاب من زمامه) بان جعل القران الكريم حاكما على نفسه، وجعل نفسه منقادة لدستوره.

٤٣ ـ (فهو) اي القران (قائده) في حياته كلها شخصية واجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها.

٤٤ ـ (وامامه) في الدنيا من المسيرة وحتى نهاية الحياة في الدنيا.

٤٥ ـ (يحلّ حيث حلّ ثقله) لا يفتقر عن العمل بالقرآن في كل واقعة من الوقائع، ويتوقف حيث يأمره القرآن بالتوقف ولا يتجاوز حده.

٤٦ ـ (وينزل حيث كان منزله) متبعاً خطواته في المبدأ والمسير والهدف، وفي كل جوانب الحياة.

وهذه الصفات تكشف عن شخصية العبد الذي هو أحبّ العباد الى الله سبحانه ومن لها غير الائمة عليهم السلام؟.

(٢/ ط ـ ٨٧) مدّعي العلم:

وَآخَرُ: قَدْ تُسَمَّى(١) عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ(٢) مِنْ جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ(٣) مِنْ ضُلاَّلٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً(٤) مِنْ حَبَائِلِ(٥) غُرُورٍ وَقَوْلِ زُورٍ، قَدْ حَمَلَ ٱلْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ(٦)، وَعَطَفَ ٱلْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤَمِّنُ(٧) مِنَ ٱلْعَظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ ٱلْجَرَائِمِ، يَقُولُ: «أَقِفُ عِنْدَ ٱلشُّبُهَاتِ» وَفِيهَا وَقَعَ، وَيَقُولُ: «أَعْتَزِلُ ٱلْبِدَعَ» وَبَيْنَهَا ٱضْطَجَعَ. فَٱلصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَٱلْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ ٱلْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ، وَلَا بَابَ ٱلْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ، فَذَلِكَ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ(٨).

وسرد في هذا المقطع صفات مدعى العلم من الجهال سواءً كان ذلك عن جهل ادعاه بنفسه، أو نصبه لذلك غيره، فارتضاه هو، فهو (قد تسمّى عالماً وليس به) ومن صفاته:

١ ـ (فاقتبس جهائل من جهّال) الجهائل: جمع جهالة، وهي عدم المعرفة من اصولها والمعرفة من منابعها، بل اقتباس بعض الملفّقات من الجهال، والمفروض ان يدرس الحقائق لدى العلماء بها من اهل الاختصاص.

---

(١) في هامش ب، وفي نسخة: قد يُسميٰ.
(٢) في هامش الأصل: جهائل، جمع جهالة كأعاليق جمع علاقة، وفي هامش ب: جمع جهالة.
(٣) في هامش الأصل: جمع لا واحد له من لفظه، والمعنىٰ: أنواعاً من الضلال.
(٤) في هامش الأصل: جمع شرك، وهو ما يصاد به، وفي هامش ب: جمع شركة: وهي الحبالة.
(٥) في هامش الأصل: ويرویٰ: حبائلٍ، جمع حبالة، وهي ما يصاد به.
(٦) في هامش الأصل: أي اعتقد أوّلاً، ثم فسّر الكتاب علىٰ وفق معتقده. وعطف الحق، أي تأوّل أدلّة الحقّ علىٰ وفق هواه.
(٧) في د زيادة: الناس.
(٨) في هامش الأصل: أي هو لجهله لا ينتفع بقلبه وعقله، فأشبه الميت الذي لا يكسب خيراً ولا يصلح فاسداً.

٢ ـ (وأضاليل من ضلاّل) فان من ضلّ عن الطريق لا يكون له بالحقيقة معرفة، والاخذ منه ضلال في ضلال.

٣ ـ (ونصب للنّاس أشركاً) والشرك: حبل الصيد، فمدعي العلم ـ حيث يعلم بنفسه جاهلاً ـ يستخدم ما يغطي جهله لاصياد المغفلين بانواع الشرك التي تجلبهم اليه كطعمة الصيد.

واشار الى اثنتين من أهم هذه الحبال، وهما:

اولاً: (حبائل غرور) باستخدام ما يغذي غرور الانسان المغفّل، كإذكاء روح القومية والشهوات.

ثانياً: (قول زور) بالدعايات الكاذبة والوعود الخلابة والاعلانات الخداعة.

٤ ـ (قد حمل الكتاب على آرائه) بان فسر القران الكريم تفسيراً بعيداً عن روح القرآن، ليوثق آراءه الخاصة، معرضاً عن سنة الرسول الاعظم ﷺ.

٥ ـ (وعطف الحقّ على أهوائه) والعطف: الثني، بان يحوّر المفاهيم الاسلامية لما يوافق هواه.

٦ ـ (يؤمن النّاس من العظائم) من الذنوب ويستهين بها حتى يأمنوا العقاب منها.

٧ ـ (ويهوّن كبير الجرائم) حتى يتركبها المغفل ظاناً انها ليست جريمة.

٨ ـ (يقول: أقف عند الشّبهات، وفيها وقع) مبرراً جهله بعدم الحاجة الى القول الفصل، وهو عين الجهل، فان المطلوب في الخصومات هو القول الفصل والرؤية الواضحة.

٩ ـ (ويقول: أعتزل البدع، وبينها اضطجع) لان البدعة يجب محاربتها، لا اعتزالها.

١٠ ـ (فالصّورة صورة انسان) لتظاهره بالعلم وتسمية نفسه عالما، وليس به.

١١ ـ (والقلب قلب حيوان) حيث لا يرى إلّا شهواته النفسية، ولا يرضخ للمحاسبة.

١٢ ـ (لا يعرف باب الهدى فيتّبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه) فهو ـ لجهله ـ حاله حال الاعمىٰ في السلوك والاصم في العرائس.

١٣ ـ (وذلك ميّت الاحياء) لان حياته لا تقوم علىٰ اساس مدروس، وهو لا يقوم بدور مسؤول، فان الجاهل عليه التعلم، لا التعليم من دون علم، ومن لا يقوم بواجبه فهو كالميت بين الاحياء.

فأَيْنَ[١] تَـذْهَبُونَ؟ وَأَنَّـى تُـؤْفَكُونَ[٢]؟ وَٱلْأَعْـلاَمُ[٣] قَـائِمَةٌ، وَٱلْآيَـاتُ واضِـحَةٌ، وَٱلْمَنَارُ[٤] مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ[٥] يُتَاهُ بِكُمْ[٦]؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ[٧] وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ[٨] ٱلْحَقِّ[٩]، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ ٱلْقُرْآنِ[١٠]، وَرِدُوهُمْ وُرُود ٱلْهِيمِ ٱلْعِطَاشِ[١١].

ويشير عليه السلام في هذا المقطع إلى البديل الحاضر لمدعي العلم الذي وصفه بانه الجاهل في نفسه.

فلو كان البديل قائماً لتمت الحجة على الناس المغفلين، ومن ثم فلا يمكنهم الاعتذار بالجهل والاغترار، فقال عليه السلام: (فأين تذهبون وأنّى تؤفكون؟) في حالة وجود البديل العالم عوض الجاهل المدعي للعلم، واكد على ذلك بقوله:

١ ـ (والاعلام قائمة) بان البديل علم ظاهر ثابت.

٢ ـ (والآيات واضحة) والدليل على كونه عالما مؤيد بالآيات والدلالات الواضحة.

٣ ـ (والمنار منصوبة) وما يوضح النور للطريق في الحياة الاسلامية منصوبة الناس.

فان كل هذه الامور تشير الى ان البديل الشرعي هو عترة النبي.

(وكيف تعمهون) أي تتحيرون (وبينكم عترة نبيّكم؟) والعترة: الاهل الادنون نسلاً، فقد اجتمعت فيهم الصفات المطلوبة المشروحة في تراجمهم، وهي انهم:

---

(١) في ب: واين.
(٢) في هامش الأصل: أي تقلبون وتصرفون، وفي هامش ب: تصرفون.
(٣) في هامش ب: العلم: العلامة والجبل والراية، والجمع: أعلام.
(٤) في هامش ب: أعلام.
(٥) في هامش ب: في نسخة: فأنّىٰ يتاه.
(٦) في هامش الأصل: أي يذهب بكم في التيه وهو التحيّر. وفي هامش ب: من يتيه في الأرض: أي يظل فيها متحيراً، والجمع تيّه.
(٧) في هامش الأصل: أي تتحيّرون وتترددون في الضلال.
(٨) في هامش الأصل: جمع زمام، كأنّ الحق ينقاد لهم حيث لم يفارقهم، وفي هامش الأصل «ألسنة الصدق» كأن الصدق ينطق بألسنتهم لمّا كان نطقهم صدقاً، وفي الكلام إشارة إلىٰ قوله: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَع...﴾ الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾.
(٩) في ط و د زيادة: وأعلام الدين.
(١٠) أي اجعلوا أهل بيت نبيكم من قلوبكم بمنزلة القرآن في التعظيم والإحترام.
(١١) في هامش الأصل: أي كونوا ذوي حرص وانكماش علىٰ أخذ العلم والدين عنهم كحرص الهيم الضمآء علىٰ ورود الماء (انتهىٰ من الشرح) قلت: فيه إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾، فمرتبة العترة أنّهم مسؤلون، ومرتبة غيرهم أنّهم سائلون، فعكس الجاهلون القضية، فعظمت البلية، إنّا لله وانا الله راجعون.

اولاً: (أزمّة الحقّ) وان بيدهم زمام الحق لتوارثهم علوم جدهم رسول الله ﷺ.
ثانياً: (أعلام الدّين) ويعرف معالم دين جدهم منهم، لشهرتهم وتخصصهم.
ثالثاً: (ألسنة الصّدق) فما صدر منهم من حكم لا يتوافق مع القرآن والسنة.
وتكفي هذه الصفات في وجوب اتباعهم في معرفة الاحكام الاسلامية.
والواجب الاسلامى تجاههم يقتضي امرين:
الاول: (فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن) لانهم المفسرون للقرآن عن جدهم رسول الله ﷺ.

الثاني: (رُدوهم ورود الهيم العطاش) أي انتفعوا من علومهم الموروثة بحرص كحرص الابل الضمئ حين ورودها على الماء.

فيجب على الانسان المسلم ان يبحث عن منبع العلم الصحيح، ثم ان ينتفع به انتفاعاً كاملا، كما يجب على العطشان الورود على الماء والتسارع في شربه إلىٰ ان يرتوي، وليس الجهل عذراً للمتقاعس عن طلب الحقيقة.

(٤/ ط - ٨٧) سنة النبي ﷺ:

أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا(١) عَنْ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ ﷺ: إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ، فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ ٱلْحقِّ فِيمَا تُنْكِرُنَ.

واستشهد الامام على دور العترة الطاهرة في نشر سنة النبى ﷺ حيث قال ﷺ: (انّه يموت من مات منّا وليس بميّت ويبلى من بلي منّا وليس ببال) وظاهر السياق أنّ الموت يقضي على الاجساد ولكنه لا يقضي على المبادئ، وحيث ان عترة النبي ﷺ يمثلون المبادئ التي جاء بها النبى ﷺ فهم اموات في الاجداث ولكنهم ليسوا باموات في المبادئ، والبلى وان اشتمل الجسد، لكنه لا يمكنه ان يمحي الثوابت التي من اجلها عاشوا وضحّوا في سبيلها، وبهذا المعنى يكون الشهداء احياءاً عند ربهم يرزقون.

فاذاً قد ظهرت هذه الحقيقة بأن المبادئ الاسلامية التي جسدها النبي ﷺ في حياته، ومن بعده عترته الذين ورثوا جيناته في دمائهم وآثارهم في صدورهم، وطبقوها في حياتهم جيلا بعد جيل، ولهذا السبب كانت عترة النبي ﷺ اعرف من غيرهم (فلا تقولوا بما لا تعرفون) من الحقائق الموروثة في الاسرة النبوية، وحيث ان زمام الحكم السياسي اغتصب منهم، فقد حافظت الاسرة على هذا الميراث، ولم يقف عامة الناس عليها، وان

(١) في هامش ب: أي خذوا النصيحة من النبيّ ﷺ الذي خُتم به النبوة، فإنّه قال: «إنّه يموت من مات منّا... الخ».

كان حقاً (فانّ أكثر الحقّ فيما تنكرون) للحروب الاهلية الطاحنة التي اشعل المناوئون نارها بين عترة النبي من جانب والمعارضة الاموية من جانب آخر، والتي كان من اولىٰ نتائجها: نكران الحق.

(٥/ط - ٨٧) **إمامة الإمام:**

وَٱعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَا هُوَ.

أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثِّقَلِ ٱلْأَكْبَرِ(١)؟ وَأَتْرُكْ فِيكُمْ الثَّقلَ ٱلْأَصْغَرَ(٢)؟ وَرَكَزْتُ(٣) فِيكُمْ رَايَةَ ٱلْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى(٤) حُدُودِ ٱلْحَلاَلِ وَٱلْحَرام؟ وَأَلْبَسْتُكُمْ ٱلْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي؟ وَ فَرَشْتُكُمُ ٱلْمَعْرِوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي؟ وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ ٱلْأَخْلاَقِ مِنْ نَفْسِي؟ فَلاَ تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيَما لَا يُدْرِكُ قَعْرَهَ ٱلْبَصَرُ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ(٥) إِلَيْهِ ٱلْفِكَرُ.

وذكر نفسه مثالاً لنكران الحق، وهو الامامة التي اجتمعت مواصفاتها فيه عليه السلام في الحرب الاهلية التي قادها بنو أُميّة ضده، فهو من عترة النبى وينطبق عليه ما استشهد به من سنة النبى من استمرارية الثوابت الاسلامية التي بشرّ بها النبي، فهو الحجة اسلاميا، فلا يكون عذر وحجة لغيره ضده، ولذلك قال عليه السلام: (وأعذروا) والعذر: الحجة، اي احتجوا في معرفة المواقف الاسلامية (من لا حجة لكم عليه، وهو أنا) لانه عليه السلام هو الحجة عليهم جميعا في نفسه من العلم والعمل، وقد استدل على ذلك بعبارة الاستفهام الذي لاجواب لها سوى الاثبات، بقوله:

١ ـ (الم اعمل فيكم بالثقل الاكبر؟) وهو القران الكريم، وراجع المادة في المعجم.

٢ ـ ([الم] اترك فيكم الثقل الاصغر؟) ويعنى بهم العترة، وهم ولداه الثقل الاصغر في عصره، وراجع المادة المعجم.

٣ ـ (قد ركزت فيكم راية الايمان) بتاريخ حياته في مطلع الاسلام قبل الحرب الأهلية.

٤ ـ (ووقفتكم على حدود الحلال والحرام) بالخطب والمواعظ والكتب والرسائل في مواضيع الساعة.

---

(١) في هامش الأصل وب: يعنى القرآن.
(٢) في هامش الأصل و ب : العترة.
(٣) في هامش ب: أي احكمت، وفي هـ. د: قد ركزت ـ ح .
(٤) في هامش ب، وفي نسخة: وقوّمت لكم.
(٥) في ب: تتغلغل، وفي هامش الأصل: التغلغل: تخلّل الأشياء. وفي هامش ب: تغلغل الماء في الشجر: إذا جرىٰ فيها، وأوغل الرجل بصره: إذا شدّد النظر.

٥ ـ (وألبستكم العافية من عدلي) حين تولّى الخلافة النبوية، واهمها تسوية العطاء.

٦ ـ (وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي) الفرش: البساط الذي يستخدم في الحياة، فأصبح العدل حاكما.

٧ ـ (وأريتكم كرائم الاخلاق من نفسي) بالسيرة العملية التي عاشها معهم، وكان فيه كأحدهم.

وهذه المواقف تستلزم الوثوق بالقيادة التي اتخذت السياسة العادلة في الحكم اساساً لا يمكن الانحراف عنها، ومن ذلك:

٨ ـ (فلا تستعملوا الرّأي فيما لا يدرك قعره البصر) اي لا تتكلوا على الآراء الشخصية التي تفتقر الى تمحيص وخبرة في اتخاذ القرار الصحيح والحاسم.

٩ ـ (ولا تتغلغل اليه الفكر) والتغلغل: الدخول، فان الامور التي لا يدخل الفكر المجرد في قراراتها يجب ان يحال امرها الى اهل الخبرة فيها، وليس الرأي الشخصي الظاهر ممّن ليس له الخبرة الكافية فيها، والتكلم فيها من دون معرفة الاسس في الماضي والاثار في المستقبل.

(٦/ ط - ٨٧) سلطة بني أُميّة:

ومنها[١]:

حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ[٢] عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ، تَمْنَحُهُمْ[٣] دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ[٤] مِنْ لَذِيذِ ٱلْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً[٥]، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا[٦] جُمْلَةً.

وفي هذا المقطع اشارة الى سؤال وجواب يدور دائماً بين اصحاب الحق ومعارضيهم. وملخص السؤال: اذا كان الحق معكم، فلماذا انتصر عدوّكم؟

وملخص الجواب: ان للباطل جولة وللحق دولة، ولابد وان تظهر الحقائق وتحكم في القلوب، وان استمرار الباطل انما يكون في الحكم في فترة محدودة ينتهي أمدها عاجلاً أم آجلاً:

---

(١) في هامش ب: ثم حكىٰ ما جرىٰ على الأمّة من بني اُميّة بأخذهم الأموال من المسلمين لأنفسهم حتىٰ ظن الناس أن الدّنيا ... الخ.

(٢) في هامش ب: أي محبوسة.

(٣) في هامش ب: أي تعطيهم تمنح قياسي وتمنح سماعي.

(٤) في هامش الأصل: المجّة: قدر ما يمجّ من الفم، أي: يلفظ.

(٥) في هامش الأصل: أي قطعة من الزمن، وفي هامش ب: دهراً.

(٦) في هامش ب: يطرحونها.

وقد اشار بهذا الىٰ موقفه وموقف أعدائه من بني أُميّة، فان السائل (يـظنّ أنّ الدّنـيا معقولة على بني أميّة) كالعقال الذي يعقل به البعير، والسبب في هذا الظن الفـترة التـي يتمعون بها في الحكم والمظاهر التي يعيشونها، منها:

١ ـ (تمنحهم درّها) والدرّ: اللبن؛ فان القوة الظاهرة تتمتع دائماً بأنعم الدنيا.

٢ ـ (توردهم صفوها) كما ترد الابل صفو الماء وتشرب منها صافيا.

٣ ـ (ولا يرفع عن هذه الامّة) الظلم بأنواعه سواءً الخفيف (سوطها) أو القتل (سيفها)، وهذه مظاهر كل سلطة حاكمة بالظلم والدكتاتورية.

وقد فنّد الامام عليه السلام هذا الظن بانه (ظن كاذب) وذلك بالتأكيد على حقيقة الصراع بين الحق والباطل والعدل والظلم، فان القوة الظالمة ـ مهما عظمت ـ لها صفتان مـلازمتان، هما:

الصفة الاولىٰ: انها تكون في مرحلة زمنية محدودة (بل هي مجّة) والمجة: مضمضة الماء في الفم ثم قذفه من الفم، ولذيذ العيش الذي يتمتع به بنو أُمية قصير؛ لانهم جدوا وعملوا من أجلها مضحين بكل ما يملكون فتحقق لهم هذا المـلك الزائـل ﴿وأن ليس للانسان إلاّ ماسعى﴾[1].

الصفة الثانية: انها تنقلب على نفسها (ثم يلفظونها جملة) فلا يبقىٰ لها اثر في القلوب، وذلك لان الظلم يعتمد علىٰ الانتباه التام واليقظة المستمرة، وليست تلك من طبيعة أي انسان، فلابد وان يتغلغل فيها عوامل الفساد وتتقضي عليها يوما ما ، ومـن أجـل ذلك تحصل الثورات من أقرب المقربين إلىٰ اصحاب السلطة، هذا مع ان ذلك يكون في مرحلة في زمنية محدودة في الحكم.

فان الحاكم الظالم إلىٰ نفسه يُعلّم الآخرين استخدام الظلم والقوّة للابقاء على الحكم، فتقوم الثورات باسلوب ادق للقضاء على الحكم الظالم. وعلى النقيض من ذلك الحكـم العادل، فانه لعدالته لايدعوا إلىٰ المعارضة إلاّ من يـتضرر بـالعدالة، وهـم بـالنسبة الى المجتمع أقلّية، وفقدان الحاكم العادل يحدث فراغاً وتعاطفاً شعبياً في التاريخ، كما هو مسطور في تواريخ الدكتاتوريات والحكومات الشعبية، وان كان لكل منهما اصـحاب، وسوف تبقىٰ الحقيقة، فان «للحق دولة وللباطل جولة» كما شرح الامام عليه السلام ذلك.

---

(١) النجم : ٤٠.

[الخطبة ٨٨]

ومن خطبة له عليه السلام
في بيان طبيعة أصحاب الدول

(١ / ط - ٨٨) **طبيعة الدول والملل:**

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللهَ(١) لَمْ يَقْصِمْ(٢) جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ(٣)، وَلَمْ يَجْبُرْ(٤) عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلاَء، وَفِي دُونِ مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عتْبٍ(٥) وَمَآ ٱسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ(٦) مُعْتَبَرٌ، وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ ذِي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ.

يتضمن هذا المقطع طبيعة اصحاب الدول، من الجبابرة الذين اتخذوا الدكتاتورية اساساً للحكم، وان مصير الجبابرة دائماً هو السقوط، وذلك ان الظالم يعتمد على الحذر من عوامل القضاء عليه داخلياً أو خارجياً، ولا يمكن لأي انسان مهما عظم ـ ان يستمر في الحذر طول العمر، ولابد وان تتغلغل فيه اصابع الفناء، إمّا من الداخل أو الخارج، فتقضي عليه، وهذه ارادة الله، لكي تظهر حقيقة الظالم (فانّ الله لم يقصم جبّاري دهر قطّ) كما يشهد به التاريخ الصحيح (إلاّ بعد) أمرين:

الاول: (التمهيل) لفترة من الزمن، حتىٰ تظهر فيها حقيقة الظالم على العموم، فيظهر فيها كذب الوعود والعهود التي قطعها على نفسه للشعب وغيره، ولولا هذه المهلة لأعلن

---

(١) في الف وب ود: الله سبحانه.

(٢) في هامش الأصل: لم يقصم: بالقاف والصاد المهملة: لم يكسر، يقول لا تغتروا بتمكّن الظالمين بعدي وتراخي مدة هلاكهم، ولا تستبطئوا نصر الحق وأهله، فهذه مشيئة الله في عباده، لحلمه وأناته وحكمته، وفي هـ ب: يقصم بالقاف: أي يكسر الشيء، وبالفاء: لم يقطع.

(٣) في هامش الأصل: الرخاء هو سعة العيش وخفضه.

(٤) في هامش الأصل: «لم يجبر عظم أحد» أي لم يجعل لهم العاقبة، وفي هامش ب: «لم يخبر عظم أحد» أي لم يصلح أحوال جماعة مستضعفين من المؤمنين.

(٥) في د: من عتب، وفي هامش الأصل: ويروىٰ: عتب. ويروىٰ: خصب، وفي ط: استقبلتم من عتب، وفي هامش الأصل، وفي نسخة ابن أبي الحديد: استقبلتم من عتب، قال: سمىٰ إنزال الزمان بهم المشاق عتباً؛ لأنّ فعله أشبه فعل العاتب.

(٦) في هـ. ص: «واستدبرتم من خطب» قال: يعني ما تصرم عنهم من الحروب والوقائع، ويروىٰ: «من خصب» قال: وما خلفتم وراءكم من الشباب والصحة وصفو العيش، وفي هامش ب: خطب: أمر عظيم، وفي هـ. د: خصب ـ م.

نفسه مظلوماً مهيّئاً لخدمة الشعارات التي رفعها.

الثاني: (الرخاء) فان في فترة الرخاء يخلد الظالمون الى الراحة، ويظنون ان الحياة من حقهم إلىٰ الابد، فاذا لم يحصل هذا في الجيل الاول فلابد وان يحصل في الجيل المتأخر عنهم، ومهما يحاول الظالمون تربية الجيل الثاني للاستخلاف على نفس السياسة، لكن الجيل الثالث لابد وان ينمو في جو من الرخاء الذي ينسيه التاريخ ما جرىٰ علىٰ آبائه، ويظن انه صاحب حق لا يمكن ان يسلب منه، وهذه بداية السقوط للظالمين.

واما طبيعة المستضعفين، فهي على العكس من الجبابرة تماماً، فمن اهمل دراسة التاريخ منهم لابد وأن يتأثر بالوعود والدعايات ويقع في امرين:

الاول: (الازل) وهو الشدة من سياسة الجبارين، وبها يظهر حقيقتهم وكذب عهودهم.

الثاني: (البلاء) وهو الامتحان في اختيار اسلوب المقاومة لسياسة الاستضعاف، وقد جرت ارادة الله سبحانه انه (لم يجبر) الكسور الحاصلة في (عظم أحد) بسبب سياسات الاستضعاف (من الامم) ـ كما تشهد تواريخ الامم السالفة بذلك، إلّا بعد حصول هذين الامرين، حيث تهبّ الامة الثائرة مطالبة بحقوقها بعد تجربة مريرة تمرّ بها.

الاعتبار بالتاريخ:

وليس من اسباب النجاح ما يكون اجدر من الاعتبار بالتاريخ، بالنظر الى المستقبل والماضي:

اما المستقبل (دون ما استقبلتم من عتب) وهو الوجد بسبب المشقة، فلا يمكن الحصول على الاهداف في المستقبل إلّا بمشقة وجهد مناسب لها.

واما الماضي (وما استدبرتم من خطب معتبر) والخطب: الأمر المكروه، فان حالة الاستضعاف مكروهة لكل أُمّة تريد الحرية من الاستعمار وسياساته، ولا تعبّر عن هذه الحالة بالكلام والخطب، بل بالعمل المدروس والتضحية المطلوبة حتى تحصل على الحرية، وحركات التاريخ التحرّرية خير شاهد على ذلك.

ولا يمكن هذا التحرر ولا الاعتبار إلّا بثلاث ثوابت اساسية، هي:

١ ـ الفكر للاعتبار من التاريخ (وما كلّ ذي قلب بلبيب) إلّا من استعمل قلبه النابض بالفكر الحرّ.

٢ ـ السماع لاهل الخبرة (ولا كلّ ذي سمع بسميع) فمن لا يسمع النصيحة فهو كمن لا يسمع اصلا.

٣ ـ النظر الى واقع الحال وعوامل النجاح والفشل (ولا كلّ ناظر ببصير) فان الناظر من دون اعتبار لا يكون متصفاً بنعمة البصر، وهو في الحالة كالأعمىٰ وان كان بصيراً.

وبالنتيجة: لا يكون هناك جبارون اذا اعتبر المستضعفون من التاريخ بالفكر الصحيح والاستماع الى اهل الخبرة والنظر الصائب في الاسباب والعواقب.

(٢/ ط - ٨٨) أسباب الفشل:

فَيَا عَجَباً! وَمَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَأَ هَذِهِ ٱلْفِرَقِ عَلَى ٱخْتِلاَفِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا؛ لَا يَقْتَصُّونَ[(١)] أَثَرَ نَبِيٍّ[(٢)]، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعِفُّونَ[(٣)] عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، المَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي المُعْضِلاَتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ[(٤)] فِي المُبْهِمَاتِ[(٥)] عَلَى آرَائِهِمْ؛ كَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى[(٦)] بِعُرىً ثِقَاتٍ[(٧)]، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

وسرد في هذا المقطع اسباب الفشل التي على راسها الانحراف عن سنة النبي الاعظم ﷺ، وما يترتب على ذلك من اسباب الفشل في الحياة.

والذي يدعوا الى العجب: ان الفرق الاسلامية كلها تؤمن بالنبيﷺ وتهمل ما سار عليه في حياته ، فان الايمان بالشخص يوجب العمل بدستوره (فيا عجبا!) من هذا التناقض في الايمان بالنبيﷺ واهمال دستوره (وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق) الاسلامية الكثيرة (على اختلاف حججها في دينها) التي دعت الى الاعتقاد بالاسلام دينا وبمحمد نبياً وبالقران كتاباً، وهذا الاعتقاد ينقصه العمل، ومن ذلك اسباب الفشل الاتية:

١ ـ اهمال سنة النبيّﷺ (لا يقتصّون أثر نبيّ) فان الرسول الاعظمﷺ اكمل الدين بسنته في حياته.

٢ ـ اغفال عمل القيادة (ولا يقتدون بعمل وصيّ) فان الوصيّ باعتباره القائد الاسلامي يجب ان يقتدى به.

٣ ـ (لا يؤمنون بغيب) مما أخبر به التنزيل الحكيم، من قوله:﴿ان تنصروا الله

(١) في هامش الأصل وب: أي لا يتبعون.
(٢) في هامش الأصل: اثر نبيّ: أي لا يعتمدون علىٰ ما آمنتم بالتمسك به من الضلال نحو قوله: «اني تارك فيكم» «أهل بيتي كسفينة نوح» وغيرهما.
(٣) في هامش ب: عفّ يعفّ فهو عفيف، أي لا يمسكون عن الأُمور التي تكون عيباً لهم.
(٤) في هامش ب: اعتمادهم.
(٥) في ط المهمّات، وفي هـ. د: المهمات ـ ح .
(٦) في هـ ب: يرىٰ من الرأي، أي: يظن.
(٧) في هامش ب، وفي نسخة: بثقاتٍ، وفي هـ. د: بعرىٰ موثقات ـ ن، بعرىٰ وبثقات ـ ك وحاشية م.

ينصركم﴾[١]

٤ ـ (ولا يعفّون عن عيب) يعفّون: أي يكفّون، فهم لا يكفون عن تتبع عيوب الآخرين، مهملين انفسهم.

٥ ـ (يعملون في الشّبهات) في حين انه يجب عليهم الانصياع واتباع اوامر القيادة.

٦ ـ (ويسيرون في الشّهوات) بالسير على ما تشتهيه انفسهم من دون تثبت.

٧ ـ (المعروف فيهم ما عرفوا) بسبب فقدان الثابته الاصيلة والفكر القويم، والاطاعة للقيادة.

٨ ـ (والمنكر عندهم ما أنكروا) أنفسهم، من دون تحصيل توجيه من القيادة.

٩ ـ (مفزعهم في المعضلات الى أنفسهم) والمفروض في المسؤول: الانضباط في المسؤولية والرجوع الىٰ القيادة المسؤولة وفي حل المعضلات من دون أنفسهم.

١٠ ـ (وتعويلهم في المهمّات على آرائهم) والمطلوب ان لا يتخذوا قراراً ارتجاليا من دون ارادة القيادة.

١١ ـ (كأنّ كلّ أمرىء منهم إمام نفسه) وذلك من عدم الانضباط الاداري والعسكري فيهم، حيث ان كل واحد منهم يتصرف فى القرار كما يحب ان يتصرف هو، وكأنه هو الامام، وذلك من نواحي ثلاث، هي:

اولاً: ان الامام بحكم قيادته يمثل العروة الوثقى.

ثانياً: ان الامام لا يتحرك إلاّ بعد تحقق الاسباب الداعية لذلك.

ثالثاً: ان الامام لا يأخذ إلاّ بـ(أسباب محكمات) دون المتشابهات، وان ادارة الدولة من دون قيادة حكيمة لابد وان تصاب بالفشل.

(١)

[الخطبة ٨٩]

ومن خطبة له عليه السلام

تتضمن هذه الخطبة رسالة الاسلام وابديتها على مرّ العصور والازمان

رسالة الاسلام ابدية على مرّ العصور والازمان، ولقد طبقها الرسول القائد في عصره وادّى رسالته كاملة، فكان هدى لمن آمن به ومن عاداه، حتى تمكن من تبليغ الرسالة كاملة.

والامام عليه السلام في عصره قام بتطبيق هذه الرسالة، فكان هناك من والاه ومن عاداه حتى استشهد الامام وطبق الرسالة كاملة. ويشير الامام في هذه الخطبة الى عصر الرسالة وموقف المؤمنين والاعداء، وكذلك عصر الامامة وموقف المؤمنين والاعداء، والمسؤولية الاسلامية في كل عصر.

(١/ط - ٨٩) **عصر الرسالة (في وصف الرسول الأعظم):**

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ[١] مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ[٢] مِنَ ٱلْأُمَمِ، وَٱعْتِزَامٍ[٣] مِنَ ٱلْفِتَنِ؛ وَٱنْتِشَارٍ مِنَ ٱلْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ[٤] مِنَ ٱلْحُرُوبِ.

يشير هذا المقطع الى اوصاف عصر الرسالة الاسلامية التي اوجبت بعثة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ليحمل مشعل الرسالة الاسلامية في ذلك العصر، ليهتدى من اهتدى عن بينة ويهلك من هلك كذلك، وهي:

١ ـ (فترة من الرّسل) والفترة: فقدان القائد للهداية المتمثلة في اعيان الرسل والانبياء لكبح جماح الماديين واهل الغرور.

٢ ـ (طول هجعة من الأمم) والهجعة: النومة حيث أصبحت الامم مستسلمة لرغبات المادة و الماديات وخاضعة لسيادة اهل الغرور.

٣ ـ (اعتزام من الفتن) والعزيمة: الارادة، فان في حالة غياب القيادة يفرض اصحاب

---

(١) في هامش ب: الفترة: الزمان الذي يكون ين مضيّ رسول ومجيء آخر.

(٢) في هامش الأصل: أي غفلة عن الشرائع، وفي هامش ب: هجعة أي نومة وغفلة.

(٣) في ص: اعترام. وفي هـ. د: واغترام، وروي: واعتراض ـ ك. وفي هامش الأصل: بالراء المهملة، من العرام، وهو الشدة، وبالزاي المعجمة من العزم، كأنه جعل للفتن عزم ومضيّ. وفي هامش ب: «اعترام لزوم الغفلة»، والاعترام مأخوذ من قولهم: شيء عارم، أي شديد.

(٤) في هامش ب: أي توقع.

الفتن ارادتهم.

٤ ـ(انتشار من الأمور) اشارة الى عدم اجتماع الرأي، وعلى اثر ذلك تختلف الامور و تنتشر من دون ضبط.

٥ ـ (وتلظّ من الحروب) بسبب فقدان القيادة الحكيمة المستندة الى العدالة في المجتمع.

(٢/ ط - ٨٩) **الحياة في الجاهلية:**

وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ؛ عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا[١]، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَإِغْوِرَارٍ[٢] مِنْ مَائِهَا.

٦ ـ(والدّنيا كاسفة النّور) للظلام المحيط بحياة الناس في الدنيا.

٧ ـ(ظاهرة الغرور) لاستعلاء المغرورين بالمادة والماديات على المستضعفين.

٨ ـ(على حين اصفرار من ورقها) فالحياة في دنيا كهذه تكون كالشجرة التي تئول الى ذبول اوراقهاالربيع الى الخريف، مما يفقدها البهجة.

٩ ـ (وإياس من ثمرها) والشجرة في حالة كهذه فاقدة للثمر، والحياة الجاهلية كذلك حياة مادية يأكل فيها القوي الضعيف.

١٠ ـ(واغورار من مائها) والاغورار: ذهاب الماء، فتكون الحياة الجاهلية كالبئر الغائر ماؤها.

ونتيجة الحياة الجاهلية:

قَدْ دَرَسَتْ[٣] أَعْلاَمُ[٤] الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلاَمُ الرَّدَى؛ فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ[٥] لأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ في وَجْهِ طَالِبِهَا.

١١ ـ(قد درست منار الهدىٰ) لفقدان القيادة العادلة في المجتمع.

١٢ ـ (ظهرت أعلام الرّدىٰ) حيث يظهر لتسلم القيادة ادعياء ، بالاعلام المظلل الذي يؤدي الى الردى.

---

(١) في هامش الأصل: شبهها بشجرة دنا يبسها.

(٢) في الف: غور، وفي ط: اغوار، وفي هامش الف، وفي نسخة: اغوار، وفي هـ. د: عور من مائها ـ ف، اغورار من مائها ـ ح وحاشية ن، وفي هامش الأصل: اغوّر الماء: ذهب، ويروى: إغوار.

(٣) في هامش ب: أي عفّت.

(٤) في ط منار الهدىٰ، وفي هـ. د: منار الهدى ـ ض ح .

(٥) في هامش ب، وفي نسخة: متهجّمة، وفي هامش الأصل: أي كالحة متنكرة وفي هامش ب: أي عابسة.

١٣ ـ (فهي متجهمة لأهلها) فتكون بالنتيجة الدنيا تنظر بوجه كريه الى اهلها.

١٤ ـ (عابسة في وجه طالبها) فمن يطلب الدنيا لا يواجه إلّا العبوس والتنكّر؛ لفقدان الامن فيها.

والسبب في ذلك:

ثَمَرُهَا[١] ٱلْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا ٱلْجِيفَةُ[٢]، وَشِعَارُهَا ٱلْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا[٣] السَّيْفُ[٤].

١٥ ـ (ثمرها الفتنة) لان الحياة الجاهلية كهذه يعمّها الفتنة على كل افراد المجتمع.

١٦ ـ (وطعامها الجيفة) ولا يحصل اهلها إلّا على طعام نتن كالجيفة لا يستساغ أكله.

١٧ ـ (وشعارها الخوف) بسبب فقدان الامن في المجتمع، فكل فرد خائف على حياته.

١٨ ـ (ودثارها السيف) قال الشارح (ت / ٦٥٦ ه): «... فالشعار ما يلي الجسد، والدثار فوق الشعار، وهذا من بديع الكلام ومن جيد الصناعة؛ لانه لما كان الخوف يتقدم السيف والسيف يتلوه، جعل الخوف شعاراً؛ لانه الاقرب الى الجسد وجعل الدثار تالياً له».[٥]

هذه هي الصفات العامة التي حكمت المجتمع المادي الجاهل، الذي تحكم فيه شريعة الغاب وعبادة المادة والماديات، حتى بعث الله محمّداً رسولاً للهداية ينطق بالرسالة الاسلامية لانقاذ البشرية وسوقها الى العدالة الاجتماعية.

٣ ـ الاعتبار بسنّة النبيّ ﷺ: (ط ـ ٨٩)

فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ ٱللهِ، وَٱذْكُرُوا تِيكَ[٦] الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ[٧]، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا[٨] تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ[٩] ٱلْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيما بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ

---

(١) في هامش الأصل: أي نتيجتها وفائدتها.
(٢) في هامش الأصل: أي الخبيث الحرام.
(٣) في هامش الأصل: هذا من بديع الكلام وجيّد الصناعة؛ لأنّه لمّا كان الخوف يتقدّم السيف، شبّهه بالشعار الذي هو لاصق بالبدن، والسيف بالدثار الذي يليه ويتصل به، انتهىٰ من الشرح.
(٤) في هامش الأصل: كلّ هذا البلاء لاطراح الشريعة والطاعة، فخوّفهم ان يقعوا في مثله لاطراح الطاعة وقد اطرحوا فوقعوا.
(٥) شرح النهج البلاغة ٦: ٣٨٩.
(٦) في هامش ب: حالة.
(٧) في هامش ب: أي تدبروا في الخصلة التي بسببها آباؤكم محبوسون.
(٨) في هامش ب: نفي.
(٩) في ب: ولا بكم، وفي هامش ب، وفي نسخة: بكم ولا بهم.

ٱلْأَحْقَابُ[١] وَٱلْقُرُونُ[٢]، وَمَا أَنْتُمُ ٱلْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ في أَصْلاَبِهِمْ بِبَعِيدٍ.

وفى هذا المقطع اشارة الى ان الرسالة الاسلامية التي بلغها النبيﷺ انما هي للعمل على مقتضى اهدافها التي طبقها ﷺ في حياته، واصحبت السنة الواجب الاقتداء بها، فقال: (فاعتبروا عباد الله) فان الرسالة الاسلامية ايمان واقرار وعمل (واذكروا تيك) اشارة الى سنة النبيﷺ لتطبيق الرسالة الاسلامية المنصوبة في المقام، فان السنة هي جزء من الرسالة؛ لقوله تعالى ﴿لَكُمْ في رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣] وذكر عليه السلام عدة اسباب للزوم الاعتبار برسالة الاسلام المتجسدة بسنة النبيﷺ، وهي:

١ ـ (الّتي آباؤكم وإخوانكم بها مرتهنون) والرهن: حبس الشيء لسبب، فان رسالة الاسلام هي التي اعطت شخصية ذاتية لهؤلاء الصحابة، الذين لولا رسالة الاسلام لما كان لهم تلك الشخصية الاسلامية.

٢ ـ (وعليها محاسبون) عند الله في الاخرة، وفي التاريخ الذي لا يرحم احداً.

٣ ـ (ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود) فان الصحابة كانوا كثيرين في اصحاب الامام، وكذلك التابعون، وليس احد ممن يخاطبهم الامام بعيد العهد بهؤلاء الاباء والاخوان الذين عاشوا مع النبيﷺ وشاهدوا سننه الواضحة في سبيل الله تطبيق رسالة الاسلام.

٤ ـ (ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب) والحقب: المدة الطويلة، كما هي حالة تواريخ الامم السالفة، فان طول المدة يوجب النسيان والغفلة، وليست الحالة كذلك بالنسبة الى السنة النبوية المطهرة؛ فانها لا تتجاوز جيلين من الصحابة والتابعين، فلا موجب للنسيان، والقرن مئة عام، والمفروض ان تاريخ الخطبة في حرب صفين عام ٣٨، فلم يمض على وفاة الرسول سوى ٢٧ عاماً.

٥ ـ (وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد) فان التابعين من اصحاب الامام في حرب صفين لم يكونوا قد تجاوزوا الثلاثين، واما الصحابة فقد شاهدوا سيرة الرسولﷺ بأعينهم.

وهذه النقاط الخمس توجب الاعتبار بسنة النبيﷺ في تطبيق رسالة الاسلام.

---

(١) في هامش ب: أي المدة والسنون.
(٢) في ب: والدهور.
(٣) الاحزاب: ٣٣ / ٢١.

(٤/ط - ٨٩) مواصلة السنّة النبوية:

وَٱللهِ مَا أَسْمَعَهُمُ[١] الرَّسُولُ شَيْئاً إلاَّ وَهَا أَنَا ذَا ٱلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ[٢]، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ ٱلْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بَالْأَمْسِ، وَلاَ شُقَّتْ[٣] لَهُمُ ٱلْأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ ٱلْأَفْئِدَةُ في ذَلِكَ الأَوَانِ[٤]؛ إلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا في هَذَا الزَّمَانِ، وَوَٱللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ[٥] وَحُرِمُوهُ[٦].

وسرد الامام عليه السلام اسبابا داعية للمواصلة على السنة النبوية، مؤكداً بالقسم باسم الجلالة، وهي:

١ ـ (والله ما اسمعكم الرسول شيئاً إلاّ وها أناذا مسمعكموه) فان قيادة الامام مستلهمة من توجيهات الرسول القائد صلى الله عليه وآله، وسائرة على خطاه في القول والعمل.

٢ ـ (وما اسماعكم اليوم بدون اسماعكم بالأمس) فكل ما سمعه الصحابة من الرسول صلى الله عليه وآله سمعوه من الامام من بعد الرسول صلى الله عليه وآله؛ لوحدة الرسالة الاسلامية الخالدة من دون زيادة أو نقيصة.

٣ ـ (ولا شقّت لهم الأبصار ولا جعلت لهم الأفئدة في ذلك الزّمان إلاّ وقد أعطيتم مثلها في هذا الزّمان) وهذا الخطاب للتابعين، فان ما كان يتمتع به الصحابة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله من الافئدة والابصار التي وعت الرسالة الاسلامية مباشرة، يتمتع بها التابعون، فلهم الافئدة والابصار التي اعطاهم الله تعالى مثلما اعطى من قبلهم في زمان قيادة الامام عليه السلام، فعليهم ان يعوا الرسالة الاسلامية ويطبقوها كمن سبقهم.

٤ ـ (و والله ما بصّرتم بعدهم شيئاً جهلوه) لمكانة الامام عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله حيث نقل لهم ما تربى عليه حجر النبي صبياً حتى وفاته صلى الله عليه وآله.

٥ ـ (ولا أصفيتم به وحرموه) والصفي: ما يمنحه الرئيس، فان التابعين لم يمنحوا شيئا لم منع منه من سبقهم؛ لوحدة الرسالة التى يحملها القائد.

وكل نقطة من هذه النقاط الخمس تؤكد على وحدة الرسالة الاسلامية في تطبيق السنة النبوية في كل من العصرين.

---

(١) في ب وط: اسمعكم.
(٢) في هامش ب: «يوم» مبني على الفتح؛ لأنّه مضاف إلىٰ المبني، وفي هامش ب: قال عليه السلام: كل ما أسمعكم الرسول فانا مسمعكم مثله بلا زيادة ولا نقصان.
(٣) في ب: وما شقت.
(٤) في ط: الأوان، وفي هـ. د: الأوان ـ ح.
(٥) في هامش ب: لا اعطيتم.
(٦) في هامش ب: من الحرمان.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في الشرح، ما نصّه:«وخلاصة هذا الكلام أن جميع ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله قاله لاصحابه قد قلت مثله لكم ، فأطاع أولئك وعصيتم أنتم ، وحالكم مساوية لحالهم . قلت : لو أن مجيبا منهم يجيبه لامكن أن يقول له المخاطبون : وإن كانوا نوعا واحدا متساويا ، إلّا أن المخاطب مختلف الحال ، وذلك لانك وإن كنت ابن عمه في النسب وأخاه ولحمه ودمه ، وفضائلك مشتقة من فضائله ، وأنت قبس من نوره وثانيه على الحقيقة ، ولا ثالث لكما ، إلّا إنك لم ترزق القبول الذى رزقه ، ولا انفعلت نفوس الناس لك حسب انفعالها له : وتلك خاصية النبوة التى امتاز بها عنك ، فإنه كان لا يسمع أحد كلامه إلّا أحبه ومال إليه ، ولذلك كانت قريش تسمى المسلمين قبل الهجرة الصباة أسلم أكثر الناس بمجرد سماع كلامه ورؤيته ومشاهدة روائه ومنظره ، وما ذاقوه من حلاوة لفظه وسرى كلامه في آذانهم ، وملك قلوبهم وعقولهم ، حتى بذلوا المهج في نصرته ، وهذا من أعظم معجزاته عليه السلام ، وهو القبول الذى منحه الله تعالى ، والطاعة التى جعلها في قلوب الناس له ، وذلك على الحقيقة سر النبوة ، الذى تفرد به صلوات الله عليه ، فكيف يروم أمير المؤمنين من الناس أن يكونوا معه كما كان آباؤهم وإخوانهم مع النبي صلى الله عليه وآله ، مع اختلاف حال الرئيسين وتساوى الاثرين كما يعتبر في تحققه تساوى حال المحلين ، يعتبر في حقيقته أيضا تساوى حال العلتين».(١)

قال الجلالي: وهذا الكلام من هذا الشارح العارف بالتاريخ غريب جداً، وذلك:

اولاً: فان قريش كانت اقرب الناس اليه، وكانت تسمع كلامه ليلاً ونهاراً، وكانت اشد الناس عداوة لرسالته الاسلامية كما هو معروف حتى اسلموا عام الفتح كرها.

ثانياً: ان اكثر الناس اسلموا بعدما وقفوا على حقيقة الرسالة الاسلامية العادلة، بالوعى والتطبيق العادل في حياته صلى الله عليه وآله.

ثالثاً: ان سر النبوة الذي تفرد به صلى الله عليه وآله هو رسالة الاسلام التي بلغها كاملة، وبما انها رسالة خالدة الى الابد، وجّه الامام عليه السلام كلامه الى كافة الصحابة والتابعين؛ لوحدة الرسالة التي يجب ان يستلهم منها كل مسلم من سنة النبي صلى الله عليه وآله الخالدة، فلا اختلاف في الحالين، والله العالم.

(٥ / ط - ٨٩) ساحة العمل الاسلامي:

وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ ٱلْبَلِيَّةُ(٢) جَائِلاً(٣) خِطَامُهَا، رِخْواً بِطَانُهَا؛ فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٦ :٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٢) في هامش ب: أي وقعت المحنة العظيمة؛ لأنّه الله إذا اضطرب زمام الناقة يصعب أمر راكبها.

ٱلْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

وختم الخطبة بمورد الاعتبار وساحة العمل، وهو تطبيق رسالة الاسلام مهتديا بسنة النبى الاطهر ﷺ. وقد اشار الامام عليه السلام الى ان الموقف موقف امتحان، لا تخلو منه حياة اي انسان مسلم، وذلك بوصف كامل للصعوبة في هذا الموقف.

١ ـ (نزلت بكم البليّة) اي المحنة العظيمة، قال الشارح: «هي فتنة معاوية وبني أمية»[(١)] والسبب في عظم المحنة انه لم يكن خافيا على الامام الذي عاصر الاحداث منذ عهد الرسالة، فان بني أُميّة كانوا يحاولون تحريف الخلافة الراشدة وقلب نظام الحكم الاسلامى الى الوراثة في الحكم، وكان ذلك ـ حقا ـ بليّة ومحنة عظيمة كما اثبت ذلك التاريخ.

٢ ـ (جائلاً خطامها، رخواً بطانها) ومثل هذه الفتنة بالناقة التي يستفاد منها للركوب اذا استقر خطامها وقوي بطانها، والخطام: مقدم الانف، والراكب يمسك بالزمام والخطام لضبط السير، والبطان: الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير لئلا يسترخي الركب، فاذا جال الخطام، أي لم يستقر في الانف ورخى الحزام، تعرض الراكب للسقوط من الناقة، فشبه عليه السلام الفتنة التى يواجهها الانسان المسلم في تغيير الثوابت الاسلامية الاصيلة بهذا المركب الغير المستقر، والمعرض لسقوط تلك المبادىء الاسلامية، اي تغيير الخلافة بالشورى الى الحكم الملوكى بالوراثة:

٣ ـ (فلا يغرّنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور) فان الدعايات الباطلة منهم انما هي لالهاء الانسان المسلم بالمادة والماديات، وهي قد قد تؤثر في ضعاف النفوس، وذكر عليه السلام الحكمة في عدم الاغترار بهذه الدعايات، بقوله:

٤ ـ (فإنّما هو ظلّ ممدود)، فان المادة والماديات حياة زائلة كزوال الظل الحادث بسبب نور الشمس، ففي كل لحظة تنقص من ذلك؛ لان الظل يمتد الى ما بعد حياة الانسان بالمحاسبات الرياضية وحياة الانسان كذلك يتحدد بعدد الانفاس، حسب الدقائق والثواني التي تقرب الانسان الى الموت، فلا يبقى للانسان سوى العمل الصالح، والتاريخ لا يرحم احداً.

---

(٣) في هـ. د: حائلاً ـ ك وفي هامش ب: جائلاً، من الجولان.

(١) شرح نهج البلاغة ٦ : ٣٩١.

[الخطبة ٩٠]

ومن خطبة له عليه السلام

تشتمل على قدم الخالق وعظم مخلوقاته، ويختمها بالوعظ

تضمن هذا المختار من الخطبة صفات الذات المقدسة وآثارها على المخلوقات في الآفاق والانفس، والحكم الالهي العادل في الخلق وختم ذلك بالموعظة.

(١/ط - ٩٠) صفات الذات:

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَٱلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ(١)، ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ(٢)، وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرتَاجٍ(٣)، وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ(٤)، وَلاَ بَحْرٌ سَاجٍ(٥)، وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ(٦)، وَلَا فَجٌّ(٧) ذُو ٱعْوِجَاجٍ، وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ، وَلَا خَلْقٌ ذُو ٱعْتِمَادٍ(٨)، وَذَلِكَ مُبْتَدِعُ ٱلْخَلْقِ(٩) وَوَارِثُهُ، وَإِلَهُ ٱلْخَلْقِ وَرَازِقُهُ.

افتتح المقطع بالحمد على صفات الذات، وهي:

اولاً ـ (المعروف من غير رؤية) الباصرة فان الذات المقدسة من المجردات، ولا تخضع الى المقايس المحسوسات.

ثانياً ـ (الخالق من غير رويّة) وهي التفكر، بل الخلق بارادته التي اذا أراد شيئا فانما يقول له: كن، فيكون.

ثالثاً ـ (الّذي لم يزل قائماً) اي ثابتا لا يزول؛ لكونه واجب الوجود، فلا آخر له.

رابعاً ـ (دائماً) لا أول له، فان وجوده قبل وجود اي شئ آخر من المخلوقات، وقد عد

(١) في هامش الأصل: هي الفكرة، يقال: رويتُ في الأمر وارتأيت، أي افتكرت.
(٢) في هامش ب: روي ان فوق السماء سبع سماوات، سبعة حجب دون العرش.
(٣) في هامش الأصل: أي اغلاق، ومن روىٰ: رتاج، علىٰ فعال، فهو الباب المغلق، وفي هامش ب: الأرتاج جمع رتج وهو الباب العظيم، ذات ارتاج مغلقه أبوابها.
(٤) في هامش الأصل: أي مظلم.
(٥) في هامش الأصل: أي ساكن في مكانه.
(٦) في هامش الأصل: جمع فج، وهو الطريق بين جبلين. وفي هامش ب: جمع فج، وهو كل ما ارتفع من الأرض، ويقال: مسلك بعيد.
(٧) في هامش ب: الفج ـ ها هنا ـ مسلك بعيد.
(٨) في هامش الأصل: أي مخلوق يسعىٰ برجلين يعتمد عليهما، ويجوز ان يكون الاعتماد هنا: البطش والتصرف.
(٩) في هامش ب، وفي نسخة: مبتدع الحق.

منها:

١ ـ (إذ لا سماء ذات أبراج) وهي ـ لغة ـ الاركان، فانها لا تعتمد في وجودها على ما يفتقر اليه عادة مثلها.

٢ ـ (ولا حجب ذات إرتاج) وهي الاغلاق؛ فان الحجب تغلق وتمنع من الوصول الى الشيئ، والوصول الى اعماق السماوات السبع لا يمنع منها مانع.

٣ ـ (ولا ليل داج) والداجي: المظلم.

٤ ـ (ولا بحر ساجٍ) والساجي: الساكن.

٥ ـ (ولا جبل ذو فجاجٍ) والفج: الطريق الواسع بين جبلين.

٦ ـ (ولا فجّ ذو اعوجاجٍ) فان الفج في الجبال لا يكون مسيراً مستقيماً.

٧ ـ (ولا أرض ذات مهاد) والمهاد: الانبساط كالفراش.

٨ ـ (ولا خلق ذو اعتمادٍ) اي لا مخلوق يسعى برجلين معتمداً عليها، أو يطير بجناحين؛ فان الذات المقدسة أزلية، كانت قبل هذه المخلوقات وامثالها، وهي باقية بعد زوال هذه المخلوقات كافة. وقد ذكر العلة في ذلك كله بقوله: (ذلك).

خامساً: (مبتدع الخلق) حيث اوجد المخلوقات من العدم المحض.

سادساً: (ووراثه) حيث يرجع اليه بعد فناء العالم (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام).

سابعاً: (وإله الخلق) المعبود بالحق.

ثامناً: (ورازقه) بالاسباب الطبيعية التي تيسّر له الحياة والاستمرار فيها حتى حلول الاجل.

(٢/ ط ـ ٩٠) مع المخلوقات:

وَالشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ دَائِبَانِ[١] فِي مَرْضَاتِهِ، يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرِّبَانِ كُلّ بَعِيدٍ، قَسمَ أَرْزَاقَهُمْ، وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ[٢]، وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ ٱلْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ[٣]، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى

---

(١) في ب، و هـ. د: دائبين ـ ش و م، وروي دائبين ـ ك، وفي هـص : دائبان: تثنية دائب، وهو الجاد المجتهد، وصفهما بذلك؛ لأنّ تعاقب سيرهما دائماً يشبه فعل المجتهد الجاد في العمل ،انتهىٰ من الشرح. وفي هـ ب: الدائبان: الليل والنهار، ودأب فلان في عمله، أي جد وتعب ونصب، وروي: والشمس والقمر دائبان. مبتدأ وخبر، ودائبين نصب علىٰ الحال أو الظرف.

(٢) في هـ. د: وعدد أنفسهم ـ ح .

(٣) في هامش الأصل وب: مستقرهم من الأرحام، ومستودعهم من الأصلاب.

بِهُمُ ٱلْغَايَاتُ[١].

وشرح في هذا المقطع ارادة الله سبحانه الحاكمة على المخلوقات كافة من الآفاق والأنفس.

ففي الآفاق:

اكتفى بقوله: (والشّمس والقمر دائبان في مرضاته) ولم يذكر غيرهما من آيات الآفاق؛ لانهما ابرزها، وكل ما في الوجود من حياة، فهو يستمد من نور الشمس، ولو لا ذلك لما عاش النبات ولا الحيوان، وحتى القمر، فانه يستمد نوره من الشمس، وبه يقاس الزمن التي بها يستمر الانسان في تنظيم الحياة. وكل من الشمس والقمر (دائبان) والدائب: الجاد المجتهد المتعب فيها، لا يفتران في مسيرتها الطبيعية التي خلقها الله عليها، ولهما اثران محسوسان في الحياة، فهما:

اولاً ـ (يبليان كلّ جديد) فكل جديد يؤوب الى البلى بمرور الزمن.

ثانياً ـ (يقربان كلّ بعيد) باحياء النبات والحيوان التي لا تنمو إلّا باختلاف الفصول الاربعة، المتأثرة بالشمس والقمر.

وفي الأنفس:

ان المخلوقين كلهم تحت قدرة الله سبحانه، وتتجلى هذه القدرة في مظاهر، ولولا ارادة الله سبحانه لما تحققت تلك المظاهر، واهمها:

١ ـ (قسم أرزاقهم) من الطفل الصغير الذى لا يعيش إلّا على الحليب، والكبير الذي يتنعم بالطعام والشراب وغيرهما مما يفتقر اليه في الحياة.

٢ ـ (وأحصى آثارهم) التي يخلفوها في مسيرة الحياة، الدالة على اشخاصهم وخصائصهم.

٣ ـ (وأعمالهم) التي ارتكبوها من خير أو شر، فان ذلك مثبت في تاريخ حياتهم.

٤ ـ (وعدد أنفسهم) باحصاء كل نفس من الاحياء والاموات احصاءً دقيقاً.

٥ ـ (وخائنة أعينهم)، فان النظرة تومئ الى الضمائر خيراً أو شراً.

٦ ـ (وما تخفي صدورهم من الضّمير) وان لم تظهر في النظرات والعبرات.

٧ ـ (ومستقرّهم) في الارحام.

٨ ـ (ومستودعهم) بعد الولادة من ارض الله الواسعة.

٩ ـ (والظّهور) التي انتقلت منها، الاصلاب الى الارحام في سلسلة النسب.

---

(١) في هامش ب: الغايات إشارة إلىٰ ما يكون في الآخرة من الثواب والعقاب.

١٠ ـ (إلى أن تتناهى بهم الغايات) في مسيرة الحياة، وهي الموت وما بعده الى يوم الحساب.

فان هذه النقاط العشر تبين مظاهر قدرة الله سبحانه على المخلوقين في انفسهم، وان الله سبحانه لم يخلق الخلق عبثاً، بل لمسؤولية انسانية يقومون بها في الحياة، ويؤدى كل منهم دوره المطلوب منه فيها.

(٣/ ط - ٩٠) الحكم العادل:

هُوَ ٱلَّذِي ٱشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَٱتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ[١]، وَمُدَمِّرُ[٢] مَنْ شَاقَّهُ[٣]، وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ[٤]، وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

وحيث ان المسؤولية الملقاة على عاتق اي انسان، هي ان يؤدي دوره الانساني الاسلامي في الحياة كما امر الله سبحانه، فتشمله الرحمة الالهية في الدنيا والآخرة، كما ان من يقصر في ذلك فانه سوف تحيط به النقمة، فيكون الحكم العادل في حق كل واحد منهما حسب استحقاقه، فالله سبحانه (هو الّذي اشتدّت نقمته) اي نقمته (على أعدائه) الذين خالفوا اوامره، وهو في نفس الوقت (في سعة رحمته) لان النقمة انما تكون بسبب استحقاق العقاب.

(واتّسعت رحمته لأوليائه) لاستحقاقهم ذلك بالطاعة، وهو في نفس الوقت (في شدّة نقمته)، وذكر عليه السلام امثلة لكل من النقمة والرحمة، اما النقمة فأمثلتها:

١ ـ (قاهر من عازّه) اي غالبه، فان الله غالب أمره.

٢ ـ (ومدمّر من شاقّة) والشقاق: المنازعة.

٣ ـ (ومذلّ من ناواه) والمناواة: المعاداة.

واما الرحمة فأمثلتها:

١ ـ (من توكّل عليه كفاه) فان من يتوكل على الله فهو حسبه.

٢ ـ (ومن سأله أعطاه) فان اول ما في السؤال والدعاء هو طمأنينة النفس.

٣ ـ (ومن أقرضه قضاه) بل يضاعفه له في الدنيا، في الذكر الحسن، و في الآخرة

---

(١) في هامش الأصل وب: أي غالبه، وفي العزة والغلبة.

(٢) في هامش الأصل: دمره ودمر عليه: أي أهلكه.

(٣) في هامش ب: أي خالفه.

(٤) في هامش الأصل: قاومة بالعداوة، وأصل اللفظة مهموزة وإنّما لينها لأجل القرينة السجعية، وفي هامش ب: أي عاداه.

بالثواب.

٤ ـ (ومن شكره جزاه) فان بالشكر تدوم النعم.

والتاريخ يشهد بان المتمردين على الحكم الالهي العادل في اي زمان ومكان عمتهم النقمة الالهية، وبائوا بالفشل في الآخرة، وهذا مصير كل من لا يدخل التاريخ من ابوابه.

(٤/٩٠ ـ ط) **الموعظة:**

عِبَادَ ٱللهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ[(١)] قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ ٱلْخِنَاقِ، وَٱنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ، وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ[(٢)].

والمقطع الاخير يتضمن الموعظة التي تترتب على معرفة صفات الله سبحانه، وآياته في الآفاق والانفس، والحكم العادل الذي لابد وان يواجهه الانسان في مسيرة حياته في الدنيا، ثم في الآخرة. ولقد اشار عليه السلام الى نقاط، هي:

١ ـ (عباد الله، زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا) فان التاريخ لا يرحم احداً، ولكل عمل وزن من الخير والشر لا يتعداه، وينبغي للعاقل ان يعرف مقدار نفسه في كل مرحلة من مراحل حياته.

٢ ـ (وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا) في الدنيا من الناس، وفي الآخرة من الله سبحانه.

٣ ـ (وتنفّسوا قبل ضيق الخناق) بانتهاز الفرصة في الحياة قبل الممات.

٤ ـ (وانقادوا قبل عنف السّياق) فان من لا ينقاد الى الحق والحقيقة، لابد وان يساق اليهما بعنف، وذلك بالموت الذي لا مفر منه.

٥ ـ (واعلموا أنّه من لم يعن على نفسه حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ) وكلمة (يعن) مبني للمعلوم، اي ان من لم يعن نفسه على شئ لا يمكن ان يحصل له ذلك الشيئ، فلابد لمن يريد شيئا ان يتحرك نحوه، فان من العبد الحركة و من الله البركة، فلابد لمن يريد الثواب والخير أو اي عمل آخر، ان يعين نفسه، بان يكون له (واعظ) يحثه على ذلك الشيئ (وزاجر) يمنعه عن الاشتغال عنه بامور اخرى ليس لها اولوية، واذا فقد الانسان هذه الاعانة من نفسه للعمل وتحقيق الاولويات (لم يكن له) في الحياة (من غيرها لا زاجر ولا واعظ)؛ لان الوعظ وحده لا ينفع اذا لم يكن في الانسان

---

(١) لم ترد «من» في ط.

(٢) في هـ. د: لا زاجر ولا واعظ ـ ح.

استعداد للعمل على مقتضى الوعظ، والله العالم.

[الخطبة ٩١]

ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح[١]، وهي من جلائل خطبه عليه السلام[٢]

روى مَسعَدَةُ بنُ صَدَقَةَ عن الصادقِ جعفرِ بن محمدٍ عليهما السلام، أنه قال: خطب أميرالمؤمنينَ بهذه الخطبةِ على منبرِ الكوفةِ؛ وذلك أن رجلاً أتاه، فقال: يا أميرالمؤمنين، صِفْ لنا ربَّنا[٣]، لنزداد له حبّاً، وبه معرفة؛ فغضِبَ ونادَى: الصلاة جامِعَةً، فاجتمع إليه الناسُ حتى غَصّ[٤] المسجدُ بأهلِهِ؛ فصعَدَ المنبَرَ وهو مغضَبٌ[٥] متغيّرُ اللّوْنِ، فحمَدَ الله وأثنى عليه، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:[٦]

قال الشارح ابن ابي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ): «الاشباح: الاشخاص، والمراد بهم ـ هاهنا ـ الملائكة؛ لان الخطبة تتضمن ذكر الملائكة».[٧]

وهذا اجتهاد غريب منه؛ لان الملائكة وان ذكروا في الخطبة، ولكن الخطبة لاتخصهم بالذكر، بل ذكر الامام عليه السلام فيها مخلوقات الله تعالى من السماء والارض، وحتىٰ خلق آدم وحواء وغير ذلك مما له وجود مستند الى خلق الله تعالىٰ، فلا وجه لتخصيص الملائكة.

ولم يرد كلمة (الاشباح) في هذه الخطبة، وان وردت الكلمة أو ما دونها في موارد من النهج، هي:

١ ـ الخطبة الاولى في خلق العالم. (احال الاشياء لأوقاتها ولائم بين مختلفاتها وغرز غرائزها وألزمها اشباحها..) (ط / ١)

٢ ـ قوله: (مالي اراكم اشباحاً بلا ارواح، وارواحاً بلا اشباح). (ط / ١٠٨).

٣ ـ قوله في الخالق جل وعلى: (لاشبح فينقضي ولا محجوب فيحوى). (ط / ١٦٣).

٤ ـ وايضاً: (ووأى [وعد الله] على نفسه إلّا يضطرب شبح مما اولج فيه الروح). (ط / ١٦٥).

فالشبح بمعنى البعد والعلوّ والشخص وما يعرف وينظر، والمعنى الجامع منها: ما له

---

(١) في هـ ص الأشباح الأشخاص؛ لأنّه ذكر فيها أشخاص العالم من الملائكة وغيرهم.
(٢) في أ و د زيادة: وكانّ سائل سأله أن يصف الله حتىٰ كأنّه يراه عياناً، فغضب لذلك.
(٣) في ط زيادة: مثل ما نراه عياناً.
(٤) في هـ ص وب: بفتح العين: إمتلأ.
(٥) في هامش الأصل: أي قد اغضب، أي قد فعل معه ما يوجب الغضب.
(٦) لم يرد «وروى مسعدة... الى ثمّ قال» في أ.
(٧) اشرح ٦: ٣٩٨.

وجود وتشخص مستقل وان لم تحس بالباصرة.

وعليه، فليس المراد خصوص الملائكة، بل كل المخلوقات التي لها وجود مشخص وان لم تحسها الباصرة القاصرة، وللتفصيل راجع المادة في المعجم.

(١/ ط - ٩١) وصف الله تعالىٰ:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ اِلّذِي لاَ يَفِرُهُ[١] الْمَنْعُ[٢]، وَلاَ يُكْدِيهَ[٣] اَلإِعْطَاءُ وَاَلْجُودُ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقَصٌ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاَهُ؛ وَهُوَ المَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وَعَوَائِدِ المَزِيدِ وَاَلْقِسَمِ، عِيَالُهُ[٤] اَلْخَلاَئِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِين إِلَيْهِ، وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ، وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَل، الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُن لَهُ قَبْلٌ[٥] فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَاَلآخِرُ الَّذِي ليس لَهُ بَعْدٌ[٦] فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ، والرَّادِعُ[٧] أَنَاسِيَّ اَلأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا اَخْتَلَفَ[٨] عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ[٩] مِنْهُ الحَالُ، وَلاَ كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ[١٠] عَلَيْهِ الانتِقَالُ.

افتتح عليه السلام هذه المقطع بالحمد، وسرد لاسباب الحمد - هذا - من صفات الذات ما يوجب الحمد لله سبحانه، ومنها:

١ - (الّذي لا يفره المنع والجمود) والوفور: الزيادة ، ومن الطبيعي ان الماديات انما تزيد بجمعها وكنزها، والمنع من اسباب ذلك؛ فان الجمود على الشئ وعدم البذل يستلزم توفره، ولكن الذات المقدسة غني عن العالمين اجمعين.

---

(١) في هـ ب: لا يعرّه، وفي هـ. د: لا يعره - ك، وفي هـ ص : لا يفره، أي لا يزيد في ملكه، وفي هـ ب: وفرته: إذا تركت ماله موفوراً عليه، والوفور: المال الكثير، وقولهم: نوفر ونحمل، وقولهم: وفرته جرعة ماله، يضرب هذا المثل للرجل يخصّك بشيء فترده عليه من غير سخط.

(٢) في ط ود زيادة: والجمود.

(٣) في هـ ص : الكدية - في الأصل -: صخرة تلاقي حافر البئر فتقطع حفره، فتوسع فيه في غيره، يقال: أكدىٰ: قطع عمله، وأكداه غيره: قطع عليه عمله. وفي هـ ب: أكدىٰ الحافر: إذا بلغ الكدية، وهي الأرض الصلبة، وأكديت الرجل عن الشيء: رددته عنه.

(٤) في هـ ص : عيال العائل: من يقوم بكفايته، يقال: عاله يعوله.

(٥) في هـ. د: الذي ليس له قبل - ك.

(٦) في ط: الذي لم يكن له بعد، وفي هـ. د: الذي لم يكن له بعد - ح .

(٧) في هـ ب: الرادع: الدافع، يقال: أردعته فارتدع، أي كففته فكفّ، والأُناسي: جمع انسان. وأصله اناسين، فاسقطت النون، وفي هامش آخر: اناسي: انسان العين.

(٨) في هـ ب: ما اختلف بالنفي، وجوابه: فتختلف - بالنصب -.

(٩) في ب فتحلف، وفي هـ. د: فتخلف - ن م ف.

(١٠) في هـ ب، وفي نسخة: فتجوز.

٢ ـ (ولا يكديه الإعطاء والجود) الكدي: الفقر، ومن الطبيعي ان الاعطاء يستلزم انتقال ما يعطى الى الغير، والجود به يستلزم فقدانه من المعطي، ولكن الله سبحانه غني عن العالمين اجمعين.

وقد اشار الى السبب في هذين، بقوله:(إذ كلّ معط منتقص، سواه) تعالى؛ لانه تعالى هو منبع العطاء، فلا ينقص منه شيئ، وان (كلّ مانع مذموم ما خلاه) لان المنع لا يستند الى حاجة الذات المقدسة، بل الى عدم استحقاق الانسان الممنوع عنه الشيئ؛ لانه سبحانه غني عن العالمين اجمعين، كما ورد عن الامام الرضا عليه السلام قوله:«ان اعطى عبداً أعطاه ما ليس له، وان منعه منعه ماليس له».(١)

٣ ـ (وهو المنّان بفوائد النّعم وعوائد المزيد والقسم) فان كل ما يصدر منه سبحانه انما هو تفضل على العبد من النعم العامة، واقلها نعمة الحياة وفوائدها على النفس والمجتمع، والعوائد المتزايدة وما يقسمه سبحانه على العباد من انواع الخيرات العامة في حياة كل انسان ونبات وحيوان.

٤ ـ (عياله الخلائق) والمنتفع من هذه النعم الخلائق اجمعين؛ من الانسان والحيوان والنبات، حيث ينتفعون جميعاً من أنواع ما خلقه الله سبحانه في الطبيعية السائدة في الكون، وان كان الانسان فيها اشرفها في ان الله سبحانه أكرمه بالعقل، وحمله من المسؤولية، ولذلك سرد بعض هذه النعم الخاصة ببني الانسان مستخدما ضمير العاقل في نقاط اربع.

أولاً: (ضمن أرزاقهم) فليس هناك من يموت من الجوع مادام عاملاً قانعاً.

ثانياً: (قدّر أقواتهم) حسب اعمارهم وقابلياتهم الجسمية.

ثالثاً: (نهج سبيل الرّاغبين إليه) بارسال الرسل وتشريع الشرائع.

رابعاً: (الطّالبين ما لديه) من يستخدم الحرية التي اباحها الله له من وجهها الصحيح.

٥ ـ (وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل) حيث انه منبع الجود فيكون طالب الجود من الذات المقدسة بالنسبة الى الذات المقدسة سواء فيما سئل فيه، وانما السؤال يعبر عن حاجة السائل فقط، فالله سبحانه بجود عليه بما سأل، في حين انه يجود عليه بالنعم العامة كالحياة التي لا يسأل عنها لجهل السائل بانها اهم مما يسأل، فالله سبحانه جواد على كل حال سواءً سئل ام لا، وهذا هو السبب الرئيسي لكل ما تقدم من النقاط الاربع.

٦ ـ (الأوّل الّذي لم يكن له قبل، فيكون شيئ قبله) وتلازم ازلية الذات المقدسة انها

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦: ٤٠٠.

الاول، ولا يتصورالازلي القبلية والبعدية، والازلية تلازم (ان لا يكون شئ قبله).

٧ ـ (والآخر الّذي ليس له بعد فيكون شئ بعده) وكذلك تلازم الازلية عدم الفناء؛ حيث لا مجال لتصور البعدية فيها، فتستلزم الازلية ان لا يكون بعده شئ.

٨ ـ (والرّادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه) قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ): «الاناسي: جمع انسان، وهو المثال الذي يرى في السواد». ثم تكلم في تأويل الكلام، فقال: «تقديره: الرداع اناسي الابصار ان تنال انوار جلالته».[١] وذلك لئلا يستلزم الجبر الذي عليه مذهب الاشعرية، والذي يظهر من سياق الكلام: ان المراد من الاناسي: الانس، وليس الانسان، والمراد من (اناسي الابصار) الابصار المأنوسةالحياة المادية، والمعنى ان الذات المقدسة بصفتها الذاتية تكون رادعاً، اي مانعاً من ان تكون مرئية للابصار المأنوسة بالرؤية؛ لان الذات المقدسة من المجردات، والمجردات من صفاتها ان لاترى بالعين المجردة؛ فان وجودها الذاتي يكون رادعا بوجوده من ان ترى، والله العالم.

وعلى هذا فالوجود الذاتي الازلي المجرد له اثران:

أولاً: ان لا يمكن لعين المجردة من ان تناله على حقيقته؛ لان عالم المحسوس لا يمكنه ان ينال عالم المجردات.

ثانياً: ان لا يمكن من ان تراه؛ لان الرؤية بالعين المجردة محسوسة ومحكومة لعالم الحس، فلا يمكن ان يرى المجردات. وان كان العقول تراه بالعقل المجرد، وعميت عين لا تراه.

٩ ـ (ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال) والذات المقدسة لا يتأثر بالاختلاف بالزمان والزمانيات، وبالنتيجة لا يختلف منه تعالىٰ الحال باختلاف الزمان.

١٠ ـ (ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال) وكذلك لا تتأثر الذات المقدسة بالمكان والمكانيات، فلا يتصور فيها الانتقال الذي هو مستلزم للوجود في مكان دون اخر، والذات المقدسة المجردة من كل عالم المحسوسات بما فيه الزمان والمكان؛ لتجردها عن المحسوسات.

وهذه الصفات العشر للذات المقدسة الازلية الابدية لها آثارها على الحياة، فهي:

(٢/ ٩١ ـ ط) منبع الجود:

وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ ٱلجِبَالِ[٢]، وَضَحِكَتْ[٣] عَنْهُ أَصْدَافُ[٤] ٱلْبِحَارِ؛ مِنْ

---

(١) شرح النهج البلاغة ٦: ٤٠١.

(٢) في هـ ب: ولو وهب واعطىٰ سبحانه هذه الأشياء ... التي خلقها في معادنها، وادّخرها في مظانها لمصالح العباد علىٰ ما تقتضيه وجوه الحكمة، لما نفذ سعة ما عنده ولا تنتهي

فِلَزِّ(٥) ٱللُّجَيْنِ وَٱلْعِقْيَانِ، وَنُثَارَةِ ٱلدُّرِّ وَحَصِيدِ(٦) الْمَرْجَانِ، مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ، وَلاَ أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ ٱلْأَنْعَامِ، مَا لاَ تُنْفِدُهُ(٧) مَطَالِبُ ٱلأَنَامِ؛ لِأَنَّهُ ٱلجَوَادُ الَّذِي لاَ يَغِيضُهُ(٨) سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلاَ يُبَخِّلُهُ(٩) إِلحَاحُ ٱلمُلِحِّينَ(١٠).

اشار الامام ﷺ في هذا المقطع الى امرين: سعة جوده تعالى، والسبب في ذلك.

سعة الجود: فان جوده تعالى غير محدود بحد مادي من زمان أو مكان، واشار في هذا المقطع الى نقاط:

الأول: ان الله تعالى (لو وهب) كل ما على الارض (ما تنفّست عنه معادن الجبال) قال الشارح: «تنفست عنه المعادن استعارة، فكأنها لما اخرجته وولدته كانت كالحيوان الذي ينفس».

الثاني: ما في البحار (وضحكت عنه أصداف البحار) اي تفتحت الاصداف عنه، كالضامك الذي يفتح فمه عند الضحك، وبما ان المعادن الطبيعية في الارض والبحار غير محصورة اشار الى بعضها، وهي:

١ ـ (فلزّ اللّجين) والفلز: الاجسام الذاتية، واللجين: الفضة خاصة.

٢ ـ (العقيان) وهي الذهب الخالص.

٣ ـ (نثارة الدّرّ) الى المنثور منه، فان الدر لا ينتفع به إلّا بالنثر.

٤ ـ (حصيد المرجان) وهو صغار اللؤلؤ، والحصيد منه: المتبدد بالنظام، أو المستحكم منه، وانما خص هذه المذكورات لانها ليست من عادة البشر الجود بها، بل البخل بها لانفسهم، والله سبحانه يفيض بها جوداً على العباد بالطرق الطبيعية.

الثالث: لان هذه العطايا الالهية الطبيعية لا تؤثر شئ من ذلك (في جوده) تعالى؛ فانه

مقدوراته.

(٣) في هـ ب: استعارة حسنة. وهي استعارة عن انفتاح الأصداف.

(٤) في هـ ب: صدف الدر: غشاؤها.

(٥) في هـ ص : الفلز ـ بكسر الفاء والعين وتشديد اللام ـ : اسم الأجسام الذائبة من الذهب والفضة ونحوهما، واللجين: الفضة، والعقيان: الذهب، وفي هـ ب: الفلز: اسم لأجناس سبعة التي هي: العقيان ـ وهو الذهب ـ واللجين ـ وهو الفضة ـ، والحديد، والنحاس، والرصاص الاسرب، والزئبق، وقيل: لها ثامن، وهو الخارصين.

(٦) في هـ ب: الحصيد: صغار اللؤلؤ.

(٧) في هـ ص : يقال: نفد المرء: فنيٰ، وانفده غيره: أفناه.

(٨) أي لا ينقصه، من غاض الماء: إذا نقص.

(٩) في هـ ب: يبخله، أبخلته: وعدته بخلاً، وبخلّته: أي نسبته إلىٰ البخل.

(١٠) في هـ ب: أَلَحَّ السائل علىٰ فلان، أي: أقام بالمسألة عليه وألحّ السحاب: إذا أدام مطره.

على خلق لما يماثلها قدير.

الرابع: (ولا أنفد سعة ما عنده) ونفد الشئ: فناؤه، فان من سعة جوده خلق ذلك.

الخامس: (ولكان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام) فان مخلوقات الله سبحانه لا تنحصر بالارض والبحار، مما اكتشفه الانسان، فان من خلق الله سبحانه في السماوات والعوالم الاخرى، بل الارض والبحار ما لم يكتشفه الانسان بعد، وقد يتمكن سلطان العلم ان يصل الى القمر، ويكشف ما يتمكن من استخدامه في سبيل الانسان والحضارة، والله اعلم بما يكتشفه بعد في الكرات الاخرى. فان ذلك من (ذخائر الانعام) والفواضل من الله سبحانه لما لا تنفذه ولا تفنيه (مطالب الانام) مما يفتقرون اليه في حياتهم، بل ان منها ما يستكشفونه بسلطان العلم لحياتهم.

(٣/ ط - ٩١) السبب:

واشار الى السبب في سعة الجود الالهي هذا، الى ان الذات المقدسة هي منبع الجود، ويلازم هذه الصفة امران:

الاول: (لأنّه الجواد الّذي لا يغيضه سؤال السّائلين) والاغاضة: النقص؛ فان الجود على السائلين لا ينقص الجود الصادر من منبع الجود.

الثاني: (ولا يبخله إلحاح الملحّين) الالحاح: الادامة في الطلب؛ فان استمرار الطلب من منبع الشئ لا ينقصه، وانما يتصور النقص فيما اذا لم يكن هناك منبع مستمر، والموجب للبخل انما هو خشية فناء الشئ، والمفروض ان الجود ذاتي لا يتصور فيه الفناء، وهذا هو السبب في سعة الجود الالهي للخلق اجمعين.

(٤/ ط - ٩١) طرق المعرفة:

فَٱنْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ[1]، فَمَا دَلَّكَ ٱلْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائتَمَّ بِهِ، وَٱسْتَضِيءُ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَمَا كَلَّفَكَ ٱلشَّيْطَانُ عِلْمَهُ، مِمَّا لَيْسَ فِي ٱلْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلاَ فِي سُنَّةِ النَّبِيّ ﷺ وَأَئِمَّةِ ٱلهُدَى أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ[2] مُنْتَهَى حَقِّ ٱللهِ عَلَيكَ.

وخص الامام عليه السلام المقاطع التالية لسؤال السائل الذي سأل قائلاً: (صف لنا ربنا مثل ما نراه عياناً) فأشار الى القنوات الصحيحة لمعرفة الله سبحانه، ثم فنّد عقيدة التجسيم التي ابتلي بها عباد الاصنام، والقول بالتشبيه، وكل ذلك من لوازم السؤال (مثل ما نراه عياناً)

(١) في هـ ص ، وفي نسخة: زيادة بعقلك.

(٢) في هـ ص ، وفي نسخة: هذا.

حيث ان رؤية المجردات عياناً أمر محال، فلا بد من ان تكون الرؤية بالقلب والايمان بالطرق الصحيحة.

واشار عليه السلام الى ان طرق معرفة الله ثلاثة، ورابعها باطل.

الاول: القرآن الكريم، الذي لا يأتية باطل من بين يديه ولا من خلفه.

الثاني: سنة النبي صلى الله عليه وآله، الذي فسر القرآن بعمله.

الثالث: سنه ائمة الهدىٰ في اتباع أثر النبي.

الرابع: الشيطان الذي لا يدعو إلّا الى ما يخالف القرآن وسنة النبي وائمة الهدى، وقد شرح الامام عليه السلام ذلك بقوله:

(فما دلك القرآن عليه من صفته تعالى فائتم به) فانه لابد من المصدر الاول للفكر الاسلامي، والعمل به (واستضيء بنور هدايته) لانه هدى للمستضيء.

والشيطان يدعوا الى أمور ثلاثة، هي:

١ ـ (ما كلّفك الشّيطان علمه، ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه) فان الله جعل الناس في سعة ما لا يطيقون، ولم يكلفهم فوق ذلك في كتابه الذي لا رطب ولا يابس إلّا فيه مما يحتاجون اليه.

٢ ـ (ولا في سنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله) الذي جاء مفسراً ومطبقاً لما يدعوا اليه القرآن، فما ليس من سننه صلى الله عليه وآله لم يكلف الله به.

٣ ـ ولا في سنة (أئمّة الهدى أثره) لانهم يروون آثار النبي صلى الله عليه وآله جيلاً بعد جيل، فما لم يذكروه فليس من الواجب الخوض فيه.

والشيطان يدعوا الى خرق هذه النواميس بالتكليف بعلم ما ليس في الكتاب، وما ليس في سنة النبي صلى الله عليه وآله، وما ليس في أثر ائمة الهدىٰ.

و بالنتيجة: فان طرق المعرفة الثلاثة اذا لم تتعرض لشيئ، تكون مما اختص الله سبحانه علمه به، ويجب ان لا يتكلفه العبد، و ان تكلفه انما هو من الشيطان، فيجب ايكال علمه الى الله (كل علمه إلى الله سبحانه).

ثم علل ذلك بقوله:(فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك)؛ اذ لو كان البحث فيه واجباً لذكره في القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين، وشرحه النبي الامين الذي جاء لتبليغه، ولرواه ائمة الهدىٰ، وحيث انه ليس كذلك فهو مالم يوجبه تعالى على العباد.

(ط ٩١ـ٥) الراسخون في العلم:

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلرَّاسِخِينَ فِي ٱلْعِلْمِ[(١)] هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ ٱقْتِحَامِ[(٢)] السُّدَدِ[(٣)] ٱلمَضْرُوبَةِ دُونَ ٱلْغُيُوبِ، ٱلْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلمحْجُوبِ، فَمَدَحَ ٱللهُ ٱعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ[(٤)] مَا لَمْ يُحِيطُوا به عِلْماً، وَسَمَّى تَرْكَهُمْ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَلاَ تُقَدِّرْ عَظَمَةَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ.

حدد الامام عليه السلام المفهوم لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّاسِخُونَ في ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[(٥)] راجع تفسير الاية في « اوضح البيان» للتفصيل، وبالاجمال؛ فان الرسوخ يستلزم عمق الايمان بالثوابت، وان هؤلاء يؤمنون بما انزل الله سبحانه روحا ونصاً، ولا يفرقون بين المتشابه والمحكم منه، دون اصحاب القلوب المريضة الذين يأخذون بالمحكم ويشككون في المتشابه، والامام عليه السلام في هذا المقطع يعرّف (الراسخين في العلم) بالاشارة الى صفاتهم بقوله: (هم اللّذين) يتواجد فيهم ما يأتي:

أولاً: (الّذين أغناهم) الله سبحانه (عن اقتحام السّدد المضروبة دون الغيوب) فهم ليسوا بحاجة الى البحث فيما يفضل، مما لم يوضح، بعد العلم بانه من الله سبحانه.

ثانياً: اشار الى السبب في الغنى، وهو (الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب) وهذا الاقرار الاجمالي هو نابع من الايمان المطلق بالله سبحانه، وما انزل جملة وتفصيلاً؛ لعلمهم بان الجهل بالتفسير بالغيب المحجوب لحكمة ارادها الله سبحانه، فكما انه سبحانه أوضح اشياء لحكمة، فكذلك ستر اشياء لحكمة، والايمان به تعالى يستلزم الايمان بهما معاً، كما قالوا: ﴿كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا﴾.[(٦)]

ثالثاً: (فمدح الله تعالىٰ) هؤلاء الراسخين في العلم حيث ذم غيرهم بان (في قلوبهم زيغ) دون الراسخين العلم، والسبب في مدح هؤلاء (اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً)، وهذا الاعتراف نابع من العلم بان التفكير المادي عاجز عن فهم الاسرار الالهية.

رابعاً: (سمّى) الله سبحانه (تركهم التّعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخاً)

---

(١) في هـ ب: الراسخون: المبالغون في العلم والثابتون.
(٢) في هـ ب: اقتحام الفرس في الماء: الدخول فيه بغير وسيلة.
(٣) في هـ ب: السدد: جمع سدة، وهي باب الدار، وها هنا كناية عن الخيام؛ لأنّها موصوفة بالمضروبة.
(٤) في هـ ب، وفي نسخة: تأوّل.
(٥) آل عمران : ٣ / ٧.
(٦) آل عمران : ٣ / ٧.

والسبب في وصف ذلك بالرسوخ هو انهم يعرفون حدود معرفتهم، ولا يتجاوزنها، دون اصحاب الزيغ؛ فانهم يحاولون الفتنة بالتركيز على ما ليس من حدود واجباتهم، فيتكلفون مالا يجب عليهم.

والنتيجة لهذا التحديد في معنى الرسوخ في العلم بالنسبة الى صفات الله سبحانه، والاقتصار على ما كلف الله سبحانه عباده منها وعدم تكلف غيرها، ولذلك قال عليه السلام: ان النتيجة امران:

الاول: (فاقتصر على ذلك) في مسألة الرؤية والصفات بما نطق به القرآن والسنة وائمة الهدى، دون غيرهم، فان ذلك حقيقة الرسوخ في العلم.

الثاني: (لا تقدّر عظمة الله سبحانه علىٰ قدر عقلك) لان الانسان المادى بفكره المادي لا يمكن ان يعرف الحكم والاسرار الالهية التي هي ما وراء الطبيعة المادية.

وبالنسبة الى من يتكلف ذلك (فتكون من الهالكين) وهم اتباع الشيطان الذي لا يتبعون القرآن والسنة وائمة الهدى، والله العالم.

(٦/ ط - ٩١) **القدرة الالهية:**

هُوَ ٱلْقَادِرُ ٱلذِي إِذَا ٱرْتَمَتِ[(١)] ٱلْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعِ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ ٱلْفِكْرُ المُبَرَّأُ مِنْ خَطَرِ[(٢)] ٱلْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّهَتِ[(٣)] ٱلْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَغَمَضَتْ[(٤)] مَدَاخِلُ ٱلْعُقُولِ فِي حَيْثُ لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ[(٥)] لِتَنَاوُلِ[(٦)] عِلْمِ ذَاتِهِ[(٧)]، رَدَعَهَا[(٨)] وَهِيَ تَجُوبُ[(٩)] مَهَاوِيَ[(١٠)] سُدَفِ ٱلْغُيُوبِ،

---

(١) في هـ ب: ارتمىٰ ... رمىٰ يقال: رميت الشيء، أي ألقيته فارتمىٰ.

(٢) في أ وط ود: خطرات، وفي هـ ص : مصدر خطر: أي عَرض، ويروىٰ: خَطرات، وفي هـ ب: وروي خطرات الوساوس، والوسوسة: حديث النفس.

(٣) في هـ ص : الوله: شدّة الشوق إلىٰ الشيء والولوع به، وفي هـ د: ويروىٰ: وتواهقت القلوب ـ ك. وفي هـ ب: أي تحيّرت، والوله: ذهاب العقل.

(٤) في هـ ص : أي دقت وخفيت، وفي هـ ب: الغامض من الكلام: خلاف الواضح، وقد غمض موضع، من قولهم للمطمئن من الأرض: الغامض.

(٥) في هامش الأصل: أي العبارات، فلا توضحه.

(٦) في د: لتنال.

(٧) في هـ. د: ويروىٰ لتنال علم ذلك ـ ر.

(٨) في هـ ب: أي كفّها.

(٩) في هـ ص : أي تقطع، من جاب الفلاة، وفي هـ ب: تقطع.

(١٠) في هـ ص : المهاوي: جمع مهواة، وهي ما يهوىٰ فيه، أي يتردّىٰ، وفي هـ أ : أي حفر يسقط فيها الناس، وفي هـ ب: مساقط.

مُتَخَلِّصَةً[(١)] إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ[(٢)]، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّـهُ لاَ يُنَالُ بِجَوْرِ الإعْتِسَافِ[(٣)] كُنْهُ[(٤)] مَعْرِفَتِهِ، وَلاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ.

واستعرض حقيقة القدرة الالهية كمثال لصفات الذات المقدسة التي لا يمكن للانسان المادي ان يصل الى حقيقتها؛ لان الفكر المادي محدود بالمادة، ولا يمكنه معرفة ما وراء المادة على حقيقتة، وسرد اربع جمل شرطية، لافتراض محاولات الانسان المادي لمعرفة حقيقة القدرة الالهية، وبين فشل هذه المحاولات لمجابهتها الردع عن معرفة حقيقة القدرة، فاالله سبحانه (هو القادر الّذي) اذا حصلت هذه ردعها.

الاول: (إذا ارتمت الأوهام) شبّهعليه السلام جولان الاوهام بالترامي (لتدرك منقطع قدرته) اي منتهى القدرة الالهية، وهذا دور الوهم.

الثانية: اذا (حاول الفكر المبرّأ) الخالص من اية شبهة (من خطرات الوساوس) بان يكون الفكر لمعرفة الحقيقة فقط (أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته) فان الهدف هو معرفة عمق القدرة الالهية بروح موضوعية صرفة، وهذا دور الفكر الحر.

الثالثة: اذا (تولّهت القلوب إليه) تعالى، و ذلك بشدة الميل لاكتشاف حقيقة القدرة الالهية، ليس بالطريقة العلمية الموضوعية، كما في الثانية، بل من طريق القلب، كما يسلك فيها اصحاب التصوف (لتجري كيفيّة صفاته) تعالى التى منها القدرة، وذلك باكتشاف مسلك باطني لهذه المعرفة، وهذا دور قلبي.

الرابعة: اذا (غمضت) اي دق في الابصار العميقة (مداخل العقول) اي طريق الدخول (حيث لا تبلغه الصّفات لتناول علم ذاته) وهذه اعلى مرتبة متصورة لمعرفة الحقائق، وهذا دور ذورة العلم.

وهذه المحاولات الاربع من كل دور من الوهم والفكر الحر والقلب والعلم، كلها تجابه الردع من الله سبحانه؛ لان القدرة الالهية ليست مما تدرك للانسان المادي مهما حاول.

نتيجة المحاولات:

الردع من الله سبحانه من معرفة حقيقة القدرة الالهية بالنتائج التالية:

اولاً: (وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلّصة إليه سبحانه) والجوب: قطع المسافة، والمهاوي: المهالك، والسدف: القطعة من الليل المظلم، والغيب: ما لا يعلم،

(١) في هـ ب: مقدرة التخلص إليه.
(٢) في هـ ص : أصاب الجبهة، ضرب الجبهة.
(٣) في هـ ص : أي السير في غير طريق. وفي هـ ب: التعسف: الأخذ على غير الطريق.
(٤) في هـ ص : الكنه هو الحقيقة.

والتخلص: الانتهاء الى الاعتراف بالقدرة الالهية من دون امكان معرفة حقيقتها عوداً على بدء.

ثانياً: (فرجعت إذ جبهت) اي ردت (معترفة) بعجز فكر الانسان المادي عن معرفة ماوراء الطبيعة، ومادة الاعتراف امران:

الاول: (بأنّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته) والجور: العدول عن الطريق المستقيم، والاعتساف: قطع المسافة على غير جادة معلومة؛ لان هذه العقول حاولت سلوكها فرجعت خائبة.

الثاني: (ولا تخطر ببال أولي الرّويّات خاطرة من تقدير جلال عزّته) والرؤية: التأنّي في الفكر، معترفة بان حقيقة القدرة الالهية مما لا يناله فكر الانسان المادي، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾[1] وحيث ان علمه من صفاته، وصفاته عين ذاته، فلا يمكن الاحاطة بقدرته تعالى.

(٧/ط - ٩١) خلق الكون:

اَلَّذِي اَبْتَدَعَ اَلْخَلْقَ عَلَى غيرِ مِثَالٍ اَمْتَثَلَهُ، وَلاَ مِقْدَارٍ اَحْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ[2] كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ[3]، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَاَعْتِرَافِ اَلحَاجَةِ مِنْ اَلخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا[4] بِمِسَاكِ[5] قُوَّتِهِ[6]، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ[7] قِيَامِ اَلحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَظَهَرَتْ[8] فِي اَلْبَدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلاَمُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلاً عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً؛ فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، وَدَلاَلَتُهُ عَلَى اَلمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.

---

(١) البقرة ٢ : ٢٥٥.

(٢) في هـ . د: من خالق معهود ـ ض.

(٣) في هـ ب: أي أرانا من الحكم العجيبة من أفعاله.

(٤) في هـ ب: الضمير للعجائب.

(٥) في ب: بمسلك، وفي هـ ب، وفي نسخة: بمسالك، وفي هـ . أ: المساك: ما يمسك به قوّته، والمساك: المكان الذي يمسك الماء، وفي هـ ب: استمسكت بالشيء: اعتصمت به، وفي هـ . د: بمسك قوته ـ ر، وحاشية م.

(٦) في هـ . د: قدرته ـ ب.

(٧) في هـ ص : بالنظر في شواهد الصنع والنظر في مقدمات تفضي إلىٰ العلم الضروري، وهذا مأخذ لقول أصحاب المعارف، الجاحظ ومن وافقه، ألا ترىٰ إلىٰ قول الجاحظ في كتابه «العبر والاعتبار»: فكر في كذا، فكّر في كذا: وهي دلالة صحيحة قد نبّه عليها الكتاب والسنة وكلام عليّ عليه السلام.

(٨) في هـ .د: فظهرت ـ ح.

وفي هذا المقطع اشار الى مظاهر القدرة الالهية، من خلق الكون أولا، ثم بـيان مـا يستلزمه من الدلالة على الخالق ثانياً.

ابتداع الخلق:

واشار في خلق الكون الى امور، هي:

١ ـ (الّذي ابتدع الخلق) والبدعة: الايجاد من العدم، فكان خلق الخلق بارادته، التي اذا اراد شيئا ان يقول له: كن، فيكون.

٢ ـ (على غير مثال امتثله) كما يقتضية الابداع، فان العدم المحض لا مثال له.

٣ ـ (ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله) فان الاقتداء تـقليد، وليس ابداعاً، والازلية من الصفات الالهية التي تنفي غيره.

٤ ـ (وأرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته) فان ملكوت قدرة الله الحاكمة على الكون من السيارات السبع وما فيها من نظام حكم دقيق، يظهر آثـار القدرة الالهية التي يمكن للانسان ان يتأسى بها في الحياة التي يعيشها.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في الشرح، ما نصّه:« قوله : ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ، يحتمل وجهين : أحدهما : أن يريد) بامتثله (مثله ، كما تـقول صنعت واصطنعت بمعنى ، فيكون التقدير أنه لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ، ثم احتذى ذلك المثال ، وركب العالم على حسب ترتيبه ، كالصانع الذى يصوغ حلقة من رصاص مثالا ، ثم يصوغ حلقة من ذهب عليها ، وكالبناء يقدر ويفرض رسوما وتقديرات في الارض وخطوطا ، ثم يبنى بحسبها . والوجه الثاني : أنه يريد بامتثله احتذاه وتقبله واتبعه ، والاصل فيه امتثال الامر في القول ، فنقل إلى احتذاء الترتيب العـقلي ، فيكون التقدير أنه لم يمثل له فاعل آخر قبله مثالا اتبعه واحتذاه وفعل نظيره ، كما يفعل التلميذ في الصياغة والنجارة شيئا قد مثل له أستاذه صورته وهيئته».[١]

(٨ / ط - ٩١) **الدليل على الخالق:**

واشار الى ان كل ممكن يفتقر في حدوثه الى مؤثر، وبما ان الكون من الممكنات، فان وجوده نفسه دليل على موجد له، والنظام الحاكم فيه دليل على القدرة الالهية المطلقة المؤثرة لذلك، وهذا ما لا يمكن للانسان المادي ان ينكره في حياته المادية، وذلك يكمن في الايمان بالقدرة الالهية بالاجمال. ولا يمكن للانسان المادي ان ينكر تأثير الفصول الاربعة في الحياة الانسانية على الارض والحيوان والنبات والجماد، فان هـذا التأثـير

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٦ : ٤١١.

المحسوس لابد له من مؤثر طبيعي يتسلسل حتى ينتهي الى علة العلل، وهو الله سبحانه، الذي بقدرته المطلقة خلق الكون في احسن نظام، يتضمن (آثار صنعته) الدالة عليه، و (أعلام حكمته) الظاهرة لمن تدبّر فيها، ونعم ما قيل:

وفي كل شيئ له آية   تدل على انه واحـد

(٩/ ط - ٩١) **شبهة التجسيم:**

وَأَشْهَدُ[١] أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلاَحُمِ حِقاقِ[٢] مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ[٣] غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ ٱلْـيَقِينُ بِأَنَّـهُ لاَ نِدَّلَكَ، وَكَأَنَّـهُ لَمْ[٤] يَسْمَعْ تَبَرُّأَ ٱلتَّابِعِينَ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِينَ، إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَـفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾[٥] كَذَبَ ٱلْعَادِلُونَ بِكَ[٦]؛ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ، وَنَحَلُوكَ[٧] حِلْيَةَ الْمَخلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ[٨]، وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِـخَوَاطِـرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى ٱلْخِلْقَةِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ ٱلْقُوىٰ[٩] بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ[١٠].

يتضمن هذا المقطع شبهات عبدة الاصنام، وبيان فسادها، وافتتح المقطع بـالشهادة اذعاناً بوضوح الرؤية في دعوى التوحيد، كما تشاهد الحقائق.

وملخصض الشبهة في عبدة الاصنام: انهم حاولوا تجسيم الصفات الالهية مما يقرب الى الفكر البشري المادي، فالقدرة الالهية في صنع العالم شبّه بكـثير الايـدي للـجسم

(١) في ب و ط : فأشهد، وفي هـ . د: وأشهد ــ ش، وفي هـ ب: أشهد أن من شبّه الله بـالأجسام والصور لم يعرفه يقيناً.

(٢) في ص : حقائق، وفي هـ أ، في نسخة: حقاق، والحقاق جمع حق بـضم الحـاء، وهـو رأس العظم عند المفصل، وفي هـ ب: حقاق المفاصل تشتمل عـلىٰ حكـمة الله تـعالىٰ مـحتجب تدبيرها، ومفصل العضو من العضو فيه تأمل للمتأمل، ترىٰ أحدهما كالحقة يدور فيها الآخر، مشدوداً هذا بصاحبه بالعصب، متلاحماً متصلاً، حتىٰ احـتذىٰ البـناؤن فـي بـنائهم بـالذكر والأُنثىٰ.

(٣) في هـ . د: روي ما يعقده غيب ــ ر.

(٤) في ب: فكأنه لم.

(٥) الشعراء ٢٦ / ٩٧ ـ ٩٧.

(٦) في هـ ص : أي الذين جعلوا عديلا لربهم، أي: مثلاً، وفي هـ ب: الذين يـجعلون لله عـديلاً وشريكاً، أي: حائدون بك عن الطريق.

(٧) في هامش ب: أي أعطوك.

(٨) في هـ ص : تصوّر الغائبات بصور المألوفات.

(٩) في هـ ب: القوىٰ جمع قوة، وهي في الأصل: الطاقة من الحبل، ورجـل شـديد القـوى: أي شديد أسرا.

(١٠) في هـ . د: بقرائح قلوبهم ــ ك.

الواحد، كانسان له عشرة أيد مثلاً، ويؤكد الامامعليه السلام بالشهادة بان الشبهة هذه تدل على القصور في معرفة الذات المقدسة، فجعلوا القدرة للصنم وكذلك سائر الصفات.

(فاشهد أنّ من شبهك بتباين أعضاء خلقك) بان يتصور للذات المقدسة جسما ذا اعضاء متباينة، من يد ولسان وما شابه، وتشبيه ذلك باعضاء الانسان المادي وهو (تلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة) والمفاصل: اعضاء جسم الانسان التي تنفصل بعضها عن بعض، والحقاق: رؤوس المفاصل، واحتجابها لانها مكسوة باللحم والجلد.

والسبب في هذه النسبة عند عبدة الاصنام هو (لتدبير حكمتك) وان تلك الحكمة يمكن ان تمثل بالجزء المادي للانسان، فان يد الله ـ في اعتقادهم ـ كاليد للانسان، وهكذا.

(١٠/ط ـ ٩١) ردّ شبهة التجسيم:

وقد رد الامام هذه الدعوى بان من شبّه الذات المقدسة المجردة بالماديات جهل الفرق بينها؛ فان النسبة هذه تكشف عن أمرين:

أولاً: (لم يعقد غيب ضميره على معرفتك) لان معرفة الله تلازم انه ليس من الماديات، والتشبيه يعني كونه مماثلا للماديات، وهذا خلف.

ثانياً: (ولم يباشر قلبه اليقين بأنّه لا ندّ لك) فان التشبيه يستلزم ان المشبه ندّ للمشبه به، وإلّا لم يكن تشبيها.

واشار الى فساد العبادة للاصنام استناداً الى هذا التشبيه الباطل كما كانت عليه عادة العرب الجاهلية الذين كانوا يعبدون الاصنام، وقد حاربها الاسلام حتى قلعت كل اثر للاصنام من الجزيرة العربية، وقال (وكأنّه) اي المشبه لم يقرأ القرآن، ولم يتدبر استدلاله في ابطال التشبيه (وكأنّه لم يسمع تبرّؤ التّابعين) وهم عبدة الاصنام (من المتبوعين) اي الاصنام (إذ يقولون) وهم يختصمون ـ كما حكاه سبحانه وتعالى بقوله: ـ ﴿تالله إن كنّا لفي ضلال مبين ○ إذ نسوّيكم بربّ العالمين﴾(١).

وبعد وضوح الحجة عليهم اعلن عليه السلام: (كذب العادلون بك) اللذين يجعلون لله عديلاً من الاصنام، وذكر من اسباب كذبهم:

١ ـ (إذ شبّهوك بأصنامهم) ونسبة غير المحسوس بالمحسوس تشبيه باطل وكذب.

٢ ـ (ونحلوك حلية المخلوقين) فان صفات المخلوقين لاتعادل صفات الخالق، والنحلة: العطاء، والحلية: الصفة.

---

(١) الشعراء ٢٦: ٩٧ ـ ٩٨.

٣ ـ (بأوهامهم) فان هذه الصفات التي جعلوها حلية، واعطوها للذات المقدسة انما تستند الى اوهامهم، وكلما استند الى الوهم فهو كذب وباطل.

٤ ـ (وجزّأوك تجزئة المجسّمات بخواطرهم) حيث ان الذات المقدسة مجردة غير مجزئة، كما انها ليست بجسم حتى تتجزأ، وان التجزئة مجرد خاطرة وفكرة خيالية لهم لا اصل لها.

٥ ـ (وقدّروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم) الى قدروا الذات المقدسة بخلقة الانسان المختلفة في القوي البشرية، لان الجسم الانساني مركب من عناصر مختلفة والذات المقدسة مجردة وبريئة عنها، وان كل ذلك مستند الى قرائحهم الشخصية الوهمية الخيالية.

وبالاجمال، فان كلما استند الى الباطل، فهو باطل.

(١١ / ط - ٩١) **التوحيد الخالص:**

وَأَشْهَدُ(١) أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَٱلْعَادِلُ بِكَ(٢) كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آياتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَأَنَّكَ(٣) أَنْتَ ٱللهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ(٤) فِي ٱلْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً(٥)، وَلاَ فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا(٦) مَحْدُوداً مُصَرَّفاً.

وختم عليه‌السلام هذا المقطع بالتوحيد الخالص مؤكداً على وضوح الرؤية في ذلك بالشهادة، فقال:

(واشهد أن من ساواك بشئ من خلقك) بأي سبب كان، واستناداً الى اية شبهة، فان المساواة بالخلق (فقد عدل بك) حيث جعل الذات المقدسة عديلاً للجسم المادي، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا (والعادل بك كافر).

وأشار الى ما يستلزم العدول من الكفر به، وهي:

١ ـ (كافر بما تنزّلت به محكمات آياتك) والقرآن الكريم يستعرض آيات كثيرة في محاربة الاصنام وعبادتها، كما هو مفصل في كتب التفسير.

---

(١) في ب: فأشهد، وفي هـ. د: فاشهد ـ ش.
(٢) لم ترد «بك» في أ و ب، وفي هـ. د: والعادل كافر ـ ش.
(٣) في ب: فأنّك، وفي هـ. د: فانك ـ ش.
(٤) في هـ ص : أي لم يكن ممّن يبلغ العقول غاية معرفته، ولا ذلك من ممكنها.
(٥) في هـ ب: أي، واشهد انك الله الذي لا يكيّف.
(٦) في هـ. د زيادة: فتكون ـ ض.

٢ ـ وكافر بما (نطقت عنه شواهد حجج بيّناتك) من الاحاديث النبوية والاحتجاجات المشروحة كتب العقيدة والكلام.

٣ ـ الحقيقة الواضحة بان غير المادي لا يقاس بالمادي، ولا يشابهه في شئ قط، فتكون النسبة باطلة من اساسها.

وبالنتيجة (إنك أنت الله الّذي لم تتناه في العقول)؛ لعجز العقول عن معرفة كنه الذات المقدسة، فلا يمكن ان تكون الذات المقدسة (في مهبّ فكرها مكيّفاً) لان العقول البشرية انما تقف على حقيقة كيفية ما يكون في مهب فكرها، من الماديات والمحسوسات، دون ما لا يكون كذلك كالمجردات وماوراء الطبيعة.

وأيضاً، فان العقول البشرية ان تمكنت على تحديد ما (في رويّات خواطرها) من الرؤية والفكر، فلا يمكن للعقول ان تقف على مالا يكون مدركاً في فكرها على الحقيقة، وكما لا يمكن للفكر الانساني تحديد الذات المقدسة التي هي من غير المحسوسات، كذلك لا يمكن له ان يكون (مصرفاً) اي قابلاً للحركة والتغيير بالتحليل العقلي.

(١٢ / ط - ٩١) التقدير الحكيم:

وَمِنْهَا:

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدبَّرَ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لِوَجْهَتِهِ[١] فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ[٢] دُونَ ٱلانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِه، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أَمَرَ بِالمُضِيّ عَلَى إِرَادَتِه، وَكَيْفَ[٣]؟ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ ٱلْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ[٤]، ٱلمُنْشِئُ أَصْنَافَ ٱلْأَشْيَاءِ[٥] بِلاَ رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ[٦] إِلَيْهَا، وَلاَ قَرِيحَةِ[٧] غريزَةٍ أَضْمَرَ عليها، وَلا تَجْرِبةٍ استفادها[٨] مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، ولا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ٱبْتِدَاعِ عَجَائِبِ ٱلْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بأمره، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَأَجَابِ إِلَى دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ[٩] المُبْطِيءِ، وَلاَ أَنَاةُ المُتَلَكِّيءِ[١٠]، فَأَقَامَ مِنَ

---

(١) في هـ ص : ـ بكسر الواو ـ الجهة التي يتوجه إليها.
(٢) في أ وب وط و د: ولم يقصُر، وفي هـ ب، وفي نسخة: لم يقصر.
(٣) في ط : فكيف .
(٤) في أ وب ود: مشيّئه.
(٥) في هـ ص : أي جاعلها أشياء.
(٦) في هـ ب: أي رجع.
(٧) في هـ ب: أي استنباط.
(٨) في أ وب وط ود: أفادها.
(٩) في هـ ب، وفي نسخة: ريب، وفي هـ ص : الريث: البطؤ.
(١٠) في هـ ص : التلكؤ: التحبس والتقاعد عن العمل، وفي هـ ب: سكوت المتحبس والمتشاجر، وتلكّأ في الشيء تباطأ فيه.

ٱلْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا(١)، وَنَهَجَ حُدُودَهَا(٢)، وَلاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا(٣)، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي ٱلْحُدُودِ وَٱلْأَقْدَارِ، وَٱلْغَرَائِزِ(٤) وَٱلْهَيْئَاتِ، بَدَايَا(٥) خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا(٦)، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَٱبْتَدَعَهَا.

واستعرض هذا المقطع التقدير الحكيم لنظام الكون مبتدئاً بوصف التقدير الالهي، ثم كيفية التقدير، ثم المقدرات، ثم أنواع التقديرات.

(١٣ / ط ـ ٩١) التقدير الالهي:

وذكر وصف التقدير الالهي بما يأتي:

١ ـ (قدّر ما خلق فأحكم تقديره) حيث ان القدرة الالهية مطلقة وتعلقت بالخلق، ولكن في تقدير حكيم صالح للكون فان ذلك هو المتعين في درجات الفيض الالهي.

٢ ـ (ودبّره فألطف تدبيره) والتقدير هو حسن التصرف، ولا يمكن غير ذلك منه تعالى، فان اللطف واجب ذاتي له تعالى، راجع المادة في المعجم.

٣ ـ (ووجّهه لوجهته) الوجهة ـ بالكسر ـ الجهة التي يتوجه نحوها، فجعل سبحانه لكل شيئ غاية يتحرك نحوها في سيرها التكاملي في الوجود.

٤ ـ (فلم يتعدّ حدود منزلته) ففي كل مرحلة من مراحل السير التكاملي شروط وواجبات لا تغييرالمخلوقات من حيث القدرة والطاقة في اداء تلك الادوار الطبيعيّة التي قدرها سبحانه.

٥ ـ (ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته) وتلك الطاقات في اداء ادوار تلازمها حتىٰ الوصول الى الغاية التي خلقت من اجلها.

٦ ـ (ولم يستصعب إذ أمر بالمضيّ على إرادته) ومن خصائص التقدم الالهي ان المخلوقات لم يستصعب ما قدر الله سبحانه لها، فمضت على ارادته طواعية، ثم علل نفي الاستصعاب بقوله:

---

(١) في هـ ص وب: أي اعوجاجها.

(٢) في هـ ص وب، وفي نسخة: حددها. وفي هـ ب: حددها، أي في حدها، يعني طرق نهج في الأرض ....

(٣) في هـ ص : لما ذكر انه تعالىٰ لاءم بين المتضادات، ذكر أنّه الذي ناسب بين المتناسبات.

(٤) الغرائز: الطبائع.

(٥) في هـ ب: بدايا جمع بدية، وهي الخليقة المبدء بها. أي هذه بدايا خلائق وإلٰها. من بدايا إلىٰ خلائق. أو يكون بدايا بدلاً من قوله اجناساً وخلائق عطف بيان، وفي هـ . د: والرواية الصحيحة: برأ خلائق ـ ك .

(٦) في هـ ص ، وفي نسخة: صنعتها.

٧ ـ (وكيف؟ وإنّما صدرت الأمور عن مشيئته) سبحانه النافذة في كل شئ، فاذا اراد الله شيئا فانما يقول له: كن، فيكون.

هذه هي صفات التقدير الحكيم الذي لا يمكن تطرق الخلل فيه، حيث ان كل حادث مقدر على آخر ينتهى الى ارادة الله سبحانه.

(١٤/ط - ٩١) **كيفية التقدير:**

واشار الى كيفية التقدير الالهي بان الله سبحانه (المنشيء أصناف الأشياء) انشأها بكيفية خاصة به سبحانه، لا يمكن للانسان المادي ان يتصوره، منها:

١ ـ (بلا رويّة فكر آل إليها) بل بارادته تعالى النافذة وهذا ما لا يمكن للانسان المادي.

٢ ـ (ولا قريحة غريزة أضمر عليها) والقريحة: قدرة الفهم، والغريزة: الطبيعة، وهما تكونان في الانسان المادي لنيل حاجاته بالتقدير المسبق، وهذا ما لا يكون في الذات المقدسة.

٣ ـ (ولا تجربة أفادها من حوادث الدّهور) فان الانسان المادي يقدر مستقبله على اساس تجارب سابقة قد يكون استفادها من اخطاء التاريخ من الحوادث، وهذا لا يقاس بما وراء الطبيعة.

٤ ـ (ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور) لان الشركة حاجة وهي فقر والذات المقدسة غني عن العالمين.

وهذه الصفات في كيفية التقدير لا يتلائم في شئ مع تقدير الانسان المادي.

(١٥/ط - ٩١) **المقدرات:**

واشار الى حالة المقدرات، منها:

١ ـ (فتمّ خلقه بأمره) فان ما يخلقه سبحانه بتقديره الالهي يكون تاماً؛ لانه احسن الخالقين.

٢ ـ (وأذعن لطاعته) ويكون المقدّر خلقه مذعنا بالطاعة للارادة الالهية.

٣ ـ (وأجاب إلى دعوته) فلم يكن تخلّف عن ارادة الله سبحانه في الوجود واداء الدور المقدر له.

٤ ـ (لم يعترض دونه ريث المبطيء) الريث: البطؤ، فلا يكون بين الارادة الالهية ووجود المقدر تخلف قط، فتحقق من دون ريث.

٥ ـ (ولا أناة المتلكّيء) الأناة: التؤدة، والتلكّؤ المتأخر، فلا يكون بين ارادة الله سبحانه وبين المقدرات تؤدة وتأخر قط، بل يتحقق فور ارادته الذي اذا اراد شيئا فانما يقول له: كن، فيكون.

(١٦/ط - ٩١) اقسام التقدير:

وأشار الى أنواع التقديرات بقوله:

١ ـ (فأقام من الأشياء أودها) الاود: الاعوجاج، فمن التقدير اقامة العوج في المخلوقات.

٢ ـ (ونهج حدودها) والنهج :الرسم والطريق؛ حيث جعل لها حدوداً طبيعية لا تتجاوزها.

٣ ـ (ولاءم بقدرته بين متضادّها) فان الليل والنهار من المقدرات خلقها سبحانه بحيث تتلائممسيرتها مما يصلح نظام الكون من الانسان والحيوان والنبات في سيرها التكاملي.

٤ ـ (ووصل أسباب قرائنها) حيث أن من التقدير الحكيم ان اوصل هذين المنقادين ـ الليل والنهار ـ باسباب يقرن بعضها ببعض في الطلوع والغروب، حتىٰ يصح النهار معاشاً والليل لباساً، في حركة متصلة باسبابها الطبيعية وفي نفس الوقت.

٥ ـ (وفرّقها أجناساً مختلفات) فان اختلافها في ذاتها وآثارها تكشف عن افتراقها فيما بينها، وأشار الى وجوه الافتراق بنقاط، هي :

أولاً: الحدود، فان لكل من الاشياء حدود ورسوم تمتاز عن غيرها في معرفة حقائقها.

ثانياً: الاقدار، ولكل منها قدر خاص وقدرة خاصة.

ثالثاً: الغرائز، فلكل منها غريزة خاصة تختلف عن طبيعة غريزة الاخرىٰ.

رابعاً: الهيئات، فلكل منها هيئة خاصة تمتاز به عن غيرها من الاشياء.

وهذه الخصائص الطبيعيّة متواجدة في كل شئ من الاشياء في الوجود، على اختلافها في الجنس، والنوع، والفصل ، والعرض الخاص، والعرض العام؛ سواءً تمكن العلم من اكتشافها باعيانها وخواصها، ام لا.

٦ ـ (بدايا خلائق أحكم صنعها) والبدي: المصنوع، فان هذه الاشياء التي خلقها الله سبحانه مصنوعات بارادة الله الذي أحكم صنعها لأداء دورها الطبيعي في الكون.

٧ ـ (وفطرها على ما أراد) بان جعل لها فطرة خاصة تسير عليها في سيرها التكاملي كما جعل للانسان فطرته الخاصة التي فطره عليها.

٨ ـ (وابتدعها) وقد ابتدع الله سبحانه خلق هذه الاشياء بقدرته المطلقة على أتم تقدير.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ ﻫ) في الشرح، ما نصّه:«والخلق والاخلاق والاشكال ، أمور عجيبة بديعة مبتكرة الصنعة ، غير محتذ بها حذو صانع سابق ، بل

مخلوقة على غير مثال، قد أحكم سبحانه صنعها، وخلقها على موجب ما أراد، وأخرجها من العدم المحض إلى الوجود، وهو معنى الابتداع، فإن الخلق في الاصطلاح النظرى على قسمين: أحدهما صورة تخلق في مادة، والثاني ما لامادة له، بل يكون وجود الثاني من الاول فقط من غير توسط المادة، فالاول يسمى التكوين، والثانى يسمى الابداع، ومرتبة الابداع أعلى من مرتبة التكوين».(١)

(١٧ / ط - ٩١) صفة السماء:

ومنها في صفة السماء:

وَنَظَمَ(٢) بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ(٣) فُرَجِهَا، وَلاَحَمَ(٤) صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ(٥) بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ(٦) مِعْرَاجِهَا، ونَادَاهَا بَعْدَ(٧) إِذْ هِيَ دُخَانٌ(٨)، فَالْتَحَمَتْ(٩) عُرَى أَشْرَاجِهَا(١٠)، وَفَتَقَ بَعدَ الإِرْتِياقِ(١١) صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا، وَأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ(١٢) عَلَى نِقَابِهَا(١٣)، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ رَائِدِةٍ(١٤)، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً(١٥) لِنَهَارِهَا، وَقَمَرِهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا(١٦)، فَأَجْرَاهُمَا فِي

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٦: ٤١٨.
(٢) في هـ. د: فنظم ـ ع.
(٣) في هـ ص: جمع رَهوة، وهو ما ارتفع من الشيء، وفي هـ ب: أوساط، والرهوة: المرتفع.
(٤) في هـ ب: أي جمع.
(٥) في هـ ص: بالتشديد ـ أي شبك، وفي هـأ: وشج من الوشيجة، وهي عروق الشجرة، ومنه: الواشجة، للقرابة المشتبكة، وفي هـ ب: أي خطّط.
(٦) في هـ ص: هو ضد السهولة، وفي هـ ب: أي صعوبة.
(٧) في هـ ب: مبنيّ على الضم بدلاً لـ«بعد».
(٨) في ب زيادة: مبني.
(٩) في هـ ب: من لحمة الثوب.
(١٠) في هـ ب: شرج العيبة: عروتها، ومجرّة السماء يسمىٰ شرجاً، وشرج الوادي: منفسحه، والجمع: اشراج.
(١١) في ط و د: الارتتاق، وفي هامش ب، وفي نسخة: الارتتاق.
(١٢) في هـ ب: جمع شهاب، وهو النجم، وأصله النار، والثواقب: جمع ثاقب، وهي المضيئة.
(١٣) في هـ ب: علىٰ نقابها، أي طرقها، جمع نقب، وهو الطريق في الجبل.
(١٤) كذا في أ وص: ظاهراً ويحتمل: «رابدة»، وفي ب وط ود: بايدة، وفي د: بأيْدِهِ، وفي هـ ب، وفي نسخة: بايدة أي هالكة. وفي نسخة: ذايدة، وفي هـ. د: في خرق الهوا رائدة ـ ف ع، بائدة ـ م ل، من راد يرود: إذا جاء وذهب.
(١٥) في هـ ب: أي علامة واضحة مضيئة، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهارِ مُبْصِرَةً﴾ أي تبصر في النهار، كما يقال: ليل نائم، أي ينام فيه.

مَنَاقِلِ[١] مَجْرَاهُمَا[٢]، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا[٣] فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ ٱللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيَعْلَمَ عَدَدَ السِّنِينَ وَٱلْحِسَابِ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا[٤]، وَنَاطَ[٥] بِهَا زِينَتَهَا، مِنْ خَفِيَّاتِ[٦] دَرَارِيِّهَا[٧] وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا، وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ[٨] بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلَالِ[٩] تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا.

وسرد الامام عليه السلام في هذا المقطع مظاهر القدرة الالهية في خلق السماء، فقال:

١ ـ (ونظم بلا تعليقٍ رهوات فرجها) فان الطبيعة السامية التي تعلو الارض بابعادها التي لا يعلمها سوى الله سبحانه، فيها انظمة طبيعية حاكمة عليها، ولها (رهوات)، أي مكان مرتفع متسع، كما ان لها صدوع اي امكنة منخفظة، وقد اكتشف العلم الحديث هذه المسارات الطبيعيّة التي تبث منها الذبذبات الصوتية، وكل ذلك بنظام دقيق من دون تعليق وارتباط ظاهر للابصار، كل ذلك دليل على قدرة عظيمة من الله سبحانه وتعالى.

٢ ـ (ولا حم صدوع انفراجها) والفرجة: المكان الخالي، واللحام: اللصق، والصدع: الشق، فان الجيوب الهوائية التي قد تعرض الطائرات الى الهبوط المفاجئ فيها، لها حدودها الضيقة، وهي بصفة عامة متلاحمة.

٣ ـ (ووشّج بينها وبين أزواجها) الوشج: الشبك، فان بين هذه المخلوقات العلوية في السماء روابط تحكمها الطبيعيّة بارادة الله تعالىٰ.

٤ ـ (وذلّل للهابطين بأمره والصّاعدين بأعمال خلقه حزونة معراجها) الحزونة: ضد

---

(١٦) ممحوّة، أي يمحى ضؤها في بعض ساعات الليل في بعض ليالٍ من الشهر، وفي جميع الليل في أوقات من الشهر، وهي أوله وآخره.

(١) المناقل: مجراهما، ومحلّ منتقل الشمس والقمر، وهو مدار الشمس والقمر.

(٢) كذا في ص وأ وب، وفي ط: مجزيّهما.

(٣) في أ وب ود: مسيرهما.

(٤) في هـ ب، وفي نسخة: فلكاً، الفلك هو المدار الذي يكون للكوكب في السماء، وفي هـ ص: قال في الشرح: هذا يقتضي إنّ الفلك غير السماء، وهو خلاف قول الجمهور، انتهى وكأنّه علىٰ نحو العجل التي تنقل الكائنات، والله أعلم. وفي هـ ب: الفلك: استدارة السماء ويقال: دوران السماء.

(٥) في هـ ب: أي علّق.

(٦) في ب: حفيّات.

(٧) في هـ ب: جمع درّ، وهي كناية عن النجوم.

(٨) في هـ ب: كان الشياطين قبل بعث النبيّ صلى الله عليه وآله يصعدون ويسمعون كلام الملائكة علىٰ نحو السّرقة.

(٩) في هـ أ: أذلالها، أي مجاريها وطرقها.

السهولة، والعروج الى السماء من دون سلطان العلم امر حزن، ولكن الله سبحانه ذلل ذلك للمخلوقات العلوية، ومنها: الملائكة بالهبوط الى الارض لتنفيذ أمره والصعود بـاعمال خلقه حسب الادوار المنوطة بهم.

٥ ـ (وناداها بعد إذ هي دخان فالتحمت عرى أشراجها) العرى: جمع العروة، والشرج: ما انفسح من الشيء، وذلك اشارة الى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّماءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾(١) فان بعد النداء الالهي التحمت العرى مما انفسح منها بعد ان كانت دخاناً، واصبحت الكواكب فيها اجزاء متسلسلة في مسارها الطبيعيّة التي اراد الله لها.

٦ ـ (وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها) الفتق: الشق، والرتق: اللصق، وفي هذا اشارة الىٰ قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلسَّماوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾(٢). وصوامت الابواب قد تكون كناية عما يحثه سبحانه في السماء من توسعة الكون باستمرار، والله العالم.

٧ ـ (وأقام رصداً من الشّهب الثّواقب علىٰ نقابها) الرصد: المراقبة، والشهب: الكواكب والثاقب: المضيئ والنقاب: الطريق الضيق في الجبال، وفي ذلك اشارة الىٰ قوله تـعالىٰ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّماءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ○ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِـنْهَا مَـقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾(٣). وراجع اوضح البيان في تفسير الآية من سورة الجن.

٨ ـ (وأمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده) حيث ان الله سبحانه خلق الكواكب في مسارها متماسكة بقوانين الجاذبية الطبيعيّة، وبذلك اسكلها من ان تمور اي تضطرب (في خرق الهواء) والخرق: الثقب، والهواء باعتباره مفتوحا للمرور فيه، بـمنزلة الثـقب للكواكب، فقد اسلكها سبحانه (بأيده) اي بقدرته التي هي وسيلة لتحقيق الامساك، كما ان اليد كذلك في الحياة العادية.

٩ ـ (وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره) فالسماء وما فيها من الكواكب تتحرك بارادته المقدسة على الوسائل الطبيعيّة المنتهية الى ارادة الله سبحانه، ولكنه سبحانه بارادته العليا يأمرها بالوقوف عن الحركة استسلاما لامره عند قيام الساعة.

١٠ ـ (وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها) فلولا ضوء الشمس لما اهتدى الانسان في حياته لمعاشهالنهار.

---

(١) فصّلت : ٤١ / ١١.
(٢) الانبياء : ٢١ / ٣٠.
(٣) الجن : ٧٢ / ٨ ـ ٩.

١١ ـ (وقمرها آية ممحوّة من ليلها) فلولا ظلام الليل لما كان للانسان سكن في الحياة.

١٢ ـ (وأجراهما في مناقل مجراهما) فان لكل من الشمس والقمر مراحل تنتقل فيها في ادوار السنة حسب البروج الاثني عشر.

١٣ ـ (وقدّر سيرهما في مدارج درجهما) بحساب دقيق يسير كل واحد منها درجة درجة، وأشار الى اثرين واضحين لهذا التقدير منذ عرف الانسان التاريخ، وهما:

١٤ ـ أولاً: (ليميّز بين اللّيل والنّهار بهما) وكل من الانسان والحيوان والنبات يحسن بهذا التمييز، ولكل منها ساعة عمل وساعة راحة وساعة نوم، في حياتها وسيرها التكاملي.

١٥ ـ وثانياً: (وليعلم عدد السّنين والحساب بمقاديرهما) كما هو مضبوط في التاريخ الشمسي الذي يبتني على الفصول الطبيعية، والتاريخ القمري الذي يبتني علىٰ الهلال من كل شهر.

وفي ذلك اشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾(١). وقوله تعالىٰ: ﴿ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾(٢).

١٦ ـ (ثمّ علّق في جوّها فلكها) والتعليق: الربط، والجوّ الفضاء، والفلك: المسار؛ فان الله سبحانه جعل مسار كل كوكب في الفضاء الخاص الذي يكون فيه مساره، بحيث لا يتعدى الى مسار آخر، ولو حصل ذلك ـ كما يحصل في يوم القيامة ـ لكان فيه دمار العالم.

١٧ ـ (وناط بها زينتها) والنوط: التعليق، فان الكواكب زينة في السماء، مرتبطة ارتباطاً كاملاً بها، وقد مثل لذلك بامرين:

١٨ ـ أولاً: (من خفيّات دراريّها) وهي النجوم الصغار كالدرر الخفية، لبعد نورها بسبب بعد جرمها عن الارض.

١٩ ـ ثانياً: (ومصابيح كواكبها) وهي الكواكب السيارة والنجوم المضيئة؛ لقرب جرمها من الارض بالنسبة الىٰ غيرها، على ما في بعدهما من ملائين الاميال.

٢٠ ـ (ورمىٰ مسترقي السّمع بثواقب شهبها) وهم الشياطين المشار اليهم في الفقرة رقم (٧) وفي سورة الجن، الآيات: ٨ ـ ٩، وراجع اوضح البيان.

---

(١) يس: ٣٦ / ٣٩.

(٢) يونس: ١٠ / ٥.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّماءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ○ وَحِفْظاً مِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ○ لاَّ يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ○ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[١].

والخلاصة ان الله سبحانه أجراها علىٰ اذلال تسخيرها) الذي ـ بالكسر ـ: الطريق، والسخرة: العمل، فان الله سبحانه اجرىٰ الكواكب على ان تعمل في الطرق المعدة لهـا، وشرح ذلك بنقاط، هي:

أولاً: (من ثبات ثابتها) فان من النجوم ما تبدو للعين المجردة انها ثابتة في موضعها نسبياً، وهي نجمة الشمال، والتي بها يستدل على سائر النجوم.

ثانياً: (مسير سائرها) فان لكل كوكب فلك خاص لا يتعداه الى غير ذلك المسير.

ثالثاً: (وهبوطها) فان لكل كوكب مغرب خاص في كل يوم من ايام السنة.

رابعاً: (وصعودها) كما ان لكل كوكب مطلع خاص حسب الفصول.

خامساً: (ونحوسها) باعتبار الآثار المقارنة معها في الهبوط والصعود.

سادساً: (وسعودها) كذلك.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في الشرح، ما نصّه:«فإن قلت : ما باله عليه السلام قال : (ونحوسها وسعودها) ، وهو القائل لمن أشار عليه ألا يحارب في يوم مخصوص :) المنجم كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار (؟ قـلت : إنه عليه السلام إنما أنكر في ذلك القول على من يزعم أن النجوم مؤثرة في الامور الجزئية ، كالذين يحكمون لارباب المواليد وعليهم ، وكمن يحكم في حرب أو سلم ، أو سفر أو مقام ، بأنه للسعد أو النحس ، وأنه لم ينكر على من قال : إن النجوم تؤثر سعودا ونحوسا في الامور الكلية ، نحو أن تقتضي حرا أو بردا ، أو تدل على مرض عام أو قحط عام ، أو مطر دائم ، ونحو ذلك من الامور التى لا تخص إنسانا بعينه ، وقد قدمنا في ذلك الفصل ما يدل على تصويب هذا الرأى ، وإفساد ما عداه».[٢]

(١٨ / ط - ٩١) صفة الملائكة:

ذكر في هذا المقطع خلق الملائكة في أنواعهم الثلاث، من ملائكة الرسالة، وملائكة العمل، وملائكة العبادة، وقال الشارح ابن ابي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في هذا المقطع كلاما لا يمكن الاعراض عنه، قال ما نصّه:«هذا موضع المثل : إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل![٣]

---

(١) الصافات : ٣٧ / ٦ ـ ٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٦ : ٤٢٢.

(٣) نهر معقل : منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزني ، ذكر يـاقوت عـن الواقـدي أن عمر أمر أبا موسى الاشعري أن يحفر نهرا بالبصرة وأن يجريه على يد معقل بن يسار ، فنسب

إذا جاء هذا الكلام الرباني، واللفظ القدسي، بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه، نسبة التراب إلى النضار الخالص، ولو فرضنا أن العرب تقدر على الالفاظ الفصيحة المناسبة، أو المقاربة لهذه الالفاظ، من أين لهم المادة التى عبرت هذه الالفاظ عنها، ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله ﷺ هذه المعاني الغامضة السمائية، ليتهيأ لها التعبير عنها! أما الجاهلية فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش، أو ثور فلاة، أو صفة جبال أو فلوات، ونحو ذلك. وأما الصحابة فالمذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة، إما في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا، أو يتعلق بحرب وقتال، من ترغيب أو ترهيب، فأما الكلام في الملائكة وصفاتها وصورها وعباداتها، وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبهاله، وولهها إليه، وما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله، فإنه لم يكن معروفا عندهم على هذا التفصيل، نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم، ولا مرتبة هذا الترتيب، بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم، وأما من عنده علم من هذه المادة، كعبد الله بن سلام وأمية بن أبى الصلت وغيرهم، فلم تكن لهم هذه العبارة، ولا قدروا على هذه الفصاحة، فثبت أن هذه الامور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة، لم تحصل إلّا لعلى وحده. وأقسم أن هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعر جلده، ورجف قلبه، واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده، وهام نحوه وغلب الوجد عليه، وكاد أن يخرج من مسكه شوقا، وأن يفارق هيكله صبابة ووجداً».(١)

(١٩/ ط - ٩١) خصائص الملائكة:

ومنها في صفة الملائكة عليهم السلام:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى(٢) مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ، وَمَلأَ بِهِمْ(٣) فُرُوجَ فِجَاجِهَا(٤)، وَحَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا(٥)، وَبَيْنَ

إليه.

(١) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٦: ٤٢٥.

(٢) في هـ ص: يقال لوجه فلز عريض: صفيح وصفحة، انتهىٰ من الشرح، وفي هـ أ: الصفيح: الجانب، وفي هـ ب: كناية عن السماء وما فوقها، ويقال لوجه كل شيء عريض: صفيح وصفحة.

(٣) في ب: ملأ بهم.

(٤) في هـ ب: الفجوة: الفرجة بين الشيئين.

(٥) في هـ ب: جمع جوّ، وفي هـ. د: وروي اجوابها ـ ك.

فَجَوَاتِ(١) تِلْكَ ٱلْفُرُوجِ زَجَلُ(٢) الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ ٱلْقُدْسِ(٣)، وَسُتُرَاتِ(٤) ٱلْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ(٥) الَمجْدِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ(٦) ٱلَّذي تَسْتَكُّ(٧) مِنْهُ ٱلْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ(٨) نُورٍ تَرْدَعُ ٱلْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً(٩) عَلَى حُدُودِهَا.

استفتح الامام عليه السلام صفة الملائكة ببيان علو مساكنهم من مظاهر القدرة الالهية، فقال: ثمّ بعد ان خلق السماء بالصفة المتقدمة (خلق سبحانه لإسكان سماواته) المجردة عن الساكنين فيها، وقدر سبحانه لغرض (عمارة الصّفيح الأعلىٰ من ملكوته) والعمارة: المكان المسكون، والصفيح: السطح، والصفيح الاعلى: السماء؛ لعلوه على الارض (خلقاً بديعاً من ملائكته) وكفى هذا الخلق وصفا انه خلق بديع، ثم أشار الى مواضع تواجدهم وادوارهم، فقال:

١ ـ (وملأبهم فروج فجاجها) والفروج: الاماكن الخالية، والفجاج: الطريق الواسع، والسماء وسيع بذلك، ويزداد سعة، كما هو الثابت في العلم الحديث.

٢ ـ (وحشا بهم فتوق أجوائها) الحشو: الاملاء، والفتق: الشق، والجو: الفرجة من السحاب، فالملائكة متواجدون فيها.

٣ ـ (وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبّحين منهم) والزجل: الصوت، ودور الملائكة في تلك الاماكن هو صوت التسبيح لله سبحانه، وشرح المواضع منها بقوله:

٤ ـ (في حضائر القدس) الحضيرة: موضع الاتقاء من البرد، والقدس: الطهر، قال الشارح: «حضائر القدس، لفظة وردت في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذه اماكن الطهر الخالص».

٥ ـ (وسترات الحجب) الستر: ما يمنع من الرؤية، والحجب: ما يحجب الملائكة عن غيرهم، فهم من مسؤولية خاصة لايشاركهم فيها غيرهم.

٦ ـ (وسرادقات المجد) والسرادق: ما يغطي البيت، والمجد: التكريم بالثناء، فان

(١) في هـ ب: أي متّسعات.
(٢) في هـ ص : هو الصوت المردّد. وفي هـ ب: صوت.
(٣) في هـ ص : أي الحضائر المقدّسة، وفي هـ ب: مجاميع محفوظة.
(٤) السترات جمع سترة، وهو ما يستتر به.
(٥) السرادقات: جمع سرادق، وهو ما يمدّ على صحن البيت فيغطّيه.
(٦) في هـ ب: الرجيج: الصوت العالي، من رجه يرجّه: أي حرّكه وزلزله.
(٧) في هـ . د: تسلّ ـ م، وفي هـ ص : أي يملأها فيصمّها، وفي هـ ب: استكت به، أي ضاقت وصمّت.
(٨) في هـ أ : السبحة: الخرزة التي يسبّح بها.
(٩) في هـ ب: أي بعيدة.

موضعاً كهذه تعد من اعلى مواضع المجد والشرف.

٧ ـ (ووراء ذلك: الرّجيج الّذي تستكّ منه الأسماع) الرجيج: الزلزلة، واستك المسمع: حجب عن السماع، فان الموقف هو التسبيح، فتسبيحهم في هذا الموضع يوجب زلزلة روحية.

٨ ـ (سبحات نور) والسحبات: الطبقات، وهي مكونة من نور الملائكة، ولها اثران:

٩ ـ الاول: (تردع الأبصار عن بلوغها) فلا يمكن لغير الملائكة ان يبصروها بالعين المجردة.

١٠ ـ الثاني: (فتقف خاسئة علىٰ حدودها) فلا يمكن للابصار إلّا التوقف خاسئة، أي مطرودة من هذه الحدود الخاصة بالملائكة.

وكفى بهذه النقاط العشر وصفا لعظم خلق الله.

(٢٠/ط - ١٩) اصناف الملائكة:

وَأَنْشَأَهُمْ[١] عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ[٢] جَلاَلَ[٣] عِزَّتِهِ، لاَيَنْتَحِلُونَ[٤] مَا ظَهَرَ فِي ٱلْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ[٥]، وَلاَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ[٦] مِمَّا ٱنْفَرَدَ بِهِ، (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)[٧].

وأشار الى أنواع الملائكة بقوله:

١ ـ (وانشأهم علىٰ صور مختلفات) في الابعاد والالوان، والتي تميز بعضهم عن البعض.

٢ ـ (وأقدار متفاوتات) بحسب مسؤولياتهم المختلفة الملقاه على عاتقهم.

---

(١) في ط: وأنشأهم، وفي هـ. د: وأنشأهم ـ ح ض .

(٢) في ب وهـ. ص، وفي نسخة: تسبّح. وفي هـ ص: قوله: «تسبح» يقال: سبخ بالخاء المعجمة، أي تخفف العمل، ويقال: سبخ: نام نوماً مستغرقاً شديداً، فكأنّ المعنىٰ ـ والله أعلم ـ: تسبخ جلال عزّته، أي توقر وتعظّم فتتساقط وتتماوت تذللاً فتعود شيئاً لاحراك به، كسكون المستغرق في النوم، فضمّن «تسبح» معنىٰ توقر كما ورد في صفة اسرائيل عليه السلام انه يتضائل لعظمة الله حتىٰ يعود كالصعوة. أو يكون المعنىٰ: تسبّح إجلالاً لعزّة الله، وفيكون مفعولاً له، والله أعلم.

(٣) في الف: خلال.

(٤) في هـ ب: لا ينتحلون: أي لا يدّعون.

(٥) في أ وب ود: صنعة .

(٦) لم ترد «معه» في ط، وفي هـ. د: شيئاً ممّا ـ ب، وفي هـ. ص : لا يخفىٰ ما في زيادة هذه الكلمة من التحرز من مذهب المجبّرة.

(٧) اقتباس من سورة الأنبياء ٢١ : ٢٧.

٣ ـ (أولي أجنحة) اشارة الى قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾[١] والمراد منها القدرة المتعددة، فليراجع اوضح البيان.

٤ ـ (تسبّح جلال عزّته) فانهم بوجودهم تسبيح، ولهم تسبيح لجلال عز الرب.

٥ ـ (لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه) والانتحال: الانتزاع، فهم منقطعون الى الله تعالى بتنفيذ أوامره، وليس لهم شأن فيما يظهر في الخلق من آثار عظمة الله، لقربهم الى الملكوت الأعلى، وفي ذلك تعريض بالمشركين المعتقدين بالوهية بعض الملائكة.

٦ ـ (ولا يدّعون أنّهم يخلقون شيئاً معه ممّا انفرد به) كما يدعيه أهل الشرك من عبادة الاصنام ـ ثم اقتبس الامام من الآيات الكريمة ما يأتي:

٧ ـ (بل عباد) يعرفون حقيقة العبودية.

٨ ـ (مكرمون) من الله حيث أكرمهم بالقرب من الملكوت.

٩ ـ (لا يسبقونه بالقول) للانقطاع التام الى الله.

١٠ ـ (وهم بأمره يعملون) من دون ترديد أو تأخير.

وهذه النقاط العشر هي التي تميز الملائكة عن غيرهم، حيث يفتقر غيرهم من البشر الى مزيد عناية من الله؛ لبعدهم عن الملكوت الاعلى ومشاهده السماوات العلى.

ثم أشار الامام عليه السلام الى ثلاث طوائف من أنواع الملائكة، وهم:

١ ـ ملائكة الرسل.

٢ ـ ملائكة العمل.

٣ ـ ملائكة العبادة.

(٢١ / ط ـ ٩١) ملائكة الرسل:

جَعَلَهُمُ[٢] فِيما هُنَالِكَ أَهْلَ ٱلْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَّلَهُمْ إِلَى المُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ[٣] عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ.

وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ المَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ[٤] السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً[٥] إِلَى تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلاَمِ تَوْحِيدِهِ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ

---

(١) فاطر: ٣٥ / ١.
(٢) في هـ. د: جعلهم الله ـ ح .
(٣) في هـ ب: أي مائل.
(٤) في هـ ب: أي تواضع.
(٥) جمع ذلول: أي غير صعب، وفي هـ ب: وصف الأبواب بالذلّ تشبيها بالدابة الذلول.

مُؤْصِرَاتُ(١) الآثَامِ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهمْ(٢) عُقَبُ ٱللَّيَالِي وَٱلْأَيَّامِ(٣)، وَلَمْ تَرْمِ(٤) الشُّكُوكُ(٥) بِنَوَازِعِهَا(٦) عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكَ(٧) الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلاَ قَدَحَت قَادِحَةُ ٱلْإِحَنِ(٨) فِيَما بَيْنَهُمْ، وَلاَ سَلَبَتْهُمُ ٱلْحَيْرَةُ مَالاَقَ(٩) مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ(١٠) فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ ٱلْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ(١١) بِرَيْنِها(١٢) عَلَى فِكْرِهِمْ.

الصنف الاول من الملائكة (فيما هنالك) في السماء طائفة من الملائكه، وهم ملائكة الرسل، الذين يتصفون بالصفات الاتية:

١ ـ (أهل الأمانة علىٰ وحيه) فهم أعلى الملائكة رتبة؛ لعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وهو امانة الوحى.

٢ ـ (وحمّلهم إلىٰ المرسلين ودائع أمره ونهيه) لكونهم أهل الامانة، فقد أودع لديهم أمره ونهيه، لحملها الى المرسلين حسب ما أمروا به.

٣ ـ (وعصمهم من ريب الشّبهات) فمن كان بهذه الرتبة من المسؤولية لابد وان يكون معصوماً من (ريب الشّبهات)؛ لعلمه بان المسؤولية من الحكيم المتعال ليس إلّا على ما فيه المصلحة، فلابد من حمل المسؤولية من دون ريب أو شبهة.

٤ ـ (فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته) ولان كل واحد منهم معصوم في ذاته، والعصمة

---

(١) في هـ ب: أي مثقلات.

(٢) في هـ ب: ارتحلت البعير: أي ركبته.

(٣) في هـ ص : العقب جمع عقبة، وهي النوبة أي لم يؤثر فيهم كما يؤثر ارتحال الانسان البعير في ظهره، إمّا بمعنىٰ لم تؤثر فيهم بالإبلاد كما تؤثر في سائر الأجسام، وإمّا بمعنىٰ لم تـؤثر منهم بطولها كمّاً حتىٰ يملوا ما هم فيه من العبادة ويتركوا ما هم عليه في البداية من الاجتهاد والرغبة من نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ و ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ العُمُرُ﴾، وفي هـ ب: معنىٰ عُقَب الليالي، أي: تؤثر فيهم توالي الأيّام وكرورها.

(٤) في هـ ب، وفي نسخة: ولم تؤم، أي لم تزدحم الظنون.

(٥) في هامش ب: ترم الشكوك إيمانكم الذي معه.

(٦) في هـ. د: بنوازغها ـ ك ل، وفي هـ ص : بالعين المهملة من نزع الشهوات، وبـالمعجمة مـن نزغ الشيطان.

(٧) في هـ ص : أي لم تزدحم، وفي هـ. ب: العرك الدلك.

(٨) في هـ ص : جمع إحنة، وهي الحقد، وفي هـ ب: أي لم يخرج نار العداوة والحقد.

(٩) في هـ ص : ما ثبت وناسب، وفي هـ ب: أي مالصق.

(١٠) في ب وهـ ص ، وفي نسخة: حلاله، وفي هـ. د: حلاله ـ ل.

(١١) في هامش ب، وفي نسخة: فتفترع برينها، من الفرع، وفي هامش الأصل: يروىٰ بالقاف من القرعة: المساهمة، وبالفاء من فرعه، أي علاه، وفي هامش ب: من القرعة.

(١٢) في هـ. د: وتفترع بريبها ـ ك ر، وفي هـ. ص: الرين: الدنس كالدسم يعلو علىٰ الماء.

تمنع من الزيغ، ولا يقصد احد منهم سوى السير على سبيل الله الذي فيه رضاه تعالىٰ.

٥ ـ (وأمدّهم بفوائد المعونة) وهم وإن كانوا معصومين ذاتاً، فانهم يفتقرون في اداء رسالتهم، الىٰ العون من الله سبحانه في تحقيقها علىٰ الوجه المطلوب، وهذا هو ما يمدهم به الله سبحانه وحده.

٦ ـ (وأشعر قلوبهم تواضع إخبات السّكينة) الاخبات: الخشوع، فلولا هذا الشعور لما تحملوا الامانة الالهية العظمىٰ، وبدون ذلك لانقادوا الىٰ ما انقاد اليه ابليس الاعمىٰ.

٧ ـ (وفتح لهم أبواباً ذللاً إلىٰ تماجيده) الذلول: السهل، والمجد: التعظيم بالثناء؛ فانه سبحانه يسر لهم طرق سهلة لاداء واجب الثناء.

٨ ـ (ونصب لهم مناراً واضحة علىٰ أعلام توحيده) فهم يستدلون على توحيد الذات المقدسة بالادلة التي هي اعلام يهتدى بها، كالمنارة المنصوبة للهداية، وهي واضحة الدلالة لمن ينظر اليها، فلا بد ان يهتدي بها، وما أكثر الآيات العلوية التي يجهلها الانسان المحدود بالمادة، دون الملائكة الذين يعيشونها؟.

٩ ـ (لم تثقلهم مؤصرات الآثام) المؤصر: المثقل، فهم بحكم عملهم وقربهم المعنوي يعبدونالله بعيدا عن التفكير في الاثم؛ لعصمتهم، فلا مجال لاحتمال ان يثقل الاثم عليهم.

١٠ ـ (ولم ترتحلهم عقب اللّيالي والأيّام) فالحالة الروحية التي تعيشها الملائكة، حالة استقرار وسكينة، لا تؤثر فيها تعاقب الزمان من الليالي والايام، فلا يفتقر في ذلك الى الترحل والتنقل.

١١ ـ (ولم ترم الشّكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم) النوازع: الاسباب الدافعة الى فعل الشئ، وحيث ان ايمانهم نابع من العلم بعظمة الله سبحانه وخلقه للكون، فيكون ايمانهم عزماً لا يتطرقه الشكوك الداعية الىٰ الوساوس، كما يحصل للانسان الذي ليس في تلك المرتبة.

١٢ ـ (ولم تعترك الظّنون علىٰ معاقد يقينهم) وان اليقين عندهم حق اليقين، الذي هو أعلى مراتب اليقين، والاعتراك: التزاحم فيما عقدوا عليه، فلا يتطرقه تزاحم الظنون؛ لكونه أعلى مراتب اليقين الذي لو كشف الغطاء لما ازدادوا يقيناً.

١٣ ـ (ولا قدحت قادحة الإحن فيما بينهم) الاحنة: الحقد، والقدح: الشرارة، فليس في حياتهم شئ من الحقد والضغينة؛ لانهما انما يعرضان للجاهل بالحقائق، فان من يعرف الحقائق والاسباب الداعية الى الشئ لا مجال للحقد له.

١٤ ـ (ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم) لاق: أي لصق، ولكونهم في اعلى مراتب اليقين، وان معرفتهم بضمائر حية، فانه لا يعتري عليهم الحيرة التي تسلب

منهم المعرفة.

١٥ ـ (وما سكن من عظمته وهيبة جلالته في أثناء صدورهم) ولذلك لا تسلب الحيرة ما سكن من عظمة الله تعالىٰ وهيبة جلال الذات المقدسة الثابتة في أثناء صدور هؤلاء الملائكة؛ لان العظمة والهيبة والجلالة ساكنتان في صدورهم سكوناً ابدياً، لا يتطرق اليها حيرة.

١٦ ـ (ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها علىٰ فكرهم) الاقتراع: العمل بالقرعة، والرين: الدنس الحاجب عن معرفة الحقيقة، وحيث ان فكر الملائكة هؤلاء بالغ من اليقين الخالص، فلا يتصور عليه دنس الحجاب، وبالنتيجة: لا مجال للوساوس الانسانية والخيالات ان تضرب بالقرعة فيهم؛ لانهم مصونون بالعلم اليقين الحق الذي لا ريب فيه، والذي لا تؤثر هذه الوساوس فيمن حصل له علم اليقين، وليس فيمن له حق اليقين الذي هو اعلى مراتب اليقين.

(٢٢/ط - ٩١) ملائكة العمل:

وَمِنْهُمْ: مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ ٱلْغَمَامِ الدُّلَّحِ[١]، وَفِي عِظَمِ ٱلْجِبَالِ الشُّمَّخِ[٢]، وَفِي قَتْرَةِ[٣] الظَّلاَمِ ٱلْأَيْهَمِ[٤].

والصنف الثاني هم ملائكة العمل، وقد اوجز الامام الكلام على هذا الصنف؛ لكثرتهم وتعددهم بعدد الاعمال المكلفين بها في تيسير الحياة الطبيعيّة الحاكمة في الكون بواسطة هذا الصنف من الملائكة، وحيث ان الهدف من ذكر الملائكة هو التنبيه على الادوار الرئيسة لهم، التي تؤثر في تهذيب النفس الانسانية، اكتفى بالاشارة الى صفات الصف الاول وهم ملائكة الرسل؛ لعظم الرسالة التي يتحملوها الى الانبياء، وأثرت في مسيرة الحياة الانسانية للبشر، وكذلك الصنف الثالث الآتي، الذي يؤكد على صلة الانسان بربه بالعبادة، وهم ملائكة العبادة. وأما هذا القسم الثاني من ملائكة العمل في الطبيعة، فليس هو تحت حصر وضبط؛ لكثرة الاعمال الطبيعية الموكل بهم، واكتفى عليه السلام بالاشارة الى بعض صفاتهم بقوله:

١ ـ (ومنهم من هو في خلق الغمام الدّلّح) الدُلّح: السحاب الرويّ بالماء، فهؤلاء

---

(١) في هـ ص : جمع دالحة: من يمشي مثقلاً، وفي هـ ب: الدلح: الثقال، المثقلة.

(٢) في هـ ص : جمع شامخ، أي مرتفع، وفي هـ ب: الجبال العظيمة.

(٣) في هـ . د: فترة ـ د، وفي هامش الأصل: أي شدّته؛ وفي هامش ب: القترة، والقتر: الجانب والناحية، لغة في القطر.

(٤) في ط: الأبهم. وفي هـ ص وب: التي لا يهتدىٰ فيه.

الملائكة موكلون بالغمام والمطر، فهم يتقدون بالاوامر الالهية فيها.

٢ ـ (وفي عظم الجبال الشّمّخ) الشموخ: الارتفاع، وهؤلاء الملائكة موكلون بالقمم والارتفاعات الشاهقة للجبال العظيمة التي لا يصل اليها الانسان عادة، وهم يتقيدون بالارادة الالهية فيها.

٣ ـ (وفي قترة الظلام الأبهم) القترة: الخفاء، والابهم: ما لا يهتدى فيه، من ظلمات البحار والسماوات التي يختفي فيها كل شئ، ولا يهتدى فيها الى طريق النجاة، فتعيش فيها الملائكة الموكلون باداء الدور المطلوب منهم بالارادة الالهية.

واكتفىٰ بهؤلاء الملائكة الموكلين بواجباتهم التي لاتمنعهم عنها علوّ السماوات، وارتفاع الجبال، وظلم البحار، وهي مواقع طبيعية لا يمكن للانسان ان يصل اليها عادة.

واكتفى بهذه الملائكة الثلاثة عن غيرها من المستقرين في المواقع الطبيعيّة التي يشاهدها الانسان حياته الطبيعية، ويظنها طبيعية محضة مع أنها طبيعية مسخرة بالملائكة الموكلين بتنفيذ الحوادث الطبيعية لحكمة الله أعلم بها.

(٢٣ / ط - ٩١) ملائكة العبادة:

وَمِنْهُمْ: مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ[(١)] ٱلْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ[(٢)] ٱلْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ[(٣)] تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ ٱنْتَهَتْ مِنَ ٱلْحُدُودِ ٱلْمُتَنَاهِيَةِ، قَدِ ٱسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغالُ عِبَادَتِهِ[(٤)]، وَوَسَّلَتْ[(٥)] حَقَائِقُ ٱلْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ ٱلْإِيقانُ بِهِ إِلَى ٱلْوَلَه إِلَيْهِ[(٦)]، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ.

قَدْ ذَاقُوا حَلاَوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ ٱلرَّوِيَّةِ[(٧)] مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مَنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ[(٨)] وَشِيجَةُ[(٩)] خِيفَتِهِ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ ٱعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ[(١٠)]، وَلَمْ يُنْفِذْ طُولُ

---

(١) في هـ ص : جمع تخم، وهو حدّ الأرض ومنتهاها، وفي هـ ب: التخوم بفتح التاء واحدة، جمعه تخم، والتخوم بضم التاء، جمع تخم، نظير الأوّل.

(٢) المخارق: مواضع ما خرقت أقدامهم.

(٣) في هـ ص : أي رخاء طيبة، وفي هـ ب: أي ساكنه بلا سرعة.

(٤) في هـ ص : أي استنفذت قواهم وأبدانهم وأفكارهم حتىٰ لم يبق لغير عبادته نصيب فيهم، من تفريغ ما في الإناء، وفي هـ ب: أي طلبت أن يفرغوا إلىٰ العبادة.

(٥) في ط ووصلت، وفي هـ ب: في نسخة، ووصلت، وفي هـ. د: ووصلت ـ ح ض، وفي هـ.ص: من الوسيلة، وهي القربة والوصلة، ويروىٰ وصلت. وفي هـ ب: أي قربت، من الوسيلة.

(٦) في هـ ب: وله إليه: تحيّر في الفزع إليه، وفي هـ. ب أيضاً : ذهاب العقل.

(٧) الرويّة: التي تروّي من العطش.

(٨) في هـ ص : أي من حبة القلب، وفي هـ ب: سويداء القلب: حبته. وكذلك سوداوه

ٱلرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ(١١) خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ ٱلْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُم، وَلاَ تَرَكَتْ لَهُمُ ٱسْتِكَانَةُ(١٢) ٱلْإِجْلاَلِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ ٱلْفَتَرَاتُ(١٣) فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ(١٤)، وَلَمْ تَغِضْ(١٥) رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ(١٦) رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ ٱلْمُنَاجَاةِ أَسَلاَتُ(١٧) أَلْسِنَتِهِمْ، وَلاَ مَلَكَتْهُمُ ٱلْأَشْغَالُ(١٨) فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ(١٩) ٱلْحنين(٢٠) إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ(٢١) الطَّاعَةِ مَناكِبُهُمْ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، وَلاَ تَعْدُو(٢٢) عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلاَدَةُ ٱلْغَفَلاَتِ، وَلاَ تَنْتَضِلُ(٢٣) فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ(٢٤) الشَّهَواتِ(٢٥).

قَدِ ٱتَّخَذُوا ذَا ٱلْعَرْشِ(٢٦) ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ(٢٧)، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْخَلْقِ إِلَى المَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ(٢٨)، لاَ يَقْطَعُونَ أَمَدَ غايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلاَ يَرْجِعُ بِهِمْ ٱلاِسْتِهْتَارُ(٢٩)

وسويداوه.

(٩) في هـ ص : الوشيجة: عروق الشجرة، وقد وشجت العروق: تشبّكت، وفي هـ ب: الوشيجة ـ في الأصل ـ عرق الشجرة، وها هنا استعارة للمبالغة في الخوف.

(١٠) في هـ ب: أي عوّجوا اعتدال ظهورهم.

(١١) في هـ. ص : جمع ربقة: حبل يشد في عنق الأسير، وفي هـ ب: الرِبق: الحبل، والرَبق: الجمع.

(١٢) في هـ ب: أي ذلّة.

(١٣) في هـ ب: أي ضعف.

(١٤) في هـ ب: الدؤوب: والدآب: الجدّ، وفي هامش آخر: الدؤبة على العمل: إدامته.

(١٥) في هـ. ب: هنا روايتان: يتغض وتنقص.

(١٦) في هـ ب: من مجاورتهم.

(١٧) في هـ ب: اصابة، وفي هامش آخر: أسَلَة اللسان: طرفه.

(١٨) في هـ ب: الهمس: الصوت الخفي، وفي هـ. د: ولا ملكتهم الإغفال ـ ر.

(١٩) في هـ ص وب: الهمس: الصوت الخفي.

(٢٠) كذا في ص وهـ ب، وفي نسخة، وفي أ وب: الخبر، وفي هـ ص ، وفي نسخة: الجؤار، وفي ط ود: الجؤار.

(٢١) في هـ ب: جمع مقام. وفي هـ. د: وروى «في مقادم» بالدال ـ ك .

(٢٢) في هـ ص : عدا عليه: قهره وغلبه. وهو هنا مجاز، وفي هـ ب: عدا عليه واعتدىٰ وتعدّى بمعنىٰ.

(٢٣) في هـ. ص : الانتضال: المراماة، وفي هـ ب: لا تتنازع ولا تتناضل ولا تتوانى من النضال، وهو المراماة. وفي هامش آخر: لا تُغلب.

(٢٤) في هـ. ب، وفي نسخة: خداع.

(٢٥) ما تخدع الشهوات به النفس.

(٢٦) في هـ. د: ذي العرش لهم ـ م.

(٢٧) أي ليوم حاجتهم إلىٰ الله.

(٢٨) أي قصدوه بالرغبة عند انقطاع الخلق سواهم إلىٰ المخلوقين.

(٢٩) في هـ ص : مصدر استهتر بالشيء: تولّع به. وفي هـ ب: يقال: فلان مستهتر بالشراب، أي

بِلُزُومِ طَاعَتِهِ، إلاَّ إِلَى مَوَادَّ[(١)] مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرَ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِه، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ[(٢)] مِنْهُمْ فَيَنُوا[(٣)] فِي جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ ٱلْاَطْماعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ[(٤)] السَّعْيِ عَلَى ٱجْتِهَادِهِمْ، ولَمْ[(٥)] يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَو ٱسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ ٱلرَّجَاءَ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ[(٦)] وَجَلِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ ٱلتَّقَاطُعِ، وَلاَ تَوَلاَّهُمْ[(٧)] غِلُّ[(٨)] التَّحَاسُدِ، وَلاَ تَشَعَّبَتْهُمْ[(٩)] مَصَارِفُ[(١٠)] ٱلرَّيْبِ، وَلاَ ٱقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ[(١١)] ٱلْهِمَمِ[(١٢)]، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ، لَمْ يُفَكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلاَ عُدُولٌ، وَلاَ وَنىً[(١٣)] وَلاَ فُتُورٌ.

والصنف الثالث من الملائكة، هم ملائكة العبادة، وخصهم بالذكر لما يوجب الاقتداء بهم من التقرب الى الله سبحانه في العبادة والطاعة، وقد وصفهم وصفاً دقيقاً بقوله:

١ ـ (ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السّفلىٰ)، وهذه الطائفة من الملائكة تختلف عن غيرها في اجسامها المتشخصة، وقد صرح فيهم بطول القدم الخارق، الذي يمتد من تخوم، أي منتهى الارض، ومن الطبيعي التناسب بين هذا القدم الخارق مع سائر الاعضاء، فيكون حجم الجسم خارقاً ايضاً.

وقد وصف هو الجسم الخارق بقوله:

(فهي)، أي الاقدام لهذا الصنف من الملائكة (كرايات بيض) في استقامتها طولاً (قد نفذت في مخارق الهواء) فيكون جسدها في السماوات، واقدامها نافذة في الهواء باحداث خرق في الهواء لكي تصل الى الارض (وتحتها ريح هفّافة) وهي الريح الطبيعية

مولع به لايبالي ما قد قيل فيه، وفي هامش آخر: الاستهتار: الحرص.

(١) المواد: جمع مادة، أصله من مدّ البحر. ويراد به هنا البواعث علىٰ الطاعة.

(٢) في هـ ب: أي الخوف.

(٣) في هـ ب: فينوا: فيضعفوا.

(٤) في هـ ص وب: أي سريعة.

(٥) في ط : لم .

(٦) الشفقات: تارات الخوف وأطواره.

(٧) في هـ ب: أي لا تولاهم الشيطان، والتقاطع لاستحواذ الغلبة.

(٨) في هـ. د: وروي على التحاسد ـ ر.

(٩) في أ ود: ولا شعّبتهم ـ وفي هـ. د: ولا شيعتهم ـ ك، وفي هـ ب: أي فرّقتهم.

(١٠) في هـ ب: أي موضع الصرف.

(١١) في هـ ص : الاخياف: المختلفة من الأشياء، وفي هـ ب: اخياف: أي مختلفون، وأخياف الهمم، من اضافة الصفة إلىٰ الموصوف.

(١٢) في هـ. د: وروي اخياف الهم ـ ر.

(١٣) في هـ. ب: مصدر ونِيَ كتعب، أي تأنٍّ.

(تحبسها علىٰ حيث انتهت من الحدود المتناهية) فان الاقدام لاتطأ الارض، بل هي على الريح في موضع هو الحدود المتناهية للارض، ولا يكون المانع من وطئ الارض سوى الريح الحابسة.

ومن ذلك يرى ان هذا الصف ليس لها شأن في الارض بل في السماء فقط، والتمثيل لاقدامها انما هو لبيان حجم هذه المخلوقات الغير متصوّر للانسان المادي إلّا بهذا التمثيل، هذا من ناحية جسمها، واما من ناحية ادوارهم، فقال عليه السلام:

٢ ـ (قد استفرغتهم أشغال عبادته) فليس لهم من عمل سوى التفرّغ للعبادة.

٣ ـ (ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته) والسبب في هذا التفرغ للعبادة، ان حقائق الايمان وصلت بينهم وبين معرفة الله تعالىٰ، وحقيقة الايمان لا يمكن الوصول اليها إلّا بالفناء، الذي هو آخر درجات السلوك الى الله تعالى.

٤ ـ (وقطعهم الإيقان به إلىٰ الوله إليه) الوله: شدة الشوق، فان من يصل الى درجة الفناء ينقطع الى الله تعالىٰ وتغمره حبه تعالى.

٥ ـ (ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلىٰ ما عند غيره) فان الانقطاع الى حبه، والرغبة فيما عنده لا يبقي مجالاً للرغبة الى ما عند غيره، حيث ان وقته سوف يكون مستوعباً بالانقطاع الى الله تعالى.

٦ ـ (قد ذاقوا حلاوة معرفته) والسبب في هذا الانقطاع هو ذوق حلاوة المعرفة، ومن وصل الى هذه الدرجة لا يمكنه ان يتذوق حلاوة اخرى.

٧ ـ (وشربوا بالكأس الرّويّة من محبّته) حيث ان من ارتوى من الماء لا يفتقر الى ماء آخر، ومن ارتوى من محبة الله تعالىٰ لا يفتقر الى محبة غيره.

٨ ـ (وتمكّنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته) سويداء القلب: محل الروح فيه، والوشيجة: علة الخوف، وفي هذا اشارة الى تأصل خوف الله في قلوبهم تاصلاً تاماً لا يمكن ازاحته.

٩ ـ (فحنوا بطول الطّاعة اعتدال ظهورهم) واصبحت قاماتهم المعتدلة منحنية.

١٠ ـ (ولم ينفد طول الرّغبة إليه مادّة تضرّعهم)لما تأصل في قلوبهم من خوف الله.

١١ ـ (ولا أطلق عنهم عظيم الزّلفة ربق خشوعهم) الربق: العروة، فان عروة الخشوع ثابتة معهم بالرغم من عظم الزلفة الى الله تعالىٰ باستمرار الطاعة.

١٢ ـ (ولم يتولّهم الإعجاب، فيستكثروا ما سلف منهم) لعلمهم بان الطاعة والعبادة هي واجبهم، ومن يعمل بواجبه عن علم ويقين بانه واجب، لا يستولي عليه الاعجاب، وبالنتيجة لا يستكثر ما عمل فيما سلف؛ لان العمل انما كان واجباً، والاستكثار انما يكون

في غير الواجب.

١٣ ـ (ولا تركت لهم استكانة الإجلال نصيباً في تعظيم حسناتهم) بالرغم من انها حسنات في انفسها، فان الاستكانة ، أي الخضوع اجلالاً لله سبحانه لم يدع مجالاً منهم لتعظيم الحسنات.

١٤ ـ (ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم) الفترة: الانكسار والضعف، والدؤوب: الجد والاجتهاد، فطول الجد في العبادة لم تحدث ضعفاً في عبادتهم.

١٥ ـ (ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم) الغض: النقص، فان رغبتهم في الاستمرار في العبادة رغبة مستمرة، ولم ينقص؛ لان النقص في الرغبة يكون سبباً في مخالفة الرجاء، وحيث انعدم نقص الرغبة فانه سوف يستمروا في الرجاء.

١٦ ـ (ولم تجفّ ـ لطول المناجاة ـ أسلات ألسنتهم) الاسلة: طرف اللسان، فان طبيعة هذا الصنف من الملائكة ان المناجاة باللسان لا توجب جفافاً في ألسنتهم كما هو الحال في الانسان.

١٧ ـ (ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم) الهمس: الصوت الخفي، والجؤار: التضرع بالصوت المرتفع، وانما يحصل كل منهما بسبب الجهد في الاشتغال، وملائكة العبادة لا تملكهم الاشتغال بغير العبادة، فلا يشعرون بالجهد ولا يحصل منهم همس ولا جؤار.

١٨ ـ (ولم تختلف في مقاوم الطّاعة مناكبهم) المقاوم: جمع مقام، والمراد هنا الصفوف في العبادة، كماصفوف صلاة الجماعة، فان ملائكة العبادة لم يختلف في عباداتهم جماعة منكب عن منكب، لانهم صفوف متساوية.

١٩ ـ (ولم يثنوا إلىٰ راحة التّقصير في أمره رقابهم) الثني ـ هنا ـ الامالة، فان ملائكة العبادة يمدون رقابهم فى امره تعالىٰ، ولا يميلوها طلبا الى راحة بالتقصير في امره تعالىٰ.

٢٠ ـ (ولا تعدو علىٰ عزيمة جدّهم بلادة الغفلات) العدو: الطروء، فان ملائكة العبادة لاتطرأ عليهم الغفلة عن واجباتهم التي هي عزيمة وجد، فلا يكون مجال للغفلة الموجبة للبلادة والسهو.

٢١ ـ (ولا تنتضل في هممهم خدائع الشّهوات) النظال: المراماة بالسهام بسرعة، وبسبب وعيهم الكامل بواجباتهم لا تسرع الى هممهم الشهوات التي تخدع النفس.

٢٢ ـ (قد اتّخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم) والهدف من العبادة هو رضا الله سبحانه، والعبادة انما هي ذخيرة ليوم الحاجة، وهو يوم القيامة حيث لا ينفع سوى رضاه.

٢٣ ـ (ويمّموه عند انقطاع الحيل إلىٰ المخلوقين برغبتهم) والمقارنة بين ملائكة

العبادة والبشر: ان البشر يقصد المخلوقين في حاجاتهم، والعبّاد يقصدون الله سبحانه وحده برغبتهم الشخصية، وكفى به فارقاً.

٢٤ ـ (لا يقطعون أمد غاية عبادته) وبما ان الذات المقدسة ازلية، فليس للعبادة امد وغاية تنتهي عند حدّ، ولذلك لا تقطع ملائكة العبادة امداً لغاية العبادة اليه، بل يستمرون في العبادة من دون نظر الى امر خاص.

٢٥ ـ (ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته إلاّ إلىٰ موادّ من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته) الاستهتار: الولع، والمواد: الاصول، والرجوع: السبب، فان ولع ملائكة العبادة للزوم الطاعة يرجع الى السبب الوحيد المستمد من اصول في قلوبهم، وهي مستمرة في رجاء الله سبحانه ومخافته.

٢٦ ـ (لم تنقطع أسباب الشّفقة منهم فينوا في جدّهم) الشفقة: الخوف، والونى: الضعف، فهم لعلمهم ووعيهم لم ينقطع فيهم اسباب الخوف من الله سبحانه، حتى يضعفوا في الجد في العبادة، كما يحصل للانسان عادةً.

٢٧ ـ (ولم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السّعي علىٰ اجتهادهم) كما هى حالة الانسان الذى يقدم السعي القريب على الجد والاجتهاد، حيث يقع في اسر الطمع، وملائكة العبادة على العكس من ذلك.

٢٨ ـ (لم يستعظموا ما مضىٰ من أعمالهم) لان الاعمال هي واجبات، والعامل بواجبه لا يتعظمه، بل يؤدي ما يحب عليه.

٢٩ ـ (ولو استعظموا ذلك لنسخ الرّجاء منهم شفقات وجلهم) فان استعغظام الواجب ينافي الايمان بكونه واجباً، بل يساوق الاعتقاد بكونه فضلاً، وذلك يستلزم فقدان الخوف من القصور في الواجب، وهذا يعني نسخ الرجاء للخوف من الله تعالى، وليس هذا إلّا بطلان العبادة؛ لعدم خلوصها لله سبحانه.

٣٠ ـ (ولم يختلفوا في ربّهم باستحواذ الشّيطان عليهم) فان ا لشيطان انما يستحوذ، اي يتغلب على الانسان بواسطة بذرة الاختلاف في العقيدة، وملائكة العبادة مبرؤون عن ذلك.

٣١ ـ (ولم يفرّقهم سوء التّقاطع) فيما بينهم في اداء واجب العبادة كما قد يحصل في البشر.

٣٢ ـ (ولا تولاّهم علىّ التّحاسد) الغل: الحقد، فان الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب.

٣٣ ـ (ولا تشعّبتهم مصارف الرّيب) فان الريب يصرف الانسان عن طريقه ويجعله

متشعبا متفرقاً.

٣٤ ـ (ولا اقتسمتهم أخياف الهمم) الخيف: المنحدر من سفح الجبل، فان الهمة الدنية توجب سقوط الانسان، وعلى العكس الهمة العالية ترقع كل من لم يرفع.

٣٥ ـ (فهم أسراء إيمان لم يفكّهم من ربقته زيغ ولا عدول، ولا ونى ولا فتور) ولخص هذه الصفات بأن ملائكة العبادة دخلوا في عهد مع انفسهم، وجعلوا انفسهم في اسر الايمان، مقتدين بالقانون الالهي العادل، ويستلزم ذلك التعبد بهذا القانون المقدس، ورفض كل ما يناقضه نصاً وروحاً، وأهمها اربعة امور، هي:

اولا: الزيغ، وهو الميل عن الحق.

ثانياً: العدول، وهو الاعراض عن الحق.

ثالثاً: الونى، وهو التأني في الحق.

رابعاً: الفتور، وهو التواني في الحق.

فان الوعي الكامل للمسؤولية يستوجب الذوبان في سبيل تحقيقها قربة الى الله تعالى وحده، وهذا التفصيل في اوصاف ملائكة العبادة انما هو لاعتبار الناس من البشر، كما يتبين من قياسها مع الاوصاف البشرية نفياً واثباتاً، ونعم ما قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في الشرح، ما نصّه:«واعلم أنه عليه السلام إنما كرر وأكد ، صفاتهم بما وصفهم به ليكون ذلك مثالا يحتذى عليه أهل العرفان من البشر ، فإن أعلى درجات البشر أن يتشبه بالملك ، وخلاصة ذلك أمور . منها العبادة القائمة ، ومنها ألا يدعى أحد لنفسه الحول والقوة ، بل لا حول ولا قوة . ومنها أن يكون متواضعا ذا سكينة ووقار . ومنها أن يكون ذا يقين لا تقدح فيه الشكوك والشبهات . ومنها ألا يكون في صدره إحنة على أحد من الناس . ومنها شدة التعظيم والهيبة لخالق الخلق ، تبارك اسمه ! ومنها أن تستفرغه أشغال العبادة له عن غيرها من الاشغال . ومنها لا تتجاوز رغباته مما عند الله تعالى إلى ما عند غيره سبحانه : ومنها أن يعقد ضميره وقلبه على محبة الله تعالى ، ويشرب بالكأس الروية من حبه . ومنها عظم التقوى بحيث يأمن كل شئ عدا الله ، ولا يهاب أحدا إلّا الله . ومنها الخشوع والخضوع والاخبت والذل لجلال عزته سبحانه . ومنها: ألّا يستكثر الطاعة والعمل ، وإن جل وعظم . ومنها عظم الرجاء الواقع في مقابلة عظم الخوف ، فإن الله تعالى يحب أن يرجى ، كما يحب أن يخاف».(١)

(٢٤ / ط ـ ٩١) خلاصة المقطع:

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٦ : ٤٣٠.

وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ[١] إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ[٢] حَافِدٌ[٣]، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً.

وختم عليه السلام هذا المقطع بخلاصة أدوار الاصناف الثلاثة من الملائكة في السماء في نقاط ثلاث:

الاول: (وليس في أطباق السماء موضع اهاب إلّا وعليه ملك ساجد) الاهاب: جلد الشاة، فان ملائكة العبادة يتواجدون في كل جزء من اجزاء السماء، ولا يخلو موضع بمقدار جلد شاه من ملك من الملائكة من الاصناف الثلاثة:

١ ـ ملك ساجد، من ملائكة العبادة.

٢ ـ ملك ساع، من ملائكة العمل.

٣ ـ ملك حافد، أي مسرع، من ملائكة الرسل.

الثانية: (يزدادون علىٰ طول الطّاعة بربّهم علماً) فان هذه الاصناف الثلاثة من ملائكة العبادة والعمل والرسالة، يطيعون ربهم، والطاعة تزيدهم علماً بحكمة الاوامر الالهية، ويكتشفون حكمها بعد ادائها ولو بمدة بعيدة، وذلك يزيدهم بربهم علماً تفصيلياً، بعد ان كان منهم العلم الاجمالي بحكمة اوامره.

الثالثة: (وتزداد عزّة ربّهم في قلوبهم عظماً) لانكشاف الحكم الالهية في اوامره الحكيمة في الكون.

(٢٥ / ط ـ ٩١) صفة الارض وما عليها:

ومنها فِي صِفَةِ الأرْضِ ودَحْوِهَا علىالمَاءِ :

كَبَسَ[٤] ٱلْأَرْضَ عَلَى مَوْرٍ[٥] أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ[٦]، وَلُجَجٍ[٧] بِحَارٍ زَاخِرَةٍ[٨]، تَلْتَطِمُ

---

(١) في هـ ب: أهاب: قطعة جلد.

(٢) في هـ ب: أي مسرع بالخدمة.

(٣) الحافد : المسرع، أي: خفيف سريع.

(٤) في هـ ص : الكبس: مداخلة أجزاء الشيء بالقوة، وفي هـ أ : أي طمّ، وفي هـ ب: أوقع، مشتق من الكابوس، وهو ما يقع على الانسان بالليل، وهو مقدمة الصرع.

(٥) في هـ ص : المور: مصدر مار يمور: تحرّك وذهب وجاء، وفي هـ أ : أي حركة، وفي هـ ب: أي ذهاب ومجيء.

(٦) في هـ ص : تشبه الفحول في شدّتها وهياجها، وفي هـ أ : أي عظيمة، وفي هـ ب: مستفحلة: مستعظمة، استفحل الأمر: تفاقم واشتد.

(٧) في هـ ب: أي تضطرب.

(٨) أي ممتلئة.

أَوَاذِيُّ(١) أَمْوَاجِهَا، وَتَصْطَفِقُ(٢) مُتَقاذِفاتُ أَثْبَاجِهَا(٣)، وَتَرْغُو(٤) زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هَيَاجِها(٥)، فَخَضَعَ(٦) جِمَاحُ(٧) المَاءِ المُتَلاطِمِ لِثِقَلِ(٨) حَمْلِها(٩)، وَسَكَنَ هَيْجُ ٱرْتمائِهِ(١٠) إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِها(١١)، وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً(١٢) إِذْ تَمَعَّكَتْ(١٣) عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِها، فَأَصْبَحَ بَعْدَ ٱصْطِخَابِ(١٤) أَمْوَاجِهِ سَاجِياً(١٥) مَقْهُوراً، وَفِي حَكَمَةِ(١٦) الذُّلِّ مُنْقاداً أَسِيراً، وَسَكَنَتِ ٱلْأَرْضُ مُدْحُوَّةً(١٧) فِي لُجَّةِ(١٨) تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ(١٩) وَٱعْتِلاَئِهِ(٢٠)، وَشُمُوخِ(٢١) أَنْفِهِ، وَسُمُوِّ غُلَوَائِهِ(٢٢)، وَكَعَمَتْهُ(٢٣) عَلَى كِظَّةِ(٢٤) جَرْيَتِهِ،

---

(١) في هـ ص : جمع اوذي، وهي الأمواج والإضافة للبيان، وفي هـ أ وب: أواذي: جمع أُوذي، وهو الموج.
(٢) الاصطفاق: الاهتزاز.
(٣) في هـ ص : الثبج ـ في الأصل ـ ما بين الكاهل إلىٰ الظهر، ويستعار لوسط كلّ شيء، وفي هـ أ : جمع ثبج، وهو السنام، وثبج الرمل: معظمه. وقيل: لعُلىٰ كلّ شيء، وقيل: وسطه، وفي هامش ب: الثبج في اللغة: ما بين الكاهل إلىٰ الظهر، وها هنا: أعالي الأمواج.
(٤) في هـ ب: تصوّت، يقال رغا البعير: إذا هاج.
(٥) في هـ ب: أي اضطرابها.
(٦) في هـ ب: أي ذلّ.
(٧) في هـ . د: وروي جمام ـ ر. وفي هـ ص : الجماح: أن يجمح الفرس براكبه، يتوثّب حتىٰ يلقيه عن ظهره، وفي هـ ب: ارتفاع.
(٨) في هـ ب: لنقل حملها.
(٩) في هـ ب: أي الأرض.
(١٠) في هـ ب: اضطرابه.
(١١) في هـ ص : الكلكل: الصدر، والمراد: بجملتها، وفي هـ ب: بصدرها.
(١٢) في هـ ص : أي ذليلاً خاضعاً، وفي هـ أ : متواضعاً، وفي هـ ب: خاضعاً.
(١٣) في هـ ص : التمعك: التمرّغ والتقلّب، وفي هـ ب: تمعكت مستعارة ها هنا من قولهم: تمعكت الدابة: إذا تمرغت، وفي هـ ب: تمرغت يعني الأرض، من تمعك الدابة.
(١٤) في هامش الأصل وب: هو افتعال من الصخب، وهو الصوت والجلبة، وفي هامش الف: صوته.
(١٥) في هـ ب: أي ساكناً.
(١٦) في هـ ب: حكمة: كناية عن وصف الأرض بالسكون.
(١٧) في هـ ب: أي مبسوطة.
(١٨) في هـ ب: أي معظم موجه.
(١٩) في هـ ب: أي تكبره.
(٢٠) في هـ ب: أي زهوه.
(٢١) في هـ ب: أي علو.
(٢٢) في هـ . د: انفه وغلوائه ـع، وفي هـ ص : أي تزائده، وفي هـ ب: سمّوه: علوّه و تجاوز حده.
(٢٣) في هـ ص وب: الكعم: شد الغم. وفي هـ ب: شدته.
(٢٤) في هـ ص وب: أي امتلاء.

فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ(١)، وَلَبَّدَ بَعْدَ(٢) زَيَفَانِ(٣) وَثَبَاتِهِ.

سرد عليه السلام في هذا المقطع صفة الارض وما عليها من الجبال والعيون، ومياه الامطار والنبات؛ اجابة لمن طلب منه وصف الرب مثل ما يراه عياناً، وذلك بسرد الاثار المحسوسة لكل من يعيش على الارض، ولا يسعه إلّا الاذعان بان ذلك ليس اعتباطاً، بل من مدبر حكيم، يستدل بها عليه، فان رؤية الاثار كرؤية صاحب الاثر. وابتدأ هذا المقطع بالخبر لمبتدأ مفهوم من السياق، وهو (هو).

دحو الارض:

ومن اوصافها:

١ ـ ان الله (كبس الأرض علىٰ مور أمواج مستفحلة) الكبس: الضبط، والمور: الحركة الشديدة، والاستفحال: الهيجان، فقد كون الله الارض على امواج شديدة الهيجان من الماء، مكبوسة بالضبط الشديد المتولد من هذه الامواج الشديدة.

٢ ـ (ولجج بحار زاخرة) اللجة: معظم الماء، والزاخرة: الممتلئة، فان البحار لا انقطاع لمائها المتراكم.

٣ ـ (تلتطم أواذي أمواجها) الآذي: اعلى الموج، ويحصل عادة حين تلاطم الامواج.

٤ ـ (وتصطفق متقاذفات أثباجها) الاصطفاق: الاهتزاز، والاثباج: اعلى كاهل البعير، واستعير هنا لأعلى الامواج.

٥ ـ (وترغو زبداً كالفحول عند هياجها) الرغوة: صوت البعير، والزبد: ما يتكون في أعالي الماء من جسم كثيف على اثر تلاطم الامواج، وكنا نستعمله في الصغر لمحو ما كتب خطاءً بدل المسّاحة أو الممحاة المعمولة في عصرنا، وقد كنى عليه السلام عن هيجان المياه بالفحول، فان فحول الابل يكون لها هيجان خاص للضراب عند السفاد.

٦ ـ (فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها) وبتمادي السنين والاعوام اصبح ثقل الارض حاكماً على هيجان الماء المتلاطم، واصبح الماء خاضعاً للجماح ، أي الصعود لفرض الارض ثقله على الماء.

٧ ـ (وسكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها) وعلى اثر ثقل الارض سكن هيجان الماء وارتمائه اي تقاذفه وتلاطمه، والكلكل: الصدر، واصبح صدر الارض عالياً على الماء.

---

(١) في هـ. د: وروي: نزفاته بالفاء ـ ك، وفي هـ ص : النزق: الحنق والطيش، وفي هـ ب: حركاته.

(٢) في هـ ب، وفي نسخة: وبعد زيفان. الزيفان: شدة [هبوب] الريح.

(٣) في هـ أ و ص: الزيفان: التبختر، وفي هـ ب: تكبر.

٨ ـ (وذلّ مستخذياً إذ تمعّكت عليه بكواهلها) والتمعك: التمرغ، والكاهل: ما بين الكتفين، والاستخذاء: الاسترخاء، فان وجود الارض كحقيقة واقعة، جعل الماء ذليلا مسترخياً متمرغا بالكاهل كاملاً.

٩ ـ (فأصبح بعد اطخاب أمواجه ساجياً مقهوراً) ونتيجة لهذا الامر الواقع، اصبح الماء بعد الاصطخاب، وهو ارتفاع الصوت، ساجياً، أي ساكناً مقهوراً.

١٠ ـ (وفي حكمة الذّلّ منقاداً أسيراً) لان الماء اصبح امام الامر الواقع الذي لا يمكن تغييره، وهو الارض.

١١ ـ (وسكنت الأرض مدحوّة في لجّة تيّاره) الدحو: البسط، واللجة: العمق، والتيار: موج البحر القوي، فبعد ان سكنت الارض بحكم ثقلها المادي اخذت تمتد على الماء.

١٢ ـ (وردّت من نخوة بأوه واعتلائه وشموخ أنفه وسموّ غلوائه وكعمته علىٰ كظّة جريته) النخوة: الحماسة، والبأو: الكبر، والشموخ: العلو، والغلواء: تجاوز الحد، و الكعمة: جعل الشيئ في فم البعير للانضباط، والكظة: الجهد، والجرية: الجريان، وكل هذه الاستعارات لبيان ان ماء البحر اصبح ساكناً وهادئاً بعد خلق الارض وبسطه على الماء باستمرار، بحيث لا يمكن زعزعته بتلاطم المياه والامواج.

١٣ ـ ونتيجة ذلك كله (فهمد بعد نزقاته، ولبد بعد زيفان وثباته) الهمد: السكون، والنزقة: الطيش دفعة، واللبد: القيام في المكان، والزيفان: التبختر في المشي، والوثبة: القفزة، وبالنتيجة: اصبح الماء والارض متصاحبين في الحياة، لا تؤثر شيئ من هيجان الماء في ازالة الارض عن سطحها. وهكذا اصبحت الارض حقيقة واقعة بارادة الله سبحانه.

(٢٦/ ط - ٩١) **الجبال والعيون:**

فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ المَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَحَمْلَ شَوَاهِقَ[١] ٱلْجِبَالِ ٱلْبُذَّخِ[٢] عَلَى أَكْتَافِهَا، فَجَّرَ يَنَابِيْعَ ٱلْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ[٣] أُنُوفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ[٤] بِيَدِهَا[٥] وَأَخَادِيدِهَا[٦]، وَعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلاَمِيدِهَا[٧]، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ[٨]

(١) في هـ ب: الشواهق: المرتفعة العالية.
(٢) في ط و د: الشمّخ البذخ، وفي هـ أ: الأعالي، وفي هـ ب: جمع باذخ، وهو: العالي جداً.
(٣) في هـ ص وب: جمع عرنين، وهو أول الانف.
(٤) في هـ ص: القاع الأملس، وفي هـ أ: المتّسع من الأرض.
(٥) في هـ ب: المفازة.
(٦) في هـ ص: جمع أُخدود، وهو الشقّ في الأرض، وفي هـ ب: جمع الأُخدود، وهو الشق المستطيل في الأرض.

الشُّمِّ[٩] مِنْ صَيَاخِيدِهَا[١٠]، فَسَكَنَتْ مِنَ المَيَدَانِ[١١] بِرُسُوبِ[١٢] ٱلْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا[١٣]، وَتَغَلْغُلِهَا[١٤] مُتَسَرِّبَةً[١٥] فِي جَوْبَاتِ[١٦] خَيَاشِيمِهَا[١٧]، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ ٱلْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا[١٨]، وَفَسَحَ[١٩] بَيْنَ ٱلْجَوِّ وَبَيْنَهَا، وَأَعَدَّ ٱلْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا[٢٠].

١ ـ (فلمّا سكن هيج الماء من تحت أكنافها) أي نواحيها لثقل الارض عليه.

٢ ـ (وحمل شواهق الجبال الشّمّخ البذّخ علىٰ أكتافها) الشامخ: المرتفع، والباذخ: العالي.

٣ ـ (فجّر ينابيع العيون من عرانين أنوفها) العرنين: عظم الانف الصلب.

٤ ـ (وفرّقها في سهوب بيدها وأخاديدها) السهب: الفلاة، والبيد: الارض الفلاة، والاخدود: الحفر المستطيلة في الارض، وهي الانهار التي تجري فيها المياه.

٥ ـ (وعدّل حركاتها بالرّاسيات من جلاميدها) الراسي: الثقيل، والجلمود: الصخر.

٦ ـ (وذوات الشّناخيب الشّمّ من صياخيدها) السنخوب: راس الجبل، والشم: الرفيع، والصيخود: الصخرة الصلبة.

٧ ـ (فسكنت في الميدان لرسوب الجبال في قطع أديمها) الميدان: التحرك والاضطراب، والرسوب: النزول، والاديم: سطح الارض.

٨ ـ (وتغلغلها متسرّبة في جوبات خياشيمها) التغلغل: التخلخل، والتسرب: الدخول بخفاء، والجوبة: الحفرة، والخيشوم: اقصى الانف.

---

(٧) في هـ ب: الثابتات الأصل، جمع جملود، وهو الصخر، وفي هـ ب: صخورها.
(٨) في هـ ص : جمع شنخوب: رؤوس الجبال، وفي هـ أ وب: رؤوس الجبال.
(٩) في هـ ب: العالي.
(١٠) في هـ ص : الصيخود: الصخر، وفي هـ أ : الصياخيد: الشداد، جمع صخرة، وفي هـ ب: الشديدة.
(١١) الميدان التحرك والاضطراب.
(١٢) في هـ ب: بنشوب، وفي ط: لرسوب، وفي هـ. ط: برسوب، وفي هـ. د: لرسوب ـ ض ح.
(١٣) المراد: سطح الأرض.
(١٤) في هامش ب: دخولها.
(١٥) في هـ ص : كالسائر في سرب، [وهو] طريق باطن، وفي هـ ب: سارباً.
(١٦) في هـ ص : جمع جوبة، وهي الفرجة، وفي هـ أ وب: أي متسعات.
(١٧) في هـ ب: ثقب الانوف.
(١٨) في هـ ص : جمع جرثومة: ما اجتمع، وفي هـ ب: أي أصلها.
(١٩) في هـ ب: أي وسع.
(٢٠) المرافق ما يرفق الشيء ويلازمه، كمرافق البيت أو ما يتم بها الانتفاع بالشيء.

٩ ـ (وركوبها أعناق سهول الأرضين وجراثيمها) المراد بالركوب: الاستعلاء، والعناق: السطح، والجرثوم: اصل الشجر.

١٠ ـ (وفسح بين الجوّ وبينها)، أي اوسع بين الجبال وبين الجو، فلم تكن الارض كلها جبالاً، ولو كانت كذلك لما وسع الزرع والحياة للحيوان والانسان.

١١ ـ (وأعدّ الهواء متنسّماً لساكنها) اذ لولا الهواء المفعم بالاوكسجين لما كان لشئ حياة على الارض، سواءً الانسان والحيوان والنبات.

١٢ ـ (وأخرج إليها أهلها علىٰ تمام مرافقها) وفي الختام اخرج الله سبحانه الى الارض اهل الارض من انسان وحيوان للحياة فيها على تمام مرافقها مما يحتاج اليه في العيش بسلام. ولو لا هذه الجبال والعيون لما تيسّر ذلك.

(٢٧/ط - ٩١) السحاب:

ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ ٱلْأَرْضِ (١) الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ ٱلْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا (٢)، وَلاَ تَجِدُ جَدَاوِلُ الأَنْهَارِ (٣) ذَرِيعَةً (٤) إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا (٥) نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا، أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ ٱفْتِرَاقِ لُمَعِهِ (٦)، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ (٧)، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ (٨) لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَٱلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ (٩)، وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ (١٠) فِي كَنَهْوَرِ (١١) رَبَابِهِ (١٢)، وَمُتَرَاكِمِ (١٣) سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً (١٤)، قَدْ أَسَفَّ (١٥) هَيْدَبُهُ (١٦)، تَمْرِيهِ (١٧) ٱلْجُنُوبُ

---

(١) في هـ ب: الأرض الجرز: التي لا نبات فيها.

(٢) في هـ ص: جمع رابية، بمعنىٰ ربوة: ما ارتفع من الأرض، وفي هـ أ: الأعالي، وفي هـ ب: آكامها.

(٣) في هـ. د: جداول الأرض ـ ن م. وفي هـ ص: الجدول: النهر، وفي هـ ب: الأنهار الضيّقة [اضيف] إليها تخفيفاً.

(٤) في هـ ص: وصلة.

(٥) في هـ. د: ثم انشألها ـ م.

(٦) في هـ ص: جمع لمعة، وهي قطعة من الشيء وفي هـ ب: اللمعة قطعة من النبت إذا أخذت في اليبس.

(٧) في هـ ص و ب: وهو قطع السحاب الرقيقة، وفي هـ أ: قزعة: قطع سحاب متفرقة.

(٨) في هـ ص: أي تحركت بقوّة، وفي هـ أ وب: تحركت.

(٩) في هـ ص: جمع كفة وهي كالدّارة المجتمعة، وفي هـ ب: الكفف: قطع السحاب التي هي كالشبكة، وهي ـ في الأصل ـ: جمع كفة الميزان، وكفة الصائد: حبالته.

(١٠) في هـ ص: الوميض: التماع البرق.

(١١) في هـ. ص: الكنهور: قطع السحاب، قيل: المجتمع، والكهنور: المجتمع المتكاثف، وفي هـ أ: العظيم من السحاب.

(١٢) الرباب: السحاب الابيض المتلاحق من الغيوم.

(١٣) في هامش ب: سحاب متراكم.

دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ[(١٨)]، وَدُفَعَ[(١٩)] شَآبِيبِهِ[(٢٠)].

فَلَمَّا أَلْقَتِ ٱلسَّحَابُ بَرْكَ بِوَانَيْهَا[(٢١)]، وَبَعَاعَ ما ٱسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ ٱلْعِبْءِ[(٢٢)] المَحْمُولِ عَلَيْهَا.

واشار الى صفات السحاب والمطر المؤثر في الحياة على الارض بقوله:

١ ـ (ثمّ لم يدع جرز الأرض الّتي تقصر مياه العيون عن روابيها) والارض الجزر التي لا نبات فيها لانقطاع المطر عنها، والرابية: ما علا من الارض.

٢ ـ (ولا تجد جداول الأنهار ذريعة إلىٰ بلوغها) والجدول: النهر الصغير، والذريعة: الوصلة.

٣ ـ (حتّىٰ أنشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها) وناشئة السحاب: ما يبتدئ ظهوره، والارض الموات: التي لا تزرع.

٤ ـ (ألّف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين قزعه) والمراد من الغمامة: السحابة، واللمعة: القطعة من الغمامة، والقزعة: جماعة القطع من السحاب.

٥ ـ (حتّىٰ إذا تمخّضت لجّة المزن فيه) والتمخّض: التحرّك، واللجة: اكثر الماء، والمزن: المطر.

٦ ـ (والتمع برقه في كففه) والكفة: الدائرة تكون في السحاب وتلمع بسبب البرق.

٧ ـ (ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه) الوميض: اللمعان، والكنهور: القطع العظمية من السحاب، والرباب: السحاب الابيض المتلاصق.

٨ ـ (أرسله سحّا متداركاً قد أسفّ هيدبه) والسح المتلاحق أو السيل، والمتدارك:

---

(١٤) أي صباً متلاحقاً ومتواصلاً.

(١٥) في هـ ص وب: أي دنا من الأرض.

(١٦) في هـ ص : الهيدب: أطرافه السفلىٰ، وفي هـ أ : الهيدب من السحاب: ما تهدّب منه، إذا تدلّىٰ كأنه خيوط.

(١٧) في هـ ص : تمريه: أي تستنزله كما يمرىٰ الضرع، وفي هـ ب: تخلّيه، وفي هـ ب: تجليه.

(١٨) في هـ ص : جمع: أُهضوب، وفي هـ أ : أهاضيب جمع هضاب، وهو جمع هَضْب. وهي حلبات القطر بعد القطر.

(١٩) في هـ ب: عطف علىٰ «درر» .

(٢٠) في هـ ص : جمع شؤبوب، وفي هـ أ : الشآبيب: الدفع من المطر، واحدها: شؤبوب، وفي هـ ب: جمع شيبوب.

(٢١) في هـ ص : البرك ـ في الأصل ـ : الصدر، والبواني: ما يليه من الأضلاع، وعنىٰ به ـ هنا ـ : ثقلها، وفي هـ ب: الصدر.

(٢٢) في هـ ص وب: البعاع: الأثقال.

المتواصل من غير انقطاع، والهيدب: ما يتدلى، كما يتدلى هدب العين على اشفارها، والاسفاف: الدنو من الارض.

٩ ـ (تمريه الجنوب درر أهاضيبه ودفع شآبيبه) المري: الحلب، والجنوب :الريح التي يكون عليها المطر، والدرة: كثرة اللبن، والهضاب: حلبات المطر بعد القطر، والدفعة: الدفقة من المطر، والشؤبوب: الرشقة القوية من المطر ينزل بشدة دفعةً.

١٠ ـ (فلمّا ألقت السّحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلّت به من العبء المحمول عليها) اخرج النبات، والمراد بالبرك: الصدر، والبوان: عمود الخيمة، والبعاع: نقلة السحاب بالمطر، والعبئ: الثقل.

فقد استخدم الامام هذه الاستعارات المختلفة لما يراه السائل بام عينه من آثار الخالق سبحانه، من أثر السحاب والمطر من الزراعة التي تشكل حياة المعاصرين آنذاك، مما لا يمكن للانسان المتأمل انكارها.

(٢٨/ ط - أ ٩١) النبات:

أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ[١] الأرضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُعْرِ[٢] ٱلْجِبَالِ الأعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِياضِها، وَتَزْدَهِي[٣] بِمَا أُلْبِسَتْهَ مِنْ رَيْطِ[٤] أَزَاهِيرِها، وَحِلْيَةِ ما سُمِطَتْ بِهِ[٥] مِنْ ناضِرِ أَنْوَارِهَا[٦]، وَجَعَلَ ذٰلِكَ بَلاَغاً[٧] لِلْأَنَام، وَرِزْقاً لِلأَنْعَامِ، وَخَرَقَ ٱلْفِجَاجَ فِي آفاقِهَا[٨]، وَأَقَامَ المَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِها.

وقد عطف الامام ﵇ اوصاف النبات التي يعتمد عليها حياة الحيوان والانسان بسبب السحاب، فقال:

١ ـ (اخرج به من هوامد الأرض النّبات) فان الله سبحانه بسبب السحاب والمطر اخرج

---

(١) في هـ ص : وب: أي الثقل، وفي هـ ب: أي الخالية.
(٢) في هـ ص : جمع أزعَر، وهو قليل النبت، وفي هـ ب: الزعر جمع أذعَر، وأصله من قلّة الشعر، وها هنا: قلة الشعر.
(٣) في هـ ص : من الزهو، وهو الإعجاب، وفي هـ ب: يزدهي نظر الناظر إليها.
(٤) في هـ ص : جمع ريطة، وهي الملاءة، وفي هـ ب: الملاءة الواسعة.
(٥) في أ وهـ . د: شمطت ـ م ك، وفي هـ ص : ويروىٰ «شمطت» بالشين المعجمة، أي خططت، ويروىٰ «سمطت» بالسين المهملة والتشديد، من التسميط، وهو التحلية، وهم يشبّهون النبات باللباس، والحلية للأرض، والله أعلم، وفي هـ أ : أي علقت جعلت ذات لونين، وفي نسخة: سمطت من السمط وهو العقد، وفي هـ ب: أي علقت.
(٦) الأنوار: جمع نَوْر، وهو الزهرة قبل انفتاحها.
(٧) في هـ ب: أي طعاماً.
(٨) في هـ ب: أي نواحيها.

من الهوامد، وهي الارض التي ليس بها نبات، نباتاً.

٢ ـ (ومن زعر الجبال الأعشاب) والازعر: قلة العشب، والعشب: النبات الرطب.

٣ ـ (فهي تبهج بزينة رياضها) والبهجة: السرور، وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[(١)].

٤ ـ (وتزدهي بما ألبسته من ريط أزاهيرها) الريط: الثوب الرقيق، والزهرة: النبات ذات الالوان.

٥ ـ (وحلية ما سمطت به من ناضر أنوارها) والسمط: العقد، والنضارة: الطراوة، والانوار: جمع نَور، وهو الزهرة.

٦ ـ (وجعل ذلك بلاغاً للأنام، ورزقاً للأنعام) البلاغ: الكفاية، فان فيما خلق الله من النبات كفاية لما يعيش عليه الانسان في الحياة، كما ان عليها حياة الانعام والحيوانات.

٧ ـ (وخرق الفجاج في آفاقها) فلو كانت الارض كلها جبلية لما تمكن الانسان من الزرع في الافاق، وهي النواحي التي يعيش فيها.

٨ ـ (وأقام المنار للسّالكين على جوادّ طرقها) فان ما على الارض من جبال هي منار للسالكين ومعرفة لطريق المسافرين، فلو كانت الارض فلاة صحراء جرداء لما تمكن الانسان من معرفة الطرق إلّا بالكواكب والنجوم ليلاً، والشمس نهاراً، وكلها منار للسالكين، وفي ذلك عبرة لمعرفة آثار الخالق التي تدل عليه.

(٢٩ / ط ـ ٩١) **آدم والانبياء** عليهم السلام:

فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ٱخْتَارَ آدَمَ عليه السلام **خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ**[(٢)]**، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ، وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ**[(٣)] **فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي ٱلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ٱلتَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ، فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ**[(٤)] **عِلْمِهِ، فَأَهْبَطَهُ**[(٥)] **بَعدَ ٱلتَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ ٱلْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ**[(٦)] **بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ ٱلْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا**

---

(١) الحج : ٢٢ / ٥.
(٢) في هـ. د: أول جبلته وبديع فطرته ـ م. ف.
(٣) في هـ ص : أي عهد، وفي هـ ب: أو عز، يقال: أوعزت إليه في كذا: أي تقدمت.
(٤) في هـ. د: بسابق علمه ـ ر.
(٥) في هـ ب: أي أنزله.
(٦) في هـ ب: التعاهد: تجديد العهد بالشيء، يقال: تعاهدته بكذا.

مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ المَقْطَعَ[(١)] عُذْرُهُ وَنُذْرُهُ.

وفي هذا المقطع أشارة الى خلق آدم، ودور الانبياء من بعده حتى خاتم النبيين محمّد صلى الله عليه وآله، فقال:

١ ـ (فلمّا مهد أرضه وأنفذ أمره، اختار آدم عليه السلام خيرة من خلقه، وجعله أوّل جبلّته) والمهد: البسط والتسوية، والجبلة: الخلق، فكان آدم هو المختار واول الخلق اجمعين، فهو ابو البشر.

٢ ـ (وأسكنه جنّته وأرغد فيها أكله) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[(٢)] والرغد: الخصب.

٣ ـ (وأوعز إليه فيما نهاه عنه وأعلمه أنّ في الإقدام عليه التّعرّض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته) الايعاز: الانذار، فكان اولى مراحل الامتحان لابي البشر، حيث جعل له حرية الاختيار، واعلمه بآثار الامتحان، وان المعصية توجب المخاطرة بما يتمتع به.

٤ ـ (فأقدم علىٰ ما نهاه عنه ـ موافاة لسابق علمه ـ) فما كان من ابي البشر إلّا ان اقدم على ما نهي عنه وارتكب الخطيئة.

ثم أشار الى ان العلم الازلى لله سبحانه كان بارتكاب آدم الخطيئة، لعلمه بطبيعته، فوافى ،اي طابق ما حصل لذلك العلم الازلي، ولا يتوهم هنا ان العلم أوجب ارتكاب الخطيئة؛ لان علمه لا يتخلف، وذلك لما هو مقرر في الكلام بان العلم بالشئ ليس من العلل لوجود الشئ؛ فان العلة التامة هي العلل الاربعة دون غيرها، فان علم الانسان بموت من يلقي نفسه من شاهق، لا يكون علة لموته، بل ان موته معلول للالقاء نفسه، لاغير، وراجع لمزيد التوضيح «اوضح البيان».

٥ ـ (فأهبطه بعد التّوبة ليعمر أرضه بنسله، وليقيم الحجّة به علىٰ عباده) وقد أجزاه الله الجزاء العادل، حيث لم يستحق التنعم في الجنة مع المعصية، ولولا توبته لكان استوجب الفناء، ولكن بعد التوبة حفظه الله من العذاب واهبطه الى الارض لامرين:

اولاً: ان يعمر الارض بني آدم.

وثانياً: ان يقيم الحجة على عباده في حياة آدم وغيره من الانبياء صلى الله عليه وآله.

٦ ـ (ولم يخلهم بعد أن قبضه ممّا يؤكّد عليهم حجّة ربوبيّته، ويحل بينهم وبين معرفته) وان الحجة في عصر آدم كان ادم نفسه، وبعد ان قبض الله آدم اليه، افتقر الانسان الى حجة

---

(١) المقطع: النهاية.
(٢) البقرة: ٢ / ٣٥.

يكون سبباً لمعرفته تعالى من الانبياء.

٧ ـ (بل تعاهدهم بالحجج علىٰ ألسن الخيرة من أنبيائه ومتحمّلي ودائع رسالاته قرناً فقرناً) وكذلك استمرت رسالة الانبياء في كل عصر حججاً ظاهرةً يتحملون الرسالة الالهية من كل قرن، والقرن ـ لغة ـ هو اهل زمان واحد، وشاع في عصرنا تحديده بمئة عام.

٨ ـ (حتّىٰ تمّت بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله حجّته وبلغ المقطع عذره ونذره) فكان النبي محمّد صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء لسببين، هما:

أولاً: تمام الحجة، فان الرسالة الالهية تمت تشريعاً وتطبيقاً بالنبي صلى الله عليه وآله.

ثانياً: بلوغ المقطع الى النهاية في العذر، وهو مابينه الله تعالى من الشرائع، وفي النذر وهو ما انذر على لسان الانبياء الذي كان آخرهم نبينا محمّد صلى الله عليه وآله.

(٣٠ / ط - ٩١) من صفات الله تعالىٰ:

أشار الامام عليه السلام الى بعض صفات الله، وهي التقدير والآجال وعلمه وقدرته، فالأولان من المحسوسات التي يشاهدهما كل انسان في حياته، وبذلك يستدل على مقدر ومؤجل، والاخيران صفتان هما السبب لكل ما خلق الله سبحانه، مما اشير اليه في هذه الخطبة، من الخلق والملائكة والسماوات والارض والانبياء، والتقدير والآجال؛ فان كل ذلك عن علم وقدرة لا يعلمها إلّا هو.

(٣١ / ط - ٩١) تقدير الارزاق:

وَقَدَّرَ ٱلْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ(١) وَالسَّعَةِ، فَعَدَّلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِها وَمَعْسُورِهَا(٢)، وَلِيَخْتَبِرَ بِذٰلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ(٣) فَاقَتِهَا(٤)، وَبِسَلاَمَتِهَا طَوَارِقَ(٥) آفاتِها، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا(٦) غُصَصَ أَتْرَاحِهَا(٧).

قال عليه السلام:

---

(١) في هـ ص : بفتح وبكسر اسم المصدر، وبالكسر لا غير المصدر.
(٢) في هـ ب: من العسر واليسر.
(٣) في هـ. ص: عقبول، وهو بقية نحو المرض، وفي هـ أ : واحدها عقبول من بقية الحمّىٰ، وفي هـ ب: وهو الوجع.
(٤) الفاقة: الفقر.
(٥) في هـ ب: هي التي تأتي غفلة أو بالليل.
(٦) في هـ ب: جمع فرح.
(٧) في هـ ص : الترح: الغم والحزن.

١ ـ (وقدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها وقسّمها علىٰ الضّيق والسّعة، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذٰلك الشّكر والصّبر من غنيّها وفقيرها) واختلاف الطبقات في الرزق محسوس، فبين من له الرزق الكثير، ومن له القليل، ومن هو في ضيق، ومن هو في سعة، ولكن وراء كل ذلك عدل الهي وان لم يصل اليه الفكر البشري، وأشار الى امرين يظهران للمتأمل، هما:

أولاً: ان ذلك امتحان، والابتلاء ـ لغة ـ هو الامتحان؛ فان كلا من صاحب اليسر، وصاحب العسر ممتحن في السعة والعسر، اما في اليسر، فهل يقوم بواجبه من اداء فروض الفقراء واسعاد حياتهم بقدر ما يطيق، ام لا؟

وهذا الامتحان قائم مع كل حالة يسر، واما حالة العسر، فهل يتعدى المعسر حدوده المشروعة والقانونية بالاستيلاء على مايريد بطريق غير شرعي وغير قانوني؟ فان فعل فانه سوف يعاقب قانونياً، وهذا امتحان في كل حالة عسر.

وثانياً: الاختيار بالشكر على اليسر والصبير على العسر، من كل من الغني في حالة اليسر، والفقير في حالة العسر؛ فان كلا من الشكر والصبر يزيد الشاكر والصابر صموداً بالعمل الجاد في سلوك الطريق المستقيم للحصول على ما يريده من دون تعد أو التواء في السلوك.

٢ ـ (ثمّ قرن بسعتها عقابيل فاقتها، وبسلامتها طوارق آفاتها، وبفرج أفراحها غصص أتراحها) العقابيل: قروح صغار تخرج بالشفة على اثر المرض، والطوارق: الحوادث المفاجئة، والترح: الغم والمحن.

يشير الامام عليه السلام الى ان نظر الانسان الى صاحب السعة بانه في سعة نظرة خاطئة؛ لانها مجرد تصور شخصي، وانطباع فردي، وليس له حقيقة؛ فان صاحب السعة بالمال مثلاً قد صوره الفقير سعيداً في حين انه في غناه له من الهموم في حفظ ما حصل عليه من الحساد والسراق وما شابه ذلك ما لا يتصورة من ليس له هذه السعة. فان السعة المتصورة مقرونة بقروح وامراض وهموم الفاقة والفقر في نفس السعة، فهو غني بالمال، ولكنه فقير الى الضمان والحارس والامن من المعتدي وما شابه، وهذا الجانب لا يشعر به من ليس في السعة، وكذلك السلامة مقرونة بالآفات، وكذلك الفرح مقرون بالترح.

وبالاجمال، فان الله سبحانه لم يخلق بشراً من دون هم وغم، وان هموم الاغنياء والرؤساء اكثر من هموم الفقراء والناس العاديين، وكم من رئيس يتمنى ان يعيش في حالة بدون حراسة وخوف من عدو مترصد للقضاء على حياته؟ وهذا مالا يحس به الفقير قط، ولو علم بهذه الحقيقة لاصبح شاكراً وصابراً.

(٣٢ / ط - ٩١) خلق الآجال:

وَخَلَقَ ٱلْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَها، وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالمَوْتِ أَسْبَابَها[١]، وَجَعَلَهُ خالِجاً[٢] لِأَشْطانِها[٣]، وَقاطِعاً لِمَرَائِرِ[٤] أَقْرَانِها[٥].

علم الله وقدرته:

ومن صفات الله سبحانه التي يحسها كل انسان في حياته اليومية: خلق الآجال، فكم من قريب وصديق عانق الموت على حين غفلة؟ فان الموت لا والداً يبقي ولا ولداً.

وأشار الامام عليه السلام الى ذلك بقوله:

١ ـ (وخلق الآجال فاطالها وقصّرها وقدّمها وأخّرها) وهناك من طال اجله حتى عاد كالعرجون القديم. وهناك من مات في المهد، وهناك من وصل الى ابواب الموت وعجزت عنه الاطباء، فاذا عادت اليه الصحة والسلامة بالرحمة الالهية، فاخر أجله. وهناك من جعل نفسه في حصن منيع من الاطباء للمحافظة على سلامته فقدم الله سبحانه اجله.

٢ ـ (ووصل بالموت أسبابها، وجعله خالجاً لاشطانها، وقاطعاً لمرائر أقرآنها) الخلج: الجذب، والاشطان: الحبال، والقرن: ايضاً الحبل، والمرير: مالطف من الحبل واشتد فتله. وقد استخدم الامام هذا الاستعارات لبيان صفات الموت، وهي ثلاث:

أولاً: ان اسباب الآجال موصولة بالموت، بان العاهات والامراض من اسباب الآجال المتصلة بالموت.

ثانياً: ان الموت يكون بجذب حبال الآجال، فهما مرتبطان بحبل وثيق بينهما.

ثالثاً: ان الموت يقطع هذه الحبال الوثيقة المرتبطة بالآجال عن الآجال، فالموت مقدر على الاسباب التى هى الامراض، فاذا لم تعالج تحقق الاجل المقدر، وبعد ان يتحقق الاجل يكون الموت الذي هو سبب الموقف القاضي على دور الاجل.

وبالاجمال، فالموت هو منتهى كل شئ حي على وجه البسيطة، ولا يبقى إلّا وجه ربك ذو الجلال والاكرام.

(٣٣ / ط - ٩١) علم الله:

---

(١) جمع سبب: وهو الحبل الطويل.
(٢) في هـ ب: أي جاذباً.
(٣) الشطن: الحبل، وفي هـ أ: أي حبالها.
(٤) في هـ ب: المرير من الحبال، ما لطف واشتد فتله، والجمع مرائر.
(٥) في هـ ص: القرن الحبل، والمريرة: ما طال ولطف واشتد فتله، وفي هـ ب، القرن: وِجَار يقرن به البعيران، والجمع أقران.

عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمائِرِ المُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى[(١)] المُتَخَافِتِينَ[(٢)]، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ[(٣)] الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ ٱلْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ[(٤)] إِيمَاضِ[(٥)] ٱلْجُفُونِ، وَما ضَمِنَتْهُ[(٦)] أَكْنانُ[(٧)] ٱلْقُلوبِ، وَغَيَابَاتِ ٱلْغُيُوبِ[(٨)]، وَما أَصْغَتْ[(٩)] لاِسْتِرَاقِهِ مَصائِخُ[(١٠)] ٱلْأَسْمَاعِ، وَمَصَائِفِ[(١١)] الذَّرِّ[(١٢)]، وَمَشَاتِي[(١٣)] ٱلْهَوَامِّ، وَرَجْعِ ٱلْحَنِينِ[(١٤)] مِنَ المُولَهاتِ[(١٥)]، وَهَمْسِ[(١٦)] ٱلأَقْدَام، وَمُنْفَسَحِ[(١٧)] ٱلثَّمَرَةِ مِنْ وَلائِجِ غُلُفِ[(١٨)] ٱلْأَكْمام، وَمُنْقَمَعِ[(١٩)] ٱلْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ[(٢٠)] ٱلْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِها، وَمُخْتَبَأ[(٢١)] ٱلْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ[(٢٢)] ٱلْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِها[(٢٣)]، وَمَغْرِزِ ٱلْأَوْرَاقِ مِنَ ٱلْأَفْنانِ[(٢٤)]، وَمَحَطِّ ٱلْأَمْشاجِ[(٢٥)] مِنْ مَسَارِبِ

---

(١) في هـ ص : التخافت: اخفاء الكلام، وفي هـ ب: قول سرٍ.
(٢) في هـ ب: الذين يتكلّمون في خفاء.
(٣) في هـ ص : ما لا وثوق به وفي هـ ب: التكلم بالظن.
(٤) في هـ ص : محائلة الرؤية.
(٥) في هـ أ وب: يقال: أو مضت المرأة: إذا سارقت النظر، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلأَعْيُنِ ومَا تُخْفِي ٱلصُّدُور﴾.
(٦) ضمنته: حوته.
(٧) الاكنان: جمع كن، وهو ما يستتر فيه.
(٨) غيابات الغيوب: أعماقها.
(٩) في هـ ب: أي مالت.
(١٠) في هامش الأصل: جمع مصيخ: آلة السمع، وفي هامش الف: الموضع الذي يستمع به، وفي هامش ب: مسامع.
(١١) في هـ ص : بالكسر، عطفاً علىٰ السِّر، وهي جمع مصيفة: ما يقام فيه في الصيف، وفي هـ ب: من الصيف.
(١٢) الذر: النمل.
(١٣) في هـ ص : جمع مشتىٰ.
(١٤) رجع الحنين: ترجيعه وترديده.
(١٥) في هـ ص : فاقدات أولادهن، وفي هـ ب: أي من الامهات التي فرّق بينها وبين وُلدها.
(١٦) في هـ ص : الحسن الخفي.
(١٧) في هـ ب: أي متوسع.
(١٨) في هـ ص : جمع غلاف.
(١٩) في ب ود: منقمع، وفي هـ. ص: التقمّع: الانقباض والتستر، وفي هـ أ: منقمع الوحوش: موالجها.
(٢٠) في هـ ب: جمع غار.
(٢١) في هـ ب: محل خفائها.
(٢٢) في هـ ب: جمع ساق.
(٢٣) في هـ ص : جمع لحاء، وهو قشرة الشجرة.
(٢٤) الافنان: الغصون.
(٢٥) في هـ ص : جمع مشج، وهو المني، وفي هـ ب: أي منزل ماء الرجل والمرأة.

ٱلْأَصْلاَبِ(١)، وَناشِئَةِ ٱلْغُيُوم وَمُتَلاَحِمِها، وَدُرُورِ(٢) قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِها، وَمَا تَسْفِي ٱلْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا(٣)، وَتَعْفُو(٤) ٱلْأَمْطَارُ بِسُيُولِها، وَعَوْمِ(٥) بَناتِ(٦) ٱلْأَرْضِ(٧) فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ ٱلْأَجْنِحَةِ بِذُرَى(٨) شَنَاخِيبِ(٩) ٱلْجِبَالِ، وَتَغْرِيدِ(١٠) ذَوَاتِ المَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ(١١) ٱلْأَوْكَارِ(١٢)، وَمَا أَوْعَبَتْهُ(١٣) ٱلْأَصْدَافُ(١٤) وَحَضَنَتْ(١٥) عَلَيْهِ أَمْوَاجُ ٱلْبِحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ(١٦) أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ(١٧) شَارِقُ نَهارٍ، وَمَا ٱعْتَقَبَتْ(١٨) عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ وَسُبُحَاتُ(١٩) النُّورِ، وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ(٢٠)، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ(٢١) كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ(٢٢)، وَمَا عَلَيْها مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ(٢٣)، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ

---

(١) في هـ ص : جمع مسرب، حيث يتسرب أي يسيل، وفي هـ ب: مسائل.
(٢) في هـ ص : أي نزول، وفي هـ ب: الدرّ: السيلان.
(٣) في هـ ب: أي ما تذر هذه الرياح.
(٤) في هـ ب: تعفو: تدرس.
(٥) في أ : وعموم.
(٦) في ص وب: وط ود: نبات.
(٧) في هـ ص العوم: الغوص، وبنات الأرض: الهوام والحشرات تعوم في الأرض كما يغوص السابح في الماء، وفي هـ ب: أي عالم عوم نبات الأرض في الرمال، أي دخول الهوام والحشرات التي تكون في الأرض .
(٨) في هـ ب: أي يعلىٰ.
(٩) في هـ ب: [الشنخوب] رأس الجبل.
(١٠) في هـ ب: التصوّت بالغناء.
(١١) في هامش الأصل: الديجور: الظلمة. وفي هامش ب: الظلمات.
(١٢) في هـ ب: الأوكار: جمع وكر، وهو موضع الطير.
(١٣) أي جمعته، والمراد اللؤلؤ، وفي هـ ص في نسخة: اودعته وفي ب: وما وعته، وفي ط ود: وما أوعبته.
(١٤) في هـ ب: أي عالم ما جمعته الأصداف.
(١٥) في هـ. ص : أي ضمته، كما يحضن الولد، وفي هـ. ب: حضنة البحار: السمك، وحضن الطائر بيضه.
(١٦) في هـ ص : بالضم والفتح، وفي هـ ب: أي ظلمتهُ.
(١٧) في هـ. د: وذر ـ ى ن، وفي هـ ص : أي مدّ عليه نوره، وفي هـ ب: أي ما طلعت عليه الشمس.
(١٨) في هـ ص : من العقبة، وهو التداول، وفي هـ. ب: أي تعاقبت، يقال: اعتقب البائع السلعة من المشتري: حين يأخذ ثمنها.
(١٩) في هامش الأصل: أي أجزاءه العظيمة الضخمة. وفي هامش ب: السبحات: الانوار، وسبحات وجهه: أي جلاله ونوره.
(٢٠) في هـ ب: أي نفسٍ.
(٢١) في هـ ص : جمع همهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر، والظاهر انه يريد ترديد الخاطر بين فعل الشيء وتركه، لكن لابد ان يقارن هذا الخاطر صوت يردّد، فاستعير اسمه له.

قَرَارَةٍ[٢٤] نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةٍ[٢٥] دَمٍ وَمُضْغَةٍ. أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلاَلَةٍ.

وقد فصل الامام ذكر العلم والقدرة من صفات الله بتفصيل شبه كامل، تنبيها على ان الخلق بأجمعه من البدء الى النهاية من لدن علم خبير، فمن نظر الى اثار الخلق الحكيمة علم بانها صادرة عن علم وقدرة، ولا يمكن ان توجد بدونها، وكفى ذلك علماً للسائل بان يصف الله كأنه يراه.

وابتدأ بعلم الله ثم عقبه بقدرته، فقال:

١ ـ هو (عالم السر من ضمائر المضمرين) والسر: ما يكتمه الانسان في نفسه وضميره، ولكنه ليس سراً على خالق الضمير العالم بما في القلوب.

٢ ـ (ونجوى المتخافتين) النجوى: الكلام سراً من دون رفع الصوت.

٣ ـ (وخواطر رجم الظّنون) وهو القول بالظن من دون دليل.

٤ ـ (وعقد عزيمات اليقين) وهي التى يعقد القلب عليها وتطمئن النفس اليها.

٥ ـ (ومساوق إيماض الجفون) المسارق ما تسترقه الابصار، والايماض: اللمعة الخفية.

٦ ـ (وما ضمنته أكنان القلوب) والكن: الستر، واكنان القلوب: غلفها.

٧ ـ (وغيابات الغيوب) والغيابة: قعر البئر، وكل غامض خفى.

٨ ـ (وما أصغت لاستراقه مصائخ الأسماع) والاصغاء: التسمع، والاستراق :الاستماع خفية، والمصائخ، ثقبة الأُذن.

٩ ـ (ومصائف الذّر) الذر: النمل، والمصائف: المواضع التي تقيم فيه في الصيف.

١٠ ـ (ومشاتي الهوامّ) وهي الحشرات والمشاتي : المواضع التي تقيم فيها في الشتاء.

١١ ـ (ورجع الحنين من المولهات) والرجع: الترجيع والترديد، والمولهات :الامهات اللواتي حيل بينهن وبين اولادهن.

١٢ ـ (وهمس الأقدام) والهمس: هو الصوت الخفي.

١٣ ـ (ومنفسح الثّمرة من ولائج غلف الأكمام) ومنفسح الثمرة: موضع نمائها،

---

(٢٢) في هـ ص : الهامة: التي تهم، أي تريد، والله أعلم.

(٢٣) في ب: من ثمر كل شجرة.

(٢٤) القرارة: مقرّ النطفة.

(٢٥) في هـ ب، وفي نسخة: أو نقيعة دم، وفي هـ ص : هي ما يجتمع ممّا له نون. وفي هـ أ : ما يجتمع فيه الماء، وفي هـ ب: نقاعة، فعالة كالنخالة والبراءة، يقال: نقع الدم الموضع الذي استنقع فيه، كما يقال للماء.

والوليجة: القشر الداخلي، والخلف: الغلاف، والكلم: فطر يؤكل في الربيع.

١٤ ـ (ومنقمع الوحوش من غيران الجبال وأوديتها) والانقماع: الاخنفاء، والغيران: جمع الغار، وهو الكهف في الجبل، حيث يختفي فيه الوحوش من ان تفترس.

١٥ ـ (ومختبأ البعوض بين سوق الأشجار وألحيتها) والمختبأ: محل الاستتار، وساق الشجر: عوده، واللحاء: القشر الذي يعلو الساق.

١٦ ـ (ومغرز الأوراق من الأفنان) والغرز: موضع الغرز، اي ادخال الورق في الافنان، وهي الغصون.

١٧ ـ (ومحطّ الأمشاج من مسارب الأصلاب) والمشيج: النطفة الملقحة لبويضة المرأة، والمسرب: الموضع الذي يتسرب المني اليه من الرحم.

١٨ ـ (وناشئة الغيوم ومتلاحمها) والناشئة: اول ما ينشأ، والمتلاحم: ما يلتصق منها ببعض.

١٩ ـ (ودرور قطر السّحاب في متراكمها) والدر: السيلان، والمتراكم: المجتمع.

٢٠ ـ (وما تسفي الأعاصير بذيولها) والسفي: الحمل، والذيول: الاطراف.

٢١ ـ (وتعفو الأمطار بسيولها) والعفو: المحو والاندراس.

٢٢ ـ (وعوم بنات الأرض في كثبان الرّمال) العوم: السباحة، وبنات الارض: الهوام، والكثبان: التلال.

٢٣ ـ (ومستقرّ ذوات الأجنحة بذرا شناخيب الجبال) الشنخوب: رأس الجبل، والذروة: العلو، فان الطيور تستقر في اعلى الجبال ما تمكنت.

٢٤ ـ (وتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار) والتغريد: الطرب، وذوات المنطق: الطيور، والديجور: الظلام، والوكر: عش الطائر.

٢٥ ـ (وما أوعبته الأصداف) اوعبته: أي احتوته الاصداف من اللؤلؤ فيها.

٢٦ ـ (وحضنت عليه أمواج البحار) حضنت عليه: أي ضمته، كما تحتضن الانثى طفلها.

٢٧ ـ (وما غشيته سدفة ليل، أو ذرّ عليه شارق نهار) السدفة: الظلمة، والغشية: الغطاء، وذر عليه شارق ، أي طلعت عليه الشمس.

٢٨ ـ (وما اعتقبت عليه أطباق الدّياجير وسبحات النّور) الاعتقاب: التعاقب والتوالي، والديجور: الظلمة، والنتيجة هو الجري، اي ما يجري من النور في النهار.

٢٩ ـ (وأثر كلّ خطوة) وهى ما بين القدمين من الانسان.

٣٠ ـ (وحسّ كلّ حركة) من انسان أو حيوان أو جماد.

٣١ ـ (ورجع كلّ كلمة) وهى ما ترجع به الكلام الى نفسك.
٣٢ ـ (وتحريك كلّ شفة) من دون كلام.
٣٣ ـ (ومستقرّ كلّ نسمة) والنسمة: الانسان نفسه.
٣٤ ـ (ومثقال كلّ ذرّة)، أي وزن كل ذرة.
٣٥ ـ (وهماهم كلّ نفس هامّة) والهمهمة: ترديد الصوت في الصدر.
٣٦ ـ (وما عليها من ثمر شجرة)، أي ما على الارض.
٣٧ ـ (أو ساقط ورقة) من اوراق الشجر.
٣٨ ـ (أو قرارة نطفة)وهى ما يستقر فيه الماء، والنطفة: الماء نفسه.
٣٩ ـ (أو نقاعة دم ومضغة) النقاعة: النقرة التي تجتمع فيها الدم، والمضغة: قطعة اللحم.
٤٠ ـ (أو ناشئة خلق وسلالة) الناشئة: البداية، والسلالة: ما استل من الشئ كالولد.

وقد فصّل عليه السلام هذه الموارد التي يتعلق بها علم الله سبحانه والتي يتصور الانسان انها من الامور المهملة التي لا داعى للعلم بها، لا ستهجان بعضها وعدم تعلق فائدة معقولة منها من العلم بها، وذلك للتأكيد على ان صفات الذات المقدسة مساوقة للذات، وليس لها حد محدود، وراجع المادة في المعجم.

(٣٤ / ط ـ ٩١) قدرة الله:

لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُلْفَةٌ. وَلَا ٱعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ٱبْتَدَعَ[١] مِنْ خَلْقِهِ عَـارِضَةٌ، وَلَا ٱعْتَوَرَتْهُ[٢] فِي تَنْفِيذِ ٱلْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الَمخْلُوقِينَ مَلاَلَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ، بَلْ نَـفَذَهُمْ[٣] عِـلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ[٤]، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ[٥] فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

وختم المقطع بالاشارة الى قدرة الله سبحانه الذي هو على كل شئ قدير، وقال:
١ ـ (لم يلحقه في ذلك كلفة) وهى المشقة.
٢ ـ (ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة) وهي ما يعترض العمل ويمنع من الاتمام.
٣ ـ (ولا اعتورته في تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين مـلالة ولا فـترة) الاعـتوار:

---

(١) في ط: ابتدعه.
(٢) اعتورته: تداولته وتناولته.
(٣) في ط : نفذ فيهم، وفي هـ ب، وفي نسخة: نفذ فيهم.
(٤) في د: واحصاهم عـدده، وفـي أ وهـ. د: واحـصاهم كـتابه ـ ف، وفـي هـ أ، وفـي نسـخة: واحصاهم عدّه.
(٥) في هـ ب: أي سترهم.

الاعتراض، والملالة: الملل من العمل، والفترة: الضعف؛ لان هذه العوارض انما تتحقق لما ليس بذاتي، والله سبحانه صفاته ذاتية، فلا تنقص منه هذه الصفات، كما لا ينقص النور من الشمس؛ لانه سبحانه نور السموات والارض.

٤ ـ (بل نفذهم علمه) فأحاط بهم كاملاً.

٥ ـ (وأحصاهم عدده) باحصاء كامل.

٦ ـ (ووسعهم عدله) لجمع المخلوقات شاملاً.

٧ ـ (وغمرهم فضله) لكل الموجودات عاماً.

٨ ـ (مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله) لانهم بحكم كونهم مخلوقات مادية لا يمكنهم ذلك؛ فان الله على كل شئ قدير، وهو بعبادة لطيف خبير.

(٣٥/ط - ١٠٩) دعاء:

ٱللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ ٱلْوَصْفِ ٱلْجَمِيلِ، وَالتَّعْدَادِ[١] ٱلْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوّ.

ٱللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي[٢] فِيما لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعادِنِ ٱلْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ ٱلرِّيبَةِ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائحِ ٱلْآدَمِيِّينَ، وَالثَّناءِ عَلَى المَرْبُوبِينَ المَخْلُوقِينَ.

ٱللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثنَى عَلَيْهِ مَثوبَةٌ مِنْ جَزَاء، وَعَارِفَةٌ[٣] مِنْ عَطاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ[٤] ٱلرَّحْمَةِ، وَكُنُوزِ المَغْفِرَةِ.

ٱللَّهُمَّ وَهَذَا مَقامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهٰذِهِ المَحَامِدِ وَالمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَها إِلَّا فَضْلُكَ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِها إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لي[٥] فِي هٰذَا المَقامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ ٱلْأَيْدِى إِلَى سِوَاكَ[٦]، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

والمقطع الاخير للخطبة يتضمن الدعاء في نقاط اربع، تلخص ما تقدم من الاوصاف الالهية، والحاجة البشرية:

---

(١) في هـ ص : مصدر عدد للتكثير.

(٢) في هـ ص : أي آتيتني لساناً وفصاحة وسعة نطق.

(٣) في أ وط: من جزاءٍ أو عارفة.

(٤) في هـ ص : جمع ذخيرة، وهي هنا الأعمال الصالحة.

(٥) كذا في ص ، وفي أ وب وط ود: لنا.

(٦) في هـ ص ، وفي نسخة: إليّ من سواك.

(٣٦/ط - ٩١) **اولاً ـ الوصف الجميل:**

ولا يستحقه حقاً سوى الله سبحانه وحده.

١ ـ (اللّهمّ أنت أهل الوصف الجميل) وليس غيرك اهلاً له.

٢ ـ (والتّعداد الكثير) لتعدد الفواضل الالهية في الآفاق والانفس (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها).

٣ ـ (إن تؤمّل فخير مأمول) لاستجماع الصفات الكمالية في الذات المقدسة.

٤ ـ (وإن ترج فخير مرجو) فلا احد اهل للرجاء سواه.

(٣٧/ط - ٩١) **ثانياً ـ حالة الداعي:**

١ ـ (اللّهمّ وقد بسطت لي) من القدرة والعلم والمعرفة.

٢ ـ (فيما لا أمدح به غيرك) لان مدح غيرك جهل بما بسطت لي.

٣ ـ (ولا أثني به علىٰ أحد سواك) لان الثناء على غيرك ينافي معرفتك.

٤ ـ (ولا أوجّهه إلىٰ معادن الخيبة ومواضع الرّيبة) فكل من سواه يكون كذلك؛ لانهم بشر قد يخيب من يوجه الثناء اليهم، وهم موضع شك في استحقاق ذلك.

٥ ـ (وعدلت بلساني عن مدائح الآدميّين والثّناء علىٰ المربوبين المخلوقين) فان الصفات الثلاث، اعني: الادمية والمربوبية والمخلوقية تستوجب العدول عن مدحهم والثناء عليهم باللسان؛ لكونهم معادن الخيبة ومواضع الريبة.

(٣٨/ط - ٩١) **ثالثاً ـ العدالة من الجزاء:**

١ ـ (اللّهمّ ولكلّ مثن علىٰ من أثنى عليه مثوبة من جزاء، أو عارفة من عطاء) وهذا ما يقتضيه العدل في المخلوقين، فكيف بالنسبة الى الخالق سبحانه؟ والجزاء: هو الثواب على العمل، والعارفة: هو العطاء من دون عمل.

٢ ـ (وقد رجوتك دليلاً علىٰ ذخائر الرّحمة وكنوز المغفرة) بالوصف الجميل الذي لا يستحقه أحد سواك، برجاء الرحمة الالهية والمغفرة الربانية. وهذا الرجاء يستحق: اما الجزاء على اداء الواجب الذي هو عمل قام به الداعي، أو عارفة عطاء ابتدائي ممن هو اهل للعطاء، وكل منها ثواب يقتضيه العدالة الالهية.

(٣٩/ط - ٩١) **رابعاً ـ رضى الله:**

١ ـ (اللّهمّ، وهذا مقام من أفردك بالتّوحيد الّذي هو لك) كما هو واجب الداعي.

٢ ـ (ولم يرمستحقّا لهذه المحامد والممادح غيرك) حيث لا يوجد من يستحقها سواك.

٣ ـ (وبي فاقة إليك) وليس الى غيرك، لسببين ههما:

٤ ـ ان الفاقة (لا يجبر مسكنتها إلاّ فضلك) وحدك، حيث لا يملك احد سواك هذا الفضل.

٥ ـ (ولا ينعش من خلّتها إلاّ منّك وجودك) والخلة: الفقر، والمن: الاحسان، فلا سبيل الى التخلص من هذا الفقر سوى الجود، أو الاحسان الالهي من الله تعالى.

٦ ـ (فهب لنا في هذا المقام رضاك، وأغننا عن مدّ الأيدي إلىٰ سواك، إنّك علىٰ كلّ شيئ قدير) فلا بد من من تحقيق له رضى الله سبحانه، وان من فعل ذلك استغنى عن غيره واعتمد على هدى ربه. «ومن كان مع الله كان الله معه».

[الخطبة ٩٢]

ومن كلام له عليه السلام لما أُريد[(١)] على البيعة بعد قتل عثمان

كان مقتل الخليفة الثالث عثمان (رض) عام ٣٥ ثانى مقتل خليفة للمسلمين، واول مقتل على أثر ثورة عامة اشترك فيها الصحابة كطلحة والزبير، وكان الامام الوحيد من الصحابة الذي كان يدافع عن حياة عثمان هو وولديه الحسن والحسين، بما تيسر لهم، كما مشروح في التاريخ.

وبعد المقتل اصبحت شخصية الامام الشخصية الوحيدة التي توجهت اليها انظار الصحابة للبيعة؛ للخصال التي تمتع بها، ولكن الامام بحكم معاصرته للاحداث، ومعرفته رؤوس المعارضة، كشف عن حقيقة الموقف، كما يراه بكل صراحة، في سياسة مكشوفة كما هي عادته وعادة اهل بيته، اتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد فصل الشارح ابن ابي الحديد (ت / ٦٥٦هـ) عن شيخه أبي جعفر الاسكافي (ت / ٢٤٠هـ) تفصيل ذلك، في شرحه (ج٧، ص ٣٥ ـ ٤٢)، ويراجع المسند ايضاً في ذلك.

والنص هذا لا يدل على رفض الخلافة قط، وانما يدل على ما هو ظاهر منه مع ملاحظة الخلفية التاريخية من اختلاف الاسباب الداعية لهؤلاء المبايعين اختلافاً حاداً، فمنهم من كان يريد الشركة في الخلافة بقوله: «يمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا» ومنهم من قال: «انك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا» والامام من جانبه كانت له سياسته السائرة على السنة النبوية فقد صرح عليه السلام بانّ «المال مال الله يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد».

وفى خضم هذه المواقف المتضادة المادية ، استخدم الامام موقعه الاسلامي الرشيد، فارشدهم الى ما هو صالح الاسلام والمسلمين من دون رفض للخلافة ، فقال:

(١/ط ـ ٩٢) **الموقف الرشيد:**

دَعُونِي[(٢)] وَٱلْتَمِسُوا غَيْرِي[(٣)]؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ[(٤)]؛ لاَ تَقُومُ لَـهُ

---

(١) في ب وط : لما أراده الناس.

(٢) في هـ ب: أي اتركوني.

(٣) في هـ ب: أي اطلبو غيري.

(٤) في هـ ب: أي ان رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني عن جبرئيل عن الله: ان إذا بايعتموني [فانّا] نستقبل امراً عظيماً هائلاً له وجوه مختلفة وأنواع متفاوتة، لا تقوم له القلوب، ويزل العقلاء

ٱلْقُلُوبُ، وَلاَ تَثْبُتُ عَلَيْهِ ٱلْعُقُولُ، وَإِنَّ ٱلْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ[(١)]، وَٱلْمحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ.

وَٱعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ[(٢)] رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ؛ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ ٱلْقَائِلِ، وَعَتْبِ ٱلْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً؛ خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً!

١ ـ (دعوني والتمسوا غيري) فان القيام بمسؤلية الخلافة يقتضى السير على السنة النبوية في كل خطوة، ومنها التسوية في العطاء، الذي ام يرتضه بعض الصحابة المبايعين، كما كان يعلم هو تاريخهم الماضي. وكما بين ماضيهم انهم سيحاولون معارضة الخلافة لامحالة؛ لعلمهم بخسرانهم المصالح المتوقعة، وفي مثل هذا الموقف يجب على الخليفة الراشد ان يبدي رأيه القيادي لمصلحة الاسلام والمسلمين، وهكذا كان من دون رفض، وهذا ما فضله الامام عليه السلام، وذكر السبب الاجمالي لهذا الاقتراح بقوله:

٢ ـ (فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان) متناقضة، والسياسة المالية النبوية هي التسوية في العطاء بين المسلمين جميعاً، وبين من يرى تفضيل بعض الصحابة على الاخرين، وفي مثل هذا الموقف تكون الخلافة فاقدة لشرائط التنفيذ.

وأشار الى ان هذا الوجوه والالوان ليست سطحية، بل هي جوهرية في الخلافة النبوية، بقوله:

٣ ـ (لا تقوم له القلوب) فلا مجال للوحدة بين التسوية وعدم التسوية إلّا بالمساومة المرفوضة اساساً في سنة النبي صلى الله عليه وآله.

٤ ـ (ولا تثبت عليه العقول) فان شرط نجاح اية مسؤولية ان يكون لها ثوابت تؤيدها افكار المسؤولين، وهذا مفقود في حالة ثورية انتهت بمقتل الخليفة الثالث (رض).

٥ ـ (وإنّ الآفاق قد أغامت) والآفاق: هي اطراف الدولة الاسلامية التي تأثرت بالثورة، فقد اغامت ، أي استولى عليها الغم؛ لعدم وضوح الرؤية في الاحداث واسبابها ونتائجها وطريق تصحيحها.

٦ ـ (والمحجّة قد تنكّرت) والمحجة: الطريق الواضح من السنة النبوبة، وقد تنكر لها

فيه مثل الناكثين والقاسطين والمارقين، وان نواحي الاسلام قد اظلمت بغيوم ظلم بني اُمية.

(١) وفي هـ ص : أغامت كناية عن الشبهة واللبسة.

(٢) في هـ ب: ثم قال: إن أجبتكم فبثلاثة شروط، أحدها: ان أعمل بكتاب الله فيكم، ولن يكون لكم قول فيما يحدث من الاحكام، بل جميع ذلك موكول إليٰ الله، وإذا قضيت بقضية لا تطيقون عليَّ فيها، فإمّا أن تتركوني عليٰ ما كنت بعد رسول الله، أو أكون وزيراً عن رسول الله كما كان.

البعض بسبب الجهل والمغالطات في تفسير السنة النبوية، وتطبيق مفهوم العدالة الاسلامية كما بشر بها النبي الاعظم صلى الله عليه وآله.

(٢/ ط - ٩٢) **السياسة الواضحة:**

وقد أشار الامام الى سياسته الواضحة في الخلافة النبوية المستندة الى القرآن الكريم والى السنة المطهرة في نقاط:

٧ ـ (واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم) كما تقتضيه المسؤولية؛ اذ لو عمل بخلاف ما يعلم كان مداهنا، وهو مرفوض في الاسلام اساساً.

٨ ـ (ولم أصغ إلىٰ قول القائل وعتب العاتب) من الذين يخالفون ما أعلمه علماً حقيقياً، فان المطلوب من القائد ذلك وعدم التأثر بالدعايات المضادة.

٩ ـ (وإن تركتموني فأنا كأحدكم) حاله كحال احد من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وليس من تركه الاكمن يترك الثوابت الاسلامية التي يدافع الامام عنها، وفي ظرف كهذا يرى الامام ان من مصلحة الاسلام ان لا يكره احداً على البيعة، وان لا تكون البيعة إلّا عن حرية واختيار، كما هو الثابتة الاسلامية.

١٠ ـ (ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم) وفي هذا التمنّي اشارة الى ان ما يتمناه لا يكون فيما اذا قبض من يتولى الخلافة سياسته السنة النبوية.

وبالاجمال، فهذه النقاط العشر ونظر الامام عليه السلام يستدعي حقيقة عاشها في عهد الخلفاء قبله، وهي:

١١ ـ (واني لكم وزيراً خير لكم مني اميراً)؛ لان امارته تستدعي المسؤولية بتطبيق السنة النبوية حرفياً، وهذا ما كان يرفضه بعض الصحابة ـ حسب ارائهم الخاصة ـ فهم مسؤولون عن آرائهم الشخصية، ولو تحمل الامام مسؤولية الخلافة النبوية فانه لا يسعه السير حسب آراء الصحابة، بل عليه تطبيق الخلافة النبوية كما يعملها، وهذا ما لا يطيقه الآخرون، ويعارضونه كما حصل بالفعل في التاريخ.

قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ ه‍) في الشرح، ما نصّه:« فإن قلت : فإن أبا بكر قسم بالسواء ، كما قسمه أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم ينكروا ذلك ، كما أنكروه أيام أمير المؤمنين عليه السلام ، فما الفرق بين الحالتين ؟ قلت : إن أبا بكر قسم محتذيا لقسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما ولي عمر الخلافة ، وفضل قوما على قوم ألفوا ذلك ، ونسوا تلك القسمة الاولى ، وطالت أيام عمر ، محتذيا بالقسم رسول الله وأشربت قلوبهم حب المال ، وكثرة العطاء . وأما الذين اهتضموا فقنعوا ومرنوا على القناعة ، ولم يخطر لاحد من الفريقين له أن هذه

الحال تنتقض أو تتغير بوجه ما ، فلما ولي عثمان أجرى الامر على ما كان عمر يجريه ، فازداد وثوق القوم بذلك ، ومن ألف أمرا أشق عليه ، فراقه ، وتغيير العادة فيه ، فلما ولي أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يرد الامر إلى ما كان في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر ، وقد نسي ذلك ورفض ، وتخلل بين الزمانين اثنتان وعشرون سنة ، فشق ذلك عليهم ، وأنكروه وأكبروه ، حتى حدث ما حدث من نقض البيعة ، ومفارقة الطاعة ، ولله أمر هو بالغه!».[1]

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٧ : ٤٢.

[الخطبة ٩٣]

ومن خطبة له عليه السلام

لكل حركة عقول مفكرة، وعين ناظرة، واعلام ظاهرة، ولا يمكن ان تنجح الحركة بدون هذا المثلث الذهبي فيها:

اما العقول المفكرة فلا تعلن عن خططها الحقيقية، وانما يتوصل الانسان اليها بدراسة تاريخ اصحابها في الماضي.

واما العيون الناظرة، فهي التي تظهر تلك الافكار بوجه محبب للاخرين.

واما الاعلام الظاهرة، فهي الدعايات والشعارات التي يرفعها اصحابها.

ولا يمكن القضاء على الافكار؛ لانها تدور حول المصالح، فمن آمن بها يحاول تنفيذها ما استطاع الى ذلك سبيلاً.

واما الاعلام، فهي كفيلة بكشف زيفها بالعجز عن تطبيقها عملياً.

واهم موقف للمعارضة ان تظهر الوجه الحقيقي للحركة وتبين زيف الوجه المحبب في الخارج منها، فتصبح الحركة كالانسان الأعمى الذي يحمل افكاراً ويعلن شعاراً، ولكنه لا يرى ما حوله، ومن ثم ينظر الاخرون اليه بنظرة واقعية غير متأثرين بجمال المظهر.

وأشار الامام في المقطع الاول الى انه قضى على الفتنة بالقضاء على عين الفتنة في الاسلام، وفي المقطع الثاني الى السبب في هذا الموقف، وهي بدراسة تاريخ اعداء الاسلام، وفي المقطع الثالث، حقيقة الفتنة، وفي المقطع الرابع الى فتنة بني أمية، وفي المقطع الخامس الى موقف أهل البيت من الفتنة، وختم الخطبة ببيان آثار الفتنة.

فقال عليه السلام في خطبة عامة:

(١/ط - ٩٣) ايقاف الانحراف:

أَمَّا بَعْدَ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّا[(١)] فَقَأْتُ[(٢)] عَيْنَ ٱلْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيءَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا[(٣)]، وَٱشْتَدَّ كَلَبُها[(٤)].

---

(١) في ط: اما بعد حمد الله والثناء عليه، أيّها الناس فاني، وفي هـ. د: اما بعد حمد الله والثناء عليه، ايها الناس فإني ـ ح .

(٢) في هـ ب، وفي نسخة: فقد فقأت.

(٣) في هـ ص : هو الظلمة، أي تحركت الظلمة وانتشرت في الافاق، وفي هـ ب: أي ظلمتها.

(٤) في هـ ص : أي شرها، وفي هـ ب : أي شدتها.

١ ـ (أمّا بعد حمد الله والثّناء عليه، أيّها النّاس، فإنّي فقأت عين الفتنة) الفقأ: القلع والشق، وكما ينشق الدمل ليخرج منه القيح، والفتنة ـ هاهنا ـ اختلاف الاراء المستلزمة عادة للقتال. وتاريخ حياة الامام مليئ بالمواقف التصحيحية لاجهاض الفتن التي خططها اعداء الاسلام واتباعهم منذ بزوغ شمس النبوة الظاهرة وحتى بعد وفاة الرسول القائد، ولعل من اهمها ما حصل بعد السقيفة مباشرة؛ حيث قال له ابو سفيان الاموي :«ابايعك وأملأها عليهم خيلاً ورجالاً) فاجابه الامام: «اجاهلية واسلاماً يا ابا سفيان؟»، راجع موارد الاعتبار ج١، ص ٥٠ (السيرة النبوية)، وآخرها فتنة جعل الخلافة النبوية ملوكية اموية من قبل معاوية بن ابي سفيان، الذي انتهى بحرب صفين ومقتل الامامعليه السلام عام ٤١ هـ، فانها وان انتهت بظفر معاوية بالملك بالقوة، ولكنه لم ينجح في صبغها بالخلافة النبوية، وبذلك حافظ الامام على الثوابت الاسلامية وعلى قدسيتها الدينية على مرّ العصور.

٢ ـ (ولم يكن ليجترىء عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيهبها واشتدّ كلبها) الموج: الاختلاط، والغيهب: الظلمة، والكلب: الشر.

وأشار الامام في هذه العبارة الى حقائق ثلاثة:

أولاً: ان معارضة الفتنة لم تتيسر لغيره، بالرغم من تعاطف الجماهير المسلمة معه، فهو الوحيد الذي قاد المعارضة لما كان يتمتع به من العلم الذي ورثة من النبيصلى الله عليه وآله.

ثانياً: ان الفتنة لم تكن محصورة في طائفة خاصة، أو امور شخصية، بل كانت ظلمة عمت المجتمع الاسلامي كله؛ فان تغيير نظام الحكم من الشورى الى الملوكية كان تقويضا للاسس والثوابت الاسلامية التي بشر بها النبي صلى الله عليه وآله المجتمع الاسلامي.

ثالثاً: ان الضرر الحاصل من هذه الفتنة لم يكن امراً مغتفراً، بل (كان أشد شرّ) على المجتمع الاسلامي ككل من دون استثناء.

وكل واحدة من هذه الحقائق تستدعي دراسة مستقلة.

(٢/ط ـ ٩٣) اسألوني:

فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونَنِي[(١)] عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ[(٢)]، وَلاَ عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ[(٣)] بِنَاعِقِهَا[(٤)] وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً.

---

(١) في ب ود: لا تسألوني.
(٢) في هـ ب: أي القيامة.
(٣) في أ وط ود: أنبأتكم.
(٤) في هـ ص : أي داعيها، من نعق الراعي إذا صاح بالماشية لتتبعه، وفي هـ ب: صوّت لها.

وَلَوْ قَدْ[١] فَقَدْتُمُونِي، وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ[٢] ٱلْأُمُورِ، وَحَوَازِبُ[٣] ٱلْخُطُوبِ، لَأَطْرَقَ[٤] كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ المَسْؤُولِينَ؛ وَذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ[٥] حَرْبُكُمْ، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ؛ وَضَاقَتْ[٦] ٱلدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً، تَسْتَطِيلُونَ أَيَّامَ ٱلْبَلاءِ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يَفْتَحَ ٱللهُ لِبَقِيَّةِ الأَبْرَارِ مِنْكُمْ[٧].

وفي هذا المقطع أشار الامام عليه السلام الى الحقيقة التي دعته الى القضاء على الفتنة، وهي العلم الذي ورثة عن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله، فقال:

١ ـ (فأسألوني قبل أن تفقدوني) فانّ الحقائق التي سمعها ورواها عن النبي صلى الله عليه وآله يجب ان تورث للاجيال المتعاقبة؛ للاتعاظ بها، ولا أعلم ممن عاش مع النبي صغيراً، وأزره كبيراً، وتخرج من مدرسته الاسلامية الاولى، وشرح السبب في هذا الاقتراح بقوله:

٢ ـ (فو الّذي نفسي بيده، لا تسألوني عن شئ فيما بينكم وبين السّاعة) من الحوادث التي تفتقر الى رأي الاسلام فيها.

٣ ـ (ولا عن فئة تهدي مئة وتضلّ مئة) وهي الفتنة التي لها تأثير على المجتمع الاسلامي بصورة عامة، غير المسائل الصغيرة التي تكون شخصية بين الافراد والاشخاص.

٤ ـ (إلاّ أنبأتكم بناعقها) وهو صاحب تلك الفكرة كنعيق الغراب.

٥ ـ (وقائدها) الذي يقود جماعة الى تطبيق الفكرة، وهو إمامها.

٦ ـ (وسائقها) الذي يسوقهم من الخلف، حسب توجيه القائد.

٧ ـ (ومناخ ركابها) والركاب: الابل، ومناخها: مقام تواجدها.

٨ ـ (ومحطّ رحالها) حيث تنزل بحط ثقلها ورحلها.

٩ ـ (ومن يقتل من أهلها قتلاً) في ساحة المعركة.

١٠ ـ (ومن يموت منهم موتاً) ممن لا يقتل في المعركة، فان هذه العلوم تلقاها الامام من النبي صلى الله عليه وآله، قال الشارح ابن ابي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) (... وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام

---

(١) في هـ. د: ولقد ـ م.
(٢) الكرائة: جمع كريهة.
(٣) في هـ ب: الحوازب: الموانع، ويقال: جمع حازب، وهو الأمر الشديد.
(٤) في هـ ب: نكّسوا رؤسهم.
(٥) في هـ ب: ارتفعت وشمّرت، من قولهم: فرس مقلص مشمّر، أي: طويل القوائم، يقال: قلص الشيء وقلص: أي انضم، وقلص الطائر أي ارتفع.
(٦) في ب وط: وكانت.
(٧) في هـ ب: البقية الأبرار منكم، يعني امام الوقت صاحب الزمان.

ادعاء الربوبية، ولا ادعاء النبوة، ولكنه كان يقول: ان رسول الله ﷺ اخبره بذلك، ولقد امتحنا اخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة، كاخباره عن الضربة التي يضرب بها في رأسه، فتخضب لحيته، واخباره عن قتل الحسين ابنه، وما قاله في كربلاء حيث مرّ بها، واخباره بملك معاوية الامر من بعده ـ وعدّ موارد اخرى، الى ان قال: ـ وكم له من الاخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى، مما لو أردنا استقصاءه لكونا له كراريس كثيرة، وكتب السير تشتمل عليها مشروحة».(١)

(٣/ ط ـ ٩٣) حالة متوقّعة:

ثم أشار ﷺ الى حالة متوقعة، وهي لو لم تحصا استجابة لهذا الاقتراح، وحصل فقد الامام، فان في تلك الحالة تبقى المسألة من دون جواب؛ لفقدان من له تاريخ طويل مع الرسول القائد للاجابة عنها، وقال:

٥ ـ (ولو قد فقدتموني، ونزلت بكم كراءة الأمور، وحوازب الخطوب؛ لأطرق كثير من السّائلين، وفشل كثير من المسؤولين) الكراءة: ما يستكرهه الانسان من الانحراف، والحازب: الامر الشديد، والخطب: الامر العظيم، ففي حالة كهذه تكون الحيرة بسبب فقدان العلم.

ثم حدد الامام ﷺ الوضع المتوقع لمثل هذا الفقدان بقوله:

٦ ـ (وذلك إذا قلّصت حربكم) والقلص: الشدة في الحرب بالاستمرار فيها.

٧ ـ (وشمّرت عن ساق) استعارة وكناية للجد في الحرب.

٨ ـ (وضاقت الدّنيا عليكم ضيقاً) حيث لاملجأ يستعلم منه وجه الصواب.

٩ ـ (تستطيلون معه أيّام البلاء عليكم) لان ايام البأس وكذا البؤس مهما قصرت فهي طويلة، دون ايام الرخاء.

١٠ ـ (حتّىٰ يفتح الله لبقيّة الأبرار منكم) فلا يكون النصر إلّا لمن كان من الابرار، وهم القلة في كل مجتمع.

وهذه النقاط العشر توضح اهمية العلم في أي قرار في الحياة، وخاصة في ساحة الحرب؛ لان الحرب التي لا تكون عن معرفة وعي، لابد وان تواجه بالحيرة والشدة، ولا يكون النصر إلّا لمن كان على بصيرة من امره، وتحرك بوعي ورؤية واضحة، فيكون نصيبه أما النصر الحاسم أو الشهادة.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٧: ٥٠، ط /١٩٦٠.

(٤/ ط - ٣٩٣) معرفة الفتنة:

إِنَّ ٱلْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ[١]، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ؛ يُنْكَرْنَ مُقْبِلاَتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ[٢] يُصِبْنَ بَلَداً، وَيُخْطِئْنَ بَلَداً.

الفتنة في اللغة على معان، منها: الامتحان، ومنها: اختلاف الآراء المستلزم للقتال، ومنها: الضلال والفجور والكفر، والمال، والاولاد، والحيرة، والعذاب، والمحنة، والفضيحة. والجامع المشترك فيها هو الانحراف عن الصراط المستقيم، راجع تلخيص الذهب.

ومن اظهر مصاديق ذلك: المعنيان الاولان.

والمراد هنا خصوص اختلاف الآراء، المستلزم للقتال .

وهذه الفتنة بطبيعتها تستلزم اموراً:

١ ـ الشبهة في البداية (إنّ الفتن إذا أقبلت شبّهت) فانها في بدء امرها، يلتبس امرها بين الحق والباطل، ولا يمكن القرار باحدهما إلّا بالرؤية الواضحة للاسباب والنتائج.

٢ ـ الوضوح في النهاية (وإذا أدبرت نبّهت) لانها سوف تكشف وتظهر الحقائق في النهاية.

ونتيجة ذلك ان الفتن:

٣ ـ (ينكرن مقبلات) في البداية؛ لانهن غير معروفات للمجتمع وان كان يعرفها اهل العلم.

٤ ـ (ويعرفن مدبرات) وفي النهاية تظهرن الحقائق، فانهن سوف يعرفن معرفة كاملة، ولكن بعد فوات الأوان.

٥ ـ (يحمن حوم الرّياح) لانها تدور كما تدور الرياح، وليست لها موضع ثابت، وبالنتيجة:

٦ ـ (يصبن بلداً) فتشتعل بنار الفتنة على أثر الجهل باسبابها وطريق مقاومتها.

٧ ـ (ويخطئن بلداً) فتكون آمنةً لتحصنها بالوقاية منها.

وهذه طبيعة الفتن في كل زمان ومكان، وليس مسيرها في اختيار الانسان، ولا يمكن الوقاية الكاملة منها إلّا لمن عصمه الله بالعلم والمعرفة.

---

(١) في هـ ب: أي اشبهت.

(٢) في ص : حوم الحمام، وفي هـ ص ، وفي نسخة: الرياح.

(ط - ٩٣ / ٥) **فتنة بني أمية:**

أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ ٱلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ، عَمَّتْ خُطَّتُهَا(١)، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ ٱلْبَلاَءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ ٱلْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا.

وَٱيْمُ ٱللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ(٢) ٱلضَّرُوسِ(٣)، تَعذِمُ(٤) بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا(٥)، وَتَزْبِنُ(٦) بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا(٧)، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّىٰ لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلاَّ نَافِعاً لَهُمْ؛ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ.

وَلَا يَزَالُ بَلاَؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّىٰ لَا يَكُونَ ٱنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ ٱلْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ؛ وَٱلصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ(٨) شَوْهاءَ(٩) مَخْشِيَّةً(١٠)، وَقِطَعاً(١١) جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَىٰ.

وصف الامام عليه السلام فتنة بني أمية بانها من اخوف الفتن، باعتبارها مبتنية على تغيير الخلافة النبوية بالشورى الي الملوكية، وهذا حديث لم يسبق له في الاسلام نظير، وحاربها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، ووصفها عليه السلام بقوله:

١ ـ (ألا وإنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أميّة) فعبر عن وجهة نظره المستند الى دراسة تاريخ بني أمية في الجاهلية والاسلام، ولم يغب عن ذهنه كلام ابي سفيان بعيد السقيفة مباشرة.

٢ ـ (فإنّها فتنة عمياء) لانها لا تسير على ثوابت مدروسة، فان الوراثة والملك عادة يستلزم تنافس الوراث، واراقة الدماء في سبيل الوصول الى الحكم، كما يشهد بذلك التاريخ، وخاصة تاريخ بني أمية و بني العباس والعثمانيين وغيرهم.

---

(١) في هـ ب: أي خصلتها.
(٢) في هـ ص وب: هي المسنة من الابل.
(٣) في هـ ص وب: الضروس السيئة الخلق.
(٤) في هـ. ب و ص: أي تعضّ، وفي هامش ب: تعدم من العدم، وهو العض والأكل بخفاء.
(٥) في ب: بيديها، وفي هـ ب، وفي نسخة: بيدها.
(٦) في هـ ص : أي تدفع بها، يقال: زبنت الدابة إذا ضربت بثفنات رجلها عند الحلب، فالزبن: الضرب بالثفنات.
(٧) في هـ ب: لبنها، وفي هـ ص : يشير إلىٰ انهم يستأثرون بالأموال.
(٨) في أ وب ود: فتنهم، وفي هـ ب، وفي نسخة: فتنها، وفي هـ. د: ترد عليهم فتنتهم ـ م ض ح .
(٩) في هـ ص : أي قبيحة المنظر، تمثيلاً بشناعتها، وفي هـ. ب: قبيحة متنكرة، يقال: فرس شوهاء، يراد به سعة أشراقها، وشاهت الوجوه: أقبحت.
(١٠) مخشية: مخوفة مرعبة.
(١١) في الف وط وب ود: قِطَعاً، وفي هامش الأصل: أي لا أصل لها من الدين، وهي من أمر الجاهلية، وفي هامش ب: أي متنكرة متعوّرة مقطوعة اليد.

٣ ـ (مظلمة) لانها رجوع الى الوراء؛ فان الحكومات التي استخدمت الوراثة في الملك تركت السير بنور الاسلام الذي أمر بالشورى، واهمال هذا الدستور الاسلامي رجوع الى عصر الظلام.

٤ ـ (عمّت خطّتها) أي أمرها؛ فان اثرها لا تختص بطائفة خاصة كاهل البيت مثلاً، بل تعم المجتمع الاسلامي ككل.

٥ ـ (وخصّت بليّتها) فلا تقف على حقيقة البلاء والامتحان إلّا جماعة خاصة من اصحاب الوعي الاسلامي.

٦ ـ (وأصاب البلاء من أبصر فيها) وهم الطبقة الواعية التي تنظر الى واقع الانحراف، وتوافق عليها.

٧ ـ (وأخطأ البلاء من عمي عنها) وهم الطبقة التي لا تعي مواقع الانحراف، وعذره في ذلك جهله.

٨ ـ (وايم الله، لتجدنّ بني أميّة لكم أرباب سوء بعدي) والطبقة الواعية أو غيرها سواءً في الحكم المظلم؛ لان الظالم لا يرحم احداً إلّا بمقدار ما ينتفع به، فاذا كانوا في حياة الامام عليه السلام لا يظهرون حقيقتهم، فانهم بعد ان يصلوا الى الحكم ويقضوا على كل معارض سوف يظهرون بمظهرهم الحقيقي الذي لا يطيقه غيرهم، وقد اثبت التاريخ ذلك في مقتل الامام الحسين عليه السلام وغيره.

٩ ـ (كالنّاب الضّروس) الناب :الناقة المسنة، والضروس: السيئة الخلق.

وقد سرد من اوصاف هذه الناقة، ما يلي :

(تعذم بفيها) والعذم: الاكل بخفاء.

(وتخبط بيدها) والخبط: الضرب من دون سبب.

(وتزبن برجلها) والزبن: الدفع لمن حولها.

(وتمنع درّها) الدر: اللبن، فلا ينتفع من حليبها.

وهذا شأن اي ظالم في التاريخ، ولا يكون التعاطف مع الظالم إلّا زيادة في الظلم. وقد مثل بأوصاف الناقة التي يعيشها المجتمع المخاطب آنذاك.

١٠ ـ (لا يزالون بكم) مستمرين في سياسة الظلم سجنا وقتلاً واقصاءً:

١١ ـ (حتّىٰ لا يتركوا منكم إلاّ نافعاً لهم) فلا يتركون إلّا من يدخل شريكاً في الظلم معهم، ضد اقرب الناس اليه.

١٢ ـ (أو غير ضائر بهم) ممن يكون مهملاً في المجتمع، ويعيش حياة الحيوانات المهملة، التي لا تفكر في شئ، وانما همّها علفها.

١٣ ـ (ولا يزال بلاؤهم عنكم) لان قبول الظلم تشجيع للظالم على الاستمرار في ظلمه.

١٤ ـ (حتّىٰ لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ كانتصار العبد من ربّه، والصّاحب من مستصحبه) فان النظام القائم على الظلم لا يتغيّر بردود الفعل الشخصية، كما لو انتصر العبد من مالكه، فان قانون العبودية والرقية يفرض عليه الطاعة، والتخلي عن أي رد فعل شخصي، وكذلك الصاحب من صاحبه، ومن حاله كهذه لا يكون له حلاً إلّا بالقضاء على العيون التي توجب الظلم على الناس.

وبالاجمال، فان الامام يخص فتنة بني أمية بصفات ست، هي:

١٥ ـ (ترد عليكم فتنتهم شوهاء) وهي القبيحة الوجه.

ثانياً: (مخشيّة) أي مجوّفة.

ثالثاً: (وقطعاً) متتالية كقطع السحاب.

رابعاً: (جاهليّة)؛ لانها تتبنى النظام الجاهل الذي كان متبعاً قبل الاسلام بقيادة ابي سفيان الاموي الحاقد على الاسلام والمسلمين، ومن مثله.

خامساً: (ليس فيها منار هدى) بل هي مبتنية على العنصرية التي حاربها هدى القرآن الكريم.

سادساً: (ولا علم يرى)؛ لانها تنكرت للثوابت الاسلامية التي بشر بها النبي العظيم.

وهذه الصفات الست لفترة الحكم الاموي مضبوطد في التاريخ الصحيح، والتي ظهرت بكل وضوح في مقتل الامام الحسين عليه السلام في كربلاء.

(٦/ ط ـ ٩٣) موقف أهل البيت عليهم السلام:

نَحْنُ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ[١]، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ[٢]، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا ٱللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ، بِمَنْ يَسُومُهُمْ[٣] خَسْفاً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ[٤] لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا ٱلسَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ[٥] إِلاَّ ٱلْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ[٦] قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ

---

(١) في هـ ص : أي ناجون من أمرها الأُخروي.

(٢) في هـ ب، وفي نسخة: برعاة، وفي هـ. ص: أي لا ننصرها ولا ندعو إليها، وفي هـ ب: دعاة جمع داع.

(٣) في هـ ب: أي يذلهم ويهينهم .

(٤) في هـ ص : أي ممزوجة بالصبر، ويجوز ان يريد مملوءة، من قولهم: ملأ الدلو إلىٰ أصبارها، وفي هـ ب: من الصبر.

(٥) في هـ ص : الحلس: كساء رقيق يجعل تحت البردعة، أي: يلزمهم الخوف، وفي هـ أ : احلست فلاناً كذا إذا ألزمته ذلك، وأصله من الحلس، ومنه يقال: فلان حلس بيته: إذا لزمه،

يَرَوْنَنِي(٧) مَقاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جزُورٍ(٨)؛ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ ما أَطْلُبُ ٱلْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونَنِيهِ.

ولخص عليه السلام موقف أهل البيت عليهم السلام من فتنة بني أمية بقوله:

١ ـ (نحن أهل البيت منها بمنجاة، ولسنا فيها بدعاة) لتبني الثوابت الاسلامية برؤية واضحة في السير على هدى القرآن الكريم، وسنة النبي العظيم صلى الله عليه وآله، وذلك ان فتنة بني أمية فتنة السلطة على الشعب المسلم المستضعف، وان أهل البيت دوماً كانوا صوت الشعب المستضعف من دون أي انحياز الى الظلم، وحتى بالنسبة الى طلاب السلطة كما تقتضيه العدالة الاسلامية، وبيّنه تاريخهم.

ثم تنبأ عليه السلام بمصير كل من الطائفتين:

اما الشعب المستضعف: (٧ / ط ـ ٩٣)

فان من الثابت أن لكل فعل رد فعل، وان الاستضعاف والظلم من أي مصدر كان لابد وان يواجه برد فعل أقوى، ولذلك خاطب الامام الشعب المستضعف بقوله:

٢ ـ (ثمّ يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم) وهو الجلد؛ فان للظلم فترة تعم المجتمع كما يعم الجلد جسم الغنم، ولكنه لا يبقى الى الابد، بل يسلخ الجلد حينما يتهيأ اسباب ذلك، وان ذلك يتحقق بما يلي:

٣ ـ (بمن يسومهم خسفاً) والخسف: الذل، والسوم: السوق، كرد فعل للظلم.

٤ ـ (ويسوقهم عنفاً) كما سبق وانهم ساقوا كذلك.

٥ ـ (ويسقيهم بكأس مصبّرة) أي ممزوجة بالصبر المر، كما سقوا غيرهم.

٦ ـ (لا يعطيهم إلاّ السّيف) كما هي طبيعة الثورات، وحصل بالفعل من بني العباس بالنسبة الى الامويين.

٧ ـ (ولا يحلسهم إلاّ الخوف) والحلس نوع كساء رقيق للبعير.

فيصبح الظالم بعد ظلمه ذليلاً يعيش حياة الخوف كما أذاق غيره ذلك.

وهم احلاس الخيل: إذا لزموا ظهورها، وفي حديث الشعبي ـ حين عاتبه الحجاج على خروجه مع ابن الاشعث ـ استحلسنا الخوف، يقال استحلس فلاناً الخوف إذا تقارفه يقول: كأنا استشهدنا الخوف، وفي هـ ب: أي يلبسهم، واحلس: لزم بيته.

(٦) في هـ ب: أي تحب.

(٧) في هـ. د: لو يروني ـ هـ ن ر.

(٨) في هـ ب: قتل، يقال لما يَقِلُّ [وقته] كأنّه يكون بقدر جزر جزور، والجزر في الابل كالذبح في الغنم، ويقع به علىٰ الذكر والانثىٰ.

(٨/ط ـ ٩٣) واما الظالم:

وهم بنو أُميّة من قريش، فهم حينما يواجهون رد الفعل هذا يشعرون بعدالة الاسلام المتمثلة في شخص الامامعليه السلام، الذي لم يتعد الثوابت الاسلامية قط، ولم يكن في قاموسة الانتقام والاذلال، ووصف موقفهم بقوله:

١ ـ (فعند ذلك) حينما يثور الشعب المظلوم، الذي ليس له قائد اسلامي موجه:

٢ ـ (تودّ قريش بالدّنيا وما فيها) وهم بنو أُميّة التي ناهضت قيادة الامامعليه السلام.

٣ ـ (لو يرونني مقاماً واحداً)، أي لحظة واحدة، حيث ان القائد الموجه في حالة الثورات يمكنه كبح جماح روح الانتقام.

٤ ـ (ولو قدر جزر جزور) الجزور: الابل، والجزر: الذبح، فان ذبح ولد الابل لا يستغرق زمنا طويلاً كما يستغرق الابل نفسه، كما كانت عليها العادات الاجتماعية آنذاك؛ فان بني أُميّة كانوا يتمنون لحظة كهذه.

٥ ـ (لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه) وهدفهم من هذا اللقاء الخاطف ان اقبل منهم عرضاً وسطاً يوقف الثورة العارمة، وهذا التمني يكون بعد فوات الاوان؛ فان الامام المتقيد بالثوابت الاسلامية لايتحرك بروح الانتقام، وكل من شيعته واعدائه على حد سواء، يعرفون ذلك، فالذي يطلب اليوم منهم هو النزول على حكم القرآن بالشورى في الحكم، من دون اخراج اياً من كان من المسلمين بما فيهم الامويين، وهم لا يستجيبون لذلك باصرارهم على الحكم الملوكي الذي سوف يقضى عليه بثورة عارمة والتي لا تسمح لهم بدخولهم الشورى اساساً، فهم حينئذ يودون ما لايمكن.

[الخطبة ٩٤]

ومن خطبة له عليه السلام

فَتَبَارَكَ ٱللهُ[1] ٱلَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ ٱلْهِمَمِ. وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ[2] ٱلْفِطَنِ. ٱلْأَوَّلُ ٱلَّـذِي لَا غَايَةَ فَيَنْتَهِي. وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي.

(١/ط ـ ٩٤) من صفات الله:

أشار الى صفات الذات المقدسة باربع امور توجب التبارك وزيادة الخير، فقال: (فتبارك الله)، والبركة: كثرة الخير وزيادته، قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ):« يحتمل تبارك الله معنيين: احدهما: ان يراد تبارك خيره وزادت نعمه واحسانه، وهذا دعاء.

وثانيهما: ان يراد به تزايد وتعالى في ذاته وصفاته عن ان يقاس به غيره، وهذا تمجيد».[3]

وقد ذكر السبب لهذا الدعاء أو التمجيد الاسباب الاربع التالية:

١ ـ (الّذي لا يبلغه بعد الهمم) ، أي الافكار والانظار؛ فان كل ما قدم فيه الفكر شبرا فرّ ميلا.

٢ ـ (ولا يناله حدس الفطن) والحدس: الظن والتخمين؛ لقصر الفكر المادي عن معرفة حقائق ما وراء الطبيعة.

٣ ـ (الأوّل الّذي لا غاية له، فينتهي) فان الوجود الازلي لا أول له، كما لا غاية له، فهو الازلي وجوداً.

٤ ـ (ولا آخر له فينقضي) فان الآخرية تستلزم العدم والانقطاع، والابدية لا اخر لها.

وهذه الصفات الاربع تغني عن غيرها في ان الذات المقدسة تستحق الدعاء بالتبارك والتمجيد دون غيرها.

---

(١) في هـ ب: تبارك العلم في خزائن الله.

(٢) في أ وط: حسن، وفي هـ ص : أي ظنّها وتخمينها، وفي هـ ب: ألحدس والظن والتخمين واحد.

(٣) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٧: ٦١، ط / ١٩٦٠.

(٢/ط - ٩٤) من اوصاف الانبياء:

منها فِي وَصْفِ الأَنْبِياءِ:

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ[١] كَرَائِمُ ٱلْأَصْلاَبِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ ٱلْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللهِ خَلَفٌ.

وأشار الى اوصاف الانبياء بصفة عامة، لاشتراكهم جميعاً في أداء الرسالة الالهية الى البشر، وهي:

١ ـ (فاستودعهم في أفضل مستودع) حيث اودع ارواحهم حفظاً لأمانة الرسالة الملقاة على عواتقهم، .

٢ ـ (وأقرّهم في خير مستقرّ) حيث اصطفى لهم ما يستقرون فيه، حسب المصلحة الالهية.

٣ ـ (تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام) فهم في سلسلة طاهرة مطهرة من الآباء والامهات، والتناسخ: الانتقال جيلا بعد جيل.

٤ ـ (كلّما مضى منهم سلف قام منهم بدين الله خلف) السلف: المتقدم، والخلف: الباقي، وهذه الصفات الاربع ضرورية، فيمن ينقل الرسالة الالهية؛ حفظاً لهم من لوث المعاصي جيلا بعد جيل، حتى عصر نبي الاسلام ﷺ.

(٣/ط - ٩٤) من اوصاف الرسول ﷺ:

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً[٢]، وَأَعَزِّ ٱلْأَرُومَاتِ[٣] مَغْرِساً، مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي صَدَعَ ٱللهُ[٤] مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَٱنْتَجَبَ[٥] مِنْهَا أُمَنَاءَهُ، عِتْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ[٦] فِي كَرِمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثمَرٌ لَا يُنالُ[٧]، فَهُوَ إِمَامُ[٨] مَنِ ٱتَّقَىٰ، وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَىٰ، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْءُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ ٱلْقَصْدُ[٩]، وَسُنَّتُهُ

---

(١) في ط: تناسخهم. وفي هـ ب: أي تناسلتهم وتناقلتهم.
(٢) في ب: منصباً، وفي هـ ب، وفي نسخة: منبتاً.
(٣) في هامش ب: الارومات: الاصول.
(٤) لم ترد لفظة الجلالة في أ وب وط ود.
(٥) في ط وهـ. د: وانتخب ـ ض ن .
(٦) في هـ ب: أي ارتفعت وطالت.
(٧) في ط ود: وثمرة لا تنال، وفي ب: وثمره لا ينال.
(٨) في هـ ب، وفي نسخة: وثمال من اتقىٰ، أي ملجأ.
(٩) القصد: الاستقامة.

ٱلرُّشْدُ، وَكَلاَمُهُ ٱلْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ ٱلْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ(١) مِنَ ٱلرُّسُلِ، وَهفْوَةٍ عَنِ ٱلْعَمَلِ(٢)، وَغَبَاوَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ.

وأشار الى صفات الرسول القائد ﷺ بصفات اكثر من غيره من الانبياء، باعتباره خاتم الانبياء، فقال:

١ ـ (حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ محمّد ﷺ) فهو يشترك مع غيره من الانبياء في كرامة الله بالنبوة.

٢ ـ (فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً) فالنبي محمّد ﷺ ممتاز عن غيره من الانبياء بانه من افضل المعادن، دون غيره، والظاهر ان المعني به مكة؛ لانه اول بيت وضع للناس، واول نبي بعث منه.

٣ ـ (وأعزّ الأرومات مغرساً) الارومة: الاصل، والمغرس: موضع النبات للنمو، وقد تواتر حديث الاصطفاء، وان الله اصطفى من العرب معداً، ومن معد بني النضير، فهاشماً، فالنبي محمّد ﷺ، راجع المادة في المعجم.

٤ ـ (من الشّجرة الّتي صدع منها أنبياءه) وهي الشجرة الابراهيمية التي اليها ينتسب النبي ﷺ، راجع موارد الاعتبار.

والصدع: الشق، وقد اشتق من ابراهيم ابنه اسماعيل جد النبي ﷺ.

٥ ـ (وانتجب منها أمناءه) من الانبياء من يعقوب واسحاق ويوسف وعيسى، كما يفصله مصطفىٰ الانبياء وراجع المواد من المعجم.

٦ ـ (عترته خير العتر) والعترة: النسل القريب؛ وذلك لتواجد جينات النبي ﷺ من دمائهم وتحليهم باخلاق جدهم.

٧ ـ (وأسرته خير الأسر) والاسرة: العائلة والعشيرة القريبة باعتبار سيرهم على سيرته ﷺ.

٨ ـ (وشجرته خير الشّجر)؛ لكثرة ما بعث فيها من الانبياء والاوصياء.

٩ ـ (نبتت في حرم) سواء الحرم المكي أو الحرم الابراهيمي.

١٠ ـ (وبسقت في كرم) ، أي ارتفعت في الاحسان والكرم، مقتدية بهدى النبي ابراهيم عليه السلام، وتوارثوها أباً عن جد، وحتى عصرنا الحاضر.

١١ ـ (لها فروع طوال) من الابناء والحفدة والنوافل.

---

(١) الفترة: الزمان بين رسولين.
(٢) في هـ ب: هفوة، أي: سقط.

١٢ ـ (وثمر لا ينال) وهو ثمر النبوة، التي ليست بمتناول كل انسان، إلّا من خصه الله سبحانه بذلك.

١٣ ـ (فهو إمام من اتّقىٰ) لان كتابه القرآن هدى للمتقين من الناحية النظرية.

١٤ ـ (وبصيرة من اهتدىٰ) لمن استن بسنته من الناحية العملية.

١٥ ـ (سراج لمع ضوؤه) فان سيرته مضيئة كالسراج الوهاج.

١٦ ـ (وشهاب سطع نوره) حيث يسطع اينما ظهر، ويرتقع على غيره.

١٧ ـ (وزند برق لمعه) والزند: العود الذي يقدح بالنار، فهوﷺ يؤثر فيمن اراد الاهتداء.

١٨ ـ (سيرته القصد) وهو الاعتدال من دون افراط أو تفريط.

١٩ ـ (وسنّته الرّشد) وهو الاستقامة على طريق الحق مهما كان وحيداً.

٢٠ ـ (وكلامه الفصل) ، أي الفاصل بين الحق والباطل.

٢١ ـ (وحكمه العدل) ، أي عادل من دون محاباة لقومية أو عشيرة أو قبيلة.

٢٢ ـ (أرسله علىٰ حين فترة من الرّسل) والفترة: الزمان المتخلل بين رسالة النبي عيسىعليه السلام والنبي محمّدﷺ، وهي حوالى خمسمائة عام.

٢٣ ـ (وهفوة عن العمل) والهفوة: الزلة بالتحريف في الرسالة الالهية.

٢٤ ـ (وغباوة من الأمم) الغباوة: الجهل الذي عم العالم المتحضر آنذاك، بانحرافها عن رسالات السماء.

وهذه النقاط مجتمعة تميز رسالة نبينا محمّدﷺ عن غيرها من الرسالات.

(٤ / ط - ٩٤) موعظة:

اْعْمَلُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ عَلَى أَعْلاَمٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ[١] يَدْعُو[٢] إلَى دَارِ ٱلسَّلاَمِ، وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ[٣] عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ، وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَٱلْأَقْلاَمُ جَارِيَةٌ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَٱلتَّوْبَةَ مَسْمُوعَةٌ، وَٱلْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

وفي المقطع الاخير أشار الامامعليه السلام الى مواعظ يفتقر اليها المجتمع الاسلامي في تطبيق الاسلام، بقوله:

---

(١) في هـ ب: أي واضح.

(٢) يدعو: يوصل.

(٣) في هـ ص : هو مصدر ميمي، استعتبته أي أزلت عتبه، أي يمكنكم فيها استرضاء الخالق سبحانه وازالة عتبه ـ أي سخطه ـ بالتوبة النصوح، وفي هـ ب: يقال اعتبته واستعتبته: أي ارضيته واسترضيته، والمستعتب: طالب الرضا، وهو مصدر ها هنا.

١ ـ (اعملوا رحمكم الله) مخاطباً المسلمين بالعمل، وليس بمجرد الكلام الفارغ؛ فان الامة العاملة في سبيل الله لا تهاب الموت.

٢ ـ (علىٰ أعلام بيّنة) ويجب ان يكون العمل على أسس ثوابت، هي الأعلام الواضحة من القرآن والسنة النبوية.

٣ ـ (فالطّريق نهج) اي واضح ومستقيم.

٤ ـ (يدعو إلىٰ دار السّلام)، أي المجتمع المسلم الذي يفتقر اليه الانسان في الحياة في الدنيا، وذلك يستلزم الحسنة في الآخرة.

ونفى الامام ان يكون المجتمع الاسلامي في عذر للعطالة وترك العمل بـنقاط سـبع شائعة، بالواو الحالية، وهي:

أولاً: (و) الحال (أنتم في دار مستعتب علىٰ مهل وفراغ) والاستعتاب: العتبى حـتى يتحقق الامل المطلوب في مهلة الحياة الدنيا، وفراغ من اداء المسـؤوليات الاسـلامية المقاة على عاتق الانسان في الحياة والنفس والاسرة والوطن.

ثانياً: (و) الحال (الصّحف منشورة) والمجال لملء الصحف بالاعمال الصالحة موجود في الحياة الدنيا، فان الصحف لو طويت بالموت لا يكون مجال لذلك.

ثالثاً: (و) الحال (الأقلام جارية) في الكتابة لما يصلح في الدنيا والآخرة.

رابعاً: (و) الحال ان (الأبدان صحيحة) تتمكن من الاعـمال الصـالحة قـبل انـقضاء الاجل.

خامساً: (و) الحال ان (الألسن مطلقة) تتمكن من القول الصالح، وغير مقيدة بالموت الذي لا يرحم احداً.

سادساً: (و) الحال ان (التّوبة مسموعة) لان الدنيا دار التوبة، وان باب التوبة غير مغلقة في الدنيا.

سابعاً: (و) الحال ان (الأعمال مقبولة) لان الدنيا دار العمل، والاخرة دار الجزاء.

ونكتفى بهذه النقاط السبع في الحث على القيام بالمسؤوليات الملقاة عـلى عـاتق الانسان في الحياة تجاة النفس والمجتمع والوطن.

[الخطبة ٩٥]

ومن خطبة له عليه السلام

تتضمن هذه الخطبة صفات الجاهلية ودور النبي الاعظم في الهداية وتقرير فضيلة الرسول الكريم.

قال عليه السلام:

بَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ[١] فِي فِتْنَةٍ، قَدِ ٱسْتَهْوَتْهُمُ[٢] ٱلْأَهْوَاءِ، وَٱسْتَزَلَّتْهُمُ[٣] ٱلْكِبْرِيَاءُ[٤]، وَٱسْتَخَفَّتْهُمُ[٥] ٱلْجَاهِلِيَّةُ ٱلْجَهْلاَءُ[٦]؛ حَيَارَىٰ[٧] فِي زَلْزَالٍ[٨] مِنَ ٱلْأَمْرِ، وَبَلاَءٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ؛ فَبَالَغَ صلى الله عليه وآله فِي ٱلنَّصِيحَةِ، وَمَضَىٰ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى ٱلْحِكْمَةِ، وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ[٩].

(١ / ط - ٩٥) من صفات الجاهلية:

١ ـ (بعثه) الله سبحانه (والنّاس ضلاّل في حيرة) فان الحيرة من لوازم الضلال، والمجتمع الضال كالانسان الضال، لا يعرف طريقه ولا يميز المسلك الذي يصلحه من المسلك الذي يضره، ومن اجل ذلك يقع فريسة لاصحاب الاطماع والمصالح، فيستخدمون هذا المجتمع فيما يغريه، مما يكون من صالح الاسياد باستعبادهم.

٢ ـ (وحاطبون في فتنة) وهو الذي يجمع الحطب، ولا يكون جمعه الحطب الاّ ليستخدم في الفتنة، فيضر نفسه من حيث لا يشعر، حيث يتصور ان جمع الحطب يعود بالنفع المادي له، مع انه يزيده عناءً في الحياة.

---

(١) في أ: خاطبون، وفي ب: خاطئون، وفي هـ ب، وفي نسخة: خابطون، وفي هـ. د، وفي نسخة: خابطون ـ ض ل ك وهامش م، وفي هـ ص: يروىٰ حاطبون ـ بالحاء المهملة وبالباء الموحدة بعد الطاء ـ أي جامعون بين الحسن والقبيح، فقيل للجامع بين الغث والسمين: حاطب ليل، ويرویٰ خابطون ـ بالخاء المعجمة وبالباء قبل الطاء ـ من خبط المسير.
وفي هـ ب: الخاطيون: أي الجامعون القليل منه والكثير، وخاطئون أي يتقلبون [في] الخطيئة.

(٢) في هـ ب: أي اسقطتهم.

(٣) في ب وهـ ص، في نسخة: استزلهم، وفي هـ ب، في نسخة: استزلتهم.

(٤) في ب وهـ ص، وفي نسخة: الكبراء. وفي هـ ب: أي ازلهم التكبر.

(٥) في هـ ص: من الخفة والطيش، أي حملتهم عليها.

(٦) في هـ ص: مبالغة في الوصف.

(٧) في هـ ب: جمع حيران.

(٨) في هـ ص: بالفتح اسم المصدر وبالكسر المصدر.

(٩) ليس في أ وب: الحسنة.

٣ ـ (قد استهوتهم الأهواء) حيث اتبعوا اهواءهم من دون نظر الى عواقبها الظاهرة عليهم.

٤ ـ (واستزلّتهم الكبرياء) فان روح الكبرياء بالعنصرية والقومية والعرقية والطائفية، تنزل الانسان من درجة الانسانية الى درجة الحيوانية.

٥ ـ (واستخفّتهم الجاهليّة الجهلاء) بان جعلتهم الجاهلية ذوي خفة وطيش وخرق.

٦ ـ (حيارى) في ما يصلح حالهم بالجهل المطبق عليهم.

٧ ـ (في زلزال من الأمر) فانهم متزلزلون في اتخاذ القرار المناسب.

٨ ـ (وبلاء من الجهل) والسبب الاصلي في ذلك كله هو الجهل، الحاكم على حياتهم.

وهذه الصفات الثمان للجاهلية لا تختص بالجاهلية في الجزيرة العربية في عصر الرسالة، بل تعم اي مجتمع جاهلي آخر، ولكن الله سبحانه انعم على العرب بالنبي الاعظمﷺ، الذي عمل جاداً على تغييرها.

(٢/ط ـ ٩٥) **بعثة الرسول**ﷺ:

وكانت بعثتهﷺ في مواجهة الجاهلية تغيير جذري مبتن على اصول اربعة، هي:

أولاً: (فبالغ ﷺ في النّصيحة) ولم يكف بالنصح مرة أو ثلاث، بل بذل الجهد المستطاع في ذلك، من دون انقطاع.

ثانياً: (ومضىٰ على الطّريقة) فلم تكن النصحية مجرد دعوة وقتية، بل قرنها بسنته الشريفة، والمضي شخصياً على الطريقة التي رسمها للغير.

ثالثاً: (ودعا إلى الحكمة) ولم تكن دعوته فرضاً لنظريته الخاصة، بل الى الحكمة، وهي وضع الشيئ في موضعه حسب المستطاع.

رابعاً: (والموعظة الحسنة) التي تؤثر في الحياة تغييراً ملموساً؛ وذلك اقتباس من قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[1]

وبهذه النقاط الاربع تمكن الرسول القائدﷺ من احداث التغيير في المجتمع الجاهلي، الذي عمّه الجهل في كل مرافق الحياة، وابتدأ الرسولﷺ بعشيرته الاقربين، الذين كان الامامعليه السلام هو اول من تخرج من المدرسة النبوية، وحافظ على ثوابت هذه المدرسة طيلة حياته المباركة.

---

(١) النّحل : ١٦ / ١٢٥.

[الخطبة ٩٦]

ومن خطبة له عليه السلام [١]

في بيان صفات الله تعالى وصفات الرسول الأكرم

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْأَوَّلِ فَلاَ شَيْءَ قَبْلَهُ، وَٱلْآخِرِ فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ، وَٱلظَّاهِرِ فَلاَ شَيْءَ فَوْقَهُ، وَٱلْبَاطِنِ فَلاَشَيْءَ دُونَهُ.

منها: في ذكر النّبيّ صلى الله عليه وآله [٢]:

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ [٣]، فِي مَعَادِنِ ٱلْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ [٤] ٱلسَّلاَمَةِ، قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ [٥] أَفْئِدَةُ ٱلْأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ [٦] ٱلْأَبْصَارِ، دَفَنَ ٱللهُ [٧] بِهِ ٱلضَّغَائِنَ [٨]، وَأَطْفَأَ بِهِ ٱلنوَائِرَ [٩]، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً [١٠]، أَعَزَّ بِهِ بَعْدَ ٱلذِّلَّةِ [١١]، وَأَذَلَّ بِهِ بَعْدَ ٱلْعِزَّةِ [١٢]، كَلاَمُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ [١٣].

تتضمن هذه الخطبة بعض صفات الله سبحانه واوصاف الرسول القائد صلى الله عليه وآله:

واكتفى من صفات الله تعالى بعد الحمد باربع، فقال:

١ ـ (الحمد لله الأوّل، فلا شيء قبله) فان الاوليّة تستلزم ان لا يكون شئ قبله.

٢ ـ (والآخر، فلا شيء بعده) لان الآخرية تستلزم ان لا يكون شئ بعده.

٣ ـ (والظّاهر، فلا شيء فوقه) والمراد من الفوقية ليس المكانية، بل الجلاء والظهور، فلا شئ اجلى منه في الظهور عند التأمل في آيات الله في الآفاق والانفس.

---

(١) ورد العنوان في أ هكذا: ومن اخرىٰ.

(٢) في أ وط ود: الرسول، وفي ب: رسول الله.

(٣) في ب: ومنصبه أشرف منصب، وفي هـ ب، وفي نسخة: «ومثبته أشرف منبت» وفي نسخة اُخرىٰ: «ومنبته خير منبت».

(٤) في هـ ب: مفاعل من مهّدت الفراش، أي بسطته وطّئته، وتمهيد الاُمور: اصلاحها.

(٥) في ب: عنده، وفي هـ ب: نحوه ـ صح.

(٦) الأزمّة: جمع زمام، وهنا كناية عن تحويل الابصار نحوه.

(٧) في أ وب: دفن به.

(٨) الضغائن: الأحقاد.

(٩) جمع النائرة، وهي العداوة.

(١٠) في هـ ب: أي قرائن الكفار.

(١١) في أ وب وط ود: أعزّ به الذلّة، وفي هـ ص ، وفي نسخة: أعزّ به الذلة.

(١٢) في أ وب وط ود: أذل به العزّة، وفي هـ ص ، وفي نسخة: وأذل به العزة.

(١٣) في ب: ونطقه لسان، وفي هـ ب، وفي نسخة: وصمته لسان.

٤ ـ (والباطن، فلا شيء دونه) في الخفاء، حيث يعجز الفكر المادي عن تصور حقيقة الذات المقدسة لقصوره عن ادراك ما وراء الطبيعة.

وهذه الصفات الأربع ـ التى تكررت في الخطبة ـ تكفي عن سائر الصفات في الاشارة الى ان الذات المقدسة ليست مما يمكن للفكر المادي التعمق فيه، بل الطريق الوحيد لمعرفة الله هو الآيات في الآفاق والانفس.

(١/ط ـ ٩٦) **الرسول القائد** ﷺ:

ومن اوصاف الرسول القائد في هذه الخطبة:

١ ـ (مستقرّه خير مستقرّ) حيث استقر في الارحام المطهرة حتى مولده الطاهر.

٢ ـ (ومنبته أشرف منبت) حيث ترعرع في بيت الطهر والشرف، بيت عبد المطلب.

٣ ـ (في معادن الكرامة) فان المواقف الحكيمة من ابي طالب في بطحاء مكة، وقصة اصحاب الفيل تكشف على ان هذا البيت كان معدناً للحكمة في المواقف والاساليب والاهداف، كما هو مشروح في كتب التاريخ.

٤ ـ (ومماهد السّلامة) الممهد: ما يمهد لغرض، وهو السلامة، ويعني بها البراءة من العيوب.

٥ ـ (قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار) فقد توجهت نحو الرسول القائد ﷺ افئدة وقلوب حرة من الابرار الذين جعلوا البر بالعباد شعارهم، حيث وجدوا في سيرته ﷺ البر مجسماً.

٦ ـ (وثنيت إليه أزمّة الأبصار) التثنية: التمهيد، والزمام: ما يشد به الشئ، وهنا الرأي المبتني على البصيرة في واقع الحال.

٧ ـ (دفن الله به الضّغائن) والضغينة: الحقد، ودفنها ليس كتمانها، كما كانت عليه حالة المنافقين، بل قبرها في طريق اعدامها كما هي عليه حالة المؤمنين.

٨ ـ (وأطفأ به الثّوائر) الثائرة: العداوة؛ فان المقاومة الاسلامية أطفأتها.

٩ ـ (ألّف به إخواناً) اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ (١)

١٠ ـ (وفرّق به أقراناً) ممن لا تجمعهم الصلات بالثوابت الاسلامية من العدالة الانسانية، فان كلا من حمزة وابي لهب كانا عم النبي ﷺ وفرقهم الحق.

١١ ـ (أعزّ به الذّلّة) فان الامة المستضعفة اصبحت عزيزة بعد ذلتها بالاسلام.

١٢ ـ (وأذلّ به العزّة) ممن استكبر بروح الطبقية والعرقية والظلم.

---

(١) آل عمران: ٣ / ١٠٣.

١٣ ـ (كلامه بيان) والبيان: اخراج الشيئ من حـيز الخـفاء الى حـيز الوضـوح، ولم يكنﷺ يتكلم الباطل واللغو مما لا يخدم المصلحة العامة.

١٤ ـ (وصمته لسان) فان صمته لم يخل من فائدة، وقال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ):« لا يعني باللسان ـ ها هنا ـ الجارحة نفسها، بل الكلام الصادر عنها».(١)

وفي هذه النقاط الاربعة عشر من صفات الرسول القائدﷺ دروس وعبر للمسلمين في السير على سنته الشريفة والسير على سيرته المستقيمة في حياتهم من الولادة حتى الوفاة.

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٧: ٦٩، ط / ١٩٦٠.

[الخطبة ٩٧]

ومن خطبة له عليه السلام
في اصحابه وأصحاب رسول الله

أصحاب علي:

يستهل هذه الخطبة بالاشارة بايجاز الى سوء عاقبة الظلم والظالمين، حيث لفظهم التاريخ، ثم بيان تخاذل الاصحاب في مواجهة الظالم، ثم وصف المتخاذلين وأهل الكوفة باعتبارهم الجيش المحارب المتخاذل عن مسؤولياته العسكرية في الدفاع عن الدين والوطن.

(١/٩٧ - ط) **عاقبة الظلم:**

وَلَئِنْ أَمْهَلَ ٱللهُ ٱلظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ[١] طَرِيقِهِ، وَبِمَوْضِعِ ٱلشَّجَى[٢] مِنْ مَسَاغِ[٣] رِيقِهِ.

في مستهل المختار من الخطبة اشارة الى عاقبة الظلم والظالمين، بالرغم مما يتمتعون به من القوة عسكرياً ومادياً، فقال عليه السلام:

١ ـ (ولئن أمهل الظّالم) فان الله يمهل الظالم ولا يهمله، فان المهلة فيها امتحان للجميع بما في ذلك الظالم نفسه، حتى يعتبر بمن سبقه من الظالمين في التاريخ، وللمظلومين ليعرفوا واجباتهم في الحياة، فان الظالم لا يصل الى قوته مع وعيهم، اذا ارادوا الحياة، وانما يتقوى الظالم بجهلهم، وفي هذه المهلة تنكشف الحقائق لهم، ويحاسب الانسان نفسه في المواجهة، كما يشهد بذلك تاريخ الثورات، فان قادتها على الاغلب كانوا من اقرب المقربين الى الظلاّم، ولما انكشف لهم حقيقة الظلام لزموا جانب المظلومين.

٢ ـ (فلن يفوت أخذه) في الوقت الذي يضعف عسكرياً ويخلد الى الراحة، ومهما كان الظالم واقيا لنفسه فانه لا يمكن ان يعيش الى الابد متيقظاً، ففي تلك اللحظة الحاسمة يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

٣ ـ (وهو له بالمرصاد) والمرصاد: هو موضع الرصد، وهو الوقت المناسب للمقاومة والقضاء عليه، وأشار الى ان ذلك يكون في موردين عادة:

---

(١) في هـ ب: بضم الزاي، وفتحها جائز: المسلك.
(٢) في هـ ب: العظمة.
(٣) في هـ ب: المساغ مصدر ساغ الشراب يسوغ: أي سهل مدخله.

٤ ـ أولاً: (علىٰ مجاز طريقه) وهو الطريق الذى يسلكه ويجوز منه، فان الحياة مراحل يسلكها كل انسان من الولادة الى الموت، وفي احدى هذه المراحل يكون الظالم مرصوداً.

٥ ـ ثانياً: (وبموضع الشّجا من مساغ ريقه) والشجا: ما ينشب في الحلق من عظم وغيره، فان الظالم ككل انسان في الحياة يمر بمشكلة قد يعترض حكمه، وينشب فيه كالعظم في الحلق، ويفتقر الى التخلص منه، وفي هذه اللحظة تواجهه المقاومة بضربه قاضية.

(من مساغ ريقه) بيان للريق، اي الشراب، والاساغة: سهولة الشرب، فان الظالم لا يتمتع بالراحة التامة الى الابد، بل سهولة الشراب ينقلب الى مرارة لا تستساغ فيما يعترى عليه من مشاكل الحياة.

(٢/٩٧ ـ ط) **تخاذل الاصحاب:**

أَمَا وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَظْهَرَنَّ[١] هَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمُ عَلَيْكُمْ؛ لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ[٢]، وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي، وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ ٱلْأُمَمُ تُخَافُ[٣] ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي.

ٱسْتَنْفَرْتُكُمْ[٤] لِلْجِهَادِ، فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا؛ وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلوا.

أَشُهُودٌ[٥] كَغُيَّابٍ؟ وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ[٦]؟ أَتْلُو عَلَيْكُمُ ٱلْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا، وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْاعِظِ[٧] ٱلْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ ٱلْبَغْي فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ قَوْلِي حَتَّىٰ أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِيَ سَبَأ[٨] تَرْجِعُونَ إلى مَجَالِسِكُمْ، وَتَخَادَعُونَ[٩] عَنْ

---

(١) في هـ ب: أي ليغلبن.
(٢) في هـ. د: إلىٰ باطلهم ـ م ح ف.
(٣) في هـ. د: تخاف ـ على ما لم يسمّ فاعله ـ أي صارت الأُمم تخاف ان يظلموا راعيها، وتخاف بفتح التاء أي كانت الأُمم خائفة من ان يظلمهم راعيهم، وصرت خائفاً من ظلم رعيتي.
(٤) في هـ ب: أي استنهضتكم.
(٥) في أ وب وط : شهود.
(٦) في هـ ب: أي عبيد كأحرار.
(٧) في أ وب وط ود: بالموعظة.
(٨) في هامش ب: ذهبوا أيادي سبأ، أي مثل أيادي سبأ، يعني قوله تعالىٰ: (دمّرناهُمْ كُلَّ مُدَمَّرٍ). وفي هامش آخر: أيادي سبأ بن يشخب في تفرّقهم وتبدّدهم في البلاد حين أُرسل عليهم سيل العرم، والأيادي كناية عن الأبناء والاسرة؛ لأنّهم في التقوّي والبطش بهم بمنزلة الأيدي.
(٩) كذا في ص ، وفي أ وب وط ود: وتتخادعون. وفي هـ ص في نسخة: وتتخادعون. قال في

مَوَاعِظُكُمْ، أُقَوِّامُكُمْ غُدْوَةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَـيَّ عَشِـيَّةً، كَـظَهْرِ ٱلْـحَنِيِّةِ(١) عَـجَزَ ٱلْـمُقَوِّمُ، وَأَعْضَلَ(٢) ٱلْمُقَوَّمُ.

وفي هذا المقطع يتعرّض الامامعليه السلام الى تخاذل الاصحاب في المواقف، وهذا طبيعي في كل حركة تسير مسيرة جماعية؛ لان الجماعة لا تكون لها رأي واحد، ولكن المشكلة التى عانى منها الامام ليست وحدة افكار الجماهير من المـواطـين، بـل مـن الجـيش المفروض فيه طاعة القيادة والانضباط العسكري، وهم آنذاك اهل الكوفة، وطبيعي ان تخاذل من لا يؤدي واجبه العسكري لا بد وان ينتهى الى خسران المعركة لعدم التكافؤ العسكرى بين الجانبين حينئذ، وقد سرد مواقف التخاذل بقوله:

١ ـ (أما والّذي نفسى بيده) والتأكيد بالقسم على الله سبحانه انما يدل على وضوح الرؤية من القيادة لنتيجة التخاذل وفقدان الانضباط العسكري.

٢ ـ (ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم) بسبب الانضباط العسكري لهـم، وفـقدانـه عـند الاصحاب المتخاذلين.

٣ ـ(ليس لأنّهم أولىٰ بالحق منكم) ففي ساحة الحرب بين الحق والباطل، يكون الحق واضحاً، ولم يشك اصحاب الامام في انهم على حق، أو لأن الامام على حق، بل كان ذلك واضحاً لهم.

٤ ـ (ولكن لإسراعهم إلىٰ باطل صاحبهم) فان السرعة في تنفيذ اوامر القيادة حرفياً يدل على الانضباط العسكري، وهذا ما كان يتمتع به العدو.

٥ ـ (وابطائكم عن حقّي) وهو الطاعة للقيادة العسكـرية التـي هـي اولى ظـواهـر الانضباط العسكري، وبسبب تكرر هذا التخلف من الاوامر القيادة للامام وجد الامـام نفسه في موقف حرج.

٦ ـ (ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعـيّتي) فـان سياسة الامامعليه السلام الواضحة كانت تختلف عن سائر الامم في عصره، فهي جميعاً سلكت سياسة الملوكية والحديد والنار باستخدامهما في اخضاع الجيوش التابعة لها، ومن أجل ذلك اصبحت الامم تخاف ظلم قياداتها العسكرية، وتنفذ مآربهم حرفياً.

الشرح: تتخادعون: أي تمسكون، من قولهم: أعطىٰ فلان ثـم خـدع: أي امسك، ويـجوز ان يريد: تتلونون وتختلفون، من قولهم: دلق خادع، أي متلوّن، ولا يجوز ان يـراد بـه المـعنىٰ المشهور؛ إذ لا معنىٰ له، انتهىٰ.

(١) في د: الحيّة، وفي هـ ب، وفي نسخة: الحيّة، وفي هـ ص وب: أي القوس.

(٢) في هامش ب: أشكل.

ولكن الامام﵇ ونتيجة للسياسة القائمة على الشورى، اصبح القائد الوحيد الذي رفض سياسة الحديد والنار، وبالنتيجة اصبح يخاف ظلم رعيته من الجيش خاصة، بسبب تخاذلهم في اداء واجباتهم العسكرية، وفي موقف حرج كهذا اصبح القائد بين خيارين:

الاول: اهمال المسؤولية القيادية، وهذا مرفوض طبعاً من قائد مسؤول.

الثاني: مواصلة بيان حقيقة الموقف حتى يرجع الجيش الى وعيه العسكري، وهذا هو ما فعله الامام﵇ في الاشارة الى سلسلة من المواقف التي تكشف عن عدم الانضباط العسكري، وهي:

٧ ـ (استنفرتكم للجهاد، فلم تنفروا) فان النفر الى الجهاد من واجبات الجيش بعد صدور امر القيادة.

٨ ـ (وأسمعتكم، فلم تسمعوا) فان الاعراض عن الاوامر الصريحة بعد سماعها، اهمال للواجب العسكري.

٩ ـ (ودعوتكم سرّا وجهراً، فلم تستجيبوا) حيث استخدم كافة الطرق المتيسرة لتوعية الجيش.

١٠ ـ (ونصحت لكم، فلم تقبلوا) حيث ان النصيحة واجبة بعد فشل كل المحاولات.

وهذه النقاط الاربع تفرض على القائد ان يستخدم القوة في سوق الجيش الى العمل بواجباته، وهذا ما يفعله قادة الامم عامة في الجيش، وقد يستخدمون الاعدام ايضاً بالنسبة الى المتخلف، ولكن سياسة الامام لم تكن كذلك، بل سار على مواصلة التوعية الثقافية في صفوف الجيش المحارب عن العقيدة، لعلمه بان الحرب اذا لم تكن عن عقيدة لابد وان تبوء بالفشل، ومن اجل ذلك واصل الامام توعية الجيش بقوله مستنهضاً:

١١ ـ (أشهود كغيّاب!) حيث انهم شهود في صفوف الجيش للحرب ضد العدو، ولكنهم في مقام العمل كانهم غائبون عن صفوف الجيش باهمالهم الواجب العسكري.

١٢ ـ (وعبيد كأرباب!) وهم دخلوا في الجيش عالمين بان اولى شروط الجيش: طاعة القيادة وتنفيذ الاوامر العسكرية، ولكنهم يتصرفون كأنهم هم ارباب القيادة، وان القائد هو الذي يجب ان يطيعهم، حيث يهملون تلك الاوامر كالعبيد بالنسبة الى اربابها من العذر والخلاف ودناءة النفس.

١٣ ـ (أتلو عليكم الحكم، فتنفرون منها) فان السياسة التي اتبعها الامام﵇ هي سياسة الاسلام بالتوعية، وليس بالاكراه، على ما كانت عليه السنة النبوية في حرب تبوك، حيث لم يجبر المتخاذلين على الانخراط في صفوف الجيش.

١٤ ـ (وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها) لان الوعي العسكري كان مفقوداً في الجيش، فلا تقع الموعظة في الارض الصالحة.

١٥ ـ (وأحثّكم علىٰ جهاد أهل البغي، فما آتي علىٰ آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سبأ) وأيادي سبأ، مثل يضرب للمتفرقين من أهل سبأ بعد انكسار سد مأرب، راجع المادة في المعجم. فان الحث على الجهاد لم يقع مؤثراً في الجيش، مع ان حكم البغاة من الثوابت الاسلامية، والشعب عامة يعرفه، بما فيهم الجيش المتكون لهذا الهدف بالذات، ولكن الجيش غير مقتنع بهذه الحيثية في آخر الجلسة التي تحتث القيادة فيها على الجهاد، فهم يعلنون اختلاف آرائهم بالافتراق عن الامام بدل الاجتماع حول القائد لمعرفة ما يجب القيام به، باعتبارهم من العسكريين.

١٦ ـ (ترجعون إلىٰ مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم) فانه بعد التوجيه القيادي لجهاد البغاة، يرجعون الى مجالسهم الخاصة بدل اجتماعهم حول القائد، ويهملون المواعظ بالخدعة ،أي التلون والاعذار التى تكشف عن عدم الاعتقاد بضرورة الجهاد.

١٧ ـ (أقوّمكم غدوة، وترجعون اليّ عشيّة كظهر الحنيّة) الغدوة: الصباح، والعشية: المساء، والحنية: القوس، فقد مثل الامام التلون في الجيش بالقوس الذي يقوّم صباحاً، والمفروض ان يبقى كذلك لعدة ايام، ولكنه يتلون في العودة الى الحالة الاولى كالقوس منحنيا، فليس لهذا الجيش المتخاذل رأي اصيل.

١٨ ـ (عجز المقوّم وأعضل المقوَّم) وختم هذا المقطع في اداء دوره كقائد ودورهم كجيش محارب، فقد استنفذ القائد في التوعية كل الطرق المتصورة، ولكن الجيش المفروض فيه العمل بواجباته تلون في المواقف بين الصباح والمساء، فهو لا يرغب في العمل بواجبه العسكري، وفى مثل حالة كهذه يكون النصيحة كالزرع في الارض المالحة، ولابد وان تعجز عن حصول الثمرة.

ولم يذكر الامامعليه السلام السبب الاصيل لهذه المواقف غير المسؤولة من الجيش المفروض فيه الانضباط العسكري، وطبيعي ان تكاتف الاسباب من الروح القبلية والمندسين في صفوف الجيش باشاعة الدعايات المضادة من العدو، ومن اختلاف الآراء الشخصية كما يحصل في كل جماعة، كان هو السبب في ذلك، ولم يخف شئ من ذلك على الامامعليه السلام، وهو اعرف بعدوه والسياسة من غيره، حيث عاشرهم صغاراً وعرفهم كباراً.

والتشاغل في الاسباب تستلزم اهمال السياسة التى انتهجها في الحرب اقتداء بسنة الرسول الاعظمصلى الله عليه وآله في حرب تبوك، وهي سياسة التصنيف العسكري ليحارب في صفه من يؤمن بمبادئة، دون غيره، وقد غفل الشارح عن هذه السياسة المعنوية الخصيفة،

حيث قال الشارح ابن أبي الحديد (ت / ٦٥٦ هـ) في الشرح، ما نصّه:« وهذا صبر عظيم، وأناة عجيبة، وتوفيق بين ، وبهذا ونحوه استدل أصحابنا المتكلمون على حسن سياسته وصحة تدبيره ، لان من مني بهذه الرعية المختلفة الاهواء ، وهذا الجيش العاصي له ، المتمرد عليه ، ثم كسر بهم الاعداء ، وقتل بهم الرؤساء ، فليس يبلغ أحد في حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه ، ولا يقدر أحد قدره ، وقد قال بعض المتكلمين من أصحابنا : إن سياسة علىعليه السلام إذا تأملها المنصف متدبراً لها بالاضافة إلى أحواله التي دفع إليها مع أصحابه ، جرت مجرى المعجزات ، لصعوبة الامر وتعذره».[١]

فان الرعية لم تكن مختلفة اختلافاً في المبادئ التي سار عليها الامام، بل كانت تؤمن بذلك، و ان الامام على الحق، كما ان الجيش لم يكن عاصيا له في اوامره عصيان من يخطئه في القيادة والامامة، بل كان متخاذلاً لنقص في نفس الجيش، وهو عدم الانضباط العسكري.

كما ان الجيش لم يكن متمرداً عليه قط، ولو كان كذلك لحاربه، وانما المتمردون هم اصحاب النهروان فقط ،بل ان الجيش المنهزم كان يفتقر الى توعية عسكرية ليقوم بواجباته العسكرية في حفظ الدين والوطن، وهذا ما قام به الامامعليه السلام في هذه الخطبة وما شابها، من دون ا ن يجبر احداً منهم بالقوة على ذلك، كما كانت عليه سنة الرسول الاعظمصلى الله عليه وآله، وتكشف هذه الحقيقة وصف المتخادلين، فانهعليه السلام لم يصفهم بالخلاف في العقيدة، ولا بالعصيان، ولا بالتمرد، بل باوصاف المتخاذلين الآتية:

(٣ / ط - ٩٧) وصف المتخاذلين:

أَيُّهَا[٢] ٱلشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، ٱلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، ٱلْمُبْتَلىٰ بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ ٱللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ، وَصَاحِبُ أَهْلِ ٱلشَّامِ يَعْصِي ٱللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ وَٱللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ ٱلدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ[٣]، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ.

وصف الامام الجيش المتخاذل بسبب فقدان الوعي العسكري بأوصاف بعث فيهم روح التصحيح ومحاسبة النفس والعمل بالواجبات، وهي:

١ ـ (أيّها القوم الشّاهدة أبدانهم) بحضورهم في صفوف الجيش لتمل مسؤولياته العسكرية.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد ٧: ٧٣.
(٢) في ط: أيّها القوم، وفي هـ. د: أيّها القوم ـ ح.
(٣) في هـ. د: صرف الدنانير بالدراهم ـ م.

٢ ـ (الغائبة عنهم عقولهم) لعدم وعيهم لما يتطلبه الجيش من الواجبات العسكرية، واهمها الانضباط العسكري في متابعة اوامر القيادة.

٣ ـ (المختلفة أهواؤهم) باعتبارهم يـمتون الى مـختلف القـبائل والمشـارب، وان اتحدت عقيدتهم بان الامام هو امام حق، وان الحرب ايضا على حق ضد الباطل.

٤ ـ (المبتلى بهم أمراؤهم) فان امراء هذا الجيش الجماهيري كانوا في حالة امتحان، وصفة الجمع تستلزم ان يكون قادة الجيش غير الامام عليه السلام كانوا على وفاق كـامل مـع الامام في قراراته الحربية، وانما التخاذل كان من افـراد الجـيش، دون الامـراء؛ ولذلك افتقروا الى الحث على الجهاد.

٥ ـ (صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه) ويعني الامام نفسه عليه السلام، فهم جميعا على رأي واحد بان الامام على الحق، وانه يطيع الله، ولكنهم يعصون الامام عليه السلام في قراراته وليس عصيان رفض للحق، بل لضعف في الرؤية.

٦ ـ (وصاحب أهل الشّام يعصي الله وهم يطيعونه) والمعني به معاوية، الذي استخدم سياسة القوة في اعداد الجيش، فهم يطيعونه بالرغم من علمهم بان سياسة القوة ليس من سياسة النبي في حروبه.

وهذه المقارنة في الناحية العملية تكشـف بـوضوح ان جـيش العـدو كـان يـتمتع بالانضباط العسكري، دون جيش الامام، فيكون من الطبيعي ان يحث الامام جيشه بما يحفزهم على الانضباط العسكري بقوله:

٧ ـ (لوددت والله وأنّ معاوية صارفني بكم صرف الدّينار بالدّرهم، فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم) وهذه المقارنة تكشف عن نسبة الوعي العسكري في جيش الامام، وان الذين كانوا يتمتعون بالانضباط العسكري في جيش الامام هم نسبة عشرة بالمائة، وان تسعين بالمائة من جيش الامام كانوا يفقدون هذا الانضباط العسكري، ولا يتحقق ذلك إلّا بأحد طريقين؛ الاول: الحديد والنار والمال، وهـذا مـرفوض اسـلامياً. الثاني: التوعية والتطوع، وهذا ما سنه الرسول القائد صلى الله عليه وآله في حروبه، وحاشا لعلي ان يحيد عن ذلك.

(٤/ط - ٩٧) **أهل الكوفة:**

يَا أَهْلَ ٱلْكُوفَةِ مُنِيتُ[١] مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَٱثْنَتَيْنِ[٢]، صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ،

---

(١) في هـ ب: ابتليت.

(٢) في هـ ص : انما لم يقل بخمس، لأن ثـلاثاً بـلفظ الايـجاب واثـنتين بـلفظ النـفي، فأحب التفرقة بينهما.

وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لَا أَحْرَارَ صِدْقٍ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ ٱلْبَلَاءِ.

تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ[١]! يَا أَشْبَاهَ ٱلْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ.

وَٱللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا أَخَالُ[٢] أن لَوْ حَمِسَ[٣] ٱلْوَغَى[٤]، وَحَمِيَ ٱلضِّرَابُ[٥]، وقَدِ ٱنْفَرَجْتُمْ عَنِ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ ٱنْفِرَاجَ ٱلْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا[٦]، وَإِنِّي لَعَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي. وَإِنِّي لَعَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً[٧].

وقد خص الامام القائد اهل الكوفة باعتبارهم الجيش المحارب المكون من كوفة الجند، وذكر لهم صفات خمس، فقال:

(يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث واثنتين) فالمجموع صفات خمس لاهل الكوفة المحاربين، قال الشارح (ت / ٦٥٦ هـ):«انما لم يقل بخمس؛ لان الثلاث ايجابية والاثنتين سلبيان، فاحب ان يفرق بين الاثبات والنفي)[٨]، وهي:

١ ـ (صمم ذوو أسماع) فلهم آذان سامعة، ولكن لا تسمع إلّا ما يوافق هواها، لا ما يسير على الثوابت الاسلامية.

٢ ـ (وبكم ذوو كلام) ولهم افواه ناطقة، ولكن لا تنطق الاّ لمصلحتها.

٣ ـ (وعمي ذوو أبصار) ولهم ابصار ناظرة، ولكن لاترى الاّ ما يهمها، لا ما يهم الامة جمعاء، وحيث ان الله سبحانه اكرمهم بهذه الآلات لاستخدامها، وهم لا يستخدمونها الاّ لمصالحههم الخاصة، فهم يفقدونها حيث لا يستخدمونها الاستخدام الصحيح في المحل المطلوب.

---

(١) في هـ ص: كلمة تدعىٰ علىٰ المخاطي بها، أي لا أصبتم خيراً، وفي هـ ب: دعاء، أي لا أصبتم خيراً، وتحقيقه: لصقت بالتراب أيديكم.

(٢) في ط: إخالكم، وفي هـ. د: فيما اخالكم ـ ح. وفي هـ ب: إخال: أظن، أخال بلغة بني أسد، إخال ـ بالكسر ـ.

(٣) في هـ ص وب: أي اشتد.

(٤) في هـ ص: الحرب.

(٥) في هـ ب: الضراب بمعنىٰ المضاربة كالحراب بمعنىٰ المحاربة.

(٦) في هـ ب: شبّهﷺ انكشافهم بانكشاف المرأة عن فرجها وقت الولادة، وتورد هذه العبارة للتقريع والتوبيخ.

(٧) في هـ. د: الفظه لفظاً ـ م ف. وفي هـ ب: أي أسلكه على السداد والصراح، يقال: لفظ قدما، إذا مشىٰ مشياً سهلاً لاريب فيه، وروي: القط لقطاً: أرد من هذا الطريق كما يرد عليه؛ من المقاربة.

(٨) شرح نهج البلاغة؛ لابن أبي الحديد ٧: ٧٦، ط / ١٩٦٠.

٤ ـ (لا أحرار صدق عند اللّقاء) وهو الحرب؛ فان ساحة الحرب يفتقر الى الجدّ ممن هو صادق الاستقامة حتى النصر أو الشهادة، ومن يفقد الصدق يكون عبداً لشيئ من شهواته الخاصة، ولكن لا يشهد، فلا يرزق النصر.

٥ ـ (ولا اخوان ثقة عند البلاء) وهو الامتحان، أو الابتلاء؛ فإن في هذه الحالة يفتقر الانسان الى المواساة، فإن اخاك من واساك في الشدة، وليس بأخيك من يواسيك في الرخاء فقط. وطبيعة جماعة ممن يتّصف بهذه الصفات ان لايصيب خيراً لانها صفات كلازم النفاق ولذلك دعى عليه السلام عليهم بقوله:

٦ ـ (تربت أيدكم) أي أصبحت الأيدي ملطخة بالتراب، وهي عبارة يدعى بها على الانسان، تعني: لا اصبتم خيراً.

وقد ختم الخطبة بتمثيل لاهل الكوفة، المفروض منهم البسالة والمقاومة حتى النصر، ولكنهم كانوا في قمة التخاذل، فقال:

٧ ـ (يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر) فهم بالرغم من وجود الراعي وهو الامام، اشبه بالابل التي لا راعي لها، فتعوّدت على الانطلاق والحرية الشخصية في اتخاذ القرارات، كالابل الوحشية التي لا راعي لها، فاذا اراد أحد أن يجمعها من جهة فهي تحاول الانفلات من جهة أُخرى، لانها لم تتعود على الانضباط منذ صغرها، ونسبة هذه الامثال في جيش الامام كانت تشكل ٩٠ بالماءة من مجموع الجيش وقد حاول عليه السلام توحيدها وتثقيفها بالوعي العسكري. وأشار الي النتيجة المتوقعة لمثل هذا الجيش مؤكداً بقوله:

٨ ـ (والله لكأني بكم فيما أخالكم ـ لو حمي الوغى وحمي الضراب ـ قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج المرأة عن قبلها، فيما اخالكم) اي أضنكم. والحمس: الشدة، والوغى: الحرب، والضراب: الجولان في ساحة الحرب، وانفراج المرأة عن قبلها تكون في وقت الولادة؛ للتخلص من المولود. وهذا انباء بموقف المندسين في صفوف جيش الامام كما تضمنته النصوص التاريخية.

(٥/ط - ٩٧) موقف الامام:

واشار عليه السلام الى موقفه كقائد بانّ هذا التخاذل لايحيده عن واجبه القيادي، مهما توعّرت السبل، لاسباب ثلاث، هي:

٩ ـ أولاً: (واني لعلئ بينة من ربي) فإن الرؤية الواضحة التي كان يتمتع بها الامام كقائد اسلامي ملتزم بالقانون الاسلامي، وهو القرآن الكريم الذي هو بيّنه من الله سبحانه.

١٠ ـ ثانياً: (ومنهاج من نبيي) وهو الالتزام بالسنة النبوية المطهرة في حروبه، لايحيد

عنها في التطوع العسكري من دون اجبار أو اكراه أو اغراء، فمن رغب في ذلك حارب ببسالة وجرأة عن عقيدته، ومن لم يعتقد بذلك فانه لايكره على ذلك.

١١ ـ ثالثاً: (و اني لعلى الطريق الواضح ألفظه لفظاً) فالامام بحكم تجربته التاريخته مع الرسول، وبحكم تخرّجه من مدرسة النبوة طفلاً وشاباً، وبحكم ادواره المشرقة في التاريخ الاسلامي، له رؤية واضحة في مسيرة الحرب ضد البغاة. فهو يلتقط طريق الهدى لموضع قدمه في السير، ولا يسلك الطريق الذي هو غير معروف اسلامياً.

وهذه الاسباب الثلاث هي التي ميّزت موقف الامام القائد من مواقف معاوية.

(٦ / ط - ٩٧) اهل بيت النبي ﷺ:

انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ[١]**، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فالْبُدُوا**[٢]**، وَإِنْ نَهَضُوا فانْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.**

قال الجلالي: والغريب ان المحقق المحترم[٣] لم يعط عنوانا خاصاً لهذا المقطع الخاص بأهل البيت عليهم السلام، بل دمجه بالمقطع السابق بعنوان «أصحاب رسول الله ﷺ»، مع ان هذا المقطع خاص باهل البيت عليهم السلام. ويتضمن أمراً قياديا بمتابعة اهل بيت النبي ﷺ، ويكفي في ذلك ان الله سبحانه طهرهم من الرجس تطهيراً، ومن طهره الله يتعيّن في لزوم المتابعة، حيث قال: ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[٤]، وليس فوق تطهيرالله سبحانه تطهير، وأشار الى ذلك في عدة نقاط، هي:

١ ـ (انظروا أهل بيت نبيكم) والنظر يكون بالبصر كما يكون بالبصيرة والفكر والتدبّر والحكم والعقل، ومن اجل ذلك سمي القاضي: ناظراً بين الناس، وعلم الكلام علم النظر والاستدلال، ويتعدى بنفسه وبإلى، والمراد النظر الى قيادة أهل البيت فكرياً وعملياً.

٢ ـ (فالزموا سمتهم) السمت: الجهة والطريق، ولزوم طريقتهم؛ لانها تحكي عن طريقة جدهم النبي، الذي ورثوا جينانه الطاهرة في دمائهم.

٣ ـ (واتبعوا أثرهم) والاثر: ما يبقى من رسم الشيء ويخلفه بعده. وأشار الى السبب في هذه الاوامر، فذكر أمرين:

٤ ـ أولا: (فلن يخرجونهم من هدى) لانهم ورثوا الهداية جيلاً بعد جيل عن جدهم

---

(١) في هـ ب: أي سمت آل محمّد.
(٢) في هـ ب: فإن لبدوا، أي وقفوا فقفوا، وان قعدوا فاقعدوا، لبد بالأرض: أي لصق به.
(٣) الدكتور صبحي الصالح.
(٤) الأحزاب ٣٣: ٣٣.

الرسول القائد ﷺ.

٥ ـ وثانياً: (ولن يعيدوكم في ردى) للوعي الكامل الذي يتمتعون به من خطط اعداء الدين والرسالة، ونتيجة لهذين السببين، أكد عليه السلام على متابعة أثر اهل البيت في الحالات التالية:

٦ ـ (فإن لبدوا فالبدوا) واللبود: الالتصاق، اي الاقامة في الارض وعدم الحركة.

٧ ـ (وان نهضوا فانهضوا) لعلمهم بالوقت المناسب الداعي الى هذه النهضة في القيام.

٨ ـ (ولا تسبقوهم فتضلوا) لانّ المتابعة في الحقيقة هي السير على اثر المتبوع ومتابعته.

٩ ـ (ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا) فان اهمال المتابعة لهم اهمال لسنة النبي ﷺ.

و هذه النقاط هي التي تميّز أهل البيت عن غيرهم؛ لمحافظتهم على سنة جدهم الاعظم في الحياة جيلاً بعد جبل.

(٧/ط ـ ٩٧) **اصحاب رسول الله ﷺ:**

لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَما أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ[١]، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً، وَقَدْ[٢] بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً، يُرَاوِحُونَ[٣] بَيْنَ جِبَاهِهِمْ[٤] وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ ٱلْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ ٱلْمَعْزَى[٥] مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ هَمَلَتْ[٦] أَعْيُنُهُمْ حَتَّىٰ تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ[٧]، وَمَادُوا[٨] كَما يَمِيدُ ٱلشَّجَرُ يَوْمَ ٱلرِّيحِ ٱلْعَاصِفِ؛ خَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ[٩].

يتضمن هذا المقطع صفات اصحاب الرسول ﷺ، وعبّر الامام عليه السلام عن تجربته الشخصية التي رآها بعينه فهو أحدهم، فقال:

(لقد رأيت اصحاب محمّد ﷺ) وليس ما يسرده من الصفات روايات متسلسلة، بل

---

(١) لم ترد «منكم» في أ وب ، وفي ط : فما أرىٰ أحداً يشبههم منكم، وفي د: فما أرىٰ أحداً منكم يشبههم.

(٢) في ب: غبراً قد باتوا، وفي هـ. د: غبراً قد باتوا ـ ش .

(٣) في هـ ب: المراوحة في العمل: ان يعمل هذا مرة وهذا مرة.

(٤) في هـ. د: وروي جيوبهم ـ ر.

(٥) في هـ ب: ركب المعزى وثفنة البعير، يضرب بهما المثل في الشدة، والمعزىٰ ملحق بالرباعي.

(٦) في هـ ب: سالت دموع عيونهم.

(٧) في هـ. د: جباههم ـ م .

(٨) في هـ ب: تحركوا واضطربوا.

(٩) في هـ. د: رجاء من الثواب ـ ل .

هي مشاهدات شخصية لا يتطرق اليها الشك.

(فما أرى أحداً يشبههم منكم) فهو يخاطب الجيل من اصحابه، وهم التابعون الذين لم يشاهدوهم، ثم سرد اوصاف الصحابة بقوله:

١ ـ(لقد كانوا يصبحون شعثاً) والشعث: تغيّر شعر الرأس وانتشاره، فهم عند الصباح كانوا في حالة تقشف، وليس في حالة زينة وتجمّل، فقد كان اهتمامهم بـالعمل وليس بالمظهر، وهذا لايغني اهمال الزينة عند الحاجة، بل اعطاء الاولوية للعمل الصالح.

٢ ـ (غبراً) يعلوهم الغبار، وهو ما دقّ من التـراب، ولذلك تسـمى الارض: الغـبراء، ولايعني ذلك اهمال النظافة عند الحاجة، كما تقدم.

٣ ـ (وقد باتوا سجداً وقياماً) فانهم قضوا الليل بالعبادة والتهجد بالسجود وقيام الليل.

٤ ـ (يراوحون بين جباههم وخدودهم) فهم في حالة العبادة، والتـذلل لله سـبحانه وحده، تارة بوضع الجبهة على الارض، واخـرى بـوضع الخـدّ، وبـذلك يـتراوحـون. والمراوحة: الفعل بهما مرة واخرى رعاية لما للجباه والخدود من الحقوق والحدود.

٥ ـ (ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم) فانهم بذكر المعاد كأنهم واقفون على الجمر، بالوقوف عليها عيانا كالمشاهد حساً.

٦ ـ (كأنّ بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم) الركبة: مفصل الساق، والمعزى: جنس الغنم والمعز، فانها بكثرة حركتها تصبح يابسة دون سائر اجزاء الجسم، وهـؤلاء الصحابة من طول سجودهم يحدث في جباههم حالة كهذه، وهي طـبيعية بـعيدة عـن التصنّع.

٧ ـ (إذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم) الهمل: السيلان. والجيب: الصدر من الانسان، فان البكاء الطبيعي الحقيقي يوجب ذلك.

٨ ـ (ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف) والميد: الحركة والاضطراب كحالة الشجر عند مواجهة الريح العاصف الذي يميد كما تؤثر فيه الرياح، وهؤلاء في عباداتهم يميدون كذلك، واشار الى سببين رئيسيين لهذه الحالات الثمانية، هما.

٩ ـ اولاً: (خوفا من العقاب) لعلمهم بان الله سبحانة يعاقب العالم بأكثر مما يـعاقب الجاهل، فان للجاهل عذره.

١ ـ وثانياً :(ورجاءً من الثواب) لعلمهم بانه وسعت رحمته كل شيء.

وهذه الاوصاف العشرة للصحابة الكرام يميزهم عن غيرهم مـن التـابعين وتـابعي التابعين، واذا لم ير الامام احداً من التابعين في عصره ومصره مثلهم، فكيف بمن تأخر عن عصره ومصره؟.

[الخطبة ٩٨]

ومن كلام له عليه السلام

يشير فيه الى ظلم معاوية

(١/ط - ٩٨) سيرة بني أمية:

وَٱللهِ لاَ يَزَالُونَ(١) حَتَّى لايَدَعُو لِلهِ مُحَرَّماً(٢) إِلاَّ ٱسْتَحَلُّوهُ وَلاَ عَقْداً(٣) إِلاَّ حَلُّوهُ، وَحَتَّى(٤) لَا يَبْقىٰ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ(٥)، وَنَبَا(٦) بِهِ سُوءُ رِعَيِهِمْ(٧)، وَحَتَّى يَقُومَ ٱلْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ: بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّىٰ تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ(٨) مِنْ أَحَدِهِمْ(٩) كَنُصْرَةِ ٱلْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ ٱغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللهِ ظَنًّا، فَإِنْ أَتَاكُمُ ٱللهُ بِعَافِيَةٍ فاقْبَلُوا، وَإِنِ ٱبْتُلِيتُمْ فاصْبِرُوا، فَإِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

يسرد الامام عليه السلام في هذا الكلام صفات من بني أمية، وآثار فتنهم في المجتمع الاسلامي استناداً الى تجربته الشخصية معهم في الجاهلية والاسلام، على ما هو مشروح في التاريخ الاسلامي، ولعل اهمها: تحالف ابي سفيان مع اعداء الاسلام في وقعة الاحزاب في الجاهلية، وتحالف معاوية بدفع الجزية الى البيزنطيين في الاسلام؛ للتفرغ لحرب الامام عليه السلام، فإن موقف معاوية كشف عن تحالف دولي جديد لضرب الاسلام الذي يتحرك بقيادة الامام عليه السلام في الصميم، وقد أشار اليها في نقاط، هي:

---

(١) في هـ ب: أي هؤلاء الظلمة لا يزالون علىٰ ظلمهم، يعني بني اُمية وغيرهم.

(٢) في هـ ب: أي حراماً.

(٣) في هـ ب: أي عهداً.

(٤) في ب: حلّوه حتىٰ، وفي هـ. د: حلّوه حتىٰ ـ ش.

(٥) في د زيادة: ونزل به عيثهم، وفي هـ ب، وفي نسخة زيادة : ونزل به عيثهم، وفي هـ. ط، وفي نسخة زيادة: ونزل به غيّهم.

(٦) في هـ ب: أي تنغص.

(٧) في ط: رعْتِهِم، وفي هـ. د: سوء رعيتهم ـ ن، سوء رعتهم ـ ل، وفي هـ ص : أي سياستهم، ويروي: رعتهم، والرعة: الورع، وفي هـ ب: أي جعل سوء ولايتهم كل من لايستقر أهله، وروي: سوء رعتهم، أي: ورعهم وتقواهم.

(٨) في هـ ب: «نصرة أحدكم» مصدر مضاف إلىٰ مفعول «من أحدهم» أي من جانب أحدهم، وكذا في «نصرة العبد».

(٩) في هـ. د: «من أحدهم» ساقطة من ن .

١ ـ (والله لايزالون) مؤكداً بالقسم باسم الله سبحانه، بان بني أُميّة لايزالون متواجدين في الساحة، ولاتنجح الحركة الشعبية الاسلامية لمحوهم، وذلك لمساندة القوى العالمية آنذاك لهم بجعلهم رأس الحربة في ضـرب الاسـلام والمسـلمين، وأشـار الى النـتيجة المباشرة لهذه الاستمرارية في الحكم والوجود بقوله:

٢ ـ (حتى لايدعوا لله محرما إلّا استحلوه) لان الهدف هو القضاء على الاسلام فكرياً بالتشكيك في مفاهيمه، وعمليا باشاعة المحرمات الشرعية.

٣ ـ (ولا عقداً إلاّ حلّوه) والعقد: عبارة عن الثوابت الاسلامية التي لايمكن تجاوزها كالشورى في الحكم وتبديلها الى الملك العضوض.

٤ ـ (وحتى لايبقى بيت مدر ولا وبر إلاّ دخله ظلمهم، ونبا به سوء رعيهم) ونتيجة الحكم الظالم ان يعم، فان الحاكم الظالم كالسارق الذي يعلم انه سوف يؤاخذ على سرقته، فلا يرحم قط أحداً، ويحاول افناء كل من يحتمل منه المؤاخذة، والمدر: كناية عن البيوت في المدن المتحضرة، والوبر: شعر الابل، وهي الخيام المتخذة في البادية للبدو. والنـبو: الضرر. وسوء الرعي: هو الظلم، فان الظالم لايتوقف عن الظلم إلّا ان يوقف عـند حـدّه بالقوة.

٥ ـ (وحتى يقوم الباكيان) على اثر الظلم العام، وهما (باك يبكي لدينه، وباك يبكي لديناه) اما الاول، فيبكي لضياع الثوابت الاسلامية، واما الثاني فيبكي لضياع العدالة في صيانة ما يملك من نفس ونفيس.

٦ ـ (وحتى يكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده) وكما هي طبيعة حكومة الظلم في اتباع سياسة التفرقة «فرّق تسد» فهم يفرقون بين من ينصرهم ومـن لاينصرهم، وطبيعة هذه السياسة ان تكون النصرة غير متكافئة، فمن ينصر الظالم انـما ينصره كنصرة العبد لسيده، من دون تقدير أو شكر من الظالم، بل يرى الظالم انه دائـماً المتفضل عليه، ويستخدم الناصر كالعبد، وحينما ينتهي من حاجته فانه سوف يرميه في سلة المهملات، والعبد نفسه على علم بهذه النتيجة الحتمية يقوم بالدور المنافق التالي:

٧ ـ (اذا شهد أطاعه) خوفا من ظلمه وغشمه، فيطيعه في تلك الفترة خاصة.

٨ ـ (واذا غاب اغتابه) لعلمه بان الظالم لايقنع بالطاعة هذه مهما حاول العبد ارضاءه، لكونه ـ بحكم عنجريته ـ يرى غيره خدماً له، يجب عليهم الطاعة من دون مناقشة.

٩ ـ (وحتى يكون اعظمكم فيها عناءً: أحسنكم بالله ظناً) فان في حالات الظلم كهذه، يكون اصحاب الرؤى الواضحة اكثر عناءً وأعظم بلاءً من غيرهم؛ لكونهم على بصيرة من امرهم، ويحسنون بالله وحده ظناً دون غيره. وختمﷺ الكلام بنصيحة غالية في مواجهة

اي ظالم لا يتمكن الانسان من مقاومته، هي:

١ ـ (فان آتاكم الله بعافية فاقبلوا، وان ابتلتم فاصبروا؛ فان العاقبة للمتقين) حيث لاتخلو الحالة من أمرين، هما: العافية من الظلم، فيكون قبول الامر الواقع، أو الابتلاء بالظلم الذي يعم الجميع، والعلاج هو الصبر حتى يفرّج الله ذلك بتهيئة اسباب النصر، مؤكدا على ان العاقبة للمتقين، لان الظلم ظلمات ولابد وان تنقشع يوماً ما، بنور الحرية عن الظلم.

وهذه النقاط العشر قد اثبتها التاريخ، حيث انتهى الظلم الاموي بحذافيره، ولم تقم قائمة للأمويين حتى في عقر دارهم.

[الخطبة ٩٩]

ومن خطبة له عليه السلام

في التزهيد في الدنيا

(١/ط - ٩٩) التزهيد في الدنيا:

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ المُعَافَاةَ فِي ٱلأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ ٱلْمُعَافَاةَ فِي ٱلأَبْدَانِ.

يستفتح الخطبة بالحمد، ثم الوصية بالزهد ورفض الدنيا، ثم العبر الداعية الى ذلك، ويختمها بأهم الاسباب وهو الموت.

وفي المفتح أشار الى ارتباط حياة الانسان بالماضي والحال والاستقبال، وانه لابد ان ينظر في الحال الى ما مضى وما يأتي، فقال عليه السلام:

١ ـ (نحمده على ما كان) في الماضي، من نعمة الحياة والصحة والسلامة التي أوجبت الحال.

٢ ـ (ونستعينه من امرنا على ما يكون) في المستقبل، بالعمل الصحيح لتحقيق الاهداف المتوخاة في الحياة. ثم اشار الى اهم ما يصبو اليه الانسان المسلم في الحياة، وهي:

٣ ـ (ونسأله المعافاة في الاديان) فان العقيدة التي لاتبتني على اساس صحيح تكون مرضاً نفسياً تقود الانسان الى الهلاك المعنوي.

٤ ـ (كما نسأله المعافاة في الابدان)؛ فان الصحة في البدن شرط اساسي لانجاز أي عمل يريد الانسان تحقيقه في المستقبل، والله المستعان.

(٢/ط - ٩٩) الوصية بترك الدنيا:

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ[١] بِالرَّفْضِ[٢] لِهَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا، ٱلتَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَٱلْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ[٣] سَلَكُوا سَبِيلاً، فَكَأَنَّهُمْ[٤] قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً[٥] فَكَأَنَّهُمْ[٦] قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَىٰ[٧]

(١) لم ترد «عباد الله» في أ و ط، وفي د: عباد الله أوصيكم.

(٢) في هـ ب: أي بالترك.

(٣) في هـ ب: جماعة مسافرين.

(٤) في ص وأ: وكأنهم، وفي هـ ص ، وفي نسخة: فكأنهم.

ٱلْمجْرِي إِلَى ٱلْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّىٰ يَبْلُغَهَا، وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَـوْمٌ لَا يَعْدُوهُ(٨)، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ ٱلْمَوْتِ(٩) يَحْدُوهُ، وَمُزْعِجٌ فِي ٱلدُّنْيَا عَنِ ٱلدُّنْيَا حَتَّىٰ يُفَارِقَهَا رَغْماً(١٠).

فَلاَ تَنَافَسُوا(١١) فِي عِزِّ ٱلدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَـى ٱنْـقِطَاعٍ، وَزِيـنَتَهَا(١٢) وَنَـعِيمَهَا إِلَـى زَوَالٍ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ(١٣)، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى ٱنْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ

وفي هذا المقطع الوصية بترك الدنيا، وليس المقصود: ترك الطيبات فيها، بل ترك طلب الدنيا للدنيا، فان من يطلب الدنيا للدنيا هو كمن يأكل لغرض الأكل فقط، فلا ينفعه الاكل، بل يزيده مرضاً على مرض، فلا يحتاج الانسان في الدنيا إلّا لما يستخدمه لحاجته، ولايكون ما يزيد على حاجته إلّا بلاءً ووبالاً عليه، ونبه الامام عليه السلام على هذه الحقيقة بنقاط، هي:

١ ـ (عبادالله) فان الانسان يمتاز على غيره من الحيوانات بالعقل الذي أكرمه الله به، والعبادة لله تقتضي معرفة الحدود والواجبات والاخلاقيات التي شرعها الله سبحانه للانسان.

٢ ـ (اوصيكم بالرفض لهذه الدنيا) والرفض: الترك، بحيث لايكون الانسان عبداً لها، بدل ان يكون عبداً لله. وليس معنى الرفض: الامتناع من الطيبات التي خلقها الله سبحانه لعباده.

والسبب للوصية بالرفض للدنيا، هي صفات الدنيا المعروفة، ومنها:

٣ ـ (التاركة لكم وان لم تحبّوا تركها) فان الحب لمن لايحبك ينبىء عن قلة عقل، وليس من يجهل بانّ الدنيا لم تبق لمن سبق منا، فقد ذهبوا من دون ان يحملوا منها شيئاً الى قبورهم، فالدنيا تركتهم وان لم يحب احدهم تركها.

(٥) في هـ ب: أي قصدوا جبلاً.
(٦) في ص وأ: وكأنهم، وفي هـ ص، وفي نسخة: فكأنهم.
(٧) في هـ ب: مفعوله محذوف، أي: كم عسىٰ المجري في سكة.
(٨) في هـ ب: أي لا يجاوزه.
(٩) في هـ ب: أي سريع.
(١٠) كذا في ص، والعبارة في أ وب وط: وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتىٰ يفارقها.
(١١) في هـ ب: لا تحاسدوا.
(١٢) في هـ. د: وان زينتها ـ ض.
(١٣) في هـ ب: أي انقطاع.

٤ ـ (والمبلية لاجسادكم وان كنتم تحبون تجديدها) فكل من على الارض يخطوا بخطوات رتيبة نحو الفناء، وليس هناك من يعود شاباً، فالدنيا تبلي الاجسام، وإن أحب الانسان تجديدها، وهو مستحيل.

٥ ـ (فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلاً فكانهم قد قطعوه، وأمّوا علما فكانهم قد بلغوه) السفر: المسافرون، والايتمام: القصد، والعلم: مايستدل بـه عـلى المـجهول فـي الطريق، ومثل الانسان في الدنيا كجماعة المسافرين الذين يسافرون على الطريق، كانهم حالكونهم غير قاطعين له، قاطعون له. وكانهم حالكونهم غير بالغين العلم الذي قصدوه، بالغون له، وذلك للسرعة الزمنية في تحقق المقصد.

٦ ـ (وكم عسى المجري الى الغاية ان يجري إليها حتى يبلغها) فان من يجري الوسيلة ـ كالفرس ـ الى الغاية، فانه يصل الى تلك الغاية التي قصدها.

٧ ـ (وما عسى ان يكون بقاؤه له يوم لايعدوه) فان اليوم الذي يعيش فيه الانسان هو الاربعة وعشرون ساعة لايعدوها، فان ما عدا هذه المدة ليس من اليوم الذي يعيشه، بل هو يوم جديد.

٨ ـ (وطالب حثيث من الموت يحدوه) الحثيث: السريع، والحدو: السوق، فان الموت يسوق الانسان بسرعة الى القبر، كالطالب السريع في طلبه من دون تأخير، فكم يكون بقاء من له طالب بهذا الوصف في الحياة.

٩ ـ (ومزعج في الدنيا حتى يفارقها رغماً) وكم يكون بقاء من له مـزعج يـواصـل ازعاجه رغماً على أنفه؟، حيث يحبّ الانسان ان يعيش في الدنيا خالياً من الازعاج في حين لم يتحقق ذلك لأي انسان، وملاحظة هذه الحقائق توجب الامور التالية:

١٠ ـ (فلا تنافسوا في غِيَر الدنيا وفخرها) المنافسة: المحاسدة، والنهي عن ذلك انما هو لقصر المدة عن أداء الاولويات في الحياة.

١١ ـ (ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها) فان الأعجاب بها يستلزم ـ عادة ـ الاغترار بها.

١٢ ـ (ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها) الضرّاء: الشدة، وهي نقيض السراء، والبؤس: الفقر الشديد؛ لان الجزع لايغيّر شيئاً، بل يزيد الضرّ ضرّاً، والبؤس بؤساً، بالضرر النفسي من ذلک، والسبب في ذلك كلّه:

١٣ ـ (فان عزّها وفخرها الى انقطاع) فانه لايبقى شيء من ذلك للانسان في نفسه بعد الموت.

١٤ ـ (وان زينتها ونعيمها الى زوال) فانها لاتبقى كذلك، بل تنقلب الزينة والنعمة الى العدم المحض.

١٥ ـ (وضرائها وبؤسها الى نفاد) اي الفناء؛ فان شدة الضرر والفقر لا يبقى الى الابد.

١٦ ـ (وكل مدة فيه الى انتهاء) والسبب في ذلك كله: انها جميعاً مؤقتة في حدود الزمن، وفي مدة محدودة، لابد وان ينتهي كما ينتهي الكلام.

١٧ ـ (وكل حيّ فيها الى فناء) فلو حصل الانسان على ما أراد بأي طريق مشروع غير مشروع، فان الحياة لابد وان ينتهي الى فناء بالموت، فلايكون المتمتع بما يتهالك فيه يستحق كل هذا الجهد المؤثر على حياته وصحنه وسلامته جسديا وروحياً.

وكل من يتأمل في هذه النقاط السعة عشر بوح موضوعية يجد أنّ المتهالكين على الدنيا أكثر الناس عذاباً روحياً من الذين لايتهالكون عليها، بل يقنعون بما لهم من الاولويات في الحياة، وأهمها: الصحة والسلامة.

(٣/ط ـ ٩٩) موارد الاعتبار:

أَوَ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثارِ ٱلْأَوَّلِينَ [مُزْدَجَرٌ][١]، وَفِي آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟!

أَوَ لَمْ تَرَوْا إِلَى ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ، وَإِلَى ٱلْخَلَفِ ٱلْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ؟

أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُمْسُونَ وَيُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّىٰ: فَمَيْتٌ يُبْكَىٰ، وَآخَرُ يُعَزَّىٰ، وَصَرِيعٌ مُبْتَلى[٢]، وَعَائِدٌ يَعُودُ وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَعَلَى أَثَرِ ٱلْمَاضِي[٣] مَا يمْضِي[٤] ٱلْبَاقِي.

في هذا المقطع سرد الامام عليه السلام موارد الاعتبار التي يجب ان يعتبر بها الانسان من التاريخ، بقوله:

١ ـ (أو ليس لكم في آثار الاوليين مزدجر ؟) الازدجار: الارتداع، فما خلد الآثار التاريخية أحداً من الملوك والجبابرة والعظماء والعباقرة، وإنّما خلّدهم ـ ان كان ـ عمل صالح عملوه في التاريخ.

٢ ـ (وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون) فاذا كان التاريخ القديم مورد للشك فان في آباء الانسان وحياتهم وافعالهم غيره للانسان نفسه لو تعقّل ذلك.

٣ ـ (أولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون) فانهم مضوا من دون رجعة الى ما تركوا من أموال واولاد.

---

(١) من ط ود، ولم ترد «مزدجر» في أ و ب و ص .

(٢) في ص : يُبْتَلىٰ.

(٣) في هـ . د: علىٰ اثر الماضين ـ هامش ن .

(٤) في هـ ب: «ما» مصدرية .

٤ ـ (والى الخلق الباقين لا يبقون؟) فان ما يعيش من ولد الانسان مهما حالفه القدر ان يعيش ؛ فانه لايمكن ان يبقى في الحياة الى الأبد.

٥ ـ (أولستم ترون اهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شـى؟) فـان الحـياة المعاصر لكل الناس لاتخلو من مشاهدة هذه الحقيقة امام عينيه لجمع من معاصريه، وقد اشار الى بعض هذه الاحوال:

٦ ـ (فميت يبكى) لفقده ان كان محبوباً في الحياة لصالح الاعمال.

٧ ـ (وآخر يعزّى) من قبل احبائه؛ تخفيفاً لما قد ورد عليه من المصاب.

٨ ـ (وصريع مبتلى) بالمرض الذي أقعده عن العمل فاصبح صريعاً في المستشفى أو البيت.

٩ ـ (وعائد يعود) هذا المريض حيث هو طريح الفراش.

١٠ ـ (وآخر بنفسه يجود) بنفسه وهو في سكرات الموت.

١١ ـ (وطالب للدينا والموت يطلبه) وطبقة اخرى لايزالون يسعون لطـلب الدنـيا، والحال انهم مطلوبون للموت.

١٢ ـ (وغافل وليس بمغفول عنه) فانه وان غفل عن حقيقة الموت فان الموت لايغفل عنه قط، فان هذه الاحوال السبعة مشهودة في كل يوم لكل انسان، والعاقل هو من يعتبر بها، فانه هو أحد الباقين على قيد الحياة، وانه:

١٣ ـ (على اثر الماضي ما يمضي الباقي) ومنهم الانسان المعاصر لهذه الاحوال.

وموارد الاعتبار هذه محسوسة لكل ذي عينين في الحياة، ولكن ما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار.

(٤/٩٩ - ط) عظة الموت:

أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ ٱللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ ٱلشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ ٱلْأُمْنِيَّاتِ[١]، عِنْدَ ٱلْمُسَاوَرَةِ[٢] لِلْأَعْمَالِ ٱلْقَبِيحَةِ، وَٱسْتَعِينُوا باللهَ[٣] عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَا يُحْصَىٰ مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.

ذكر عليه السلام في المقطع الاخير من هذه الخطبة اهم المواعظ، وهو الموت، كما قال الرسول

---

(١) في هـ ب: هو المنيّة.

(٢) في هـ . د: وروي المساورة ـ ك، روي المسارة والمشاورة ـ ر، وفي هامش ب: أي المواثبة، من السؤر، وهو الوثب، وروي: المساررة، أي المسارّة، وروي: المشاورة، أي: اذكروا الموت عند عزمكم علىٰ العمل القبيح.

(٣) في ب و ط : واستعينوا الله.

القائد: «كفى بالموت واعظاً»(١) وأكد الامام علي التذكير به، فان ذكر الموت يكفي في محاسبة الانسان نفسه في الحياة، فقال: (ألا فاذكروا) ثم سرد من اوصاف الموت ثلاثاً مما لاينكره أحد ذو بصيرة، وهي:

١ ـ (هادم اللّذات) فاذا جاء نبأ الموت في اي محفل لذة، فانه سوف ينقلب حزناً ووجوماً.

٢ ـ (ومنغّص الشهوات) فكل رغبة شخصية تكون مسلوبة عند سماع خبر الموت.

٣ ـ (وقاطع الامنيات) لان الامنية لاتكون إلّا في الحياة، وبذكر الموت يعلم أنها غير صحيحة.

وختمعليه السلام المقطع بأمرين، هما :

اولاً: ان يكون ذكر الموت (عند مساورة الاعمال القبيحة) والمساورة: المزاولة، ففي هذه اللحظات يفتقر الانسان الى ضبط النفس من الانزلاق فيها، وأعظمهما أثراً ذكر الموت.

ثانياً: أن يقارن ذلك بالعمل (واستيعنوا الله على أداء واجب حقه، وما لا يحصى من اعداد نعمه وإحسانه) فان بذكر الموت وحده قد يوجب العزلة عن الحياة، وهذا يناقض الثوابت الاسلامية، بل يلزم ان يكون ذلك مقرونا بالاستعانه بالله لاداء الواجبات الاسلامية تجاه النفس والاسرة والمجتمع.

---

(١)

[الخطبة ١٠٠]

ومن خطبة له عليه السلام
في رسول الله واهل بيته

(١ / ط - ١٠٠) رسول الله واهل بيته:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلنَّاشِرِ فِي اَلْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَاَلْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ.

افتتح الامام الخطبة بالحمد لله، ثم الشهادتين، ثـم بـيان رايـة الحـق ودليـلها بـعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم بيان طبيعة القيادة الرشيدة في العصور، وختمها بدور آل محمّد، وهـي القيادة بعد الرسول ، وقد ذكر سببين للحمد بقوله:

اولاً: (الحمد لله الناشر في الخلق فضله) فان فضل الله سبحانه عام منشور على جميع الخلق من الانسان والحيوان والنبات والجماد وغيرها، فهي جميعاً تعيش بفضله تعالى عليهم بنعمة الخلق.

و ثانياً: (الباسط منهم بالجود يده) فان رحمته وسعت كل شيء بجوده الذي يـعمل بقدرته جميع الموجودات. ولا تعرف الاشياء إلّا بأضدادها، فلو تصور الانسان النـظام الدقيق في الكون، فانه سوف يقف على ان هذا النظام لو كان على غير ما هو عليه، لما بقيت للحياة باقية، وكأن المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض في وجودها المنتهية الى ارادة الله سبحانه، وفضله العميم وجوده الكريم.

وأشار من مستلزمات الحمد الى أمرين:

الاول: (نحمده في جميع اموره) فليس الحمد على السراء فقط، بل الحمد على السراء والضراء، فان ما يصدر منه سبحانه انما هو نابع من خير يراه، ولايمكن للانسان ان يتصور عقباه.

الثاني: (ونستعينه على رعاية حقوقه) فان رعاية الحقوق الالهية كاملةً غير مستطاعة للانسان؛ لان نعمه سبحانه لاتعد ولا تحصى، وكذلك حقوقه، ولايمكن رعاية ذلك الاّ بالاستعانة منه سبحانه وتعالى.

(٢ / ط ـ ١٠٠) **الشهادتان:**

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً[(١)] وَبِـذِكْرِهِ نَاطِقاً[(٢)]، فَأَدَّىٰ أَمِيناً، وَمَضَىٰ رَشِيداً، وَخَلَّفَ[(٣)] فِينَا رَايَةَ[(٤)] ٱلْحَقِّ[(٥)].

وعقّب ذلك بالشهادتين:

الاول: (ونشهد ان لا اله غيره) حيث إنها الشهادة الاولى التي بها مبتدأ الايمان.

الثاني: (وأنّ محمّداً عبده ورسوله)، حيث أنها الشهاده الثانية التي بها تكمل العقيدة.

وسرد صفاتا ثلاث للرسالة معقبا بصفات ثلاث للرسول، فقال اولاً:

١ ـ (أرسله) كما ارسل الانبياء والرسل من قبله لاداء الرسالة الالهية.

٢ ـ (بأمره صادعاً) والصدع: الاظهار، فامتثل امره القائل: (فاصدع بما تؤمر)[(٦)]

٣ ـ (وبذكره ناطقاً) وقد قارن هذه الرسالة الالهية بذكره تعالى دون غيره.

ثم قال ثانيا في صفات الرسول الثلاث:

١ ـ (وخلف فينا راية الحق) ولم يترك الامة هملا بعد وفاته، بل خلف في الامّة الاسلامية كل ما تفتقر اليه الاعة كما هو شأن كل قائد ساهر على مصلحة الاسلام والمسلمين.

(٣ / ط ـ ١٠٠) **راية الحق ودليلها:**

وَخَلَّفَ[(٧)] فِينَا رَايَةَ[(٨)] ٱلْحَقِّ[(٩)]، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَـرَقَ[(١٠)]، وَمَـنْ تَـخَلَّفَ[(١١)] عَـنْهَا

---

(١) في هـ ب: أي مبيناً.

(٢) في هـ ص وأ، وفي نسخة: قاطعاً.

(٣) في هـ ب: أي ترك.

(٤) في هـ ص : أي علامته ودليله، وهو إشارة إلىٰ قوله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ... الخ»، وقوله ﷺ: «مثل أهـل بـيتي كمثل سفينة نوح ... الخ» ونحوهما مما تواتر معناه.

(٥) في هـ ب: قيل المراد براية الحق: القرآن، وعترته: الحجج من أهل بيته.

(٦) الحج ٢٢: ٩٤.

(٧) في هـ ب: أي ترك.

(٨) في هـ ص : أي علامته ودليله، وهو إشارة إلىٰ قوله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ... الخ»، وقوله ﷺ: «مثل أهـل بـيتي كمثل سفينة نوح ... الخ» ونحوهما مما تواتر معناه.

(٩) في هـ ب: قيل المراد براية الحق: القرآن، وعترته: الحجج من أهل بيته.

(١٠) في هـ ب: مرق أي خرج، والمارقون: الخارجون.

(١١) في ب: تأخر عنها، وفي هـ . ب، وفي نسخة: من تخلف عنها.

زَهَقَ[(١)] وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ[(٢)]، دَلِيلُهَا مَكِيثُ ٱلْكَلاَمِ[(٣)]، بَطِيءُ ٱلْقِيَامِ[(٤)]، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ[(٥)].

واشار عليه السلام الى ان راية الحق لابد وأن يحملها، وهو الدليل لها، وان راية الحق التي خلفها النبي صلى الله عليه وآله في الامة هي القرآن الكريم، ولها اوصاف ثلاث، كما ان الدليل لهذه الراية أيضا له أوصاف ثلاثة، ذكرها سرداً.

اما اوصاف راية الحق، فهي:

١ ـ (من تقدمها مرق) والمروق: الخروج عن الدين، فلابد للمسلم ان يتبع هذه الراية، وإلّا يخرج من الدين.

٢ ـ (ومن تخلّف عنها زهق) والزهوق: الهلاك؛ لان الراية علامة للنجاة، ومن تخلف عنها يضل في مسيره، والضلال هو الهلاك.

٣ ـ (ومن لزمها لحق) فان المتابع لراية الحق لابد وان يلحق بمجموع المسلمين، فيكون له ما لهم وعليه ما عليهم.

واما اوصاف دليل راية الحق، فهي:

١ ـ (دليلها مكيث الكلام) والمكث: البطؤ، فلا يسارع الدليل بالكلام قبل معرفة أسبابها ونتائجها.

٢ ـ (بطيء القيام) فلا يقوم بالامر إلّا بعد دراسة جميع جوانب القيام سلبا وايجابا.

٣ ـ (سريع إذا قام) فاذا غلبت جوانب القيام الايجابية على السلبيه قام بسرعة قائدا اللأمة الاسلامية.

(ط - ٤) القيادة الرشيدة:

فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ[(٦)] لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ ٱلْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ[(٧)]، فَلَبِثْتُمْ

---

(١) في هـ ب: زهق: هلك، وفي هـ ص : مرق وزهق، قال في الشرح: زهقت نفسه: خرجت، وزهق الباطل: اضمحل، يقول عليه السلام: من خالفها متقدماً لها أو متأخراً عنها فقد خرج عن الحق، ومن لازمها أصاب الحق (انتهىٰ) وهذا من أدلّة اجماع أهل البيت الصريحة.

(٢) في هـ ب: واللازم اللاحق بالسابقين إلىٰ الجنة دليل تلك الراية، وأوّلهم، والهادي إلىٰ الكتاب والسنة.

(٣) في هـ ص : أي لا يظهر ما عنده من سر العلم قبل أوانه، يعني نفسه عليه السلام (من الشرح) وفي هـ ب: رجل مكيث الكلام: أي رزين.

(٤) في هـ ص : يعني انه انما يقوم بكشف الحق في آخر زمنه.

(٥) في هـ ص : أي يظهر الحق ويعلنه بجدّ وعزم.

(٦) في هـ ب، وفي نسخة: ثنيتم.

(٧) في هـ ب: أي إذا استقام أمر الاسلام توفىٰ عليه السلام.

بَعْدَهُ مَا شَاءَ ٱللّٰهُ، حَتَّى يُطْلِعَ ٱللّٰهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ(١)، وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ(٢).

واشار الامام الى ان القيادة الرشيدة بالمواصفات المذكورة تستلزم وقتا لمعرفة الامة شخص القائد وجمعه الصفات المذكورة فيه، وفي هذه الفترة يعرفون القائد وطبيعي ان يتبعونه بعد معرفته، ومن مظاهر المتابعة امران:

الاول: (فإذا أنتم ألنتم له رقابكم) بالمتابعة لاوامره القيادية.

الثاني: (وأشرتم إليه بأصابعكم) بانه القائد الوحيد المؤهل للقيادة.

و من الطبيعي ان هذه القيادة لاتبقى خالدة، بل يعتريها ما اعترى كل القيادات، وهو الموت، فقال عليه السلام: (جاءه الموت فذهب به) ويحصل فراغ القيادة بموته، ولكن هذه الفترة بعد الموت لاتكون ابدية، بل بعد فترة سوف تظهر قيادة جديدة، وصفها بقوله: (فلبثتم بعده ما شاء الله) من الفترة الزمنية (حتّى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم) اي: ما انتشر من الجمع بسبب الاختلاف الذي يحصل بعد موت القائد السابق، فيوحد الجمع النتشر.

(٥/ ط - ب، ١) فترة الانتقال:

فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ(٣)، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ ٱلْمُدْبِرَ عَسَىٰ أَنْ تَزِلَّ بِـهِ(٤) إِحْدَىٰ قَائِمَتَيْهِ(٥) وَتَثْبُتَ ٱلْأُخْرَىٰ وَتَرْجِعَا حَتَّىٰ تَثْبُتَا جَمِيعاً.

واشار الى الموقف المطلوب في فترة الانتقال حيث ان المفجوعين بـفقدان القـائد السابق يحبون ان يكون القائد اللاحق كالسابق، وهذا ما لا يكون دائماً؛ لان السابق له خبرته الخاصة في الامور وبموته تحصل ثلمة لايسدها شئ. ومن اجل ذلك ذكر الامام توجيهين هامين للامة، هما:

اولاً :(فلا تطمعوا في غير مقبل) والمقبل هو الذي يعرض نفسه للقيادة. فان التوجّه الى من لا يعرض نفسه احراج له، غير مستساغ؛ فانه لو لم يكن له مانع من تحمل مسؤولية القيادة لعرض نفسه لها، فهو اعرف بنفسه والظروف المحيطة به من غيره، وان كان الناس بجدونه اهلاً ويطمعون فيه فان طمعهم لايسوغ لهم فرض ارادتهم عليه.

---

(١) في هـ ب: أي صاحب الأمر، وفي هـ. ب ـ أيضاً ـ: يطلع الله ... على امام غائب وبدر غارب ... حب إلىٰ ان يطلع إليه.
(٢) في هـ ب: فعل بمعنىٰ المفعول.
(٣) في ب ود: فلا تطعنوا في عين مقبل.
(٤) لم ترد «به» في أ و ب و ط و د .
(٥) أي رجليه.

و ثانياً: (ولا تيأسوا من مدبر) وهو الذي لم يعرض نفسه للقيادة بالسبب المـذكور، فلعله لم يعرض نفسه وادبر لموانع في الظروف والشرائط لاعلان ترشيحه لقبول القيادة.

و هذان الامران يقضيان التريّث وعدم الاستعجال في امر القيادة. ولم يذكر الامامعليه السلام السبب في عدم الطمع في غير المقبل، وربما لوضوحه، ولكنه أشار الى السبب في عدم اليأس في المدبر بقوله:

ـ (فانّ المدبر عسى أن تزلّ به إحدى قائمتيه وتثبت الأخرى، فترجـعا حـتى تـثبتا جميعاً) والمراد في القائمتين: الرجلين، وبيان ذلك: ان من يعرض عن قـبول مسـؤولية القيادة قد يكون للتأكّد من اجتماع الشرائط الموجبة للقبول، كالانسان الذي يلتوي قدمه فيعتمد على الاخرى حتى يعتدل ثم يسير على القدمين بخطوات ثـابتة. فـيجب أن لا يكون الادبار عن قبول المسؤولية سببا لليأس، بل لابد ان يكون داعيا لعرض الضمانات التي تؤمن قبول المسؤولية من المدير.

(٦ / ط - ١٠) آل محمّد عليهم السلام:

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَمَثَلِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ، إِذَا خَوَىٰ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ[1]، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ ٱللهِ فِيكُمُ ٱلصَّنَائِعُ، وَأَرَاكُمْ[2] مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

وختم المقطع ان ال محمّد هم الدليل لراية الحق، والحامل لمشعل الهداية، كما قـال الرسول القائد في حديث الثقلين:«إني تارك فيكم ثقلين: اولهما كتاب الله، فيه الهـدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، واهل بيتي، اذكركم الله بأهل بيتي اذكركم الله بأهل بيتي اذكركم الله بأهل بيتي» (صحيح مسلم ٢: ١٢٣، ط/القاهرة ١٣٣٤هـ.

فقال الامامعليه السلام: (ألا ان مثل آل محمّدصلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء اذا خوى نجم طـلع نجم) والخوى: الميل للمغيب، وكلام الامام هذا يؤكد ما قاله الرسول القائدصلى الله عليه وآله؛ فـانه لا يمكن ان يخلف ما ليس بموجود، فكما خلف القرآن الكريم المتواجد، فلابد وان يكون الثقل الاخر أيضا متواجداً كما قال الامام علي: (اذا خوى نجم) من نجوم اهل البيت (طلع نجم) آخر منهم لتواصل الثقلين.

ثم اشارعليه السلام الى ان هذه فضيلة خصّ الله سبحانه بها الامة الاسلامية بقوله:

(فكانكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، واراكم ما كنتم تتأملون) وصنائع البـله معروفه واحسانه على العباد، فان خلق الدليل لراية الحق في كل عصر اكمال لصـنائعه

(١) في هـ ب: أي امام.
(٢) في ب: وآتاكم، وفي هـ ب، وفي نسخة: وأراكم.

الغير المتناهية حيث اراهم ما يأملون من القيادة الحكمة للامة للسير على السنة النبوية وتطبيق الشريعة الاسلامية في كل عصر وزمان.

[الخطبة ١٠١]

ومن خطبة له عليه السلام

وهي من الخُطب التي تشتمل على ذكر الملاحم[(١)]

يتعرض هذا المختار من الصفات الالهية الى الاولية والآخرية ثم الشهادة الاولى، ثم منابع علم الامام عليه السلام،

ثم بلمحة عن الضلال.

(١ / ط - ١٠١) الاولية والآخرية:

قال عليه السلام في مفتتح الخطبة:

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ[(٢)] ٱلْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَٱلْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ[(٣)]، وَبِأَوَّلِيَّتِهِ[(٤)] وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ[(٥)] أَنْ لَا آخِرَ لَهُ.

قال ابن أبي الحديد فى شرح نهج البلاغة، ما نصه:« فأما قوله : بأوليته وجب أن لا أول له . . . إلى آخر الكلام ، فيمكن أن يفسر على وجهين : أحدهما أنه تعالى لما فرضناه أولا مطلقا ، تبع هذا الفرض أن يكون قديما أزليا ، وهو المعنى بقوله : وجب أن لا أول. وإنما تبعه ذلك ، لأنه لو لم يكن أزليا لكان محدثا فكان له محدث ، والمحدث متقدم على المحدث ، لكنا فرضناه أولا مطلقا ، أي لا يتقدم عليه شئ ، فيلزم المحال والخلف . وهكذا القول في آخريته ، لأنا إذا فرضناه آخرا مطلقا ، تبع هذا الفرض أن يكون مستحيل العدم ، وهو المعنى بقوله : وجب أن لا آخر له . وإنما تبعه ذلك ، لأنه لو لم يستحل عدمه لصح عدمه ، لكن كل صحيح وممكن فليفرض وقوعه ، لأنه لا يلزم من فرض وقوعه محال ، مع فرضنا إياه صحيحا وممكنا ، لكن فرض تحقق عدمه محال ، لأنه لو عدم لما عدم بعد استمرار الوجودية إلّا بضد لكن الضد المعدم يبقى بعد تحقق عدم الضد المعدوم لاستحالة أن يعدمه ، ويعدم معه في وقت واحد ، لأنه لو كان وقت عدم الطارئ هو وقت عدم الضد المطروء عليه ، لامتنع عدم الضد المطروء عليه ، لان حال عدمه الذي هو الأثر المتجدد تكون العلة الموجبة للأثر معدومة ، والمعدوم يستحيل أن يكون مؤثرا البتة ، فثبت أن الضد الطارئ لابد أن يبقى بعد عدم المطروء عليه ولو وقتا واحدا ، لكن بقاؤه

---

(١) في هـ أ وب: الملحمة: الوقعة العظيمة ويكثر فيها قتل الناس.

(٢) لم ترد «الحمد لله» في أ وب ود.

(٣) في هـ ب: يعني ان أوليته وآخريته لذاته لا لغيره، والموجودات كلّها أوليتها بغيرها.

(٤) في ط: وبأوليته.

(٥) في هـ. د: وبآخريته ان لا آخر له.

بعده ولو وقتا واحدا يناقض فرضنا كون المطروء عليه آخرا مطلقا ، لان الضد الطارئ قد بقي بعده ، فيلزم من الخلف والمحال ما لزم في المسألة الأولى . والتفسير الثاني : ألا تكون الضمائر الأربعة راجعة إلى الباري سبحانه ، بل يكون منها ضميران راجعين إلى غيره ، ويكون تقدير الكلام بأولية الأول الذي فرضنا كون الباري سابقا عليه ، علمنا أن الباري لا أول له ، وبآخرية الاخر الذي فرضنا أن الباري متأخر عنه ، علمنا أن الباري لا آخر له ، وإنما علمنا ذلك لأنه لو كان سبحانه أولا لأول الموجودات وله مع ذلك أول لزم التسلسل ، وإثبات محدثين ومحدثين إلى غير نهاية ، وهذا محال . ولو كان سبحانه آخرا لآخر الموجودات وله مع ذلك آخر لزم التسلسل ، وإثبات أضداد تعدم ويعدمها غيرها إلى غير نهاية ، وهذا أيضا محال ».(١)

(ط - ١/١٤ ـــ٢ـــ) **الشهادة الاولى:**

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلا ٱللهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا ٱلسِّرُّ ٱلْإِعْلَانَ وَٱلْقَلْبُ اللِّسَانَ.

قال عليه السلام: (واشهد ان لا اله إلّا الله) ثم قيد هذه الشهادة بأمرين، هما:

الاول: (شهادة يوافق فيها السر الاعلان) فان لم يتوافق لكان ذلك نفاقاً.

الثاني: (والقلب اللسان) فان لم يتوافقا لكانت الشهادة فاقدة لمعناها كاللاهي. وفي ذلك اشارة الى حقيقة الشهادة التي هي حقيقة الايمان الذي صرحت روايات اهل البيت عليهم السلام بأن الايمان هو الاعتقاد بالجنان والقول باللسان والعمل بالاركان) راجع المادة في المعجم.

ومن أجل ذلك جاءت رواية اهل البيت عليهم السلام بأنّ شهادة لا اله إلّا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي» .راجع المادة في المعجم.

(ط - ١/١٠ ـــ٣ـــ) **منابع فكر الامام:**

أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي(٢)، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي(٣)، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ(٤) عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ(٥) مِنِّي، فَوَ الَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ(٦) إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله(٧)، مَا كَذَبَ(٨) الْمُبَلِّغُ(٩)، وَلَا جَهِلَ ٱلسَّامِعُ.

---

(١) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٧: ٩٦ ـ ٩٧.

(٢) في هـ ص: أي لا يكسبنكم شقاقي تكذيبي، فحذف المعمول، وفي هـ ب: لا يكسبنكم خلافي الاثم.

(٣) في هـ ص: أي لا يحملنّكم علىٰ الهوىٰ، وفي هـ ب: أي لا يستقوينّكم.

(٤) في هـ ص: أي لا يلحظ بعضكم بعضاً فعل المنكِر المكذِّب.

(٥) في هـ . د: عند ما تسمعون مني ـ ع .

(٦) في هـ ب: أي خلق النفس.

(٧) ليس في أ وب وط: الأمي، وفي هـ ب: يروى عن النبيّ الأُمّي، منسوب إلىٰ أُمّ القرىٰ.

(٨) في هـ . د: والله ما كذب ـ ح .

في هذا المقطع اعلن الامام اعلانا عاماً بانّ منابع علمه بالملاحم انما هو ما تلقاه من الرسول القائد، وان كانت ابصار بعض اصحابه تعبّر عن الشك في هذه الملاحم، وقد اكد الامام على ذلك بأوكد ما يمكن، فقال:

١ ـ (ايها الناس) خطاباً عاماً لجمع الحاضرين من دون ذكر لاحد في المشككين ودوافعهم الشخصية أو القبلية أو السياسية.

٢ ـ (لا يجرمنكم شقاقي) ولا يحملنكم الخلاف في الرأي منكم على مخالفتي.

٣ ـ (ولا يستهوينّكم عصياني) بأن يدفعكم المخالفة للأوامر الى الدعايات الباطلة.

٤ ـ (ولا تتراموا بالابصار) اي التغامز بالابصار استنكاراً لما تسمعون.

٥ ـ (عندما تسمعونه منّي) من اخبار الملاحم التي تبدوا لكم أنها رجم بالغيب.

٦ ـ (فوالّذي فلق الحبّة) وهذ حلف بالله العظيم الذي انبت البقل من الارض، بقدرته وشقها.

٧ ـ (وبرأ النّسمة) وخلق روح الانسان. وهذا قسم ثان.

٨ ـ (ان الذي انبئكم به عن النّبي الأمي ٩، ما كذب المبلغ ولا جهل السامع) بل ما أنقله عنه نقل أمين لما سمعه الامام بوعي كامل عن المبلغ الصادق الرسول الامين. ولم يفتقر الامام الى هذا التأكيد إلّا لما شاهده شخصاً من تصرفات المندسين في اصحابه من ضعاف النفوس.

(٤/ ط ـ ١٠) الملحمة الاولى:

الاخبار بأن ضليلا ينعق بالشام مع ذكر أوصافه، قال:

لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ(١٠) قَدْ نَعَقَ(١١) بِالشَّامِ، وَفَحَصَ(١٢) بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ(١٣). فَإِذَا فَغَرَتْ(١٤) فَاغِرَتُهُ، وَٱشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ(١٥)، وَثَقُلَتْ فِي ٱلْأَرْضِ وَطْأَتُهُ،

---

(٩) في هـ ب: أي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

(١٠) في هـ ب: إلىٰ ضلّيل، أي إلىٰ رجل قد بلغ الضلال والاضلال قد قام بأهل الشام، فحذف المضاف، أي دعاهم إلىٰ نفسه فاجابوهُ كما ينعق الراعي بغنمه.

(١١) في هـ ب: أي صاح.

(١٢) في هـ ب: فحص: قلّب البلاد والعباد في نواحي الكوفة، يقال: فحص المطر الوادي قلبه، وفي كون مفعول «فحص» محذوفاً، ويكون معناه بحث عن أحوال الناس وآفاق الكوفة، والفحص: البحث عن الشيء، والضواحي في اللغة: السمت والنواحي؛ بسبب راياته الكثيرة، وقيل: ان هذا اشارة إلىٰ خروج السفياني، وقيل: المراد به معاوية ومن بعده.

(١٣) كوفان: أي الكوفة.

(١٤) في هـ ب: فغرت، أي فتحت فاها، فتنته الشديدة تأكل كل شيء، ونبّه بقوله: «فاغرة» علىٰ ان تلك الفتنة لا تُبقي ولا تذر ولا تزال مدة هياجها فاغرة.

(١٥) الشكيمة: حديدة معترضة في فم الحيوان يشد بها اللجام، ويعبّر عنها بصعوبة الانقياد.

عَضَّتِ ٱلْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ ٱلْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَا مِنَ ٱلْأَيَّامِ كُلُوحُهَا(١)، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا(٢)، فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ(٣)، وَهَدَرَتْ(٤) شَقَاشِقُهُ(٥)، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ، عُقِدَتْ رَايَاتُ ٱلْفِتَنِ المُعْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ المُظْلِمِ، وَٱلْبَحْرِ المُلْتَطِمِ، هَٰذَا وَكَمْ يَخْرِقُ ٱلْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ(٦)، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ(٧).

قال ابن أبي الحديد فى شرح نهج البلاغة، ما نصه:«وهذا كناية عن عبد الملك بن مروان ، لأن هذه الصفات والأمارات فيه أتم منها في غيره ، لأنه قام بالشام حين دعا إلى نفسه ، وهو معنى نعيقه ، وفحصت راياته بالكوفة ، تارة حين شخص بنفسه إلى العراق وقتل مصعبا ، وتارة لما استخلف الامراء على الكوفة كبشر بن مروان أخيه ، وغيره حتى انتهى الامر إلى الحجاج ، وهو زمان اشتداد شكيمة عبد الملك وثقل وطأته ، وحينئذ صعب الامر جدا ، وتفاقمت الفتن مع الخوارج وعبد الرحمن بن الأشعث ، فلما كمل أمر عبد الملك – وهو معنى :أينع زرعه. هلك ، وعقدت رايات الفتن المعضلة من بعده ، كحروب أولاده مع بني المهلب ، وكحروبهم مع زيد بن علي، وكالفتن الكائنة بالكوفة أيام يوسف بن عمر وخالد القسري وعمر بن هبيرة وغيرهم ، وما جرى فيها من الظلم واستئصال الأموال ، وذهاب النفوس .

وقد قيل : إنه كنى عن معاوية وما حدث في أيامه من الفتن ، وما حدث بعده من فتنة يزيد وعبيد الله بن زياد ، وواقعة الحسين عليه السلام ، والأول أرجح ، لان معاوية في أيام أمير المؤمنين كان قد نعق بالشام ، ودعاهم إلى نفسه ، والكلام يدل على إنسان ينعق فيما بعد ، ألا تراه يقول : لكأني أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام !».(٨)

قال الجلالي: والاظهر أنه كنّى عن معاوى؛ة لان معاوية لم ينعق بالشام بالخلافة الّا بعد مقتل الامام عليه السلام، وان استقراره في الشام وتمهيده للخلافة استلزم اعلانه ذلك، وان كان الامام على علم بمقصده، ولم يتمكن من الاعلان الرسمي إلّا بعد عقد الصلح مع الامام الحسن، وقد اشرت الى ذلك في موارد الاعتبار، فليراجع.

والاوصاف التي ذكرها الامام لهذا الضليل كالآتي:

(١) في هـ ص وب: أي عبوسها: أي تنكّرها.
(٢) في هـ ص: أي تأثيرها وتغييرها.
(٣) في هـ ب، وفي نسخة: وقام علىٰ ساقه ينعه، وفي هـ آخر، وفي نسخة: «وقام علىٰ ساقه» بدل «وقام علىٰ ينعه».
(٤) في هـ ب: أي صاح.
(٥) في هـ ب: شقاشق يعني صياح البعير الهائج، وهذه استعارة.
(٦) في هـ ب: كاسر شديد.
(٧) في هـ ب: ريح شديدة.
(٨) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٧: ٩٩ ـ ١٠٠.

١ ـ (لكأنّي انظر) فان النبأ بما انه صدر من الرسول ﷺ فهو للامام الذي سمعه منه كانه ينظر الى الحادث مباشرة.

٢ ـ (الى ضلّيل) وهو الكثر الضلال؛ لكثرة الانحراف عن الصراط المستقيم في اعماله.

٣ ـ (قد نعق بالشام) وهذا وان كان سيحصل فيما بعد إلقاء هذه الخطبة، ولكنه يفيد التحقيق لمكان الفعل الماضي؛ للايمان بصحة النبأ الذي سمعه من الرسول ﷺ، والنعيق تصويت الراعي لغنمه.

٤ ـ (و فحص براياته) والفحص: التنقيب عن المكان لنصب الراية كمركز للحكم.

٥ ـ (في ضواحي كوفان) التي هي ابعد ما يكون من الشام؛ لبعد المسافة لاختلاف نوع الحكم بين الشام والكوفة.

٦ ـ (فاذا فغرت فاغرته) الفاغرة: الفم، وفغره: فتحه للأكل كالأسد المفترس.

٧ ـ (واشتدت شِكمته) والشّيمكة: الحديدة المعترضة في فم الدابة، ويعبر بها لعسر الانقياد.

٨ ـ (وثقلت في الارض وطأته) بثقل اجرامه وظلمه.

٩ ـ (عضّت الفتنة ابناءها بأنيابها) فتكون فتنة الضليل عامة بعضّ ابناء الامة.

١٠ ـ (وماجت الحرب بامواجها) باشعال نار الحرب من كل صوب.

١١ ـ (وبدا من الايام كلوحها) والكلوح: العبوس.

١٢ ـ (ومن الليالي كدوحها) والكدوح: الآثار من الجراحات.

١٣ ـ (فاذا اينع زرعه) بان عم ضلاله على المجتمع الاسلامي.

١٤ ـ (وقام على ينعه) الينع: النضج.

١٥ ـ (وهدرت شقاشقه) والشقيقة: ما يخرجه البعير من فيه عند الغيظ.

١٦ ـ (وبرقت بوارقه) البرق: اللمعان والبوارق: السيوف.

١٧ ـ (عقدت رايات الفتي المعضلة) اي العسرة العلاج؛ لتشويه المفاهيم الاسلامية وقلب الحقائق.

١٨ ـ (واقبلن كالليل المظلم والبحر الملتطم) في الظلمة والكثرة، بحيث تخفى الحقائق إلّا لمن يتمكن أن يرى الهدى والنور في قراءة مابين السطور.

١٩ ـ (هذا) هو ما سوف يحصل في المستقبل؛ لان المخبر به هو النبي ﷺ الصادق ألأمين.

٢٠ ـ (وكم يخرق الكوفة من قاصف) وهو ما اشتد من الريح التي تصقف أو تكسر ما تمر به.

٢١ ـ (ويمر عليها من عاصف) وهو الريح الشديدة التي لا تسبب الكسر والقصف،

وهذه الاوصاف الاحدى والعشرين هي ما اخبر بها الامام عن الضليل الشامي.

(٥ / ط - ١٠١) **الملحمة الثانية:**

وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ ٱلْقُرُونُ بِالْقُرُونِ[١]، وَيُحْصَدُ ٱلْقَائِمُ، وَيُحْطَمُ[٢] الْمحْصُودُ.

ثم اخبر عن نهاية الضليل بعد ان قام بدور التضليل في ثلاث كلمات:

اولاً: (وعن قليل تلتف القرون بالقرون) كناية عن الحرب المباشر بين طائفين كما تحصل بين الخرفان بالنطح بقرونها. والطائفتان يستخدمون اسلحتهم كل في وجه الاخر.

ثانياً: (ويحصد القائم) فكل ما كان قائماً من آثار الحكم الاول يحصد حصداً كما يحصد الزرع من المزرعة.

ثالثاً: (ويحطم المحصود) وبعد ان يجمع المحصود يحطم يحطيما كاملاً للئلا تبقى آثار الحكم الاول.

وهذه الامور الثلاث طبيعة كل حكم جديد بالنسبة الى الحكم القديم، اذا كان الدافع لهم الظلم والحكم وليس تحقيق العدالة، فان العدالة الاسلامية في الحكم تحافظ على النفوس والاعراض والممتلكات بعد ان تضع الحرب أوزارها.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ما نصه:«ثم وعدﷺ بظهور دولة أخرى ، فقال: وعن قليل تلتف القرون بالقرون . وهذا كناية عن الدولة العباسية التي ظهرت على دولة بنى أمية . والقرون : الأجيال من الناس ، واحدها قرن ، بالفتح . ويحصد القائم ، ويحطم المحصود : كناية عن قتل الامراء من بنى أمية في الحرب ، ثم قتل المأسورين منهم صبرا ، فحصد القائم قتل المحاربة ، وحطم الحصيد : القتل صبرا ، وهكذا وقعت الحال مع عبد الله بن علي ، وأبى العباس السفاح صفحة»[٣].

---

(١) كناية عن اشتباك قوىٰ الحق والباطل.

(٢) في هـ ب: أي يكسر.

(٣) شرح نهج البلاغة ؛ ابن أبي الحديد ٧: ١٠١ ـ ١٠٢.

[الخطبة ١٠٢]

ومن خطبة له عليه السلام

في ذكر يوم القيامة

(١ / ط ـ ٢ م ١) ذكر يوم القيامة واحوال الناس المقبلة:

وَذَٰلِكَ يَوْمٌ[١] يَجْمَعُ ٱللَّهُ فِيهِ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ لِنِقَاشِ[٢] ٱلْحِسَابِ وَجَزَاءِ ٱلْأَعْمَالِ، خُضُوعاً[٣] قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ ٱلْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ[٤] بِهِمُ ٱلْأَرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً.

وفي هذا المقطع شرح حال يوم القيامة والناس فيها في نقاط:

١ ـ (وذلك يوم) وهو زمن غير محدد دواماً ونهاية، وقد عبر عنه باليوم وهو الزمن المقدر من طلوع الشمس الى غروبها، لتشابههما في الوضوح، ويطلق اليوم أيضا على اليوم اذا طال شره.

٢ ـ (يجمع الله فيه) الخلق من (الاولين) الذين سبقوا حياتنا من الآباء المتقدمين علينا زمانا (والآخرين) من الابناء من الاجيال القادمة بعدنا. والغرض من هذا الجمع أمران:

٣ ـ الاول: (لنقاش الحساب) فان يوم القيامة يوم الدين والنقاش: استقصاء الحساب.

٤ ـ الثاني: (وجزاء الأعمال) المترتبة على معرفة نتائج المحاسبات كما وعد الله سبحانه بانذار العباد في الدنيا. وعن حالة العباد في هذا اليوم قال:

٥ ـ (خضوعاً) بسبب هول الموقف والخشية من النتائج الغير المرغوبة فيها.

٦ ـ (قياماً) لحالة الحذر والخوف الذي يستولي على الانسان في مثل هذا الموقف.

٧ ـ (قد ألجمهم العرق) وهو ماء الجلد المترشح في اصول الشعر، وقد سال العرق على الجسم الى أن وصل الى موضع الفم، كما يسيل العرق على الدابة الى موضع اللجام في ذلك الموقف.

٨ ـ (ورجفت بهم الأرض) والرجفة: الاضطراب والحركة من هول الموقف.

٩ ـ (فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً) لشدة الزحام بسبب كثرة الخلائق التي لا يعلم عددها سوى الله تعالى.

١٠ ـ (ولنفسه متّسعاً) يوسع على نفسه في هذا الموقف الحرج والمكان المزدحم.

---

(١) في هـ ب: أي يوم القيامة، ويجوز يوم الحرب.

(٢) في هـ ب، وفي نسخة: المناقشة.

(٣) في هـ ب: أي ذللاً.

(٤) في هـ ب: اي حركت.

فهذه نقاط عشرة تعم الخلائق في هذا اليوم الحق.

(٢ / ط - ١٠٢) **ملحمة البصرة:**

ومنها: **فِتَنٌ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ[(١)]، وَلَا تُـرَدُّ لَـهَا رَايَـةٌ، تَأْتِـيكُمْ مَزْمُومَةً[(٢)] مَرْحُولَةً، يَحْفِزُهَا[(٣)] قَائِدُهَا، وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا؛ أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَـلَبُهُمْ[(٤)]، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ.**

وهذ المقطع يشير الى ملحمة البصرة، ويصف فيه الفتن واهلها وموضعها بقوله:

١ ـ (فتن) ليست عادية من الفتن التي تعرض عادة في كل مجتمع، وفي كل عصر لزوبعة عارضة تطرأ وسرعان ما تنقشع، بل لهذه الفتن الاوصاف التالية:

٢ ـ (كقطع الليل المظلم) فهي فتن متتالية كما يتتالى الظلام في الليل حتى يكون ظلاما دامساً.

٣ ـ (لاتقوم لها قائمة) فتستولي هذه الفتن علي كل ما هو قائم من انسان وعمران اقتصادي، فلا يمكن مقاومتها بالوسائل العادية المتيسرة حين حصولها.

٤ ـ (ولا تردّ لها راية) وتكون رايات الفتن غالبة، لاترد ولا تنهزم، فانّ الانهزام: الرد على الاعقاب.

٥ ـ (تأتيكم مزمومة مرحولة) كالناقة التي يؤخذ من زمامها، فهي تامة الخطط والاستعداد والادوات.

٦ ـ (مرحولة) كالناقة التي عليها رحلها، فهي مهيئة للركوب الى مهمة الحرب.

٧ ـ (يحفزها قائدها) والحفز: الدفع بامداد الفتن من الوراء امدادا متواصلاً لا يمكن ان يحتمل فيها خسران المعركة.

٨ ـ (ويجهدها راكبها) وهم افراد جيش العدو المحارب الذي يستخدم الوسائل الحربية بكل جهد واستعداد. وهذه اوصاف ثمان للغزو الخارجي الذي يستهدف قوما لاطاقة لهم بمواجهتها لا في العدة ولا في العدد.

ثم اشار الى بعض صفات المحتلين، فأشار الى امرين يتلازمان مع الاستعمار في كل عصر وزمان، و هما:

اولاً: (اهلها قوم شديد كلبهم) والكلب: الضرر والشدة ؛ فان القوى الغازية شديدة الشر على الشعب المستغل، فان طبيعهب الاستعمار ان لا يرحم قط، ويفرض حكمه بالحديد

---

(١) في هـ ب: أي لا تقوم لتلك الفتن قائمة منهم، أي لا يقابل منها أهلها ولا يضيق لحيل أصحاب تلك الفتن، وقيل: لا يكون لها قلعة قائمة يعني لتهديهم كالابنية لها.

(٢) في هامش ب: أي لا تكون تامة الاسباب كاملة الالاف.

(٣) في هـ ب: حفزه: أي دفعه من خلفه.

(٤) في هـ ب: الكلب: الفتنة، أي يقتلون ولا يسلبون.

والنار.

ثانياً: (قليل سلبهم) والسلب: ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول، وهذه الطائفة الغازية لايهمها سلب الاشخاص، بل يهمها فرض الهمينة القسرية والمستلزمة للاستغلال ثقافيا واقتصاديا على البلاد بصورة عامة، فهم لايسلبون الاشخاص إلّا قليلا، يـرغبون فـيه للتحفة كرمز للنصر، لاغير.

(٣ / ط - ١٠٢) **المقاومة المجاهدة:**

يُجَاهِدُهُمْ فِي ٱللهِ(١) **قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ ٱلْمُتَكَبِّرِينَ، فِي ٱلْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي ٱلسَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ**(٢).

ثم اشار الى دور المعارضه بالمقاومة المسلحة بأوصاف يتصف بها الثوار، لتـحقيق اهدافهم على الأعداء بقوله:

١ ـ (يجاهدهم في سبيل الله) فان القوة الغاشمة المسلحة بالعدد والعدة لايمكن ان تقاوم بنفس المستوى حيث يفقد المقاوم تلك القوة وذلك العدد، بل يعتمد على اسلوت الجهاد الاسلامي.

٢ ـ (قوم) فهم قوم واحد من طائفة يجمعهم جامع واحد في الاهداف، وليسوا مـن المرتزقة المستخدمين من قوميات متعددة يجمعهم مصالح مشتركة.

٣ ـ(اذلة عند المتكبرين) وهذه الفئة المقاومة تعتبر من الاذلاء في منطق القوة الغازية التي تتشكل من المستكبرين، فتكون المواجهة بين الاستكبار والمستضعفين.

٤ ـ (في الارض مجهولون) ومن صفات القوة المجاهدة أنها تتحصن بنكران الذات، ولاتعلن عن اعضائها ؛ لان هدفها الجهاد في سبيل الله فقط.

٥ ـ (وفي السماء معروفون) فلا يعرفهم سوى الله سبحانه وتعالى ؛ لانهم لايجاهدون للحصول على القاب ومصالح دنيوية، ولايبتغون سوى رضا الله سبحانه .

وفي هذه النقاط الخمس تكمن سر نجاح أية مقاومة اسلامية .

(٤ / ط - ١٠٢) **نجاح المقاومة :**

فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ(٣) **عِنْدَ ذٰلِكِ**(٤) **مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ**(٥) **ٱللهِ، لاَرَهَجَ**(٦) **لَهُ وَلَا حِسّ**(٧)،

---

(١) في ط: في سبيل الله.

(٢) في هـ ص: هذه الصفات قد ذكرها عليه السلام في ذكر الأئمة من ولده مراراً.

(٣) في هـ ب، وفي نسخة: بصيرة.

(٤) في هـ ص: الاشارة إلىٰ حملة الفتن.

(٥) في هـ ب: أي عقوباته.

(٦) في هـ ب: أي لا غبار.

(٧) في هـ ص: يعني به بالزنج، وكانوا في دولة بني العباس.

وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ ٱلْأَحْمَرِ وَٱلْجُوعِ ٱلْأَغْبَرِ.

وختم المقطع بضمان نجاح المقاومة التي تتمتع بالنقاط الخمس، مخاطبا اهالي البصرة حيث تمركز العدوّ المحتل فيها، بقوله:

١ ـ (فويل لك يا بصرة عند ذلک) فعند تحقق المقاومة بالشروط المذكورة يكون رد الفعل على الاحتلال عنيفا؛ لان العدو يتحرك وهو لايريد ان يقتل، بل يتحصن بكل ما لديه من امكانات من القتل، بينما المقاوم المسلم يتحرك بدافع الوصول الى احدى الحسنيين النصر أو الشهادة.

٢ ـ (من جيش من نقم الله) فان هذا الجيش نقمه وعقوبة من الله على الظلم الذي أورده اصحاب الفتن.

٣ ـ (لا رهج له) والرهج: الغبار؛ لانهم يعملون سراً من دون اعلان صاخب.

٤ ـ (ولا حس) وهو الصوت؛ لان هدفهم ليس الاعلان، بل العمل الصامت.

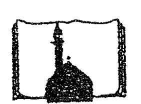
٥ ـ (وسيبتلي اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر) وكما هي نتيجة الثورات والمقاومة: ان النار يأكل الأخضر واليابس، كما هو مشروح في التاريخ، ويبتلي الشعب الاعزل بين القوتين المقاومة والاحتلال بالغداء والتضحية والقتل وهو الموت الاحمر، وكذلك بالاخلال بالامن واختلال الاقتصاد والبلاء وهو الجوع الاغبر، حيث يتحول السوق الى غبار عام يعم الجميع.

وتاريخ الاحتلال للدول الاستعمارية وجماعات المقاومة ضدها تكشف عن هذه الحقائق لمن يدرسها.

قال ابن أبي الحديد فی شرح نهج البلاغة، ما نصه:«ثم أخبر بهلاك البصرة بجيش من نقم الله لا رهج له ولا حس، الرهج: الغبار، وكنى بهذا الجيش عن جدب وطاعون يصيب أهلها حتى يبيدهم. والموت الأحمر، كناية عن الوباء والجوع. الأغبر: كناية عن المحل، وسمى الموت الأحمر لشدته، ومنه الحديث: كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله، ووصف الجوع بأنه أغبر، لان الجائع يرى الآفاق كأن عليها غبرة وظلاما، وفسر قوم هذا الكلام بوقعة صاحب الزنج، وهو بعيد، لان جيشه كان ذا حس ورهج، ولأنه أنذر البصرة بهذا الجيش عند حدوث تلك الفتن، ألا تراه قال: فويل لك يا بصرة عند ذلك. ولم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتن شديدة على الصفات التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام».(١)

(١) شرح نهج البلاغة؛ ابن أبي الحديد ٧: ١٠٤ ـ ١٠٥.

فهرس المحتوى



The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

Sharna 1